العصر
مركز العصر للدراسات الاستراتيجية والمستقبلية

عمليـــــة صنــــع القـــــرار في السياســــة الخارجيـــــة

الولايات المتحدة الأمريكية أنموزجاً

الأستاذ الدكتور أحمد نوري النعيمي
أستاذ السياسة الخاريجة
في كلية العلوم السياسية بجامعة بغداد

٢٠١٣

عملية صنع القرار في السياسة الخارجية

الولايات المتحدة الأمريكية أنموذجًا

الأستاذ الدكتور

أحمد نوري النعيمي

أستاذ السياسة الخارجية

في كلية العلوم السياسية بجامعة بغداد

حقوق الطبع محفوظة

مركز العصر للدراسات الاستراتيجية والمستقبلية

لندن

الموقع الإلكتروني: www.alasersfs.com

Email: alaser1427@gmail.com

المجموعة الاستشارية العالمية

١٠ غرب سوميد مجاورة ١٤ بجوار محافظة ٦ أكتوبر – ٦ أكتوبر

هاتف: ٣٨٣٥٤٠٣٥ (٠٢) - فاكس: ٣٨٣٥٢٢٢٤ (٠٢)

جوال: ٠١٢٢٣٣٠٥٥٥٢

Email: GCGegypt@gmail.com

الموقع الإلكتروني: www.GCG-CO.net

دار الدراسات العلمية للنشر والتوزيع

المملكة العربية السعودية - مكة المكرمة - بطحاء قريش

ص.ب: ١٤٧٠٠ - الرمز البريدي: ٢١٩٥٥

هاتف: ٥٣٥٥٥٦٦-٢-٩٦٦+ - فاكس: ٥٣٥٥٥٧٧-٢-٩٦٦+

Email: alaser1427@gmail.com

الموقع الكتروني : www.gcg-ssc.com

رقم الإيداع:

11556/2012

I.S.B.N:

978-977-5220-06-6

بسم الله الرحمن الرحيم

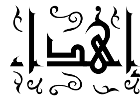
﴿ فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا ﴾

[الكهف:١١٠]

صدق الله العظيم

"إني رأيت أنه لا يكتب إنسان كتابًا في يومه إلا قال في غده: لو غُيِّر هذا لكان أحسن، ولو زيد هكذا لكان يستحسن، ولو قُدِّم هذا لكان أفضل، ولو ترك هذا لكان أجمل، وهذا من أعظم العبر، وهو دليل على استيلاء النقص على جملة البشر".

العماد الأصفهاني



إذا كان لي من نفيس أهديه لشقيقتي في حياتها الأبدية

بكل نفيس فإن الكتاب أغلى ما يهدى، فإلى روحها الطاهرة

أقدم هذا الجهد.

د.أحمد نوري

صفحة بيضاء

المقدمة

تعد مادة السياسة الخارجية من المواد الرئيسة في مفردات علم السياسة، لا سيما إذا عرفنا أنها تدرس في جامعات متقدمة بلغة سوسيومترية يطغى عليها نظرية التكامل والتفاضل في الرياضيات والإحصاء، التي من شأنها محاولة الوصول إلى بناء نظرية عامة في السياسة الخارجية.

تأخذ الدراسات الاجتماعية -وفي مقدمتها السياسة الخارجية- مجموعة من الأبعاد يمكننا إيجازها في الآتي(١):-

١ – الوصف (Description) حيث يقوم على إعداد صورة لموضوع البحث حسب الشكل الذي شوهد عليه.

٢ – التوضيح (Explanation)، وهدفه الرئيس هو استخراج الديناميكيات التي تبدو من خلال عملية معاشة، أو ظاهرة ملاحظة في إطار العلاقات السببية للحدث (السبب – النتيجة).

ويتطلب الربط بين بعدي "الوصف" و"التوضيح" إيجاد مجموعة من المفاهيم المنسجمة بعضها مع بعض.

٣- الفهم (Understanding) يعطي عمقًا لبُعد التوضيح، حيث يستلزم استيعاب الظواهر في إطار عملية منطقية.

---

(1) Turkiyenin Uluslarasi Konumu,Kure Yayinlari, Vefa, Istanbul, ss.1-4. Ahmet Davutoglu stratejik Derinlik.

فعملية التوضيح هي محاولة لإيجاد العلاقة السببية بين الظواهر محل البحث، ويستهدف الفهم محاولة الوصول إلى حقيقة الظاهرة من خلال التصورات الذهنية عنها، ويتطلب هذا عملية تجريد ذهني منسجمة ومنظمة.

٤ – التفسير (Interpretation) يتطلب موقفًا أصيلًا، وإطارًا نظريًّا جوهريًّا ومبتكرًا. وهذا لا يعني في حد ذاته مجرد النفاذ إلى حقيقة الظاهرة فحسب، بل يتطلب الشعور بالظاهرة، واستيعاب التطورات المتعلقة بها، ووضع كل عنصر من عناصرها في مكانه في شكل متكامل. ويتحتم على كل محاولة "للتفسير" أن ترتكز على إطار نظري منسجم ومتماسك من الداخل.

وتعد عملية الانتقال من الملاحظة إلى وضع المفاهيم، ومن عملية وضع المفاهيم إلى الفهم التجريدي، ومن التجريد إلى النظرية، المفاتيح المنهجية للانتقال من "الوصف" إلى "التوضيح"، ومن "التوضيح" إلى "الفهم"، ومن "الفهم" إلى "التفسير".

٥ – التوجيه (Direction) هو إمكانية استخراج النتائج من إطار "التفسير"، والتأثير في الظواهر والعمليات بناء على هذه النتائج، ولا بد لمحاولة "التأثير" هذه أن تحفز ساحة المسئولية السياسية والاجتماعية، والتي تُفَعل بدورها البعد الأخلاقي للجهود العلمية المبذولة في هذا المجال. وفي الوقت الذي تبقى فيه الأبعاد الأربعة المذكورة على أرضية ذهنية، يشكل البعد الخامس "التوجيه" جسرًا بين العمليات الذهنية وبين عملية التطبيق، ويعد هذا الوضع متداولًا إلى حد كبير في مجال العلاقات الدولية على وجه الخصوص. كما تشكل الأبعاد الأربعة الأولى مراحل ذهنية، للوصول إلى البعد الأخير "التوجيه"، عند كثير من المحللين الإستراتيجيين الذين أحدثوا تأثيرًا في التوجهات الإستراتيجية لبلادهم.

قد يبدو في البداية أن منطق العلوم الرياضية هو منطق رمزي يتصادم مع المنطق السياسي القائم على قيم Values، ويفترض أحكامًا Judgment، وهي جميعها تتصادم مع خصائص التحليل الرياضي؛ لأن التطور المعاصر يجعل من أداة التحليل الرياضي عنصرًا أساسيًّا من عناصر بناء النظرية السياسية.

من هذا المنطلق، كانت هناك محاولات من بعض العلماء لخلق ما أسموه بالرياضة الإنسانية، وهي ترتبط بخصوص الظواهر التي لا تخضع بطبيعتها لعملية التمويل الكمي[١].

وهنا لا بد من الإشارة إلى أن عملية بناء النموذج التي تتباين عن عملية بناء النظرية Theory Building، هي عملية عقلية تخضع للعلوم الرياضية في التحليل، في حين تتميز العلوم الاجتماعية، بصفة عامة، بأن موضوعها لا يفسر ذاته تلقائيًّا كما هو الحال في العلوم الطبيعية[٢]. ومن هنا تأتي أهمية اعتماد عملية البحث السياسي على الأساليب الرياضية، وفي هذا المجال يثار السؤال الآتي: أليست الأساليب الرياضية هي الدراسة المنطقية للعلاقات الرمزية؟ ومن خلال هذه العلاقة بين التحليل السياسي والمنطق الرياضي نستطيع أن نذهب إلى القول بأنه كيف استطاع أسلوب التحليل السياسي استخدام أدوات التحليل التي كان مصدرها العلوم الأخرى في بناء النظرية المنهاجية: تحليل إحصائي في التمويل الكمي، تحليل نفسي في التحليل المعملي، تحليل رياضي في عملية التجريد الفكري والبناء الرمزي لنماذج التحليل[٣]؟

---

(١) الدكتور حامد ربيع، نظرية التحليل السياسي، مكتبة القاهرة الحديثة، القاهرة، ١٩٦٧ ص ٤٩.

(٢) كريس براون، فهم العلاقات الدولية، ترجمة مركز الخليج للأبحاث، دبي، الإمارات العربية المتحدة ٢٠٠٤، ص ٣.

(٣) الدكتور حامد ربيع، نظرية التحليل السياسي، ص٤٩ –٥٠.

يدور مفهوم استخدام المنطق العلمي في السياسة الخارجية حول ثلاثة مفاهيم رئيسة[١]:

١- إمكانية التنبؤ برد الفعل، يليه بعد ذلك تقديم نماذج للحركة.

٢- تصور نتائج الحركة السياسية وآثارها على المستوى الداخلي والإقليمي والدولي.

٣- قياس الرأي العام لاكتشاف الاتجاهات الحقيقية بصدد إعداد قرار معين. والرأي العام هنا ينبغي أن يفهم على أنه يمثل الرأي العام الخارجي أو الإقليمي.

وفي هذا الشأن، ينبغي أن نؤكد على أن استخدام المنهج العلمي بالمعنى الواسع لا يعدو أن يكون محاولة لرفض مفهوم الانطباع في دلالته التقليدية، ووضع قواعد تسمح بالضبط الكمي والكيفي للانطباعات. وهنا يجب أن نميز بين التحليل الكمي والتحليل النوعي والتحليل الكيفي؛ إذ إن التحليل الكمي تغلب عليه فكرة التكرار. بمعنى آخر: إن عدد المرات التي تساق فيها كلمة معينة أو حجة معينة أو رمز معين يمثل في ذاته الدلالة التي يجب أن نبحث عن اكتشافها التي تكفينا في التحليل، ووراء هذا الأسلوب تستتر فكرة عامة وهي أن رقم التكرار يعني درجة معينة من الاهتمام. أو بتعبير آخر: يعكس فكرة الأهمية.

أما التحليل النوعي فإنه لا يقف عند ذلك، وإنما يسعى إلى اكتشاف ما هو أبعد من التكرار؛ أي ما هو أبعد من الاهتمام؛ فالتحليل النوعي يقدم تساؤلات

---

(١) الدكتور حامد ربيع، نظرية السياسة الخارجية، مكتبة القاهرة الحديثة، القاهرة، ١٩٧٣، ص١٠١.

حول وجود صفة معينة من عدمه، حيث إن الصفة تحدد النوع، وهكذا هو قد يتساءل: هل الاهتمام بالتأييد أو بالمعارضة؟ بالقبول أو بالرفض؟

أما التحليل الكيفي فإنه يمثل خطوة نحو الأمام؛ التكرار لا يكفيه، ولكن النوع أيضًا لا يقنعه، إنه يريد أن يجيب عن السؤال: كيف حدث الوصول إلى تلك الصفة؟ بعبارة أكثر دقة، إنه يتابع الحقيقة الاتصالية كعملية تطور، ومن ثم يسعى إلى التعمق في حقيقة العملية النفسية التي تستتر وراء الكلمات والرموز[١].

ولأهمية المنطق العلمي في دراسة السياسة الخارجية بدأ يظهر في السنوات الأخيرة ما يسمى بمراكز التفوق في البحث السياسي، ويكفي أن نتذكر بهذا الخصوص الأبحاث التي تجرى بجامعة شيكاغو لحساب البنتاغون حول ظاهرة الذعر الجماعي كأحد الأساليب المكملة للسياسة الخارجية[٢].

وبلغ الأمر بهذا التقدم والتخصص أن بدأت الأساليب العلمية تغزو الدول الصغيرة، أو على الأقل الدول غير الكبرى، فمراكز تحليل السياسة الخارجية اليوم منتشرة في جميع أنحاء العالم بما في ذلك دراسة السياسة الخارجية للدول غير الكبرى، فالهند بعد الصين تولي اهتمامًا كبيرًا بهذه الأساليب، وينبغي في هذا المجال ألا ننسى اهتمامات الكيان الصهيوني بتحليل السياسة الخارجية لها[٣].

ويمكننا أن نذهب إلى القول في هذا المجال: إذا كانت مادة العلاقات الدولية

---

(١) الدكتور حامد ربيع، نظرية السياسة الخارجية، مصدر سبق ذكره، ص ١٠٢، ١٢٧. ومارسيل ميرل، سوسيولوجيا العلاقات الدولية، ترجمة د.حسن نافعة، دار المستقبل العربي، القاهرة، ١٩٨٦، ص١٠٨ – ١١٩.

(٢) المصدر نفسه، ص ١٠١.

(٣) المصدر نفسه، ص ١٠١.

تعد من أفقر المواد في علم السياسة من حيث الاعتماد على لغة الرياضيات والإحصاء، بسبب هيمنة الدراسات التاريخية والقانونية عليها، فإننا نرى أن مادة السياسة الخارجية تعد من أكثر مواد علم السياسة علمية بسبب العوامل السالفة الذكر.

لم تدرس مادة السياسة الخارجية في الوطن العربي في العشرينيات من القرن الماضي كمادة مستقلة، فتارة كانت تدرس في إطار مادة العلاقات الدولية أو مادة السياسة الدولية؛ إلا أن بعض الجامعات العربية بدأت تخطو خطوات جديدة كجامعة بغداد مثلًا -كلية العلوم السياسية- في تدريسها مادة مستقلة لها إطارها العام تدرس على مستوى الدراسات الأولية والدراسات العليا. من هنا رأينا أنه من باب أولى تأليف كتاب في هذا الشأن، يضاف إلى الكتب العلمية التي كتبت من أساتذة أجلاء في الجامعات العربية.

ولأهمية هذا الموضوع فقد تناولناه في الفصول الآتية:

الفصل الأول: دراسة نظرية السياسة الخارجية التي تناولت الموضوعات الآتية: مفهوم السياسة الخارجية، السياسة الخارجية والسياسة الدولية، السياسة الخارجية والإستراتيجية، السياسة الخارجية والدبلوماسية، السياسة الخارجية والعلاقات الدولية، العلاقة بين السياسة الخارجية والسياسة الداخلية.

الفصل الثاني: مناهج السياسة الخارجية.

تناولنا في هذا الفصل المناهج التقليدية والمناهج المعاصرة في السياسة الخارجية، في حين خصصنا الفصل الثالث للعوامل المؤثرة في السياسة الخارجية والتي تندرج تحت عوامل داخلية وخارجية، وقد طرحنا في الأول منها الإمكانات الموضوعية الدائمة أو شبه الدائمة، التي تتحدد في المتغيرات الجغرافية

والاقتصادية والسكانية والعسكرية، فضلًا عن المتغيرات الاجتماعية التي تكمن في الطابع القومي والرأي العام والأحزاب السياسية وجماعات الضغط، أما العوامل الخارجية فإنها تتركز في الموضوعات الآتية: الرأي العام الدولي، والتكتلات الدولية، والمنظمات الدولية، والشركات متعددة الجنسية.

أمَّا الفصل الأخير من الكتاب، فإنه احتوى على دور وزارة الخارجية في عملية صنع القرار، على الرغم من معرفتنا بأن هذا الدور يقتصر على جانب تنفيذي، بسبب أن الدبلوماسية لها علاقة في نقل قواعد السلوك السياسي الداخلي على مستوى العلاقات الدولية.

وأرجو من الله تعالى أن أكون قد وفقت في كتابة هذا الموضوع، كي أضيف هذا الجهد المتواضع إلى المكتبة العربية، ومن الله التوفيق.

صفحة بيضاء

الفصل الأول
في معنى السياسة الخارجية

١- مفهوم السياسة الخارجية:

لا يوجد هناك تعريف متفق عليه لمفهوم السياسة الخارجية عند علماء علم السياسة بشكل عام، وعلم العلاقات الدولية بشكل خاص، وعليه فقد تعددت تعريفات الباحثين إزاءها، والحق أن تعدد التعريفات وتفاوت نواحي التركيز فيها، إنما يعكس تعقيد ظاهرة السياسة الخارجية، وصعوبة التوصل إلى مجموعة الأبعاد التي تندرج في إطارها والعلاقة بينها[١].

إزاء ذلك نرى أن (كورت) يقدم لنا تعريفًا للسياسة الخارجية بأنها: "السياسة الخارجية لدولة من الدول تحدد مسلكها تجاه الدولة الأخرى، إنها برنامج، الغاية منها تحقيق أفضل الظروف الممكنة للدولة بالطرق السلمية التي لا تصل حد الحرب"[٢].

ويضيف كورت في تعريفه للسياسة الخارجية قائلًا: "بكلمات أخرى، إنها تعبّر عن مجموعة إجمالية من تلك المبادئ التي في ظلها تدار علاقات دولة مع الدول الأخرى"[٣].

---

(١) الدكتور محمد السيد سليم، تحليل السياسة الخارجية، ط٢، مكتبة النهضة العربية، القاهرة، ١٩٩٨، ص١١.

(2) Kurt, J., How Foreign Policy is Made, New York, 1949, P.12.

(3) Ibid.,

إلا أن هذا التعريف يقتصر على جانب واحد، وهو أنه لا يعد القنوات القتالية أداة من أدوات السياسة الخارجية[١].

أمَّا السفير (ليون نويل) فقد عرفها بأنها: "فن إدارة علاقات دولة مع الدول الأخرى"[٢]. في حين يرى (مودلسكي) أنها: "نظام الأنشطة الذي تطوره المجتمعات لتغيير سلوكيات الدول الأخرى، ولأقلمة أنشطتها طبقًا للبيئة الدولية: المدخلات والمخرجات"[٣].

أمَّا فيما يخص فيرنس وريتشارد سنايدر فإنهما عرفا السياسة الخارجية بأنها: "منهج للعمل أو مجموعة من القواعد أو كلاهما، تم اختياره للتعامل مع مشكلة أو واقعة معينة تحدث فعلًا أو تحدثت حاليًا، أو يتوقع حدوثها في المستقبل"[٤].

وهذا التعريف يرادف بين السياسة الخارجية وبين قواعد العمل، وأساليب الاختيار المتبعة للتعامل مع المشكلات.

ويؤكد هذا التعريف على صانع القرار، ويولي له أهمية كبيرة في تحليل السياسة الخارجية لأية دولة؛ إذ يرى (سنايدر) في هذا المجال أن الدولة تحدد بأشخاص صانعي قراراتها من الرسميين، ومن ثم فإن سلوك الدولة هو سلوك الذين يعملون باسمها، وإن السياسة الخارجية عبارة عن محصلة لقرارات من خلال أشخاص يتبوأون المناصب الرسمية في الدولة[٥].

---

(١) هشام الشاوي، الوجيز في فن المفاوضة، مطبعة شفيق، بغداد، ١٩٦٩، ص٣٨.

(٢) مارسيل ميرل، السياسة الخارجية، ترجمة خضر خضر، جذوس برس (بلا)، ص١٦.

(٣) الدكتور محمد السيد سليم، تحليل السياسة الخارجية، مصدر سبق ذكره، ص٨.

(٤) المصدر نفسه، ص٧.

(٥) زايد عبيد الله مصباح، السياسة الخارجية، منشورات Elga، مالطا، ١٩٩٤، ص١٠.

ويقترب من هذا التعريف، التعريفُ الذي قدمه تشارلز هيرمان للسياسة الخارجية، الذي يرى فيه أنها مرادفة لسلوكيات السياسة الخارجية والتي يقوم بها صانعو القرار الرسميون؛ إذ يُعَرِّفها بقوله: "تتألف السياسة الخارجية من تلك السلوكيات الرسمية المتميزة التي يتبعها صانعو القرار الرسميون في الحكومة أو من يمثلونهم، والتي يقصدون بها التأثير في سلوك الوحدات الدولية الخارجية"(١).

وفي المعنى نفسه يُعَرف باتريك مورجان السياسة الخارجية بأنها: "التصرفات الرسمية التي يقوم بها صانعو القرار السلطويون في الحكومة الوطنية، أو ممثلوهم، بهدف التأثير في سلوك الفاعلين الدوليين الآخرين"(٢).

وبموجب هذه التعاريف تكون السياسة الخارجية بمثابة تصرفات وسلوكيات تمثل صانعي القرار في المحيط الخارجي، بهذا المعنى تفهم السياسة الخارجية على أنها مجرد رصد لسلوكيات الدول، وإبعاد لمجالات أخرى في السياسة الخارجية كالأهداف والإستراتيجيات المعلقة.

اهتم سنايدر في دراسته للسياسة الخارجية بالبعد الإدراكي عند صانعي القرار، وهذا يعني أن الآخرين يتعاملون مع بيئتهم بموجب إدراكهم الحسي لهذه البيئة والتصورات المكونة في مخيلتهم عنها؛ إذ إن هؤلاء يتعاملون مع العوامل البيئية تبعا لتصوراتهم وإدراكهم لها، وليس مع حقيقتها في الواقع الفعلي، وقد أكد على الحقيقة نفسها هولستي في أنموذجه القائم على العلاقة الترابطية بين نظام المعتقدات وعملية الإدراك وعملية صنع القرار، وبعبارة أدق: إن صانعي

---

(١) الدكتور محمد السيد سليم، تحليل السياسة الخارجية، مصدر سبق ذكره، ص ١٠.

(٢) المصدر نفسه، ص٩.

القرار وفقًا لهذا الأنموذج لا يتصرفون تبعًا لمعرفتهم بالموقف كما هو في الواقع وفي حقيقته الموضوعية، بل يأتي تصرفهم بموجب ما يتصورونه عن هذا الموقف.

أمَّا روزيناو فيعرف السياسة الخارجية بأنها: "منهج للعمل يتبعه الممثلون الرسميون للمجتمع القومي بوعي، من أجل إقرار أو تغيير موقف معين في النسق الدولي بشكل يتفق والأهداف المحددة سلفًا"(١).

أو بعبارة أكثر دقة: "المجهود الذي تبذله جماعة وطنية من أجل التحكم في أو مراقبة محيطها الخارجي سواء من خلال تكريس الوضعيات الإيجابية أو تعديل تلك الوضعيات السلبية التي لا تخدم مصالحها"(٢).

يشير والتر ليبمان إلى أهمية القائد السياسي في إدارة نشاط الدولة الخارجية، من حيث تأكيده على إيجاد نوع من التوازن بين الالتزام الخارجي للدولة، والإدارة المتوفرة على مدى نقل هذا الالتزام على مستوى السلوك الخارجي، والمقدرة اللازمة في اعتقاد ليبمان هي أن تكون هذه المقدرة في حالة تنفيذها أكبر بكثير مما يحتاج إليه هذا الالتزام(٣).

أمَّا مارسيل ميرل فإنه يرى في السياسة الخارجية أنها "هي ذلك الجزء من نشاط الدولة الموجه للخارج، بمعنى أنه الذي يهتم -عكس السياسة الداخلية- بالمسائل الواقعة ما وراء الحدود"(٤).

---

(١) المصدر نفسه، ص١٥.

(٢) الدكتور عبد المجيد العبدلي، قانون العلاقات الدولية، دار أقواس للنشر، مطبعة فن وألوان، تونس، ١٩٩٤، ص١٢٣.

(3) Lippmaan, Walter, United States Foreign Policy, Boston, 1993, P.9.

(٤) العبدلي، مصدر سبق ذكره، ص١٢٣.

ويعرفها Leon Noel بأنها "فن تسيير علاقات دولة مع الدول الأخرى"(١). وقد قال عنها ريتشارد نيكسون الرئيس الأمريكي السابق: "إن الاستعمال الناجح للسلطة وبالخصوص على الساحة العالمية هو فن لا تعلمه إلا التجربة"(٢).

يقدم لنا نورمان هيل تعريفًا للسياسة الخارجية، يتسم بالدقة والواقعية، عندما يقول: "هي نشاط الدولة قبل الدول الأخرى سواء اتخذ هذا النشاط مظهرًا سياسيًّا أو اقتصاديًّا أو عسكريًّا على أساس الفلسفة أو الأيديولوجية التي يتمسك القادة بها"(٣).

أمَّا الدكتور حامد ربيع فيعرف السياسة الخارجية بأنها: "جميع صور النشاط الخارجي، حتى ولو لم تصدر عن الدولة كحقيقة نظامية، إن نشاط الجماعة كوجود حضاري أو التعبيرات الذاتية كصور فردية للحركة الخارجية تنطوي وتندرج تحت هذا الباب الواسع الذي تطلق عليه السياسة الخارجية"(٤).

---

(١) المصدر نفسه، ص١٢٣.

(٢) المصدر نفسه، ص١٢٣.

(3) Hill, Norman, International Politics, New York, Happer and Row, 1962, P.73.

هناك ست قنوات تمتلكها السياسة الخارجية، وهي بمثابة تنفيذ السياسة الخارجية، وهذه القنوات هي: الأداة الدبلوماسية والعامل الاقتصادي والإكراه النفسي والحرب النفسية والتفتيت الداخلي، استنادًا إلى مبدأ التعامل المباشر مع الأقليات والحركات الانفصالية القومية، المنظمات والصراع الجسدي. راجع في هذا الصدد: الدكتور حامد ربيع، من يحكم في تل أبيب؟ حول تحليل علاقة التماسك في النظام الإسرائيلي ومتغيرات الحركة السياسية في الشرق الأوسط، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ١٩٧٥، ص٤٣٦.

(٤) محمد السيد سليم، تحليل السياسة الخارجية، مصدر سبق ذكره، ص ٧.

وهناك من ينظر إلى السياسة الخارجية على أنها سياسة الدولة تجاه بيئتها الدولية غير الدول؛ لأن مجالات السياسة الخارجية تتضمن إلى جانب الدول مجالات أخرى مثل الشركات متعددة الجنسية والمنظمات الدولية والمنظمات السياسية[١].

ويعرف زايد عبيد الله مصباح السياسة الخارجية قائلًا: "إن السلوك السياسي الخارجي لأية دولة واحدة دولية هو عبارة عن حدث، وفعل ملموس تقوم به هذه الوحدة الدولية بصورة مقصودة وهادفة للتعبير عن توجهاتها في البيئة الخارجية، فالسلوك السياسي الخارجي يتحدد بالبواعث أو المقاصد المرتبطة به، وما يترتب عليها من نتائج خارج الحدود"[٢].

يقدم لنا الدكتور عبد المجيد العبدلي تعريفًا لها "بأنها فن تسيير الدولة الخارجية في جميع الميادين مع بقية الممثلين الدوليين، سواء كانوا أشخاصًا دوليين: دول ومنظمات دولية أو جماعات ضغط دولية أخرى، وهذا الفن تحكمه المصلحة الوطنية"[٣].

أمَّا الدكتور محمد السيد سليم فإنه يُعَرف السياسة الخارجية بأنها: "برنامج العمل العلني الذي يختاره الممثلون الرسميون للوحدة الدولية من بين مجموعة البدائل البرنامجية المتاحة من أجل تحقيق أهداف محددة في المحيط الخارجي"[٤].

---

(١) مصباح، مصدر سبق ذكره، ص٨.

(٢) المصدر نفسه، ص١٤.

(٣) العبدلي، مصدر سبق ذكره، ص١٢٤.

(٤) الدكتور محمد السيد سليم، تحليل السياسة الخارجية، مصدر سبق ذكره، ص ١٢.

وهذا التعريف ينطوي على الأبعاد التالية: الواحدية والرسمية والعلنية والاختيارية والهدفية والخارجية والبرنامجية[١].

والحق أن الكتاب العرب يديرون مفاهيمهم عن السياسة الخارجية حول محورين:

١- إمَّا بدلالة الخطة[٢] أو بمعنى يقترب منها، وخير من يمثل هذا الاتجاه الأستاذ الدكتور فاضل زكي محمد في كتابه "السياسة الخارجية وأبعادها في السياسة الدولية" والدكتور محمد طه بدوي في كتابه "مدخل إلى علم العلاقات الدولية".

٢- يفهم أصحابه السياسة الخارجية سلوكيًّا؛ أي بمعنى الفعل وما شابه ذلك، وخير من يمثل هذا الاتجاه الدكتور علي الدين هلال في كتابه "الأمن القومي العربي"، والدكتور محمد السيد سليم في كتابه "تحليل السياسة الخارجية"، والدكتور محمد الحلوة في كتابه "مبادئ علم السياسة"[٣].

---

(١) المصدر نفسه، ص١٣-٣٦.

(٢) يقصد بالتخطيط أنه تحديد الأهداف التي تسعى الدولة إلى تحقيقها سواء اتخذت جانبًا سياسيًّا أو اقتصاديًّا أو اجتماعيًّا، والدولة هنا تضع مجموعة من الوسائل لتحقيق ذلك، فضلًا عن ذلك تقوم الدولة بدور تنسيق الأنشطة بين مؤسسات عديدة تشترك في مجال معين، وبين أكثر من وحدة، وفي إطار مؤسسة واحدة، والتخطيط يجمع في كثير من الحالات بين المعلومات الجديدة والخبرات السابقة. راجع: الدكتورة ودودة عبد الرحمن بدران "تخطيط السياسة الخارجية نظرية وتحليلية"، السياسة الدولية، العدد ٦٩، ١٩٨٢، ص٦٦، ٧٣.

(٣) الدكتور مازن إسماعيل الرمضاني، السياسة الخارجية دراسة نظرية، مطبعة دار الحكمة، بغداد، ١٩٩١، ص٢٦-٢٧.

والحق أن جل المعضلات الناتجة من تناول تخطيط السياسة الخارجية هي معضلات غير محددة، وذلك للأسباب الآتية[١]:

١- هناك العديد من الأهداف والاستراتيجيات القابلة لتفسيرات واسعة النطاق.

٢- هناك نوع من التعقيد للخلفيات والمواقف المرتبطة بالسياسة الخارجية، وتتصف بالتالي بعدم التنسيق.

٣- قبل وصول صانع القرار إلى اتفاق بشأن الأهداف، لا بد أن يكون هناك نوع من الاندماج بين المفاهيم والإدراك.

٤- هناك العديد من البيانات التي تتميز بخاصية التوسع ووجود تشعبات عديدة، والتي تؤدي لازدياد صعوبة الاعتماد على مثل هذه البيانات.

٥- قد يختفي التجريب والاختبار نسبيًّا، ومما يؤدي إلى الصعوبة هو عدم تكرار مواقف السياسة الخارجية الذي من شأنه أن يقوم بتحقيق التجريب.

٦- من الصعوبة بمكان القياس الدقيق للمؤسسات المشتركة التي تقوم بدور المخطط في السياسة الخارجية.

٧- بسبب الحاجة الملحة لمناقشة متغيرات عديدة ومتباينة، وهي غير خاضعة إلى الفحص والمراجعة وبدرجات كبيرة.

٨- إن صانعي القرار قد يعتنقون فلسفات وأيديولوجيات معينة، ووجود صراعات بين هذه المفاهيم، وهي بالتالي تزيد الحاجة إلى اتباع أنموذج للوساطة والتوفيق في حسم المعضلات الدولية[٢].

---

(١) المصدر نفسه، ص٦٧.

(٢) الدكتورة ودودة عبد الرحمن "تخطيط السياسة الخارجية نظرية وتحليلية" مصدر سبق ذكره، ص٦٧.

إن التعاريف التي قدمناها في هذا الصدد قد لا تفي بالغرض الأكاديمي المطلوب، فعلى سبيل المثال إن التعاريف المعطاة للسياسة الخارجية بأنها النوايا، قد يكون لها جانب من الصحة لتأثيرها في صياغة أهداف وتحديد حركة صانع القرار، إلا أنها لا تكون الوحيدة في فهم ظاهرة السياسة الخارجية وذلك لسببين رئيسين هما[١].

١- من الصعوبة بمكان معرفة ما يفكر به صانع القرار، أو بتعبير أدق معرفة نواياه الحقيقية في مسألة من مسائل السياسة الخارجية.

٢- في حالة عدم تطبيق النوايا في السياسة الخارجية، فإن ذلك قد لا يؤثر في مصالح الدول الأخرى، وفي مثل هذه الحالة يكون الرد عليها من خلال أفعال سياسية خارجية محدودة.

وبالإمكان أن نستشهد على ذلك بالمثال الذي يشير إلى واقع تعامل الغرب مع العرب إبان الحرب العالمية الأولى؛ إذ أعطيت وعود للعرب أكدت على استقلالهم عن الدولة العثمانية، وإقامة دولة موحدة لهم، في حين أن هذه الوعود كانت تخفي من ورائها سياسة التفتيت[٢].

ومن ناحية أخرى، فإن التعاريف المعطاة للسياسة الخارجية بأنها الخطة أو الخطط من دون أن تكون هناك مقومات في نجاحها، أو على أقل تقدير عدم ترجمتها إلى الواقع العلمي لا يمكن أن يعطي لنا فهمًا حقيقيًّا لمعنى ظاهرة السياسة الخارجية[٣].

---

(١) الدكتور مازن إسماعيل الرمضاني، مصدر سبق ذكره، ص ٢٩.

(٢) المصدر نفسه، ص٣٠.

(٣) المصدر نفسه، ص٣١.

إن التعريفات السالفة -باستثناء تعريف روزيناو- لا تحدد كل الأبعاد المقصورة على عملية السياسة الخارجية، فهي تقتصر على تعريف السياسة الخارجية بأحد أبعادها أو مكوناتها على مستوى السلوك –هيرمان- أو الأهداف -سيبوري– "مجموعة الأهداف أو الارتباطات التي تحاول الدولة بواسطتها من خلال السلطات المحددة دستوريًّا أن تتعامل مع الدول الأجنبية، ومشكلات البيئة الدولية باستعمال النفوذ والقوة بل والعنف في بعض الأحيان". كما أن بعضها شديد العمومية بحيث لا يوضح طبيعة السياسة الخارجية ولا يميزها عن غيرها من السياسات[١].

إن السبب من تعدد هذه المفاهيم إزاء السياسة الخارجية مَرَدُّه إلى غياب نظرية أكاديمية عامة للسياسة الخارجية[٢]، التي تعزى إلى الأسباب الآتية: الطبيعة الدينامية للسياسية الخارجية والتفاعلات الدولية، وانعكاسات بزوغ قوى جديدة في السياسة الدولية[٣]، تحديات أكاديمية عديدة تجابه بناء مثل هذه

---

(١) الدكتور محمد السيد سليم، تحليل السياسة الخارجية، مصدر سبق ذكره، ص ١١.

(٢) تعرف النظرية: "هي مجموعة من المقترحات التي تنطبق على مجال معين من الواقع الموضوعي، والهدف منها التركيز على الجانب التفسيري والتوقعي؛ أي بمعنى أدق تفسير ظواهر العلاقات الدولية، والأخذ بالاعتبار بفرضيات مسبقة ومسلم بصحتها للوصول إلى قواعد تسمح بتوقع الأحداث، وفي هذا المجال، فإن النظرية قد تكون استقرائية وهي التي لها علاقة بتجارب معينة لأجل الوصول إلى استنتاج معين أو مقياس؛ أي مستنتجة من نظرية أخرى، أو استقرائية وقياسية في آن واحد".
وهنا لا بد من التمييز بين النظرية Theoretic التي تتكون من مجموعة من المقترحات تأخذ شكل القوانين، والمنهج Methods الذي هو نظام قواعد والافتراض Hypothese أي النظرية التي لم تتأكد بعد. راجع: الدكتور ريمون حداد، العلاقات الدولية، بيروت، ٢٠٠٠، ص١٥٤.

(٣) ارتبط بزوغ هذه القوى بظهور دول العالم الثالث في العلاقات الدولية التي بدأت ترتاب في =

النظرية، وواقع اختلاف السياسة الخارجية من دولة إلى أخرى، وحدود الموضوع التي أضحت تمتد لتشمل السياستين الداخلية والخارجية[١].

نستشف من هذه التعريفات مجموعة من الملاحظات، من بينها أن السياسة الخارجية التي تتبناها دولة ما قد تكون نتيجة لظروف بيئية داخلية أملتها الظروف البيئية المحيطة، أو أنها قد تكون نتيجة لرد فعل لعوامل بيئية خارجية فرضتها أو تفرضها ملابسات المحيط الخارجي[٢].

من هذا المنطلق يمكننا أن نذهب إلى القول بأن السياسة الخارجية لأية دولة تعكس وجود عملية ديناميكية تأخذ في الاعتبار المصلحة القومية والظروف البيئية الدولية، التي تترجم إلى واقع ملموس، ومن خلال الأداة الدبلوماسية، كما تجسد السياسة الخارجية وجود العديد من الخطوات، بالإمكان

=

ظاهرة التوسع الاستعماري من خلال سياسة الأحلاف العسكرية التي ظهرت بعد الحرب البادرة، وكانت الدول الآسيوية وبزعامة الهند هي الرائدة في الرفض من الانخراط إلى مثل هذه السياسات، وشاركها في الأمر فيما بعد الأقطار الإفريقية المستقلة، وكانت أولى نتائج هذا الرفض هو انعقاد مؤتمر باندونغ في المدة الواقعة بين ١٨-٢٤ نيسان ١٩٥٥ الذي ضم تسعًا وعشرين دولة من القارة الآسيوية والإفريقية، التي رفضت سياسة الأحلاف الدولية، والدعوة إلى احترام الاستقلال والمساواة بين الدول والتأكيد على إيجاد علاقات دولية تحكمها مبادئ التعايش السلمي بين الدول. راجع: د. حداد، مصدر سبق ذكره، ص١٢٦.

(١) الدكتور مازن إسماعيل الرمضاني، مصدر سبق ذكره، ص٢٨، ولمزيد من التفاصيل حول الحاجة إلى نظرية في السياسة الخارجية راجع:

Rosenau James N., the Scientific Study of Foreign Policy, the Free Press New York 1971,pp.98-102.

(٢) الدكتور مصطفى عبد الله خشيم، موسوعة علم العلاقات الدولية مفاهيم مختارة، الدار الجماهيرية للنشر والتوزيع والإعلان، بنغازي، ١٤٢٥، ص١١٣.

إيجازها في الآتي[١]:

١- قيام الدولة في الغالب بترجمة المصالح القومية إلى مبادئ وأهداف محددة في حالة تبني سياسة خارجية محددة.

٢- إن صانعي القرار، في ترجمة المصالح القومية، يأخذون في حسبانهم الظروف البيئية المختلفة على المستوى الداخلي والخارجي.

٣- إن تحقيق الأهداف المراد تحقيقها يتطلب من صانعي القرار رفد العوامل المادية والبشرية والتكنولوجية.

٤- قيام صانع القرار بتطوير خطته أو إستراتيجيته تبعًا لقدرات أو إمكانيات الدولة، إلى درجة من الممكن التعامل فيها مع مواقف السياسة الخارجية بالسلوك العقلاني من أجل تحقيق الأهداف الخارجية للدولة.

٥- تتبنى الدولة المواقف الإيجابية التي من شأنها تحقيق مصالح الدولة الخارجية تبعًا لقدرات الدولة.

٦- قيام مؤسسات الدولة جميعًا بتقويم دوري للتقدم الذي أنجزته هذه المؤسسات تجاه تحقيق أهداف الدولة الخارجية.

والحق أن العملية الأخيرة -عملية التقويم- هي عملية معقدة وصعبة، وذلك نتيجة للأسباب الآتية[٢]:

١- إن الأهداف المتوخَّى تحقيقها في السياسة الخارجية لا يمكن فصلها بأي حال من الأحوال عن الإستراتيجية الطويلة المدى.

---

(١) المصدر نفسه، ص١١٣-١١٤.

(٢) المصدر نفسه، ص١١٥.

٢- إن عملية تأثير سياسة خارجية لدولة معينة على باقي الوحدات الدولية الأخرى تتسم بصعوبتها من حيث التقويم، بسبب تعذر الحصول على البيانات والمعلومات اللازمة.

٣- إن النتائج المترتبة على تبني سياسة خارجية معينة تحيط بها عوامل النجاح والإخفاق، يدفعنا إلى القول بعدم إمكانية وصف السياسة الخارجية لدولة ما بأنها ناجحة أو غير ناجحة بالمرة.

ونستشف من ذلك أيضًا أن الدولة تسعى من خلال السياسة الخارجية إلى الرد على سلوك الفاعلين الدوليين الآخرين، وبشكل عام إلى التأثير في محيطها من أجل أن تحافظ عليه كما هو، إذا ما بدا لها مناسبًا، ومن أجل أن تغيره إذا وجدت أنه غير ملائم لها. بتعبير آخر: تسعى الدولة بوساطة السياسة الخارجية على الأقل إلى تثبيت قدراتها التأثيرية خارج الحدود الإقليمية للدولة، وفي أحسن الأحوال تسعى إلى تحسينها[1].

٢- السياسة الخارجية والسياسة الدولية:

هناك تفاعل بين البيئة الداخلية Internal Politics والبيئة الخارجية External Politics، إمَّا استجابة Respone، أو رد فعل Reaction، أو كلاهما، وفي هذا المجال، لا بد من طرح مفهوم Interaction، الذي يعد موضوعًا من موضوعات السياسة الدولية[2].

---

(١) فيليب برايار ومحمد رضا جليلي، العلاقات الدولية، ترجمة حنان فوزي حمدان، دار ومكتبة الهلال، بيروت، ٢٠٠٩، ص ٧١ – ٧٢.

(٢) الدكتور حامد ربيع، نظرية الدعاية الخارجية، مكتبة القاهرة الحديثة، القاهرة، ١٩٦٩، ص١٣.
=

وعليه؛ فإن الدكتور حامد ربيع يُعَرف السياسة الدولية بأنها: "التفاعل الذي لا بد أن يحدث الصدام والتشابك المتوقع والضروري نتيجة لاحتضان الأهداف والقرارات التي تصدر من أكثر من وحدة سياسية واحدة"(١).

ونستنتج من هذا التعريف ملاحظات معينة، بالإمكان إيجازها في(٢):

١- أن السياسة الخارجية هي عنصر من عناصر السياسة الدولية، ولكن ليس بوصفها تعبيرًا عن أهداف محلية، وإنما بوصفها أنموذجًا من نماذج السلوك الدولي.

٢- أن السياسة الدولية بهذا المعنى تفترض علاقات تقاطعية تفترض تفاعلًا بين أكثر من دولة واحدة، لا بل بالإمكان القول بالتقاطع بين أكثر من كتلة واحدة من التكتلات الدولية.

أي بين أكثر من مجموعة الدول المرتبطة بعلاقات إقليمية أو مواقف استراتيجية.

= تجدر الإشارة في هذا المجال إلى أن عالم السياسة الخارجية "روزينو" الذي قام بإصدار كتابه الموسوم "السياسات الدولية والسياسة الخارجية" في عام ١٩٦١ أشار فيه إلى طبيعة العلاقة بينهما، وكتابه هذا هو مجموعة قراءات تدور حول تأصيل العلاقة بينهما، كانت في مجموعها تمثل جهود علماء من شتى الثقافات، وتعبر عن مختلف الاتجاهات الفكرية في نطاق التحليل السياسي. ويستطيع القارئ أن يجد بينها المؤرخ وعالم العلاقات الدولية والقانوني والمتخصص في علم الاجتماع. سينجر استطاع خلال خمسة أعوام فقط من ذلك التاريخ أن يجعل مجموعة الباحثين الذين يتناولون موضوع تحليله فقط علماء للسياسة، ولا يعكسون سوى المنهاجية السلوكية. راجع: الدكتور حامد ربيع، نظرية السياسة الخارجية، مصدر سبق ذكره، ص٩٨.

(١) المصدر نفسه، ص١٣-١٤.

(٢) المصدر نفسه، ص١٤-١٥.

٣- أن السياسة الدولية لا تقتصر على مجرد العلاقات بين الدول -بمعنى العلاقات التي تقوم على أسس رسمية بين أشكال النظام السياسي الرسمي- فحسب، بل العلاقات بين مختلف أشكال التنظيمات غير الرسمية، طالما لهما صفة دولية، وهذا يعني:

١- أن السياسة الدولية تقوم على المنظمات غير الحكومية مثل منظمة الصليب الأحمر، والاتحادات العالمية للعمال، والجمعيات الدولية العلمية.

٢- المنظمات الدولية الحكومية، على الرغم من أنها تشكل جزءًا من السياسة الخارجية، إلا أنها تتضمن عنصرًا مستقلًّا عنها.

أمَّا جوزيف س.ناي الابن فإنه يعرف السياسة الدولية على أنها: "سياسة تنشأ في غياب سياسة مشتركة، أو سياسة بين كيانات ليس لها حاكم عام، وهكذا يطلق على السياسة الدولية عادة أنها فوضوية أناركية". وكما تعني كلمة "ملكية" حاكمًا واحدًا تعني كلمة "فوضوية" عدم وجود أي حاكم، وتعدُّ السياسة الدولية نظامًا للاعتماد على الذات"[(١)].

يتضح مما تقدم أن السياسة الخارجية هي بصورة افتراضية أقل من مجموعة من كل السياسات التي لها تأثير على علاقات الحكومة الوطنية مع الحكومات الوطنية الأخرى، إن الجمعية العامة للأمم المتحدة قد ارتأت منذ مدة طويلة المبدأ القائل: إذا تأثرت حساسيات أعضاء كافين بفعل قطر معين تجاه مواطنيه،

---

(١) جوزيف س.ناي الابن، المنازعات الدولية مقدمة للنظرية والتاريخ، ترجمة الدكتور أحمد أمين الجمل ومجدي كامل، الجمعية المصرية لنشر المعرفة والثقافة العالمية، القاهرة، ص١٧.

فإن ذلك الفعل لا يعد محليًّا، مع ذلك لا زلنا لا نقول: إن الأبارتاند (الفصل العنصري في جنوب إفريقيا) هو جزء من السياسة الخارجية لجنوب إفريقيا[١].

إن أولئك الذين يدرسون السياسة الدولية يهتمون أساسًا بأفعال وردود أفعال، والتفاعلات بين الوحدات السياسية التي تُدْعى الدول الوطنية "الدول القومية". التأكيد على الفعل يتضمن تحليل العملية، أي مرور الوقت زائدًا التغيرات المستمرة في العلاقات، متضمنًا الشروط التي تحدد التغيير ونتائجه. ما دام هناك تعددية في الأفعال، وردود الأفعال، والتفاعلات، فإن التحليل يجب أن يهتم بعدد العمليات[٢].

إذن يشكل "الفاعلون" و"الأهداف" و"الأدوات" مفاهيم ثلاثة لتنظير السياسة الدولية، ولكن كلًّا من هذه المفاهيم يكون في حالة تغير؛ ففي رأي أصحاب النظرية الواقعية التقليدية للسياسية الدولية تعد الدولة "الفعل" الهام الوحيد، والدول العظمى هي التي تحظى بالاهتمام، ولكن هذا المفهوم بدأ يتغير؛ فقد ازداد عدد الدول بشكل كبير بعد الحرب العالمية الثانية؛ ففي عام ١٩٤٥ كان هناك ما يقرب من خمسين دولة في العالم، وفي عام ١٩٩٢ وصل عدد الدول الأعضاء في الأمم المتحدة إلى ١٧٨ دولة، وفي حالة تزايد مستمر في الوقت الحاضر، والأهم من عدد الدول هو ظهور فاعلين من غير الدول، فهناك مثلًا الشركات المتعددة الجنسية التي تخطت الحدود الدولية، والتي تتحكم في مصادر اقتصادية أكثر من بعض الدول.

---

(1) Rosenau James (Ed), International politics and Foreign Policy A reader in Research and Theory, The Free Press, Collier Macmillan Publisher, London 1969, P.57.

(2) Ibid., P.199 …

وهناك على سبيل المثال ١٢ شركة متعددة الجنسيات يتجاوز إجمالي مبيعاتها السنوية الناتج القومي الإجمالي لدول مثل النرويج وبلجيكا واليونان وتركيا، وعلى الرغم من أن هذه الشركات تفتقد لبعض أنماط القوة مثل القوة العسكرية، إلا أنها تمثل أهمية قصوى لتحقيق الأهداف الاقتصادية لأية دولة، وإذا تحدثنا بلغة الاقتصاد فسنجد أن آي. بي. إم أكثر أهمية لبلجيكا من بوروندي إحدى المستعمرات البلجيكية السابقة[١].

أمَّا فيما يخص الأهداف فإن الدول في الوقت الحاضر لا تُولي اهتمامًا فقط بالأمن العسكري، بل تأخذ في الحسبان الرخاء الاقتصادي وأمورًا اجتماعية أخرى مثل تهريب المخدرات وانتشار الإيدز والتغيرات البيئية، وقد صرح أحد الدبلوماسيين الكنديين ذات مرة بأنه لا يخشى أن تتحرك الولايات المتحدة بقنواتها لتغزو "تورنتو" كما فعلت عام ١٨١٣، ولكنه يخشى أن يتم برمجة تورنتو بأجهزة كمبيوتر من ولاية تكساس، وهي وجهة نظر مختلفة عن المعضلة الأمنية، وكذلك لم تحل الأهداف الاقتصادية محل أهداف تحقيق الأمن العسكري، ولكن برنامج عمل أجندة السياسة الدولية أصبح أكثر تعقيدًا بسعي الدول لتحقيق أهداف أوسع[٢].

أمَّا الأدوات فإننا نرى أنها في حالة تغير؛ ففي النظرة التقليدية تعد القوة العسكرية هي الأداة الوحيدة ذات الأهمية في العلاقات بين الدول؛ ففي وصف المؤرخ البريطاني أ.ج.ب. تايلور للعالم قبل عام ١٩١٤ تعريف للقوة العظمى بأنها القوة القادرة على الانتصار في الحرب. ومن الواضح أن الدول تستخدم القوة

(١) جوزيف س.ناي الابن، مصدر سبق ذكره، ص٢٢.

(٢) المصدر نفسه، ص٢٣.

العسكرية الآن، ولكن على مدى نصف القرن الماضي تغير الدور الذي تقوم به، فقد وجدت العديد من الدول -ولا سيما العظمى منها- أن استخدام القوة لتحقيق أهدافها أصبح أكثر تكلفة مما كان عليه في السابق، فكما يقول ستانلي هوفمان الأستاذ بجامعة هارفارد: "لقد ضعفت الرابطة بين القوة العسكرية والإنجازات الإيجابية"(١).

ما هي أسباب ذلك؟ إن أحد هذه الأسباب يرجع إلى أن أقوى وسائل القوة العسكرية -وهي الأسلحة النووية- مقيدة، فعلى الرغم من أن عدد هذه الأسلحة جاوز ٥٠.٠٠٠ لم تستخدم الأسلحة النووية في الحروب منذ عام ١٩٤٥؛ لأن عدم التناسب بين حجم الدمار الذي تسببه تلك الأسلحة وبين أية أهداف سياسية معقولة دفع الدول إلى الإحجام عن استخدامها، لذلك فقد أصبح الشكل الأقصى للقوة العسكرية باهظ التكلفة لدرجة تجعله لا يُستخدم في الحروب، حتى الأسلحة التقليدية أصبحت مكلفة حين تستخدم لحكم الشعوب التي تتميز بصحوة وطنية، وقد اكتشف الأمريكيون ذلك في فيتنام في السبعينيات من القرن الماضي، واكتشف السوفييت في أفغانستان أقوى من الدول العظمى صاحبة الأسلحة النووية، ولكن مجرد محاولة حكم شعوب تنبهت قوميًّا ودينيًّا كان باهظ التكاليف للاتحاد السوفييتي والولايات المتحدة(٢).

وهناك أيضًا تغيير آخر طرأ على دور القوة يرتبط بالقيود الداخلية؛ فقد كان هناك دائمًا عبر الزمن اتجاه أخلاقي قام ضد استخدام القنوات القتالية. وأخيرًا هناك بعض الأمور التي لا يمكن أن تُحل عن طريق استخدام القوة؛ لأنها

---

(١) المصدر نفسه، ص٢٣.

(٢) المصدر نفسه، ص٢٣.

ليست الأداة الوحيدة؛ لأن استخدام الاعتماد الاقتصادي الدولي أصبح دوره واضحًا وأكثر إيجابية من الدور الذي تلعبه القوة[١].

وانطلاقًا من ذلك، فإن هناك ثلاثة أشكال رئيسة عبر القرون من السياسات الدولية[٢]:

١- النظام الإمبريالي العالمي، من خلال سيطرة حكومة واحدة على كل بقاع الأرض التي تتصل بها، والمثال على ذلك: الإمبراطورية الرومانية في العالم الغربي.

٢- النظام الإقطاعي، وقد شاع هذا النظام في الغرب بعد انهيار الإمبراطورية الرومانية[٣].

٣- نظام الدولة الفوضوي "الأناركي" الذي يتألف من دول مترابطة نسبيًّا ولكن لا تحكمها حكومة عليا واحدة، والأمثلة على ذلك موجودة في أنظمة الدول في اليونان القديم أو في إيطاليا في القرن الخامس عشر أيام ميكافللي.

إن الطريقة الأكثر تأثيرًا للحصول على رسم منظوري للسياسة الدولية، ولإيجاد طرق فهم "القرارات التصميمية" المعقدة لسلوك الدولة هو أن يوضع التحليل على مستوى أية دولة[٤].

(١) المصدر نفسه، ص٢٣-٢٤.

(٢) المصدر نفسه، ص ٢٤.

(٣) المصدر نفسه، ص ١٦-١٧.

(4) Rosenau, Op. Cit., P.200.

حاول الكتاب في الستينيات من القرن الماضي التأكيد على الفواصل الموجودة بين السياسة الدولية والسياسة الخارجية ووضعوا بمثابة مادتين في حقل معرفة واحدة "إلا أنهما غير متشابهين، بل إن الفوارق بينهما في بعض الجوانب لا يمكن ردمهما"[(١)].

يعرف الأستاذ الدكتور فاضل زكي محمد السياسة الدولية بأنها: "تلك العملية السياسية المتفاعلة، التي تجري على صعيد محلي أو داخلي، والسياسة الدولية بكلمة موجزة هي حصيلة تفاعل السياسات الخارجية"[(٢)].

والحق أن التمييز بين السياسة الدولية والسياسة الخارجية قد يبدو واضحًا في غير حاجة إلى تحديد، فالسياسة الخارجية هي امتداد للسياسة الداخلية، والسياسة الدولية هي مجموع المبادئ المرتبطة بالنشاط الدولي.

يجب أن نتصور نتائج القرارات المختلفة التي تنبع من دولة معينة باسم سياستها الخارجية، فأي نشاط من هذا القبيل لا بد فيه من تحديد صورة أو أكثر من نوعين من أنواع التفاعل.

ولابد أن نؤكد في هذا المجال أنه لا يمكن فصل السياسة الخارجية عن نظرية العلاقات الدولية، فالسياسة الخارجية تعني من حيث جوهرها القدرة والصلاحية على أن تجعل الآخرين ينفذون إلى ذلك الذي تريده، أو بتعبير أدق

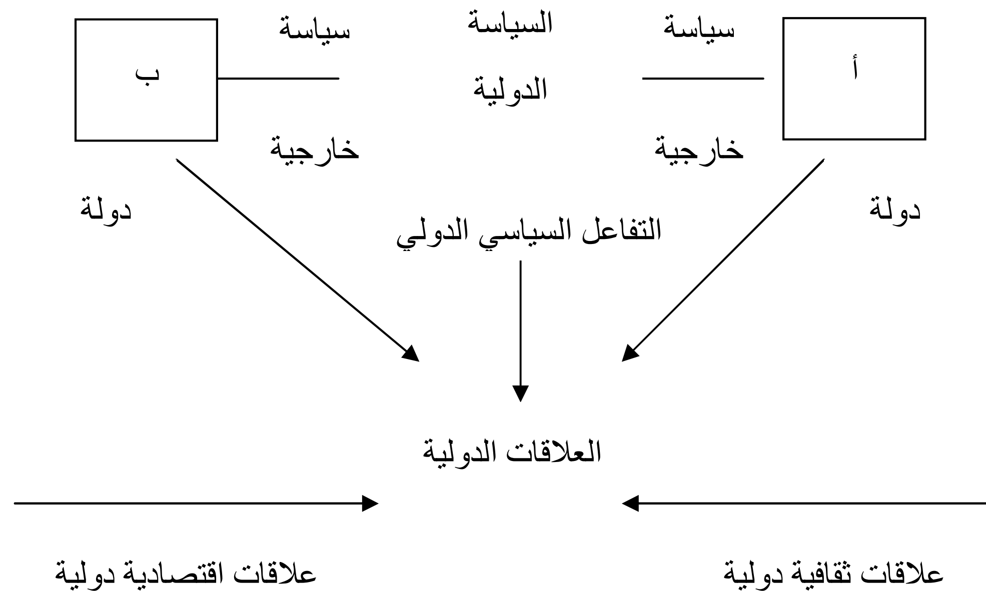
---

(١) الدكتور كاظم هاشم نعمة، العلاقات الدولية، الجزء الأول، مؤسسة دار الكتب والطباعة والنشر، فرنسا، ١٩٧٩، ص١٨.

(٢) الدكتور فاضل زكي محمد، السياسة الخارجية وأبعادها في السياسة الدولية، مطبعة شفيق، بغداد، ١٩٧٥، ص٢٩.

تطويع إرادة الآخرين، وعليه بالإمكان أن نذهب إلى القول: كيف أن السياسة الخارجية كحقيقة فكرية هي نقطة التقاء بين النظرية السياسية بوصف كون هذه أداة التنبؤ واتخاذ القرار ونظرية العلاقات الدولية؛ إذ إن الأخيرة تعد محصلة لمجموعة من السياسات الخارجية في حقبة زمنية معينة أو بخصوص معضلة محددة؟[١].

ومن الممكن توضيح هذه العلاقة بين السياسة الخارجية والسياسة الدولية والعلاقات الدولية في الرسم البياني الآتي[٢]:



(١) الدكتور حامد ربيع، نظرية السياسة الخارجية، مصدر سبق ذكره، ص٧-٨.

(٢) الدكتور سعد حقي توفيق، مبادئ العلاقات الدولية، دار وائل للطباعة والنشر، عمان، ٢٠٠٠، ص٢٢.

٣- السياسة الخارجية والإستراتيجية:

يرجع استخدام مصطلح الإستراتيجية إلى الإغريق، حيث تميز حياتهم الحرب والقتال، وهذه الكلمة من حيث المضمون كانت تشير عندهم إلى "فن القائد"، وهي تعني عندهم "فن الأشياء العامة". إلا أن هذه الكلمة تتميز بالتطور، وعليه نرى أن مدلولها لا يشير إلى تعيين مضمون مطلق وثابت؛ لكونها كلمة تتصف بالنشاط والدينامية، أو عمل فعل معين في مجال من المجالات المختلفة في السياسة بشكل عام، وعلى هذا الأساس فإن المعنى الواسع لها يقترن بالسياسة.

أمَّا من حيث المعنى الضيق لها من حيث اقترانها بالقيادة -وعلى الأرجح القيادة العسكرية- فإنه اتسع ليتضمن فعاليات سياسية واقتصادية واجتماعية، وأصبح من المعروف في إطار العلوم الاجتماعية أن نعثر على معنى الإستراتيجية في أكثر من مكان ومعنى[١].

وقد تطور معنى الكلمة فيما بعد، فأصبح يشير إلى التمييز بين الإستراتيجية العليا والإستراتيجية العظمى والإستراتيجية الوطنية والإستراتيجية العسكرية[٢].

---

(١) الدكتور كاظم هاشم نعمة، الوجيز في الإستراتيجية، شركة إياد للطباعة الفنية، بغداد، ١٩٨٨، ص٥٦، والدكتور عبد الوهاب الكيالي وكامل زهيري، الموسوعة السياسية، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ١٩٧٤، ص٤٢-٤٣.

(٢) الدكتور عبد الوهاب الكيالي، مصدر سبق ذكره، ص٤٣.

هذه الإستراتيجيات تدخل في إطار نظرية الأمن القومي، ولكن ينبغي هنا أن نميز بين مفهوم السياسة الخارجية ونظرية الأمن القومي، فالأمن القومي كما يُعَرِّفه الدكتور حامد ربيع: "الحد الأدنى الذي تستطيع دولة معينة أن تسمح به في حماية وجودها الذاتي، إنه بعبارة أخرى حائط يجب أن يقف عند حدوده نشاط أية دولة أخرى في علاقاتها بتلك الدولة، وهو لذلك يدور عادة =

يُعَرِّف كلوزفيتش الإستراتيجية بأنها: "فن استخدام المعارك وسيلة للوقاية من الحرب؛ أي أن الإستراتيجية تضع مخطط الحرب، وتحدد التطور المتوقع فيها والذي تتألف منه الحرب، كما تحدد الاشتباكات التي تقع في كل معركة"(١).

والحق أن هناك جملة مآخذ على هذا التعريف، بالإمكان إيجاز ذلك فيما يلي:(٢).

١- يدخل هذا التعريف فكرة استخدام المعارك في مجال السياسة أو في أعلى مستوى لقيادة الحرب، وهذه أمور تتعلق بمسئولية الدولة لا بحدود عمل

=

حول الحدود الإقليمية ويرتبط بها، فالسياسة الخارجية يصير أحد أهدافها -وليس الهدف الوحيد- هو حماية الأمن القومي، كذلك نجد أن الأمن القومي بجانب القيادة يصير كل منهما من ناحية معينة أداة من أدوات الربط بين السياسة الداخلية والسياسة الخارجية، راجع: الدكتور حامد ربيع، نظرية السياسة الخارجية، مصدر سبق ذكره، ص٢٩.

(١) أ.ل. ليدل هارت، الإستراتيجية وتأريخها في العالم، ط٢، ترجمة هيثم الأيوبي، دار الطليعة، بيروت، ١٩٧٨، ص٢٧٤، وإدوارد ميدايرل وآخرون، رواد الإستراتيجية الحديثة، ترجمة محمد عبد الفتاح إبراهيم، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ١٩٥٦، ص١٥، ومنصف السليمي، القرار السياسي الأمريكي، مركز الدراسات العربي-الأوروبي، باريس، ١٩٩٧، ص٩٣.

K.von, Cluse Witz Onwar, Translation by J.J., Graham 1908, London, Rootledge, 1966, P.165.

استخدام سياسة القوة من لدن الدولة من أجل تحقيق أهدافها في السلوك السياسي الخارجي. راجع:

Granett, John Strategic Studies and Its Assumptions, in J.Boglist., Eds Contemporary Strategy, London, Cromm Helm Ltd., 1975, P.3.

فهي تعني فن قيادة الجيوش، ووضع الإطار العام للحركة أو التخطيط لها. راجع: منصف السليمي، مصدر سبق ذكره، ص٩٢-٩٣.

(٢) ليدل هارت، مصدر سبق ذكره، ص٢٧٤.

القادة العسكريين الذين تستخدمهم السلطة الحاكمة ليقوموا بإدارة العمليات وتنفيذها.

٢- إن هذا التعريف يحدد معنى الإستراتيجية "باستخدام المعارك فقط"؛ أي تكريس كل الاعتبارات والإمكانيات في الحرب للبحث عن المعركة التي تحقق الحل الحاسم بقوة السلاح.

وهذا يعني أن النظام السياسي يستخدم جميع إمكاناته لبلوغ أهدافه، فعلى سبيل المثال في حالة تعرض دولة لهجوم عسكري وتكون قوات العدو في حالة تقدم؛ فإن الدولة في مثل هذه الحالة تقوم باستخدام كل إمكانياتها لمنع تقدم جيش العدو، وإبعاده من حدودها، ومن ثم رفع تهديداته. في تلك الحالة يكون "الدفاع" أمرًا حياتيًّا، والدولة يجب أن يكون لها إستراتيجية قومية[١].

أمَّا ليدل هارت فإنه يعرف الإستراتيجية بأنها: "هي فن توزيع واستخدام مختلف الوسائط العسكرية لتحقيق هدف السياسة[٢]. وفي المعنى نفسه، يعرف ريمون آرون الإستراتيجية بأنها "قيادة وتوجيه مجمل العمليات العسكرية"[٣].

ويقترب من هاذين التعريفين تعريف الدكتور محمد طه بدوي؛ إذ يعرفها قائلًا: "إن الإستراتيجية والدبلوماسية "في نظرية وحدة السياسة الخارجية"، ليستا

---

(١) الدكتور محمد جواد اللاريجاني، الإستراتيجية القومية دراسات في معالمها وأهدافها، ترجمة علاء الرضائي، دار التعارف للمطبوعات، (بلا)، ١٩٩٥، ص ٦٦.

(٢) المصدر نفسه، ص ٢٧٦.

(٣) أكرم الديري، آراء في الحرب (الإستراتيجية وطريقة القيادة)، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت – لبنان، ١٩٨٣، ص ٢٦.

إلا الوجهين المتكاملين لفن واحد هو فن السياسة"[١].

ويذهب الدكتور البدوي قائلًا: "إن الإستراتيجية كمظهر لفن السياسة الخارجية، تعني فن إدارة العمليات العسكرية في كلياتها أثناء الحرب"[٢].

أمَّا إدوارد ميد إيرل فإنه يُعرِّف الإستراتيجية بأنها: "فن السيطرة على كل موارد الأمة واتحاد الأمم بما في هذا القوات المسلحة، ثم استخدام هذا كله إلى غاية ما يمكن وفي أكمل صور الاستخدام"[٣].

ولو حاولنا أن نرجع إلى قاموس أوكسفورد، فسنجد أن معنى الإستراتيجية يشير إلى "فن القائد العام، وكذلك فن عرض وتوجيه الحركات العسكرية الكبيرة، والعمليات للحملة، وأنها تتميز عن التعبئة التي هي إدارة القوات في المعركة، أو عندما يكون وجود العدو مباشرًا"[٤].

أمَّا قاموس العلوم السياسية فإنه يعرفها: "بأنها خطة عمل لدحر عدو أو لتحقيق هدف ما، وتشير الإستراتيجية إلى خطة شاملة أو للأمد الطويل تتألف من سلسلة من الحركات من أجل هدف عام، في حين تتألف التعبئة من حركة أو طور محدود من الخطوات صوب أهداف وسطية في إطار خطة إستراتيجية كبيرة"[٥].

---

(١) الدكتور محمد طه بدوي، مدخل إلى علم العلاقات الدولية، دار النهضة العربية، بيروت، ١٩٧٢، ص٣٩.

(٢) المصدر نفسه، ص٣٩.

(٣) إدوارد ميد إيرل، مصدر سبق ذكره، ص١٦.

(٤) الدكتور كاظم هاشم نعمة، الوجيز في الإستراتيجية، مصدر سبق ذكره، ص٥٧.

(٥) المصدر نفسه، ص ٥٧.

أمَّا مولتكة فيعرفها: "بأنها عملية المواءمة العملية للوسائل الموضوعة تحت تصرف القائد من أجل إنجاز الأهداف"[١]. في حين يعرفها توماس فلبنج "بأنها ليست معنية بالتطبيق الكفء للقوة، بل تتعلق أساسًا بكيفية استغلال عناصر القوة الكامنة والمحتملة، ويربط بذلك تحجيم إمكانات الخصم أو الطرف الآخر في صراع القوة، بما في ذلك التأثير في سلوك الآخر في الصراع"[٢].

أما أندريه بوفر فيعرفها "بأنها ليست عقيدة جامدة، ولكنها أسلوب في التفكير، يسمح بدراسة الأحداث وتصنيفها حسب أهميتها، واختيار الوسائل الفعالة الملائمة لها"[٣].

والحق أن الإستراتيجية في معناها المعاصر بدأت تحتوي على جوانب سياسية واقتصادية ودعائية وفنية وغيرها. بهذا المعنى دخلت الإستراتيجية المعاصرة في التخطيط الاقتصادي لتكون الإستراتيجية الاقتصادية، والتخطيط السياسي لتكون الإستراتيجية السياسية، وهلم جرًّا.

والحقيقية أن بوفر له الفضل في إعطاء الإستراتيجية المعنى المعاصر لها[٤].

---

(1) B.H.L., Hart,Strategy : The Indirect Approach, London, 1966, P.339.

(٢) محمود عبد الفضيل، "حول أزمة الفكر الإستراتيجي –نظرة مستقبلية–"، المستقبل العربي، العدد ١٩٢، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت – لبنان، شباط ١٩٩٥، ص ٢٤ – ٢٥.

(٣) أكرم الديري، مصدر سبق ذكره، ص ٢٥.

(٤) الدكتور فاضل زكي محمد، مصدر سبق ذكره، ص ٣٣.

يقول أندريه بوفر: "لا تعد الإستراتيجية مجرد رياضة عقلية تتضمن معنى الغرور أو التحذلق، وإنما تشير إلى أنموذج التغيير، وهو على ملابساته وتعقيده ينبغي أن يقوم بدور المرشد العلمي لإنجاز غايات السياسة بالشكل المطلوب، من أجل تجنب الأخطار الكبيرة؛ إذ يستشهد التاريخ =

وهذا يعني أن مصطلح الإستراتيجية في البداية كان يستخدم لمفهوم عسكري من هذا القبيل، وهو استخدام كل الإمكانيات لأجل الحصول على انتصار عسكري، وحتى يمكن القول بأنه كان أضيق من هذا المعنى أيضًا؛ لأن الإمكانيات كانت محصورة بالإمكانيات العسكرية فقط. بهذا المعنى فإن الإستراتيجية في معناها القديم "هي فن استخدام كل الإمكانيات العسكرية لأجل الحصول على انتصار في الحرب"[١].

إن أقدم الوثائق العسكرية مثل كتاب الإستراتيجي الصيني Zuntzu يدلل على أنه في أي صراع مسلح فإن الإمكانيات غير العسكرية يمكن أن يكون لها دور فاعل؛ لذلك فإن "كلوزويتس" الذي يعد مؤسس فن الإستراتيجية الحديثة يقول في كتابه "حول الحرب": "إن الإستراتيجية علم استخدام كل إمكانيات شعب ما لنيل هدف عسكري". بعد ذلك وسع الإستراتيجيون من حدود دائرة الهدف حتى وصلنا اليوم إلى المفهوم التقليدي لذلك[٢].

أمَّا من حيث عملية صنع القرار، فإن الإستراتيجية تعدُّ "الإطار العام الذي يضبط قواعد سلوك أصحاب القرار للوصول إلى القرار النهائي، وفي هذا المجال ينبغي التمييز بين القرارات الإستراتيجية والقرارات التكتيكية أو الفرعية أو الروتينية. وفيما يخص القرار الإستراتيجي فإنه يعني: "القرار الأساسي الذي يحمل خصائص السياسة العامة للدولة، وليس وجهًا أو خاصية فرعية عنها، كما هو الحال بالنسبة للقرارات الفرعية أو التكتيكية أو الروتينية".

بأمثلة عديدة منها". راجع: أندريه بوفر، مدخل إلى الإستراتيجية، ترجمة هيئة الاستعلامات، العدد: ٦٩٩، القاهرة، ص٨٠.

(١) الدكتور محمد جواد اللاريجاني، مصدر سبق ذكره، ص ٦٦.

(٢) المصدر نفسه، ص ٦٦ – ٦٧.

وعليه نرى أن مصدر هذا القرار يكون من خلال أعلى مصدر قرار في الدولة، كرئيس الدولة أو القائد العام للقوات المسلحة، والقرار موقع القيادة ومسؤوليتها، ومصلحة الشعب والبعد التاريخي للقرار. وفي هذا المجال من الممكن أن نعدّ قراري الاتحاد السوفييتي بغزو أفغانستان سنة ١٩٧٩م وقرار انسحابه سنة ١٩٨٨ بأنهما قراران إستراتيجيان، بسبب تأثيرهما الكبير في المجالات العسكرية والسياسية على مفهوم التوازن بين القوتين العظميين في العلاقات الدولية وقتئذٍ، كما تعد اتفاقيَّتَا سالت الأولى والثانية بين القوتين الأخيرتين في سنة ١٩٧٣ و١٩٧٥ بمثابة قرارات إستراتيجية، بسبب تأثيرهما على العلاقات الدولية في مجال التوازن العسكري والنووي[١].

٤- السياسة الخارجية والعلاقات الدولية:

يعدُّ مصطلح العلاقات الدولية حديثًا من حيث النشأة؛ لأن الدولة القومية هي المصدر الأساس في تنظيمها، وقد دخل هذا المفهوم إلى حيز الواقع العملي في القارة الأوروبية في نهاية القرن الثامن عشر، وشاع في أرجاء العالم كافة من خلال الاستعمار الأوروبي إلى حد كبير، كانت الدولة القومية مرتبطة بحرب الثلاثين سنة التي واجهت في البداية الأقاليم الألمانية البروتستانتية، والنمسا الكاثوليكية والتي شاركت فيما بعد السويد في الشمال وفرنسا في الجنوب والتي أدت إلى قتل ٣٠٪ من السكان في وسط أوروبا؛ إذ دفعت معاهدة وستفاليا –التي تم الوصول إليها في مدينتي مونستر وأوزنابروك في مقاطعة وستفاليا شمال ألمانيا، وحضر مندوبون عن الأقطار الأوروبية كافة، وقد ناقش المؤتمر عددًا من

---

(١) منصف السليمي، مصدر سبق ذكره، ص٩٣-٩٤.

الموضوعات السياسية والأقليات والعلاقات الدبلوماسية بين الدول الأوروبية؛ لإيجاد المبادئ الرئيسة للعلاقات الدولية من خلال نشوء مفهوم السيادة[١].

العلاقات الدولية كحقل أكاديمي قد أسس قرابة أربعين سنة مضت، خلال هذه المدة سادت وجهة نظر جامعات أوروبية وإلى حد ما بين علماء أمريكان، أن هذا الموضوع الخاص يضع كثيرًا من المطالب الثقافية (العقلية) على طلبته إلى حد يتوجب أن يتم التقرب إليه بجدية فقط من قبل طلبة خريجين أحسن تدريبًا وناضجين، وعندئذٍ فإن فكرة العرض العام، أو التقديم الشامل إلى هذا الحقل تستمر لتبدو غير ملائمة لهؤلاء الناس، الأسباب لمثل هذا الموقف قد طرحت في أوقات كثيرة، وهذا يشمل ليس فقط دراسة أكثر إغناءً، ولكن أيضًا التمكن من لغات عديدة. يقال في الغالب: إنه فقط من خلال معرفة اللغة يمكن للشخص أن يفهم أفكار وأحاسيس شعب معين.

ثانيًا: من أجل تطوير رؤى ملائمة يتوجب على المرء أن تكون له خبرة مباشرة في العيش والعمل في الخارج، يعد السفر جوهريًّا[٢].

---

(١) هنري كيسنجر، هل تحتاج أمريكا إلى سياسة خارجية؟ نحو دبلوماسية للقرن الحادي والعشرين، ترجمة عمر الأيوبي، دار الكتاب العربي، بيروت، ٢٠٠٢، ص١٠، والدكتور ريمون حداد، مصدر سبق ذكره، ص ٥٧.
من نتائج معاهدة وستفاليا (١٦٤٨) تقسيم ألمانيا إلى ٣٥٠ دولة صغيرة والاعتراف بالكانتونات السويسرية والمقاطعات الهولندية، كما أصبح التمثيل الدبلوماسي وتبادل السفراء شيئًا ثابتًا في العلاقات الدولية، ومن نتائجها أيضًا انبثاق القانون الدولي العام وظهور مبدأ التوازن الدولي.
راجع: د. محمد محمد صالح، تاريخ أوروبا من عصر النهضة وحتى الثورة الفرنسية ١٥٠٠-١٧٨٩، مطبعة دار الجاحظ للطباعة والنشر، بغداد، ١٩٨٢، ص٣٠١-٣٠٦ ود. ريمون حداد، مصدر سبق ذكره، ص ٥٨.

(٢) للمزيد من التفاصيل راجع: فيليب برايار ومحمد رضا جليلي، مصدر سبق ذكره، ص ٥ – ٩.

أخيرًا من المعتقد أن معرفة وافية يمكن الحصول عليها فقط في مناطق ذات ظروف معينة بوساطة البحث الدقيق والحثيث لعدة موضوعات، مثل الإدارة الكولونيالية في إندونيسيا تحت الهولنديين، أو دبلوماسية المعاهدة النازية السوفييتية في عام ١٩٣٩[١].

من بين كل التقدم الذي حصل في دراسة الظواهر الدولية ربما لا يوجد أكثر أهمية من النزعة المتنامية جدًّا إلى اعتبار العالم كنظام دولي لسنوات كثيرة، وأشار العلماء إلى "أسرة الأمم" "المجتمع الدولي" أو المجموعة "الجماعية الدولية"، مثل هذه التنصيصات –الصيغ النصية– قد استخدمت بشكل سائب وبشكل متداخل متغير وبصورة حدسية –بالمقارنة العقلية– وبشكل اعتيادي، فإنها لم تمثل جهودًا جدية للتنظير "لوضع مفهومات" تنظيم العلاقات الدولية ضمن خطوط عائلية "أسرية" أو اجتماعية أو جماعاتية[٢].

وهذا يعني أن دراسة العلاقات الدولية تعدّ حديثة عندما نقارن ذلك بدراسة العلوم التي تولي اهتمامًا بدراسة الظواهر الدولية مثل العلوم السياسية والتاريخ الدبلوماسي والقانون الدولي العام، ولكن هذا لا يعني أن العصور القديمة والوسطى لم تكن لتعرف مفهوم العلاقات الدولية؛ إذ إنها وجدت في تلك الحقب وتطورت بموجب حاجات ومصالح الشعوب[٣].

---

(1) Rosenan, James (Ed.), International Politics and Foreign Policy areader in Research and theory, Op.Cit., P.3.

(2) Ibid., P.71.

(٣) العبدلي، مصدر سبق ذكره، ص ١٢.

إن دارسة العلاقات الدولية كقاعدة أساسية كانت قديمة، حيث ترجع جذورها إلى تحليل =

سعت دراسات العلاقات الدولية في بداياتها إلى محاولة تحديد طبيعة ومجال هذه العلاقات، لاسيما في نطاق الدراسات الجامعية، وهو ما يتضح من إشارة ألفريد زيمرن الذي كان أستاذًا للعلاقات الدولية عام ١٩٣٥ في جامعة أكسفورد، حيث يقول: "إن دراسة العلاقات الدولية تمتد من العلوم الطبيعية من جهة إلى الفلسفة الأخلاقية من جهة ثانية". وعرف هذا الحقل من الدراسة لا على أساس أنه موضوع أو نسق واحد، ولكن على أساس أنه "مجموعة من الموضوعات ينظر إليها من زاوية مشتركة"[١].

والحق، أن العلاقات الدولية تدع جانبًا الوحدات النوعية، وبعبارة أكثر دقة إنها لا تنظر إلى البيئة الداخلية؛ لأنها تسير على خط الفلك الكلي، أو مدار الكون

=

الحروب التي نشبت بين المدن اليونانية القديمة، والعلاقات التي كانت قائمة بين الدول الإيطالية ودافعي الجزية من الدول التي ارتبطت بالإمبراطورية الصينية. إن دراسة العلاقات الدولية بدأت في وقت مبكر من القرن العشرين كدبلوماسية المصلحة التاريخية وخاصة الحقوقيين الدوليين. عندما تأسست كليات علم السياسة في الولايات المتحدة عام ١٨٨٠ خصصت هذه الكليات لتدريس مادة العلاقات الدولية عند حلول الحرب العالمية الأولى (١٩١٤–١٩١٨) وعند إنشاء عصبة الأمم (١٩١٩–١٩٣٩)، هذه الحوادث برمتها ضاعفت الاهتمام بالشئون الدولية عند الدول الناطقة بالإنجليزية. والحق، أن الحرب العالمية الأولى أدت إلى تورط الجيش الأمريكي في أوروبا ولأول مرة وفي عصبة الأمم، والانحراف الواضح من ممارساتها التاريخية. وفي خضم هذه التطورات كانت هناك رغبة من منع نشوب الحرب في المستقبل، والتي أصبحت الاتجاه المبدئي في حقل العلاقات الدولية. راجع :

Conway W. Henderson, International Relations, Conflict and Cooperation at the Turn of the 21st Century, A division of The McGraw-Hill-Companies, 1997 p.21.

(١) جيمس دورتي – روبرت بالتسغراف، النظريات المتضاربة في العلاقات الدولية، ترجمة الدكتور وليد عبد الحي، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت – لبنان، ١٩٨٥، ص ١٢.

العالمي، وتجعل من مختلف صور تنظيم العلاقات بين الوحدات الدولية موضوعًا لدراستها.

فالبعض يرى أن العلاقات الدولية تعني العلاقات الدبلوماسية – الإستراتيجية للدول، وأن التركيز الذي يميز "العلاقات الدولية" هو بالنسبة لقضايا الحرب والسلم والصراع والتعاون. ويرى آخرون أن العلاقات الدولية هي العمليات التي تجري عبر الحدود في جميع الأنواع السياسية والاقتصادية والاجتماعية، وأن العلاقات الدولية قد تدرس المفاوضات التجارية أو عمل المؤسسات من غير الدول مثل منظمة العفو الدولية، مثلما تدرس محادثات السلام التقليدية أو أعمال الأمم المتحدة. والبعض يركز على المجتمع العالمي والعولمة، ويدرس على سبيل المثال الاتصالات العالمية والنقل والأنظمة المالية، وكذلك شركات الأعمال العالمية(١).

تكمن المشكلة الرئيسة في أن "العلاقات الدولية" ليس لها وجود أساسي في العالم الحقيقي من النوع الذي يمكن أن يحدد معرفة من المعارف الأكاديمية. ويوجد بدلا من ذلك تفاعل متواصل بين "العالم الحقيقي" وعالم المعرفة، وهذا الأخير يتشكل بالطبع من الأول(٢).

فلا يوجد في العلاقات الدولية مركز رسمي يتمتع بسلطة صنع القرار مثلما هو الحال، من حيث المبدأ على الأقل، ضمن الدولة، وهذا هو السبب الذي يتم من أجله التأكيد تقليديا على الدبلوماسية والإستراتيجية، مع أن عبارة "السياسة الدولية" تستعمل غالبا بشكل فضفاض في هذا السياق، فالعلاقات الدولية ليست

---

(١) كريس براون، مصدر سبق ذكره، ص ٢.

(٢) المصدر نفسه، ص ٢.

سياسية في واقع الأمر، وذلك لأن السياسة، حسب الوصف التقليدي، تتصل بالسلطة والحكومة، ولا توجد سلطة دولية بالمعنى الاصطلاحي للكلمة، فبدلًا من السعي للتأثير على الحكومة في أن تتصرف نيابة عن المساهمين في العلاقات الدولية فإنهم مضطرون إلى رعاية مصالحهم الخاصة ومتابعتها من خلال استخدام مواردهم الخاصة[١].

كانت التوليفة الواقعية لما بعد الحرب تقوم على أساس الافتراض بأن الدولة هي الفاعل الأساس في العلاقات الدولية (بل الفاعل الوحيد في ذلك المجال)، وأن العلاقات الدبلوماسية – الإستراتيجية بين الدول هي لب العلاقات الدولية الفعلية[٢].

أمَّا فيما يخص مصطلح العلاقات الدولية فإن هناك تعاريف متعددة، حيث نرى أن نيكولاس سبيكمان من بين أوائل الباحثين الذين حاولوا تقديم تعريف لهذا الحقل من الدراسة الذي أطلق عليه مصطلح "العلاقات بين الدول"، وعَرَّف سبيكمان العلاقات الدولية بأنها "العلاقات بين أفراد ينتمون لدول مختلفة، والسلوك الدولي هو السلوك الاجتماعي لأشخاص أو مجموعات تستهدف أو تتأثر بوجود أو سلوك أفراد أو جماعات ينتمون إلى دولة أخرى"[٣]. وفي هذا المعنى يعرف C.A.Mcclelland "إن العلاقات الدولية تدرس العلاقات المتفاعلة في تركيب معين في الوحدات الاجتماعية، وبضمنها دراسة الظروف المعينة المحيطة بالعلاقات المتفاعلة"[٤].

---

(١) كريس براون، مصدر سبق ذكره، ص ٥.

(٢) المصدر نفسه، ص ٤٧.

(٣) المصدر نفسه، ص ١٢.

(٤) الدكتور كاظم هاشم نعمة، العلاقات الدولية، الجزء الأول، مصدر سبق ذكره، ص٥-٦.

ويرى ماكيلان أن الوحدات هي الممثل Actor أو المتفاعل، ثم هناك ظاهرة التفاعل بين المتفاعلين أو المحتلين[١].

أمَّا كابلان فإنه يُعَرِّف العلاقات الدولية بأنها "حقل من حقول الموضة، يتمتع بها بخصوصيته واستقلاليته، وهو حقل يتضمن علاقات متبادلة تجري ما بين الدولة أو الدول عبر الحدود"[٢].

والحق أن هذا التعريف قاصر؛ لأن العلاقات الدولية اليوم لا تقوم فقط بين الدول كشخص وحيد في القانون الدولي العام، بل توجد أيضًا المنظمات الدولية المعترف لها بالشخصية القانونية الدولية[٣].

ويُعَرف أرينولدز العلاقات الدولية بأنها "تُعْنَى بطبيعة وتعريف وآثار العلاقات بين أفراد أو جماعات يعملون في مسرح ذي خصوصية تسوده الفوضى، وكذلك تُعْنى بطبيعة التفاعلات المتبادلة بينها والعوامل المتغيرة أو المؤثرة فيها[٤].

ويرى كريس براون أن "العلاقات الدولية هي دراسة علاقات الدول، وأن تلك العلاقات تفهم بالدرجة الأولى من منطلقات دبلوماسية وعسكرية وإستراتيجية، وهذه بالتأكيد هي الطريقة التي عرف بها الموضوع الدبلوماسيون والمؤرخون ومعظم العلماء المهتمين بدراسة العلاقات الدولية، فالوحدة ذات الصلة بالموضوع هي الدولة وليست الأمة"[٥].

---

(١) المصدر نفسه، ص ٦.

(٢) المصدر نفسه، ص ٦.

(٣) العبدلي، مصدر سبق ذكره، ص ٤١.

(٤) الدكتور كاظم هاشم نعمة، العلاقات الدولية، الجزء الأول، ص٦.

(٥) كريس براون، مصدر سبق ذكره، ص ٤ – ٥.

أما الدكتور محمد طه بدوي فيعرف العلاقات الدولية بأنها: "علاقات بين وحدات بشرية، وهي تنمي الدراسات السياسية بالذات، ذلك لأن الوحدات البشرية أطراف العلاقات الدولية هي وحدات سياسية والتي هي في عالمنا الحديث "الدول القومية"[١].

ويُعَرِّف هولستي العلاقات الدولية قائلًا: "هي جمع أشكال التفاعل بين الأعضاء للمجتمعات المستقلة سواء أكانت حكومية أو غير حكومية"[٢].

ويقدم لنا الدكتور عبد المجيد العبدلي تعريفًا لها: "كل علاقة تتعدى من حيث آثارها الحدود الإقليمية لأية دولة من الدول، سواء كان أطرافها دولًا أو منظمات دولية، ومهما كانت طبيعتها: سياسية أو اقتصادية أو ثقافية أو عسكرية"[٣].

إن العلاقات الدولية تتضمن تحليل السياسة الخارجية أو العمليات السياسية بين المجتمعات المختلفة، وفي هذا المجال نرى أن العلاقات الدولية تتضمن دراسات لنقابات العمال الدولية، والصليب الأحمر الدولي والسياحة والتجارة الدولية والنقل الدولي والاتصالات الدولية وتطور القيم والعرف الدولي[٤].

---

(١) الدكتور محمد طه بدوي، مدخل إلى علم العلاقات الدولية، مصدر سبق ذكره، ص ١٧.

(2) K.J. Holesti, International Politics A framework for Analysis, third Edition, New Delhi, 1978, P.21.

(٣) العبدلي، مصدر سبق ذكره، ص ٤٢، قارن مع الدكتور سعد حقي توفيق، مصدر سبق ذكره، ص١٤.

(4) K.J.Holesti, op.Cit., P.21.

وعليه، نرى أن دراسة العلاقات الدولية ترتبط بتفسير العلاقات بين الجماعات السياسية المنظمة في إطار إقليم ما، ونقصد بذلك العلاقات بين الدول، مع الأخذ بنظر الاعتبار العلاقات القائمة بين الشعوب وبين الأشخاص الذين يؤلفون هذه الشعوب، كتبادل المنتجات والخدمات وتداول الأفكار ومجموعة المؤثرات المتقابلة بين أشكال المدنية ومظاهر العطف أو النفور، إن هذه العلاقات من النادر جدًّا فصلها عن العلاقات القائمة بين الدول، إلا أن الحكومات في أغلب الأحيان تتدخل في هذه العلاقات من خلال وضعها لبعض القيود إزاء ذلك، على مستوى حركة البضائع والرساميل أو حركات الهجرة أو حتى في مستوى الأفكار. وهذا يعني أن العلاقات الدولية عندما تخضع للتنظيم من قبل الدول تصبح عامل مساومات أو مجادلات بين الحكومات، ونتيجة لذلك فإن فعل الدول يصبح هو الكائن في صميم العلاقات الدوليـة[١].

وهذا يعني أن العلاقات الدولية في الوقت الحاضر لها جوانب مختلفة سواء أكانت سياسية أو اقتصادية أو اجتماعية أو ثقافية، وبعض هذه الجوانب لها علاقة بالوحدات السياسية (الدول)؛ إذ تعد علاقات سياسية، في حين يقع البعض الآخر منها على مستوى العلاقات الخاصة، وذلك بعدم ظهور الدول كطرف مباشر في التعامل[٢].

---

(١) بيير ودوروزيل رينوفان، جان باتيست، مدخل إلى تاريخ العلاقات الدولية، ط٢، ترجمة فايزكم نقش، منشورات عويدات، بيروت – باريس، ١٩٨٢، ص٧.

(٢) الدكتور محمد طه بدوي، مدخل إلى علم العلاقات الدولية، مصدر سبق ذكره، ص ٢١.

٥- السياسة الخارجية والدبلوماسية:

هناك ثمة اختلاف في مفهومي السياسة الخارجية والدبلوماسية؛ إذ "إن السياسة الخارجية لدولة ما هي تدبير نشاط الدولة في علاقاتها مع الدول الأخرى، أو المنهج الذي تسير بمقتضاه الدولة في علاقاتها في الشئون السياسية والتجارية والاقتصادية والمالية مع الدول الأخرى[١].

ينبغي أن نميز بين ثلاثة معان مختلفة لمصطلح الدبلوماسية[٢]:

١- إدارة العلاقات بين الدول وغيرها من الكيانات ذات المكانة البارزة على صعيد السياسة العالمية من قبل وكلاء رسميين وبوسائل سلمية. وهذا أوسع معاني هذا المصطلح، وهو ما نقصده هنا.

٢- مثل هذه الإدارة من قبل دبلوماسيين محترفين. وهذا على سبيل المثال جزء من التعريف الوارد في معجم أوكسفورد للغة الإنجليزية الذي استعمله السير هارولد نيكولسون: "الدبلوماسية هي إدارة العلاقات الدولية بالتفاوض، الأسلوب الذي تعدل به هذه العلاقات على يد السفراء والمبعوثين، عمل الدبلوماسي المحترف أو الفن الذي يؤدي به هذا العمل". وهذا التعريف يقلص معنى الكلمة دون موجب في زمن انكمش فيه إلى حد كبير دور السفراء والمبعوثين في إدارة شئون العلاقات الدولية.

---

(١) الدكتور عز الدين فودة، النظم الدبلوماسية، مكتبة الآداب، القاهرة، ١٩٨٩، ص٦٣.

(٢) هيدلي بول، المجتمع الفوضوي دراسة النظام في السياسة العالمية، ط ٣، مركز الخليج للأبحاث، دبي، الإمارات العربية المتحدة، ٢٠٠٦، ص ٢٤١ – ٢٤٢، ٢٦٣.

من الممكن إجراء التفاوض للتوصل إلى اتفاقات بين الدول من دون وساطة الدبلوماسيين المهنيين، بل إنه يتم بالفعل دون تلك الوساطة. ومن المعروف أنه يتم تجاوز الدور الذي كان للسفير المقيم –مثلًا- بعقد اللقاءات المباشرة بين القادة السياسيين للدول، كالخبراء الفنيين الذين يتفاوضون للتوصل إلى اتفاقات خاصة بموضوع تقني، غير أنه من الخطأ أن نخلص إلى أن دور الدبلوماسيين المهنيين في التفاوض من أجل التوصل إلى اتفاقات لم يعد مع ذلك دورًا حيويًّا؛ فإبرام الاتفاقات من قبل رؤساء الدول أو وزراء الخارجية يكون في الأغلب مجرد تتويج لعملية طويلة من التقصي والتحري والاختبار فيما يخص المقترحات المطروحة، فضلًا عن عملية التفاوض الأولي التي يقوم بها الدبلوماسيون المهنيون، زد على ذلك أن مهنة الدبلوماسيين تعد مخزنًا حافلًا بالمهارات والأساليب المتخصصة في مجال التفاوض.

٣- مثل هذه الإدارة للعلاقات بين الدول بأسلوب "دبلوماسي" بالمعنى اليومي للمصطلح، أي بأسلوب لبق أو حذر، ومن الأمثلة على هذا التعريف الجزء الأول من التعريف الشهير الذي أورده سير إرنيست ساتو: "الدبلوماسية هي ممارسة الذكاء واللباقة في إدارة العلاقات بين حكومات الدول المستقلة، وتمتد أحيانًا لتشمل أيضًا علاقاتها بالدول التابعة، أو باختصار أشد، إدارة الأعمال بين الدول بالوسائل السلمية". وهذا من الطبيعي تعريف يمثل ما يعتقد ساتو كيف يجب أن تكون الدبلوماسية لا ما هي عليه بالفعل، فمحترفو الدبلوماسية قد لا يكونون أذكياء ولبقين، لكن هذا لا يحول دون أن يظلوا دبلوماسيين محترفين.

تندرج الوظائف التي أدت إليها الدبلوماسية بالنسبة إلى إقرار النظام ضمن نظام الدول الحديث فيما يلي[(١)]:

أولًا: الدبلوماسية تُيَسِّر سبل التواصل بين القادة السياسيين وبين الوحدات الأخرى في مجال السياسة الدولية، فمن دون هذا التواصل لا يمكن أن يقوم مجتمع دولي ولا أي نظام دولي على الإطلاق، وبهذا تكون الوظيفة الأولى والأساسية للدبلوماسيين هي أن يكونوا رسلًا، وكشرط لأداء مهمتهم بشكل فاعل يبرز الميثاق أو المؤسسة الدبلوماسية الأولى والأساسية، بل ربما كانت الوحيدة الشائعة في المجتمعات الدولية التاريخية جميعًا، ألا وهي حصانة المبعوث من أن يقتل أو أن تقيد حركته من قبل الدولة المضيفة.

والوظيفة الثانية للدبلوماسية هي التفاوض للتوصل إلى اتفاقات. والعلاقات الدولية يمكن أن تقوم من دون التفاوض بغية إبرام الاتفاقات، لكنها في هذه الحال ستكون مركزة على مواجهات عدائية عابرة بين مجتمع سياسي وآخر، ولا يمكن التوصل إلى اتفاقات إلا إذا تراكبت مصالح الأطراف المعنية في نقطة ما -مع أنه ربما تكون مختلفة- وإلا إذا كانت هذه الأطراف قادرة على إدراك ذلك التراكب. وفن الدبلوماسي هو قدرته على تحديد ساحة ذلك التراكب في المصالح، وعلى جعل الأطراف المعنية، من خلال المنطق والإقناع، تعي وجوده وطبيعته. ولهذا يقترن المدى الذي تستطيع الدبلوماسية أن تصل إليه في القيام بأي دور في النظام الدولي أو أداء أية وظيفة فيه، بالمدى الذي يمكن أن تصل إليه الدول في تصورها للسياسة الخارجية على أنها السعي العقلاني إلى تحقيق مصالح الدولة التي تتراكب -على الأقل في بعض النقاط من حيث المبدأ- مع

(١) هيدلي بول، مصدر سبق ذكره، ص ٢٥١ – ٢٥٣.

مصالح الدول الأخرى، وليس بوسع الدبلوماسية أن تقوم بأي دور تعد فيه السياسة الخارجية أداة لفرض ادعاء (وحدة أو مجموعة وحدات) بالسلطة الشاملة، أو لتعزيز الدين الحق في مواجهة الزنادقة، أو السعي إلى تحقيق المصالح الذاتية الأنانية التي لا تعير مصالح الآخرين أي اهتمام.

وهناك وظيفة ثالثة للدبلوماسية هي جمع معلومات أو أسرار استخبارية عن دول أجنبية، ويتعين أن تستند السياسات الخارجية لكل دولة إلى معلومات عن التطورات التي تجري في العالم الخارجي، وفي حين تسعى كل دولة إلى حرمان الدول الأخرى من الحصول على معلومات محددة عنها، فهي ترغب في الوقت ذاته في إفشاء معلومات مدروسة عن نفسها، وهكذا نجد في عصرنا الحاضر مثيلًا للتقليد البيزنطي الذي كان يقضي في حقبة من التاريخ أن تُعَصَّبَ عيون المبعوثين الأجانب أثناء رحلتهم إلى عاصمة بيزنطة، حيث كانوا يحتجزون في القلاع لكي لا يتمكنوا من الاطلاع على أي شيء، لكن البيزنطيين كانوا أيضًا يعمدون إلى إبهار أولئك المبعوثين بعروض تظهر أمامهم الجبروت العسكري للإمبراطورية، حيث تسعى الدول الكبرى في عالمنا المعاصر إلى حجب معلومات عن خصومها تتعلق بقدراتها العسكرية، لكنها في الوقت نفسه ترغب في إبهار الأعداء بتمرير معلومات منتقاة لهم عن قدراتها العسكرية كسبيل من سبل الردع، وقد كان للدبلوماسيين دومًا دور مهم في جمع معلومات سرية، ولا تتجلى المصالح المتبادلة للوحدات في السماح للوحدات الأخرى بالحصول على معلومات منتقاة عنها بشكل أوضح مما تتجلى في منصب الملحق العسكري الذي بدأ يتخذ شكله الرسمي في بداية القرن التاسع عشر، وقد كان تطور فكرة السياسة الدولية أواخر القرن السابع عشر وأوائل القرن الثامن عشر بوصفها مجالًا وحيدًا للقوى، ولاسيما فكرة توازن القوى كمركز اهتمام دائم لرجال

الدولة، ينطوي على تدفق متواصل للمعلومات عن الأحداث الجارية في جميع الدول، وتلك هي الدبلوماسية المستمرة والشاملة التي يبرزها كالليير بهذا القدر من الأهمية.

أما الوظيفة الرابعة للدبلوماسية فإنها تتمثل في التقليل إلى الحد الأدنى من آثار الخلافات الناجمة عن الاحتكاك في العلاقات الدولية، والاحتكاك هو فرك أو حك أشياء متقاربة، ونظرا لتجاوز مجتمعات سياسية مختلفة لكل منها قيمه ومواقفه المتحيزة؛ فإن هناك على الدوام خلافات في العلاقات الدولية الناجمة عن احتكاك تلك المجتمعات حتى بين الدول والأمم التي تترابط في رقعة واسعة من المصالح المشتركة، والتي تكون علاقاتها وثيقة وودية، ومثل هذا الاحتكاك مصدر دائم للتوتر والخلاف الدوليين اللذين يمكن ألا تكون لهما علاقة بالمصالح الحقيقية للأطراف المعنية.

ويعد التقليل إلى الحد الأدنى من آثار ذلك الاحتكاك واحتواء هذه الآثار، حيث تطرأ من الوظائف الرئيسة للدبلوماسية، وهذه الوظيفة هي التي أطلقت تعريف ساتو للدبلوماسية بوصفها "استخدام الذكاء والبراعة"، وهي التي تفسر استخدامنا لكلمة "دبلوماسي" لوصف معالجة الأوضاع الإنسانية في إطار الحياة اليومية بطريقة بارعة أو لبقة.

ويجب ألا ينحصر معنى الدبلوماسية في العلاقات الرسمية بين الدول، بل ينبغي أن نتوسع فيه ليشمل أيضًا كيانات سياسية أخرى ذات مكانة بارزة على صعيد السياسة الدولية، وربما جاز لنا أن نعد وكلاء الأمم المتحدة ومنظمات دولية عامة أخرى كمنظمة العمل الدولية، أو وكلاء المنظمات الإقليمية الدولية، أشخاصًا يعملون في الحقل الدبلوماسي.

وتقوم الجماعات التي لا تعد دولًا على نطاق واسع، كالجماعات -على سبيل المثال- التي تكرس جهودها لأنشطة التحرير الوطني ولكنها تتمتع بمكانة بارزة على صعيد السياسة الدولية، بتعيين وكلاء لها أحيانًا وتخولهم سلطة الدخول في مفاوضات مع دول ومع جماعات مماثلة.

ويقر التعريف الذي أورده ساتو بإمكان ممارسة الدول التابعة المهام الدبلوماسية، ويتضح لنا تاريخيًّا أن الدبلوماسية كانت سائدة في الماضي بين الدول الأوروبية وعدد كبير من الوحدات الدولية التي لم يكن الأوروبيون يعدونها دولًا[١].

ولقد تمركز صلب الدبلوماسية التقليدية في العلاقات الرسمية بين الدول ذات السيادة، ولا تزال مصدر قلق كبير تحيط بمسألة تطبيق قواعد وإجراءات تطورت مع الزمن في مجال دبلوماسية ما بين الدول، وذلك في مجال العلاقات الدبلوماسية بين وحدات ليست دولًا ذات سيادة، وهو مصدر قلق انعكس في القرار الذي اتخذه "مؤتمر فيينا الخاص بالعلاقات والحصانة الدبلوماسية" المنعقد في عام ١٩٦١ بهدف تنظيم قواعد الممارسة الدبلوماسية، وقد حصر ذلك القرار نطاق اهتمام الممارسة الدبلوماسية في الدبلوماسية التقليدية ما بين الدول مفضلًا تجاوز المعضلات التي يمكن أن تنشأ عن الخوض في شئون العلاقات الدبلوماسية للمنظمات الدولية، ومع هذا فمن الواضح أن وحدات ليست دولًا تتمتع بمكانة بارزة كعناصر فاعلة في مجال السياسة الدولية، وهي تمارس الدبلوماسية في علاقاتها وفيما بينها[٢].

---

(١) هيدلي بول، مصدر سبق ذكره، ص ٢٤٣.

(٢) هيدلي بول، مصدر سبق ذكره، ص ٢٤٣.

بينما نرى أن الدبلوماسية هي أداة تنفيذ السياسة الخارجية، فالدبلوماسي هو الذي يقوم بتنفيذ الخطة التي يرسمها رجل السياسة في الدولة في أوقات السلم، إلا أن هذا لا يعني أن الدبلوماسية في تنفيذها للسياسة الخارجية لا تلجأ إلى نوع من الصراع السياسي أو آثاره.

إن ما يطلق عليه بعض الكتاب "الدبلوماسية السرية" التي تعني قيام الدبلوماسي بإفساد علاقة الدولة المعتمد لديها الدبلوماسي بدولة أخرى، وفي حالة إخفاق تلك الأساليب السرية من الممكن للدولة أن تلجأ إلى استخدام الأدوات القتالية لتحقيق أهدافها في السياسة الخارجية، وفي هذا المجال يقول ميكافيللي في كتابه الأمير: "إنه لا بد أن يسمع زئير الأسد (الحرب) بين الحين والحين كلما أخفق الثعلب (الدبلوماسية) في قطف عنقود العنب"[١].

ويتضح مما تقدم أن السياسة الخارجية تمثل الجانب التشريعي في الدولة، في حين تدخل الدبلوماسية في إطار التنفيذ، بينما يجب أن تكون السياسة الخارجية في الأنظمة الديمقراطية من الأمور التي يقررها رئيس الوزراء بموجب طبيعة الأنظمة السياسية" بعد موافقة المجالس الانتخابية منها، نرى أن تنفيذ

---

(١) المصدر نفسه، ص ٦٥ .

يقول ميكافيللي في كتابه الأمير: "وعلى الأمير الذي يجد نفسه مرغمًا على تعلم طريقة عمل الحيوان أن يقلد الثعلب والأسد معًا؛ إذ إن الأسد لا يستطيع حماية نفسه من الأشراك، والثعلب لا يتمكن من الدفاع عن نفسه أمام الذئاب، ولذا يتحتم عليه أن يكون ثعلبًا ليميز الفخاخ، وأسدًا ليرهب الذئاب". راجع: ميكافيللي، الأمير الكتاب المشهور عن السياسة والسلطان، ط٢، تعريب خيري حماد، المكتب التجاري للطباعة والتوزيع والنشر، بيروت، ١٩٦٧، ص١٢٤. وحول مفهوم الغاية تبرر الوسيلة عند ميكافيللي. راجع: مطارحات ميكافيللي، تعريب خيري حماد، منشورات المكتب التجاري للطباعة والتوزيع والنشر، بيروت، ١٩٦٢، ص١٤١-١٥١.

هذه السياسة التي توصف بالدبلوماسية هو من اختصاص أصحاب الخبرة وأهل الحكمة في وزارة الخارجية[١].

ومن مظاهر اختلاف السياسة الخارجية عن الدبلوماسية أن الأولى يجب ألا تكون سرية، على اعتبار أن الرأي العام المحلي لا يمكن الارتباط معه بمعاهدة أو اتفاقية ما لم تكن معروفة عندهم، أو يوافقوا عليها سلفًا، أمَّا الثانية فإنها تتصف بالسرية[٢]، وعلى الرغم من أن الدبلوماسية استخدمت الدعاية من خطابة أو إذاعة أو صحافة للتـأثير على الرأي العام، إلا أنها بقيت في سريتها بغية الوصول إلى تحقيق أهدافها[٣].

يميز J.R.Childs بين السياسة الخارجية والدبلوماسية؛ إذ تعد السياسة الخارجية للدولة جوهرًا أساسيًّا لعلاقاتها الخارجية، بينما الدبلوماسية هي المكان المناسب الحقيقي للعمليات، حيث تقوم على تنفيذ هذه السياسة[٤].

وعلى هذا الأساس، فإن السياسة الخارجية يتم اتخاذ القرار فيها بوساطة أشخاص وهيئات في أعلى المستويات، أمَّا الدبلوماسية فإنها تزود جهاز اتخاذ القرار بالمعلومات اللازمة[٥].

---

(١) هارولد نيكلسون، الدبلوماسية، ترجمة محمد مختار الزقزوقي، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ١٩٥٧، ص٤٣.

(٢) شارل، الدبلوماسية، ترجمة خيري حماد، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، ١٩٦٠، ص٩.

(٣) الدكتور عز الدين فودة، مصدر سبق ذكره، ص ٦٤-٦٦.

(4)Perkins Palmer, International Relations: The World Community in Transition, Second Edition, U.S.A, 1957, P.97.

(5) Ibid.,

أما تونكين الكاتب الروسي فإنه يُعَرف الدبلوماسية بأنها النشاط (بما في ذلك مضمون وإجراءات وأساليب هذا النشاط الذي تمارسه أجهزة الدولة العامة أو الخاصة القائمة على العلاقات الخارجية) الذي يمارسه رؤساء الدول، والحكومات، وإدارة الشئون الخارجية، والوفود والبعثات الخاصة، والممثليات الدبلوماسية، ويحقق بوسائل سلمية أهداف وشئون السياسة الخارجية للدولة[1].

يقول نيكولسون في الدراسة التي قدمها إلى مؤتمر فيينا: "من الناحية التاريخية تنتهي الدبلوماسية حيث تبدأ السياسة الخارجية، إن كليهما يتعلقان بتوافق القومية مع المصالح الدولية، تستند السياسة الخارجية على المفهوم العام للمتطلبات القومية، إن الدبلوماسية تبحث عن طريق استخدام السبب التوفيقي، وتبادل المصالح لمنع الصراعات الكبيرة من النشوء بين الدول ذات

---

(١) ج. أ. تونكين، القانون الدولي العام، ترجمة أحمد رضا، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٧٢، ص ٢١٠.

جاء في برنامج الحزب الشيوعي السوفييتي: (كانت الدبلوماسية ولم تزل، بالنسبة للدول الإمبريالية أداة لفرض إرادتها على سائر الشعوب، وسلاحًا لإعداد الحروب). إلا أن الفقه السوفييتي قد غير من هذا المفهوم كثيرًا، وذلك لتطور أدوات السياسة الخارجية، وكانت الدبلوماسية من أكثر أدوات السياسة الخارجية أهمية في معالجة وتسوية قضايا الشئون الخارجية. وهنا يرى تونكين أن مجالات العلاقات بين الدول اتسعت اتساعًا كبيرًا بالنسبة إلى ما كانت عليه في القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين، وأصبحت تضم مجالات جديدة، كالتعاون العلمي والفني، والمشاركة في ميدان الصناعة، والتأمين الاجتماعي، والاتفاقيات الثقافية وغيرها، فبينما كانت مجالات السياسة الخارجية والدبلوماسية كافية بذاتها في وقت السلم، فقد أصبحت السياسة الخارجية تتضمن اليوم الكثير من المسائل التي تتجاوز نطاق الدبلوماسية. راجع: المصدر نفسه، ص٢١٢، ٢١٤ و:

Grigory Tunkin, Contemporary International Law, Progress Publishers, Moscow, 1996,P. 190..

السيادة، وهي هيئة عن طريق بحث السياسة الخارجية لتحقيق أغراضها عن طريق الاتفاق أكثر من اللجوء إلى الحرب.

وهكذا عندما يكون الاتفاق متعذرًا عن طريق الدبلوماسية التي تعدُّ أداة السلم وغير فعالة وقتئذٍ، فإن السياسة الخارجية هي الرادع الأخير؛ إذ إنها تستخدم الحرب التي تعدُّ وحدها أدلة فعالة للوصول إلى أهداف الدولة"[١].

ويؤكد نيكلسون في هذا المجال أن الدبلوماسية تتوقف عن وظائفها عندما تنشأ أزمات قومية دولية كبيرة ولاسيما في أوقات الحرب، إذا بالإمكان القول بأن أهداف الدبلوماسية كالسياسة الخارجية هي حماية الأمن القومي ولكن بوسائل سلمية، وهذا يعني أن الدبلوماسية لا تعطي أية مساعدة أو عون للفعاليات العسكرية بغية منع نشوب الحرب، وفي الحقيقة إن الدبلوماسية لا تتوقف عن أداء وظائفها كما يقترح نيكلسون في وقت الحرب، على الرغم من الأنشطة الضرورية للدور المختلف للدبلوماسية في زمن الحرب، إن عمل الدبلوماسية كوزراء الخارجية من الممكن أن يتوسع في هذه المدة بالذات[٢].

ولا بد أن نميز في هذا المجال مصطلح السياسة الخارجية من الدبلوماسية والعلاقات الدولية والسياسة الدولية، والحق أن هناك اتفاقًا قليلًا حول الفروق بين هذه المصطلحات[٣]. إن هذه المصطلحات تتركز حول وصف المصالح والأعمال وعناصر القوة للقوى الكبرى[٤].

(1) Ibid.,

(2) Ibid.,

(3) K.J.Holesti, Op.Cit.,PP.20-21.

(4) Frankel, Joesph, International Relations, Second Edition, Oxford University Press, 1969, P.96.

إن مصطلح الدبلوماسية من أكثر المصطلحات امتزاجًا وعلاقة بالسياسة الخارجية؛ إذ كثيرًا ما تُستخدم الدبلوماسية بمعنى واسع تتضمن صنع وتنفيذ السياسة الخارجية، أمَّا معناها الفني كما في تعريف جورج كينان فهو: "عملية الاتصال بين الحكومات"(١).

فالدبلوماسية في الكلام العام تعني دراسة الوثائق؛ إذ إنها مشتقة من الكلمة الإغريقية Diploma التي تعني أنها مطوية بشكل معين(٢). إلى جانب ذلك فإن الدبلوماسية تعني دراسة الوثائق القانونية والإدارية والمهمة، كما أنها تتضمن دراسة السجلات والمفكرات والمخطوطات(٣).

أمَّا Quincy Wright، فإنه يُعَرف الدبلوماسية بأنها تعني استخدام التكنيك في أية مفاوضة أو في محضر جلسة، وبصورة عامة فإنها تستخدم في العلاقات الدولية بأنها تعني فن المفاوضة لتحقيق الحد الأدنى لأهداف الجماعات مع الحد الأدنى من الكلفـة(٤).

وفي هذا المجال يشبه Quincy Wright الدبلوماسية بالحرب، إلا أنها تختلف عنها بسبب استخدام الكلمات في الدبلوماسية أكثر من الأسلحة المادية(٥).

---

(1) Ibid.

(2) The new Encyclopedia Britannia in 3 ovolum. vol.5, 1974, P.807.

(3) Ibid.

(4) Wirght, Quincy, The Study of International Relations, New York Appleton –crofis, Inc, P.158.

(5) Ibid.

وأكثر من ذلك فإن الدبلوماسية تستخدم أفضل الظروف الملائمة للحرب وتحقيق الحد الأدنى للمنافع منها[١]. أمَّا جوزيف فرانكل فيعرف الدبلوماسية بأنها "عملية الاتصال بين الحكومات"[٢].

أمَّا المفهوم المعاصر للدبلوماسية فإنها تعني الحرفة المبنية على التدريب الذهني الطويل والتحقيق الذي نستطيع عن طريقه تأدية خدمة معينة، وفي عمليات الحرفة نرى أن الأعضاء يستطيعون عن طريق هذه الحرفة تركيز دوافعهم في الحكم المحلي لتأمين أهلية العضوية ومعيار أوامر الخدمة على الأقل منعزلة عن الجماعات الضاغطة[٣].

٦- العلاقة بين السياسة الخارجية والسياسة الداخلية:

إن صنع السياسة الخارجية يخضع أساسًا للسياسة الداخلية، ويمكن القول في هذا المجال بأن السياسة الخارجية هي استمرارية للسياسة الداخلية، وعلى هذا الأساس فإن صياغة السياسة الخارجية تتأثر بالمحيط الداخلي سواء على مستوى الفرد –القيادة– أو على مستوى الجماعة –طبيعة المجتمع وخصائصه المرحلية– أو على مستوى حالة العلاقة السلمية[٤].

"إن السياسة الخارجية كالسياسة الداخلية كل منهما يُكَوِّن بعدًا من أبعاد الحركة السياسية، بحيث إن اختلاط إحداهما بالأخرى هو الذي يسمح بخلق

(1) Ibid.159

(2) World Politics, Vol, XIV, July, No.9, 1962. P.561.

(3) Ibid,. P.562.

(٤) الدكتور حامد ربيع، نظرية الدعاية الخارجية، مصدر سبق ذكره، ص ١١-٢٠. وفيليب برايار ومحمد رضا جليلي، مصدر سبق ذكره، ص ٧٤.

القوة والتعبير عن الإرادة الحاكمة، تطورات معينة فرضت هذا الارتباط حتى إن جميع علماء السياسة الخارجية يسلمون اليوم بأنه من العبث تصور إمكانية الفصل بين الناحيتين إلا إذا أردنا تشويه معنى الدولة العصرية[١].

وقد أشار إلى هذه الحقيقة كارل فردريك في كتابه عن السياسة الخارجية الذي تم إصداره عام ١٩٣٨، إلى العلاقة الوثيقة بين السياستين، عندما قال: "إن السياسة الخارجية تتأثر بالسياسة الداخلية ولاسيما في النظم الديمقراطية، وإن كل مشكلة داخلية تتضمن بالضرورة أبعادًا خارجية"[٢]. أكثر من هذا يقول هانريدر: إنهما أصحبتا متشابهتين إلى حد بعيد، وهو ما يطلق عليه تعبير تدخيل Domestication السياسة الخارجية[٣].

---

(١) الدكتور حامد ربيع، نظرية السياسة الخارجية، مصدر سبق ذكره، ص ١٠ و:

Frankel, Joseph, the Making of Foreign Policy, London, Oxford University Press,1965, PP.21,80.

(٢) الدكتور محمد السيد سليم، تحليل السياسة الخارجية، مصدر سبق ذكره، ص ٧١.

(٣) المصدر نفسه، ص ٧١.

هنا لابد من الإشارة إلى مسألة الخبز في مصر عام ١٩٧٧ وعلاقتها بالسياسة الخارجية، ابتداء من شهر كانون الثاني وصولًا إلى زيارة السادات للقدس في تشرين الثاني من العام نفسه؛ فقد أتاح حجم التظاهرات التي انطلقت ضد اقتراح زيادة أسعار المواد الغذائية -ومن بينها الخبز الذي هو من أهم السلع للشعب المصري حتى إنهم يسمونه "العيش" كأنه لا يمكن العيش من دونه- بنسبة ٥٠٪ وعمت أرجاء مصر كافة خلال يومي ١٨ و١٩ كانون الثاني من العام ١٩٧٧، فكان أن اندلعت مظاهرات شعبية عارمة احتجاجًا على هذا القرار وعلى غلاء المعيشة، وهي المظاهرات التي عرفت بمظاهرات الخبز والتي سماها السادات "انتفاضة الحرامية". راجع: حسام تمام، عبد المنعم أبو الفتوح شاهد على تاريخ الحركة الإسلامية في مصر ١٩٧٠ – ١٩٨٤، ط٢، دار الشروق، القاهرة، ٢٠١٢، ص ٥٩.

=

وفي هذا المجال كتب غريغوري فلاين المدير المساعد للمؤسسة الأطلسية للشئون الدولية قائلًا: "لا يمكن فصل السياسة الداخلية عن السياسة الخارجية في عالم اليوم"[١].

وفي هذا المعنى جاء في تقرير جاكسون حول مجلس الأمن القومي الأمريكي ما يأتي: "خلال هذه السنوات أصبحت الحرب الباردة الواقع السائد في الحياة الدولية، إننا نشهد التمييز الذي كان قائمًا وقتئذٍ بين السياسة الخارجية والسياسة الداخلية، وقد زالت الحدود الآن تقريبًا بينهما، لقد تضاعفت أدوات السياسة الخارجية بحيث أصبحت تتضمن من الآن فصاعدًا العون الاقتصادي والمساعدة التقنية والعلمية والمبادلات التربوية والثقافية والمساعدة العسكرية للخارج"[٢].

فيما يخص تأثير السياسة الخارجية على السياسة الداخلية يجب ملاحظة أن قسمًا كبيرًا من خيارات السياسة الخارجية ليس من دون تأثير على حياة

= وكان من نتائجها تدخل الجيش الذي أدى إلى مقتل ٧٩ شخصًا وجرح ٨٠٠ آخرين، إظهار حجم الفقر المتفاقم والغضبة العارمة التي عمت البلاد إثر قرار الانفتاح مجددًا على متطلبات الرأسمال الخاص. وبعد إخفاق التظاهرات عمدت الحكومة إلى شن حملات اعتقال واسعة، وسجن المئات من المعارضين، وأصدرت قرارًا بحظر التظاهرات وحركات الإضراب، ولم تكن زيارة السادات للقدس إلا مظهرًا من مظاهر الالتفاف على هذه الأحداث، حاول النظام من خلالها في وقت معًا أن يجد له اسمًا جديدًا يحظى بتأييد شعبي من الداخل، وأن يحقق له موقعًا أفضل في مدار النفوذ الأمريكي. راجع: تيموثي ميتشل، تجربة الاستقلال في الخطاب الإسلامي "قراءة في "أيام من حياتي" لزينب الغزالي، في المثقف والمناضل في الإسلام المعاصر، إعداد جيل كيبل وبان ريشار، ترجمة بسام حجار، دار الساقي، بيروت ١٩٩٤، ص١٨٦.

(١) مارسيل ميرل، السياسة الخارجية، مصدر سبق ذكره، ص ١٥٢.

(٢) مارسيل ميرل، مصدر سبق ذكره، ص ١٥١-١٥٢.

المجتمعات؛ ففي المرتبة الأولى يُستوحَى النقاش السياسي الداخلي من التوجهات الكبيرة التي تتخذها السياسة الخارجية، ويمكن لهذه التوجهات، سواء أكانت فيما يخص الدفاع أو في المجال الاقتصادي، أن تثير ردود فعل وأن تؤدي إلى نقاش في هذا المجال[١].

هكذا، فإن عدم إعادة انتخاب الرئيس جيمي كارتر، ومجيء إدارة ريغان إلى السلطة في العام ١٩٨٠ قد ارتبطا بشكل مباشر بالفشل الذريع للدبلوماسية الأمريكية في مسألة رهائن السفارة الأمريكية في طهران[٢].

وظاهرة التداخل هذه معروفة كذلك حينما تمس خيارات السياسة الخارجية مصالح بعض القطاعات، هكذا كان الأمر، على سبيل المثال، في نطاق الحظر الزراعي الأمريكي المقرر ضد الاتحاد السوفييتي، عقب غزو أفغانستان، فهذا الإجراء الذي كان يهدف إلى الضغط على القوة العظمى الأخرى لم يحدث أي تأثير تقريبًا على الصعيد الدولي، ولكنه على العكس من ذلك أحدث انعكاسات مهمة داخل الولايات المتحدة؛ لأنه خفض أسعار القمح وتمت بالتالي معاقبة المنتجين الأمريكيين للحبوب، فقام هؤلاء بالضغط على السلطات للعدول عن هذا القرار، وقد بات هذا الإشكال في السياسة الخارجية موضوعًا شائكًا للسياسة الداخلية، فضلًا عن ذلك يمكننا أن نلاحظ في العديد من الدول وخاصة في دول العالم الثالث أن السياسة الخارجية تستعمل غالبًا كوسيلة خاصة لإضفاء الشرعية على الأنظمة القائمة، هكذا مثلًا قامت حكومات عدة

---

(١) فيليب برايار ومحمد رضا جليلي، مصدر سبق ذكره، ص ٧٤.

(٢) فيليب برايار ومحمد رضا جليلي، مصدر سبق ذكره، ص ٧٤ – ٧٥.

في دول عدم الانحياز، وخطابه المعارض للاستعمار وللإمبريالية، ورفضه التحالف مع القوى الكبرى، كوسيلة لإضفاء الشرعية على سلطتها وعلى المؤسسات التي أنشأتها، وينطبق هذا على مصر في عهد الرئيس المصري الأسبق جمال عبد الناصر، وعلى إثيوبيا في عهد هايلا سيلاسي، وعلى سريلانكا في عهد بوندرانايكي، وعلى يوغسلافيا في عهد المارشال تيتو[١].

تؤثر السياسة الداخلية ورهاناتها غالبًا بطريقة مباشرة -لا بل بطريقة قاطعة- على الإعدادات والقرارات المتعلقة بالسياسة الخارجية، وقد تمت الإشارة بشكل خاص إلى هذا التأثير الخاص بالسياسة الداخلية على مسار السياسة الخارجية من قبل المفهوم الماركسي للعلاقات الدولية الذي يذهب بتحليله إلى حد إعطاء السياسة الداخلية الأولوية على السياسة الخارجية. فالمُنَظر الماركسي الجديد إكيهارت كريبندورف (Ekkehart Krippendorff)، يعد على سبيل المثال أن عمل نظام الدولة الاقتصادي والاجتماعي هو الذي يحدد سياستها الخارجية، فلكي يكون هناك استمرار في الوجود يحتاج كل نظام اقتصادي واجتماعي، وبالتحديد الجماعات الاجتماعية المسيطرة، إلى ظروف سياسية مناسبة في المجتمع المحلي كما في النظام الدولي، ومن دون تبني هذه الرؤية الأحادية الأبعاد والاختزالية يجب الإقرار بأن الحكومات غالبًا ما تكون في اختياراتها للسياسة الخارجية، خاضعة لتأثير بعض جماعات الضغط والأحزاب السياسية، أو قسمٍ من جمهور الناخبين الذي تحركه دوافع إما دينية أو أيديولوجية أو اقتصادية، وأحد الأمثلة المعروفة لهذه الظاهرة هو تأثير مجموع

(١) فيليب برايار ومحمد رضا جليلي، مصدر سبق ذكره، ص ٧٥.

الناخبين اليهود الأمريكيين على مجمل سياسة الولايات المتحدة في الشرق الأوسط[١].

أما المثل الآخر عن ارتباط السياسة الخارجية بالداخلية، الذي أثر في تاريخ العديد من البلدان، فهو اللجوء إلى استعمال السياسة الخارجية لحجب بعض المشاكل الداخلية الخطيرة، ويعد الهروب إلى الأمام في نزاع دولي وسيلة تستعمل أحيانًا لاستعادة التضامن الوطني وتحويل الانتباه عن الخلافات الداخلية[٢].

هناك ظاهرة أخرى لتداخل السياسة الداخلية مع السياسة الخارجية، وهي التأثير الذي يمكن أن تمارسه التغييرات البنيوية لنظام سياسي معين على السلوك الدولي لبلد ما، هكذا غالبًا ما تؤدي الثورات إلى مراجعة توجهات السياسة الخارجية، وقد تكون هذه المراجعة أحيانا جذرية، وينطبق ذلك على ما حصل في روسيا الاتحادية، والصين الشعبية وكوبا وإثيوبيا وإيران، ويمكن بفضل مراحل التعايش المتعددة في عهد الجمهورية الخامسة، لم تخل من التأثيرات على كيفية إعداد السياسة الخارجية، وهكذا، فإن السياسة الخارجية في فرنسا -وهي التي كانت حتى وقت قصير حكرًا على الرئيس- عرفت انزلاقًا تدريجيًّا اتسم بإعطاء دور متزايد لرئيس الوزراء في إعدادها، ويعود ذلك جزئيًّا إلى أن السياسة الخارجية تتناول كل المجالات الخاصة بالنشاطات الحكومية، وكذلك إلى أن الوزراء المعنيين يخضعون لرئيس الوزراء، ويمكن أخيرًا أن نلاحظ أن هناك جوانب بأكملها من السياسة الخارجية تمارس تأثيرات مهمة على موازنة الدول، مثل مساعدة دول العالم الثالث، وتصدير الأسلحة،

(١) فيليب برايار ومحمد رضا جليلي، مصدر سبق ذكره، ص ٧٦ – ٧٧.

(٢) المصدر نفسه، ص ٧٧.

والمشاركة في التعاون المتعدد الأطراف في مجال البحث العلمي والتكنولوجي، وكلها ترتبط ارتباطًا وثيقًا بمناقشات السياسة الداخلية الخاصة بالأوليات الاقتصادية والاجتماعية[١].

فضلًا عن ذلك، هناك عنصران آخران يؤديان إلى تأكيد استحالة التفريق بين السياسة الداخلية والسياسة الخارجية، من جهة أن المكانة التي اتخذتها المواضيع الاقتصادية والتكنولوجية والثقافية في حقل السياسة الخارجية قد أدت

إلى زوال احتكار وزارة الخارجية لإعداد هذه السياسة. والواقع أن غالبية الوزارات قد دخلت في الوقت الحاضر هذه الساحة الدولية، كذلك الأمر بالنسبة لوزارة الداخلية عندما يتعلق الأمر بالأمن الداخلي للدولة، كالتعاون الدولي في التصدي للإرهاب والجريمة المنظمة، وهكذا يمكن القول بأن لكل نشاط حكومي بُعدًا دوليًا، ولا يمكن لوزارة الخارجية إلا أن تنسق بين هذه النشاطات المتعددة. ومما زاد في بروز هذه الظاهرة أيضًا هو تطور الدبلوماسية المتعددة الأطراف من خلال المنظمات الدولية أولًا، وهو تطور يدعم الالتزام المباشر للوزارات المختلفة في المفاوضات الدولية[٢].

من جهة أخرى، نلاحظ اليوم ازديادًا لتعريض الدولة أمام النظرة التي يلقيها الخارج، هذه الظاهرة التي ميزت دائمًا الديمقراطيات بدرجة معينة، هي في طور الانتشار التدريجي لتشمل مجمل المجتمع الدولي، ولم يعد بإمكان أية دولة أن تخفي لوقت طويل قيادتها للشئون الداخلية، ويُعرف السلوك الداخلي

---

(١) فيليب برايار ومحمد رضا جليلي، مصدر سبق ذكره، ص ٧٨.

(٢) فيليب برايار ومحمد رضا جليلي، مصدر سبق ذكره، ص ٧٨ – ٧٩.

للدولة عاجلًا أم آجلًا من خلال وسائل الإعلام وبعض المنظمات الدولية الحكومية وغير الحكومية، ويُحْكَم عليه من قبل الرأي العام الدولي بقدر ما تواجه الدولة المعنية خطر التعرض للضغط الخارجي(١).

وعلى الرغم من العلاقة بين السياسة الداخلية والسياسة الخارجية، إلا أن هناك معيارًا للتمييز بينهما، ويمكننا إيجاز ذلك في الآتي:

١- حدود العمل للسياستين مختلفة من حيث تحديد مصادرهما، ولكن الدولة في المجال الداخلي بصورة عامة لها السيطرة التامة على مستوى الأفراد والجماعة، في حين تتصدى هذه الحكومة في السياسة الخارجية للإرادات المتنازعة للدول الأخرى التي تثبت غالبًا -أي هذه الإرادات- أنها غير مرنة، وتتميز بصعوبة التوفيق بينهما.

٢- الأهداف الرئيسة للسياستين مختلفة؛ لأن محور السياسة الخارجية يدور حول البقاء والدفاع والحماية، إن مجموعة من عناصرها لها علاقة بعناصر السياسة الداخلية مثل التجارة الخارجية والاتفاق الدفاعي، وهي لها ثقل واضح على الرخاء ومستوى المعيشة، ولكنها تؤخذ بعين الاعتبار من زاوية مختلفة جدًّا.

٣- في السياسة الداخلية من الممكن إلقاء بعض الشك على التحقق الفعلي "الوجود الفعلي" للرخاء العام "الرفاه المشترك".

٤- الاهتمامات المركزية للسياسة الخارجية تدور حول مسألة احتكار الدفاع والدبلوماسية، والحكومة تقوم بوظيفة التنمية أكثر من السياسة الداخلية،

---

(١) المصدر نفسه، ص ٧٩.

وفي قضايا الشئون الخارجية تهمل الأفراد والعشائر بصورة عامة؛ إذ لا تمنح لهم قوة في هذا المجال[١].

٥- يتطلب العمل الداخلي بناء وإدامة القوة التي قد تبذل خارجيًّا.

٦- يتطلب النشر الخارجي للقوة ضمان الشئون الداخلية للدولة، إلى درجة ألا تكون الأخيرة -السياسة الداخلية- خاصةً، أو تقرر أعمالها السياسية من قبل الدول الأخرى[٢].

وفي هذا المجال يقول هارولد نيكولسون: "فلا غرو إن كان حل كثير من مشكلات السياسة الخارجية لا يوجد إلا في داخل السياسة الداخلية"[٣]. إن العلاقة بين السياسة الداخلية والسياسة الخارجية دفعت الكثير من المهتمين بالسياسة الخارجية إلى عد كلتا السياستين وجهين لشيء واحد جزأين متكاملين لكلٍّ واحد. إن هذه العلاقة دفعت أيضًا جلادستون إلى أن يقول: "السياسة الداخلية الصالحة أول شرط من شروط السياسة الخارجية الرشيدة"[٤].

---

(1) Frankel, Joseph, National Interest, Printed in Great Britian, 1970, PP.38 – 39, Fridrich, Joachim, Carl, Foreign Policy in the Making, New York, 1983, PP.62-89.

(2) Johes, Roy E., Principles of Foreign Policy the Civil States in Its World Setting Printed and Bound by Richad Claylid, Bunaay, Suffolk, 1974. p.4.

(٣) السير هارولد نيكلسون، مصدر سبق ذكره، ص١٩. وللمزيد من التفاصيل حول العلاقة بين السياسة الداخلية والسياسة الخارجية راجع: مارسيل ميرل، سوسيولوجيا العلاقات الدولية، مصدر سبق ذكره، ص ٣٣٨ – ٣٤٢.

(٤) نيكلسون، مصدر سبق ذكره، ص١٩.

كان هناك اعتقاد من المفكرين والسياسيين في الولايات المتحدة، انطلاقًا من مفهوم الأمن النسبي والانعزال عن الدول الأخرى، في الانفصال بين السياسة الداخلية والسياسة الخارجية، بحيث إن هؤلاء أعطوا الأولوية للسياسة الداخلية[١]. والنظر إلى السياسة الخارجية كامتداد للسياسة الداخلية له تأثير جانبي مهم: مثال على ذلك، تشجع الكونجرس الأمريكي، الذي يخضع لضغوط من مجموعات لوبي السياسة الخارجية، على توسيع محاولاته لإصدار تشريعات في السياسة الخارجية، غير أن ذلك لم يكن ظاهرة جديدة تمامًا؛ ففي الماضي، لا سيما عندما كانت السياسة الخارجية تصاغ على أساس الحزبين، كانت السلطة التنفيذية تخطط مع الكونجرس لإصدار تشريعات تعزز أهداف السياسة الخارجية الأمريكية، وتقوي القدرة التفاوضية للسلطة التنفيذية فيما يبدو أنها تحد من خياراتها، وبعد انتهاء حرب فيتنام انتقل التشديد إلى التشريعات المصممة لتفرض على السلطة التنفيذية أهدافًا محددة يحبذها لوبي معين للسياسة الخارجية، أو لتحد من حرية حركة السلطة التنفيذية، وأصبح هذا الميل واضحًا في التسعينيات واستمر إلى وقتنا الحالي بسلسلة من القوانين التشريعية التي صدرت نتيجة ترويج ناشط تقوم به مجموعات لوبي مكرسة لمصلحة هذه الجالية العرقية أو تلك في السياسة الخارجية، بغض النظر عن آراء البيت الأبيض أو وزارة الخارجية، وأكثر هذه المجموعات نشاطًا ونجاحًا اللوبيان الصهيوني الأمريكي والكوبي الأمريكي، ولدى كل منهما من الموارد ما يؤثر بشدة على

(١) جوزيف فرانكل، العلاقات الدولية، ط٢، ترجمة غازي عبد الرحمن القصيبي، جدة، المملكة العربية السعودية، ١٩٨٠، ص٥٨.

جمع المعلومات للكونجرس، وحشد دعم انتخابي كبير في ولايتين كبيرتين، نيويورك وفلوريدا[١].

أما فيما يخص الدول الأوروبية فإن منطق التقليد يشير إلى عدم فصل السياستين، وهذه المسألة واضحة في فرنسا إلى عهد نابليون وألمانيا على عهد بسمارك؛ إذ إن الأمور العسكرية وأهداف السياسة الخارجية قد اندمجت بالقضايا الرئيسة في السياسة الداخلية، أما الدول الصغيرة والضعيفة التي كانت عرضة للغزو الأجنبي فقد أنشأت مبدأ الضرورة – في وجهة نظر الفكر السياسي الأوروبي[٢].

أما في الوقت الحاضر فنرى أن هناك عدم اتفاق بشأن العلاقة العضوية بين السياسة الداخلية والسياسة الخارجية؛ لأن البعض يعتقد أن كل ما تستطيع الدولة القيام به هو أن تقوم بردود فعل لا بد منها ولاسيما فيما يخص أبعاد ومضاعفات المشكلة الذرية، أما البعض الآخر فيعتقد أنه لا زال أمام السياسيين مجال للاختيار وذلك ضمن الحدود التي تفرضها البيئة[٣].

إن النظام السياسي الدولي المعاصر بدأ يتعامل مع حقائق ظواهر لم تكن معروفة من قبل، بحيث وصلت إلى درجة المتغيرات الأصلية المتحكمة في الحركة السياسية، وقد أصبحت العلاقة بين السياسة الداخلية والسياسة الخارجية واضحة من حيث التفاعل الدينامي بين القوى المحلية والقوى الدولية؛ إذ إن

---

(١) زبغنيو بريجنسكي، الفرصة الثانية ثلاثة رؤساء وأزمة القوة العظمى الأميركية، ترجمة عمر الأيوبي، دار الكتاب العربي، بيروت، ٢٠٠٧، ص ٩٥.

(٢) جوزيف فرانكل، مصدر سبق ذكره، ص ٥٨.

(٣) المصدر نفسه، ص٥٨.

هناك استحالة في الفصل بينهما، فضلًا عن ذلك هناك الترابط الإعلامي الذي قاد إلى عملية التأثير المتبادل بين الإعلام المحلي والإعلام الخارجي[١].

ولا يغيب عن البال في هذا المجال إخفاق السياسة الخارجية الأمريكية في فيتنام، بحيث كان هذا الإخفاق أحد مظاهر الوهن والضعف في السياسة الداخلية الأمريكية، زد على ذلك أن الاهتمام الأمريكي بالكيان الصهيوني هو نتيجة وخاتمة لوضع سياسي داخلي برز من الطابع القومي الأمريكي[٢].

على العكس من ذلك نرى في الكيان الصهيوني أن السياسة الداخلية هي امتداد للسياسة الخارجية؛ إذ إن السياسة الخارجية في الكيان الصهيوني تتحدد بأوضاع داخلية ذاتية وأوضاع داخلية غير ذاتية، والحق أن مخطط السياسة الخارجية الصهيوني يأخذ بنظر الاعتبار موقف القوى السياسية في الولايات المتحدة قبل اهتمامه بالرأي العام المحلي الصهيوني، كما أن هناك علاقة بين الاقتصاد الصهيوني والرأسمالية الغربية، وقد برزت هذه الظاهرة منذ بداية ١٩٥٧.

كما أن هذه الحالة واضحة بين القوى السياسية في داخل الكيان الصهيوني، وبالإمكان تقسيمها إلى:-

١- قوى سياسية محلية.

٢- قوى سياسية خارجية.

---

(١) الدكتور حامد ربيع، من يحكم في تل أبيب، حول تحليل علاقة التماسك في النظام الإسرائيلي ومتغيرات الحركة السياسية في الشرق الأوسط، مصدر سبق ذكره، ص ٤٣٨.

(٢) المصدر نفسه، ص ١١١-١١٢.

القوى الأولى تدور حول: الهستدروت والكيبوتز والمؤسسة العسكرية والرأي العام والرأسمالية الناشئة من البيروقراطية الإدارية، أما القوى الثانية فإنها تكمن في: الدياسبورا أو اليهود في المهجر والوكالة اليهودية. وبالإمكان تفسير ذلك بنقطتين:

١- إن الأحزاب الصهيونية من الناحية التاريخية والنظامية تعيش على المساعدات الخارجية الأمريكية والأقطار الأوروبية.

٢- إن الكيان الصهيوني يعيش على يوتوبيا، إلى درجة يعد نفسه أنه الممثل ليهود العالم(١).

وفي حدود الفصل بين السياسة الداخلية والسياسة الخارجية يقول ريمون آرون: "هناك ثمة اختلاف أساسي بين السياسة الداخلية والسياسة الخارجية"(٢).

والحق، كانت هناك محاولات في الولايات المتحدة لفصل السياسة الخارجية عن السياسة الداخلية، وقرار القاضي ساذرلاند في عام ١٩٣٦ والخاص بقضية "الحكومة ضد شركة كيرتس – رايت" واضح في هذا المجال، الذي جاء فيه "أن الشئون الخارجية" والداخلية يشكلان مجالين مختلفين، وذلك فيما يخص أصل وطبيعة كل مجال"، وقد جاء في القرار أيضًا أن هناك مدى واسعا للشئون الخارجية بما تحتويه من معضلات رئيسة ومعقدة وحساسة ومتعددة، وبموجب

(١) الدكتور حامد ربيع، من يحكم في تل أبيب، حول تحليل علاقة التماسك في النظام الإسرائيلي ومتغيرات الحركة السياسية في الشرق الأوسط، مصدر سبق ذكره، ص ١١٢- ١١٣. والدكتور حامد ربيع، النموذج الإسرائيلي في الممارسة السياسية، معهد البحوث والدراسات العربية، القاهرة، ١٩٧٥، ص ١٦ – ١٧.

(٢) مارسيل ميرل، السياسة الخارجية، مصدر سبق ذكره، ص ٤.

رأي ساذرلاند فإنه من الضروري إعطاء الرئيس الأمريكي صلاحيات واسعة، والتحرر من القيود القانونية التي لا يمكن السماح بها لو أن الأمر يخص شئونًا داخلية فحسب[١].

وجاء في القرار أيضًا "أن الرئيس هو العضو الوحيد في الحكومة الفدرالية المسئول عن العلاقات الدولية". وأكد القرار أيضًا "أن سلطات الرئيس لا تحتاج عند ممارستها لقانون يصدره الكونجرس". وبذلك أكدت المحكمة أن مفهوم السلطة التي يتمتع بها الرئيس حيال الشئون الخارجية يرتكز على أساس من الدستور والتاريخ والضرورة الآنية[٢].

إن قرار المحكمة هذا قد انحصر في أن التشريع في السياسة الخارجية يمكن أن يمنح الرئيس حريةَ تَصَرُّف تزيد عما هو مسموح به في التشريع المحلي، وبدلًا من ذلك تخطى ساذرلاند قضية التفويض كثيرًا، مضيفًا صفحات من الملاحظات العابرة (الخارجة عن القضية المعروضة أمام المحكمة) التي تعطي الرئيس عددًا من السلطات غير الموجودة في الدستور[٣].

إن أكثر ما يمكن استنتاجه من قضية كيرتس – رايت، كما يقول القاضي جاكسون "في الإعلان الصريح" أن الرئيس يمكنه أن يتصرف في الشئون

---

(١) لويس فيشر، سياسة تقاسم القوى الكونجرس والسلطة التنفيذية، ط٣، ترجمة مازن حماد، الأهلية للنشر والتوزيع، عمان، ١٩٩٤، ص١٨٨.

(٢) مايكل إف. كايرو، السيطرة المدنية على الجهاز العسكري، في الديمقراطية الأمريكية التاريخ والمرتكزات، مجموعة دراسات بعنوان "أوراق الديمقراطية" نشرتها وزارة الخارجية الأمريكية، ترجمة وتعليق حسن عبد ربه المصري، ط ٢، المركز القومي للترجمة، القاهرة، ٢٠٠٩، ص ٢٠٧.

(٣) المصدر نفسه، ص ١٨٨.

الخارجية من دون سلطة من الكونجرس، ولكن من دون أن يستطيع التصرف بشكل يتعارض مع قانون أصدره الكونجرس[١].

وفي هذا المجال أكد جاكسون أن كثيرًا من آراء ساذرلاند ذات صفة عابرة وغير ملزمة. وفي عام ١٩٨١ حذرت محكمة استئناف فيدرالية من أي اعتماد في غير مكانه على ملاحظات معينة وردت خلال عرض ساذرلاند لرأيه. وقالت المحكمة: "إن تسمية الرئيس كجهاز وحيد للولايات المتحدة في الشئون الدولية يشكل إقرارًا فعليًّا بسلطة رئاسية كاملة على أية مسألة تمتد خارج حدود هذه البلاد، ونحن نرفض مثل هذا التصنيف"[٢].

إن فكرة "الجهاز الوحيد" في الولايات المتحدة[٣] تعود أساسًا إلى عام ١٨٠٠،

---

(١) المصدر نفسه، ص ١٨٩.

(٢) لويس فيشر، مصدر سبق ذكره، ص ١٨٨.

(٣) الرئيس في الولايات المتحدة لا يتمتع باستقلالية تامة، إنه منتخب ومسئول طليق اليدين في نطاقه، ويخضع لمراقبة مجلس الشيوخ لكنه لا يخضع لتوجيهاته، يعين مرتبه فور تسلمه مهامه، ينتخب الرئيس لولاية تدوم أربع سنوات، وقد يعاود انتخابه لولاية ثانية، وقد جعل احتمال تجديد الولاية حافزًا له لخدمة الصالح العام وتطوير الوسائل الممكنة للقيام بذلك، إلى ذلك يزود الرئيس بحق النقض (الفيتو) المعطل الذي يتيح له أن يعطل القوانين التي من شأنها المساس بحيز الاستقلالية الذي يكفله له الدستور، لكن حق النقض المعطل يرغمها، في الأقل، على التراجع قليلًا، ويجبرها على النظر مجددًا في المسألة، وعندئذ لا يعود ممكنًا حسم القرار بشأنها إلا بأغلبية ثلثي الأصوات، وحق النقض، من ناحية أخرى، هو أشبه بالاحتكام إلى الشعب. راجع: ألكسي دو توكفيل، عن الديمقراطية في أمريكا، الجزء الأول، ترجمة بسام حجار، معهد الدراسات الإستراتيجية، بغداد - بيروت، ٢٠٠٧، ص ٢١٨ – ٢٢٠. وثيودور لووي وبنيامين جينسبرج، الحكومة الأمريكية الحرية والسلطة، الكتاب الأول، ترجمة عبد السميع عمر زين العابدين ورباب عبد السميع زين العابدين، مكتبة الشروق الدولية، القاهرة، ٢٠٠٦، ص٧٢-٧٣.

فكرة توصل إليها مارشال[1] كان يؤكد أن الرئيس ينفذ السياسة الداخلية، بعد إيجادها من خلال القانون أو معاهدة، فالفرعان يعملان بانسجام، ولم يدع

(١) ولد جورج كاتلت مارشال في ٣١ كانون الأول ١٨٨٠، وكان أصغر ثلاثة أطفال للورا برادفورد (Laura Bradford) وجورج س. مارشال الأب، وكلاهما من أوجستا في كنتاكي. وكانت ولادة جورج مارشال الابن في منزل من الطوب مكون من طابقين في طريق يونيونتاون، بمقاطعة فاييت في بنسلفانيا على بعد أربعين ميلًا جنوب شرق بتسبرج، وكانت والدته سيدة اجتماعية هادئة الطبع تعزف على البيانو وتغني في كل مساء، متمسكة بتعاليم الكنيسة الأبرشية البروتستانتية، وكان والده صاحب مصنع يعمل بالفحم ناجح، ومغرمًا بالتاريخ المحلي والأنساب، قد غرس في الغلام، الذي كان يلقب "صاحب الومضات الخاطفة" (Flicker) اهتمامًا صاحبه طوال حياته بالقفص وصيد الأسماك والبستنة.

ولم يتمكن جورج، بعد تعليم مبكر غير رسمي، من الالتحاق بكلية ويست بوينت، وعلى ذلك التحق بمعهد فرجينيا العسكري في لكسنجتون، وقد ازدهر في أوضاع الانضباط، وتخرج في عام ١٩٠١ كأول الطلبة العسكريين بدرجة في الهندسة المدنية، وفي العام التالي تزوج من إليزابيث كارتر كولز، وبعد أن أدى الخدمة في مندورو بالفلبين، وفي منطقة أوكلاهوما، وفي فورت كلارك على الحدود بين تكساس والمكسيك، تخرج مارشال بمرتبة الشرف من مدرسة الفرسان في فورت ليفنورث في كانساس، وتمت ترقيته إلى ملازم أول في ١٩٠٧.

وفي خريف عام ١٩٣٠ تزوج مارشال مرة أخرى، وكانت زوجته الجديدة كاثرين بويس براون أرملة لديها ثلاثة أطفال صغار، وفي عام ١٩٣٦ أصبح جنرالًا وقائدًا للكتيبة الخامسة من الفرقة الخامسة في واشنطن، وفي ربيع عام ١٩٣٩، بعد أن أمضى أقل من عام في قسم الخطط الحربية في وزارة الدفاع، اختاره الرئيس روزفلت ليصبح الرئيس التالي لأركان جيش الولايات المتحدة، وأقسم اليمين في الأول من أيلول ١٩٣٩ بعد ساعات من وصول أخبار غزو ألماني لبولندا إلى واشنطن، وعين وزيرًا للخارجية في إدارة الرئيس ترومان في ٧ كانون الثاني ١٩٤٧. راجع: نيل بالدوين، القيم الأمريكية المثل العليا التي شكلت أمريكا من عصر البيوريتان حتى الحرب الباردة، ترجمة الدكتور أحمد أمين الجمل، الجمعية المصرية لنشر المعرفة والثقافة العالمية، القاهرة، ٢٠٠٨، ص ٢٠٣ – ٢٠٧.

مارشال أبدًا أن الرئيس يصنع عملية صنع القرار في السياسة الخارجية"[١].

وفي هذا المجال يمكننا الرجوع إلى قرار للرئيس آدامز[٢] بتسليم بريطانيا شخصًا متهمًا بالقتل، ولأن القضية كانت وما تزال تنظر أمام المحاكم، فقد أوصى بعض أعضاء الكونجرس بتوجيه الاتهام للرئيس آدامز لتجاوزه مع السلطة القضائية، ودافع مارشال عن آدامز، مشيرًا إلى أن الرئيس ينفذ معاهدة معقودة مع بريطانيا[٣].

فهم مارشال السياسة الخارجية على أنها وظيفة مشتركة بين الرئيس ومجلس الشيوخ (بالنسبة للمعاهدات) أو بين الرئيس والكونجرس (بالنسبة للقوانين)[٤]. ولا يعمل الرئيس "كجهاز وحيد" في تطبيق السياسة الداخلية إلا

---

(١) يحتل منصب الرئاسة لدى شرائح الرأي العام الأمريكي مكانًا مرموقًا في النظام السياسي؛ إذ إن عددًا كبيرًا من هذه الشرائح لا يعرفون عن ممثليهم في الكونجرس، إلا أنهم يعرفون من هو الرئيس، ولديهم آراء حول كيفية إدارته للسلطة. راجع: لاري إلوتيز، نظام الحكم في الولايات المتحدة، ترجمة جابر سعيد عوض، الجمعية المصرية لنشر المعرفة والثقافة العلمية، القاهرة، ١٩٩٦، ص١٧٣.

(٢)) جون آدامز (١٧٣٥ – ١٨٢٦) الرئيس الثاني للولايات المتحدة (١٧٩٧ – ١٨٠١) كان نائبًا للرئيس واشنطن، وهو والد جون كوينسي آدامز الرئيس السادس للولايات المتحدة. راجع: نعوم تشومسكي، سنة ٥٠١ الغزو مستمر، ترجمة مي النبهان، ط٢، دار المدى للثقافة والنشر، بيروت، ١٩٩٩، ص ٤٠.

(٣) فيشر، مصدر سبق ذكره، ص ١٨٩.

(٤) أعضاء مجلس الشيوخ يُعَيَّنون من قبل الهيئات التشريعية في الولايات. النواب يعينهم الشعب. انتخاب مجلس الشيوخ يتم على مرحلتين، وانتخاب مجلس النواب على مرحلة واحدة. لا تدوم ولاية النواب إلا سنتين، أما أعضاء مجلس الشيوخ فتستمر ولايتهم ست سنوات. لا يضطلع مجلس النواب إلا بمهام تشريعية، وهو لا يشترك في السلطة القضائية إلا عبر توجيه الاتهام إلى =

بعد أن يؤسس الفرعين لتلك السياسة[١].

وهنا لا بد من التأكيد على أن لكل رئيس أسلوبه ومقياسه الذي يهتدي به في اتخاذ قراراته، وقد تتباين الأساليب والمقاييس وتختلف من يوم لآخر، ومن موضوع إلى موضوع، فيستخدم مزيجًا منها في السياسة الخارجية مثلًا، ومزيجًا آخر للسياسة الداخلية، وعلى هذا النحو نجد أن شاغل المنصب يؤثر في منصبه، كما أن المنصب يتأثر بشاغله[٢].

بلغت انعزالية الولايات المتحدة ذروتها خلال إدارة الرئيس فرانكلين روزفلت الذي حرص على دعم الحياد الأمريكي منذ عام ١٩٣٥ كأسلوب من أساليب مواجهة الكساد العظيم، وشدد على أهمية الأولويات الداخلية في مقابل

=

الموظفين العامين، أما مجلس الشيوخ فيسهم في صوغ القوانين، وينظر في الجرائم السياسية التي تحال إليه من قبل مجلس النواب، وهو إلى ذلك يعد المجلس التنفيذي الأعلى للأزمة.
فالمعاهدات التي يعقدها الرئيس تحتاج إلى تصديق مجلس الشيوخ، كما أن قرارات الرئيس تحتاج لكي تغدو نهائية ونافذة إلى موافقة هذا المجلس. راجع: ألكسي دو توكفيل، مصدر سبق ذكره، ص ٢١٧ – ٢١٨.

(١) المصدر نفسه، ص ١٩٠.
اعتزم المؤسسون الأوائل الذين وضعوا الدستور الأمريكي منذ نحو أكثر من مائتي عام أن يكون الكونجرس تعبيرًا عن صوت الشعب، وأن ينقل تأثير هذا الصوت ليتحمل مسئوليته في السياسة القومية. والكونجرس وفق ما تخيله المؤسسون الأوائل هو المكان الذي يمكن أن يشعر به الرأي العام بنبض الأمة مباشرة، والمكان الذي يتم التعبير فيه عن آمال ورغبات الجماهير وإيجاد الحلول لشكاواها. راجع: ستيفن جود، الكونجرس الأمريكي الجديد، ترجمة عزة قنادي، مكتبة غريب، القاهرة، (بلا)، ص١١.

(٢) تيودور سورنسن، اتخاذ القرارات في البيت الأبيض، ترجمة محمد سعيد، مطبعة المعرفة، القاهرة، ١٩٦٣، ص ٢٢ – ٢٣.

الأولويات الخارجية، ترتب على ذلك رفضه لأية محاولة لكي تتدخل الولايات المتحدة في الشئون الأوروبية حتى أواخر الثلاثينيات من القرن العشرين[١].

عندما بدأ اهتمام إدارة الرئيس روزفلت بالشئون الدولية بسبب تجمع غيوم الحرب فوق أوروبا، كان العالم قد تغير بشكل كبير خلال مدة عزلة الولايات المتحدة، أولًا: جعلت الثورة التكنولوجية من الصعب على أي رئيس أن يكون ملمًّا إلمامًا كاملًا بطبيعة الحرب وإستراتيجيتها، ثانيًا: كانت الحرب العالمية الثانية حربًا كونية بمعنى الكلمة. حدت هذه التغيرات من مفهوم الإدارة المدنية اليومي للقوات العسكرية خلال الحرب وبعدها، وبالرغم من ذلك بقي المدنيون إلى يومنا هذا -الرئيس وموظفو إدارته ووزير الدفاع- مسيطرين بقوة على المؤسسة العسكرية للبلاد، في المقابل مكنت "سلطة الإنفاق" الدستورية (التي يتمتع بها الكونجرس فيما يخص تخصيص كل الأموال اللازمة للقوات المسلحة) الشيوخ وأعضاء الكونجرس، الذين لديهم صبر ووقت مواصلة النقاش حول هذه الأمور، من ممارسة قدر كبير من النفوذ والسيطرة[٢].

أفاد الرؤساء في الولايات المتحدة من مؤشرات عديدة ظهرت منذ بداية الحرب العالمية الثانية لتعزيز سلطتهم فيما يخص توجيه دفة السياسة الخارجية، والعمل في الوقت نفسه على إضعاف سلطة الكونجرس، إما على مستوى تأثيرها، أو إعاقتها لمسيرة هذه السياسة، فمثلًا سيطر فرانكلين روزفلت والرؤساء من بعده على معلومات الاستخبارات الحيوية لتحديد توجهاتهم ضد أعدائهم من

---

(١) مايكل إف. كايرو، مصدر سبق ذكره، ص ٢٠٧.

(٢) مايكل إف. كايرو، السيطرة المدنية على الجهاز العسكري، في الديمقراطية الأمريكية التاريخ والمرتكزات، مجموعة دراسات بعنوان "أوراق الديمقراطية" نشرتها وزارة الخارجية الأمريكية، مصدر سبق ذكره، ص ٢٠٧.

الدول في زمن الحرب الباردة، واستطاعوا في أحيان كثيرة إقناع أعضاء الكونجرس بضرورة منحهم حق الإفادة من "تفسير قرينة الشك" لصالح كل ما يخص شئون الأمن القومي، كما استخدم الرؤساء أثناء الحرب العالمية الثانية وبعدها السلطات الامتيازية التي طالبوا بمنحها إياهم بموجب الدستور، وكذلك السلطات التفويضية الواسعة التي منحها إياهم الكونجرس على أوسع نطاق[١].

بلغت هذه المدة من تمتع السلطة الرئاسية بهامش واسع من الحركة في مجال السياسة الخارجية ذروتها فيما أسماه بعض المراقبين "بالرئاسات الإمبريالية" لكل من ليندون جونسون وريتشارد نيكسون، بسبب استعمالهما الموسع للسلطة الامتيازية لقيادة الحرب في فيتنام. ترك التصعيد الأولي للحرب في فيتنام ومن بعدها في كل من لاوس وكمبوديا الكثير من أعضاء الكونجرس وغالبية الرأي العام الأمريكي مغيبين حيال الأهداف الأمريكية من وراء هذه الحروب، بسبب اعتماد الرئاسة كلية على إدارة الحرب عسكريًّا وخارجيًّا على سلطاتها الامتيازية، فيما بعد وتحديدًا في صيف عام ١٩٧٣ أوقف الكونجرس كل الدعم المالي الذي تحتاجه الحرب في منطقة الهند الصينية (بالرغم من أن كمبوديا كانت لا تزال تتعرض للقصف الجوي)، لكن هذا التحرك جاء فقط بعد أن أنهت اتفاقات السلام التي عقدت في باريس النشاطات العسكرية الأمريكية في فيتنام[٢].

(١) ريتشارد إم. بيوس، سلطات الرئاسة، في الديمقراطية الأميركية التاريخ والمرتكزات، مجموعة دراسات بعنوان "أوراق الديمقراطية" نشرتها وزارة الخارجية الأمريكية، ترجمة حسن عبد ربه المصري، ط ٢، المركز القومي للترجمة، القاهرة، ٢٠٠٩، ص ١٢٦.

(٢) المصدر نفسه، ص ١٢٦.

نتيجة لردة الفعل السلبية ضد "الرئاسة الإمبريالية" وسوء استخدامها لسلطاتها الامتيازية في منطقة الهند الصينية صدر عام ١٩٧٣ تشريع أطلق عليه "قانون سلطات الحرب"، أعطى الكونجرس لنفسه بموجبه دورًا في نشر القوات المسلحة الأمريكية، وألزم قانون الإشراف القتالية التي لا يحتاج نشرها إلى إعلان رسمي بالحرب، وألزم قانون الإشراف على الاستخبارات الذي صدر عام ١٩٨٠ الرئيس بإطلاع الكونجرس على نشاطات الاستخبارات الخاصة بما في ذلك ما يطلق عليه العمل السري. حرمت قوانين أخرى حجب الاتفاقات الرئاسية التي يتم إبرامها مع دول أخرى عن الكونجرس، ونصت على أن أي التزام قومي للولايات المتحدة يتطلب إعلانًا من جانب الرئاسة لا بد أن يقوم الكونجرس بنشر إعلان مماثل له. خلال الثمانينات من القرن الماضي زاد الكونجرس الديمقراطي من صعوبة التدخل العسكري للرئيس الجمهوري في أمريكا الوسطى، كما فرض الكونجرس الجمهوري قيودًا إضافية على الرئيس الديمقراطي في التسعينيات من القرن نفسه حينما امتنع عن سداد الديون المستحقة للمؤسسات الدولية المتعددة الأطراف وللأمم المتحدة لدى الخزانة الأمريكية(١).

يصف البعض حقبة ما بعد حرب فيتنام بأنها مدة رئاسة "ما بعد الحداثة"؛ لأنها تميزت بانتهاء التأييد المشترك للحزبين لبرامج السياسة الخارجية التي تتبناها الرئاسة، ووضعت حدًّا لخضوع الكونجرس لمبادرات السلطة التنفيذية في هذا الخصوص، واليوم يجب على الرئيس أن يحصل على دعم أو موافقة الكونجرس على الأقل في كل ما يخص برامجه الداخلية والخارجية، وإلا فلن تنجح

---

(١) ريتشارد إم. بيوس، سلطات الرئاسة، في الديمقراطية الأميركية التاريخ والمرتكزات، مجموعة دراسات بعنوان "أوراق الديمقراطية" نشرتها وزارة الخارجية الأمريكية، مصدر سبق ذكره، ١٢٧.

مبادراته في الأمد الطويل، وهذا يعني أن قدرة الرئيس على الإقناع في كل ما يخص سياساته الخارجية، كما هو الحال في السياسة الداخلية، وليس التهديد باستخدام سلطاته الامتيازية، أصبحت هي العامل الحاسم في تحديد نجاح أو فشل هذه السياسات[١].

سواء كان الرئيس قويًّا، أو عرف بالمبادأة أو بالتهرب من اتخاذ قرارات حاسمة، وسواء كان يتشاور مع وزرائه أو يتشاور مع مستشاريه الخصوصيين، فإن الطبيعة الأساسية للبيت الأبيض تفرض اتخاذ قرارات حيوية كثرت أم قلت داخل وحدة اتخاذ القرار ذاته، سواء اتخذها الرئيس بنفسه أو صدرت بموافقته، وتفرض أيضًا أن تكون للعوامل نفسها والقوى الأساسية دورها مرة بعد أخرى في تشكيل القرارات، وقد يتجاهل أحد الرؤساء هذه القوى والعوامل، بل وقد لا يشعر بوجودها، ولكنه لن يستطيع تفاديها[٢].

وفي هذا المجال قال الرئيس إيزنهاور لجون كيندي: "لن تحال إليك مسائل سهلة بوصفك رئيسًا للجمهورية؛ لأن المسائل السهلة تحسم عادة على المستويات الأقل"[٣].

وعلى سبيل المثال، لو لم يتفق الرأي بين المسئولين في البيت الأبيض ووزارة الخارجية على مضمون أحد البيانات الصحفية المتعلقة بالرءوس النووية في كندا لأحيل الموضوع إلى الرئيس شخصيًّا قبل أن تثور العاصفة الصحفية حول هذا البيان، وثمة مثال آخر نذكره في هذا الصدد، وهو أن اللوائح التي اقترحت لتنظيم

---

(١) المصدر نفسه، ص ١٢٧.

(٢) تيودور سورنسن، مصدر سبق ذكره، ص ٢٤ – ٢٥.

(٣) المصدر نفسه، ص ٣٢.

حسابات المصروفات واعتمدت من جميع المسئولين في إدارة الإيرادات الداخلية لم تقدم إلى رئيس الجمهورية إلا بعد أن اصطدمت بمعارضة مريرة من جانب الرأي العام[١].

وبالمثل، نجد أن الرئيس كيندي بوحي من إدراكه لجسامة الخطر الذي أحاط بالصدام الذي وقع بينه وبين السوفييت حول كوبا عام ١٩٦٢ قد عمل على إبقاء المخارج مفتوحة أمامه وأمام السوفييت في الوقت نفسه؛ لإنقاذ العالم من خطر الحرب[٢].

والحق أن هناك ثلاثة أنواع أساسية من القوى تؤثر في معظم القرارات التي تصدر من وحدة اتخاذ القرار، ويمكن تعريف هذه الأنواع بأنها تتألف من مستشاري الرئيس، وسياسات الرئيس، وأخيرًا بصيرة الرئيس ذاته[٣].

إن أي رئيس لا يمكنه أن يمضي في طريقه إلى المدى أو بالسرعة اللذين يدفعه إليهما مستشاروه أو اتجاهاته السياسية وبصيرته الشخصية، فقراراته وآراء مستشاريه تدور كلها في نطاق خمسة حدود على الأقل يجدها دائمًا في مواجهته، وهذه الحدود هي[٤]:

١ - حدود ما تسمح به الظروف.

٢ – حدود الإمكانيات المتاحة له.

٣ – حدود الوقت المتاح له.

---

(١) تيودور سورنسن، مصدر سبق ذكره، ص ٣٦ – ٣٧.

(٢) المصدر نفسه، ص ٤٣.

(٣) المصدر نفسه، ص ٤٥.

(٤) المصدر نفسه، ص ٤٦.

٤ – حدود التزاماته السابقة.

٥ – حدود المعلومات المتاحة له.

وهنا لا بد من الإشارة إلى أن الرئيس في الولايات المتحدة وبموجب الدستور لا يعد مسئولًا أمام الكونجرس إلا أن الأخير له صلاحية الإشراف على الميزانية، وإذا ارتأى الكونجرس عرقلة مشروع من مشروعات الرئيس، فإن بإمكانه أن يستخدم سلاح الاعتماد المالي، وتجربة محاصرة الكونجرس للرئيس جونسون واضحة في هذا المجال. والحق أن الكونجرس الأمريكي استطاع التأثير على الرئيس بنجاح في حرب فيتنام لكنه في عمليات أخرى أقل اتساعا من حرب يشترك فيها نصف مليون جندي أمريكي. فإن الأمور يمكن تسييرها بدون اعتمادات تعرض على الكونجرس؛ إذ في حوزة وكالة المخابرات المركزية الأمريكية من ميزانية ما تكفي من الإنفاق على فعالية من فعاليات السياسة الخارجية، يكفي أن نذكر في هذا المجال أن ميزانية الوكالة في عام ١٩٦٥ بلغت ثمانية بلايين دولار، وعليه يمكننا القول في هذا الشأن بأنه أصبح للرئيس مصدر جديد للتمويل من خلالها[1].

---

(١) محمد حسنين هيكل، حرب الثلاثين سنة ١٩٦٧ الانفجار، مؤسسة الأهرام، القاهرة، ١٩٩٠، ص١٠٧ ص١٠٧ و د. حسين شريف، السياسة الخارجية الأمريكية وتحدياتها من الحرب العالمية الثانية إلى النظام الدولي الجديد ١٩٤٥ – ١٩٩٤، مطبعة الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٩٤، ص١٩. وللمزيد من التفاصيل حول العلاقة بين الرئيس والكونجرس في الولايات المتحدة الأمريكية راجع: إميل هوبنر، النظام السياسي في الولايات المتحدة الأمريكية، ترجمة عدنان عباس علي، مركز الإمارات للدراسات والبحوث الإستراتيجية، أبو ظبي، ٢٠٠٩، ص ١٣٥ – ١٦٦.
يمنح الدستور الكونجرس السلطات التشريعية كافة المكفولة للحكومة الفيدرالية، وتتضمن هذه السلطات الحق في فرض الضرائب، وفي تحديد كيفية إنفاق الأموال المفروضة المجباة من =

وهكذا حاولت وكالة المخابرات المركزية الأمريكية التنسيق مع شركات أمريكية عملاقة في إطار الشركات متعددة الجنسيات، وحكومات أجنبية في بعض الحالات، التي هي مستفيدة من نجاح عملية معينة، الإسهام في تكاليفها، وقد جرى هذا في بعض الحالات وبعلم الرئيس واسمه، وهنا لا بد أن نستشهد بتمويل عمليات الكونغو ومن خلال احتكار الماس العالمي التي كان من نتائجها اغتيال لومومبا وإيصال موبوتو إلى السلطة في زائير، وإسهام بعض الحكومات العربية في المجال المالي في تمويل الوكالة التي بدأت في أنجولا وانتهت في نيكاراغوا، وأكثر من هذا تم مفاتحة بعض رجال الأعمال الأمريكيين باسم جونسون إلى ريغان، من التبرع بملايين الدولارات لعمليات سرية من أجل الحد من نشاط الشيوعية الدولية، أو ما قام به رجل الأعمال الأمريكي الكبير سبيتز شانل من ولاية تكساس من دفع مليون دولار تبرعًا في قضية إيران-

=

الضرائب المفروضة.

تعد هذه الوظيفة من السلطات غير العادية، وهذه السلطة:

- فرض الضرائب والإنفاق يعطي الكونجرس القوى المدرك لصلاحياته الدستورية والراغب في ممارسة سلطاته يعد مساويًا تمامًا للرئيس ويمكن أن يؤثر تأثيرًا هامًّا على مصير الدولة. راجع: جود، مصدر سبق ذكره، ص١١-١٢.

والحق، تتضمن هذه السلطة الإشراف أو السيطرة على الإنفاق والذي يشبه أي عمل تجاري، وبدونها لا يمكن إدارة السياسة الخارجية بدون اعتماد، ومن ناحية أخرى، يمنح الدستور الأمريكي للكونجرس سلطة إقرار القوانين والقرارات، ولا سيما إذا عرفنا أن قسمًا منها يتعلق برسم الاتجاهات الجديدة في السياسة الخارجية، فضلًا عن سلطة إسداء النصيحة وموافقة مجلس الشيوخ للتصديق على المعاهدات، والتصديق على تعيينات السفراء. راجع:

Temple Wanamaker, American Foreign Policy Today, Printed In The U.S.A., 1965, p.19.

كونترا[١]، ومشاركة ريتشارد ميللر، رجل الأعمال الكبير، بخمسة ملايين دولار، وإسهام سلطان بروناي بعشرة ملايين دولار وبطلب من الرئيس ريغان، وقيام السعودية بدفع سبعين مليون دولار[٢].

وقد أصر ساذرلاند على أن السياستين الداخلية والخارجية أمران مختلفان سواء بالنسبة لأصلهما أو طبيعتهما، واستشهد بمثال معين يكمن في أن الولايات المتحدة لم تمتلك أبدًا سلطات دولية ككيانات فردية، وأنه بعد انفصالها عن بريطانيا انتقلت سلطات السيادة الخارجية من التاج البريطاني إلى المستعمرات في وضعها الجماعي والمشترك بوصفها الولايات المتحدة، وليس إلى المستعمرات بحالتها الفردية، ومن خلال تحويل السياسة الخارجية بالهيئة الخارجية مباشرة إلى الحكومة الوطنية، ومن ثم ربط السياسة الخارجية بالمؤسسة

---

(١) الكونترا، هي المجموعات المسلحة التي قاتلت ضد الحكومة الساندينية بعد انتصار الثورة النيكاراغوية. كان نشاط الكونترا ينطلق من معسكرات لهم في الدول المجاورة وخاصة الهندوراس بتمويل ودعم من الولايات المتحدة، وعند سقوط الساندينيين وتولي حكومة شامورو وضع برنامج لدمج الكونترا في الشرطة والجيش، أما الثورة الساندينية التي أنهت عام ١٩٧٩ ديكتاتورية سوموزا في نيكاراغوا فكانت بقيادة الجبهة الساندينية للتحرير الوطني F.S.L. التي حكمت برئاسة دانييل أورتيغا حتى عام ١٩٩٠. تجدر الإشارة في هذا المجال إلى أن الجبهة الساندينية للتحرير الوطني هي التي فازت بهذه الانتخابات، لكن الولايات المتحدة ووسائل الإعلام فيها تصر على أن انتخابات ١٩٩٠ التي خسرتها الجبهة الساندينية هي أول انتخابات حرة في نيكاراغوا، وقد فاز في هذه الانتخابات تحالف ضم كل القوى المعادية للساندينيين برئاسة فيوليتا شامورو. راجع: نعوم تشومسكي، سنة ٥٠١ الغزو مستمر، مصدر سبق ذكره، ص ٦٥، ٧٤، ٣١٧.

(٢) فيشر، مصدر سبق ذكره، ص ١٠٧-١٠٨.

التنفيذية[1].

والحق أن الفرضية التي ذهب إليها ساذرلاند ليست صحيحة؛ لأن السياسة الخارجية لم تشمل المستعمرات والولايات كي تنقل مباشرة إلى هيئة تنفيذية مستقلة؛ ففي عام ١٧٧٦ لم يكن هناك رئيس أو فرع تنفيذي منفصل؛ فقد كان فرع واحد من الحكم يعمل على الصعيد الداخلي وهو الكونجرس الأول الذي تولى مهمات الحكم جميعًا بما فيها التشريعي والتنفيذي والقضائي، فضلًا عن ذلك فإنه في المدة الواقعة ما بين ١٧٧٤-١٧٨٨[2] تصرفت المستعمرات (الولايات) ككيانات مستقلة، وليس كأجزاء من جسم جماعي عرف بأنه الولايات المتحدة، وكانت الولايات المتحدة تعمل بحرية واستقلالية عن بعضها البعض، وفي أعقاب انفصالها عن بريطانيا مارست سلطة السيادة لعقد المعاهدات واقتراض المال والبحث عن السلاح وفرض الحظر وجمع المكوس، وتنفيذ

---

(١) المصدر نفسه، ص ١٩٠.

(٢) كان للشئون الخارجية أثر كبير في الولايات المتحدة بعد صدور دستور عام ١٧٨٧. إن استغلالَ حدثِ الاستقلال من ناحية، والدفاع عنه من ناحية أخرى، ومتطلبات وجود جهاز جديد للحكومة من ناحية ثالثة، كان بحاجة إلى أدوات عسكرية ودبلوماسية اقترنت في هذه الحقبة بنشاط كبير للسياسة الخارجية الأمريكية. ومن وجهات النظر الأمريكية أن نشأة وتطوير الدستور كانت بحاجة إلى وجود دولة مركزية تقوم بتمثيل المستعمرات المستقلة حديثًا في المجالات الدبلوماسية. راجع: بروسترك. ديني، نظرة شاملة على السياسة الخارجية الأمريكية، ترجمة د. ودودة عبد الرحمن بدران، الدار القومية للنشر والتوزيع، القاهرة، ١٩٩١، ص١٢.
والحق، أن واضعي الدستور في الولايات المتحدة كانوا يرومون منح الحكومة المركزية جميع السلطات التي تحتاجها لإدارة السياسة الخارجية، وكيفية الدفاع المشترك عن الدولة. راجع: المصدر نفسه، ص ١٤.

الحملات العسكرية المنفصلة[١].

وفي حالات أخرى اعترفت المحكمة العليا بأن الولايات المتحدة احتفظت بسلطة السيادة عند استقلالها مباشرة عن بريطانيا، وحتى إن سلطة السيادة الخارجية انتقلت بصورة ما سليمة من التاج البريطاني إلى ولايات أمريكية متحدة، تبقى الحقيقة البسيطة وهي أن الدستور يوزع سلطة السياسة الخارجية على الكونجرس والرئيس معًا[٢].

يقول آرون ويلدافسكي: إن الرؤساء أكثر قدرة على الانتصار في كفاحهم السياسي ضد الكونجرس عندما تكون القضية ذات علاقة بالسياسة الخارجية. وبالرجوع إلى المدة الواقعة ١٩٤٨-١٩٦٤ توصل آرون ويلدافسكي إلى فرضية أن الرؤساء منذ الحرب العالمية الثانية حققوا نجاحًا أكبر بكثير في السيطرة على سياسات الأمة الدفاعية والخارجية من السيطرة على سياساتها الداخلية[٣].

---

(١) فيشر، مصدر سبق ذكره، ص ١٩٠-١٩١.

سلطة إقرار أو رفض المعاهدات تعطي الكونجرس نفوذًا هامًّا في صنع السياسة الخارجية الأمريكية. راجع: ستيفن جود، مصدر سبق ذكره، ص١٣. و:

Walter J. Oleszek, Congress & Its Members, Washington, D. C., P. 17.

(٢) فيشر، مصدر سبق ذكره، ص ١٩١.

(٣) المصدر نفسه، ص ١٩١.

وبعد انقضاء ثماني سنوات من دراسة ويلدافسكي اكتشف دونالد بييرز أمرًا آخر مختلفًا؛ إذ إن سنوات جونسون ونيكسون ضيقت الفجوة للسلطة الرئاسية في القطاعين الداخلي والخارجي[١].

ويعترف المسئولون التنفيذيون بأن التمييز بين السياسة الخارجية والداخلية هو أمر شكلي، وعلى سبيل المثال فقد سعى مسئولون في إدارة نيكسون للحصول على حرية كاملة في التنصت على عملاء أجانب ومنظمات محلية، وأصرت الحكومة على أن السياسة الخارجية والداخلية متداخلة إلى درجة لا يمكن التخلص منها، وأن أية محاولة لإجراء تمييز قانوني بين تأثير السياسة الخارجية والمسائل الخاصة بنشاطات تخريبية محلية هي ممارسة فاشلة. وفي عام ١٩٩١ جابه الرئيس بوش معارضة قوية لرحلاته الخارجية، فقد نُظر إليه على أنه أكثر اهتمامًا بالمشكلات الدولية منه بالمشكلات الداخلية، وبالاتحاد السوفييتي من كاليفورنيا، ورد بأن الجهود التي تستهدف تشجيع الاتفاقات التجارية مع الدول الأخرى سيفيد الصادرات الأمريكية؛ إذ قال: "أظن أن جوهر الموضوع هو أنك لا تستطيع أن تفصل السياسة الخارجية عن السياسة الداخلية"[٢].

حسب التعديل الثاني من الدستور الأمريكي فإن الرئيس يمتلك القوة والصلاحيات لعقد المعاهدات مع الدول الأجنبية، فضلًا عن تعيين السفراء، كما أنه القائد الأعلى للقوات المسلحة الأمريكية الموجودة في بعض مناطق العالم. وعلى الرغم من أن الكونجرس لا بد أن يوافق على قرارات الرئيس، فإن

---

(١) المصدر نفسه، ص ١٩١-١٩٢.

(٢) فيشر، مصدر سبق ذكره، ص ١٩٢-١٩٣.

القوانين الأمريكية تعطي اليد العليا للمؤسسة التنفيذية في مجال السياسة الخارجية، وبمساعدة من مجلس الأمن القومي ووزارتي الخارجية والدفاع فإن البيت الأبيض يحدد طبيعة أهداف السياسة الخارجية، فضلًا عن حماية المصالح الأمريكية خلف البحار، وسواء تم ذلك من خلال تقوية العلاقات الدبلوماسية، أو من خلال اللجوء للخيار العسكري، فإنه في كل الأحوال تظل هذه الأجهزة مسئولة عن إنجاز الأهداف التي يضعها الرئيس الأمريكي بوجه عام)[١].

كانت المعاهدات هي مصدر الصراع في الولايات المتحدة بين الرئيس والكونجرس في مناسبات كثيرة، ولعل من بين ذلك معاهدة فرساي التي انبثقت منها عصبة الأمم (أعد مشروع ميثاق العصبة كل من الأمريكي دافيد ميلر والإنجليزي سيسل هرست، وتبناه الرئيس ويلسن الذي طرحه بدوره على اللجنة بتاريخ ٢٨ نيسان ١٩١٩، علمًا بأن ويلسن لم يحضر الجلسة؛ لأن الولايات المتحدة لم تكن تنضم إلى عصبة الأمم بسبب عدم موافقة الكونجرس الأمريكي على معاهدات الصلح ككل[٢]. وعليه فقد كانت هناك محاولات من قبل رؤساء الولايات المتحدة لأن يكون لهم رجحان على الكونجرس في عملية

---

(١)) هانس مورجانثو، السنة الأمريكية في السياسة الخارجية في روي مكريدس، مناهج السياسة الخارجية في دول العالم، ترجمة الدكتور حسن صعب، بيروت، ١٩٦١، ص٣٨٣-٣٨٤.

(٢) حرب ١٩١٤-١٩٤٥، بيروت (بلا)، ص١٢٩-١٣٠. وللمزيد من التفاصيل حول ذلك راجع: الدكتور صالح جواد الكاظم، دراسة في المنظمات الدولية، مطبعة الإرشاد، بغداد، ١٩٧٥، ص٧٧-٧٩ والدكتور حسن العطار، المنظمات الدولية، مطبعة شفيق، بغداد، ١٩٧٠، ص٧٢-٧٣ و:

Temple Wanamakaer,Op.Cit., p.19.

صنع القرار في السياسة الخارجية، ومن خلال الاتفاقيات التنفيذية التي عقدها هؤلاء، وهذه الاتفاقيات شبيهة بالمعاهدات مع فارق أنها ليست بحاجة إلى موافقة مجلس الشيوخ، وعليه يلجأ الرئيس إليها في وقت السلم والحرب من أجل عدم إخضاع قراراته الخارجية للكونجرس، معطيًا محادثاته السياسية مع الدول الأخرى صفة الاتفاقات التنفيذية، وهناك أمثلة على ذلك، لعل من بينها قيام الرئيس الأمريكي في أعقاب الحرب العالمية الثانية بتسليمه لبريطانيا ومن خلال تفاقمه معها عددًا من الطرادات إلى أن وقع اتفاقية بوتسدام، ويفوق عدد هذه الاتفاقات في بعض السنوات عدد المعاهدات، وقد حدث هذا فعلًا في عام ١٩٣٩، فقد بلغ عددها ستًّا وعشرين ولم يزد عدد المعاهدات عن العشر، وكانت هذه المسألة واضحة في تغلب هذه الاتفاقات على المعاهدات في المدة الواقعة بين ١٩٥٠-١٩٥٩(١).

وهناك قوانين يتبناها الكونجرس تعد غير ملزمة للرئيس في الولايات المتحدة، وعلى سبيل المثال تبني مجلس النواب الأمريكي قانونًا غير ملزم في ١٦ شباط من العام ٢٠٠٧ يمنع زيادة عدد القوات الأمريكية في العراق، وكان نتيجة ذلك أن صوت ٢٤٦ نائبًا لصالح القرار و١٨٢ نائبًا صوتوا ضد قرار منع زيادة القوات. ومن القرارات غير الملزمة ما تبناه مجلس الشيوخ الأمريكي في ١٤ أيلول ٢٠٠٧، قرار حول تقسيم العراق، الداعي إلى تقسيم العراق إلى ثلاثة كيانات للشيعة والسنة والأكراد، مع حكومة مركزية مكلفة بأمن الحدود وإدارة الموارد النفطية فقط، إلا أن الرئيس بوش الابن رفض قبل عدة أشهر الدعوة

---

(١) هانس مورجانثو، السنة الأمريكية في السياسة الخارجية في روي مكريدس، مناهج السياسة الخارجية في دول العالم، ترجمة الدكتور حسن صعب، بيروت، ١٩٦١، ص٣٨٣-٣٨٤.

نفسها، وقال معلقًا عليها في مقابلة أجرتها معه محطة فوكس نيوز: "إن تقسيم العراق إلى ثلاث مناطق تتمتع بالحكم الذاتي أمر سيخلق ليس فقط وضعًا من شأنه أن يجعل السنة والدول السنية والمتطرفين السنة يتناحرون مع المتطرفين الشيعة، بل إن الأكراد سيخلقون مشاكل مع تركيا وسوريا".

فكرة تقسيم العراق إلى دويلات ثلاث كردية وسنية وشيعية ليست جديدة على العقل الأمريكي، فقد تناولها بعض الساسة والباحثين في حقب زمنية مختلفة، وعرضوها بصيغ وعبارات متعددة، والحق أن دول الجوار الجغرافي للعراق ترفض تقسيمًا مماثلًا مستشعرة تهديدًا إستراتيجيًّا لها.

ومن القرارات غير الملزمة ما قام به مجلس النواب الأمريكي من تبني قرار حول الأرمن، حيث صوتت لجنة في الكونجرس الأمريكي على نص يعترف بموضوع ما يسمى "بإبادة الأرمن"، أمام هذا أعرب البيت الأبيض عن خيبة أمله من التصويت على ذلك، في حين نددت تركيا على قرار الكونجرس هذا، حيث قامت باستدعاء سفيرها بواشنطن، وفي هذا الشأن صرح رئيس الوزراء التركي رجب طيب أردوغان قائلا: "سنتخذ مزيدًا من الإجراءات ضد قرار لجنة الكونجرس". من ناحية أخرى، أشار ناطق باسم البيت الأبيض إلى أنه يأمل في عودة سريعة للسفير التركي في واشنطن، ونتيجة لذلك ألغى وزير تركي زيارة مقررة للولايات المتحدة على خلفية هذا القرار، الأمر الذي دفع بالإدارة الأمريكية إلى إرسال مبعوثين أمريكيين إلى تركيا لتخفيف أثر ذلك. أما فيما يخص موقف المؤسسة التركية إزاء ذلك، فقد حذر رئيس هيئة الأركان التركي يشار بيوكانيت، في لقاء مع صحيفة ملليت في ١٣ تشرين الأول من العام ٢٠٠٧، واشنطن من تبني قرار يشير إلى تعرض الأرمن في عهد العثمانيين إلى "إبادة جماعية"، قائلًا: "علاقتنا العسكرية مع واشنطن لن تبقى كما هي عليه إذا صدر

قرار "إبادة الأرمن". وأضاف بيوكانيت قائلًا: "الولايات المتحدة دولة حليفة مهمة لتركيا، لكن الحليف لا يتصرف على هذا النحو".

وفي هذا السياق أكدت رئيسة مجلس النواب الأمريكي نانسي بيلوسي على عرض نص قرار للتصويت يصف مذابح الأرمن بأنها إبادة[١] وأضافت قائلة: "تبني هذا القرار سيعيد تلميع القيم التي تدافع عنها الولايات المتحدة". والحق أن هناك إصرارًا من الديمقراطيين في الولايات المتحدة على تصعيد قضية مذابح الأرمن، وأثر ذلك على العلاقة مع تركيا. من ناحية أخرى قللت بيلوسي من أهمية التهديدات التركية، واصفة إياها بأنها مجرد إجراءات افتراضية. ولكن من ناحية أخرى عارض نواب ديمقراطيون مشروع القرار هذا.

أما البيت الأبيض فإنه ذهب قائلًا: "هذا القرار سيؤذي المصالح الأمريكية في أوروبا والشرق الأوسط. مضيفًا أنه سيعترض على هذا القرار الذي سيضر العلاقة مع تركيا، وفي هذا المعنى ذكر متحدث باسم البيت الأبيض أنه يأسف

---

(١) صوت مجلس الشيوخ الفرنسي في ٢٤ كانون الثاني من العام ٢٠١٢ على مشروع قانون جريمة ما تُسمى بـ"إنكار إبادة الأرمن" التي وقعت أثناء الحرب العالمية الأولى بواقع ١٢٧ صوتًا أمام معارضة ٨٦ عضوًا وامتناع ٢٤ عضوًا، بعد موافقة مجلس النواب على ذلك قبل شهر من هذا التاريخ.

نددت تركيا بقرار مجلس الشيوخ الفرنسي، حيث عده رئيس الوزراء التركي رجب طيب أردوغان بأنه تمييزي وعنصري، في الوقت الذي دعا فيه وزير خارجية فرنسا ألان جوبيه إلى الهدوء والحفاظ على طبيعة العلاقات الفرنسية التركية. وفي ظل هذه التطورات هددت تركيا من القيام بتخفيض التمثيل الدبلوماسي مع فرنسا.

رأى المواطنون الأتراك من أصل أرمني أنه ليس بالإمكان إجبار أي أحد على قبول شيء أو إنكاره، في حين عدت أرمينيا التصويت الفرنسي مبادرة تاريخية.

لجهل بيلوسي بالقلق الذي أثاره مشروع القرار. وفيما يخص زعيم المعارضة الجمهورية بمجلس النواب جون بويهر فإنه انتقد بشدة موقف بيلوسي، مشيرًا إلى أن هذا الأمر وقع قبل تسعين عامًا، ويجب تركه للمؤرخين لا السياسيين في واشنطن.

تقول كوندوليزا رايس في مذكراتها: توسلت إلى رئيسة المجلس نانسي بيلوسي أن تفعل شيئًا لمنع التصويت، لكنها قالت: ما بيدها شيء. أدليت ووزير الدفاع بوب غيتس ببيان للصحافة خارج البيت الأبيض نؤكد معارضتنا مشيرين إلى أن قادتنا العسكريين في العراق أثاروا احتمال أن نفقد قواعد هامة في تركيا، وجاء ثمانية وزراء خارجية سابقون للتوقيع على كتاب يعارض الإجراء الذي اتخذه الكونجرس بهذا الخصوص، كل ذلك حصل بشأن قرار يدين شيئًا وقع قبل ما يقرب من مائة عام، فالأمر يعود للمؤرخين -وليس للساسة- لأن يقرروا كيف تكون تسمية ما حدث. استطعنا إقناع الأتراك بأننا سنفعل كل ما يمكن عمله لمنع التصويت في الكونجرس بكل أعضائه، وقد فعلنا. إن هذا مجرد مثال لنزوع الكونجرس للتلاعب بأمور ساخنة جدًّا للتدخل في مسار السياسة الخارجية"[١][٢].

وتضيف رايس قائلة: "وكانت هذه القضية أكثر إثارة للحنق؛ لأن الحكومة الأرمينية المنتخبة ديمقراطيًّا ليست مهتمة بهذا القرار، بل الواقع أنها كانت تسعى لتحسين علاقاتها مع تركيا ولم تكن بحاجة له، إن فصل السلطات لم

---

(١) كوندوليزا رايس، ذكريات من سني حياتي أسمى مراتب الشرف، ترجمة وليد شحادة، دار الكتاب العربي، بيروت، ٢٠١٢، ص ٦٨٠.

(٢) المصدر نفسه، ص ٦٨٠.

يكن يومًا لفائدة المصالح الأمريكية، ولم تكن الدول راغبة في تصديق أن رئيس الولايات المتحدة لم يستطع منع التصويت لمثل هذا النوع من القرارات لو أنه أراد ذلك حقًّا".

يدعي الأرمن قيام الدولة العثمانية في الحرب العالمية الأولى بقتل ٨٠٠،٠٠٠ أرمني وما يزيد. والحق أن القتلى بين ٢٥٠ ألف و٥٠٠ ألف شخص، تآمروا مع روسيا القيصرية ضد الدولة العثمانية أثناء الحرب العالمية الأولى.

وهنا لا بد من الإشارة إلى أن الولايات المتحدة قامت بإبادة ملايين من السكان الأصليين من الهنود الحمر، فضلًا عن قيامها بغزو العراق في العام ٢٠٠٣ وما ترتب عليه من القتل والتشريد ضد الشعب العراقي، وهذا يعني أنه في حالة إصدار هذا القرار من قبل الإدارة الأمريكية تكون قد ناقضت نفسها.

فضلًا عن ذلك، تبنى مجلس النواب الأمريكي قرارًا غير ملزم في ١٠ أيلول من العام ٢٠١٠ لتبني الحوار بين كوسوفو وصربيا.

وهناك أسباب عديدة دفعت الكونجرس الأمريكي لعدم الموافقة على معاهدات الصلح، يمكننا إيجازها في الآتي:

١- تم إعطاء بعض التنازلات الإقليمية للدول المنتصرة الأخرى، والشروط القاسية التي فرضت على ألمانيا والتي تم قبولها من قبل ولسن كي يتم الوصول إلى اتفاق.

٢- الأخطاء الإستراتيجية والتكتيكية التي ارتكبها ولسن بسبب آرائه الكالفينية ومرضه، وأنه كان سابقًا لعصره.

٣- فضلًا عن هذا فإن عصبة الأمم في ظل تحفظات لودج ومشاركة الولايات

المتحدة كانت ستكون خطوة إيجابية إلى الأمام؛ إذ إن المادة ١٠ لم يكن لها معنى كبير على أي الأحوال.

٤- يعتقد دين أتشيسون أن دبلوماسية القمة التي تبناها ولسن كانت السبب في إخفاقه، فقد حدت من تأثيره على مائدة المفاوضات (بسبب وجوده شخصيًّا هناك)، وفي واشنطن وفي الولايات المتحدة بصورة عامة (بسبب عدم وجوده هناك)[1].

اكتشف الكونجرس الأمريكي أن إدارة جونسون دخلت في عدد من الاتفاقيات التنفيذية (هي اتفاقية بين الرئيس ودولة أخرى ولها قوة المعاهدة، ولكن لا تتطلب الأخذ بنصيحة الكونجرس وموافقته) السرية التي تحتوي على وعود بتقديم أموال أمريكية إلى دول أجنبية مقابل استعدادها لمنح تأييدها الرمزي للحرب الفيتنامية.

وقد أيدت المحكمة العليا هذه الاتفاقيات، وتدخل سلطة الاعتراف بحكومات أجنبية من ضمن هذه الاتفاقيات. وتقر وزارة الخارجية الأمريكية بأن الاتفاقيات التنفيذية يجب ألا تتضارب مع تشريع سنّه الكونجرس خلال ممارسته لسلطته الدستورية، وإذا ما تعارضت اتفاقية تنفيذية مع قانون معمول به في مجال مفوض للكونجرس مثل التجارة الخارجية فإنها تكون قابلة للإلغاء من قبل المحاكم.

هناك ما يسمى بـ"البيانات السياسية المتوازية" التي لها علاقة بتخطي الرئيس الكونجرس، وهي وإن كانت لا تلزم المؤسسة التشريعية أو الدولة نظريًّا

---

(١) بروسترك. ديني، مصدر سبق ذكره، ص ٨٢.

فهي قد تلزم البلاد حقًّا باتخاذ طريق معين في النشاط الأمريكي، وقد تكون هذه البيانات من جانب واحد أو من جانبين أو من جوانب متعددة؛ ففي ٢٣ أيلول ١٩٧٧ وقبل عشرة أيام من انتهاء مفعول اتفاقية سولت -١ للرقابة على الأسلحة أصدرت الولايات المتحدة والاتحاد السوفييتي بيانين جاء فيهما أن البلدين سيلتزمان بالأسقف التي حددتها الاتفاقية. وطالما أن البيانين صدرا بشكل منفصل وأحادي فقد قالت وزارة الخارجية الأمريكية بأنهما لا يشكلان اتفاقية، ولذلك فلا داعي لإبلاغ ذلك إلى الكونجرس(١).

وهنا لا بد من الإشارة إلى الضغط الذي مارسه الكونجرس على إدارة كلينتون فيما يخص موضوع إيران الذي يفسر بالدور الرئيس الذي قام به في عملية صنع القرار، وذلك عند قيام الكونجرس بتشريع قانون يعاقب أية شركة أجنبية تستثمر ٤٠ مليون دولار أو أكثر في المجال التنظيمي والصناعي الإيرانيين، والذي عُدَّ قانونًا في صيف عام ١٩٩٦(٢).

---

(١) فيشر، مصدر سبق ذكره، ص٢٠١-٢٠٢. وللمزيد من التفاصيل راجع: دكستر بركنس، فلسفة السياسة الخارجية الأمريكية دراسة وتحليل، تعريب الدكتور حسين عمر، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ١٩٥٢، ص ١٧٩. وثيودور لووي، مصدر سبق ذكره، ص ٣١٥. و:

Havard, William C., Government and Politics of the United States, London, 1965, PP.89-90 ; Wanamaker Temple, American Foreign Policy Today, U.S.A., 1966, PP.16-21; Larry J. Sabato, Essentials Of American Government Continuity & Change, New York, 2002, PP. 191-194., Walter J. Oleszek, Congressional Procedures & The Policy Process, Fifth Edition, Washington, D. C, P17, Oleszek, O P. Cit., PP 293-294., Sabato, Op. Cit pp. 191-192.

(٢) فواز جرجس، السياسة الأمريكية تجاه العرب.. ومن يصنعها؟ ط٢، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ٢٠٠٠، ص٨٦.

هناك مثال آخر لتجاوز الرئيس بوش الأب لصلاحياته الدستورية، وذلك في أزمة الكويت في المدة الواقعة بين ١٩٩٠-١٩٩١ عندما حاول تنفيذ التزام ما يسمى بـ"عاصفة الصحراء" من خلال إرسال ٢٠٠ ألف جندي إلى المملكة العربية السعودية لمواجهة الرئيس العراقي السابق صدام حسين في الكويت، وفي هذا المجال كتب الرئيس بوش رسالة إلى الكونجرس من أجل تنفيذ هذا الالتزام أن بعضًا من المسئولين في الإدارة الأمريكية حثوا الكونجرس على إعطاء الرئيس الحق في التصويت إلى جانب هذا القرار[1].

كان من المتوقع وضع وزارة الدفاع الأمريكية في خانة الصقور، إلا أن بعضًا منهم، وفي مقدمتهم وزير الدفاع ديك تشيني المرشح الجمهوري لمنصب نائب الرئيس أثناء حملة الانتخابات الرئاسية سنة ٢٠٠٠ (شغل ديك تشيني في عهد ريغان منصبًا داخل البنتاغون، استمر من آذار عام ١٩٨٩ حتى كانون الثاني عام ١٩٩٣، لينصرف إلى تحقيق مطامعه لدى الشركة النفطية هاليبرتون، تميزت حياته وعمله بالسرية لدوافع أمنية، تورط في فضائح تنوعت بين المالية والأخلاقية، ارتكبها بحق الطفولة داخل البيت الأبيض بالاتفاق مع الكولونيل مايكل أكوينو وآل بوش، وشهدت على ذلك ضحية من ضحاياه تدعى كاثي أوبريت، تولى تشيني وزارة الدفاع ما بين ١٩٨٩ – ١٩٩٣ أيام رئاسة جورج بوش الأب، كان لبرنت سكوكروفت يد ورأي في ترشيح تشيني لمنصب وزارة الدفاع في الإدارة البوشية السابقة، ويعد تشيني أقوى نائب رئيس في التاريخ الأمريكي، وأكثر من يتحركون في الخفاء، حتى إن أحدًا بالكاد يلحظه في تحركاته، وأكبر كاتم للأسرار أيضًا عرفته الولايات المتحدة من بين كل سياسييها،

(1) Jentleson, Op. Cit.,pp.191-192.

وقد رد تشيني عندما سئل ذات مرة في عام ٢٠٠٤ عن رأيه في وصف البعض له بأنه رجل يحب أن يعمل في الظلام، فقال: "هل أنا شيطان عبقري إلى هذه الدرجة، منزو في أحد الأركان، لا أحد يراه، وهو يخرج ويدخل من فتحات صغيرة مجهولة؟! إذا كان الأمر كذلك فأنا أرى أنها طريقة مثالية لمباشرة الأعمال".

ويقدم تشيني النصح والمشورة للرئيس بوش الابن كلما التقى به على انفراد بعيدًا عن باقي فريق بوش، ورغب بوش في هذه الطريقة حيث يقول بوش بهذا الصدد: "ألتقي به مرة في الأسبوع، ونتبادل الحديث، وكلانا يبقي اللقاءات سرًّا". ولا يبدو أن أيًّا منهما يدرك كم تعرقل قناة الاتصال السرية هذا الإفصاح الكامل عن الآراء والبدائل داخل مجلس الأمن القومي؛ إذ كان لا يجرؤ أحد على تحدي تشيني؛ لأنه لا يعرف بالضبط ما قاله لبوش، وقرارات بوش كلها تحمل، قصدًا أو عفوًا، المباركة الضمنية لنائب الرئيس. يغرم تشيني بالقول –مداعبًا- إنه الشخص الوحيد في الجناح الغربي الذي يستحيل طرده من عمله؛ لأن الأمريكيين صوتوا له بالاسم في انتخابات عامي ٢٠٠٢ و٢٠٠٤. لكنه عرف أن الرئيس يمكن أن يقطع الصلة بنائبه ويستثنيه من الاجتماعات والحوارات المتعلقة برسم السياسة.

عمل تشيني على ضبط أقواله ومعايرة أفعاله وحساب تصرفاته العلنية، بحيث يبدو امتدادًا لبوش لا مجرد صدى لصوته، وأدى مهمة رسول الرئيس ومندوبه، وفي عام ٢٠٠٤ حين تفجرت فضيحة إساءة معاملة السجناء في أبو غريب قدم رمسفلد استقالته مرتين، فأرسل الرئيس تشيني إلى البنتاغون للحديث مع معلمه القديم، ونجح تشيني حين جلس في مكتب وزير الدفاع، الذي شغله بين عامي ١٩٨٩ – ١٩٩٣ في إقناعه بالبقاء، لن نقبل استقالتك، كما قال تشيني.

صحيح أن أبو غريب مشكلة، لكن من غير المناسب أن يحمل رمسفلد العبء كله على عاتقه، ويجب ألا يخسر وظيفته بسبب حفنة من الجنود غير المنضبطين، فهو أثمن وأهم. تطلب الأمر ساعة، ووافق رمسفلد على البقاء، قال لتشيني: "إذا حملت المسئولية فسوف أخرج من هنا، يجب أن يعرف الرئيس أني على استعداد للرحيل"(١).

ويتهم الأمريكيون تشيني بالانحراف بسياسات بوش في غير صالح الأمريكيين، ووفق رؤيته الذاتية، ومصلحته الشخصية، ووصفه جون دين المستشار السابق للرئيس نيكسون في كتابه "محافظون بلا ضمير" مثلًا بأنه: "نذير شؤم على الأمريكيين"، وفي موضع آخر من كتابه بأنه "موسوليني". كما وصفه جورج تينيت في مذكراته في قلب العاصفة: سنواتي في سي. آي. إيه بأنه: "دائمًا يحرك بوش من وراء الكواليس للأسوأ". في الوقت الذي تتعالى الأصوات في الولايات المتحدة للمطالبة بإقصاء تشيني: "شخص شديد الخطورة وغير مرغوب في وجوده"(٢). وفي هذا الشأن يقول تشيني: "لا بد لنا بالفعل من إطلاع الرئيس المنتخب على بعض الأمور، وأنه يريد نقاشًا جادًّا حول العراق وخيارات مختلفة". وكان يحتمل شعورًا عميقًا بوجود عمل لم يتم إنجازه بالنسبة إلى العراق، كان

---

(١) بوب ودوارد، الحرب الداخلية التاريخ السري للبيت الأبيض بين عامي ٢٠٠٦ – ٢٠٠٨، ترجمة معين الإمام، العبيكان، الرياض، ٢٠١١، ص ٢٦٨ – ٢٦٩. وديك تشيني مع ليز تشيني، مصدر سبق ذكره، ص ٤٣٦.

(٢) الدكتور شادي فقيه، من يحكم أمريكا اللوبيات الحاكمة وآليات صنع القرار، دار القلم للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، (بلا)، ص ٧٢. ومجدي كامل، بلاك ووتر، جيوش الظلام المرتزقة الجدد وفن خصخصة الحرب بزنس الموت على الطريقة الأمريكية، دار الكتاب العربي، دمشق – القاهرة، ٢٠٠٨، ص ٧٤ – ٧٦.

تشيني راغبًا في ضمان تمكين بوش من فهم جملة القضايا العسكرية وغير العسكرية في احتمالات الحرب مع العراق، وكان يرى الإبقاء على الضغط الأمريكي على العراق.

تجدر الإشارة في هذا المجال إلى أنه في عام ١٩٩٠، قبل حرب الخليج الثانية، طلب تشيني من الرئيس جورج هيربرت ووكر بوش ألا يسعى إلى موافقة الكونجرس على طلبه لشن حرب لإخراج القوات العراقية من الكويت، واختار بوش الأب عدم الأخذ بنصيحة وزير دفاعه، إلا أن تشيني أضاف بعد لحظة أن إدارة بوش الأولى قد امتنعت من إسقاط الرئيس صدام حسين؛ لأنها لم تكن تريد أن يتصور أحد أن الولايات المتحدة قوة استعمارية تدخل إلى العواصم عنوة في ذلك الجزء من العالم وتسقط حكوماتها، غير أن مركز الثقل فيما يخص العراق كان قد انتقل من البيت الأبيض إلى الدفاع أولًا والخارجية ثانيًا، وبالتالي فقد تشيني نفوذه في عملية صنع القرار[١] ورئيس هيئة الأركان العامة كولن باول، عارضًا الخيار العسكري مع العراق، وكان هناك اعتقاد من باول بأنه: "لا يوجد استخدام شرعي للقوة العسكرية بدون هدف سياسي"، وعليه فقد قدم تشيني اقتراحًا ثابتًا، مؤداه أن بالإمكان خدمة الرئيس بصورة أفضل لو قام باول بتقديم النصيحة السياسية للإدارة الأمريكية في الأيام الأولى من أزمة الكويت. والحق، شعر باول بأن من المهم الحصول على تصريح الكونجرس، فقد كان يخشى إرسال القوات الأمريكية إلى الحرب دون مساندة صريحة من الكونجرس، وفي هذا المجال لا بد من الإشارة إلى أن باول الذي كان مترددًا في إلزام القوات الأمريكية بالخليج في المقام الأول، كان له دور فاعل في وقف

---

(١) بوب ودوارد، حالة إنكار حرب بوش، مصدر سبق ذكره، ص ٤٨٧.

الحرب في ٢٧ شباط ١٩٩٢ وذلك وفقًا لمقابلة مع باول في سنة ١٩٩٥، لإطلاع الرئيس على الوضع في العراق، وأبلغ الرئيس بأنه سيقدم خلال الأربع والعشرين ساعة التالية توصية بشأن وقف العمليات الحربية، وسأله الرئيس بوش آنذاك: "لم لا ننهي الحرب الآن؟" لكن المحافظين الجدد كان لديهم ما يعتقدون أنه الجواب: لقد بخست الإدارة تقدير قدرة الرئيس صدام حسين وتصميمه على الاحتفاظ بالسلطة. وهكذا كانوا غير متحمسين لمشورة باول بإنهاء الحرب في ذلك الوقت الحرج[١].

فآنذاك كان بوش الأب ووزير الدفاع تشيني ورئيس هيئة الأركان المشتركة باول قد اتفقوا جميعًا بعد إنجاز الهدف المعلن عنه في قرار الأمم المتحدة على طرد العراق من الكويت، فالولايات المتحدة لم تكن ستهجم على بغداد للإطاحة بنظام الحكم، ومطاردة الجيش العراقي المتراجع قد تبدو كمجزرة، وكان نصف الجيش العراقي متراجعًا، وتنبأت وكالة المخابرات المركزية الأمريكية وعدد من القادة العرب بأن الرئيس العراقي صدام حسين سيخلع عن قريب، وبأن عقيدًا أو لواء في الجيش سيضع فيه رصاصة أو يقود انقلابًا[٢].

كان هناك خطأ في تقديرات إدارة الرئيس بوش الأب عام ١٩٩١ بأن الرئيس العراقي السابق صدام حسين قد أُنهك وأضعف، فإما أن يسقط من تلقاء نفسه أو يبقى داخل صندوقه[٣].

---

(١) بوب ودوارد، بوش محاربًا، ص ٤٣١.

(٢) المصدر نفسه، ص ٤٣١.

(٣) كوندوليزا رايس، مصدر سبق ذكره، ص ٥٢.

في مسار منفصل، طلب الرئيس بوش الأب من وزير الدفاع رمسفلد دراسة الخيارات العسكرية، وحيث إنه شهد قرار الولايات المتحدة بعدم التقدم نحو بغداد عند انتهاء حرب الخليج الثانية عام ١٩٩١؛ أراد الرئيس بوش الأب أن يعرف جدوى الإطاحة بالرئيس العراقي السابق صدام حسين، كما أنه كان محبطًا للغاية لافتقار القوات المسلحة للجاهزية قبل حرب أفغانستان، وأراد تمهيدًا مبكرًا لخطة المعركة العراقية فيما لو تبين أنها ضرورية في نهاية المطاف[١].

بقي الرئيس العراقي صدام حسين في الحكم بعد انتهاء حرب عام ١٩٩١، فيما هزم بوش الأب في انتخابات سنة ١٩٩٢ من قبل كلينتون، ورغم ذلك دافع بوش الابن عن والده ومستشاريه مشيرًا: "لقد فعلوا الصواب وقتها، وأن والده كان مقيدًا من قبل قرار الأمم المتحدة الذي كان يفوض استخدام القوة فقط لإخراج العراق من الكويت"[٢].

إن إدارة الرئيس الأمريكي السابق جورج دبليو بوش توصلت في حزيران من العام ٢٠٠٢ إلى صياغة مبدأ جديد في السياسة الخارجية، أطلق عليه "مبدأ بوش" والذي جاء بعد أحداث ١١ أيلول ٢٠٠١، الذي اعتمدت عليه إستراتيجية الأمن القومي الأمريكي فيما بعد، ويقوم على أساس استخدام القنوات القتالية لحماية مصالحها القومية، والحفاظ على هيمنتها، ونشر قيمها الديمقراطية،

---

(١) المصدر نفسه، ص ٢٠٥.

(٢) المصدر نفسه، ص ٤٣١.

كان هناك خطأ في تقديرات إدارة الرئيس بوش الأب عام ١٩٩١.

وتوجيه الضربات الاستباقية ضد الدول أو الجماعات التي تشكل تهديدًا مباشرًا ضد الأمن القومي الأمريكي[١].

هنا لا بد من التأكيد على أن باول توصل إلى المبدأ القائل: "إنه إذا كان للولايات المتحدة أن تتدخل، فيجب أن تكون العملية قصيرة، ولا تسبب الكثير من الخسائر في الأرواح الأمريكية، وأن تكون القوة حاسمة وساحقة"[٢].

والحق أن إستراتيجية باول هي استمرارية لسياسة وزير الدفاع الأمريكي الأسبق كاسبار دبليو. واينبرغر، والمسماة بـ"محك التدخل" (Intervention Test) والتي تمت صياغتها في عام ١٩٨٤، والقائمة على الشروط الآتية[٣]:

١- يجب أن تكون فيها مصلحة وطنية حيوية للولايات المتحدة وحلفائها.

٢- يجب أن يقع التدخل برغبة كاملة وعزم واضح على الفوز.

٣- يجب أن تكون هناك أهداف سياسية وعسكرية معروفة بوضوح.

٤- يجب أن يكون هناك تقويم متواصل للعلاقة بين الأهداف والقوى، وأن تعدل هذه العلاقة عند الضرورة.

---

(١) برادلي أ. تاير، السلام الأمريكي والشرق الأوسط: المصالح الإستراتيجية لأمريكا في المنطقة بعد ١١ أيلول، ترجمة الدكتور عماد فوزي شعيبي، الدار العربية للعلوم، بيروت، ٢٠٠٤، ص٣٢-٣٣.

(٢) روبرت سميث، جدوى القوة فن الحرب في العالم المعاصر، مازن جندلي، الدار العربية للعلوم ناشرون ش. م. ل، بيروت، ٢٠٠٨، ص ٣٥٨.

(٣) المصدر نفسه، ص ٣٥٨.

٥- يجب أن يكون هناك ضمان معقول بأن الشعب الأمريكي والكونجرس سيدعمان التدخل.

٦- يجب أن يكون زج القوات الأمريكية في الصراع الملجأ الأخير.

في حين أن الأعضاء في البيت الأبيض، وفي المقدمة برنت سكوكرفت، رئيس مجلس الأمن القومي (الذي عمل مستشارًا للأمن القومي لدى كل من فورد ١٩٧٤- ١٩٧٧ وبوش الأب ١٩٩٣) استجابوا للخيار العسكري. استمر سكوكرفت على مضض مواصلة خيار الحرب، كأزمة من الممكن أن تؤدي إلى الإخفاق عند تغيير الخطة الإستراتيجية من الدفاع إلى الهجوم، والحق أن سكوكروفت دافع عن الذهاب إلى الكونجرس، وتقديم اقتراح بقرار، (فحتى لو كان الرئيس يمتلك السلطة الدستورية، فإن سلطته الأخيرة ستتعزز بشكل كبير وملموس عند مساندة الكونجرس له، والرئيس لا يروم اتخاذ قرار الحرب والأمة منقسمة على نفسها). وفي المعنى نفسه قال باول سارباتش: "إن فكرة كون الرئيس وحده هو القادر على إرسال قوات أمريكية إلى خارج الحدود الجغرافية من دون موافقة مرهونة من الكونجرس؛ يعد خروجًا على الدستور". وكتب برنت سكوكروفت تعليقًا في الوول ستريت جورنال في منتصف آب قائلًا: "لا جدال في أن صَدَّام يشكل تهديدًا"، مضيفًا أن صَدَّام هذا ظلم شعبه بالذات وكان قد شن حربين على دولتين جارتين. كذلك رأى سكوكروفت أن من المسلمات أن صدَّام حائز على أسلحة دمار شامل، ولكنه من غير المحتمل أن يقوم صدام بتزويد الإرهابيين بأسلحة دمار شامل". وتابع سكوكروفت كلامه ليجادل قائلًا: "إنه بوسعنا التعويل على مجلس الأمن والمفتشين الدوليين على صعيد احتواء التهديد المتمثل بصدام"[1].

---

(١) ديك تشيني مع ليز تشيني، مصدر سبق ذكره، ص ٤٣٥ – ٤٣٦.

أما السناتور مارك هاتفيلد فقد قام بتقديم مشروع قرار طلب من الرئيس بوش إقرار سلطات الحرب من خلال الاحتكام إلى موافقة محددة من الكونجرس قبل إرسال القوات الأمريكية إلى منطقة الخليج العربي. وقد أدى هذا النقاش والحوار حول ذلك إلى أن قام مجلس النواب الأمريكي منح الرئيس صلاحية تفويض الحرب بأغلبية ٢٥٠ صوتًا، أمام معارضة ١٨٣ صوتًا. أما في مجلس الشيوخ فقد أيد قرار الحرب ٥٢ سيناتورًا، مقابل ٤٧ سيناتورًا عارضوا القرار، وبصعوبة ضئيلة.

وفي هذا الشأن قام صانعو القرار في الولايات المتحدة بإرسال رسالة إلى الرئيس السابق بوش الابن تنبئ بمقتل خمسين ألف جندي أمريكي في حالة نشوب الحرب في منطقة الخليج العربي، في حين حث الرئيس الأمريكي الأسبق جيمي كارتر أعضاء مجلس الأمن على معارضة قرار الحرب، وفي كل الأحوال صوت مجلس الأمن لصالح قرار الحرب، وفي نهاية الأمر تمكن الائتلاف الدولي من إخراج العراق من الكويت في غضون أقل من مائة ساعة، مع وقوع ١٤٩ قتيلًا في صفوف القوات الأمريكية، وقد توقف الأمر عند هذا الحد، ولم يرسل بوش الأب قوة إلى بغداد للإطاحة بنظام الحكم؛ لأن ذلك من وجهة نظره هو تعريف العملية، وهذا هو ما صوت الكونجرس عليه واتفق الائتلاف على تحقيقه. (لا تشير ردود تشيني على أسئلة محددة في شأن العراق، إلا أنه غير وجهة نظره في شأن الإطاحة بالرئيس العراقي السابق صدام حسين بعد خمسة أيام على سقوط البرجين التوأمين)[1].

---

(١) ستيفن والت، جون ميرشايمر، شركة المطبوعات للتوزيع والنشر، بيروت، ٢٠٠٧، ص ٦٣٩.

George Bush,Decision Points, printed and bound in great Britain by Clays Ltd,St Ives PIC, 2o1o, p. 226.

لم يكن بوش الابن يواجه صفحة سياسية فارغة عندما تولى منصبه في مطلع العام ٢٠٠١، فقد ورث سياسة الاحتواء عن والده، الذي كان قد وضعها موضع التنفيذ قبل عشر سنوات والتي كانت تهدف إلى شل القدرات العسكرية العراقية، وتسبب في النهاية اضطرابًا داخليًّا يطيح بنظام الحكم في العراق وقيادته[١]. وفي هذا المجال أخبر بوش الابن مستشارة البيت الأبيض كوندوليزا رايس بأنه يعارض من يظن أن والده قد أنهى الحرب ضد الرئيس العراقي صدام حسين سنة ١٩٩١ بسرعة زائدة[٢]. (في عام ٢٠٠٢ كانت إدارة بوش الثانية تخطط لحرب الخليج الثانية، وتصرف تشيني بشكل آخر فلن يكون هنالك أية مشاورة حادة أو مصادقة للكونجرس، ولن تجري أية حوارات عشية الحرب في هذه المرة، في أوائل أيلول ٢٠٠٢ عندما اجتمع مساعدو البيت الأبيض لمناقشة الطريق إلى الحرب، دعا تشيني إلى إجبار الكونجرس على التصويت عاجلًا وليس آجلًا، واقترح إجبار الكونجرس على التصويت في تشرين الأول ٢٠٠٢ على قرار كان مكتوبًا لإعطاء الرئيس بوش الابن تخويلًا عريضًا باستخدام القوة ضد العراق، وفي هذا المجال قال عضو الكونجرس الأمريكي جيم: "إذا وافقنا على هذا القرار فإننا نضع أسبقيات سنندم عليها: بأن الولايات المتحدة تستطيع أن تبدأ حروبًا استباقية، وأن الكونجرس يمكن أن يتخلى عن الصلاحية ببدء الحرب للرئيس، وحذر عضو مجلس الشيوخ ويست فرجينيا روبرت بيرو -وهو أشد المدافعين في الكونجرس عن الدستور- من "أن هذا القرار يعطي للرئيس كل

---

(١) مايكل كلير، دم ونفط أمريكا وإستراتيجيات الطاقة.. إلى أين؟ دار الساقي، بيروت، ٢٠١١، ص١٨٢.

(٢) بوب ودورد، بوش محاربًا، تعريب سمر القاضي، مكتبة العبيكان، الرياض، ٢٠٠٣، ص ٤٣٠.

الصلاحيات، باستخدام القوات العسكرية لهذا البلد كيفما ووقتما يشاء، ولأية مدة يريدها مهما طالت". لكن معظم أعضاء الكونجرس، جمهوريين وديمقراطيين، لاحظوا موعد الانتخابات الذي يلوح في الأفق، وصوتوا لإعطاء البيت الأبيض ما كان يريده، ونجح المخطط، ومع اقتراب الحرب تم تهميش الكونجرس فعليًّا، وهذا ما كان يريده تشيني.

إن استحواذ العراق على تشيني كان يعود إلى عملية العقرب على الأقل، وهي خطة مكتبه في البنتاغون، وهي الخطة التي اتصفت بعبارة: "لا تخبروا باول، أو أي شيء آخر"، لاجتياح العراق والقضاء على الرئيس العراقي صدام حسين، كجزء من حرب الخليج الثانية عام ١٩٩١. ومرة بعد أخرى، خلال المقابلة التي استمرت ساعة، قال تشيني عن الشعب العراقي: "إنهم سيرحبون بنا كمحررين"[(١)].

يُقَوِّم رمسفلد دور تشيني في عملية صنع القرار قائلًا: "من الواضح أن هناك علاقة جيدة بين الرئيس ونائبه، يمكنك أن تشعر بها في الغرفة، ولكن الرئيس هو الرئيس، ولا مجال لأي شك حول ذلك، ونائب الرئيس ليس مشوشًا ولو قليلًا حول هذا الشأن، فتناوله للأمور حين يكون الرئيس في الغرفة تناول مثالي، برأي، بمعنى أنه لا يتخذ مواقف متشددة وقوية حين يكون الرئيس في الغرفة، مواقف قد تبدو متناقضة مع مواقف الرئيس، وهو يطرح أمثلة وجيهة، غير أنه لا يحصر الرئيس في الزاوية أو يحاول تجريده من الخيارات. إن تشيني صريح مائة بالمائة مع بوش عندما يكونان في خلوة، إنه يعلم أن أحد أثمان

(١) جون نيكولز، ديك تشيني رئيس أمريكا الفعلي، ترجمة محمود برهوم، ورغدة محمد حسن عزيزية، المؤسسة العربي للدراسات والنشر، بيروت، ٢٠٠٦، ص ٨٨ – ٨٩، ١٧٩، ١٨٧.

القرب من الرئيس هو الاستعداد لتحمل العبء المترتب على ضرورة مكاشفته بالحقيقة"[١].

أما بالنسبة إلى أسرار حرب الخليج الثالثة فإنها بقيت في الكتمان والسر، حيث اقتصرت على أشخاص ثلاثة: الرئيس بوش الأب، ووزير الدفاع رمسفلد، كان رمسفلد -وهو المخطط والمنفذ الرئيس- متوليًا قيادة الاجتماعات والتغييرات، أما عنصره التطبيقي الأول فكان هو الجنرال تومي فرانكس[٢] "دخل رمسفلد مكتبه غير مستعد في الظاهر للتغيرات التي طرأت منذ تجربته السابقة فيه قبل خمسة وعشرين عامًا، وسُمع وهو يشكو من عملية التثبيت ومصاعب ملء الثغرات في السياسة وما يستغرقه من وقت ويتطلبه من رجال تقديم ٩٠٢ تقرير سنوي إلى الكونجرس والاستجابة إلى ٢٠٠٠ طلب من الكونجرس كل أسبوع، وقانون التفويض الدفاعي الذي تضخم من خمسين صفحة أثناء شغله في السابق إلى ٩٠٠ صفحة، وافتقاره العام للسيطرة على كثير من أجزاء أنشطة البنتاغون" ومسئول السنتكوم (وهي القيادة المسئولة عن الشرق الأوسط وجنوب آسيا والقرن الإفريقي) فرانكس، ودون إشراك مدير وكالة المخابرات المركزية جورج تينت، حيث أكد الرئيس بوش على إشراكه وآخرين في تاريخ لاحق ولكن ليس الآن. والحق أن هذه المقابلات بقيت بين هؤلاء سرية لمدة عامين قبل نشوب الحرب، وفي هذا المجال أكد لي كاري "أن الحرب على العراق تم التخطيط لها منذ زمن بعيد، قبل أن ينفذ أسامة بن لادن هجماته على نيويورك وواشنطن، إن الاختيار وقع عليه لكي يقوم بهذه الحرب المحتملة".

---

(١) بوب ودوارد، حالة إنكار حرب بوش، ترجمة فاضل جتكر، العبيكان، الرياض، ٢٠٠٨، ص٦٠١-٦٠٢.

(٢) المصدر نفسه، ص ١١٣.

ومن وجهات نظر الرئيس بوش الأب: أن أي تسرب للمعلومات حول ذلك من شأنه أن يثير ذعرًا دوليًّا، ومضاربات محلية صاخبة، وقد قوم مستشار الأمن القومي السابق في عهد بوش الأب برنت سكوكروفت عملية اتخاذ القرار حول حرب الخليج الثالثة قبل نشوبها في مقالة كتبها في صحيفة وول ستريت تحت عنوان: "لا تهاجموا صدام" قائلًا: "إن من شأن أي هجوم على العراق أن يقلب منطقة الشرق الأوسط كلها إلى مرجل، ويؤدي بالتالي إلى تخريب الحرب على الإرهاب". ويرى سكوكروفت أيضًا أن إستراتيجية الإدارة في العمل بمفردها سيترتب عليها تكاليف مالية هائلة تفرض قيودًا غير مقبولة على الموارد المتوفرة للحملة العالمية لمكافحة ما سماه بالإرهاب، مشددًا على أن نتائجها في المنطقة ستكون رهيبة، وسينظر إلى واشنطن على أنها تتجاهل مصلحة أساسية للمسلمين في العالم من أجل إرضاء ما يعد في المنطقة مصلحة أمريكية ضيقة، وبالتالي فإن مستوى الإرهاب الذي يمكن أن يشهده الأمريكيون سيزداد بشكل كبير، ورأى سكوكروفت أيضًا أن ثمة تكلفة مماثلة من حيث الأهمية وهي التراجع الكبير في التعاون الدولي مع الولايات المتحدة ضد الإرهاب في المشاركة الفعالة لتبادل المعلومات الاستخبارية مع الولايات المتحدة عبر الحدود الدولية يعد عاملًا أساسيًّا في أية حملة قادمة للهيمنة على ما أسماه بالإرهاب الدولي، وأن ذلك قد يتطلب اتصالات مفتوحة ودبلوماسية جيدة بين الحكومات على المستويات البيروقراطية كافة، وأشار سكوكروفرت بأن على الولايات المتحدة أن تضغط على مجلس الأمن التابع للأمم المتحدة لكي يشدد الطلب على نظام فعال للتفتيش بدون إشعار مسبق في العراق، الأمر الذي أدى إلى غضب الرئيس الأمريكي السابق بوش الابن؛ لأنه كان بإمكان سكوكروفت طرح ذلك مباشرة معه من دون نشرها في الصحيفة المذكورة[١].

---

(١) George Bush, op.,p. 238 ، وديك تشيني مع ليز تشيني، مصدر سبق ذكره، ص ٤٣٥ – ٤٣٦.

إن تآكل نظام العقوبات في العراق وضع الرسميين الأمريكيين في مأزق خطير، فمن ناحية، ومن وجهة نظر الإدارة الأمريكية، فإن النظام السياسي في العراق كان يستفيد منه لتعزيز وضعه العسكري، وبالتالي يفاقم التهديد للمصالح الأمنية للولايات المتحدة الأمريكية في الخليج العربي، ومن ناحية أخرى كان يمنعه من المساعدة على تلبية الطلب العالمي المتزايد للنفط[١]. وفي هذا المعنى قال باول أمام الكونجرس في ٨ آذار ٢٠٠١: "اكتشفت أن سياستنا في العراق مشوشة، والعقوبات التي هي جزء من تلك السياسة ليست مشوشة فقط، بل إنها تتداعى، اكتشفنا أننا كنا في طائرة في سبيلها إلى التحطم"[٢].

في مقابلة له أجراها في مطلع كانون الأول تحدث الرئيس بوش قائلًا: "إن العقوبات ضد صدام حسين قد غدت قطعة من الجبن السويسري". وبناء عليه في اجتماع مجلس الأمن القومي الأول جرت مراجعة لوضعية نظام العقوبات، وجرت دراسة لمشكلة كيفية جعل مناطق حظر الطيران أكثر فاعلية، وأعدت مذكرة للجنة المديرين لخصت فيها الوضع في العراق واصفة إياه بأنه غير محتمل، واقترحت خطة عمل، وتم تبني المقاربة في ذلك اليوم[٣].

أوكلت المهمة الأولى إلى وزارة الخارجية؛ ألا وهي وضع برنامج "عقوبات ذكية" تستهدف بنودًا أقل عددًا، وترفض تلك التي قد تفيد النظام وجهوده في إعادة بناء قدراته العسكرية[٤].

---

(١) مايكل كلير، دم ونفط أمريكا وإستراتيجيات الطاقة: إلى أين؟ مصدر سبق ذكره، ص ١٨٥.

(٢) المصدر نفسه، ص ١٨٥.

(٣) كوندوليزا رايس، مصدر سبق ذكره، ص ٥٣ – ٥٤.

(٤) المصدر نفسه، ٥٤.

إن عددًا من الرسميين الكبار، بما فيهم رمسفلد ونائبه بول وولفوفيتس، كانوا قد أظهروا تأييدهم لهذه الخطة قبل انتخاب بوش الابن (وقعوا رسالة بهذا المعنى نشرت على نطاق واسع في ٢٦ كانون الثاني عام ١٩٩٨ – سميت فيما بعد بقانون تحرير العراق لسنة ١٩٩٨ الذي أصدره الرئيس الأسبق بيل كلينتون، لا بد من التأكيد، كان هناك على عهد كلينتون من أولوا اهتمامًا كبيرًا للتخلص من الرئيس العراقي السابق صدام حسين حيث وقعوا على الرسالة العلنية لكلينتون في شباط عام ١٩٩٨ بموجبها وقعت أربعون شخصية أمريكية بارزة بما فيهم كاسبر وينبيرغر وفرانك كارلوتشي ودونالد رمسفلد وكلهم وزراء دفاع سابقون يحذرونه فيها من أن الرئيس العراقي السابق صدام حسين كان وما يزال يشكل تهديدًا مباشرًا؛ لأنه يمتلك مخزونًا من الأسلحة البيولوجية والكيميائية. لقد أكدوا على ضرورة أن تقوم الحكومة مرة أخرى بالتفكير في رعاية ثورة شعبية ضد الحكومة العراقية. ناقش كاتبو الرسالة مرددين خطة أحمد جلبي الحربية عام ١٩٩٣ "إن ضعف صدام يكمن في افتقاره إلى الدعم الشعبي، إنه يحكم العراق عن طريق الإرهاب، الوحشية ذاتها التي تمنع احتمال نجاح أية انقلابات أو مؤامرات تجعل الناس يكرهونه، العراق اليوم مستعد للقيام بعصيان مسلح واسع النطاق"[١].

وفي الوقت نفسه حثوا فيها على الدعم الأمريكي للمعارضة العراقية، وقد تولى هؤلاء مواقع في السلطة في إدارة بوش بما فيهم وزير الدفاع دونالد رمسفلد ونائبه بول وولفووتيز ودوغلاس فيث وكيل وزارة الدفاع، وروبرت زوليك وبولا

---

(١) سيمور هيرش، القيادة الأمريكية العمياء الطريق من ١١ أيلول إلى سجن أبو غريب، ترجمة مركز التعريب والبرمجة، الدار العربية للعلوم، بيروت، ٢٠٠٥، ص ١٦٠.

دوبر يانسكي وإليوت أبرامزو وجون بولتون وريتشارد آرميتاج الذي كان واحدًا من الموقعين على رسالة عام ١٩٩٨[١]، كما كان ريتشارد بيرل واحدًا من الذين وضعوا مسودة رسالة عام ١٩٩٨. أول توصيتين كانتا الاعتراف بالمجلس التشريعي الوطني العراقي على أنه الحكومة العراقية المؤقتة، وإعادة تنصيبه في شمال العراق. وحثت توصية أخرى إدارة الرئيس كلينتون على تحرير الأموال العراقية التي تم تجميدها في زمن حرب الخليج الثانية والتي بلغت أكثر من ٥١ مليار دولار؛ لكي تساعد في دعم الحكومة المؤقتة[٢].

لقد فشلت الرسالة مثل كل الطلبات المماثلة التي قدمها جمهور الكونجرس في إقناع الديمقراطيين في البيت الأبيض، بعد مضي ثمانية أشهر وقع الرئيس الأمريكي الأسبق بيل كلينتون تحت ضغط من الكونجرس على قرار "تحرير العراق" الذي حدد مبلغ ٧٩ مليون دولار للتدريب والتجهيزات العسكرية للمعارضة العراقية، إلا أن الشك المستمر ضمن الحكومة أدى إلى تلقي المجلس التشريعي الوطني العراقي كما في أواخر عام ٢٠٠١ أقل من ١ مليون دولار تقريبًا من ذلك المبلغ، ولكن وزارة الدولة قدمت للجماعة ١٠ ملايين دولار تقريبًا في رءوس أموال عملياتية روتينية[٣].

---

(١) بهاء الدين الخاقاني، الفوضى الخلاقة إستراتيجية السياسة الخارجية الأمريكية لمائة سنة قادمة، دار المحجة البيضاء، بيروت، ٢٠١٢، ص ٢٤٢ – ٢٤٣.

(٢) سيمور هيرش، القيادة الأمريكية العمياء الطريق من ١١ أيلول إلى سجن أبو غريب، ص ١٦٠.

(٣) سيمور هيرش، القيادة الأمريكية العمياء الطريق من ١١ أيلول إلى سجن أبو غريب، ص ١٦٠. قارن مع: ليم أندرسن، غارث ستانسفيلد، عراق المستقبل دكتاتورية ديمقراطية أم تقسيم؟، ترجمة رمزي ق. بدر، شركة دار الوراق للنشر، لندن، ٢٠٠٥، ص ١٨٤.

إلى جانب ذلك، أوضحت مستشارة الأمن القومي كوندوليزا رايس أن العراق لم يكن أولوية بالنسبة للإدارة الجديدة، كانت رايس تشعر "بأن الرئيس العراقي السابق صدام حسين هو مشكلة صغيرة -مبلغ تافه- كنا نحتاج إلى حصره في زاوية لكي نستطيع المتابعة في القضية الأكبر: روسيا الاتحادية والصين الشعبية وتوسيع حلف شمال الأطلسي وعلاقة جديدة مع الهند، وفي نهاية المطاف مع إفريقيا"[١]. وواصلوا دفعهم باتجاه عمل عسكري عندما أصبحوا في السلطة. تغيرت في تلك السنة السياسة الخارجية الأمريكية لتتبنى تغيير النظام، وذلك بحجة قضية أسلحة الدمار الشامل، وعدم امتثال الرئيس العراقي السابق صدام حسين لقرارات الأمم المتحدة، وتحديه إرادة المجتمع الدولي[٢]. وهذا القانون أمن الآلية والتمويل اللازمين، لكن العراقيين في المنفى كانوا خليطًا غير متجانس، منهم الأكراد المنظمون جيدًا والذين يقطنون ويحكمون شمال العراق، ومنهم الشيعة والسنة المنتشرون من سوريا إلى إيران ومن لندن إلى نيويورك، ولهم دعم ضئيل من السكان الأصليين[٣].

ولكن شخصيات أخرى، بما فيهم باول، كانوا ضد الغزو، ورأوا أنه يفتقر إلى التأييد الشعبي، وأن الاستجابة الدولية ستكون تنديدية بشدة، وتم فورًا رفض الخيار الآخر الممكن -التخلي عن العقوبات كليًّا وترك السفن تنزل

---

(١) سيمور هيرش، القيادة الأمريكية العمياء الطريق من ١١ أيلول إلى سجن أبو غريب، مصدر سبق ذكره، ص ١٦١ – ١٦٣.

(2) Tony Blair, A Journey, printed and bound in Great Britain, 2011, pp. 385 – 386.

وكوندوليزا رايس، مصدر سبق ذكره، ص ٥٥.

(٣) المصدر نفسه، ص ٥٥.

حيثما تستطيع– لأنه سيمثل انتصارًا للرئيس السابق صدام حسين، وبالتالي يحبط الجهود الأمريكية لزيادة السيطرة على التطورات في الخليج العربي، ولهذا قرر الرئيس بوش الابن على المدى المتوسط التخلي عن نظام العقوبات، وتبني اقتراح باول لنظام جديد هو نظام العقوبات الذكية الموجهة مباشرة إلى القيادة والجيش العراقيين[١].

تعتمد العقوبات الذكية أساسًا، وكما رسمت في البداية، على تغيير الدول المحيطة بالعراق لسياستها، ومنع التسرب غير المشروع للسلع والخدمات، الأمر الذي كان عاملًا أساسيًّا في إفشال هيكلية العقوبات الأولى، وتضمنت المسودة الأولى لهذه العقوبات الذكية الجديدة، ومن أجل هذه الغاية، منعًا قويًّا لمثل هذه التجارة، فضلًا عن عقوبات أساسية أخرى فرضت على النظام السياسي في العراق[٢].

كان من شأن العقوبات الذكية، كما يراها باول، أن ترفع القيود عن توريد معظم السلع الأساسية -بالتالي تخفف الكثير عن العراقيين العاديين– في حين تشدد القيود على السلع العالية التقنية التي يمكن استخدامها عسكريًّا[٣]. ولكن التيار انقلب ضد باول، فقد درس الرسميون الكبار في الإدارة الأمريكية في اجتماع عقد في ١٤ أيلول في كامب ديفيد والاجتماعات التالية في البيت الأبيض مقترحات لغزو أمريكي للعراق تقوده الولايات المتحدة، واختار الرئيس بوش الابن تفادي أي عمل كهذا في وقت كانت الحرب في أفغانستان

(١) مايكل كلير، دم ونفط أمريكا وإستراتيجيات الطاقة: إلى أين؟ مصدر سبق ذكره، ص ١٨٦.

(2) Tony Blair, op. cit., 383.

(٣) مايكل كلير، دم ونفط أمريكا وإستراتيجيات الطاقة: إلى أين؟ مصدر سبق ذكره، ص ١٨٧.

تحتكر اهتمام البنتاغون، ولكن في الأسابيع الأولى من عام ٢٠٠٢ أعطى أخيرًا المضي في تطوير خطة مفصلة للغزو[١].

على الرغم من أن وكالة المخابرات المركزية الأمريكية لم تكن قد وجدت علاقة بين بغداد وتنظيم القاعدة، فإن الكثيرين في واشنطن بدءوا يطالبون بالقيام بعمل عنيف ضد الرئيس العراقي السابق صدام حسين[٢].

وفي هذا الشأن، حذر مدير وكالة المخابرات المركزية الأمريكية جورج تينيت من "أن العراق ليست أفغانستان، فالمعارضة العراقية أضعف بكثير، وصدام كان يحكم دولة بوليسية، وكان من الصعب اكتشاف موقعه؛ إذ كان يستخدم أشخاصًا يشبهونه بغرض الخديعة". وأخبر تينيت الرئيس السابق، بوش الابن بأنه من دون نشاط عسكري مصاحب وضغوط أخرى، كانت تقدر فرصة نجاح وكالة المخابرات المركزية بـ١٠ أو عشرين بالمائة فقط[٣].

أما باول، وبخصوص الحرب على العراق فقد قال لبوش الابن: "إنه عندما يفكر في مسألة العراق فإن عليه أن يفكر في القضايا الأوسع، في جميع عواقب الحرب"[٤].

وقال باول: "إن حربًا على العراق ستمتص الأوكسجين من كل شيء آخر تقريبًا تقوم به الولايات المتحدة، ليس فقط الحرب على الإرهاب، ولكن جميع

---

(١) المصدر نفسه، ص ١٨٨.

(2) Tony Blair, op. cit.,p. 384. . George Bush, 0p.cit., p. 262.

(٣) بوب ودورد، بوش محاربًا، مصدر سبق ذكره، ص ٤٤٢ – ٤٤٣.

(٤) المصدر نفسه، ص ٤٣٥.

العلاقات الدبلوماسية والدفاعية والمخابراتية، وقد تكون العواقب الاقتصادية مذهلة، وقد ترفع إمدادات النفط وأسعاره باتجاهات لم نتصورها بعد، وكل ذلك في زمن انحطاط اقتصادي عالمي، وتكلفة احتلال العراق بعد النصر ستكون باهظة، والتأثير الاقتصادي على المنطقة والعالم والولايات المتحدة محليًّا يجب أن يؤخذ بعين الاعتبار"(١).

وكان باول يعتقد بأنهم سينتصرون دون شك، ولكن ماذا بعد ذلك؟ "كانت عواقب اليوم التالي ضخمة. فسأل: ماذا ستكون صورة جنرال أمريكي يحكم دولة عربية لمدة من الزمن؟ جنرال مثل ماكارثر في بغداد؟ سيكون هذا حدثًا كبيرًا في العراق والمنطقة والعالم، وما المدة التي سيستغرقها ذلك؟ ليس من الممكن أن يعرف ذلك أحد، وكيف سيعرف النصر؟(٢).

وأضاف باول قائلًا: "من الجميل أن نقول: إننا نستطيع القيام بهذا الأمر بطريقة أحادية الجانب، ولكنك لا تستطيع، فخطة عسكرية ناجحة ستكون بحاجة إلى استخدام قواعد ومرافق في المنطقة وإلى حقوق للطيران، وسيكون بحاجة إلى حلفاء، ولن تكون هذه كحرب الخليج، رحلة بسيطة لمدة ساعتين من دولة سعودية متعاونة كليًّا مع مدينة الكويت على بعد ٤٠ ميلًا فقط، أما الآن فالناحية الجغرافية ستكون هائلة، وبغداد تمتد مسافة ٣٢٠ كيلو مترًا عبر بلاد الرافدين"(٣).

---

(١) المصدر نفسه، ص ٤٣٦.

(٢) المصدر نفسه، ص ٤٣٦.

(٣) المصدر نفسه، ص ٤٣٦.

إن سياسة الولايات المتحدة كانت تستدعي تغيير النظام في بغداد، في حين كانت سياسة بريطانيا تتعلق أكثر بأسلحة الدمار الشامل، بمعنى آخر كانت السياستان على طرفي نقيض، ولكن بريطانيا مالت في النهاية إلى تبني موقف الولايات المتحدة[1].

مع كل هذه النصائح، اتخذ الرئيس بوش الابن قرار الحرب ضد العراق، فقد تم التحصل على الإذن من القادة في الخليج العربي باستخدام القواعد وبالطيران فوق أراضيهم، معدًّا ذلك بأنه قرار صحيح، هنا يشير بوش الابن إلى أن مسئولًا رفيع المستوى جاءه من دولة الإمارات برسوم لأنفاق كان يعتقد أن العراق يستخدمها لإخفاء الأسلحة، فحفرنا الأرض ولكننا لم نصل إلى نتيجة، رغم هذا كنت أعلم أن فشلنا في العثور على أسلحة الدمار الشامل سوف يغير نظرة الناس إلى الحرب؛ ففي حين أن العالم أصبح أكثر أمنًا دون شك بعد زوال صدام تبقى الحقيقة أني قد أرسلت جنودًا أمريكيين إلى معركة استندت في جلها على معلومات ثبت زيفها، تلك كانت ضربة ماحقة لمصداقيتنا -ولمصداقيتي أنا- ستزعزع ثقة الشعب الأمريكي بنا، لم يكن هناك من هو أكثر مني شعورًا بالصدمة عندما لم نعثر على الأسلحة، كنت كلما فكرت في هذا الأمر يداهمني شعور بالسقم، ولا أزال"[2].

يقول بوش الابن في هذا المجال: "ارتكبنا خطأين إزاء حربنا في العراق: الخطأ الأول هو أننا لم نتجاوب بسرعة وفعالية عندما بدأ الوضع الأمني بالتدهور بعد سقوط نظام صدام، فخلال الأشهر العشرة التي أعقبت الغزو قمنا

(1) p. 385. Tony Blair, op. cit.

(2) George Bush, 0p.cit., p. 262.

بخفض مستوى قواتنا من ١٩٢ ألفًا إلى ١٠٩ آلاف، وقد ركزت نسبة كبيرة من القوات المتبقية جهدها على تدريب الجيش والشرطة العراقية بدلًا من حماية الشعب العراقي. أما الخطأ الثاني فتمثل في الفشل المخابراتي المتعلق بأسلحة العراق للدمار الشامل، ولكن بعد مرور ما يقارب عقدًا من الزمن بات من الصعب بيان مدى انتشار القناعة آنذاك بأن صدام يمتلك تلك الأسلحة، مؤيدو الحرب كانوا يعتقدون هذا، ومعارضو الحرب اعتقدوا هذا، وحتى أعضاء من نظام صدام نفسه كانوا يعتقدون به، كلنا نعلم أن معلومات المخابرات لا يمكن أن تكون مؤكدة مائة بالمائة أبدًا، وهذا من طبيعة العمل، ولكني يومها كنت أعتقد أن تلك المعلومات عن أسلحة العراق لا بد أن تكون صادقة ومؤكدة، فلو لم يكن لدى صدام أسلحة للدمار الشامل، لماذا لم يقدم برهانه للمفتشين وينهي المسألة؟ جميع التقارير النفسية التي قرأتها كانت تفيد بأن صدام من النوع المتشبث بالبقاء، فإذا كان شديد التعلق هكذا بالبقاء في السلطة فلماذا قامر بنظامه عبر التظاهر بامتلاك أسلحة الدمار؟ إن صدام لم يكن يعتقد مطلقًا أن الولايات المتحدة سوف تنفذ تهديدها بتجريده من السلاح بالقوة"(١).

يقول رئيس وزراء بريطانيا توني بلير في هذا المجال: "أما أنا فأعلنت، بطبيعة الحال، الحقيقة الصريحة التي لا مفر منها، وهي أن صدام على الرغم من امتلاكه الأكيد لأسلحة الدمار الشامل فإننا لم نعثر عليها قط، لقد تبين أن المعلومات الاستخبارية كانت خاطئة، وهنا تلعب العلاقة بين السياسة ووسائل الإعلام الحديثة دورًا حاسمًا، كانت المعلومات الاستخبارية خاطئة، ونحن

(1) Ibid., pp. 268-269

اعترفنا بذلك، كما اعتذرنا عنه أيضًا، لكن وجود خطأ ليس كافيًا ألبتة بالنسبة لوسائل الإعلام هذه الأيام، كان الخطأ كبيرًا وجديًّا، لكنه كان غلطة، يخطئ البشر على الدوام"[١].

وأكثر من ذلك، يذهب بلير قائلًا: "لا يمتلك فريق المفتشين الدوليين أي دليل يثبت أن علماء إدارة قسم الجريمة M 16 في وكالة الاستخبارات العراقية كانوا ينتجون الأسلحة الكيميائية، أو الأسلحة البيولوجية في هذه المختبرات، وأشارت المصادر مع ذلك إلى أن M 16 كانت تخطط لإنتاج عدة مواد للأسلحة الكيميائية، بما في ذلك خردل الكبريت، وخردل النيتروجين، والسارين. إن وجود هذه المختبرات وعملها وغايتها لم يُكشف عنه للأمم المتحدة. تضمن برنامج وكالة الاستخبارات المركزية استخدام البشر لأهداف الاختبارات، وكشفت هذه المعلومات كلها من خلال المقابلات التي أجراها فريق المفتشين الدوليين، وهي النقطة المحورية في عمليات التفتيش التي أجراها هانز بليكس ما بين شهري تشرين الثاني من العام ٢٠٠٢ وآذار من العام ٢٠٠٣، لم يكن ذلك كله دليلًا يدعم المعلومات الاستخبارية عن وجود برنامج نشط لأسلحة الدمار الشامل، وهي المعلومات التي استندنا إليها"[٢].

من ناحية أخرى أعلن البيت الأبيض أن "هناك تقريرًا يشير إلى أن العراق حاول الحصول على اليورانيوم من إفريقيا، إلا أن هذه المعلومات غير تفصيلية وغير محددة لدرجة تجعلنا متأكدين أن محاولات مثل هذه قد تمت بالفعل". لم يكن تقويم الاستخبارات الوطنية حول أسلحة الدمار الشامل في العراق قد

(1)Tony Blair, op. cit., pp. 453 – 454.

(2) Ibid., p. 377.

نُزعت عنه السرية رسميًّا بعد، ولم يكن قد وضع بعد قيد التداول العام. وفي هذا المجال يقول السكرتير الشخصي للرئيس بوش الابن: "بالرغم من أنه، كما علمت لاحقًا، تم نزع صفة السرية عنه بشكل سري كي يطلع عليه نائب الرئيس"(١).

وبالرغم من أن دولتين إفريقيتين أخريين قد تم ذكرهما في تقويم الاستخبارات الوطنية على أنهما مصدران محتملان لتزويد العراق باليورانيوم، فإن التقرير الاستخباراتي المحدد والمفصل والوحيد المتعلق بالمحاولات العراقية للحصول على اليورانيوم من إفريقيا كان يشير فقط إلى النيجر، وكان واضحًا أن هذا هو المستند الرئيس الذي انبثقت منه كلمات الرئيس الست عشرة(٢).

أبلغ سفير سابق في إحدى الدول الإفريقية، هو جوزيف ويلسون الذي تم إيفاده إلى النيجر للتحقق من المزاعم بشأن صفقة اليورانيوم في كانون الثاني من العام ٢٠٠٢ تحت غطاء من السرية؛ للحصول على أجوبة عن أسئلة معدة من قبل مكتب نائب الرئيس حول طلب العراق الحصول على اليورانيوم، ذكر كريستوف أن "هذا الموفد الذي بقي اسمه طي الكتمان ذكر في تقريره إلى وكالة المخابرات المركزية، وإلى وزارة الخارجية؛ أن المعلومات الواردة خاطئة بشكل لا لبس فيه، وأن الوثائق قد تم تزويرها. وقد انتشر فضح الموفد لهذا التزوير في أروقة الإدارة كافة، وبدا أن هذا التقرير كان مقبولًا لدى أركان الإدارة باستثناء أن الرئيس بوش ووزارة الخارجية استمرا في الإشارة إلى هذه الصفقة المزعومة"(٣).

---

(١) سكوت مكليلان، ماذا حدث داخل أروقة البيت الأبيض في عهد بوش وثقافة الخداع في واشنطن، ترجمة الدكتور منذر محمود صالح محمد، العبيكان، الرياض، ٢٠٠٩، ص ٢٤٨.

(٢) المصدر نفسه، ص ٢٤٨.

(٣) المصدر نفسه، ص ٢٦.

وفي هذا المجال قال بوش الأب في رسالة وجهها إلى ولده قائلًا: "وإذ تواجه هذه الحزمة من المشاكل الجمة، التي لم يواجه رئيس مثيلًا لها منذ عهد لنكولن، فقد يكون لك بعض العزاء أنك نهضت بالحمل بكل قوة وشرف"[١].

من ناحية أخرى، دعا الرئيس بوش وزراء خارجية ودفاع جمهوريين وديمقراطيين سابقين إلى البيت الأبيض لمناقشة إستراتيجية حكومته بعد احتلال العراق لتحقيق النجاح فيه وذلك في ٦ كانون الثاني ٢٠٠٦، لسماع آرائهم حول ذلك، ووزراء الخارجية السابقون الذين شاركوا في الاجتماع هم: كولين باول ومادلين أولبرايت ولورنس إغليبيرغر وجيمس بيكر وجورج شولتز وألكزاندرهيغ. أما وزراء الدفاع السابقون الذين شاركوا في الاجتماع فهم: وليام كوين ووليام بيري وفرانك كارلوتشي وهارولد براون وجيمس شلزنجر وملفن لايرد وروبرت ماكنمارا. وأشار الرئيس بوش في هذا اللقاء إلى أن لدى الولايات المتحدة إستراتيجية ذات شقين في العراق هما تشجيع عملية سياسية جامعة، وإعداد القوات العراقية. وعبر بوش عن امتنانه بالاقتراحات التي تم تقديمها في هذا الشأن، ومدى جديته بأخذ النصائح حول ذلك، وبعد حديث الرئيس بوش أعقبه تقرير عبر الفيديو من سفير الولايات المتحدة في بغداد، فضلًا عن ذلك، وزع الموظفون لدى الرئيس كراسًا يعرض اقتباسًا متفائلًا عن العراق نقلًا عن نائب الرئيس تشيني، ومجموعة من الأحاديث التي تشير إلى المكاسب السياسية والعسكرية التي تم إنجازها من الولايات المتحدة، وتقرير قدمه القائد العسكري الأمريكي في العراق، وناقش وزراء الدفاع السابقون –وهناك الكثير منهم وصولًا إلى روبرت ماكنمارا– التكتيكات العسكرية مع الرئيس،

---

(1) pp. 225, 235. George Bush, 0p.cit.,

وعبروا عن قلقهم بشأن تأثير الانتشار الطويل في الخارج على القوات المسلحة الأمريكية، وقد تحدثت في الاجتماع وزيرة الخارجية الأمريكية السابقة مادلين أولبرايت، مشيرة إلى تراجع الموقف الأمريكي في العالم، ومقدار تزايد صعوبة التعامل مع المخاطر في أماكن أخرى من العالم بسبب العراق.

والحق أن هذا الاجتماع يعد تطورًا جديدًا في عملية صنع القرار خارج إطار مجلس الأمن القومي الأمريكي، ولكن من جانب آخر لم يستمر النقاش حول موضوع العراق من المجتمعين إلا لمدة عشر دقائق فقط، مقابل عدة ساعات تم تخصيصها لسماع التقارير ليس إلا، والحق أيضًا لم يكن هذا الاجتماع اجتماعًا جادًّا، وقد علقت وزيرة الخارجية الأمريكية السابقة مادلين أولبرايت على ذلك قائلة: "بتجاهل نصيحة الخبراء قامر الرئيس بوش بنجاح غزو العراق، على الرغم من التعقيدات التي يشكلها الدين والتاريخ، وغياب مبرر "الحرب العادلة" المقنع، وما نتج عن ذلك من افتقار إلى الدعم الدولي، ولتبرير الرهان بالغ في المخاطر التي تشكلها الحكومة العراقية والمنافع التي يحققها إقصاء صدام حسين، والأدهى من ذلك أنه وعد القوات الأمريكية بتقلص التهديد الإرهابي لأمريكا والعالم لحظة نزع سلاح صدام حسين". وتبين في الواقع أن الغزو والاحتلال زادا ذلك الخطر"[1].

---

(١) ستيفان هالبر، التفرد الأمريكي المحافظون الجدد والنظام العالمي، ترجمة عمر الأيوبي، دار الكتاب العربي، بيروت، ٢٠٠٥، ص ١٧٨، ١٩٧، ٢٩٤ . والسيدة الوزيرة مادلين أولبرايت سيرة ذاتيه، ترجمة محمد توفيق البجرمي، الحوار الثقافي، لبنان، بيروت، ٢٠٠٤ ص٤٠٣. ومادلين أولبرايت بالاشتراك مع بيل ودوارد، الجبروت والجبار تأملات في السلطة والدين والشئون الدولية، الدار العربية للعلوم – ناشرون ش. م. ل، بيروت، ٢٠٠٧، ص ١٦٩–١٧٠ . ف. ي. كرلوف، إمبراطور كل
=

انتقدت وزيرة الخارجية الأمريكية السابقة مادلين أولبرايت خلال زيارتها إلى فرنسا في تشرين أول ٢٠٠٣ السياسة الخارجية الأمريكية، مشيرة أن الرئيس بوش والعاملين معه يمارسون سياسة خارجية ليست في صالح الولايات المتحدة، ولا في صالح العالم(١).

وفي هذا المجال يقول فرانسيس فوكوياما في عام ١٩٩٢: " إن الأمم المتحدة نافعة تماما كأداة لأحادية القطب الأمريكي ولعلها تكون بالفعل الآلة الرئيسة التي ستمارس من خلالها أحادية القطب هذه في المستقبل(٢).

قرر الكونجرس الأمريكي في العام ٢٠٠٢ بعد مناقشات مستفيضة إطلاق يد الرئيس بوش الابن للشروع في عمل عسكري ضد العراق بتفويض من الأمم المتحدة أو بدونه، ومن غير الحاجة إلى الحصول على الموافقة التالية من

= الأرض أو خفايا النظام العالمي الجديد، ترجمة م. منتجب يونس، منشورات دار علاء الدين للنشر والتوزيع والترجمة، دمشق، ٢٠٠٧، ص ٢٨١ – ٢٨٢. و:

Charles W. Kegley, Jr. Eugene R.Wittkopf,World Politics Trend And Transformation, Fifth Edition, St.Martion Press,New York, 1995, pp.54-55,

Jean Edward Smith, George Bush s War, Henry Holt And Company, New York, 1992, p. 173, 242-243.

وبوب ودوارد، القادة، ترجمة محمد مستجير، مكتبة مدبولي، القاهرة، ١٩٩٢، ص ٤٨٥، ٤٨٧ – ٤٨٨. وبوب ودوارد، خطة الهجوم، ترجمة فاضل جتكر، مكتبة العبيكان، الرياض، ٢٠٠٤، ص١٣-١٤، ٢١، ٢١٩.

(١) ديفيد فروم، ريتشارد بيرل، نهاية الشر كيفية الانتصار على الإرهاب، ترجمة فؤاد السروجي، الأهلية للنشر والتوزيع، عمان – الأردن، ٢٠٠٤، ص ١٢.

(٢) نعوم تشومسكي، الهيمنة أم البقاء؟ السعي الأمريكي إلى السيطرة على العالم، ترجمة سامي الكعكي، دار الكتاب العربي، بيروت، ٢٠٠٤، ص٤٠.

الكونجرس. إن الحملة الشعبية التي قادها الرئيس ودمج قضية الإرهاب بعد تقييد الرئيس العراقي السابق صدام حسين بسلسلة من قرارات صدرت من مجلس الأمن مع ادعائه بأن العراق له ترسانة من أسلحة الدمار الشامل، أدت إلى تنازل الكونجرس عن حقه في إعلان الحرب، مما أدى في نهاية الأمر إلى عدم التوازن الدستوري بين المؤسسة التشريعية والمؤسسة التنفيذية[١]. وكما قال مسئول أمريكي: "لا نريد التفاوض بشأن مشروع قرار ثان؛ لأننا لسنا بحاجة إلى ذلك ... إذا شاء بقية المجلس أن يلحقوا بنا فقد نوافق على التوقف لبرهة وجيزة فقط، ولكن لا شيء أكثر من ذلك، لقد أبلغ العالم بأن واشنطن سوف تستخدم القوة بالشكل الذي ترتئيه، والمجتمع المجادل يمكنه أن يلحق بالركب وينضم إلى المشروع ويتحمل العواقب التي ستنزل بمن ليسوا معنا، وبالتالي فهم مع الإرهابيين وفق الخيارين اللذين طرحهما الرئيس بوش".

وفي هذا الشأن احتج تشيني بأن عملية طلب قرار جديد سيعيدهم إلى طبخة عملية الأمم المتحدة ميئوس منها، ولا نهاية لها، ومترددة، وكل ما على الرئيس أن يقوله هو أن صدام شرير، وأنه انتهك وتجاهل وداس على قرارات الأمم المتحدة عامدا ومتعمدا، وأن الولايات المتحدة تحتفظ لنفسها بحق التصرف الأحادي الجانب[٢].

---

(١) بيريجنسكي، الاختيار السيطرة على العالم أم قيادة العالم؟ مصدر سبق ذكره، ص ٢٢٦. وللمزيد من التفاصيل حول ذلك راجع: ميلان راي، خطة غزو العراق، دار الكتاب العربي، بيروت، ٢٠٠٣ ص ٢٨٦-٢٩٩. وبوب ودوارد، خطة الهجوم، ترجمة فاضل جنكر، مكتبة العبيكان، الرياض ٢٠٠٤ ص١١-٤٢.

(٢) للمزيد من التفاصيل حول ذلك راجع: بوب ودوارد، بوش محاربًا، مصدر سبق ذكره، ص ٤٥٠ – ٤٥٢.

إن كلام تشيني بدا وكأنه هجوم مسبق على ما كان باول يظن أنه قد اتفق عليه قبل عشرة أيام من إعطاء الأمم المتحدة فرصة[١].

وفي هذا المجال قال مسئول كبير في إدارة بوش في تشرين الأول ٢٠٠٢: "لسنا بحاجة إلى مجلس الأمن، إذا أراد المجلس أن يبقى ذا صلة فعليه الآن أن يمنحنا سلطة مماثلة لتلك التي أعطاها إياه الكونجرس؛ أي سلطة استخدام القوة كما نشاء". وقد حظي هذا الموقف بمباركة الرئيس ووزير الخارجية كولن باول الذي قال: "يستطيع المجلس أن يفعل دائمًا ما يشاء، وأن يجري مداولات أخرى، لكننا نملك السلطة لنفعل ما نراه ضروريًّا".

وقد وافقت واشنطن على التقدم بمشروع قرار إلى مجلس الأمن (القرار الدولي رقم ١٤٤١) إنما من غير أن تدع مجالًا للشك في أن ذلك لا معنى له. وعلق مراسلون دوليون قائلين: "أيًّا تكن التفاصيل فقد أوضح السيد بوش بجلاء أنه يعد القرار بمثابة التفويض الكامل الذي يحتاجه للعمل ضد العراق فيما لو تراجع السيد صدام حسين عما تعهد به". لقد كان في مقدور واشنطن أن تتشاور مع أعضاء مجلس الأمن الآخرين، إلا أنها لم تجد ضرورة لكسب موافقتهم". وصرح أندرو كارد رئيس هيئة موظفي البيت الأبيض قائلًا: "للأمم المتحدة أن تجتمع وتتناقش؛ إلا أننا لسنا بحاجة إلى ذلك منهم".

يقول بوش الابن في هذا المجال: "من الناحية القانونية لم تكن هناك ضرورة للحصول على قرار، فقبل ثلاث سنوات أزاح الرئيس كلينتون والحلفاء في حلف شمال الأطلسي الديكتاتور سلوبودان ميلوسفيتش عن السلطة في صربيا، ولم يتطلب الأمر الحصول على قرار صريح من الأمم المتحدة، وكان من

---

(١) المصدر نفسه، ص ٤٥٠.

رأي ديك ودون أنه ليست هناك حاجة لقرار في حالة العراق، بل إن واقع الحال يقول: إن هناك ستة عشر قرارًا تساعد على ذلك. كان رأيهما هو أن التوجه إلى الأمم المتحدة سيدخلنا في عملية بيروقراطية مطولة يسمح لصدام فيها بأن يصبح أكثر خطورة"[١].

والحق، حث الأمين العام للأمم المتحدة السابق كوفي أنان قبل احتلال العراق في العام ٢٠٠٣، الرئيس الأمريكي السابق بوش الابن على ألا يقوم بتحرك إلا بدعم من الأمم المتحدة، وهي نصيحة رفضها بوش، فقد كان بوش يعد أنان قائدًا ضعيفًا، يختصر في شخصه الهيئة العديمة الفاعلية التي يمثلها، وكان أنان الذي لا يأبه كثيرًا بالأضواء غير موح بالثقة ألبتة لبوش المهتم بالنتائج، ومع ذلك فقد كانت علاقتهما ودية ومبنية على الاحترام المتبادل[٢].

ولم تكن تلك المرة الأولى التي تتصرف فيها الولايات المتحدة دون قرار صريح صادر من مجلس الأمن، في الحقبة الواقعة من عام ١٩٤٨ حين وفرت الولايات المتحدة برئاسة ترومان جسرًا جويًّا إلى برلين وحتى عمليات قصف حلف شمال الأطلسي ليوغسلافيا عام ١٩٩٩ عملت التحالفات المشتركة دون تفويض خاص، لكن الولايات المتحدة عند غزو العراق اعتقدت أن القرار ١٤٤١ والقرارات الستة عشر التي سبقته كانت أكثر من كافية للتعبير عن رأي المجتمع الدولي بأن الرئيس العراقي السابق صدام حسين يشكل خطرًا على السلم والأمن الدوليين[٣].

---

(1) George Bush, op. cit, p. 237.

(٢) سكوت مكليلان، مصدر سبق ذكره، ٢٨٢.

(٣) كوندوليزا رايس، مصدر سبق ذكره، ص ٢٤٢.

كان رأي جميع من تشاور معهم الرئيس السابق بوش الابن من حلفائه - حتى أصلب المنادين بالتصدي للرئيس العراقي السابق صدام حسين مثل رئيس وزراء أستراليا جون هوارد- هو أنه من الضروري وجود قرار من الأمم المتحدة لكسب دعم الرأي العام في بلدانهم[١].

من جانب آخر، زار رئيس وزراء بريطانيا السابق، توني بلير، الولايات المتحدة في شباط ٢٠٠١، حيث اجتمع مع الرئيس الأمريكي السابق بوش الابن في كامب ديفيد، وفي واقع الأمر كان بلير الزعيم الأجنبي الوحيد الذي دعي إلى هذا الاجتماع، والذي أقام علاقة نموذجية مع الولايات المتحدة. وفي هذا الشأن قال بوش الابن: "في حالة إزاحة صدام حسين من السلطة نستطيع أن نقدم التزامًا بمساعدة الشعب العراقي في ممارسة الديمقراطية".

أكثر من هذا، استطاع بوش الابن إعداد مفهوم الحرب ضد العراق من خلال حشد أكبر قدر ممكن من زعماء الدول في أستراليا (جون هوارد)، وإسبانيا (جوسي ماريا ازنار)، واليابان (جوناكرو كوزومي)، والأراضي المنحدرة (جان بيتر بالكينيدا)، والدنمارك (أنديرس فوه رازوسن)، وبولندا (الكسندر كواسناكي)، وغالبية القادة في وسط وشرق أوروبا، وفي هذا المجال يقول بوش الابن: "إن القضية العراقية تذكرنا بمجريات الأمور في نهاية عام ١٩٣٠ وما تعرضت له الديمقراطية من خطر"[٢].

غير أن قادة آخرين أبدوا نظرة مختلفة، ففلاديمير بوتين لم يكن يرى أن الرئيس العراقي السابق صدام حسين يمثل تهديدًا. وفي هذا المجال يقول بوش

---

(1) Ibid, pp. 237 – 238.

(٢) George Bush, op. cit, pp. 230 – 233,237 وكوندوليزا رايس، مصدر سبق ذكره، ص٢٤١.

الابن في مذكراته: "إن بوتين لم يشأ المجازفة بعقود النفط المربحة التي أبرمتها روسيا، وفرنسا هي الأخرى كانت لها مصالح اقتصادية مهمة في العراق، لذلك لم أفاجأ عندما قال لي جاك شيراك: إنه مستعد لمساندة دخول مفتشي الأسلحة، ولكنه يحذر من التهديد باستخدام القوة. إلا أن العلة في منطقه هذا هي أن الدبلوماسية تفقد مرة أخرى القدرة على التأثير ما لم تكن مشفوعة بتهديد معتمد باستخدام القوة، أما فيما يخص موقف مستشار ألمانيا الاتحادية جير هارد شرويدر، حيث كان يؤكد أن ما ينطبق على أفغانستان ينطبق أيضًا على العراق، فالبلدان التي ترعي الإرهاب يجب أن تواجه التبعات، وإذا ما تصرفت بصورة سريعة وحاسمة فسوف تجدني معك. وعدت قول شرويدر إعلانًا صريحًا بالمساندة، ولكن عندما حل موعد الانتخابات الألمانية في موعد لاحق من ذلك العام كان له موقف آخر؛ فقد شجب احتمال استخدام القوة ضد العراق، وصرح وزير العدل الألماني قائلًا: "يريد بوش أن يحول الانتباه عن مشاكله السياسية في الداخل، لقد فعل هتلر مثل ذلك". لقد أصابني هذا الكلام بالصدمة وأثار حفيظتي، فلم يكن بالوسع تصور إهانة أشد وقعًا من مقارنتي بهتلر من قبل مسئول ألماني، أبقيت على علاقة العمل مع شرويدر ضمن مجالات اهتمامنا المشترك، ولكن بحكم كوني شخصًا يعتز بالدبلوماسية الشخصية أعلق قيمة عظيمة على الثقة، ومتى ما انتهكت تلك الثقة بات من الصعب إقامة علاقة بناءة من جديد"(١).

هنا لا بد من التأكيد على أن النظام السياسي السابق في العراق قد أكد كثيرًا في صراعه مع الولايات المتحدة على كل من فرنسا وألمانيا وروسيا الاتحادية، وكذلك على المحتجين الذين تظاهروا ضد الحرب في كل مكان من العالم، اعتقادًا

(1) George Bush,Op. cit.,p. 245.

منه بأنه يغير بعض القناعات تجاهه، الأمر الذي كان يعني سوء تقدير الموقف للسياسات الخارجية للقوى الأخرى في العلاقات الدولية.

وعلى صعيد المنطقة العربية، كان للرئيس المصري السابق حسني مبارك الدور الكبير في حشد العالم ضد العراق، حيث أخبر مبارك تومي فرانك بأن العراق سوف يستخدم الأسلحة البيولوجية ضد الجيش الأمريكي، كون مبارك قد رفض الزعم القائل من خشية الرأي العام العربي، في الوقت الذي كانت تقارير المخابرات من قادة الشرق الأوسط كانت تشير إلى أن الرئيس العراقي السابق صدام حسين له تأثير على عقول هؤلاء[١].

وعاد الرئيس بوش وبلير، وأخذ توني بلير يصبح أكثر فأكثر محاربة، قائلًا: إنه يعلم أن القيام بذلك هو الأمر الصائب، قال: إنه تجب مراعاة الولايات المتحدة، وواضح أن أفضل ما يمكن القيام به هو تفادي الحرب، وإدخال المفتشين الدوليين وإخراج كل الأسلحة، وواضح أيضًا أنه تجب مراعاة الولايات المتحدة ودفعها إلى موقع أفضل. قال بلير: "هذا ما علينا القيام به". إلا أننا لن نستطيع القيام به إذا ما بقينا نعارض الولايات المتحدة كل الوقت. وأخذ بلير يؤكد أن الأمم المتحدة جيدة إذا اتضح أنها الطريق لحل المسألة[٢]، لكن لم يعن ذلك أنها ستتحاشى المسألة. وفي هذا الشأن يقول بلير في مذكراته: "كان الأمريكيون يعتقدون أن الأمم المتحدة تعيقهم، أما اعتقادي أنا فكان وجوب إنشاء تحالف كي نفوز، وأن الأمم المتحدة كانت الوسيلة الأسهل للوصول إلى هذا التحالف"[٣].

---

(1) George Bush,Op. cit., p. 247.

(2) Tony Blair, op. cit,. p. 441.

(٣) Ibid., p. 445 وديك تشيني مع ليز تشيني، مصدر سبق ذكره، ص ٤٣٩، ٤٤٦.

إن بلير كان واضحًا جدًّا في أنه لا يمكن لبريطانيا أن تنسلخ عن الولايات المتحدة من دون سبب وجيه، على الرغم من أنه كانت هناك أفكار في بريطانيا تقول بأنه يجب أن يحصل دعم من الأمم المتحدة، ويجب وجود دليل فعلي، وكان بلير يقول: إن علينا إخراج صدام بأكثر من طريقة سلمية ممكنة، لكن يجب قبل أي شيء ترتيب عملية السلام في الشرق الأوسط. قال توني بلير: إن هناك إمكانية ٢٠٪ أن يتعاون صدام، لكن بوش قال: إنه لا يعرف ماذا تعني كلمة تعاون. واقترح بلير أن يطلب من مجلس الأمن إصدار قرار يوجه إلى الرئيس العراقي السابق صدام حسين تحذيرًا صريحًا بأن يسمح لمفتشي الأسلحة بالعودة إلى العراق؛ وإلا فإن عليه أن يواجه عواقب وخيمة. وهذا يعني أن بلير ارتأى العودة إلى الأمم المتحدة للحصول على قرار ثان يعلن أن العراق قد فشل في اغتنام الفرصة الأخيرة التي قدمت له. قال بلير: "ليس معنى هذا أننا بحاجة إلى قرار، ولكن وجود قرار ثان سيؤمن لنا الحاميتين العسكرية والسياسية". إلا أن بوش الابن لم يكن يؤمن بالأمم المتحدة؛ لأنه من وجهة نظره رأى أن مجلس الأمن أصدر ستة عشر قرارًا بحق العراق بلا طائل، ومع ذلك وافق على أخذ تلك الفكرة في اعتباره. وكان ستيفن هادلي متشددًا إلى حد كبير، متحدثًا عن أهمية نشر الديمقراطية والحرية. ويعتقد بلير أن النظام سينهار سريعًا جدًّا، وقال بوش: إن على جهاز استخباراتنا العمل للمساعدة في ذلك.

شعر بوش بأن الرئيس العراقي السابق صدام حسين يجعل بليكس والأمم المتحدة يبدوان كالحمقى، وشعر أيضًا بأننا إذا تخلصنا من صدام فسيمكننا إحراز تقدم في عملية سلام في الشرق الأوسط، كان بلير يقول: "هذه ليست قضية قناة السويس، فتلك لم يتم التمحيص فيها، والأمريكيون لم يكونوا هناك، لن أدع الأمريكيين يعملون من جانب واحد، سيكون ذلك خطأ،

وسيمكنني بهذه الطريقة التأثير فيهم. تجدر الإشارة في هذا المجال إلى أن بلير قد نفى اتهامه بتقديم "شيك على بياض" للرئيس الأمريكي السابق جورج بوش بالموافقة على شن حرب غير شرعية على العراق بدون صدور قرار من الأمم المتحدة، مؤكدًا أن مجلس الوزراء البريطاني كان على علم بتفاصيل قرار غزو العراق كافة، وفي هذا المجال نقلت صحيفة "الغارديان البريطانية" أن بلير أصر أمام لجنة التحقيق التي تجرى معه بشأن قرار مشاركة بريطانيا في الحرب على العراق على أنه لم يتخط زملاءه فيما يخص قرار مساعدة بريطانيا للولايات المتحدة في غزو العراق عام ٢٠٠٣ قائلًا: "إن الوضع الدولي تغير جذريًّا بعد هجمات القاعدة الإرهابية على الولايات المتحدة الأمريكية ١١ أيلول ٢٠٠١". وأضاف أنه عرض دعم بريطانيا على الرئيس بوش في مواجهة التهديد الإرهابي، وأعرب عن تأييده لاحتواء النظام العراقي، ومن ثم إنذار صدام حسين، وقال بلير: "الحكومة كانت على علم دائم، وشاركت في مناقشات كاملة حول الخطط البريطانية، وكانت مناقشات مجلس الوزراء مفصلة للغاية وعلى نطاق واسع جدًّا وبعمق شديد". وقال: إن مضمون طلبات الإحاطة يؤكد أن كل شيء تمت مناقشته على النحو الملائم، لا أستطيع أن أصدق، لا يوجد وزير واحد في الحكومة لم يكن يعرف الموقف، كنت أتحدث عن هذا كل أسبوع وأحيانًا كل يوم".

والحق أن هناك وثائق تشير إلى أن جولد سميث حذر بلير في مشورة قانونية له مرارًا من عواقب غزو العراق بدون تفويض جديد من الأمم المتحدة، إلا أن بلير أصر على خوض الحرب، وفي خضم ذلك وجهت تهمتان إلى بلير خلال ظهوره الثاني أمام لجنة التحقيق بشأن الحرب في العراق، الأولى تتعلق بموقفه الخانع في العلاقات مع الرئيس الأمريكي السابق بوش، واعدًا على نحو متهور

بدعم بريطانيا للإطاحة بالرئيس العراقي السابق صدام حسين قبل اتخاذ قرار بالحرب. أما الاتهام الثاني فهو كما رأينا، تجاهل بتعجرف المشورة القانونية من النائب العام بيتر غولد سميث. ولم يقدم بلير أدلة يدافع بها عن نفسه بشكل مقنع، وقد تم توجيه التهمة الأولى إليه بناء على المذكرات التي بعث بها بلير إلى بوش في المدة التي سبقت الغزو عام ٢٠٠٣، وقد تم حظر نشر تلك المذكرات مؤخرًا من قبل رئاسة الوزراء، ولكن جوهر المذكرات تنامى إلى الأسماع، ووفقًا لرواية بلير فإن الرسالة التي تم إيصالها إلى بوش هي: "يمكنك الاعتماد علينا". بلير يقول: إنه سعى إلى إضفاء شرعية على ذلك، من خلال حث الولايات المتحدة على السعي من أجل استصدار قرار من الأمم المتحدة لضمان أن دعم بريطانيا يستند إلى القانون الدولي؛ إلا أن ذلك قد تم تقويضه بسبب فشل الأمم المتحدة لتأمين إجماع دولي في هذا الصدد، وجادل بلير بالقول: إن قرار الأمم المتحدة رقم ١٤٤١ كان كافيًا لتبرير الحرب.

وردًّا على الاتهام الثاني قال بلير: إنه كان من المعقول تجاهل نصيحة اللورد غولد سميث بأنه كانت هناك حاجة لقرار ثان لجعل الغزو قانونيًّا؛ لأنه كان يعتقد أنه كان توجهًا "ظرفيًّا". وما يقصده هو أنه كان يشعر بأنه واثق من قدرته على ترهيب النائب العام لتغيير موقفه، كما نشر التحقيق أيضًا مذكرة من بلير إلى رئيس الأركان البريطاني جوناثان باول، تعود إلى نيسان من عام ٢٠٠٣، التي جادل فيها قائلًا: "إن الفلسفة السياسية التي تكترث بها دول أخرى، والتي من شأنها تغيير الأنظمة؛ ينبغي أن تتسم بالحماسة ضد صدام". وتلخص هذه الجملة حماقة موقف بلير بشأن العراق على نحو تام، فقد كان حماسيًّا في الوقت الذي كان ينبغي أن يلتزم فيه الحذر. وتبقى العواقب واضحة ليراها الجميع. قال المواطن البريطاني جون براون، الذي لقي ابنه نيكولاس براون (٣٤ عامًا) الذي كان

برتبة رقيب في قوات الإنقاذ حتفه في شمال بغداد عام ٢٠٠٨: إنه جلس يستمع إلى شهادة بلير وهو يشعر بالاشمئزاز. وقال: "إن الأمر يشبه شخصًا مثل آل كابوني أو جون غوتي، وهما يدليان بشهادتهما في المحكمة، وهو يعلم أنه اشترى ذمة القاضي وهيئة المحلفين، كدت أشعر بالغثيان؛ فقد أدى هذا الأمر إلى أن يشعر الجميع بالسأم؛ لأن الرجل لم يبد أسفًا على الإطلاق". وأضاف: "في رأيي، الطريقة الوحيدة التي سيوقفون بها هذا الرجل هي ساحة القضاء، واستجوابه من قبل المحامين، لا يعد هذا التحقيق صارمًا بما فيه الكفاية". أما بيتر بريرلي، الذي قتل ابنه شون (٢٨ عامًا) في عام ٢٠٠٣ فقد أضاف: "لكي يثبت أنه إنسان يجب أن يبدي بعض الأسف، إنني يحلو لي أن أصوره على أنه نوع من أنواع الوحوش، لكنه لا يزال من البشر، ويجب أن يؤثر ذلك عليه؛ فقد بدا عليه القلق وتعرض للضغط، فليس هذا ما يستحقه"(١).

ورئيس وزراء إسبانيا خوسيه ماريا أزنار (في إسبانيا هناك ٤٪ فقط من الدعم للتحرك العسكري من دون قرار ثان من مجلس الأمن، و٣٣٪ معه. قال توني بلير لأزنار: إن ٤٪ هي تقريبًا العدد الذي يمكن الحصول عليه من استطلاع للأناس الذين يعتقدون أن ألفيس برسلي حي، لذا فإنه يواجه كفاحًا؛ إلا أن أزنار بدا على القدر نفسه من التصميم الذي لبلير، وأظهر استطلاع في إسبانيا وجود ٩٥٪ من المعارضين(٢). من تأكيدهم في قاعدة عسكرية أمريكية بجزر الازور "إننا سنستخدم القوة ضد العراق في غضون أربع وعشرين ساعة

---

(١) ألستير كامبل وريتشارد سكوت، سنوات بلير، شركة المطبوعات للتوزيع والنشر، بيروت، ٢٠٠٨، ص ٩١٤، ٩١٧، ٩٢٠، ٩٤٩، ٩٥٨ . وصحيفة " تجديد "، العدد ٣٤، ٣٥ بغداد، ١ – ١٠ شباط ٢٠١١ .

(٢) المصدر نفسه، ص ٩٦٧ – ٩٦٨.

وبدون مجلس الأمن". وكان هذا إنذارًا لمجلس الأمن – "وإلا فسوف نغزو العراق ونفرض نظام الحكم الذي نختاره من دون مصادقتك عديمة المعنى، وسوف نقوم بذلك حتمًا سواء أغادر صدام وأفراد أسرته البلاد أم لا". وقال بوش: "إن غزونا مشروع؛ لأن الولايات المتحدة تملك السلطة السيادية لاستخدام القوة في ضمان أمنها القومي المهدد من قبل العراق بوجود صدام أو بعده، وإن الأمم المتحدة غير ذات صلة لأنها لم ترتفع إلى مستوى مسئولياتها، وإن الولايات المتحدة عازمة على تنفيذ مطالب العالم الدولية"(١).

لم يحصل الرئيس جورج بوش على موافقة الكونجرس في شن حرب على العالم، في حالة عدوان ضد العراق في عام ١٩٩٠، وعلى الرغم من تأييد الكونجرس في النهاية بقرار الرئيس بوش، فقد أعلن الأخير قائلًا: "إنه كان سيهجم ويقاتل العراق سواء وافق الكونجرس أم لم يوافق".

هنا لا بد من التأكيد على حقيقتين جوهريتين، هما:

١ – إن البيئة الأمنية التي تواجهها الولايات المتحدة اليوم تختلف اختلافًا جوهريًّا عن تلك التي وجدت قبل خمسين أو خمسة وعشرين أو حتى عشر سنوات، حين جلس ترومان وأتشسون وكينان ومارشال لتصميم بنية نظام ما بعد الحرب العالمية الثانية، كان إطارهم المرجعي التنافس بين القوى العظمى الذي هيمن على القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين، في ذلك الوقت أتت أخطر التهديدات التي واجهت الولايات المتحدة من الدول

---

(١) نعوم تشومسكي، الهيمنة أم البقاء السعي الأمريكي إلى السيطرة على العالم، مصدر سبق ذكره، ص ٤٣-٤٤. و George Bush, p p. 232,244.

التوسعية، مثل ألمانيا النازية أو الاتحاد السوفييتي، التي كانت قادرة على نشر جيوش جرارة واستخدام ترسانات قوية لغزو الأراضي والمناطق المهمة، وتقييد قدرة الولايات المتحدة عن الوصول إلى الموارد الحيوية، وإملاء شروط عالم التجارة،

ذلك العالم لم يعد موجودًا؛ فاندماج ألمانيا واليابان في النظام العالمي القائم على الديمقراطيات الليبرالية واقتصاديات السوق الحرة ألغى تهديد صراعات القوى الكبرى داخل العالم الحر، وظهور الأسلحة النووية "والدمار المتبادل الأكيد" جعل أخطار الحرب بين الولايات المتحدة والاتحاد السوفييتي احتمالًا بعيدًا جدًّا حتى قبل سقوط جدار برلين، اليوم تلتزم أقوى دول العالم (ومنها الصين الشعبية إلى حد بعيد ومتزايد)، والأهم أن الغالبية الساحقة من الشعوب التي تعيش في هذه الدول -مجموعة مشتركة من القواعد الدولية الناظمة للتجارة، والسياسة الاقتصادية والحل القانوني والدبلوماسي للنزاعات، حتى إن كانت لا تلتزم على نطاق واسع بأفكار الحرية ومفاهيم الديمقراطية داخل حدودها.

من وجهة النظر الأمريكية يأتي التهديد المتنامي من تلك الأجزاء من العالم التي تقع على هوامش وأطراف الاقتصاد العالمي، حيث لم تتجذر قواعد الطريق العالمية، أجزاء تشمل الدول الضعيفة أو الفاشلة، والحكم الاعتباطي والفساد والعنف المزمن، مناطق غالبية سكانها الساحقة من الفقراء والأميين والمهمشين والمبعدين عن شبكة المعلومات العالمية، أماكن يخاف فيها الحكام من أن ترخي العولمة قبضتهم المحكمة على السلطة، أو تضعف الثقافات التقليدية، أو تحل محل المؤسسات المحلية.

من هنا نرى أن صانع القرار في الولايات المتحدة يحاول إعلان صياغة سياسة خارجية أمريكية للقرن الحادي والعشرين، سياسة لا تكتفي بالتكيف مع التخطيط العسكري والعمليات الاستخبارية والدفاعات الوطنية أمام تهديد ما يسمى بالشبكات الإرهابية فقط، بل تبني إجماعًا دوليًّا جديدًا حول التهديدات العابرة لحدود الدول.

الولايات المتحدة الأمريكية على عهد الرئيس السابق جورج دبليو بوش تبنت مفهوم الحروب الوقائية، كتلك التي تم شنها على العراق في عام ٢٠٠٣. إن غزو الولايات المتحدة للعراق لم يكن إجراء احترازيًّا، بل كان كحربها في المكسيك عام ١٨٤٦ حرب اغتصاب مع سبق الإصرار دون أي استفزاز من العراق الذي لم يشكل أي خطر مباشر، لكن هزيمته قدمت للولايات المتحدة امتيازات اقتصادية.

إن هذه الحرب لم تفرض على الولايات المتحدة، بل إن الأخيرة اختارت خوضها بملء إرادتها على الرغم من إنكار البيت الأبيض المستمر لهذه الحقيقة.

هنا لا بد من التأكيد على أن صانع القرار في الولايات المتحدة يختار "التوقيت غير المناسب" لخوض هذه الحروب من حيث مصطلح "نظرية الأمن القومي الأمريكي"، هذا المصطلح القديم لم يعد عصريًّا والذي تم تجاهله كثيرًا على اعتبار أن المصالح القومية هي مسألة حياة أو موت، فضلًا عن ذلك؛ فإن اختيارها لهذا التوقيت يظهر فشلًا ذريعًا، بل ومقصودًا من حيث التقدير السليم للقوة الأيديولوجية القاتلة وإمكانية تعاظم الخطر المتجسد بموضوع ما يسمى بالإرهاب.

كان بإمكان الولايات المتحدة الاستفادة فيما يخص العراق من نصيحة الرئيس لنكولن لوزير خارجيته وليام هنري سيوارد في ربيع من عام ١٨٦١، وذلك

عندما اقترح الوزير سيوارد شن حرب ضد فرنسا وبريطانيا من أجل توحيد الشمال والجنوب لمواجهة عدو مشترك، حيث قال له الرئيس لنكولن بحكمة: "سيد سيوارد، لنهتم بحرب واحدة الآن"(١).

٢ – في خريف عام ٢٠٠٢ اقتنع غالبية الأمريكيين بامتلاك الرئيس العراقي السابق صدام حسين أسلحة دمار شامل، وفي هذا المجال يعترف بوش الابن بعدم دقة معلومات جاءت من وكالة المخابرات المركزية الأمريكية حول هذه الأسلحة قائلًا: "اتخذت قرارًا منذ وقت مبكر بعدم انتقاد الوطنيين المتفانين في عملهم من مسئولي وكالة المخابرات المركزية على خطأ معلوماتهم بشأن العراق؛ لأنه لم يشأ أن يكرر أسلوب التحقيقات السيئ المعتمد على توجيه الاتهامات الذي دمر معنويات الوسط المخابراتي في سني السبعينيات"(٢). واعتقد ٦٦٪ منهم على الأقل وبشكل خاطئ أن الرئيس العراقي متورط شخصيًّا بهجمات الحادي عشر من أيلول. أما نسبة التأييد لغزو العراق، والتأييد لبوش الابن، فقد بلغت ٦٠٪.

سَرَّعَ الجمهوريون وعيونهم على الانتخابات النصفية وتيرة الهجمات، ومارسوا الضغط من أجل الحصول على تفويض باستخدام القوة ضد الرئيس السابق صدام حسين، وفي الحادي عشر من تشرين الأول ٢٠٠٢ انضم ثمانية وعشرون عضوًا من أعضاء الكونجرس الديمقراطيين الخمسين إلى الأعضاء الجمهوريين (باستثناء واحد) في تسليم الرئيس السلطة التي أرادها(٣).

---

(١) مايكل شوير، الفوقية الإمبريالية الأمريكية، لماذا يخسر الغرب الحرب على الإرهاب، ترجمة سمة محمد عبد ربة، الدار العربية للعلوم، بيروت، ٢٠٠٥، ص ٢١ – ٢٢.

(2) George bush, op cit., p. 269

(٣) باراك أوباما، جرأة الأمل أفكار عن استعادة الحلم الأمريكي، ط ٢، ترجمة معين الإمام، مكتبة العبيكان، الرياض، ٢٠٠٩، ص ٢٩٨، ٣١٠ – ٣١١. وسكوت مكليلان، مصدر سبق ذكره، ص ٢٧٩.

يدور نقاش كبير حول منح تفويض للرئيس الأمريكي جورج بوش يمنحه حق شن حرب عسكرية ضد العراق، مما يعني حسب رأي عضو الكونجرس الأمريكي السابق بول فندلي تحويل رئيس الولايات المتحدة إلى ديكتاتورية بشكل رسمي[١]. وهنا لا بد من التأكيد على أن الولايات المتحدة خاضت أكثر من ١٣٠ حربًا، إلا أن خمسًا منها تم إعلانها من قبل الكونجرس[٢].

تجدر الإشارة في هذا المجال إلى أن الرئيس بوش الابن اعترف ولأول مرة بأن قرار الحرب على العراق استند على معلومات استخبارية خاطئة، مشيرًا إلى أنه يتحمل مسئولية شن الحرب على العراق.

إن التوزيع الأساسي لاقتسام السلطات للمعاهدات يضع سلطة التفاوض عند الرئيس، ولكن يتطلب أن تتم المصادقة على المعاهدة بوساطة ثلثي الأغلبية لمجلس الشيوخ، على السطح يظهر أن هذا التقويم يعمل بصورة جيدة، فمن ١٧٠٠ معاهدة تم توقيعها من قبل الرؤساء في تاريخ الولايات المتحدة فقط تم رفع ٢٠ منها إلى مجلس الشيوخ، ولكن هناك بعض الإحصائيات البسيطة التي يمكن أن تؤدي إلى استنتاجات خاطئة.

إن مجلس الشيوخ قد يرفض معاهدة لها نتائج كبيرة كرفضه عام ١٩١٩–١٩٢٠ لمعاهدة فرساي، ورفضه عام ١٩٩٩ لمعاهدة الحظر الشامل للتجارب النووية. وسبب آخر أن الكونجرس له طرق بديلة للتأثير على المعاهدات من خلال رفضها، فعلى سبيل المثال إنه يمكن أن يعرض نصيحة خلال المفاوضات من خلال مسئولين رسميين (مجاميع مراقبة) التي غالبًا ما ترافق مفاوضي قسم

---

(1) http/ www –Alagzeera. Net/programs / No.19 /10/2002

(٢) فواز جرجس، مصدر سبق ذكره، ص ٢٠.

الدولة، أو قد يحاول إلصاق ملحق لتغيير نقاط المعاهدات، وبالتالي قد تصبح متضاربة؛ لأنها قد تتطلب إعادة فتح المفاوضات مع الدولة أو الدول الأخرى.

ومن جانب آخر فإن للرؤساء عدة طرق وإستراتيجيات لتفادي أو تحوير اعتراضات المجلس، وبالذات فإنهم قد يلجئون لطرق غير المعاهدات مثل الاتفاقات التنفيذية لعمل الالتزامات الدولية، فالاتفاقات التنفيذية عادة لا تتطلب موافقة الكونجرس أصلًا بل تترك لموافقة الثلثين، وعلى الرغم من الناحية النظرية فإن الاتفاقات التنفيذية من المفترض أنها تستعمل الشئون الصغرى بين الحكومات مع ترك المواضيع الرئيسة إلى المعاهدات، ولكن لم يتم تحديد الخط بدقة بين الحدود.

فضلا عن ذلك فإن الالتزامات السياسية الخارجية الأكثر أهمية أحيانًا تأتي من المعاهدات والاتفاقات الثنائية أو التنفيذية أو أي شكل قانوني أو مكتوب آخر مثل تلك الالتزامات الإعلانية تأتي من الخطب والأقوال من قبل الرئيس، وهذه كانت الحالة على سبيل المثال مع إعلان مونرو والتي بدأت من خلال حديث من قبل جيمس مونرو في عام ١٨٢٣ والذي أصبح حجر الأساس للسياسة الخارجية الأمريكية غربي خط الاستواء، وكذلك إعلان ترومان ١٩٤٧ حيث يدعو إعلانه إلى مساندة الناس الأحرار الذين يقاومون محاولات القمع من الأقليات المسلحة، أو من خلال الضغوط الخارجية التي أصبحت أساسًا لإستراتيجية الاحتواء في الولايات المتحدة الأمريكية خلال عقد من الزمن بين ٤٠ –٥٠ سنة[١].

(1) Bruce W. Jentleson, American Foreign policy The Dynamics of choice in the 21 st Century, printed in the United States of America 2000,pp.31-30

ليس كل ممثلي الفرع التنفيذي لهم أدوار رئيسة في السياسة الخارجية؛ إذ يبقى الرئيس في الولايات المتحدة الشخص الأساس المتخذ للقرارات، والحق أن هذا يتوقف على جملة عوامل، يمكننا إيجازها في الآتي:

١- **خبرته في السياسة الخارجية**، التي يترجمها في مكتبه. وعليه نرى أن الخبرة عند الرئيس جورج بوش كانت عاملًا دفع به إلى البيت الأبيض من خلال عمله رئيسًا للمخابرات المركزية الأمريكية، وسفيرًا في الأمم المتحدة، ومدير مكتب CIS في الصين. وهذا ما يدفعنا أيضًا للعودة إلى خبرة الرؤساء في القرن الثامن عشر والعشرين؛ إذ كانت لهؤلاء خبرة مستديمة في السياسة الخارجية، فأربعة من أول ستة رؤساء قد خدموا سابقًا في وظيفة سكرتير الدولة أمثال: توماس جيفرسون وجيمس مونرو وجون كوينسي أدام، إلى جانب هذا كان هناك رئيسان آخران في القرن التاسع عشر وهما: مارتن فان بورن وجيمس بوكانان، ولكن لا يوجد الآن رؤساء يكتسبون هذه الصفة. ومن بين سبعة قادة عسكريين أصبح واحد منهم رئيسًا للجمهورية وهو دوايت إيزنهاور في القرن العشرين، أما في القرن الثامن عشر فنكون أمام جورج واشنطن، وفي القرن التاسع عشر فلنا تجربة أندرو جاكسون ووليام هنري هاريسون وزاكاي تايلور ويوسلوس كوانت وبنيامين هابيون، والعديد من الباحثين يعزون بعض معضلات السياسة الخارجية إلى كل من رونالد ريغان وبيل كلينتون؛ إذ كانت لهما خبرة أولية سابقة في السياسة الخارجية.

٢- العامل الثاني الذي له دور في عملية صنع القرار يكمن في **صفات الرئيس كشخص** مثل أي إنسان له مسيرة في الحياة، وعلى الرغم من أن الشخصية نادرًا ما تكون المحدد الرئيس للسلوك، فإنها في بعض الحالات لها تأثير كبير عليه. إن عدم رغبة الرئيس ودرو ولسن التفاهم مع أعضاء مجلس

الشيوخ على معاهدة فرساي إنما يعزى إلى اعتداده الشخصي مع سمات شخصية أخرى.

إن شخصية نيكسون قد أثرت بصورة واضحة على سلوكه الخارجي ولا سيما في قضية فيتنام راعى نيكسون الخصوم كونهم أعداء، والانحناء السياسي عنده يعد إهانة شخصية، فضلًا عن الحاجة الملحة لمفهوم الأمن. هذه الصفات الملحة عنده أبقت نيكسون على جهوده في حرب فيتنام، على الرغم من معرفته بإخفاق ذلك، ونزعة الخوف التي لاحقته دفعته إلى وضع ذلك؛ أي وضع إعداد الحرب على لائحة الأعداء، وتوظيفه وكلاء CIA السابقين للعمل بالسر والكتمان كعامل مجار، ومثل هذه التصرفات المدمرة للشخصية في الأساطير الإغريقية القديمة قد أدت إلى سقوط نفسه عبر فضيحة واترغيت.

وفي هذا المجال يقول روبرت جيفرسون: "إنه من المستحيل عادة تفسير القرارات الحساسة بدون الرجوع إلى معتقدات وأفكار صانع القرار حول العالم وتصوره نحو الآخرين"[(١)].

والحق أن هناك مجموعة من الأسباب التي أدت إلى سمو المؤسسة التنفيذية على الكونجرس في الولايات المتحدة، يمكننا إيجازها في الآتي:

١- تحتكر المؤسسة التنفيذية في الولايات المتحدة جميع المعلومات الخاصة بالقضايا الاستخبارية والدبلوماسية والدفاع والتجارة.

٢- إن القضايا الخاصة بالتجارة الدولية، ومعرفة التاريخ الدبلوماسي، والأمور الخاصة بالشئون الثقافية والعسكرية بحاجة إلى معرفة تخصصية نوعية، وفي هذا المجال فإن المؤسسة التنفيذية لها القدرة على كيفية الوصول إليها.

---

(1) Lbid.,p.38

٣- قدرة المؤسسة التنفيذية على اتخاذ القرار ولاسيما في مجال الأمن القومي وبدون التشاور مع الكونجرس، وهناك أمثلة متعددة تعزز هذا الرأي؛ ففي الرابع من حزيران عام ١٩٥٠ قرر ترومان مستخدمًا سلطاته الطارئة لمساعدة كوريا ضد كوريا الجنوبية الشمالية بدون استشارة الكونجرس، دخول إيزنهاور في عام ١٩٥٤ بالتزامات كبيرة مع حكومة ديام في فيتنام بدون استشارة الكونجرس، وإبرام كيندي اتفاقية أمنية مع لاوس بدون معرفة الكونجرس، وقيام جونسون في ربيع عام ١٩٦٥ بإرسال ٢٢.٠٠٠ جندي أمريكي إلى جمهورية الدومنيكان دون موافقة الكونجرس، واستمرار نيكسون على غزو كمبوديا عام ١٩٧١، وتجنب التشاور مع الكونجرس في المشكلات الخاصة بالحرب، وتخطيط كارتر في عام ١٩٨٠ بعملية كبيرة لإنقاذ الرهائن الأمريكان في طهران من دون إعلام المؤسسة التشريعية[١].

يتضح مما تقدم أن المجتمع المعاصر هو مجتمع يتصف بالجماهيرية، وذلك بأكثر من معنى واحد يسيطر عليه من ناحية فكرة الرجل العادي الذي له معرفة وإدراك بما يحيط به، وخضوعه لنظام سياسي قائم على سيادة الكم على

---

(١) المصدر نفسه، ص ٧٢-٧٣. وجود، مصدر سبق ذكره، ص١٢٦، ١٣٣، ١٣٩. تجدد اهتمام الكونجرس خلال حرب فيتنام بتنفيذ سلطات الرئيس في مجال السياسة الخارجية وشن الحروب، وتحدى الكونجرس خطوة خطوة سلطات الرئيس، وبلغت ذروة هذا التحدي بقانون سلطات الحرب لعام ١٩٧٣. راجع: جود، مصدر سبق ذكره، ص٢١٥.

دافع بول دوجلاس -من الحزب الديمقراطي- عن تصرفات الرئيس بقوله: إن الحرب الحديثة تجعل التصرف الفوري أمرًا ضروريًّا، وهو نوع من التصرف الذي لا يمكن أن يمارسه الكونجرس. وأضاف: "مع استخدام الدبابات والطائرات والقنبلة الذرية فإن الحرب يمكن أن تحدث فور اللحظة، ويمكن أن تقع كارثة بينما يجتمع الكونجرس ويتباحث". راجع: جود، مصدر سبق ذكره، ص١٢٧.

الكيف، ويقوده قائد يعبر عن الوعي الجماعي أكثر من تعبيره عن النبوغ الفردي، وقد أدى هذا إلى انهيار الحواجز بين السياستين الداخلية والخارجية، وكان من نتائج ذلك أن أدى إلى خلق أزمات قومية من خلال الملاحظات الآتية:

١- بدأت السياسة الخارجية تؤثر على السياسة الداخلية، أو بتعبير آخر بدأ هذا العامل في التأثير العكسي على العوامل السابقة؛ فالقائد الجماهيري الذي يحاول استمالة تأييد الخاضعين له يعمل جاهدًا من خلال فوز خارجي في قضية من القضايا على تعظيم انتصاراته للحصول على التأييد الشعبي، وقد أسهمت عوامل محددة على ذلك، يمكننا إيجازها في الآتي:

I) إن النظام السياسي الداخلي قد لا يسمح بخلق عملية توفيق مع متطلبات السياسة الدولية في عالم اليوم.

II) سطحية المعلومات لدى الرأي العام المحلي وتقويمه الجماهيري تدفعه إلى ألا يرى المخاطر الكامنة حوله، وهو ليس على استعداد لأن يصغي إلى غير ذلك الذي يكون صانع القرار مصدره من معلومات، ومن هنا نستطيع أن نقول: إن سعي القيادة الجماهيرية إلى أن تشكل السياسة الخارجية على أسس من معايير السياسة الداخلية، هي من ضمن خصائص دول العالم الثالث، التي تتميز بعدم التوازن وحالة القلق في السياسة الخارجية؛ لأن مثل هذه الدول تتبنى مواقف قد تتسم بالنقيض، واتخاذ قرارات تحكمها اعتبارات الساعة والأهداف المؤقتة التي في الغالب تكتنف بالزعيم الملهم أو بالطبقات الحاكمة أو مستشاريهم.

٢- أسهمت الظاهرة الجماهيرية للمجتمع المعاصر في هيمنة الجوانب الاقتصادية ومن نوع معين في السياسة الخارجية، بسبب سيطرة الجانب

الاستهلاكي على المجتمع المعاصر؛ إذ يسعى هذا الجانب إلى إشباع حاجاته المادية الآنية التي تراود ذهنه وفي فهمه التقدم الاجتماعي والرخاء السياسي(١).

من كل هذا يتضح أن هناك قولًا قديمًا يقول: (السياسات تقف عند حافة المياه) وبكلمات أخرى فإن أعضاء الأحزاب والاختلافات السياسية الأخرى التي تميز السياسة الداخلية يجب أن يتم تجاهلها أو تركها عند حافة المياه عند الدخول في معمعة السياسة الخارجية، وذلك لكي يتوحد البلد لمواجهة التحديات الخارجية.

والمثال الأكثر تقديمًا من قبل المحللين لهذه الفكرة هو وقائع العهد المبكر للحرب الباردة التي كانت "العهد الذهبي للشراكة الحزبية"، وهنا كما صورها كتاب مهم بعنوان "قصة الديمقراطية في أفضل حالاتها" عندما يعمل الجناح التنفيذي للحكومة أبعد بكثير من الحدود والحواجز الطبيعية للسياسة الحدية والكونجرس أبعد من هذه الحزبية الاعتيادية، والأمريكيون كمجموعة واحدة أبعد من الأنانية والتنافس، وكل هذه الأطراف الثلاثة تعمل معًا لإكمال قبول الأمة للمسئولية على العالم، وهذا ما يَفترض أن تكون عملية السياسة الخارجية تسير وفق سياسة ما تسمى بحافة المياه(٢).

وباعتبارات ثلاثة رئيسة فإن هذا الاعتبار القائل بأن السياسة تقف عند حافة المياه يعد أسطورة يجب التخلص منها(٣):

---

(١) الدكتور حامد ربيع، نظرية السياسة الخارجية، مصدر سبق ذكره، ص ٥.

(2) Jentleson, Op. Cit.,p.26

(3) lbid.,pp.26-28

أولًا: وبصورة تاريخية فإن الاعتبارات الداخلية التي تميز عهد الحرب الباردة هي استثناء وليست قاعدة؛ فإن النظرة العامة بأن السياسات الانقسامية الخارجية قد بدأت مع حرب فيتنام، ولكن على الرغم من أن فيتنام لم تقسم إحساسات الحرب الباردة فإنها كانت وبالكاد المرة الأولى التي لم تقف فيها السياسة الخارجية عند حافة المياه، وفي السنوات السابقة للحرب العالمية الثانية فإن الرئيس فرانكلين روزفلت كانت له معركة سياسية شديدة مع الكونجرس المنعزل.

وفي السنوات التي تبعت الحرب العالمية الأولى فإن الرئيس ودرو ولسن عانى من واحدة من أسوأ الخسارات في السياسة الخارجية على الأطراف عندما رفض مجلس الشيوخ التوقيع على معاهدة فرساي.

وبإمكاننا العودة إلى عام ١٧٩٤ والرئيس جورج واشنطن الأب وصراعه مع الكونجرس على المعاهدة مع بريطانيا العظمى (معاهدة جاي)، إن الجدل الشديد على المعاهدة المذكورة للتودد إلى بريطانيا في حربها مع فرنسا كانت مقارنة مساوية للمعارك السياسية الحالية، وإن مجلس الشيوخ وقع على المعاهدة ولكن بفارق صوت واحد فقط، وبالتأكيد فإن نقاشات معاهدة جاي كانت عاملًا رئيسًا في قرار الرئيس واشنطن بالتقاعد لمونت فيرنون بدلًا من الحصول على تجديد لمرة ثالثة للرئاسة.

ثانيًا: إن الموافقة ليست دائمًا شيئًا جيدًا، إنه من الأكيد أن تكون لتقوية التضامن الوطني خلف سياسة الأمة الخارجية، لكن الوحدة الوطنية شيء وتوحد الاختلافات شيء آخر، والمثال الأكثر وضوحًا كان ضد الشيوعيين الذي أطلقه ماك كارثيزم في ١٩٥٠ والذي من خلاله تم إطلاق مصطلح الولاء على

مسئولي الدولة من الأساتذة والعلماء والمواطنين العاديين، وقد تم تحريم الاختلاف كذلك خلال الحرب العالمية والتي كان فيها من المهم جدًّا الاتفاق الداخلي بغرض مواجهة تحديات الحرب، ومع ذلك فإن العديد من الأمريكان قد دفعوا ثمنًا قليلًا من الحريات الشخصية والحقوق الفردية خلال الحرب. إن قوانين معينة قد تم وضعها خلال الحرب العالمية الأولى سمحت بمثل هذه الإجراءات التعسفية، مثل منع التسليم البريدي لأية مجلة تتضمن وجهات نظر منتقدة لجهود الحرب، وكانت هذه التحديات عديدة، فخلال الحرب العالمية الثانية قد امتدت عقلية الأمن القومي إلى قلع ١٢١٠٠٠ أمريكي ياباني ووضعهم في معسكرات حجز على أساس أصلهم فقط.

ثالثًا: اختلافات السياسة الداخلية ليست دائمًا ضارة للمواضيع السياسية الخارجية؛ فإن بإمكانها طرح افتراضات متبادلة الأطراف جدية، فإن الاختلافات والمفاوضات يمكن أن تفعل ذلك من خلال الاعتبارات للمواضيع؛ فإن بإمكانها بدء مفاوضات بناءة حول السياسة التي تخدم المصالح الوطنية أكثر من أي شيء آخر، وكما كتب لي هاملتون رئيس هيئة الشئون الخارجية السابق بأن الجدال والتوتر البناء وآراء السياسة يمكن أن تجلب قرارات وأعمالًا تمثل فرصة أفضل لخدمة مصالح وقيم الأمريكيين، وكذلك هناك مثال جيد على هذا يتمثل في ظهور الخلافات حول دور الولايات المتحدة بالمساعدة في استعادة الديمقراطية في الفلبين في منتصف الثمانينيات، حيث إن السياسة المفضلة من قبل رونالد ريغان هي الاستمرار بدعم الديكتاتور فرديناد ماركوس حتى بعد أن اغتالت قائد المعارضة الديمقراطية بانكو أكينو وحتى بعد أدلة ثابتة على تفشي الفساد بحكم ماركوس، ولكن الكونجرس الأمريكي وبقيادة تحالف ثنائي بين الجمهوريين والديمقراطيين، رفض أن

يماشي الدعم غير المشروع أو المشروط لماركوس حين دفع لمساندة القوات ما قبل الديمقراطية بقيادة كروزان أكينو أرملة المعارض المقتول، حيث تم استعادة الديمقراطية وجعلها حليفًا أكثر استقرارًا للولايات المتحدة، وقد لا يمكن تحقيق ذلك في أي حال عندما لا تكون الأمور جيدة وهي تأتي أحيانًا من معارضة موضوعات السياسة الخارجية المعاصرة.

وبالتالي فإن حقائق السياسات الخارجية العملية التي يتم من خلالها عمل خيارات السياسة الخارجية فيها أكثر تعقيدًا من الحكمة الاعتيادية.

يتضح مما تقدم أن السياسة الخارجية تشمل غالبًا الاحتفالية (المراسيم)، وهكذا تسمح للرئيس بأن يظهر في دوره كرئيس دولة، ممثلًا للأمة ومجسدًا للشعب. في هذه الأيام -أيام السياسة المتلفزة- باختصار- تبدو السياسة الخارجية وكأنها تسمح للرئيس بأن ينشئ تصورًا محبذًا بصورة غير متحفظة، وأن واحدًا لا يمكن لأي ممثل سياسي آخر أن يشابهه[١].

وهذه النقطة واضحة في السياسة الخارجية الأمريكية؛ إذ تسمح هذه السياسة للرئيس بصورة حاسمة أن يعرض قيادة قادرة على اتخاذ موقف حازم فيها، وأن يضع موافقة شخصية على السياسة الوطنية[٢].

يعدّ الرئيس الأمريكي المسئول الأول عن وضع السياسة الخارجية، ويخول الدستور لرئيس الجمهورية المبادرة في موضوعات السياسة الخارجية ولاسيما فيما

---

(1) Stuckcy, Mary E., “ the Traps of power ; The president, Foreign Policy, and the puplic “. Wirld Affairs. Vol.111, Issue, Winter / Spring 1996, P.292.

(2) Ibid.,

تضمنته المادة الثانية منه التي أشارت إلى أن رئيس الجمهورية هو القائد العام للجيش والبحرية الأمريكية، وكذا لقوات ميلشيا الولايات المتحدة عندما يتم استدعاؤها للخدمة. وتمنح الفقرة الثانية من المادة نفسها سلطة عمل الاتفاقيات وتعيين السفراء والوزراء والقناصل وغيرهم من المسئولين وإن كان ذلك مشروعًا بالحصول على مشورة وموافقة الكونجرس. على أن رئيس الجمهورية يتمتع بحق استخدام الفيتو ضد أي مشروع يوافق عليه الكونجرس، وهذه الأداة يستخدمها الرئيس ضد الكونجرس عند اللزوم[١].

كل ذلك يعني بالطبع أن إدارة الرئيس في الولايات المتحدة للسياسة الخارجية تفعل شيئًا، لكنها تفعل بطرق تفهم فقط للشعب بأن الرئيس يقود كلًّا من السياستين الداخلية والخارجية.

إن تعريف ما يؤسس قيادة في الفقه الأمريكي كيفما كان هو قابل للتطويع، ويعتمد على كل من الظروف المحددة والأفراد المشمولين[٢].

إن دور الكونجرس الأمريكي في استخدام القوات ما وراء البحار يبقى واحدًا من أكثر المشكلات صعوبة في السياسة الخارجية. إن دراسة حالة البوسنة

(١) الدكتور حسين شريف، مصدر سبق ذكره، ص١٨.

(2) Ibid., P. 296.

المؤسسة التنفيذية عادة لها وظائف ترتبط بالنظام، والأداة التنفيذية تعد في مكانة القيادة في إطار النظام السياسي، فقد يتولى قادة مثل لينين ومصطفى كمال أتاتورك وروزفلت وديغول وريغان وأديناور مهمة رئاسة المؤسسة التنفيذية، وتضفي نشاطاتهم وأفكارهم وتصوراتهم على النظام السياسي قدرة على التكيف والاستقرار. راجع:

Almond, Gabriel A., and Powell Jr., G. Bingham, Comparative Politics Today A Wirld riew, print in UAS, 1988, P.113.

يمكن أن يساعدنا أن نفهم بشكل أفضل كيف تفاعل الرئيس والكونجرس في المرة القادمة إذا ما واجهت الولايات المتحدة قرارًا بإرسال قوات أمريكية إلى حالة خطر كامن من وجهة نظر صانع القرار(١).

حين أصبحت معاهدة السلام في البوسنة حقيقية في خريف ١٩٩٥، فإن إدارة كلينتون بينت بوضوح أنها ستعمل من أجل دعم الكونجرس لإرسال القوات، قبل ذلك بسنتين قال الرئيس كلينتون: إنه سوف يعمل للحصول على موافقة الكونجرس قبل إرسال القوات، وحين كان القرار وشيكًا، مع ذلك، فإن الرئيس كلينتون، مثل الرئيس بوش في العدوان على العراق عام ١٩٩١م، أوضح أنه سوف يرسل القوات إلى البوسنة حتى في غياب الدعم من الكونجرس(٢).

النزاع بين الرئيس الأمريكي والكونجرس ظهر واضحًا في سلسلة من الأصوات المثيرة للجدل في مجلس النواب ومجلس الشيوخ خلال تشرين الأول وتشرين الثاني وكانون الأول ١٩٩٥، مجلس النواب صوت مرتين قبل إكماله اتفاقية دايتون، القرار الأول المصادق عليه بأغلبية كبيرة في أواخر تشرين الأول عشية محادثات السلام في دايتون بين أطراف مفاوضات السلام يجب ألا يفترضوا أن تسهم قوات الولايات المتحدة في تنفيذ الاتفاق، وإن قوات الولايات المتحدة يتوجب أن ترسل فقط إذا أعطى الكونجرس تفويضًا مسبقًا(٣).

---

(1) Hamition, Lee " Congress and Foreign Policy ; the Case of Bosnia ', World Affaris, Vol.111. Issuel, Winter / Spring 1996, P.299.

(2) Ibid., P.301.

(3) Ibid., P.302

أبرم اتفاق دايتون في عام ١٩٩٥ دولة واحدة تكمن في البوسنة الهرسك وتضم كيانين، جمهورية

=

التصويت الثاني جاء بعد ذلك بثلاثة أسابيع، وقت اكتمال محادثات دايتون تقريبًا، كان هذا القرار ملزمًا في لغته بأنه منع استخدام البنتاغون للأموال لأجل البوسنة إلا إذا تم تخصيصها بصورة محددة لذلك الغرض[١].

والمثال على ذلك هو فعل الكونجرس الحالي حول استخدام ٢.٠٠٠ – ٤٠.٠٠٠ من القوات الأمريكية في البوسنة كجزء من قوة تنفيذ السلام التابع لحلف شمال

=

صربسكا (أو الجمهورية الصربية) واتحاد البوسنة والهرسك (الكرواتي المسلم)، وفي الاتحاد عشرة كانتونات تعكس التوزيع الاثني للبوسنيين والكروات، فرأت النور دولة البوسنة – الهرسك التي تتمتع بسيادة اسمية، وبقيت تنعم بالسلام طوال عقد، وتمكنت حتى من تخطي العديد من الطبقات الإدارية الملتفة التي حددها اتفاق دايتون كثمن لوقف إطلاق النار. راجع: إليزابيث بوند، الجولة الأخيرة في البلقان تغيير أنظمة الحكم على الطريقة الأوروبية، ترجمة ميشيل دانو، الدار العربية للعلوم ناشرون ش. م. ل، بيروت، ٢٠٠٨، ص ٢٠٠. أنهى اتفاق دايتون الحرب الدائرة في البوسنة، حيث إنها فتحت المجال لقوات حفظ سلام تحت قيادة حلف شمال الأطلسي، وقد أكد هذا الاتفاق مبدأ البوسنة الموحدة. ومن جانب آخر، حدد الاتفاق مجموعة من الأهداف تركزت حول الانتخابات، وإعادة اللاجئين، ووحدة الدولة. والحق تم رفع العقوبات المفروضة على يوغوسلافيا (صربيا والجبل الأسود) عندما أجريت الانتخابات في البوسنة بعد سنة من توقيع اتفاق دايتون، ومع ذلك احتفظت إدارة كلينتون بعقوبات ثنائية من أجل الضغط على ميلوسوفييتش بالرضوخ لاتفاق دايتون والتعاون مع محكمة جرائم الحرب والامتناع عن سياسة العنف في كوسوفو، على الرغم من ذلك فإن ميلوسوفييتش لم يرضخ لأي من هذه المعايير، ولم يتم رفع العقوبات الأمريكية إلا بعد إرغامه من الشعب الصربي الذي أدى إلى خروجه من السلطة في عام ٢٠٠٠. تجدر الإشارة في هذا المجال إلى أن الجنرال ويسلي كلارك القائد الأعلى لحلف شمال الأطلسي كان له الدور الكبير في مفاوضات دايتون. راجع: السيدة الوزيرة مادلين أولبرايت سيرة ذاتية، مصدر سبق ذكره، ص٢٨٥، ٣٨٤–٣٨٦، ٣٩٤.

(1) Ibid.,

الأطلسي IFOR، رغم أن الرئيس كلينتون قال: إنه رحب بدعم الكونجرس لمبادرته، إلا أنه بين بوضوح، كما فعل سابقوه المقربون رونالد ريغان وجورج بوش، أنه لم يؤمن بأن تفويض الكونجرس كان ضروريًّا وأن استخدام القوات كان سيتم مع أو بدون مثل هذا التخويل[١].

١- في بداية الحرب الباردة، بعد أن عم السلام العلاقات الدولية، طالب ترومان أعضاء الكونجرس الأمريكي بتقديم المساعدة العسكرية والاقتصادية لليونان وتركيا لوقوفهما ضد التهديدات الشيوعية، وخلالها صوت كل من العضوين جون كيندي ونيكسون لصالح مناشدة ترومان. وعلى الرغم من صعوبة التصويت من الناحية السياسية للعضو جون كيندي؛ لأن الديمقراطيين في مقاطعة ماسوشوست وهي مسقط رأسه؛ إذ إن الرأي العام فيها يعارض أية مساعدة عسكرية، أما فيما يخص نيكسون فإن كاليفورنيا وهي مسقط رأسه والرأي العام هو الآخر يعارضان أي نوع من المساعدات الخارجية، وفي هذا المجال يقول نيكسون: "إن تصفية أعظم حركات سواكننا الداخلية كانت أسمى من الساسة الموالين، إنها هزيمة الشيوعية، ونحن بما فعلناه قد مددنا يد العون وأطلقنا عنان مساعي الحزبين معًا لنكبح جماح العدوان الشيوعي في أوروبا الغربية على مدى أربعة عقود من الزمن، ولنوحد الأمة في قضية جليلة"[٢].

---

(1) Feingold, Russ, “ The Rule of Congress in Deploying U.S. Troops Abroad “, World Affairs, Vol. 111. Issuel, Winter / Spring 1996. P.305.

(٢) ريتشارد نيكسون، ما وراء السلام، ترجمة مالك عباس، الأهلية للنشر والتوزيع، عمان ١٩٩٥، ص٢١-٢٢.

٢- وكان هناك اعتقاد من قبل الرأي العام الأمريكي بأن انتهاء الحرب الباردة أسهم في حل مشكلات السياسة الداخلية الأمريكية، إلا أن ذلك قد أدى إلى عكس ذلك؛ لأن نهاية الحرب الباردة قد أدت إلى زيادة تلك المشكلات، وأصبح الأمريكان كما يقول نيكسون يتَّحدون ضد التحديات الخارجية والاختلاف ضد التحديات الداخلية، والحق أن السياسات الداخلية والخارجية توأمان متلاصقان لا يعيش أحدهما دون الآخر. وفي هذا المجال يقول نيكسون: "الشعب الأمريكي لن يساند سياسة خارجية قوية ما لم يكن اقتصاده الداخلي قويًّا، وكما تعلمنا من حقبة الثلاثينيات فإن الاقتصاد الضعيف لن يقود إلا لسياسة خارجية ضعيفة ذات عواقب وخيمة، وليس من قبيل الصدفة أن يتسلق إلى السلطة في أوروبا الفاشيون بسبب الكساد الذي فاقمته سياستنا التجارية قصيرة الأمد"[١].

وعلى الرغم من كل المحاولات لم يتم لحد الآن التوصل إلى جواب محدد للسؤال عن المنحى التشريعي والتصميم للعلاقات بين الرئاسة والكونجرس في صنع السياسة الخارجية.

إن التشريع في المعنى التقليدي يعد قديمًا ودعوة للصراع للحصول على امتياز إدارة أو توجيه السياسة الخارجية الأمريكية[٢].

وبالتأكيد على الرغم من أننا عادة تعودنا أن نفكر على مدى العلاقة بين الرئيس والكونجرس فإنه في واقع الأمر تعد هذه المؤسسات منفصلة.

---

(١) المصدر نفسه، ص ١٨.

(2) Jentleson, Op. Cit., P. 28.

إن فصل السلطات سوف يعني أن الرئيس له القوة A والكونجرس القوةB والرئيس القوة C... إلخ، ولكن العلاقة الفعلية هي أكثر من ذلك حين يتشارك كل من الرئيس والكونجرس بالقوة A ومشاركته بالقوة B... إلخ [١].

القادة بالطبع قد دخلوا كذلك وبخاصة عندما يكون هناك حكومة منقسمة، حيث يسيطر حزب سياسي واحد على البيت الأبيض وآخر على الأغلبية في واحد أو كلاهما على البيت الأبيض والكونجرس، وبالأساس فإن ديناميكية القوى هي تركيبية وهذه العلاقة التركيبية الأساسية واضحة في خمسة مناطق رئيسة كسياسات السياسة الخارجية (انظر ديناميكيات الاختيار أدناه)[٢].

(1) Ibid., P. 29

(2) Ibid., PP. 28 – 29

تقسيمات السياسة الخارجية الأساسية للدستور (التشريع)[١].

القوى	الكونجرس	الرئيس
١-سلطة الحرب ٢- المعاهدات ٣-التعيينات ٤- التجارة ٥- السلطات العامة	١- التزود للدفاع العام وإعلان الحرب ٢- التصديق على المعاهدة بثلثي الأغلبية (الشيوخ) ٣- قبول تسمية الرئيس لأعضاء مجلس الشيوخ ٤- سلطة مطلقة لتحديد التجارة الخارجية ٥-سلطة تشريعية سلطة الإقناع والإشراف	١- القائد العام للقوات المسلحة ٢- التفاوض/المعاهدات ٣- تسمية مسئول الدولة الأعلى ٤- ليس له سلطات مطلقة ٥- التفاوض وتعيين المسئولين ٦- الفيتو/السلطة التنفيذية

والتحقيق (الفحص)

من هذا المنطلق يمكننا أن نحدد موضوع سلطات الحرب في العلاقة بين الرئيس والكونجرس، حيث لم يتم الخلاف أو النقاش على منطقة من سياسات السياسة الخارجية أكثر من سلطات الحرب، حيث إن الدستور عين الرئيس كقائد مسئول ولكن أعطى الكونجرس السلطة لإعلان الحرب وتوفير الدفاع العام، وهذا ليس فصلًا للسلطات ولكن كل منهما له حصة في السلطة نفسها[٢].

---

(١) Ibid., P. 29 وثيودور لووي، مصدر سبق ذكره، ص ٨٠.

(2) Ibid., P. 30.

كلا الجانبين يساندان دعواتهما لأسبقيتهما وحصتهما في سلطة الحرب مع مقاطع أو تعاريف من مؤسسي الأمة، حيث إن دعاة الرئاسة يدعون المنطق المطور المطروح من قبل ألكسندر هاملتون في أوراق الفيدرالية بأن الحاجة لسياسة خارجية فعالة كانت من أحد أهم الأسباب التي تجعل الأمم الفتية بحاجة إلى حكومة فعالة (اللائحة الفيدرالية رقم ٢٣) وبأن القوة في التنفيذ كانت صفة رئيسة في تعريف الحكومة الجيدة. (اللائحة الفيدرالية رقم ٧٠) وأنه في حالة إجراء حرب فإن قوة التنفيذ تكون دعامة أمن الدولة (اللائحة الفيدرالية رقم ٧٥)[١].

أما دعاة الكونجرس في الجانب الآخر فإنهم يؤشرون إلى بدايات المؤتمر التشريعي الدستوري مع مقدمة جيمس ماديسون والكلمات الأصلية للدستور المفروض والذي قد أعطى الكونجرس السلطة لمنع الحرب والذي تم تغييره إلى إعلان الحرب، وهذا قد تم تفسيره من قبل دعاة الكونجرس بأنه يراد به التمييز بين كيفية استخدام القوة العسكرية (عمل الحرب) -وهذا يعني سلطة القائد المسئول- وبين كيفية استخدام القوة العسكرية في (إعلان الحرب)، كانت للكونجرس وأكثر من ذلك وكما أقر ماديسون برسالة إلى توماس جيفرسون (بأن الدستور يفترض ما قد بينه تاريخ كل الحكومات بأن التنفيذ هو الفرع الأكثر رغبة بالحرب والأكثر جلبًا لها)[٢].

وعلى الرغم من أن السوابق التاريخية تفضل جانبًا على الآخر؛ فإن من الإحصاءات المفضلة لخصوم سلطة الرئيس الحربية أنه أكثر من ٢٠٠ مرة

---

(1) Ibid., p. 30.

(2) Ibid., P. 30.

استخدمت الولايات المتحدة القوة العسكرية خمس مرات فقط كالحرب في عام ١٨١٢ والحرب المكسيكية ١٨٤٦-١٨٤٨ أو الحرب الأمريكية الإسبانية ١٨٩٨ والحرب العالمية الأولى ١٩١٧-١٩١٩ والحرب العالمية الثانية ١٩٤١-١٩٤٥ وقد تم هذا من خلال إعلان الكونجرس للحرب ربما خمسًا وثمانين أو تسعين حالة أخرى (حرب الخليج ١٩٩١) قد كانت عبر بعض السلطات القضائية الأخرى كلها كانت تحت تصرف الرؤساء[١].

هذه الإحصائية على الرغم من ذلك تعدُّ مشكوكًا بصحتها نوعًا ما، حيث إن العديد من حالات التصرف الرئاسي على مسئوليتهم قد تتضمن حالات التدخل العسكري الثانوي الذي يعدُّ من مسئوليات القائد الأعلى. وإلى جانب ذلك فإن المدافعين عن حصة الكونجرس لسلطات الحرب يعترضون على هذا التقسيم[٢].

ورغم أن حق إعلان الحرب قد سحب من الرئيس الأمريكي وفقًا لدستور الولايات المتحدة، ورغم أن سلطة وضع المعاهدات قد شاركه فيها مجلس الشيوخ، فلا يزال الرئيس له أهمية قصوى في النظام السياسي الدولي.

أولًا: وكما وصف جون جاي، هناك ميزة كبيرة تكمن وراء وحدة الإدارة، فمن الواضح أنه أسهل على رجل واحد أن يُعمل فكره ويصدر قراراته من مجموعة من الرجال، إن في المؤسسة التشريعية تصبح عملية اتحاد الآراء وتوافقها عملية مضنية، ولكن رئيسًا واحدًا يشرف على الأداة التنفيذية في وسعه بطبيعة الحال أن يتخذ القرارات والعمل الإيجابي فورًا.

---

(1) Ibid., P. 30

(2) Ibid., PP. 30 – 31

ثانيًا: أوضح جاي أن الرئيس سوف يحصل على مصادر للمعلومات أعلى من تلك التي تحصل عليها المؤسسة التشريعية؛ لأن الرسائل الدبلوماسية من ممثلي الولايات المتحدة في أنحاء العالم تكون تحت تصرفه، بينما يعتمد أعضاء مجلس النواب والشيوخ على مصادر عرضية للمعلومات، أو على المعلومات التي يختار الرئيس أن يرسلها إليهم[١].

فضلًا عن ذلك، فإن الرئيس رغم تقيده بالقوانين في كثير من الاعتبارات يتمتع بسلطات كبيرة جدًّا في مجال السياسة الخارجية. وفي أوائل تاريخ الحكم الأمريكي في الإدارة الثانية للرئيس واشنجتون، كانت البلاد تستقبل أدموند جينيه ممثل الجمهورية الفرنسية الجديدة[٢].

ومن الناحية التقليدية أيضًا للرئيس الحق في تجديد السياسة التي تنتهجها الولايات المتحدة إذا ما اشتملت الحرب بين الدول الأخرى. لقد أصدر أول رئيس للولايات المتحدة في ٢٢ نيسان ١٧٣٩ تصريحه الأول عن الحيدة، ورغم أن هذا التصريح قد قوبل بالاعتراض من جانب بعض الساسة ومنهم السياسيون الأفذاذ، فقد سار على هذا النهج كثير من الإدارات المتعاقبة، وفي بعض المعاني فإن هذا النوع من القرارات يكون أقل أهمية من الاعتراف، إنه يسجل فقط في معظمه وضعًا قائمًا، ولكن فرض مبدأ الحيدة مسألة أخرى. إن الخروج على الالتزام بالحيدة أو كما حدث في عامي ١٩٤٠ و١٩٤١ الظهور بمظهر التحيز الواضح لإحدى الدول المتحاربة ضد الأخرى، يقع في حدود سلطات الرئاسة[٣].

(١) دكستر بركنس، مصدر سبق ذكره، ص ١٧٠ – ١٧١.

(٢) المصدر نفسه، ص ١٧٢.

(٣) المصدر نفسه، ص ١٧٣.

وأكثر من هاتين المسألتين أهمية أنه وفقًا للنظام السياسي الأمريكي وتطوراته يتفاوض الرئيس مستقلًّا عن المؤسسة التشريعية وعن مجلس الشيوخ، ولو أنه لا بد من موافقة المجلس على كل المعاهدات[١].

لم يكن هذا كما يظهر ما كان يقصده واضعو الدستور الأمريكي، لقد كان متوقعًا أن يكون مجلس الشيوخ بمثابة نوع من مجلس التاج، وأن الأداة

---

(١) إن مجلس الشيوخ، وفقًا لدستور الولايات المتحدة- يتمتع بسلطتين بالنسبة للمعاهدات، ومنذ عام ١٧٩٤ احتفظ المجلس بحق تعديل الاتفاقيات الدولية التي تعرض عليه قبل استشارة المجلس والحصول على موافقته بثلثي أصوات الأعضاء، وكل من سلطة التعديل في الاتفاقيات وقاعدة ثلثي الأصوات للحصول على موافقة المجلس على المعاهدات قد تعرضتا للنقد الشديد؛ أما فيما يخص سلطة التعديل، من الناحية العددية فإن مجلس الشيوخ لم يعدل معظم المعاهدات التي عرضت عليه، وكما أوضح دانجر فيلد في كتابه الموسوم بـ"دفاعًا عن مجلس الشيوخ"، فإن العدد يقارب ١٦٪ فقط من مجموع المعاهدات، وفي حالة معاهدة جاي مثلًا فإن مجلس الشيوخ قد وجد نصًّا على المعاهدة يحد بشكل خطير من تجارة الولايات المتحدة دون الحصول على أية فوائد في مقابل ذلك؛ إذ إن جون جاي لكي يفتح باب التجارة الهندية في الغرب أمام الأمريكيين (وهذا فقط لعدد محدود جدًّا من السفن)، قد وافق على أن الولايات المتحدة لا تصدر بعض المواد الخام ومن بينها كان القطن في واقع الأمر. وحالة أخرى أكثر أهمية تصرف فيها مجلس الشيوخ بحكمة على وجه العموم هي حالة تعديل معاهدة هاي – بونسيفوت المتعلقة بإقامة قنال تربط بين المحيطين، ولقد رفض بصفة خاصة النص في المعاهدة على تحريم تحصين القناة. حقيقة كان جون جاي منزعجًا جدًّا من ذلك، وقد أبدى ملاحظته الشهيرة فيما يخص هذه المسألة؛ إذ قال: "إن ثلث مجلس الشيوخ يوجد دائمًا في الجانب المعارض في أية مسألة". ولكن جون جاي، وهو ميال دائمًا إلى الحكم القاسي المحزن، كان بطبيعة الحال خاطئًا في اتخاذه هذا الموقف؛ إذ إنه نتيجة لهزيمته في المعاهدة الأولى كان مضطرًّا إلى أن يتفاوض على غيرها، وهذه المعاهدة الثانية قد أعطت الولايات المتحدة في جو من الهدوء حق تحصين منطقة القنال. راجع: دكستر بركنس، مصدر سبق ذكره، ص ٢٠٠ – ٢٠١.

التنفيذية سوف تتشاور مع المجلس في حرية تامة حول السياسة الخارجية[١].

وهنا لا بد من الإشارة إلى أن الجنرال واشنجتون لم تكن لديه خبرة دبلوماسية مباشرة في معناها الحرفي، أما الرؤساء الخمسة الذين جاءوا خلفًا له فقد كانوا على النقيض من ذلك فقد كانوا من ذوي الخبرة الدبلوماسية إلى حد كبير. إن جون آدمز قد أجرى مفاوضات هامة خلال الثورة، ووضع اسمه في معاهدة الصلح، أما جفرسون فقد كان وزيرًا لدى فرنسا كما كان وزيرًا للخارجية قبل تقلده منصب الرئاسة، وماديسون كان أيضًا وزيرًا للخارجية في رئاسة جفرسون، أما مونرو فكان وزيرًا للخارجية في عهد رئاسة ماديسون، فضلًا عن أنه كان وزيرًا لدى فرنسا في الحلقة الأخيرة من القرن الثامن عشر، ووزيرًا لدى إسبانيا وبريطانيا في عهد رئاسة جفرسون، أما جون كوينسي آدمز فقد كان أوسعهم خبرة في الدبلوماسية، فقد كان وزيرًا لدى بروسيا والأراضي الواطئة وروسيا القيصرية وبريطانيا العظمى ووزيرًا للخارجية، وكان منذ عهد آدمز قليل من بين رؤساء المؤسسة التنفيذية الذين لهم الخبرة الدبلوماسية كان فون بورين وزيرًا لدى بريطانيا العظمى، وكان بوكانان ممثلًا خارجيًّا للولايات المتحدة ووزيرًا للخارجية في عهد رئاسة بولك، ولكن جاكسون وهاريسون وتيلر وبولك وفيلمور وبيرس لم تكن لديهم من قبل أية مسئولية في تصريف السياسة الخارجية على الإطلاق، أو أنهم كانوا في خدمة الدولة في الخارج قبل أن يصبحوا رؤساء.

---

(١) المصدر نفسه، ص ١٧٣ – ١٧٤.

ومنذ عهد لنكولن حتى بداية الخمسينيات لم يكن لأي رئيس خبرة واسعة جدًّا في السياسة الخارجية؛ لقد كان تافت شبه مبعوث دبلوماسي إلى الفاتيكان، وبوصفه وزيرًا للحربية فقد أجرى المفاوضات مع اليابان، كما أن هوفر كان قد سبق أن اشترك في المفاوضات فيما يخص بعثته البلجيكية، كما كان له دور ثانوي -ليس دور المفاوض- في مؤتمر السلم في باريس عام ١٩١٩، أما الرؤساء الثلاثة الذين خلفوا وراءهم أعمق الآثار فهم: ولسن، وثيودور روزفلت، وفرانكلين روزفلت، فلم تكن لديهم خبرة دبلوماسية على الإطلاق[١].

ومن جهة أخرى فإن أقوى الرؤساء مراسًا قد كانوا في الغالب يعتمدون بدرجة أقل مما يجب على وزارة الخارجية، ففي إدارة ولسن لم يكن لانسنج وربما بريان من قبله في بعض النواحي أكثر من رئيس للكتبة، وكان يصرف معظم الشئون الهامة المستشار الشخصي للرئيس وهو الكولونيل هاوس، أما الرئيس فرانكلين روزفلت فقد اختص نفسه بسلطة واسعة وأعطى مبعوثه الذي وثق به وهو هاري هوبكنز مجالًا واسعًا للنشاط، وفي بعض الأحيان كان يتخطى وزير الخارجية هل[٢].

والحق أن سلطة إعلان الحرب من قبل الكونجرس كانت في قبضة "المجموعات غير المنتخبة" في الإدارة الأمريكية ولا سيما في حقبة إدارة الرئيس ريتشارد نيكسون، فقد عقد هنري كيسنجر العزم بصورة سرية على توسيع دائرة الحرب الفيتنامية لتشمل دولا مجاورة، وأقدم على تضليل موظفي

---

(١) دكستر بركنس، مصدر سبق ذكره، ص ١٨٨ – ١٨٩.

(٢) المصدر نفسه، ص ١٩٢.

وكالة الأمن القومي التابعين له والذين استقال كثيرون منهم فيما بعد نتيجة لذلك، كما أعطى عمدًا معلومات مضللة لكل من وزيري الدفاع والخارجية الأمريكيين إزاء توسيع دائرة الحرب، وكان كل من لاوس وكمبوديا[(١)] ضحية

---

(١) إن عملية صنع القرار في البيت الأبيض تدار من قبل مجموعة من المسئولين من غير المنتخبين، وإن قرار غزو كمبوديا في شهر نيسان عام ١٩٧٠ (أشار كيسنجر في آذار ١٩٧٠ بقصف كمبوديا سرًّا أملًا في أن يتمكن من الاستيلاء على مركز قيادة عمليات الشيوعيين في فيتنام الجنوبية المعروف باسم Cosvn، وبعد ١٠٤٥ غارة شنتها الطائرات المقاتلة الأمريكية وألقت خلالها ١٠٨٨٢٣ طنًّا من القنابل، منيت المهمة بالفشل الذريع، وكان كيسنجر الشخصية الحاسمة في جميع مراحل هذه الأزمة وتغطيتها، مجادلًا في بداية الأزمة أنه يجب شن هجوم فوري أو من جديد بالقاذفات (بي ٥٢ –) على كمبوديا، ومجادلًا أيضًا بإسقاط قنبلة (بي إل يو ٨٢) تزن خمسة عشر ألف رطل على مركز جزيرة كو تانغ، وقد قرر كل من نيكسون وكيسنجر أن يوسعا فكرة الملاحقة الساخنة عبر حدود لاوس وكمبوديا، فمثلًا حتى قبل الغزو الإقليمي الفعلي لكمبوديا وفور تسلم نيكسون وكيسنجر الإدارة تم إعداد وتنفيذ برنامج قصف كثيف لهذا البلد سرًّا. إن الرموز الشفرية للغارات كانت تدعى (الإفطار والغداء) و(الوجبة الخفية) و(العشاء) و(العقبة). أسفرت حملات القصف الموسعة والمكثفة عن مقتل ما يقارب خمسين ألفًا وثلاثمائة مدني في لاوس، وستمائة ألف في كمبوديا، أما أعداد اللاجئين فهي أضعاف ذلك، فضلًا عن استخدام مادة المنزور الكيميائية السامة التي أدت إلى أزمة صحية مستفحلة أصابت بشكل خاص الأطفال والأمهات المرضعات وكبار السن والواهنين أصلًا من الشيوخ، وما زالت تلك الأزمة مستمرة حتى يومنا هذا، وذلك قد يؤكد صحة هذا القول. فلم يقتصر الأمر على شن حرب على دولة أخرى، ولكن كانت هناك تصريحات وأقاويل صيغت ونشرت بصورة متعمدة لتضليل الرأي العام الأمريكي، وفي هذا السياق كتب والتر أيزاكسون Walter Isaacson في كتابه "كيسنجر سيرة ذاتية"، قائلًا: "إن دولة في تاريخ الحضارة الإنسانية لم تتحمل جحيمًا كالمحرقة التي اجتاحت كمبوديا خلال السبعينيات، إن عبء المسئولية يقع في المقام الأول على منظمة الخمير الحمر – القتلة الشيوعيين – الذين أمسكوا
=

لهذه القرارات[1].

من هنا يمكننا تحديد مسئولي السياسة الخارجية، وبصورة اعتيادية وكما تم في ديناميكيات الاختيار فإن الرئيس يرشح أو يسمي أعضاء مجلس الشيوخ،

=

بزمام السلطة، ولكن إيجاد حقول ومجالات لممارسة القتل كان له أكثر من سبب، وقد أسيل من الدماء ما يكفي لتلطيخ أيد كثيرة. إن جانب اللائمة الذي يمكن أن ينحى به على الولايات المتحدة وعلى كيسنجر لا يتأتى من إقدامها على هذه الحرب بنية غادرة، ولكنه ناجم عن قلب متحجر ونظرة قاسية جعلت ما تصورته الولايات المتحدة احتياجات لها في فيتنام أعلى منزلة وأكثر أهمية من صالح دولة جارة ضعيفة". راجع: عبد الحي يحي زلوم، مصدر سبق ذكره، ص ٣٢٩ – ٣٣٠. وكرستفر هتشنز، محاكمة هنري كيسنجر، ط٢ ترجمة فريد الغزي، الأهلية للنشر والتوزيع، عمان ٢٠٠٣، ص ١٧، ٧٨ – ٧٩).

(١) وعندما استقال بعض موظفي كيسنجر احتجاجًا على قراره بتوسيع الحرب في كمبوديا، وجد الكثيرون من هؤلاء أن هواتفهم قد وضعت تحت المراقبة السرية للتأكد من أنهم لن يبادروا بأية وسيلة من الوسائل إلى فضح هذه الأعمال وإطلاع الرأي العام عليها، وكان مورتون هالبيرين Morton Halperin من الأشخاص ذوي الأهمية لسياسة كيسنجر في فيتنام وكمبوديا، وبعد أن استقال تعبيرًا عن احتجاجه اكتشف أن هاتفه قد وضع تحت المراقبة والتجسس لمدة ٢١ شهرًا، وأوضح هالبيرين أن استمرار خرق القوانين والاعتياد عليه في الدول الأجنبية سيجعل من خرق القوانين عادة طبيعية، ولذلك فإنه يجري خرق القوانين حتى في داخل الولايات المتحدة، أي أن القوانين تخترق وتنتهك في عقر دارها، ويصبح خرق القوانين عادة سارية.

تم اتخاذ قرار بغزو دولة أخرى دون موافقة الكونجرس ووزيري الخارجية والدفاع وموظفي مجلس الأمن القومي الذين استقالوا اعتراضًا على هذا القرار وهم : واتس Watts، وليك Lake، وموريس Morris ولين Lynn. وبناء على طلب البيت الأبيض وضعت هواتف هؤلاء تحت المراقبة من قبل مكتب التحقيقات الفدرالي. راجع: عبد الحي يحي زلوم، نذر العولمة، مطبعة الجامعة الأردنية، عمان، ١٩٩٩، ص ١٥٣ – ١٥٤، ٣٣١.

وبأغلبية بسيطة تتم ترشيحات أعضاء الوزارة والسفراء، ومسئولي السياسة الخارجية رفيعي المستوى، وفي مصطلحات الإحصائيات الخالصة فإن معدل التأكيد لمرشحي الرئيس لمسئولي السياسة الخارجية أعلى من نسبة ٩٠٪، ولكن هنا يجب علينا النظر إلى ما خلف الأرقام، وفي هذا المجال ينبغي التأكيد على حقيقتين جوهريتين[١].

أولًا: إن هذه الأرقام لا تشمل الترشيحات العددية قبل الاقتراع عليها، حيث عندما يرجع مساعدو الكونجرس للبيت الأبيض من الكابيتول هل يقولون: إن "عدد التصويت لا يبشر بخير" فإن الرئيس غالبًا ما يفضل اجتناب الإحراج ويسحب الترشيح، وهذا حصل مع الرئيس جيمي كارتر في عام ١٩٧٧ عندما كان مرشحه الرئيس كمدير لوكالة المخابرات المركزية (ثيودور ثورينسن) قد قوبل بمعارضة قوية في الكونجرس، وكذلك مع الرئيس كلينتون في ١٩٩٧ مع مرشحه كمدير لوكالة المخابرات المركزية أنتوني ليك.

ثانيًا: وبصورة دقيقة بسبب أنه في الأغلب افتراض بأنه سوف يتم تأكيد المرشحين، وعندما لا يحدث ذلك فإن التأثير السياسي قد يكون مستديمًا، وهكذا أو على سبيل المثال في عام ١٩٨٩ قد تم إعطاء اهتمام أقل بكثير لكل من ترشيحات إدارة بوش الأخرى للخارجية بالمقارنة مع حالة واحدة للسناتور السابق جون تاور مرشح بوش لسكرتارية الدفاع والذي انتهى بالتصويت ضده.

مجلس الشيوخ قد ترك أيضًا علامته على بعض المرشحين حتى في عملية تأكيدهم، وهذا كان مصير وليام كولبي المقبول كمدير لوكالة المخابرات المركزية

(1) Gentlesson, P. 32

للرئيس نيكسون عام ١٩٧٣ بخصوص المجادلات على فيتنام والعمليات السرية CIA، وكذلك باول أرنكي اختيار كارتر كرئيس لوكالة نزع السلاح وضبط التسلح الذي تم وصفه من قبل المعارضين بأنه رد وديع جدًّا، ولم يتعاف أي واحد من هؤلاء المسئولين من جراح معارك تأكيد ترشيحهم.

وعلى أية حالٍ فإن هذه التقسيمات جميعًا تطبق على مسئولي السياسة الخارجية الذين لا يتطلبون موافقة مجلس الشيوخ، وهذا على وجه الخصوص يتضمن مساعدي الرئيس لشئون الأمن القومي، حيث يدعون بمستشاري الأمن القومي للاختصار وملاكات مجلس الأمن القومي، وكذلك فإن مثل هذه الشخصيات الرئيسة في هذا المجال مثل هنري كسنجر وزبغنيو بريجنسكي اللذين عملا كمستشارين للأمن القومي للرئيس نيكسون وفورد وكارتر على التوالي لم يكونا مختارين لموافقة الكونجرس على مركزهما، ولكن عند ترشيح كيسنجر لسكرتير الدولة في عهد نيكسون احتاج إلى موافقة مجلس الشيوخ الأمريكي[1].

أما فيما يخص الكونجرس فإن البروفيسور هينكين من جامعة كولومبيا ذهب إلى حد القول بأنه لا يوجد جزء من السياسة الخارجية ليس عرضة للتشريع من قبل الكونجرس. قد يكون هذا التصريح غارقًا في التعميم أو قد يحمل معنى المغالاة؛ إلا أن المؤسسة التشريعية بدون شك تعطي للكونجرس قدرًا كبيرًا من التأثير على السياسة الخارجية.

(1) Ibid., PP. 32 – 33

إن التمييز الذي تم طرحه من خلال جيمس ليندس بين التشريع الإجرائي والتشريع الاستدامي (المستديم) مفيد جدًّا لمعرفة أن الكونجرس له طرق عديدة لاستخدام نفوذه في السياسة الخارجية[١].

التشريع المستديم أو المتتابع يحدد السياسة العامة معطيًا تفاصيل السياسة الخارجية.

إن معاهدة فرساي ١٩١٩ والموافقة على مشروع مارشال ١٩٤٧، ومعاهدة السيطرة على الأسلحة مع الاتحاد السوفييتي ١٩٧٢، والموافقة على اتفاقية التجارة الحرة لدول أمريكا الشمالية NAFTA ١٩٩٣ مثال على التشريع المستديم[٢].

والحق، يُعدُّ التشريع الإجرائي من أكثر الأمور استقرارًا، وعليه فإنه يتطلب شيئًا في غاية الإتقان والدقة، فهو يتعامل في أكثر الأحيان مع الإطار العام للسياسة الخارجية، وهذا يعني من جانب آخر أنه لو أراد الكونجرس إجراء تغييرات في عملية صنع القرار فبإمكانه تحقيق ذلك.

مثال على ذلك: قرار حل سلطات الحرب الذي يشير إلى إعادة الشكل العام من حيث إصدار القرارات الخاصة باستخدام القوة العسكرية، وهذا يعني أن

---

(١) يقول زبيغنيو بريجنسكي في هذا المجال: "ولأن الكونجرس موجه للسياسة الداخلية أكثر من الماضي، حيث إن خانة الجمهوريين الجدد تعد من أكثر المحافظين، في حين كان الديمقراطيون في موقف التناقض حول الالتزامات الخارجية منذ الحرب الفيتنامية، إلى جانب هذا هناك أقلية تؤمن بالتدخلية، لكن الرأي العام المحلي وجل النخبة السياسية لا يولي أهمية لذلك، حيث يقوم الرئيس الأمريكي بتلخيص ذلك". راجع:

Brian Knowlton,Set back for Clinton Raise Concern : If U.S Looks Inward, Then Whos to Blane? International Herlad Tribune, June 18, 1998, pp. 127-129 .

(2) Jentleson, Op. Cit., P. 34

سلطات الحرب تشير إلى استخدام الفيتو التشريعي، وهو إجراء يمكن فيه أن يتجاوز الكونجرس بعض الأفعال والسياسات التي اتخذها الرئيس عبر حل وليس عبر قائمة ما. والتباين الرئيس هنا هو أن القائمة بصورة عامة أن توقع من الرئيس كي يغدو قانونًا، وبالتالي فإنها تمنح فرصة للرئيس لممارسة الفيتو. وفي الواقع إن الحلول المقدمة من قبل الكونجرس ليست بحاجة إلى ذلك، ولهذا السبب بالذات فإن المحكمة العليا قد حددت بصورة أكثر دقة استخدام الفيتو التشريعي في قرارها لسنة ١٩٨٣ في قضية INS v.Chadha [١].

ومن بين السلطات الأخرى الممنوحة للكونجرس هي السلطات الرقابية (الإشرافية) والتحقيقية، وبالأخص السلطات المالية، وبموجب ذلك فإنه لا يمكن سحب أي مال من الخزينة عدا الإجراءات المعمولة من قبل وبوساطة القانون، وهذه السلطة تعطي للكونجرس نفوذًا مباشرًا على القرارات المتخذة التي لها علاقة بالإنفاق من حيث نسبة المبالغ التي يتم إنفاقها، وعلى ماذا يتم الإنفاق؟ فضلًا عن التحكم في الميزانية الكلية المرتبطة بوزارة الدفاع. وبموجب ذلك نرى أن الكونجرس يمكن أن يستخدم سلطاته التنموية بصورة مباشرة للتأثير على قرارات السياسة الأكثر أساسية، مثل الشروط على كيفية إمكان وعدم إمكان صرف المبالغ على مشروع أو دولة معينة[٢].

ومن ناحية أخرى، سمح الرئيس الأمريكي جورج بوش الابن لوكالة الأمن الوطني -التي من واجباتها الرئيسة مهمة مراقبة الاتصالات بالخارج- خلال عام ٢٠٠٢ بالتنصت على اتصالات هاتفية وإلكترونية لمئات وربما آلاف

(1) Ibid., PP. 34 – 35

(2) Ibid., P. 35

الأشخاص داخل البلاد، بمقتضى أمر وقَّعه الرئيس بوش عام ٢٠٠١، أذن فيه بمراقبة الأشخاص بدون ترخيص القضاء في إطار مكافحة ما يسمى بالإرهاب بعد هجمات ١١ أيلول عام ٢٠٠٢، ودافع الرئيس بوش في خطابه الإذاعي عن هذا القرار، واصفًا إياه بأنه كان أداة حيوية لحماية الولايات المتحدة من هجمات أخرى، وأوضح أن قراره هذا كان دستوريًّا، وخضع لمراقبة دقيقة من الهيئات القانونية[١].

وفي هذا المجال ذكرت صحيفة نيويورك تايمز أنها لم تسرب هذا الخبر منذ سنة بطلب من البيت الأبيض الذي قال: "إن الإرهابيين قد يستفيدون منه، الأمر الذي قد يعقد لمكافحة الإرهاب"[٢].

وقد عد بعض المسئولين في الإدارة الأمريكية هذا التصرف تغييرًا جذريًّا في السياسة الحكومية؛ لأن وكالة الأمن الوطني عادة لا تراقب سوى الأجانب، ولأن عمليات التنصت هذه قد تكون تجاوزت الحدود التي يسمح بها الدستور الأمريكي بشأن المراقبة لأسباب أمنية.

ولكن مسئولين آخرين قالوا: إن برنامج المراقبة هذا أتاح اكتشاف ما أسموه عدة مؤامرات إرهابية، أعد إحداها أيمن فارس في عام ٢٠٠٣، الذي كان يعمل في ولاية أوهايو، حيث ساعد تنظيم القاعدة على محاولة لتدمير جسر بروكلين في نيويورك[٣].

---

(1) Http // WWW. Aljazeera. Net / News / Aspx / Print. Htm, 18/12/2005.

(2) Ibid.,

(3) Ibid.,

ودعا الرئيس بوش في خطابه للكونجرس الأمريكي إلى تمديد العمل بقانون مكافحة الإرهاب المعروف بالقانون الوطني Patriot Act، جاء ذلك بعد أن رفض مجلس الشيوخ تمديد العمل بالقانون الذي يتعرض لانتقادات من المنظمات الحقوقية والمدافعين عن الحريات الفردية.

وأشار زعيم الغالبية الجمهورية بيل فريست إلى أن عدم تمديد سريان القانون لا يعني سحب النص من التداول؛ إذ إنه ما زال على جدول الأعمال، دون تحديد تاريخ مناقشته. ورفض فريست أية تسوية، مثل إبقاء القانون على حاله والتمديد له ثلاثة أشهر.

من جهة أخرى، عد عضو اللجنة العربية الأمريكية لمناهضة التمييز كريم شورى رفض تمديد العمل بالقانون هزيمة للبيت الأبيض الساعي لحشد قوة كبيرة للتضييق على الحقوق المدنية، وعد شورى أن رفض تمديد العمل بقانون الوطنية يمثل خطوة من أجل حماية أكثر لحقوق الإنسان، وفصلًا جديدًا من فصول الانتقادات الموجهة للبيت الأبيض بشأن سياسته الداخلية والخارجية.

على الرغم من هذه المناقشات التي جرت لمناقشة موضوع التنصت خرجت وزارة العدل عن صمتها في نهاية الأمر قائلة: "إنه من حق الرئيس بوش إصدار أوامر بالتنصت دون إذن المحكمة!". ومن جانب آخر، قلل الرئيس بوش من أهمية عملية المكالمات الهاتفية، مشيرًا إلى أنها تستهدف تنظيم القاعدة.

وفي خضم هذه التطورات أصدرت محكمة فيدرالية بولاية ميشيغان الأمريكية في ١٧ آب ٢٠٠٦ حكمًا يقضي بعدم دستورية برامج المراقبة دون ترخيص التي تبنتها وكالة الأمن الوطني الأمريكية، وردت وزارة العدل بالقول: إنها ستستأنف الحكم.

ويقضي الحكم الصادر الذي جاء في ٤٤ صفحة بأن برامج مراقبة الاتصالات الدولية، بما فيها الهواتف والبريد الإلكتروني التي تبنتها وكالة الأمن الوطني الأمريكية، تنتهك حقوق الأفراد في التعبير عن آرائهم وفي حماية خصوصياتهم.

وجاء الحكم ردًّا على قضية رفعها اتحاد الحريات المدنية الأمريكية وطالب فيها بعدم دستورية برامج التنصت التي تبنتها وكالة الأمن الوطني للتجسس بدون إذن قضائي على المكالمات والرسائل الإلكترونية الدولية بناءً على قرار تنفيذي أصدره الرئيس جورج بوش، وذلك على أساس أن هذه البرامج تعد انتهاكًا للتعديلين الأول والرابع من الدستور الأمريكي، وانتهاكًا للفصل بين السلطات.

وتتضمن قائمة المدعين في القضية المرفوعة كلًّا من اتحاد الحريات المدنية الأمريكية، ومجلس العلاقات الإسلامية الأمريكية (كير) وعددًا من المؤسسات والشخصيات التي تنتمي لتيارات فكرية وسياسية مختلفة داخل المجتمع الأمريكي.

غير أن نائب الرئيس ديك تشيني[1] رد الهجوم على انتقاد سياسة الرئيس

(١) ولد ريتشارد بروس تشيني في عيد ميلاد روزفلت التاسع والخمسين، ٣٠ كانون الثاني ١٩٤١، وهو أكبر ثلاثة إخوة، قضى أجداد ديك تشيني أول شتاء قاس على حدود ويومنغ (ولاية الكاوبوي)، وليس لشجرة عائلة تشيني أية جذور في ويومنغ؛ فهو ينحدر من مهاجرين بريطانيين يعودون إلى حقبة البروتستانت المتزمتين، بوصفهم جزءًا من الهجرة البيوريتانية الكبرى لثلاثينيات القرن السابع عشر، وعلى امتداد سبعة أجيال كانت العائلة قد عاشت في ماساتشوستش وحولها، الذين وصلوا إلى نيو إنجلاند باسم "تشيني"، ولم يقم أجداد تشيني بهجرة رومانسية نحو الغرب =

=

إلى لينكولن، نبراسكا، حيث عملوا كأمناء صندوق بنكيين وموظفين حكوميين، وكانت أمه قد نشأت في عائلة مولعة بالضحك ولعب الورق مع أب يشرب خمر البوربون، ويدخن سجائر الكامل، ولديه خزان لا نهائي من الطرائف والنوادر.

إن ديك تشيني يحب أن يستذكر أن رئيسًا جمهوريًّا، هو دوايت إيزنهاور، هو الذي نقل عائلته إلى ويومنغ؛ فعندما تولى إيزنهاور السلطة في عام ١٩٥٢ كأول رئيس جمهوري خلال عقدين، بدأ تفكيكًا بطيئًا للبرنامج الجديد بدءًا بوزارة الزراعة، وكجزء من إعادة تنظيم الوزارة نقل والد تشيني غربًا إلى ويومنغ، وهنا يقول تشيني: "لولا الانتصار الجمهوري الكبير في عام ١٩٥٢ لما وضع قدمًا في ويومنغ". ارتحلت عائلة تشيني فجأة إلى كاسبر، وهي مدينة في وسط ويومنغ، احتضنت الضفة الجنوبية لنهر نورث بلاتي.

وقد حصل تشيني على درجة البكالوريوس في العلوم السياسية من جامعة ويومنغ في ١٩٦٥، وحصل على الماجستير في المجال نفسه بعد سنة، ثم انطلق بها من ويومنغ، وبعد العيش في الولاية ما يقارب عشر سنوات رحل عنها بصورة نهائية، لكن بمساعدة مورتون وماير وسيمبسون استطاع أن يعود إلى الولاية عندما احتاج إلى مقعد في الكونجرس، أو إقامة قانونية لم تكن في تكساس. سافر تشيني لأول مرة خارج الولايات المتحدة، حيث اشترك في مراسم دفن رئيس جمهورية مصر العربية جمال عبد الناصر الذي توفي في أيلول من العام ١٩٧٠ مع وفد ضم كلًّا من رمسفلد، ووزير الصحة والتعليم والشئون الاجتماعية إليوت ريتشاردسون، والدبلوماسي المخضرم روبرت مورفي، والمحامي والمصرفي جون ماكلوي. تمكن تشيني سنة ١٩٧٨ من أن يُنتخب للكونجرس عن ولاية ويومنغ بعد أن ترك مجلس النواب في عام ١٩٨٩ ليخدم كوزير للدفاع في حكم هيربرت ووكر بوش في ١٨ آذار من العام ١٩٨٩. أصبح تشيني نائبًا للرئيس جورج بوش الابن في عام ٢٠٠٠، وكان تشيني، حسبما قال المحلل البارز للسياسة الخارجية الأمريكية وصانعي السياسات والذي خدم ككاتب مقيم في مركز الدراسات الإستراتيجية والدولية جيمس مان: "كان تشيني الشخصية المهيمنة في الحادي عشر من أيلول". كان تشيني يقول للعالم: " "لا تقلقوا فأنا أعرف ما يجري". وكان الرئيس بوش يقوم بدور المرشح الدائم، يتنقل في الولايات التي تشكل ساحات قتال بالنسبة له، بينما كان تشيني يحكم البلاد.

قد يحمل جورج ووكر بوش لقب القائد الأعلى للقوات المسلحة، لكن الصلاحيات كانت وما

=

بوش بالقول: "إنها تبدو جيدة، ولو فعلنا ذلك قبل ١١ أيلول ٢٠٠١ لكان بإمكاننا اختطاف اثنين كانا في سان دييغو)[١].

ومن خلال هذا العرض يمكننا أن نقدم ملاحظتين حول مدى العلاقة بين السياسة الداخلية والسياسة الخارجية[٢]:

=

زالت بيد تشيني، وهو شخصية مبهمة، قضى أفضل جزء من أربعة عقود بثبات وبهدوء. في هذا المعنى يقول أوليفر ويندل هولمز بأن "الجائزة الوحيدة التي يهتم بها الرجل القوي هي القوة".
إن تشيني المولع بالبقاء وراء كواليس السلطة، والذي كان يعبر عنه وكلاء الجهاز السري دائمًا، حتى إنهم وصفوه ذات يوم بالمقعد الخلفي- يملك سيرة ذاتية يمكن أن تؤهله -وفق أي مقياس تقليدي- للرئاسة؛ فقد عمل مساعدًا لثلاثة رؤساء، وكان أصغر رئيس لطاقم البيت الأبيض في التاريخ الأمريكي وثاني أقوى عضو في حزبه في مجلس النواب، ووزيرًا، ومديرًا تنفيذيًا لأقوى شركة ذات ارتباطات سياسية.
تجدر الإشارة في هذا المجال إلى أن تشيني قام باختيار جون بولتون، وهو أحادي مولع بالقتال، ليعمل كوكيل وزير الخارجية للحد من الأسلحة. في الرابعة والثلاثين عُين رئيس أركان البيت الأبيض للرئيس فورد، ثم كان نائبًا عن ولاية ويومنغ لمدة عشر سنوات، صعد خلالها حتى احتل المرتبة الثانية في قيادة الجمهوريين بمجلس النواب، ثم أصبح وزير الدفاع للرئيس بوش الأب أثناء حرب الخليج الثانية. راجع: جون نيكولز، مصدر سبق ذكره، ص ١٠، ١٣ – ١٥، ٢٢، ٢٧ – ٢٨. وف. ي. كرلوف، مصدر سبق ذكره، ص ٦٣ – ٦٨.و ف. ي. كرلوف، مصدر سبق ذكره، ص ٢١٩ – ٢٢٠. وآندرو كوكبرن، رمسفلد بزوغه وسقوطه وتركته المفجعة، ترجمة عبد الله مجير العمري، دار السيد للنشر والتوزيع، الرياض، ١٤٢٩ ه، ص ٩٨. وبوب ودورد، بوش محاربًا، مصدر سبق ذكره، ص ٦٤. وديك تشيني مع ليز تشيني، في زماني مذكرات شخصية وسياسية، ترجمة فاضل جتكر، دار الكتاب العربي، بيروت، ٢٠١٢، ص ٢٠ - ٢٢، ٤٨، ٦٨ – ٦٩، ١٨١، ١٨٣، ١٨٨، ١٩٢ .

(1) http://arabic.cnn.com/2006/world/8/18/us.wiretapping/index.html.

(٢) مارسيل ميرل، سوسيولوجيا العلاقات الدولية، مصدر سبق ذكره، ص ٣٤١-٣٥١.

١- يمكن أن نرفض ببساطة مجرد إثارة التساؤل حول التسلسل الهرمي لكل من السياستين الداخلية والخارجية، فنظرًا لأن العلاقة بينهما تتم أساسًا في صورة تفاعلات، لذلك فإن الظروف هي وحدها التي تحدد أولوية إحداهما على الأخرى.

٢- ومن الملائم أن التركيز المبالغ فيه على السياسة الخارجية قد يؤدي إلى إهمال السياسة الداخلية[١]، وهو ما ينطوي على احتمال إثارة ردود فعل مضادة من

---

(١) أشار ليوبولدفون رانكة Leopold Von Ranke مؤرخ القرن التاسع عشر إلى أولوية السياسة الخارجية، ولكن هذه الفكرة كانت أنسب للملكيات منها للمجتمعات الديمقراطية. راجع:

Dutsch, Karl, W., The Analysis of International Relations, ; Second Edition, Printed in the United States of America, 1978,P.129.

هناك تفسيرات حول أولوية السياسة الداخلية عن السياسة الخارجية، وهذه التفسيرات تتركز في: ١- التفسيرات بوساطة المزاج الوطني.. هذه الصفة لا يمكن أن تطبق -بحسب بعض المؤلفين- على الشعوب مثلما تطبق على الأفراد؛ فالشعور الشعبي يتقاسم ويغذي هذا الاعتقاد عندما يستخدم نماذج مصغرة ليصف بكلمة واحدة سلوك الدول الأجنبية: الألماني " محاربي"، والإنجليزي "أناني"، والروسي "متوحش"، والفرنسي "غير ثابت"، والإسباني "فخور"، وتتعقد الأمور وتزداد خطورة عندما تقوم بعض الدول بقرن وعي هويتها بمهمة يجب القيام بها. إن عدة دعوات تبشيرية تتصادم فعليًا في العالم.

٢- التفسير بوساطة ميزان القوى.. وصورته الأكثر انتشارا قد استُلهمت ونشرت من قبل رواد السياسة الواقعية، وتقتصر في نهاية الأمر على نظرية المصلحة الوطنية التي يدافع كل بلد بحبسها على الساحة الدولية على مصالحه الخاصة، وبالتالي يقرن سياسته الخارجية بمبرراته من النوع الداخلي.

أما أولوية السياسة الخارجية عن السياسة الداخلية فإنها تقوم على:

أ) وجهة نظر الجغرافية السياسية ب) نظريات التبعية فهي تضع النبرة على الصفة التي لا تقاوم =

جانب الرأي العام، فعندما اندلعت على سبيل المثال أحداث مايس ١٩٦٨ في فرنسا كانت بوخارست تستقبل ديغول استقبال الأبطال، وقد كاد ديغول أن يفقد السلطة في فرنسا في اللحظة نفسها التي بلغت فيها مكانته الدولية ذروتها. ومما لا شك فيه أن هذه المكانة قد تأثرت خلال الشهور التي أعقبت هذه الأحداث وحتى رحيله الاختياري بسبب ما جرى من تطورات في السياسة الداخلية الفرنسية.

إن المفاهيم السالفة الذكر تنطبق أيضًا على الفقه الاشتراكي، حيث ينظر الأخير للعلاقة بين السياسة الداخلية والسياسة الخارجية بالأهمية نفسها، وفي هذا الشأن يرى Levin في السياسة الخارجية أنها خلاصة الكل لأهداف الدولة ووسائل التعامل مع الدول والشعوب. وفي العلاقة بينهما يرى Levin أنهما تقومان على الأسس نفسها التي تستند على أسس النظام الاجتماعي للدولة، وهذا يعني انطباق هذه الأسس على البيئتين الداخلية والخارجية، وإذا كانت الدولة

=

للضغوط الخارجية التي قد تثقل ليس فقط على مجرى السياسة الخارجية وإنما أيضًا على السياسة الداخلية. إن البرهان يرتكز على حالة الدول النامية التي يخلق فقرها أو حالة خضوعها الكلي للسوق العالمية أو المساعدة الخارجية، وضع تبعية، ويؤدي إلى استلاب حقيقي للسيادة. وهذه هي حالة من الدول الأقل تقدمًا التي توجد رسميًّا في وضع المساعد بالنسبة للجماعة الدولية.

بجانب هاتين النظريتين المتناقضتين يميل روزيناو إلى نظرية التفاعلات بين السياسة الداخلية والسياسة الخارجية، وفي هذا المجال يؤكد روزيناو على حقيقة أن معظم المحللين يعالجون التفاعلات كثوابت بدلًا من معطيات، أو كتوابع متنوعة وليس كتنوعات مستقلة، مشيرًا إلى أن علم السياسة لا يمتلك لمواجهة هذه الصعوبات ما يعادل نظرية الشركة لدى الاقتصاديين أو النبتة لدى دارسي البنية. راجع: مارسيل ميرل، السياسة الخارجية، مصدر سبق ذكره، ص١٥٥-١٧٠.

تقوم بمهمة الدفاع عن أمنها الوطني بموجب المفهوم الاشتراكي؛ فإن هذا يسري على البيئة الداخلية، ومن منطلق أن السياسة الخارجية هي امتداد للسياسة الداخلية[١].

وفيما يخص الأهداف في الفقه الاشتراكي وعلاقتها بالبيئتين الداخلية والخارجية، فإنها تتحدد في تقوية النظام الاجتماعي للدولة، وتحسين ذلك في ظل نظام الوحدات الدولية، ودعم مصالح الطبقة الحاكمة، ولا سيما إذا عرفنا -تبعًا للفلسفة السوفييتية- أن مصالح الشعب الكلي هي فوق حدود الدولة، ومن هذا المنطلق فإن الدولة تباشر السيطرة عليهما من خلال مجلس السوفييت الأعلى، ومجلس الوزراء، ومجلس الدوما[٢].

---

(1) Grigory Tunkin, Contemporary International Law, Progres Publishers, Moscow, 1969,P189.

(2)Ibid.,

الفصل الثاني

مناهج السياسة الخارجية

لفظ المنهج ترجمة للكلمة Methode الفرنسية ومثيلاتها في بقية اللغات الأوربية الأخرى، وجميع هذه الكلمات تعود في نهاية الأمر إلى مصطلح يوناني استخدمه أفلاطون للإشارة إلى معنى البحث أو النظر أو المعرفة، وقد استخدمه أيضًا أرسطو للدلالة على معنى "بحث". والمعنى الاشتقاقي الأصلي له يدل على الطريق أو المنهج الموصل إلى الغرض المطلوب(١).

يعد المنهاج بمثابة الاقتراب من الظاهرة، والأخيرة تشير إلى الحقيقة التي تتميز بمجموعة من الخصائص، وهذه الخصائص تفرض أسلوب الوصول إليها، ورغم أن هذا القول ينتابه نوع من التناقض المنطقي فإنه من الممكن إزالة ذلك من خلال التحليل العميق، وفي الواقع إن الوصول إلى الظاهرة يفرض لغة للتخاطب، وهذه اللغة برمتها هي المنهاجية(٢).

إن موضوع الظاهرة لا يثير معضلة بالنسبة للعلوم الطبيعية، في حين أن هذا يشكل عملية معقدة بالنسبة للعلوم الاجتماعية بصورة عامة، وعلم السياسة بصورة خاصة، التحليل في العلوم الطبيعية لا يفرض الخروج عن حدود الظاهرة ذاتها؛ لأن الظاهرة تجيب عن علامات الاستفهام، أما على مستوى العلوم الاجتماعية فإن الأمر يختلف اختلافًا كليًّا؛ لأن الإجابة لا تنبع

---

(١) الدكتور عبد الرحمن بدوي، مناهج البحث العلمي، ط٣، وكالة المطبوعات، الكويت، ١٩٧٧، ص٣.

(٢) الدكتور حامد ربيع، نظرية التحليل السياسي، مصدر سبق ذكره، ص٥.

من الظاهرة، وإنما من عملية التصور العقلي، والمنهاج قد يقع في إطار التجريد الذي يدور في إطار المنطق الصوري وحول الكليات الفكرية، أو التجريب الذي هو أسلوب للبحث أساسه المعرفة المباشرة بالظاهرة والإمساك بها، لا عن طريق المنطق وإنما من خلال الاحتكاك المباشر.

وهناك نوعان من أنواع البحث التجريبي، هما: جمع المعلومات gathering data، ومتابعة عملية التطور process[١].

المنهاج بهذا المعنى هو دراسة الأدوات والمسالك التي يستخدمها الباحث لبناء القوانين العلمية، وتتميز هذه القوانين بصفة الإطلاق زمانًا ومكانًا، علمًا بأن بناء القانون يفترض وجود عنصرين، هما:

أ- يكون الواقع هو موضوع التفسير والتحليل.

ب-يكتنف الواقع كلًّا من التأمل والتفكير والاستدلال.

الوظيفة الرئيسة لعالم المنهاجية هي كيفية إيجاد العلاقة بين العنصرين السالفي الذكر[٢].

وعليه يمكن القول بأن المنهج هو: "البرنامج الذي يحدد لنا السبيل للوصول إلى الحقيقة، أو الطريق المؤدي إلى الكشف عن الحقيقة في العلوم"[٣].

ومن الممكن تقسيم المناهج في السياسة الخارجية إلى:-

---

(١) الدكتور حامد ربيع، نظرية التحليل السياسي، مصدر سبق ذكره، ص٦، ٢١، ٢٢، ٤٣.

(٢) الدكتور حامد ربيع، نظرية التحليل السياسي، مصدر سبق ذكره، ص٣٩.

(٣) المصدر نفسه، ص٦.

أولاً: المناهج التقليدية:

تؤكد المناهج التقليدية أن السياسة الخارجية بوصفها ظاهرة لا يمكن ارتباطها بدراسة علمية، ومفاد هذا القول يرجع إلى أن موضوع السياسة الخارجية له علاقة ببرامج العمل التي تتبناها القيادة السياسية إزاء العالم الخارجي، هذه البرامج التي تتضمن أيضًا الأهداف والوسائل؛ أي تصور ما يجب أن يكون، ولا علاقة للعلم بتحليل هذه البرامج بسبب أن العلم ينصب اهتمامه على الواقع[١].

ونتيجة لذلك فإن هذه المناهج اقتصرت على مجرد وصف السياسة الخارجية[٢]، ولا سيما السياسة الخارجية للقوى الكبرى، على مستوى التتبع التاريخي، أو بمحاولة تحديد الأهداف القيمية والأساليب التي تتضمنها[٣].

إلا أن كُتاب السياسة الخارجية ابتداء من منتصف الخمسينات بدأوا ينتقدون هذا المفهوم، مؤكدين أن موضوع السياسة الخارجية يخضع أساسًا للتحليل العلمي؛ لأن ما ذهب إليه أصحاب هذا الرأي من أن السياسة الخارجية هي برامج العمل للقيادات السياسية لا ينفي إخضاعها للوصف والتفسير والتنبؤ

---

(١) الدكتور محمد السيد سليم، تحليل السياسة الخارجية، مصدر سبق ذكره، ص٦.

(٢) يقصد بوصف ظاهرة السياسة الخارجية توصيف وتصنيف الأبعاد الأساسية المكونة لظاهرة السلوك السياسي الخارجي، والأخيرة تتضمن أبعادًا أساسية كالتوجهات العامة والأهداف والأدوات الأولية والإستراتيجيات والقرارات والسلوكيات وغيرها، وهذه الأبعاد جميعها قابلة للنقاش العلمي. راجع: الدكتور محمد السيد سليم، تحليل السياسة الخارجية، مصدر سبق ذكره، ص ك.

(٣) المصدر نفسه، ص ك.

العلمي[١].

إن برامج العمل هي ظواهر يمكن تحديد ماهيتها وتفسير مصادرها والتنبؤ بها تنبؤًا موضوعيًّا، فضلًا عن ذلك فإنها تتضمن أكثر من مجرد تحديد ما يجب أن يكون؛ فالوحدة الدولية تتعامل مع عالم محدد تحاول التأثير فيه، كما أنه يفرض عليها قيودًا محددة في التعامل معه، ومن ثم فهي تدخل هذا العالم في أمور تتسم بالتعقيد من الاتصالات، وتحتل وضعًا فعليًّا في هذا العالم قد لا يكون هو بذاته الوضع المنشود[٢].

والحق أن المنهج العلمي يؤكد على حقيقتين جوهريتين: الأولى تكييف المنهجية وفقًا لموضوع البحث وليس العكس، ونتيجة لذلك فإن المنهج العلمي ميز بين مضمون موضوع الاهتمام وطريقة دراسته، في الوقت الذي يرى أساتذة السياسة الخارجية في هذا التمييز الافتقار إلى عملية الإقناع. أما الحقيقة الثانية فإنها تتركز على موضوع الاعتماد المتبادل بين موضوع الدراسة والقيم الذاتية للباحث، وعليه فإن المنهج لا يقوم على الفصل بين الوقائع والقيم الذاتية؛ لأن العلم في اعتقاد أصحاب هذا الرأي لا يعد محايدًا[٣].

---

(١) يدخل التفسير العلمي للسياسة الخارجية في صلب موضوع السياسة الخارجية، الذي يعني تحديد مجموعة المتغيرات التي تؤثر على السياسة الخارجية، وتحليل الأثر النسبي لتلك المتغيرات على تلك السياسة. المصدر نفسه، ص ك.

(٢) فالعلم أساسًا هو منهج للتحليل والمعرفة، بمعنى أنه يتناول ظواهر يمكن ملاحظتها، كما أنه يحللها بحيث لا يمكن الفصل بين الحقيقة والقيم الذاتية للباحث. راجع: الدكتور محمد السيد سليم، تحليل السياسة الخارجية، مصدر سبق ذكره، ص٦ وكذلك:

Rosenau, James n, Ihe Scientific Study Of Foreign Policy, Op. Cit, p. 21.

(٣) الدكتور مازن إسماعيل الرمضاني، مصدر سبق ذكره، ص٨٦ – ٨٧.

وفي هذا المجال لا بد من التأكيد على أن عملية صنع القرارات في السياسة الخارجية أصبحت جزءًا من عملية التحليل العلمي للسياسة الخارجية، فتحديد القوى المؤثرة في الصياغة المباشرة لتلك الدول، وتحليل عملية صنع القرارات في السياسة الخارجية؛ هي كلها عمليات تدخل في إطار التحليل العلمي للسياسة الخارجية[١].

تأثر دعاة المنهج التقليدي بآراء توماس هوبز التي تقوم على فكرة مفادها أن الظاهرة السياسية الدولية تعكس العلاقات المتبادلة التي تتسم بالفوضوية بين دول متصارعة ودول ذات سيادة. وعلى هذا الأساس فإن المنهج التقليدي بدأ يستخدم المدلولات الدبلوماسية والعسكرية لحركة تلك الدول المؤثرة في السياسة الدولية عبر مراحلها المختلفة[٢].

يقوم المنهج التقليدي على المناهج الآتية:

١ - المنهج التاريخي:

يعد هذا المنهج من أكثر المناهج استخدامًا في العلاقات الدولية، فهو يولي أهمية كبرى لدراسة التاريخ الدبلوماسي؛ لأن العلاقات الدولية المعاصرة لها جذور وامتدادات تاريخية سابقة ينبغي الإحاطة بها من جوانبها كافة، وعلى هذا الأساس فإن الروابط والصراعات والأحقاد التاريخية تعد عند دعاة هذا المنهج من بين القوى الرئيسة التي تتحكم في الاتجاهات السياسية الخارجية للدول[٣].

---

(١) الدكتور محمد السيد سليم، تحليل السياسة الخارجية، مصدر سبق ذكره، ص ك.

(٢) الدكتور مازن إسماعيل الرمضاني، مصدر سبق ذكره، ص ٨٧.

(٣) الدكتور إسماعيل صبري مقلد، العلاقات السياسية الدولية، دراسة في الأصول والنظريات، ط٤، منشورات ذات السلاسل، الكويت، ١٩٨٥، ص١٤، والدكتور مازن إسماعيل الرمضاني، مصدر سبق ذكره، ص٨٩.

يرى أصحاب هذا المنهج أن أغلب العلاقات الدولية كانت تقع في نطاق السياسة الخارجية، فإن الدبلوماسية كان لها دورها في الإشراف على التنفيذ من خلال وزارات الخارجية، فضلًا عن ذلك فإن ممارسة العمل الدبلوماسي في المجال الخارجي أدت إلى تكوين التجارب الشخصية، زد على ذلك أن السياسات الخارجية للدول الأوروبية كانت تقنن في معاهدات واتفاقيات وبروتوكولات لتنظيم تلك السياسات، ولتحديد المواقف إزاء قضايا دولية[١].

يؤكد دعاة هذا المنهج أنه بإمكان المدرسة التاريخية تحقيق المزايا الآتية[٢]:

١. القدرة على تحري الأسباب التي تكمن وراء نجاح أو إخفاق قادة الدول في تبني سياسة خارجية محددة في وقت ما، والتوصل إلى دلالات عامة لأنماط السلوك الدولي المختلفة.

٢. إن استخدام المنهج التاريخي يؤدي إلى تفهم أكبر وأعمق للاتجاهات التي يسلكها تطور العلاقات السياسية بين الدول، وانتقالها من نظام إلى آخر.

٣. يساعد على تفهم الكيفية التي يتم بها اتخاذ بعض قرارات السياسة الخارجية، والدوافع التي تمليها، والنتائج التي تتبلور عنها، وذلك في الإطار التاريخي الحقيقي لهذه القرارات.

٤. إن التاريخ عند دعاة هذا المنهج يعد بمثابة معمل للتجريب واختبار العلاقة التي تقوم بين الأسباب والنتائج في السياسة الدولية، على أساس أن لكل

---

(١) الدكتور كاظم هاشم نعمة، العلاقات الدولية، مصدر سبق ذكره، ص٤٥.

(٢) الدكتور إسماعيل صبري مقلد، العلاقات السياسية الدولية، دراسة في الأصول والنظريات، مصدر سبق ذكره، ص١٤-١٥.

موقف دولي طبيعته المتميزة، وأن مواقف السياسة الدولية لا تتكرر على النحو نفسه.

إلا أن هذا المنهج لا يخلو من بعض الانتقادات، ويمكننا إيجازها في الآتي:-

١. تشير الأحداث الدولية إلى كثرتها وتعقدها وتداخلها؛ إذ إنه من الصعوبة بمكان تحديد القوى الرئيسة التي تتحكم في السياسة الدولية في أية مرحلة من مراحل تأريخها[١].

ولهذا السبب فإن المؤرخين لم تكن في حوزتهم إلا انتقاد أحداث معينة، وبالتالي إهمال المجال الآخر منها[٢].

٢. في كثير من الأحيان يحاول هذا المنهج إثبات فرضية معينة، ومن هنا يحدث نوع من التأثير أو التلاعب بالمادة التاريخية بحيث تصل إلى الخلاصة التي تعكس العناصر المؤيدة لهذه الفرضية، واستبعاد العناصر التي تتعارض معها، وعليه تكون الاستنتاجات والتعميمات قد فرضت، ولا تعكس إلا جزءًا يسيرًا من الحقيقة التاريخية التي قد تتعلق بمزاجية كل باحث وكيفية تحليله للحقيقة التاريخية التي في حوزته[٣].

٣. عدم تطوير المادة التاريخية في اتجاه معين أو معلوم، كي يتسنى الوصول إلى خلاصة من شأنها استنباط واستخلاص القوانين التي بإمكانها تفسير

---

(١) الدكتور إسماعيل صبري مقلد، العلاقات السياسية الدولية، دراسة في الأصول والنظريات، مصدر سبق ذكره، ص١٥.

(٢) الدكتور كاظم هاشم نعمة، العلاقات الدولية، مصدر سبق ذكره، ص٤٧.

(٣) الدكتور إسماعيل صبري مقلد، العلاقات السياسية الدولية دراسة في الأصول والنظريات، مصدر سبق ذكره، ص١٥.

الظواهر المختلفة المكتنفة بعملية التطور هذه. وفي هذا المجال تحدث هوفمان عن أزمة هذا المنهج قائلًا: "إن المنهج التاريخي قد ينتهي بنا إلى التحليق في السماء، ولكنه لا يستطيع أبدًا أن يمدنا بنظرية في العلاقات السياسية الدولية"[١].

٢ - المنهج المثالي:

من المناهج التقليدية في السياسة الخارجية المنهج المثالي، وقد مثل هذا المنهج في الماضي جروشيوس، وويلسون في بداية القرن العشرين، وثروب في الفكر المعاصر، ويدور هذا المنهج حول فكرة مفادها: وجود مستوى أخلاقي للسلوك يستقل عن الوحدة البشرية، يقوم بالتحكم في منطق السلوك ذاته[٢]. ويقر هذا التصور بالاعتراف بمجتمع دولي يسوده قانون عام يطبق عليه، وخصوصًا لمبدأ Pacta Punt Servanda والامتناع عن التدخل العنيف في شؤون الآخرين[٣]. وأكد أصحاب هذا المنهج على مبدأ توازن القوى الذي يعد أداة من أدوات تحقيق المثالية السياسية، فالتوازن بين القوى هو وسيلة غير مباشرة لمنع الصراع، وبتعبير آخر إنه تعبير عن قانون سياسي يماثل قانون الجاذبية في العلوم التطبيقية.

وتعطي هذه المدرسة أهمية كبيرة للمثل والأخلاق، وفي هذا المجال يرى ليرنر "أن المثل والأخلاق هامة في السياسة كمقاييس، لكنها نادرًا ما تكون

(١) المصدر نفسه، ص١٥.

(٢) الدكتور حامد ربيع، نظرية السياسة الخارجية، مصدر سبق ذكره، ص ١٧.

(٣) كارن إي. سميث ومارغوت لايت، الأخلاق والسياسة الخارجية، تعريب فاضل جتكر، مكتبة العبيكان، الرياض، ٢٠٠٥، ص ١٥.

فعالة كأساليب، وغالبًا ما ينجح المصلحون الدينيون في جعل الأخلاق العامة أقرب إلى بعض النظم الأخلاقية، بيد أنهم لم ينجحوا ألبتة كرجال دولة"[١].

ويبدو أن المثالية ارتبطت بشكل وثيق بالتوجه الأنجلو أمريكي القائم على افتراض وجود مجال اختيار واسع أمام صانع القرار السياسي في تقرير الشكل الذي تتخذه سياسة بلاده الخارجية[٢].

ونتيجة لاستناد المذهب المثالي على أساس معرفة "كيف يجب" أن يتصرف السياسيون في العلاقات الدولية لا على أساس "كيف يتصرف هؤلاء فعلًا" وقف المثاليون موقف الرفض من مجموعة من المبادئ السائدة في العلاقات الدولية كمبدأ توازن القوى المرتبط تاريخيًّا بأوروبا ومبدأ استخدام القوة في الشؤون الدولية والمعاهدات السرية للحلفاء، والتقسيم المجحف للعالم خلال الحرب العالمية الأولى، وطرحوا مبادئ مقابلة تمثلت في الحقوق والالتزامات القانونية الدولية والتناسق الطبيعي بين المصالح القومية كوسيلة للحفاظ على السلام العالمي، والتركيز على دور العقل في إدارة الشؤون العالمية، وإبداء ثقة في الوظيفة

---

(١) الدكتور حامد ربيع، نظرية السياسة الخارجية، مصدر سبق ذكره، ص١٧-١٨. وللمزيد من التفاصيل راجع: الدكتور إبراهيم أبو خزام، الحروب وتوازن القوى.. دراسة شاملة لنظرية توازن القوى وعلاقتها الجدلية بالحرب والسلام، الأهلية للنشر والتوزيع، عمان، ١٩٩٩، ص٢١٩- ٣٤٢ ود. سعد حقي توفيق، مصدر سبق ذكره، ص٨٤-٨٧، ود. كاظم هاشم نعمة، العلاقات الدولية، مصدر سبق ذكره، ص ٤٩-٥٣. وريتشارد نيكسون، القادة، ترجمة خضر إبراهيم، ص٤٥١.و:

ole R.Holsti, Alliance and Coalition Diplomacy,In James N.Rosenau Kenneth W.Thompson Gavin Boyd, World Politics An Introduction, The Free Press Adivision Of Macmillan Publishing Co.,Inc. New York,1976, pp.339-340.

(٢) جيمس دورتي - روبرت بالستغراف، مصدر سبق ذكره، ص ١٠.

التي يمكن أن يقوم بها الرأي العام[١].

قوم إدوارد هاليت كار[٢] المثاليين على أنهم من الناحية الفكرية ورثة التفاؤل

---

(١) المصدر نفسه، ص ١٠ – ١١.

(٢) ولد كار في عام ١٨٩٢، وتخرج في جامعة كامبريدج باحتلاله المرتبة الأولى في العلوم التقليدية حينما اندلعت الحرب العالمية الأولى، فقطع دراسته وانخرط في السلك الدبلوماسي، وحضر مؤتمر باريس للسلام، وهو المؤتمر الذي وضع حدًّا للحرب الكبرى، وعاد إلى العمل الأكاديمي في عام ١٩٣٦ حينما سمي على كرسي ويلسون أستاذًا للسياسات الدولية في جامعة ويلز في أبيريستويث. أكثر ما اشتهر به إدوارد هاليت كار هو كتابه أزمة السنين The Twenty Years Crisis الصادر في عام ١٩٤٦ الذي يتضمن نقدًا شديدًا للدبلوماسية الغربية خلال المدة الواقعة ما بين الحربين العالميتين، فضلًا عن إطار تحليلي مؤثر. ساعدت أعمال كار على إرساء شروط نقاش النظرية الدولية في القرن العشرين، تحديدًا على أنه نقاش متواصل ومتجدد بين الواقعيين من جهة والمثاليين أو الطوبائيين من جهة أخرى. لم يبدأ كار هذا الجدل، ولم يحدد موقفه الخاص بوضوح في إطاره، ما فعله هو إثبات وجود مفهومين متناقضين للتطور التاريخي يَظْهَرَان جَلِيَّيْنِ في الفكر والممارسة الدوليتين، كما أن السهولة التي دمج بها التفكير الفلسفي في التحليل التاريخي، فضلًا عن التعليق على الأحداث الجارية، ضمنت لهذا الكتاب بقاءه كأحد الكتب التقليدية في هذا المجال. كان هناك اختلافان رئيسان بين مورجانثو وكار؛ فقد تأثر مورجانثو جزئيًّا بشخصيات مثل نيبوهر، وبخبراته الخاصة في عقد الثلاثينيات من ناحية أخرى، ورأى أن المنبع الرئيس للواقعية لا يكمن في الندرة، وهي نتيجة للوضع البشري، بل يكمن في الخطيئة، وهي نتيجة للطبيعة البشرية، فطابع الدول العدواني الذي يسعى وراء السلطة ينبثق من المادة البشرية التي لا تتصف بالكمال والتي منها تتكون الدول، وقد يقال: إن هذا التحول كان خطأً، فما لم يتم الدفاع عنه من منطلقات لاهوتية فإنه يؤدي إلى تفسيرات سيكولوجية – سوسيولوجية للسلوك الاجتماعي نادرًا ما تكون مرضية، وتميل، على أي حال، إلى عدم تأييد أفكار العدوانية المتأصلة.

وحتى بين اللاهوتيين سيوجد إحجام عن الدفاع عن نسخة الخطيئة الأصلية التي تكمن على =

الفكري الذي أتى به عصر التنوير في القرن الثامن عشر من جهة، وليبرالية القرن التاسع عشر من جهة ثانية، والمثالية التي اتسم بها القرن العشرين متأثرًا بأطروحات ويلسون من جهة ثالثة[١].

ويمكن عد "إدوارد هاليت كار" أفضل من بحث جوانب الخلاف الفلسفية بين المثاليين والواقعيين بخاصة في دراسته المنشورة عام ١٩٣٩، والتي استند إليها أغلب الباحثين الذين جاءوا من بعده[٢].

=

ما يبدو خلف الكثير من عمل مورجانثو، وهو أساس غريب؛ لأن تراث مورجانثو اليهودي لم يلزمه هذا الموقف. وعلى أي حال فإن الواقعيين اللاحقين لم يتبعوا منحى مورجانثو في ذلك.

وقد كان اختلاف مورجانثو الثاني عن كار مثيرًا للشك وذلك لأسباب فكرية، لكنه كان مع ذلك مفتاح نجاح كتاب "السياسة بين الأمم"؛ فقد أسبغ مورجانثو على الواقعية الطابع المنهجي، فكتابه مليء بالقوائم – المبادئ الستة للواقعية السياسية والإستراتيجيات الثلاث للسياسة الخارجية المتاحة للدول، وهذا ما جعله كتابًا ناجحًا، ولكن على حساب تخشين هام لموقف الباحث الذي يتبع المذهب الواقعي. ومن الجهة المعاكسة، فإن كتاب كار "أزمة السنوات العشرين" هو كتاب معقد، ينطوي على ظلال دقيقة من المعاني ويمكن فهمه من طرق عدة، وهذا ينطبق أيضًا على بعض أعمال مورجانثو الأخرى، لكن معظم تعقيدات "السياسة بين الأمم" نشأت بمحض الصدفة من جراء صياغات مهلهلة وليس بنتيجة التصميم، على أن ما كانت تدعو الحاجة إليه عام ١٩٤٨ هو دليل بسيط للواقعية، وبعد عشرين سنة علق هيدلي بول Hedley Bull قائلًا: "إن الولايات المتحدة قد أصبحت القوة المسيطرة في العالم دون أن تحتاج إلى تطوير معرفة عميقة من نوع فن الحكم الممارس في أوروبا". راجع: كريس براون، مصدر سبق ذكره، ص ٣٦. ومارتن غريفيش، خمسون مفكرًا في العلاقات الدولية، مركز الخليج للأبحاث، دبي، الإمارات العربة المتحدة، ٢ــــ٨، ص ٣٩ – ٤٠.

(١) المصدر نفسه، ص ١٠.

(٢) المصدر نفسه، ص ١٠.

يرى كار أن الأزمات الدولية المعاصرة تحمل في طياتها الدلالة الكافية على انهيار التحليل المثالي المستند على مبدأ التناسق أو التناغم في المصالح القومية، ولكنه ينتقد كلا المذهبين الواقعي والمثالي، على أساس أن الأول ينظر للتاريخ نظرة تشاؤمية، في الوقت الذي يتجاهل فيه الثاني الدروس المستفادة من التاريخ ذاته، وفي الوقت الذي يبالغ فيه المثاليون في حرية الاختيار لصانع القرار يبالغ خصومهم في التأكيد على ضرورة العِلِّية أو السببية وينزلقون نحو شكل من أشكال الحتمية، فضلًا عن أن المثاليين يخلطون بشكل كبير بين المصالح الذاتية القومية والمبادئ الأخلاقية، في الوقت الذي يحصر الواقعيون أنفسهم في هيمنة المصالح الذاتية متجاهلين الأفعال أو التصرفات البناءة والمفيدة، وهو الأمر الذي يجعل الواقعيين ينكرون إمكانية تعديل السلوك الإنساني من خلال الفكر(١) .

ويذهب كار وهو ينتقد المنهج الواقعي في مجال العلاقة بين الفكر والسلوك إلى "أن الكيمائيين الذين حاولوا تحويل الرصاص إلى ذهب عاودوا تفحص ما بدا لهم في البداية "حقائق" بعد أن فشلوا في تحقيق فكرتهم، وخلص من ذلك إلى نتيجة مؤداها أن النظريات السياسية تتضمن عناصر مثالية وواقعية ممثلة في القوة والقيم الأخلاقية"(٢).

وفي واقع الأمر أنه من الناحية التقليدية يجري تحميل المدرسة المثالية مسئولية الانهيار السريع لآمال السلام الدولي في أعقاب الحرب العالمية الأولى(٣).

---

(١) المصدر نفسه، ص ١١ – ١٢.

(٢) المصدر نفسه، ص ١٢.

(٣) كارن إي. سميث ومارغوت لايت، مصدر سبق ذكره، ص ١٠.

٣ – المنهج الواقعي:

ظهرت الواقعية التقليدية في عام ١٩٤٠، حيث هيمنت على عقول الشباب من الدارسين لمادة العلاقات الدولية في الولايات المتحدة[١]، وتمت معالجتها من الأكاديميين إلى عام ١٩٥٠، واستمرت إلى عام ١٩٦٠[٢]. يشير هذا المنهج إلى أهمية القوة في العلاقات الدولية؛ إذ إن الأخيرة هي علاقات قوة، وهي ظواهر لها، وعليه ذهب هذا المنهج إلى أن الرغبة في الهيمنة هي الظاهرة والسمة المميزة للعلاقات الدولية، بمعنى أكثر دقة: إن الدول بإمكانها أن تصل إلى تحقيق أهدافها في السياسة الخارجية بالوسائل كافة دون أن تعطي أية أهمية للجوانب القانونية والأخلاقية[٣].

وبدون شك، تحتل القوة أحد المحاور الأساسية في حركة المجتمعات والأنظمة السياسية، وتعد من أكثر الموضوعات إثارة في الوقت الحاضر؛ إذ أصبح من مسلمات الموضوعات في تحليل التطورات المكتنفة بالدول وتفسير التاريخ

---

(١) جيمس دورتي – روبرت بلستغراف، مصدر سبق ذكره ، ص ٥٩.

يقول كارن إي. سميث: إن المنهج الواقعي ساد نظرية العلاقات الدولية وبين صانعي القرار السياسي العمليين خلال الحرب الباردة. راجع: كارن إي – سميث ومارغوت لايت، مصدر سبق ذكره، ص ١٠.

(2) Peter Hough, Understanding Global Security, Routledge Taylor & Francis Group, London & New,York, 2005, Charles W. Kegley, Op. Cit., pp. 22-23.

(٣) ج. أ تونكين، مصدر سبق ذكره، ص٢٢١ – ٢٢٢. وأنطونيا فيليكس، كوندي قصة نجاح كوندوليزا رايس، ترجمة سعيد الحسنية، الدار العربية للعلوم، بيروت – لبنان، ٢٠٠٧، ص ٩٩. و: Henderson, Op.Cit., pp23-24.

على أساس تغير القوى المهيمنة وفي حقب زمنية متباينة[١].

الواقعية كنظرية سياسية ترجع جذورها إلى تاريخ Tucydides لليونان القديمة، وحرب بلوبونيز بين أثينا وأسبرطة (٤٠٤-٤٣١ ما قبل الميلاد). عناصر الواقعية ترجع إلى كتابات Kautilya الذي كان وزيرًا للإمبراطور Maurya في الهند قبل ألفي سنة مضت، فمنذ تأكيدات ثوسيديدس قبل أكثر من ألفي عام في حوارات ميليان بأن "الأقوياء يصنعون كل ما تُمَكِّنهم القوة من صنعه، فقد دأب دعاة الواقعية على ترديد التفسير القائل بأن طبيعة الإنسان وما تمليه الفوضوية في النظام الدولي يؤديان إلى ما أسماه فريدريك الأكبر "المبدأ الدائم للحكام" "أن يتوسعوا إلى أقصى حد تسمح به قوتهم"[٢].

تستمد الواقعية أفكارها بصورة خاصة من الفلاسفة الإيطاليين مثل نيقولا ميكافللي (١٥٢٧-١٤٦٩)، وتوماس هوبز البريطاني (١٥٨٨-١٦٧٩)[٣]، ومينغ تسي في الصين، وقد أكد هؤلاء في بحوثهم ورسائلهم على Tbe Prince (الأمير)،

---

(١) الدكتور نظام بركات،، مراكز القوى ونموذج صنع القرار السياسي في إسرائيل، ١٩٦٣ – ١٩٨٣، دار الجليل للنشر، عمان، ١٩٨٣، ص٢٩. و. وHenderson, Op.Cit., pp.23-24

(٢) فريد زكريا، من الثروة إلى القوة الجذور الفريدة لدور أمريكا العالمي، ترجمة رضا خليفة، مركز الأهرام للترجمة والنشر، القاهرة، ١٩٩٩، ص ٢٨. وجيمس دورتي – روبرت بالتسغراف، مصدر سبق ذكره، ص ٦١ – ٦٢.

(٣) جيمس دورتي – روبرت بالتسغراف، مصدر سبق ذكره، ص ٦١ – ٦٢. يشير هوبز إلى "أن الإنسان لا يمكنه تحمل حالة انعدام الأمن حينما تكون هي الوضع الطبيعي السائد، حتى إنه ليقبل الطغيان، ولكنه لا يقبل أن يعيش في ظل ظروف من الفوضى، بيد أن فوضى الحياة الدولية لا تدفع الدولة بالمثل إلى قبول وجود مستبد عالمي؛ وذلك لأن الدولة تأوي الإنسان في كنفها، وتخفف من شعوره بانعدام الأمن. راجع: فريد زكريا، مصدر سبق ذكره، ص ٣٠.

Leviathan (الليوثان) الدولة ذات النظام الديكتاتوري. وعلى التوالي فالحسابات القائمة على المصالح والحذر والاحتراس والقوة والنفعية فوق كل الاعتبارات الأخرى مثل الأخلاقية(١). أما في القرن السادس عشر فقد ركز ميكافللي على دور القوة في الممارسة السياسية في عصره، مؤكدًا أن الحاكم لا بد أن يعتمد على معايير أخلاقية تختلف عن تلك التي تبناها الفرد العادي من أجل ضمان أمن الدولة وبقائها، فإن السياسة هي التصارع على المصالح. ثم تحدث ميكافللي عن التشاؤم تجاه الطبيعة البشرية(٢).

فضلًا عن ذلك أسهم المفكر الأمريكي عالم اللاهوت البروتستانتي رينهولد نيبور ١٨٩٢–١٩٧١ في تطوير المنهج الواقعي في السياسة الخارجية(٣).

---

(1) Kegley, Op. Cit.,P22.

(٢) جيمس دورتي، بالستغراف، روبرت، مصدر سبق ذكره، ص٦١-٦٢. قارن مع الدكتور حامد ربيع، نظرية السياسة الخارجية، مصدر سبق ذكره، ص١٦.

في هذا المجال يقول جون مياشيمير الأستاذ في جامعة شيكاغو: "العلاقات الدولية ليست في حالة حرب مستمرة، ولكنها في حالة تنافس أمني قاسٍ). والحق أن مقالة مياشيمير تنطوي على معلومات مفيدة؛ ففي "العودة إلى المستقبل: عدم الاستقرار في أوروبا بعد الحرب الباردة" Back to the Future: Instability in Europe after the Cold War يتصور مير شايمر عودة ظهور أنماط ما قبل عام ١٩١٤ في أوروبا قائلًا: "إن إحدى طرق السيطرة على هذه العملية تكون من خلال مساعدة ألمانيا على أن تصبح دولة نووية". راجع: كريس براون، مصدر سبق ذكره، ص٩٢ و Jentleson, Op.C it. p.11.

(٣) جيمس دورتي – روبرت بالتسغراف، مصدر سبق ذكره، ص ٦٣.

ولد نيبور (١٨٩٢ – ١٩٧١) في رايت سيتي في ميسوري، كان ابنًا لأحد المهاجرين الألمان، كان أبوه قسيسًا متمرسًا لاهوتيًّا في المجتمع الكنسي الإنجيلي الألماني. لقد كان "جوستاف نيبور" هو الدور النموذجي لدى نيبور وأخيه إتش ريتشارد نفسه أحد علماء اللاهوت الأساسيين في القرن العشرين.

=

=

تلقى نيبور تعليمه المبكر في كلية "إلمهرست" المدرسة المذهبية السائدة الصاعدة في شيكاغو، والتحق بـ"مدرسة يال اللاهوتية" في سنة ١٩١٣، وحصل على وظيفته الأولى والوحيدة كراع للأبرشية في كنيسة "بيثيل" الإنجيلية في "ديترويت"، وانطلق في الدفاع عن قضية الحلفاء في الحرب العالمية الأولى، متشوقًا إلى أن يثبت ولاءاته الأمريكية في مجتمع المهاجرين الألمان الذي اختلطت فيه المشاعر بشكل حقيقي فيما يخص الصراع.

كان نيبور متأثرًا جدًّا بكارل ماركس، وفي قصته التقليدية "الرجل الأخلاقي والمجتمع اللاأخلاقي" Moral Man and Immoral Society " (التي كان يقرؤها كل من جون إف كيندي وتشي جيفارا في الوقت نفسه) وثق موارد تحقق هذه النقطة في أمريكا في القرن العشرين.

لقد غربل نيبور أفكار ماركس غربلة جيدة ودقيقة، حيث شهد أنه كان محقًّا بشأن "المصالح الطبقية"، ولكنه كان مخطئًا في دفاعه عن "هندسة المجتمع".

وقد سبق كتاب نيبور في تلك النقطة الأخيرة كتاب كارل ريموند بوبر (١٩٠٢ – ١٩٢٤، فيلسوف بريطاني من أصل نمساوي)، (هذا على الرغم من أنه لا يوجد دليل على أن بوبر قرأ نيبور)، وأعطى قضية "الهندسة الاجتماعية" غطاء لاهوتيًّا لم يعطه إياها بوبر. إن الاعتقاد بأننا يمكننا أن نتغلب بالحيلة والمراوغة على قلب الإنسان في مواجهة تذمراته وصيحات غضبه غير المجددة، وأن نحقق له السعادة الأرضية "الجنة الأرضية" "عبر تجديد المؤسسات الاجتماعية، تجاوز لحقيقة أن هذه الجنة هي أولًا وقبل كل شيء قضية باطنية (تتحقق داخل الإنسان) أقل قليلًا من الإسكاتون Eschaton أي: نهاية التاريخ، وصولها إلى العالم سيكون بمقدار وصولها إلى قلوب الناس، وهذا لا يناقض أهمية العمل الاجتماعي.

كان نيبور ناشطًا فعالًا جدًّا، ولأجل معارضة "الجبهة المتحدة" بعد الحرب العالمية الثانية انضم مع "إيلينور روزفلت" (١٨٨٤ – ١٩٦٢) ناشطة أمريكية ودبلوماسية، وزوجة فرانكلين روزفلت؛ ليؤسس "أمريكيون لأجل العمل الديمقراطي"، ولكنه لم يصر على أنه إذا كان لا بد لمثل هذا العمل أن يكون مثمرًا فينبغي أن يتقدم حتى يصل إلى درجة أن يفهم أنه "لم يكن هناك مطلقًا حرب لم تكن في البداية حربًا داخلية كما تقول الشاعرة الأمريكية ماريان مور. راجع: د. هوستن سميث، لماذا الدين ضرورة حتمية؟ مصير الروح الإنسانية في عصر

=

يؤكد نيبور أن الإنسان ملطخ بالخطيئة الأولى، وعليه فإنه مهيأ للشر، والخطيئة عنده تنبع من القلق الشديد، والأخير هو الملازم الحتمي لهذا التناقض الظاهري الذي يعيشه الإنسان بين الحرية والتقييد[1]، والإنسان عند نيبور

=

الإلحاد، ترجمة سعد رستم، دار الجسور الثقافية، حلب، سوريا، ٢٠٠٥، ص ٢١٨ – ٢١٩.

وبمرور الوقت غادر "نيبور" "ديترويت" ليصبح أستاذًا للأخلاق المسيحية في "الإكليريكية اللاهوتية المتحدة" في نيويورك، وبدأ نيبور في تطوير فلسفة سياسية ناضجة، وعلى الرغم من أنه عد نفسه ليبراليًّا فإنه كان تقريبًا ناقدًا ليبراليًّا كما كان ناقدًا للنزعة المحافظة. وفي العشرينيات والثلاثينيات انغمس في مختلف قضايا الجناح اليساري، ولكونه مسالمًا اشتراكيًّا انتقد "الصفقة الجديدة" لفرانكلين دي روزفلت "بوصفها خدعة مصممة لإنقاذ الرأسمالية من سقوطها المحتم، لكن حتى بكونه رئيسَ "زمالة المسيحيين الاشتراكيين" فإن نيبور كثيرًا ما انتقد ليس فقط التكتيكات بل كذلك السياسات الاشتراكية بالمثل. وأوضحت دراسته في الديمقراطية "أطفال النور وأطفال الظلام" تطوره المنفصل عن الماركسية.

إن النغمة الساخرة في عمل نيبور تتجلى أفضل ما تكون في أشهر أقواله: "إن قدرة الإنسان على العدالة تجعل الديمقراطية ممكنة، أما قدرته على الظلم فتجعل الديمقراطية ضرورة". راجع: روبرت بنيويك، فيليب جرين، موسوعة المفكرين السياسيين في القرن العشرين، ترجمة مصطفى محمود، القاهرة، ٢٠١٠، ص ٣٧٢ – ٣٧٣.

(١) المصدر نفسه، ص٦٣. قارن مع: الدكتور ريمون حداد، مصدر سبق ذكره، ص١٥٩ – ١٦٠.

بذلت الكنيسة الكاثوليكية جهودًا كبيرة منذ القرون الوسطى لعدم استخدام القوة أو على الأقل التقليل من أهميتها. ومن الممكن الإشارة هنا إلى نظرية الحرب العادلة التي تبناها توماس الأكويني في القرن التاسع عشر والتي أشارت إلى أن استخدام القوة لا بد أن يخضع لشروط ثلاثة هي:- عدالة الأساس القانوني، عدالة القضية، سلامة القصد. عادت البابوية من جديد تنادي: الكفاح من أجل السلام. وفي هذا المجال وجه البابا بنوا الخامس عشر في عام ١٩١٧ إلى المتحاربين دعوة (أشار فيها إلى العمل من أجل السلام). راجع: مارسيل ميرل، سوسيولوجيا العلاقات الدولية، مصدر سبق ذكره، ص٢٥-٢٦.

مسير ومخير، فهو وإن كان ملطخًا بالخطيئة الأولى ويسعى نحو القوة إلا أن له جانب الخير والشر، ومع أن إرادته في الحياة قد تقوده للهيمنة على الآخرين فإنها أيضًا قد تتحول إلى السعي نحو تحقيق الذات، والشكل الاسمي لتحقيق ذلك هو – وهنا التناقض الظاهري– عدم الأنانية، وهذا يعني أن إرادة الحياة لدى الإنسان قد تقوده للاختيار بين سلوك أو آخر[١].

وفي هذا المعنى ذهب نيبور قائلًا: "إن الصراع الاجتماعي أمر محتوم في التاريخ البشري، وربما حتى نهايته، إن الصالحين والحكماء قد يسعون إلى تجنب الكارثة، لكنهم لن يستطيعوا أن يجاروا المخاوف والطموحات التي تدفع الجماعات إلى المواجهة"[٢].

علقت وزيرة الخارجية الأمريكية السابقة مادلين أولبرايت على ذلك قائلة: "لقد كان نيبور حكيمًا في التوصل إلى هذا الحكم الكئيب قبل الحرب العالمية الثانية؛ إذ إنه لم يكن يتفاعل مع الحرب، وإنما يتوقعها"[٣].

وفي مجال الحديث عن القوة يذهب نيبور قائلًا: "إن سعي الإنسان لاغتصاب عرش الله يحتم عليه أن يُخضع حياة الآخرين لإرادته، وهكذا يُقْدم على ظلم

---

(١) ينتقد نيبور ما يعده توجهًا تاريخيًا في الولايات المتحدة إزاء السياسة الخارجية، ويرى أن الأمريكيين غير متنبهين لدافع القوة في السياسات الدولية بسبب حقبة العزلة الطويلة التي عاشها المجتمع الأمريكي بعيدًا عن الصراع على القوة مع الدول الأخرى. راجع: جيمس دورتي – روبرت بالتسغراف. مصدر سبق ذكره، ص ٦٤.

(٢) مادلين أولبرايت بالاشتراك مع بيل ودوارد، الجبروت والجبار تأملات في السلطة والدين والشئون الدولية، مصدر سبق ذكره، ص ٢٥٧.

(٣) مادلين أولبرايت بالاشتراك مع بيل ودوارد، الجبروت والجبار تأملات في السلطة والدين والشئون الدولية، مصدر سبق ذكره، ص ٢٥٧ –٢٥٨.

حياة الآخرين... وإن القوة القومية ليست إلا انعكاسًا لإرادة الأفراد في تحقيق القوة"[١].

وفي المعنى نفسه يقول نيبور في كتابه "الإنسان الأخلاقي والمجتمع اللاأخلاقي": "يجب أن يمتلك الوطن القوة والنفوذ بسبب عوامل أخلاقية لا عسكرية؛ لأنه يمكن أن يكون متواضعًا وليس صلفًا ومتغطرسًا؛ لأن وطننا وشعبنا يريد أن يخدم الآخرين لا أن يسيطر عليهم، والأمة التي لا تتحلى بالأخلاق ستفقد نفوذها في كل أرجاء العالم سريعًا"[٢].

ويردف نيبور قائلًا: "فما هي أهداف الشخص أو الطائفة أو الوطن؟ إنها جميعًا هي نفسها: الرغبة بالسلام، والحاجة إلى التواضع، وتحري الأخطاء والإقلاع عنها، والتزام حقوق الإنسان بأوسع معاني الكلمة، بالاعتماد على مجتمع أخلاقي مهتم بتخفيف المعاناة الناجمة عن الحرمان أو الكراهية أو الجوع أو الألم الجسدي أو الإرادة، وحتى التلهف إلى مشاركة الآخرين بمُثله وإيمانه، وتحويل الحب المتجسد في شخص إلى حب للعدالة"[٣].

---

(١) جيمس دورتي – روبرت بالتسغراف، مصدر سبق ذكره، ص٦٣.

هناك كُتاب آخرون رفضوا المثالية وحاولوا إحياء المنهج الواقعي في السياسة الخارجية، ومن أشهر هؤلاء: فردريك شومان، ونيقولاس سبيكمان. وقد أكدا على أهمية توازن القوى، وذلك للحد من السياسات التوسعية. وهنا ينبغي أن نشير إلى مدى تأكيد شومان على أهمية عامل البقاء في السياسة الدولية، في حين يؤكد سبيكمان على دور العامل الجيوسياسي في تقرير السياسات الخارجية. راجع: الدكتور ريمون حداد، مصدر سبق ذكره، ص١٥٩-١٦٠.

(٢) جيمي كارتر، قيمنا المهددة: أزمة أمريكا الأخلاقية، ترجمة: حسام الدين خضور، (بلا)، ص٥٩– ٦٠.

(٣) المصدر نفسه، ص ٦٠.

وهنا نرى أن نيبور "يفرق بين المجتمع والناس، فالتوقعات من شخص ما هي معيار أعلى كثيرًا، فعلى الشخص –كهدف للمجتمع المسيحي– أن يتحلى بالحب المسيحي الكامل، الحب الغيري، أما أقصى ما نتوقعه من مجتمع ما فهو أن يقيم عدالة بسيطة، وهكذا علينا كأشخاص أن نكون أفضل، خصوصًا إذا حظينا بفرصة لإظهار ما نحن جديرون به، وعلى القادة أن يكونوا حذرين وألا يكونوا جبناء جدًّا"[١].

على الرغم من تأكيد نيبور أن الصراع مسألة متأصلة في العلاقات بين الجماعات والدول فهو لا يوافق أن يكون رجل الدولة غير أخلاقي، ويرى بدلًا من ذلك أن تُلَطَّفَ الواقعية بالأخلاقية، بحيث يكون على الدولة أن تستخدم قوتها من أجل تحقيق العدالة وتحقيق أكبر عدد من المصالح[٢].

وهناك كتاب آخرون اعتقدوا أن الصراع وليس التعاون هو المحور في السياسات الخارجية، ولعل من بين هؤلاء سبيكمان ١٨٩٣ – ١٩٤٣، الذي أكد أن الأوضاع التي تميز العلاقات بين الجماعات داخل دولة معينة خلال الأزمات وعند انهيار السلطة المركزية هي أوضاع طبيعية للعلاقات بين الدول في النظام الدولي[٣].

والحق، قام الباحثون في السياسة الدولية لسنوات عديدة بمناقشة مفهوم القوة كمنهج ملائم في دراسة Processes في الأنظمة الدولية، ولعل من بين

---

(١) المصدر نفسه، ص ٥٩ – ٦٠.

(٢) جيمس دورتي – روبرت بالتسغراف، مصدر سبق ذكره، ص٦٤.

(٣) المصدر نفسه، ص٦٥-٦٦.

هؤلاء هانز مورجانثو[١] الذي قام بدراسة القوة كجزء مركزي للسياسة الدولية،

(١) هانز مورجانثو، ألماني-يهودي الأصل، أمريكي الجنسية، هاجر إلى الولايات المتحدة في ثلاثينيات القرن العشرين، ونشر سلسلة من الكتب في عقدي الأربعينيات والخمسينيات، وهو من كبار أساتذة القانون وعلم السياسة، عمل في المحاماة منذ عام ١٩٢٧، وكان رئيسًا لمحكمة العمل في فرانكفورت في ألمانيا، وصل إلى الولايات المتحدة في عام ١٩٣٧، ثم أصبح مستشارًا في وزارة الخارجية الأمريكية في عام ١٩٤٩، ومحاضرًا في كليتي الحربية والطيران في الولايات المتحدة للاقتصاد السياسي في جامعة شيكاغو، وله مؤلفات عدة في هذا المجال لعل أهمها كتابه "العلم وسياسات القوة"، و"دفاعًا عن المصلحة القومية"، و"السياسة بين الصراع من أجل السلطان والسلام" وهو كتاب أصبح الكتاب الجامعي المعتمد حول "العلاقات الدولية" طيلة جيل أو أكثر، وقد صدرت منه طبعات عدة. أمضى الوقت الأطول من حياته الأكاديمية في جامعة شيكاغو ١٩٤٣ – ١٩٧١، وبعد تقاعده عمل في سيتي كولدج أوف نيوروك ١٩٦٨ – ١٩٧٥، وفي نيوسكول للأبحاث الاجتماعية في نيويورك ١٩٧٥ – ١٩٨٠. راجع: هانز. جي مورجانثو، السياسة بين الصراعات من أجل السلطان والسلام ج١، ترجمة خيري حماد، الدار القومية للطباعة والنشر، القاهرة،(بلا)، ص٨. وجيمس دورتي – روبرت بالتسغراف، مصدر سبق ذكره، ص١٦. وكريس براون، مصدر سبق ذكره، ص ٣٥ – ٣٦، ٤٤. ومارتن غريفيش، مصدر سبق ذكره، ص٧٤ – ٧٥، وروبرت بنيويك، وفيليب جرين، مصدر سبق ذكره، ص ٣٦٣ – ٣٦٥. و:

Holesti, k. J., The Concept Of Power in the Study Of InternationaI ReIation, pp. 89 – 90.

وقد اكتشف مورجانثو السياسة الدولية من خلال عَدِّه للدول الكبيرة ومسئولياتها الدولية المتنامية بعد الحرب العالمية الثانية. راجع: ريموند حداد، مصدر سبق ذكره، ص١٦٢.

هناك صعوبات أمام الباحثين لتقديم تعريف لمفهوم القوة، إن القوة في الرياضيات تعبير فني يعني الناتج المتحصل من ضرب الرقم باستمرار في نفسه، أما في الفيزياء فالقوة تعني معدل انتقال الطاقة في عمل إحدى المكائن مثلًا، أما في العلاقات الإنسانية فإن القوة ينظر إليها في العادة بوصفها عقلانية لا شيئًا يمتلكه المرء، ولكن تعني القدرة على إحداث الإثارة المرغوب =

=

فيها، فالقوة بالذات لا تمارس على الطبيعة أو على المادة أو على الذات، وإنما تمارس على عقول وأموال الآخرين.

وهنا لا بد أن نميز بين العلاقات التي تحتوي على عنصر القمع وتلك التي لا تحتوي عليه، بل قد يكون من الأفضل قبول ما يذهب إليه الأستاذ سبرت الأبعاد العسكرية للقوة، وتقتصر على تلك الأمور التي لها علاقة باستخدام مفهوم العنف. أما الجوانب الأخرى للقوة التي لا تحتوي على عنصر القمع فيمكن أن نسميها النفوذ. راجع:

Frankel, Joseph, International Relations, Op. Cit., P. 77 .

أما كارل دويتش فإنه يعرف القوة بأنها: "القدرة على الانتصار في الصراع وفي التغلب على العقبات". في حين يرى فردريك شومان أنه في نظام دولي يفتقد الحكومة المشتركة، فمن الضروري لكل وحدة في هذا النظام أن تسعى لضمان أمنها اعتمادًا على قوتها الذاتية، وأن تنظر بحذر إلى قوة الدول المجاورة لها.

راجع: جيمس دورتي – روبرت بالتسغراف، مصدر سبق ذكره، ص ٦١. و:

Dutsch, Op. Cit, P. 23

والقوة عند نيكولاس سبيكمان هي في النهاية ما تعتمد عليه الحياة سواء بالإقناع أو الإغراء أو الإكراه، أما مورجانثو فإنه عرفها بأنها "إمكانية شخص ما في الهيمنة على تصرفات وتفكير شخص آخر". ويُعَرِّف أرنولد وولفرز القوة بأنها "القدرة على دفع الآخرين نحو عمل ما تريد، ومنعهم من عمل ما لا تريد". أما ريموند آرون فيصفها على أنها "القدرة على الفعل أو الصنع أو التدمير". راجع:

Morgenthau, Hans, Politics a Mong Nations, Alfred Knopf Publishers, 3rd Edition New York mm 1960, pp. 9 – 10 . Niculae Tabarcia ,

"Power Relations between Realism and Neo – Realism in Hans Morgenthaus and Kenneth Waltzs Vision " Strategic Impact, No. 4, April, 2009.

قارن مع تونكين، مصدر سبق ذكره، ص٢٢٣. وجيمس دورتي – روبرت بالتسغراف، مصدر سبق ذكره، ص ٦١ وروبرت د. كانتور، السياسة الدولية المعاصرة، ترجمة د. أحمد ظاهر، مركز الكتب الأردني، عمان، الأردن، (بلا)، ص ٢٨٥.

=

=

أما روبرت دال فإنه يرى في القوة أنها "القدرة على جعل الآخرين يقومون بأعمال ما كانوا ليقوموا بها، أو بمعنى آخر: إن قدرة "أ" على دفع "ب" للقيام بالعمل "س" احتمال قيام "ب" بالعمل "س" بغض النظر عما فعله "أ". والحقيقة أن دارسي السياسات الخارجية لم يحاولوا تطبيقها في دراستهم، وربما يكمن السبب وراء ذلك في صعوبة تحديد ما الذي كان يجب أن يفعله في غياب محاولة "أ" دفعه للقيام بالعمل "س". وبعبارة أكثر دقة: "إنها قدرة أعلى على استخراج نتائج متوافقة مع تفضيلاته أو رغباته". وهذا يعني أن روبرت دال في تحليله لمصطلح القوة يشير إلى التعريف الشائع للنفوذ أو التأثير. راجع: الدكتور لويد جنسن، تفسير السياسة الخارجية، ترجمة محمد بن أحمد مفتي، والدكتور محمد السيد سليم، مطابع الملك سعود، الرياض، ١٩٨٩، ص ٢٤٠. وجوزيف س. ناي الابن، مصدر سبق ذكره، ص٨٢. وجوزيف س. ناي، ج. ر، حتمية القيادة الطبيعة المتغيرة للقوة الأمريكية، ترجمة عبد القادر عثمان، مركز الكتاب الأردني، عمان، ١٩٩١، ص ٢٧، وروبرت دال، التحليل السياسي الحديث، ط٥، ترجمة د.علاء أبو زيد، مركز الأهرام للترجمة والنشر، القاهرة، ١٩٩٣، ص٤٨. والدكتور نبيل السمالوطي، بناء القوة والتنمية السياسية دراسة في علم الاجتماع السياسي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، الإسكندرية، ١٩٧٨، ص ٤٣ – ٤٤. و

Robert Dahl, " The Concept of power ", Behavioral science, Vol. 2, July 1957 P. 202.

إن التعريف السلوكي للقوة يكون مفيدًا للمحللين والمؤرخين الذين يستخدمون الكثير من قوتهم في إعادة بناء الماضي، ولكنه يبدو شيئًا سريع الزوال بالنسبة للسياسيين والقادة العمليين. فيما أن القدرة على التحكم بالآخرين غالبًا ما تكون مصحوبة بامتلاك موارد معينة، لذلك فإن القادة السياسيين غالبًا ما يُعَرِّفون القوة بأنها امتلاك الموارد. وهذه الموارد تتضمن من بين أشياء أخرى السكان والأرض والموارد الطبيعية والحجم الاقتصادي والقوات المسلحة والاستقرار السياسي. ومن مزايا هذا التعريف أنه يجعل القوة تبدو شيئًا ملموسًا وقابلًا للقياس ويمكن التنبؤ به أكثر مما يسمح به التعريف السلوكي. وبهذا المعنى فإن القوة تعني امتلاك أوراق اللعب الرابحة في لعبة "البوكر" الدولية، والقاعدة الأساسية في هذه اللعبة هي أنه إذا ظهر لك أن الأوراق التي بيد خصمك تستطيع أن تهزم أي شيء لديك فإنك تستسلم، وهذا يعني

=

=

أنك إذا كنت تعرف بأنك ستخسر الحرب فإنك لا تبدؤها.
ويعد تحويل القوة من المشاكل الأساسية عندما نفكر بالقوة بمعنى الموارد، فبعض البلدان أكثر مهارة من البلدان الأخرى في تحويل مواردها إلى نفوذ فعال، تمامًا مثلما أن بعض لاعبي الورق الماهرين يمكن أن يربحوا على الرغم من ضعف أوراقهم. ويعني تحويل القوة القدرة على تحويل القوة الكامنة مقيَّمة بالموارد إلى قوة متحققة مقيَّمة بالسلوك المتغير للآخرين، وهكذا إذا استطعنا معرفة مهارة بلد ما في تحويل القوة، وإذا استطعنا معرفة ما يمتلكه من موارد القوة، عندئذٍ نستطيع أن نتنبأ بالنتائج على نحو صحيح.
لقد ناقش بعض أساتذة السياسة الخارجية أن مصادر القوة بشكل عام تتحرك بعيدًا عن التوكيد على القوة العسكرية والفتوح التي ميزت العصور السابقة، ولو أجرينا تقويمًا للقوة العالمية الآن لوجدنا أن عوامل مثل التكنولوجيا والتعليم والنمو الاقتصادي قد أصبحت أكثر أهمية، في حين أن الجغرافيا والسكان والمواد الخام قد أصبحت أقل أهمية. ويرى كينيث والتز أن تحقيق نمو اقتصادي في الولايات المتحدة بنسبة ٥٪ سنويًّا ولمدة ثلاث سنوات متتالية من شأنه أن يضيف للقوة الأمريكية وزنًا أكبر مما يأتيها من تحالفها مع بريطانيا. أما ريتشارد روزكرينس فإنه يرى أنه منذ عام ١٩٤٥ أصبح العالم موزعًا بين نظام إقليمي يتألف من دول ترى في القوة أرضًا ومساحة، وبين نظام تجاري نجده في تلك الدول التي ترى أن الاكتفاء الذاتي هو وهم من الأوهام. ويقول روزكرينس: إنه في الأيام الماضية كان الاستيلاء على أراضي دولة أخرى بالقوة أرخص ثمنًا من تطوير الجهاز الاقتصادي والتجاري المتقدم الذي نحتاجه الآن لاستخلاص الفائدة من التبادل التجاري مع هذه الدولة. راجع: جوزيف س. ناي، ج. ر، مصدر سبق ذكره، ص ٢٨ – ٣٠.
من هذا المنطلق يمكننا أن نميز بين التأثير والقوة، وتبعًا لـ"كيوبر" فإن التأثير يتمثل في تغيير سلوك الآخرين بطريق الإقناع والمنطق أو الوجدان، أما القوة فهي التأثير على الآخرين بشكل قهري أو جبري غير طوعي، فما يمارسه الواعظ أو الخطيب أو عالم الدين أو الأدب نوع من النفوذ أو التأثير يختلف عن القوة التي يمارسها رجل القضاء أو الحكام أو المديرون في أعمالهم.
أما "جولد همر" و "شلز" فإنهما يُعَرِّفان القوة بأنها القدرة على التأثير في سلوك الآخرين، وهما بهذا يقتربان كثيرًا من تعريف داهل. ويذهب بلاو إلى أن القوة تتمثل في قدرة فرد أو جماعة
=

=

على فرض إرادتها على آخرين، مع القدرة على مواجهة ما يبدونه من مقاومة، من خلال التهديد بتوقيع جزاءات معينة. ويعرف "كارك بك" و"جيمس مالوري" القوة بأنها قيام شخص بممارسة السيطرة –سواء بشكل مباشر أو غير مباشر– على بعض الأمور السياسية أو على عملية توزيع القيم، بما يتفق مع اتجاهه المفضل. راجع: الدكتور نبيل السمالوطي، مصدر سبق ذكره، ص ٤٤-٤٦.

أما روزيناو فإنه يعرف القوة بأنها: "تستعمل هنا بمعنى واسع جدًّا لتشمل المجال الكلي لتأثير الإنسان على زميله الإنسان، إنها تتضمن كل من يقدر على فرض التأثير والفرض الفعلي لتأثيره وسيطرته على عقول وأفعال الناس الآخرين". راجع:

Rosenau, International Politics and Foreign Policy a Reader in Research and Theory, Op. Cit, p. 13

ويُعَرِّف ماكس فيبر القوة بأنها "الإمكانية التي يمتلكها شخص ما في إطار العلاقات الاجتماعية، في وضع يساعد على إنجاز رغباته معه، على الرغم من رفض ومقاومة الآخرين له ". راجع:

Weber, Max, The Theory of Social and Economic Organization, Translated by: A Henderson and Tacltt, Oxford University Press, New York, Second Edition, 1957, p. 158.

أما Jentleson فإنه يعرفها بأنها القدرة على التغلب على العقبات والفوز في النزاعات. ووصفها أحد أساتذة العلاقات الدولية في الولايات المتحدة بأنها "القدرة العامة للدولة المهيمنة على سلوك الآخرين"، ووفقًا لكتاب آخرين" فإن المعيار الأكثر أهمية لمفهوم القوة هو الإمكانيات العسكرية. ولكن القوة تتضمن أيضًا عناصر غير ملموسة كالمصداقية أو كيف تفهم الدولة من قبل الآخرين في نظام العلاقات الدولية بأنها قادرة على استخدام قدراتها. والحق أن القوة تشير في هذه الصياغات إلى الموارد المادية المتاحة للدولة، في حين تشير المصالح إلى أهداف الدولة أو أولوياتها. راجع: فريد زكريا، مصدر سبق ذكره، ص ٢٨. و Jentleson, Op. Cit.,p.12

وهنا ينبغي أن نميز بين القوة والنفوذ؛ إذ يعرف الأخير بأنه: "هو علاقة بين فاعلين؛ إذ تؤثر احتياجات أو رغبات أو تفضيلات أو نوايا فاعل أو أكثر على تصرفات أو نوازع التصرف لدى

=

مؤكدًا أن غاية جميع السياسات القائمة على الصراع هي الحصول على القوة، وأن الأخيرة هي الهدف الكبير للسياسة والدافع المقرر لأي عمل سياسي.

وفي هذا المجال انتقد هانز مورجانثو الجوانب المثالية في حل معضلات السياسة الدولية، وهذا يعني التخلي عن القانون الدولي العام، وألا تستهدي في سعيها إلا بعلاقات القوة[١]. وفي هذا المجال يقول مورجانثو: "العالم البعيد عن الكمال من وجهة النظر العقلية هو محصلة قوى ملازمة للطبيعة البشرية، وعلى المرء أن يعمل وفق هذه القوى لا ضدها إذا شاء تحسين العالم"[٢].

وتبعًا لذلك ذهب المنهج الواقعي قائلًا: "إن النزعات المثالية في التحليل تذهب وراء معان وأهداف وهمية لا وجود لها في واقع الأمر"[٣].

=

فاعل آخر أو أكثر". راجع: المصدر نفسه، ص٤٩.

والنفوذ ليس هو الغاية في حد ذاته؛ فالدول تملك أولويات تتباين في أغلب الأحيان، وترجع مصادر هذه الأولويات إلى مجموعة أسباب على مستوى البيئة الداخلية. والنفوذ هو وسيلة الإنسان لإنجاز أهدافه، والدول هي الأخرى تعمل جاهدة على امتلاك القدرة من أجل إبراز أولوياتها. راجع: فريد زكريا، مصدر سبق ذكره، ص ٢٨.

تجدر الإشارة في هذا المجال إلى أن مفهوم سياسة القوة مفهوم تحدث عنه ميكافللي، فضلًا عن ذلك هناك فرع يتصل بالإستراتيجية وينبثق عن الميكافللية مباشرة، وهو الفرع الذي وضع كلوزفيتش أسسه وقواعده في القرن التاسع عشر، عندما قال: إن الإستراتيجية العسكرية التي تهدف إلى شل إرادة العدو من خلال استخدام العنف يستحيل فصلها عن الإستراتيجية السياسية. راجع: مارسيل ميرل، سوسيولوجيا العلاقات الدولية، مصدر سبق ذكره، ص٣٦.

(١) تونكين، مصدر سبق ذكره، ص٢٣١ – ٢٣٢.

(٢) روبرت د. كانتور، مصدر سبق ذكره، ص ١٠٢ – ١٠٣.

(٣) الدكتور إسماعيل صبري مقلد، نظريات السياسة الدولية دراسة تحليلية مقارنة، منشورات ذات السلاسل، الكويت، ١٩٨٧، ص٢٢.

وعليه، يؤكد مورجانثو أن القانون الدولي هو نظام بدائي مماثل للقانون الساري في بعض المجتمعات التي لم يزل أفرادها أميين مثل سكان أستراليا الأصليين وقبائل إيروكوا (من قبائل الهنود الحمر) في شمال كاليفورنيا[1].

من هذا المنطلق، تعني الواقعية السياسية عند المنهج الواقعي الأهمية المعنوية للعمل السياسي وعيًا كاملًا، وهي تعني أيضًا التوتر العنيف الذي لا يقهر بين

---

(١) تونكين، مصدر سبق ذكره، ص٢٢٢.

على الرغم من تأكيد مورجانثو على مفهوم الصراع في العلاقات الدولية، إلا أنه كان يشير إلى أن الدولة من الممكن أن تسعى إلى السلم من خلال مجموعة أدوات، لعل من بينها الدبلوماسية السرية وسياسات توازن القوى. راجع: الدكتور مازن إسماعيل الرمضاني، مصدر سبق ذكره، ص٩٧.

وتجدر الإشارة في هذا المجال إلى أن الاستخدام التقليدي لتوازن القوى كأداة نظرية تم استخدامه من أرنست هاس. وتستعمل عبارة توازن القوى أحيانًا ليس كتنبؤ، بل كوصف لكيفية توزيع القوة، وفي الحالة الأخيرة قد يكون من الأصح أن نشير إلى توزيع القوة، وفي حالات أخرى يجري استعمال هذا التعبير للإشارة إلى توزيع عادل للقوة مثل كفتي ميزان متساويتين، والمشكلة في هذا الاستعمال هي أن الغموض في قياس القوة يجعل من الصعب تحديد متى يكون هناك توازن متساو. والحق أن مشاعر القلق الرئيسة في السياسات الدولية تميل إلى أن تبرز للوجود من حقيقة أن هناك تفاوتًا في القوة، وعلى الأخص من التغييرات الرئيسة في التوزيع غير العادل للقوة. راجع جوزيف س. ناي، ج. ر، مصدر سبق ذكره، ص ٣٦ و :

Holesti, Op. Cit., p. 148. Haas, Ernest, The Balance Of Power as Analytic Concept, p. 152.

وقد أكد الحقيقة نفسها هارولد لاسويل عندما تحدث عن ذلك: Balancing Process راجع:Haas, Ernest, Op. Cit, p. 153 ويؤكد المنهج الواقعي الأشكال التالية: القوة العسكرية، والأحلاف العسكرية، والتوازن. Balance Of Power Alignments. راجع:

Carleton, William G., Realism and World Politics, Op. Cit., P. 76

الفروض الأخلاقية وبين متطلبات العمل السياسي الناجح. وأكثر من هذا يرى المنهج الواقعي أن المبادئ الخلقية العامة الشاملة لا يمكن أن تطبق على أعمال الدول في أشكالها العامة المطلقة، وأنه لا بد من تمحيصها وتنقيتها لتكون صالحة من حيث الزمان والمكان[١]. وهذا يعني أن المنهج الواقعي يرفض الربط بين الجانب الأخلاقي لأي شعب، وبين القوانين الخلقية التي تسود العالم[٢]. وعليه نرى أن الواقعيين يحذرون من الاكتراث للاعتبارات الأخلاقية؛ لأن هذه الاعتبارات قد تؤدي إلى غياب كيفية سلوك الحكومات في الواقع عن الذهن[٣].

ينتقد جورج كينان -سفير الولايات المتحدة في موسكو[٤]، ومن الموالين للمنهج الواقعي- المنهجين القانوني والأخلاقي في حل المشكلات الدولية، مؤكدًا أن القانون الدولي لا يصلح أن يكون أداة لتسوية هذه المشكلات، فضلًا عن

---

(١) مورجانثو، مصدر سبق ذكره، ص٣٢ – ٣٣.

(٢) المصدر نفسه، ص٣٣.

(٣) مادلين أولبرايت بالاشتراك مع بيل ودوارد، الجبروت والجبار تأملات في السلطة والدين والشئون الدولية، مصدر سبق ذكره، ص ٥٥.

(٤) ولد جورج فروست كينان في ويسكونسن في عام ١٩٠٤ (وهو العام الذي صادف فيه ولادة زميله الواقعي هانز مورجانثو). يُعْرَف كينان أساسًا بأنه أسهم إسهامًا رئيسًا في سياسة الولايات المتحدة الخارجية خلال الحرب الباردة، ومن منتقدي هذه السياسة في آن واحد! وإن كان تصنيفه واقعيًّا فإنه أقل اهتمامًا بالإسهام في النظرية الدولية من اهتمامه برسم مبادئ واقعية عامة لتحليل السلوك الدبلوماسي وتقويمه. عمل كينان مستشارًا للسفارة الأمريكية في موسكو عام ١٩٤٤ ثم سفيرًا للولايات المتحدة في موسكو عام ١٩٥٢، ألف العديد من الكتب حول السياسات المتبعة للحد من الشيوعية. راجع: ريمون حداد، مصدر سبق ذكره، ص١١٣. ومارتن غريفيش، مصدر سبق ذكره، ص ٦٧.

أن استخدامه لهذه الأغراض شديد الضرر، ليس القانون الدولي بالوسيلة الملائمة لتسوية المشكلات الدولية، ولكنه يعد عقبة في هذا المجال، لتحيا الدبلوماسية بدون قانون دولي"(١).

---

(١) تونكين، مصدر سبق ذكره، ص٢٢٤. للمزيد من التفاصيل حول منهج جورج كينان راجع: جيمس دورتي – روبرت بالتسغراف، مصدر سبق ذكره، ص ٧٤ – ٧٩.
تجدر الإشارة في هذا المجال إلى أن مادة القانون الدولي قد حذفت من قائمة المواد التي يمتحن فيها الدارسون في الولايات المتحدة في تبوؤ الوظائف الدبلوماسية، وفي الوقت نفسه قد حذف من معاهد الدراسات العليا القانونية واستبدل به منهاج في العلاقات الدولية. راجع: المصدر نفسه، ص٢٢٤.
أشارت مجلة نقدية تصدرها الأكاديمية الأمريكية للآداب والعلوم "إلى أن الإستراتيجية الإمبريالية الكبرى تستغني فعليًّا عن حكم القانون الدولي، بما هو غاية السياسة الجامعة والخطيرة، ملاحظة أن إستراتيجية الأمن القومي قد خلت من أي ذكر للقانون الدولي أو لميثاق الأمم المتحدة. إن أسبقية القانون على القوة التي طالما كانت أهم خيط في نسيج السياسة الخارجية الأمريكية تكاد تختفي تمامًا من الإستراتيجية الجديدة، كما اختفت كذلك المنظمات الدولية التي تعمل على نشر تفعيل القانون، وتسعى إلى كبح جماح القوى، فضلًا عن إسماع صوت الضعيف من الآن فصاعدًا، القوة هي التي ستسود، وستمارس الولايات المتحدة تلك القوة بالشكل الذي تراه مناسبًا". راجع: نعوم تشومسكي، السعي الأمريكي إلى السيطرة على العالم، ترجمة سامي الكعكي، دار الكتاب العربي، بيروت – لبنان، ٢٠٠٤، ص ٣٨ – ٣٩.
وفي المعنى نفسه يقول جون بولتون: "إنه من الخطأ الفادح أن يمنح أية صلاحية للقانون الدولي العام حتى عندما يبدو من مصلحتنا القصيرة الأمد فعل ذلك، فإن هدف أولئك الذين يفكرون بأن القانون الدولي يعني فعليًّا أي شيء للذين يريدون أن يعصر الولايات المتحدة". راجع:
John R. Bolteon, “ American Skepticism about the United Nations “,U.S.A Foreign policy Journal, U.S.A Electroni Journals 2,May 1997, 1,

ويضيف جورج كينان قائلًا: "إن أكبر المساوئ التي انطوت عليها سياستنا الخارجية في الماضي تكمن في نظرتها للمشكلات الدولية بروح يغلب عليها ما أسميه بالطابع القانوني – الأخلاقي، وهي روح مبعثها الاقتناع بأنه من الممكن القضاء على التطلعات الخطرة والفوضوية التي تحرك الحكومات إذا ما قبلت هذه الأخيرة عددًا من القواعد والالتزامات في الميدان الدولي، وتمثل هذه القناعة بالتأكيد محاولة لحث الحكومات المعنية على تطبيق التصور الأنجلو-سكسوني للقانون المدني.

إن مصدر هذه القناعة يعود إلى الذكريات المتعلقة بأصل نظامنا السياسي حين تمكنا، من خلال قبولنا المشترك لبناء إداري وقانوني محدد، من تقليل حدة التعارض بين مصالح المستعمرات الثلاث عشرة إلى حدودها الدنيا وإقامة علاقات سلمية بينها"(١).

ولكن في العقود الأخيرة من جورج كينان الممتد طيلة قرن اشتكى بشدة من التدخلات الأمريكية في الخارج، فهو يؤمن بأنه من الخطأ أن تسعى الولايات المتحدة إلى نشر قيمها في مجتمعات غير مهيأة لقبولها، ولعله يتفق مع جيرالد فورد في أن على الولايات المتحدة ألا تحاول "تحرير الشعوب في العالم بالقوة "(٢).

---

(١) مارسيل ميرل، سوسيولوجيا العلاقات الدولية، مصدر سبق ذكره ص٢٩١ – ٢٩٢.

(٢) وعندما توفي جورج كينان في سنة ٢٠٠٥ عادت الواقعية إلى الرواج. لقد قاد الرئيس بوش الابن الولايات المتحدة إلى مستنقع الشرق الأوسط، ورأى العديد من منتقديه أن الأخلاقية الولسونية هي السبب، في حين أن بوش الأب انتهج سياسة خارجية شديدة البراغماتية، فإن ابنه دافع بأن الولايات المتحدة تلقت "نداء من وراء النجوم" لتخليص العالم من الشر، وفي حين =

والحق أن الفكرة المهيمنة على تحليلات مورجانثو كافة تتلخص في أن القوة المادية العسكرية لدى الدولة هي القوة التي يجب أن تؤخذ بنظر الاعتبار[١].

يقول شوارز تيرجر: "إن القوة بلا منازع محور الارتكاز في حركة التفاعلات الدولية كلها، والسبب هو أنه في غياب مجتمع دولي حقيقي فإن المجموعات الدولية تتنافس بناء على ما تمتلكه من إمكانيات مادية وعسكرية، وليس من أي منطلق قانوني أو أخلاقي"[٢].

=

امتنع بوش الأب عن إرسال جيوشه إلى بغداد في نهاية حرب الخليج الثانية، فإن بوش الابن لم يتردد في فعل ذلك في الثالثة. وبالنظر إلى النتائج استنتج العديدون أن الولايات المتحدة ستكون أفضل حالًا إذا ما استرشد الرئيس القادم للولايات المتحدة بالواقعية بدلًا من المثالية . راجع: مادلين أولبرايت، مذكرة إلى الرئيس المنتخب كيف يمكننا استعادة سمعة أمريكا ودورها القيادي؟ ترجمة عمر الأيوبي، الدار العربية للعلوم ناشرون ش. م. ل، بيروت ٢٠٠٨، ص ٣٥.

(١) المصدر نفسه، ص٢٢٢.

(٢) الدكتور إسماعيل صبري مقلد، نظريات السياسة الدولية دراسة تحليلية مقارنة، مصدر سبق ذكره، ص٢٢-٢٣.

أصبح منهج استخدام القوة في العلاقات الدولية جزءًا من العقيدة الفكرية للولايات المتحدة، فمنذ منتصف السبعينيات من هذا القرن أكدت التقارير المقدمة للكونغرس الأمريكي على ضرورة عدم استبعاد استخدام القوة من أجل خدمة المصالح الأمريكية، بصرف النظر عن مطابقتها أو عدم مطابقتها للقانون الدولي.

وقد طبق هذا المنهج كيسنجر من خلال دبلوماسيته التي عرفت وقتئذٍ بسياسة الخطوة خطوة، وفي هذا المجال يعتقد كيسنجر أن التهديد باستعمال القوة هو أفضل من استخدامها فعلًا شريطة أن تقوم الدولة باستخدامها فعلًا. أما نظريته في الرد المرن فإنها تقوم على مبدأ الاستقرار وليس السلام الشامل الذي لا يتحقق إلا بإبادة الآخر. راجع: الدكتور إبراهيم أبو خزام، العرب وتوازن القوى في القرن الحادي والعشرين دراسة لواقع القوى العظمى وانعكاسات

=

=

هذا الواقع على الوطن العربي، ليبيا، طرابلس، ١٩٩٦، ص٢٤-٥٦.

وفي مواجهة سؤال من قبيل: هل تتطابق السياسة الخارجية مع القيم أو المصالح؟ يجيب كيسنجر قائلًا: "يكمن التحدي الحقيقي في دمج الاثنين معًا، حيث لا يمكن لصانع القرار في السياسة الخارجية الأمريكية الجادة إغفال التفوق الاستثنائي التي كرمت الديمقراطية الأمريكية نفسها به، لكن لم يكن في استطاعته أيضًا إغفال الظروف التي يجب أن تطبق فيها".

روبرت كابلان بدوره حاول أن يلخص لنا النظرية الواقعية في مفهوم كيسنجر، مقدمًا بعض المبادئ الرئيسة معدًّا إياها محددات كيسنجر لهذه النظرية:

١ – الفوضى أسوأ من الظلم، الظلم يعني أن العالم يتميز بعدم تكامله، لكن الفوضى تعني أن العدالة غير متوفرة لأي أحد، بحيث تصبح الممارسات الحياتية البسيطة واليومية أعمالًا يحيطها الخطر.

٢ – ليست الإشكالية الرئيسة في السياسة الهيمنة على الشرور، ولكن وضع حدود للحق، فلا شيء أخطر من اقتناع مجموعة من البشر بسيطرتها المعنوية، وقتها يظهر إلى الوجود الديكتاتوريات.

٣ – المهمة الرئيسة لرجل الدولة هي الابتعاد عن الثورات.

راجع: هادي قبيسي، السياسة الخارجية الأمريكية بين مدرستين: المحافظية الجديدة والواقعية، الدار العربية للعلوم – ناشرون ش. م. ل، بيروت، ٢٠٠٨، ص ٧٧ – ٧٨.

فضلًا عن ذلك يعتقد الأمريكيون المحدثون أن الواقعية تجسد في كتابات وسياسات ريتشارد نيكسون. راجع: جوزيف سى. ناي الابن، المنازعات الدولية مقدمة للنظرية والتاريخ، مصدر سبق ذكره، ص١٩.

وقد انعكست هذه المفاهيم على سلوك الولايات المتحدة من خلال مفهوم ما يسمى Pax Americana أو السلام الأمريكي، وهو السلام الذي لا يعد صنيع الدبلوماسية أو توازنات القوى، بل يعد من نتائج نجاح قوة عظمى من خلال فرض الإرادة والسيطرة على الدول الأخرى. وقد كانت هناك ممارسات لهذا المفهوم؛ إذ اختبرت الحضارة الرومانية هذا المفهوم في العصور الغابرة، ثم جاءت بريطانيا في العصور الحديثة لتمارسها على الآخرين، وكلتا التجربتين قامتا على القهر والاضطهاد. راجع: الدكتور إبراهيم أبو خزام، العرب وتوازن القوى في القرن =

إن تحولات القوة طبقًا لمفهوم أورجانسكي يمر بمراحل ثلاث[1]:

١- مرحلة القوة الكامنة.

٢- المرحلة الانتقالية في تحولات القوة.

٣- مرحلة نضج القوة.

ومن ناحية أخرى يقسم أورجانسكي الدول بمقياس القوة والسلوك الدائم للسلم الدولي أو المضاد له إلى الفئات التالية[2]:

١- فئة الدول القوية القانعة.

٢ - فئة الدول القوية غير القانعة.

٣ - فئة الدول الضعيفة القانعة.

٤ - فئة الدول الضعيفة غير القانعة.

= الحادي والعشرين دراسة لواقع القوى العظمى وانعكاسات هذا الواقع على الوطن العربي، مصدر سبق ذكره، ص ٢٨.

وعليه يمكننا القول في هذا المجال بأن دراسات المدرسة الواقعية انصبت على دراسة السياسات الخارجية للقوى الكبرى، وبموجب ذلك فإن الدول الكبرى تهيمن على السياسة الدولية، أما الدول الصغرى فتكون تابعة لها. راجع: الدكتور علي محمد شمبش، العلوم السياسية، ط٢، منشورات المنشأة العامة للنشر والتوزيع والإعلان، طرابلس – الجماهيرية العربية الليبية الشعبية، ١٩٨٢، ص٣٦٠-٣٦١.

(١) الدكتور إسماعيل صبري مقلد، نظريات السياسة الدولية دراسة تحليلية مقارنة، مصدر سبق ذكره، ص٩٤-٨٩.

(٢) المصدر نفسه، ص٩٤-٩٧.

سيوم براون، وهم التحكم القوة والسياسة الخارجية في القرن الحادي والعشرين، تعريب فاضل جتكر، شركة الحوار الثقافي، بيروت،٢٠٠٤، ص١٨-٢٠.

والحق أن المدرسة الواقعية اقترن بها ثلاثة تطورات أساسية هي[١]:

١- أوشك عالم النصف الأخير من القرن العشرين الخاضع لقدر متوازن نسبيًّا من هيمنة قطبين عظيمين على إخلاء مكانة لعالم مضطرب ومتزايد "تعددية الأقطاب"، نظام قائم على التعددية في السلطة والهيمنة "بولياركي" تتعرض فيه سلطة الولايات المتحدة القائمة على الهيمنة للتحدي من عدد غير قليل من الأطراف الفاعلة الرسمية منها وغير الرسمية.

٢- ثمة نزوع متزايد لدى الإدارة الأمريكية إلى التهديد باستخدام القوة في سبيل إبقاء الجوانب الأخطر من النظام التعددي الفاشي تحت السيطرة ولا سيما ذلك العداء المتنامي للهيمنة والحضور العالميين للولايات المتحدة.

٣- باسم الثورة في القضايا العسكرية تعد بجلب قدر غير مسبوق من قابلية التحكم بإدارة الحرب. يرى حَمَلة راية الثورة في الشئون العسكرية أن الاضطرار للقيادة لا يعني الاضطرار للنزف.

هذه التطورات الثلاثة مجتمعة تنذر بتزايد الولع باستخدام القوة العسكرية أداة من أدوات تنفيذ الصراعات الدولية والتحكم بها.

تجدر الإشارة في هذا المجال إلى أن الحملة الانتخابية للرئيس بوش سنة ٢٠٠٠ قامت على الشكوى من أن إدارة كلينتون كانت قد بالغت في الميل إلى التدخل بالقوة في صراعات لم تكن منطوية على أي تهديد للمصالح الأمريكية الحيوية، غير أن إدارة بوش لم تكن أقل ميلًا إلى إطلاق التهديدات بالقوة لردع أو صد أية أعمال استفزازية ضد مصالح الولايات

(١) سيوم براون، مصدر سبق ذكره، ص٢١.

المتحدة في العالم كله[١].

---

(١) المصدر نفسه، ص٢٣، ٢٠٣.

كانت إستراتيجية الرد المرن هي الإستراتيجية المفضلة لدى مسئولي الأمن القومي المدنيين وهم من بقايا إدارة كيندي (بأكثريتهم الذين قاموا في عهد الرئيس جونسون بتوريط الولايات المتحدة الفعال في فيتنام، ومع تعرض تطبيق هذه الإستراتيجية عن طريق القصف التراكمي للإخفاق في إرغام الفيتناميين الشماليين على وقف حركتهم التحررية في الجنوب، أصبح مستشارو الرئيس العسكريون الذين كانوا يؤيدون اعتماد حملة عسكرية أكثر تقليدية لتدمير قوات الدولة الخصم يتمتعون بقدر متزايد من النفوذ والتأثير على السياسة الأمريكية، وبخصوص العراق كان باول من حملة راية الملاذ الأخير، وقد عارض دون نجاح آراء كل من وزير الدفاع ريتشارد تشيني ومستشار الأمن القومي برنت سكوكروفت قائلًا بضرورة إعطاء العقوبات الاقتصادية فرصة لتفعل فعلها، تمتد ربما سنتين اثنتين، قبل الإقدام على تنفيذ عملية عسكرية للإطاحة بنظام الحكم في العراق، وقد أيد آراء باول عدد من رجال الأمن القومي السابقين بما فيهم وزير الدفاع في إدارتي كندي وجونسون روبرت مكنمار، ورئيس هيئات الأركان المشتركة في ظل إدارة ريغان الأدميرال وليم كراو؛ إلا أن الكونغرس أقدم في قراره المشترك المؤرخ في الثاني عشر من كانون الثاني ١٩٩٠ على تفويض الرئيس باستخدام القوة ضد العراق في الكويت، على الرغم من استعداد الرئيس بوش الأب للذهاب إلى الحرب دون أي تفويض من الكونغرس؛ لأنه كان من وجهة نظر الإدارة الأمريكية أن السماح للعراق بالتواجد في الكويت سيشكل تكرارًا للخطأ الذي اقترفه العالم في ميونخ سنة ١٩٣٨ حين سمح بالاستيلاء على مقاطعة يوهيما التشكيلية. ومن الممكن أن نرجع إلى أعوام ١٩٨٢ و١٩٨٦ و١٩٩٠ و ١٩٩٤ لمعرفة خط الصقور والحمائم الذي تشير إلى قدر أكبر من العزوف لدى كبار الضباط العسكريين مقارنة برؤسائهم المدنيين أو الجمهور عمومًا عن استخدام القوة باسم طيف واسع من أهداف السياسة الخارجية. وفيما يخص المسألة المسماة بالإرهاب يقول نائب الرئيس ديك تشيني: (صحيح أن لأمريكا أصدقاء وحلفاء في هذه القضية، غير أننا نحن القادرون وحدنا على قيادة العملية، نحن فقط نستطيع حشد العالم في مهمة على هذا المستوى من التعقيد، إن الولايات المتحدة وحدها تستطيع أن توصل هذه المبادرة إلى النصر. وهذه
=

والحق أن الميل في استخدام سياسة القوة إنما يرجع إلى عبارة كلاوز فيتز القائلة: ليست الحرب إلا استمرارًا للمساومة السياسية بطرق أخرى... ما أن تندلع الحرب حتى تصبح استمرارًا للمساومة السياسية بأساليب أخرى.

إذن يمكننا القول بأن الأساس الذي يقوم عليه المنهج الواقعي هو فكرة القوة ومفهوم المصلحة، والمفهوم الأخير يتحدد في إطار القوة التي تتحدد بدورها في نطاق ما يسميه مورجانثو بفكرة التأثير أو السيطرة[١].

فالمدرسة الواقعية التي جاء منها كل من ميرشايمر ووالت تفهم أن الدول يجب أن تعمل لما فيه مصلحتها القومية، فما هي مصلحتها القومية هذه؟ من المعتقد أن آدم سميث كان مصيبًا عندما قال: "إن المصلحة القومية هي مصلحة "المهندسين البارزين" للسياسة". وفي زمانه كان هؤلاء هم التجار والصناع، وهم اليوم الشركات متعددة الجنسيات وما على شاكلتها، غير أن المدرسة الواقعية للعلاقات الدولية تتجاهل إلى حد بعيد التوزيع الداخلي للسلطة المحلية[٢].

كتب جويل روزنتال يقول: "يصر الواقعيون على أن باستطاعة المصلحة القومية أن تكون تعبيرًا عن القيم الأمريكية، بل يجب أن تكون كذلك".

المسئولية لم تقع على عاتقنا مصادفة، فنحن في وضع فريد بسبب موجوداتنا الفريدة، وبسبب طبيعة شعبنا، وقوة مثلنا، وجبروت جيشنا جنبًا إلى جنب مع الاقتصاد العملاق الذي يسنده). راجع المصدر نفسه، ص٢٣، ٤٣، ٤٨، ٦٠، ٦١، ٦٨، ٦٩.

(١) الدكتور إسماعيل صبري مقلد، العلاقات السياسية في الأصول والنظريات، مصدر سبق ذكره، ص١٨ – ١٩. قارن مع ريمون حداد، مصدر سبق ذكره، ص١٦٣.

(٢) نعوم تشومسكي، أمريكا.. ما نقوله نحن يمشي محاورات حول القوة الأمريكية في عالم متغير، ترجمة سامي الكعكي، دار الكتاب العربي، بيروت، ٢٠٠٨، ص ١٣٧ – ١٣٨.

ويورد روزنتال "بعض هذه القيم، ومنها التعقل والتواضع والحفاظ على الحرية، فضلًا عن مجهود صادق النية للموازنة ما بين المثل العليا والمصالح الذاتية"[١].

إن القوة السياسية المشار إليها من قبل هذا المنهج هي مدى التأثير النسبي الذي تمارسه الدول في علاقاتها المتبادلة، وهذا يعني أن هذه القوة لا تكون مرادفًا للعنف بأشكاله المادية والعسكرية، وإنما هي أوسع نطاقًا من ذلك بكثير؛ فهي النتاج النهائي في خطة ما لعدد كبير من المتغيرات المادية وغير المادية، والتفاعل الحاصل بين هذه العناصر والمكونات هو الذي يحدد في النهاية حجم قوة الدولة، وبحسب هذا الحجم تتحدد إمكانياتها في التأثير السياسي في مواجهة غيرها من الدول. من هنا تنظر النظرة الواقعية إلى المجتمع الدولي والعلاقات الدولية على أنها صراع مستمر نحو زيادة قوة الدولة واستغلالها بالكيفية التي تمليها مصالحها أو إستراتيجيتها، بغض النظر عن التأثيرات الواقعة على مصالح الدول الأخرى[٢].

وفي هذا المجال أشار Joseph SNye. Jr إلى أن استخدام القوة في الوقت الحاضر قد طرأ عليه بعض التغيير، حيث تغير من مفهوم القوة الصلبة Hard Power إلى القوة المرنة Soft power والتي تعني الإقناع والتأثير والتحول التدريجي من الفوضوية إلى النمط المجتمعي للعلاقات الدولية[٣].

(١) أنطونيا فيليكس، مصدر سبق ذكره، ص ٩٩.

(٢) الدكتور إسماعيل صبري مقلد، العلاقات السياسية في الأصول والنظريات، مصدر سبق ذكره، ص١٩.

(٣) يؤمن النيوليبراليون باستخدام ما يسميه جوزيف ناي بالقوة الذكية؛ أي: ذلك المزيج الأمثل من القوة اللينة والقوة الصارمة، لتحقيق أهداف الولايات المتحدة، فمع أنهم لا يستبعدون الحاجة =

والقوة المرنة مفهوم يؤكد القدرة على الحصول على ما تريد عن طريق الجاذبية بدلًا من الإرغام أو دفع الأموال. وهي تنشأ من جاذبية ثقافة بلد ما، ومثله السياسية، وسياساته[1]؛ أي: إلى مضاعفة الاعتماد على القوة الاقتصادية، وهو من السمات التي يركز عليها المجتمع الأمريكي. إن القوة الناعمة من وجهة نظره هي: "الوسيلة المناسبة لتحقيق المصالح الأمريكية. إن الصراع الحالي ضد المتشددين ليس صدام حضارات، وإنما هو عبارة عن سباق مرتبط بشكل وثيق بالحرب الأهلية المندلعة داخل الحضارة الإسلامية بين المعتدلين والمتشددين، ولن تنتصر الولايات المتحدة وحلفاؤها في هذا المضمار إلا عن طريق تبني سياسات تجتنب عقول هؤلاء المعتدلين عن طريق استخدام دبلوماسية الرأي العام بشكل فعال ومؤثر لاجتذابهم. إن القوة الناعمة ليست مجرد جاذبية هامشية، وإنما هي وسيلة للحصول على نتائج تريدها الولايات المتحدة، وعندما تستبعد الأخيرة وتستخف بأهمية القوة الناعمة في النماذج فإنها تدفع الثمن باهظًا". ويقصد "ناي" بالقوة الناعمة قوة الأفكار كالديمقراطية وحقوق الإنسان والتعليم والرأي العام، في حين أن القوة الصلبة عند "ناي" تشير إلى القوة العسكرية والاقتصادية، منتقدًا إياها في كونها لا تحقق المصلحة الأمريكية.

= للانخراط في تغيير الأنظمة، إلا أنهم يؤثرون تغيير سلوك الأنظمة؛ لأن ذلك يمكن أن يؤدي بنظرهم إلى أثر تحويلي. راجع: دنيس روس، فن الحكم كيف تستعيد أمريكا مكانتها في العالم؟ مصدر سبق ذكره، ص ٣٦.

(١) جوزيف س. ناي، القوة الناعمة وسيلة النجاح في السياسة الدولية، ترجمة الدكتور محمد توفيق البجيرمي، مكتبة العبيكان، الرياض، ٢٠٠٧، ص ١٢.

Joseph s. Nye, Jr, Sot Power: The Means to Success in World politics, New York: Public Affairs, 2004,1 – 5.

إن هذا التأكيد من قبل ناي على أهمية العامل الثقافي إنما له علاقة بالاتجاهات الفكرية للمنهج الواقعي في السياسة الخارجية، والقائمة على الاستعمار الثقافي، والذي يعد أخطر بكثير من الاستعمار العسكري[١]، ولقد كانت حرب الأسابيع الأربعة في العراق في ربيع عام ٢٠٠٣ عرضًا لقوة الولايات المتحدة العسكرية الصلبة، كانت باهظة التكاليف للقوة الناعمة الأمريكية؛ أي: القدرة على اجتذاب الآخرين إلى جانب الولايات المتحدة؛ ففي أعقاب الحرب أظهر استطلاع للرأي أجراه مركز بيو للبحوث هبوطًا مفاجئًا حادًّا في شعبية الولايات المتحدة بالمقارنة مع الحالة قبل ذلك بعام، حتى في بلدان مثل إسبانيا وإيطاليا اللتين قدمت الإدارة الأمريكية لهما دعمًا للجهد الحربي، كما هبطت مكانة الولايات المتحدة هبوطًا عموديًّا ثقيلًا في الأقطار الإسلامية، من المغرب إلى تركيا إلى جنوب شرقي آسيا[٢]. إن أحد طرق التفكير في الفرق بين القوة الصلبة والناعمة هي النظر في الطرق المختلفة التي تستطيع بها الحصول على النتائج التي تريدها، فأنت تستطيع أن تأمر شخصًا ما بأن يغير تفضيلاته ويفعل ما تريده بأن تهدده بالقوة أو العقوبات الاقتصادية، ويستطيع أن يقوم بعمل ما يريده باستخدام القوة الاقتصادية بدفع المال، ويستطيع أن يحد من تفضيلاته بوضع جدول الأعمال بطريقة تجعل متابعة رغباته المسرفة تبدو أمرًا غير واقعي، أو يستطيع أن يتوسل إلى شعوره بالانجذاب، أو المحبة، أو الواجب في علاقاته

---

(١) سيوم براون، مصدر سبق ذكره، ص ٢٠ والدكتور أحمد سليم البرصان، "مبادرة الشرق الأوسط الكبير: الأبعاد السياسية والإستراتيجية"، السياسة الدولية، العدد ١٥٨، مؤسسة الأهرام، القاهرة، أكتوبر ٢٠٠٤، ص ٤٢، ٤٥.

(٢) جوزيف س. ناي، القوة الناعمة وسيلة النجاح في السياسة الدولية، مصدر سبق ذكره، ص ١٣.

ويتوسل إلى القيم والأهداف المشتركة. إن القوتين الصلبة والناعمة مترابطتان لأنهما معًا من جوانب قدرة المرء على تحقيق أغراضه بالتأثير على سلوك الآخرين، وما يميز بينهما هو الدرجة في طبيعة السلوك وفي كون الموارد ملموسة، فالقوة الآمرة –أي: القدرة على تغيير ما يفعله الآخرون- يمكن أن ترتكز على الإغراء، أما قوة التعاون الطوعي –أي: القدرة على تشكيل ما يريده الآخرون- فيمكن أن ترتكز على جاذبية ثقافة المرء وقيمه أو مقدرته على التلاعب بجدول أعمال الخيارات السياسية بطريقة تجعل الآخرين يعجزون عن التعبير عن بعض التفصيلات؛ لأنها تبدو بعيدة عن الواقع أكثر من اللازم[١]. وتندرج أنماط السلوك بين الأمر والتعاون الطوعي على مدى استخدام الإرغام على الإغراء الاقتصادي، إلى وضع جدول أعمال إلى الجاذبية المحضة. في السياسة الدولية تنشأ الموارد المنتجة للقوة الناعمة إلى حد كبير من القيم التي تعبر عنها منظمة أو بلد ما في ثقافته، وفي الأمثلة التي تضربها ممارساته الداخلية والسياسية، وفي الطريقة التي يعالج بها علاقته مع الآخرين، وقد تجد الحكومات أنه من الصعب السيطرة على القوة الناعمة واستخدامها أحيانًا، ولكن ذلك لا يقلل أهميتها[٢]. ولكن القوة الناعمة لا تعتمد على القوة الصلبة، فالفاتيكان له قوة ناعمة رغم تساؤل ستالين الساخر: كم فرقة عسكرية يملك البابا؟ ولقد كان لدى الاتحاد السوفيتي ذات مرة كثير من القوة الناعمة، ولكنه فقد الكثير منها بغزوه لهنغاريا وتشيكوسلوفاكيا، ولقد بدأت القوة السوفيتية الناعمة تنحط حتى مع استمرار مواردها الاقتصادية والعسكرية الصلبة بسبب

---

(١) المصدر نفسه، ص ٢٦ – ٢٧.

(٢) المصدر نفسه، ص ٢٨.

سياساتها القاسية؛ فإن قوة الاتحاد السوفيتي الصلبة أدت في الحقيقة إلى تدني قوته الناعمة. وعلى عكس ذلك، فإن منطقة النفوذ السوفيتية في فنلندا قد عززتها درجة من القوة الناعمة، وبالمثل فإن منطقة نفوذ الولايات المتحدة في أمريكا اللاتينية في ثلاثينيات القرن العشرين قد تعززت عندما أضاف فرانكلين روزفلت القوة الناعمة لسياسة "الجار الطيب"[١]. ترتكز القوة الناعمة لبلد ما على ثلاثة موارد، هي: ثقافته (في الأماكن التي تكون فيها جذابة للآخرين)، وقيمه السياسية (يطبقها بإخلاص في الداخل والخارج)، وسياساته الخارجية (عندما يراها الآخرون مشروعة وذات سلطة معنوية أخلاقية)[٢].

الثقافة هي مجموعة القيم والممارسات التي تخلق معنى للمجتمع، ولها عدة مظاهر، فمن المألوف عادة أن يميز المرء بين الثقافة العليا، كالأدب، والفن، والتعليم التي تعجب النخبة، والثقافة الشعبية التي تركز على إمتاع الجماهير بالجملة[٣].

وسياسات الحكومة في الداخل والخارج مورد آخر من موارد القوة الناعمة، فعلى سبيل المثال في الفصل العنصري في خمسينيات القرن العشرين داخل الولايات المتحدة قد انتقص من قوتها الناعمة في إفريقيا، أما اليوم فإن تطبيق

---

(١) جوزيف س. ناي، القوة الناعمة وسيلة النجاح في السياسة الدولية، مصدر سبق ذكره، ص ٣٠.

(٢) المصدر نفسه، ص ٣٢ و:

Joseph s. Nye, Jr, Sot Power: The Means to Success in World politics, op. cit., PP. 1 – 5.

(3) Ibid., 11 – 13.

عقوبة الإعدام والقوانين الضعيفة للسيطرة على انتشار الأسلحة في أيدي عامة الناس تنتقص من القوة الأمريكية في أوروبا[١].

وبالمثل فإن للسياسات الخارجية تأثيرًا قويًّا على القوة الناعمة، ومن الأمثلة على ذلك سياسات جيمي كارتر الخاصة بحقوق الإنسان، وكذلك جهود الإدارة الأمريكية للترويج الديمقراطية في أيام إدارتي ريغان وكلينتون، وفي الأرجنتين فإن السياسات الأمريكية الخاصة بحقوق الإنسان التي رفضتها الحكومة العسكرية في سبعينيات القرن العشرين أنتجت قوة ناعمة لا بأس بحجمها للولايات المتحدة بعد ذلك بعقدين من الزمن، عندما جاء البيرونيون إلى السلطة بعدما كانوا مسجونين في السابق. ويمكن أن تكون للسياسات آثار بعيدة المدى وقصيرة المدى أيضًا تختلف حسب التغييرات في السياق، فشعبية الولايات المتحدة في الأرجنتين في أوائل التسعينيات والقرن العشرين كانت انعكاسًا لسياسات كارتر في سبعينيات ذلك القرن، وقد جعلت الحكومة الأرجنتينية تؤيد السياسات الأمريكية في الأمم المتحدة في البلقان، ورغم ذلك فإن القوة الأمريكية الناعمة قد تآكلت بشكل كبير بعد أن تغير السياق فيما بعد عندما عجزت الولايات المتحدة عن إنقاذ الاقتصاد الأرجنتيني من الانهيار[٢].

يتحدث هندرسون عن هذا التغير من خلال تجارب دولية، من بينها: إرضاخ ألمانيا في الحرب العالمية الثانية للتوقف في حدودها الإقليمية من قبل

---

(١) المصدر نفسه، ص ٣٥.

(٢) المصدر نفسه، ص ٣٥-٣٦.

الحلفاء، وقيام الولايات المتحدة بقصف فيتنام الشمالية في نهاية عام ١٩٦٠ وبداية عام ١٩٧٠، وإخراج العراق من الكويت في عام ١٩٩١ بعد إخفاق العقوبات الاقتصادية التي فرضت عليه بموجب قرار مجلس الأمن٦٦١ في الثامن من شهر آب ١٩٩٠ وكان إلزاميًّا شاملًا، وقبضة اليابان للأدوات التكنولوجية الحديثة كقوة عظمى في المجال الاقتصادي والتكنولوجي مع صفحة سياسية وعسكرية ضعيفة في العلاقات الدولية.

يبحث مورجانثو عن قوانين تطور العلاقات الدولية من خلال الطبيعة البشرية، وفي هذا المجال يقول مورجانثو: "تَعُد الواقعية السياسية الحياة السياسية مثلها مثل الحياة الاجتماعية العامة، السفن الموضوعية التي تنبع من الطبيعة البشرية"[١].

---

(١) Henderson, Op.Cit., p.100

كان قرار مجلس الأمن رقم ٦٦١ إلزاميًّا وشاملًا، وكان النقاش حول إمكانيات العقوبات الاقتصادية يبدو مقبولًا من الأوساط الدولية، وأن الحوار إزائها غير مؤذ، لكن المفروض في هذا النقاش هو الحديث عن أن العقوبات كانت قد بدأت قبل ذلك حسب ما تشير إليه عروض الانسحاب التي جرى التكتم عليها. والحق أن حكومة الكويت ساعدت بإرسال ملايين الدولارات من أجل التأثير على الأعضاء في مجلس الأمن وفق لما نقله محللون كويتيون حول ٥٠٠ مليون دولار مفقودة من مكتب صندوق الاستثمار الكويتي. راجع: جيف سيمونز، التنكيل بالعراق العقوبات والقانون والعدالة، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، لبنان ١٩٩٨، ص٣٣٢، ونعوم تشومسكي، النظام الدولي الجديد، ترجمة صفوان عكاشة، فصلت للدراسات والترجمة والنشر، حلب، ٢٠٠٠، ص٢٧-٢٨.

تونكين، مصدر سبق ذكره، ص٢٣٢. قارن مع الدكتور حامد ربيع، نظرية السياسة الخارجية، مصدر سبق ذكره، ص١٦.

وفيما يخص السياسة الدولية يقول مورجانثو: "ليست السياسة الدولية كغيرها من السياسات إلا صراعًا على السلطان، فالسلطان هو هدفها الآلي والفوري، مهما كانت أهدافها النهائية البعيدة، وقد تنشد السياسة والشعوب الحرية في النهاية والأمن والازدهار والسلطان، وقد يحددون أهدافهم على صُعُد وفي مُثُل دينية وفلسفية واقتصادية واجتماعية، وقد يأملون في تحقيق هذه المثل عن طريق قواتها الذاتية أو تدخل السماء أو التطور الطبيعي للشئون الإنسانية[١].

بناء على التفسيرات التي قدمها حول الإثباتات التاريخية، يقول مورجانثو: "إن كل السياسات تنزع إلى التطابق مع واحد من أنماط النشاط الثلاثة وتمثل انعكاسًا له، وهذه الأنماط هي": الحفاظ على ميزان القوة، والإمبريالية، وما سماه سياسات الهيبة "فرض الهيبة على الدول الأخرى بفضل درجة القوة المتوافرة"[٢].

فضلًا عن ذلك تولي المدرسة الواقعية اهتمامًا بملاحظة الحقائق، ومنحها مفهومًا عقلانيًّا، والأخير عند الواقعيين يعني أنه لا يمكن تحديد سمة سياسة خارجية لدولة ما إلا عن طريق تدقيق واختبار التصرفات التي كانت قائمة، والنتائج الملموسة لهذه التصرفات. ومن خلال ذلك يقول مورجانثو: "نستطيع أن نستنبط الأهداف الكامنة وراءها"[٣].

---

(١) مورجانثو، مصدر سبق ذكره، ص٥٣، قارن مع الدكتور ريموند حداد، مصدر سبق ذكره، ص١٦٤.

(٢) مارتن غريفيش، مصدر سبق ذكره، ص ٧٧.

(٣) مارسيل ميرل، سوسيولوجيا العلاقات الدولية، مصدر سبق ذكره، ص٣٦.

من هذا المنطلق ومن وجهة نظر المنهج الواقعي فإنه يمكن من خلال تتابع الأسباب والنتائج، والعلاقة بين الغايات والوسائل؛ اكتشاف العقلانية التي يفترض أن تقوم عليها تصرفات رؤساء الدول(١).

ويتضح من العرض السالف الذكر أن المنهج الواقعي يقوم على المبادئ الآتية(٢):

١- العلاقة الدينامية بين سياسة القوة والمجتمع، بحيث يمكن تطبيق القوانين عليهما.

٢- الربط العضوي بين مفهوم القوة ومفهوم المصلحة، وعليه فإن السياسات الدولية تمارس هذين المفهومين.

٣- إن المصالح المادية وليس الأفكار تهيمن مباشرة على أعمال البشر، وهذا ما يذهب إليه ماكس فيبر أحد رواد المنهج الواقعي.

٤- ترفض الواقعية السياسية الطموحات الأخلاقية والقومية المفردة مع القوانين الأخلاقية الحاكمة للكون.

---

(١) المصدر نفسه، ص٣٦. مَحَّصَ جون هيرز ما تنطوي عليه الواقعية التقليدية من مفاهيم، حيث قدم لنا في هذا المجال مقترحًا يقضي باعتماد الدول على بعضها بعضًا، والتغيرات الناجمة عن استنزاف الموارد والضغوط السكانية، وتخريب البيئة، وسباق التسلح النووي. وعليه فإنه بدأ يتحدث عن تغليب السياسة الواقعية تبعًا لاعتبارات الاهتمامات الدولية بدلًا من حصرها في المصالح المنظورة للدولة الواحدة، ويعد هذا منهجًا عامًّا يقضي بإعادة تعريف المثالية بدلًا من رفضها كمفهوم. راجع: روبرت د. كانتور، مصدر سبق ذكره، ص ١٠٣.

(2) Ed., by Miltan L. Rakove, Arms and Foreingn Policy in the Nuclear Age. Oxford University Press, PP. 16-24. Waltz, Kenneth N., Theory Of International Politics, Addison-Wesley _Publishing Company, Inc, 1979, P.117.

٥- الاختلاف بين الواقعية السياسية ومدارس أخرى فكرية فضلًا عن أنها حقيقية وعميقة.

اتضح مما تقدم أن الواقعيين من أمثال كار ووايت ومورجانثو يؤكدون أن السياسة الدولية كانت بشكل متفرد سياسة قوة[١].

والحق، لم تسلم المدرسة الواقعية من انتقادات وجهت إليها، يمكننا إيجازها في الآتي:

١- لم تستطع المدرسة الواقعية أن تميز بين القوة كمحصلة سياسية، والقوة كأداة، والقوة كدافع محرك؛ إذ إن لكل من هذه المفاهيم مدلولًا يختلف عن الآخر؛ إلا أن مورجانثو دمجها في مفهوم واحد.

٢- عالج مورجانثو مفهوم المصلحة القومية[٢] كهدف سهل من الممكن تحقيقه، والحق أنه لا يميز بين ظروف العلاقات الدولية في القرنين الثامن

(١) جيفري ستيرن، تركيبة المجتمع الدولي مقدمة لدراسة العلاقات الدولية، ترجمة ونشر مركز الخليج للأبحاث، ٢٠٠٤، ص ١٩٥.

(٢) في عام ١٩١٩ كان أنصار النزعة الدولية الليبرالية يعتقدون بأن لـ"الشعب" مصلحة ورغبة حقيقيتين في السلام، وأن من شأن الأنظمة الديمقراطية إذا أتيحت لها الفرصة أن تسمح لهذه المصالح والرغبات بأن تسود. فمن هذا المنطلق كان عدو السلام هو ذلك النوع من النظام العسكري والسلطوي الفردي والمناهض للديمقراطية هو الذي يزعم بأنه سيطر على ألمانيا والنمسا – هنغاريا وروسيا القيصرية عام ١٩١٤، وقد نشأت بعض أزمات عقد الثلاثينيات من جراء هذا النوع من الأنظمة، فالعسكرية اليابانية في منشوريا والصين و"الفرانكونية" Francoism نسبة إلى فرانكو في الحرب الأهلية الإسبانية، تنطبق عليها الوصفة تمامًا. راجع: كريس براون، مصدر سبق ذكره، ص ٢٩.

عشر والتاسع عشر، التي لم تعد صالحة للتطبيق على الظروف المستجدة في القرن الحالي[١].

إن التشديد على المصالح يعبر عن فكرتين؛ الأولى: أن للدولة مصالح. ثانيًا: أن مصالح الدول تسيطر على سلوك الدول. وقد تشكل الفكرة القائلة: إن للدول مصالح، مشكلةً تدعو للجدل، فهل للمؤسسة وليس للفرد أن يكون لها مصالح بالمعنى الصحيح؟ فالموقف الواقعي يقول: إن الدول هي مثل الأشخاص يمكن أن تكون لها مصالح، وبالتالي فإن "المصلحة الوطنية" ليست مجرد عبارة مختزلة لمصالح أية جماعة تسيطر على الهيكل الإداري للدولة؛ فالدول تتصرف انطلاقًا من هذه المصالح وليس استجابة لمبادئ مجردة (مثل الأمن الجماعي)، أو الرغبة في التصرف بشكل غيري، فالدول لا تضحي بنفسها أبدًا فهي أنانية من حيث الأساس[٢].

٣- يعتقد مورجانثو بثبات النظام السياسي الدولي طالما أن مصالح الأطراف تتحدد دائمًا بدافع القوة تحت أية ظروف ومهما كانت طبيعة هذه الظروف. هذا المفهوم عند مورجانثو يخلط بين ظاهرة صراعات القوى السياسية الدولية وبين الحالات الانتقالية لهذه الصراعات والمؤسسات التي نشأت في إطارها في القرون الأخيرة. وبمعنى آخر: إن صراعات القوى شيء والظروف الدولية التي تحركها والمؤثرات التي تخلقها ودوافع الأطراف المشاركة فيها شيء آخر متباين[٣].

---

(١) للمزيد من التفاصيل راجع: الدكتور ريمون حداد، مصدر سبق ذكره، ص١٦٨. وجيمس دورتي – روبرت بالتسغراف، مصدر سبق ذكره، ص ٩٥. و Hough, Op, Cit., P 3.

(٢) كريس براون، مصدر سبق ذكره، ص ٣٧.

(٣) إن التفسيرات التي جاء بها مورجانثو تؤكد على مدى دفاعه عن الأمر الواقع Statu quo مع =

٤ - إن المنهاج الذي اتبعه مورجانثو في عملية صنع القرار في السياسة الخارجية هو عملية ترشيدية مستمرة، يأخذ عملية التوفيق بين الوسائل المتاحة وبين الأهداف التي تعد ثابتة وموضع اعتراف عام في الوقت نفسه.

إن عملية صنع القرار في السياسة الخارجية في الوقت الحاضر هي عملية صراع مستمر في الدول المختلفة من أجل الوصول إلى الأهداف، وإذا كانت الأخيرة تختلف من دولة إلى أخرى فإن الوسائل لا بد أن تكون مختلفة.

٥ – لا تعد القوة وحدها أداة لتحليل الظواهر كافة في السياسة الدولية؛ إذ توجد إلى جانب قيم وعوامل أخرى مؤثرة في السلوك السياسي الخارجي للدولة، مثل الرغبة في التعاون الدولي والنزعات الاندماجية في السياسة الدولية كالحالة في أوروبا الغربية(١).

٦ – تتسم تحليلات مورجانثو بالتشاؤمية في السياسة الدولية، التي لا تستند إلا على افتراضات واهية للغاية، وفي هذا المجال يرى بييردي سناركلنز أن الواقعيين تأثروا بظروف خاصة وأهملوا حركة التاريخ، فهم يحاولون توفير التفسيرات العلمية للسياسة الخارجية الأمريكية خلال حقبة الحرب الباردة(٢).

=

الأخذ بنظر الاعتبار تبني معايير مطلقة في العلاقات الدولية، وهذا الأمر يجمع أساسًا بين الرؤية البيولوجية التي تطورت مع الداروينية التي تذهب إلى القول "بأن صاحب الحق هو الأقوى". راجع: المصدر نفسه، ص١٦٨-١٦٩.

(١) الدكتور إسماعيل صبري مقلد، العلاقات السياسية الدولية دراسة في الأصول والنظريات، مصدر سبق ذكره، ص١٩-٢٢.

(٢) الدكتور إبراهيم أبو خزام، العرب وتوازن القوى في القرن الحادي والعشرين، مصدر سبق ذكره، ص٥٣. وللمزيد من التفاصيل حول ذلك، راجع: فريد زكريا، مصدر سبق ذكره، ص٤٢ – ٤٦. وجيمس دورتي – روبرت بالتسغراف، مصدر سبق ذكره، ص ١١.

٧ – لم يميز مورجانثو قط تمييزًا واضحًا بين السلطة غاية في حد ذاتها، والسلطة وسيلة لتحقيق غاية أخرى.

٨ – كما أشار كينيث والتز وغيره إلى أنه توجد مشكلة كبيرة متعلقة بـ"مستوى التحليل" في أعمال مورجانثو؛ إذ ليس من الواضح ألبتة ما إذا كان تشاؤمه حول طبيعة العلاقات الدولية ناجمًا عن فرضياته الميتافيزيقية حول "الطبيعة الإنسانية"، أم ناجمًا عن طبيعة النظام الفوضوية بحد ذاتها؟[١].

٤ - الواقعية الجديدة:

تعد الواقعية الجديدة -التي تعرف أيضًا بالواقعية البنيوية أو الواقعية العصرية- بمثابة امتداد للواقعية التقليدية في الثمانينيات، ومن أهم مؤيديها: كينيث والتز[٢]، وستيفن كريزنر، ....

(١) مارتن غريفيش، مصدر سبق ذكره، ص ٨٠ – ٨١.

(٢) ولد كينيث والتز في مدينة أن أربور في ولاية ميتشيغن في عام ١٩٢٤، لأبوين لم يكملا التعليم الثانوي، وأنهى شهادة الدراسات العليا بالإنسانيات من جامعة كولومبيا عام ١٩٥٠، ثم حصل على شهادة الدكتوراه في عام ١٩٥٠ من جامعة كولومبيا في العام ١٩٥٧، وهو أحد أعضاء الهيئة التدريسية في جامعة كولومبيا، ومن البارزين في حقل العلاقات الدولية، نشر أطروحته التي لقيت ترحيبًا حارًّا في العام ذاته، لم تكن أطروحته Man, the state and war مجرد تمرين رائع في تاريخ الأفكار المتعلقة بالحروب بين الدول، بل كانت تحوي أيضًا بذور فكرة لم يطورها والتز سوى بعد مرور ربع قرن من الزمن. ولقد كان والتز في خمسينيات القرن العشرين سكرتير لجنة روكفلر الأمريكية لدراسة "نظرية العلاقات الدولية" التي تأسست عام ١٩٥٤، وكان واقعيًّا متمسكًا بالأعراف من حيث التوجه، وتقليديًّا من حيث الطريقة والأسلوب، ومن جهة أخرى فإن "نظرية السياسة الدولية" تَمُتُّ بصلة إلى المذهب الواقعي من حيث الأسلوب وطريقة العرض، أو إلى التمسك بالأعراف من حيث الحجج التي تسوقها. نشر كتابه في عام ١٩٧٩ تحت عنوان: "نظرية السياسة الدولية" Theory of International Politics، انطلق
=

=

والتز في كتابه هذا من إطار سوسيولوجي هو النظام الدولي وسماته البنيوية ليشرح ويفسر سلوكيات الدول، ولا يزال كتابه "الإنسان والدولة والحرب" Man, the State and War نقطة انطلاق للتفكير الحديث حول أسباب الحرب، وهو في معظمه عملٌ في مجال نظرية السياسة الدولية، صب في قالب تقليدي، حاول فيه كينيث والتز ترجمة حالة "الفوضى" في النظام السياسي الدولي، والقائمة على وجود وحدات دولية تتمتع بالسيادة، مع عدم توفر نظام قانوني يستحوذ على الهيمنة عليها، عند ذلك يكون لا محالة من نشوب الحرب بين مثل هذه الوحدات. من المؤكد أنه في ظروف تسود فيها حالة "الفوضى الدولية" فإن الوحدات الدولية تفقد مفهوم الانسجام التلقائي بينها، في مثل هذه الحالة عندما تكون الدولة مخيرة في الحكم على طبيعة نواياها فإنها تكون مجبرة لا محالة على استخدام القنوات القتالية لتحقيق أهدافها في السياسة الخارجية في أي وقت تشاء. وقد وصل والتز إلى خلاصة تقول: "إن ظاهرة الحرب تحدث على مستويات صور؛ تذهب الصورة الأولى إلى أن الحرب تنشب بسبب طبيعة الدولة، سواء أكانت دولة ديمقراطية أم دولة مستبدة، في حين تنظر الصورة الثانية إلى السياسة الدولية وإلى الحرب على كونها مجالًا سياسيًّا منفصلًا يقع حسب الضغوط والمحددات التي يمارسها البناء الدولي للنظام، وبموجب الاختلاف والتباين في توزيع القدرات بين الدول. وبالنتيجة فإن أية وحدة دولية ينبغي أن تكون مهيأة على الدوام لرد القوة بالقوة، أو دفع فاتورة ضعفها. حصل والتز على جوائز علمية متعددة على مستوى رفيع، منها جائزة هاينز يولاو Heinz Eulau) (لأفضل مقالة عن الدراسة التي نشرها في مجلة American science في العام ١٩٩٠ والموسوم بـ"الخرافات النووية والحقائق السياسية" Nuclear Myths Political Relation)، كما حصل في العام ١٩٩١ على جائزة الرئيس الأمريكي الراحل جيمس ماديسون الرفيعة المستوى تقديرًا من الجمعية الأمريكية للعلوم السياسية لإسهاماته العلمية المتميزة في مجال علم السياسة، وتبوأ والتز عدة مناصب رفيعة المستوى في مجال العلوم السياسية، في مقدمتها توليه منصب رئيس الجمعية الأمريكية للعلوم السياسية APSA)(١٩٨٧ – ١٩٨٨) وهو زميل في الأكاديمية الأمريكية للعلوم والفنون، وشغل والتز منصب أستاذ فخري للعلوم السياسية في جامعة بيركلي (Berkeley) التي تعد واحدة من الجامعات البارزة في التاريخ العلمي، وهو حاليًّا أستاذ غير متفرغ في جامعة كولومبيا. راجع: كريس براون، مصدر سبق ذكره، ص ٥٢. ومارتن غريفيش، مصدر سبق ذكره، ص ٩٣. وأحمد محمد أبو زيد، "كينيث والتز: خمسون عامًا من العلاقات الدولية (١٩٥٩ – ٢٠٠٩) دراسة استكشافية"، المجلة العربية للعلوم السياسية، العدد ٢٧، بيروت صيف ٢٠١٠، ص ٩٥ – ٩٦، ٩٧، ١٠١. وناصيف يوسف حتي، النظرية في

=

وروبرت جيلبن[1]، وروبرت تاكر، وجورج مودلسكي. وهؤلاء تخطوا كثيرًا سابقيهم من الواقعيين التقليديين في التجريبية المتنافرة الأجزاء أو ما يعرف بـAtomistic Empiricism من خلال جهودهم لإيجاد نظرية علمية =

العلاقات الدولية، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، ١٩٨٥، ص ٦٤. والدكتور كاظم هاشم نعمة، نظرية العلاقات الدولية، دار الشط للأعمال الفنية والإخراج الصحفي، طرابلس، ليبيا، ١٩٩٩، ص٥٧.

Keneeth N. Waltz, Man, The State & War, Athearetical Analysis N. Y: Colombia Unversity Press, 1959, pp. 159 – 160

(١) روبرت جيلبن هو أستاذ العلاقات الاقتصادية الدولية، وأستاذ فخري في علوم السياسة والسياسة الخارجية في كلية "ودرو ولسن" للعلاقات الدولية في جامعة "برينستون"، يحمل لقب "إيزنهاور" للأستاذية، له مجموعة من المؤلفات، في مقدمتها: قوة أمريكا والتعاون المتعدد الجنسيات ١٩٧٥، الحرب والتغير في السياسة العالمية ١٩٨١، الاقتصاد السياسي للعلاقات الدولية ١٩٨٧. لجأ جلبن في كتابه (الحرب والتغير في السياسة العالمية) إلى منهج استقرائي منطلقًا من نظرية الاختبار العقلاني ليحلل مواقف الدول منفردة، وبالتالي ليحدد من خلال ذلك السمات والتغيرات في النظام الدولي. استخدم جلبن النموذج لوضع نظرية التغيير الدوري في النظام الدوري، وهي تتكون من خمس أطروحات أساسية: ١ – يكون النظام الدولي في حال استقرار (أي: في حال توازن) عندما لا تؤمن أية دولة فيه بفائدة تغيير النظام. ٢ – ستحاول دولة ما تغيير النظام الدولي إن كانت الأرباح المتوقعة تفوق التكاليف المتوقعة. ٣ – ستسعى دولة ما إلى تغيير النظام الدولي عبر توسع جغرافي واقتصادي وسياسي حتى تصبح التكاليف الهامشية لأي تغيير إضافي مساوية للفوائد المتوقعة أو تفوقها. ٤ – متى تم التوصل إلى التوازن والفوائد الخاصة بأي تغيير مقبل أو بأي توسع؛ تنزع التكاليف الاقتصادية الخاصة بالحفاظ على الوضع القائم إلى الارتفاع بسرعة أكبر من سرعة تزايد المقدرة الاقتصادية على الحفاظ على هذا النظام القائم. ٥ – إن استعصى حل فقدان التوازن في النظام الدولي فإن النظام سيتغير وسينجم عنه توازن جديد يعكس إعادة توزيع القوة. راجع: الدكتور ناصيف يوسف حتى، مصدر سبق ذكره، ص٦٤. ولمزيد من التفاصيل حول الواقعية الجديدة راجع: الدكتور كاظم هاشم نعمة، نظرية العلاقات الدولية، مصدر سبق ذكره، ص ٥٧ –٦١. ومارتن غريفيش، مصدر سبق ذكره، ص٢٤ – ٢٥، ٩٣ – ٩٨.

موضوعية للسياسة الخارجية، على عكس المدرسة التقليدية القائمة على البديهة، وبعبارة أكثر دقة: إنها تحاول تغيير السياسة الخارجية إلى مواد العلوم الاجتماعية.

كانت إستراتيجية والتز الأساسية للمحافظة على الواقعية في وجه تحدي المذهب التعددي هي تقييد نطاق الواقعية كنظرية أولًا. في حين أن مورجانثو كان يعد "النظرية" مصطلحًا فضفاضًا على الرغم من إشارته المتكررة إلى قوانين السياسة وما شابه ذلك، فإن والتز يرى أن النظرية قد عُرِّفت بدقة بالغة في فصله الأول وذلك بعبارات مستقاة من تفكير كارل بوبر Karl Popper بشأن الطريقة العلمية كما تعكسها عدسة النظرية الاقتصادية الحديثة[١].

وسع والتز مفهوم القوة ليتضمن عناصر أخرى غير القنوات القتالية، وحاول الربط بين قوة الدولة وامتلاك عناصر مثل المساحة، والموقع الجغرافي، والموارد المادية والطبيعية، والسكان، ودرجة النمو الاقتصادي، والتطور العسكري، والاستقرار السياسي، والكفاءة[٢].

يمكن تمييز النظريات التي تتناول النواحي المختلفة من العلاقات الدولية الواحدة عن الأخرى على أساس الظاهرة أو المتغير التابع الذي تحاول كل منها تفسيره. وتسعى نظرية السياسات الدولية لشرح الأحداث الدولية. وإذ تأثر كينيث والتز باستمرار العنف وتوازنات القوى فيما بين الدول -وهو ما يراه

(١) كريس براون، مصدر سبق ذكره، ص ٥٢. وهيدلي بول، مصدر سبق ذكره، ص ١٠ – ١٣.

(٢) ريهام مقبل، مركب القوة: عناصر وأشكال القوة في العلاقات الدولية، اتجاهات نظرية في العلاقات الدولية، ملحق مجلة السياسة الدولية، مؤسسة الأهرام، القاهرة، عدد أبريل ٢٠١٢، ص٧.

كنتائج منتظمة للحياة الدولية- فقد عمد والتز إلى صياغة مثل هذه النظرية، غير أنه في تعليله للأحداث الدولية لا تستطيع نظرية السياسة الدولية تفسير دوافع الأمم، وإنما ينبغي عليها بدلًا من ذلك تقديم افتراضات بشأنها، ويقابل ذلك أن نظرية السياسة الدولية تفسر لماذا يكون للدول المختلفة أو الدولة نفسها في لحظات تاريخية مختلفة نوايا وأهداف وأولويات مختلفة نحو العالم الخارجي[١].

إن نظرية السياسة الدولية تلقي الضوء على الأسباب الكامنة وراء جهود الأمة (البحث عن حلفاء، ومحاولات ضم المستعمرات) ولكنها لا تستطيع تعليل نتائج هذه الجهود. وتعتمد احتمالات نجاحها على السياق الذي تحدث فيه، خاصة أهداف الدول الأخرى وقدراتها. ولتفسير نتائج التفاعلات الدولية (الاستعمار وتكوين التحالفات) يتعين على المرء الرجوع إلى نظرية السياسة الدولية، ولهذا فإنه في الوقت الذي ربما تنبأت فيه نظرية والتز لتوازن القوى بانقسام صيني سوفيتي وبتقارب صيني أمريكي في أعقاب الحرب العالمية الثانية، فإن نظرية السياسة الخارجية وحدها كانت هي القادرة على تفسير: لماذا انتظرت الولايات المتحدة والصين الشعبية أكثر من عشرين عامًا لمحاولة تحقيق هذه المصالحة؟[٢].

إن جميع النظريات تخلق افتراضات معينة، ويفترض جراهام أليسون على سبيل المثال أن البيروقراطيات تصوغ السياسات التي تدفع قدمًا مصالحها وميزانياتها، وإزاء هذه النزعة للبيروقراطية فإنه يفسر السياسة الخارجية للأمة

(١) فريد زكريا، من الثروة إلى القوة: الجذور الفريدة لدور أمريكا العالمي، مصدر سبق ذكره، ص٢٢.

(٢) فريد زكريا، من الثروة إلى القوة: الجذور الفريدة لدور أمريكا العالمي، مصدر سبق ذكره، ص٢٢.

كمحصلة الدفع والجذب فيما بين الهيئات، وفي الوقت نفسه تفسر نظرية السياسة البيروقراطية: لماذا تتبنى البيروقراطيات المختلفة سياسات مختلفة لتخلق افتراضات بشأن أولويات صانعي القرار؟ وتفسير نظرية صنع القرار هذه التفضيلات المختلفة، وعادة ما تخلق بعض الافتراضات المتعلقة بالمعرفة. وتندرج تفسيرات سياسة ودرو ولسون الخارجية -التي تكمن جذورها في تعليله السيكولوجي وحساباته لدوافع تيودور روزفلت الإمبريالية التي تؤكد عنصريته- تحت نظريتين من هذه النظريات(١).

وينبغي ألا تختلط أسباب هذه الفروق فيما بين هذه النظريات بالاختلافات فيما بين "مستويات التحليل"، فالنظريات يمكن تمييزها بمتغيرها التابع، ولكن مستويات التحليل تتميز دائمًا بسبب الظاهرة أو المتغير المستقل، وحينما يحدد المرء المتغير المستقل -سواء على المستوى الدولي أو القومي أو البيروقراطي أو مستوى صنع القرار- يتقرر مستوى التحليل. فوالتز على سبيل المثال يجد السبب وراء نمط النتائج الدولية المرصودة كامنًا في بناء النظام الدولي، وهكذا فإن نظريته بشأن السياسة الدولية تطبق أيضًا على المستوى الدولي(٢).

تكمن القوة الكبرى للواقعية، خاصة بعد إعادة صياغتها من جانب والتز، في أنها بتأكيدها على النظام العام للعلل والنتائج تعمل كنظرية تقليدية للنظام الدولي. وحقيقة الأمر أن نظريات السياسة الدولية التي تفسر النتائج بدون الرجوع إلى الأسباب العامة -وهو ما ينقده والتز بوصفه "اختزالًا"- عادة ما

---

(١) فريد زكريا، من الثروة إلى القوة: الجذور الفريدة لدور أمريكا العالمي، مصدر سبق ذكره، ص٢٣.

(٢) المصدر نفسه، ص ٢٣.

تكون نظريات للسياسة الخارجية بالغت في دعواها التفسيرية. ويدعي لينين على سبيل المثال أحيانًا أن الرأسمالية تسبب الاستعمار والحرب، وفي أحيان أخرى يحاجُّ بأن الرأسمالية تفسر فقط نزعة الأمة إلى الإمبريالية، وأن المنافسة وتوزيع القوة يفسران لماذا تؤدي هذه النزعات إلى الحرب؟ وبطبيعة الحال فإن التغيير في أهداف السياسة الخارجية لعدد كبير من الدول سينتج عنه أنماط متغيرة من النتائج، كما يوحي ريتشارد روسيكرانس بقوله: إن "الدول التجارية" مسالمة، ولكن ذلك لا يجعل من حجة روسيكرانس نظرية للسياسة الدولية(١).

وكما يوضح والتز فإنه "نظرًا لأن المستويات القومية والدولية متصلة، فإن النظريات من النوعين (السياسة الدولية والسياسة الخارجية) إذا كانت جيدة تخبرنا عن بعض الأشياء، ولكنها لا تخبرنا عن نفس الأشياء، تخبرنا عن السلوك والمحصلات على الجانبين"(٢).

فاهتمام والتز ينصب على إنتاج نظرية وضعية وليست معيارية، والنظرية الوضعية تعني طرح مقولات مترابطة ومتصلة تشبه القوانين، ويمكن أن نستخلص منها فرضيات يمكن اختبارها، مع أنه يعترف بأن الاختبار يميل إلى أن يكون عملية انطباعية في العلاقات الدولية أكثر مما عليه في العلوم الأساسية(٣).

---

(١) فريد زكريا، من الثروة إلى القوة: الجذور الفريدة لدور أمريكا العالمي، مصدر سبق ذكره، ص٢٣ – ٢٤.

(٢) المصدر نفسه، ص ٢٤.

(٣) الدكتور كاظم هاشم نعمة، نظرية العلاقات الدولية، مصدر سبق ذكره، ص ٥٢.

إنه على الرغم من هذا التعريف الأول فإن والتز لا يكتفي بتقييد نوع النظرية التي يطرحها، بل إنه يقيد أيضًا نطاقها على نحو حاسم، فهدفه إنتاج نظرية لـ"النظام الدولي" وليس سردًا عامًّا لجميع جوانب العلاقات الدولية. وهذا يمكِّنه من أن ينظر بشيء من الاعتدال إلى كثير من التغييرات التي وصفها التعدديون؛ لأنها لا تتصدى لطبيعة النظام الدولي بهذا المعنى، بل إلى جوانب من وحداته المكونة فحسب[(١)].

ومن المواقف التي ينادي بها بشدة بالغة هي أنه لا يمكن فهم النظام الدولي إلا عبر نظريات منظمة ذات طابع شمولي Systemic، فمحاولة فهم النظام من خلال نظريات تركز على صفات الوحدات التي يتكون منها النظام تنطوي على ارتكاب خطيئة الاختزالية Reductionism[(٢)].

من هذا المنطلق يتحدد الهيكل السياسي عند والتز بما يلي: مبدؤه الترتيبي، توصيف الوظائف بين الوحدات، توزيع القدرات. وهكذا وفقًا لصيغة والتز يتميز الهيكل السياسي الداخلي بترتيب هرمي قائم على السلطة، وتوصيف وظائف الوحدات المتميزة (التنفيذية والتشريعية... إلخ)، وتوزيع القدرات بين المجموعات والمؤسسات. وتبعًا لوالتز يتميز النظام السياسي الدولي بالنظام الفوضوي للدول ذات السيادة، والحد الأدنى من التمايز الوظيفي بين الفاعلين، وتوزيع القدرات بين الدول[(٣)].

---

(١) الدكتور كاظم هاشم نعمة، نظرية العلاقات الدولية، مصدر سبق ذكره، ص ٥٣.

(٢) المصدر نفسه، ص ٥٣.

(٣) روبرت غيلبن، الحرب والتغيير في السياسة العالمية، ترجمة سعيد الأيوبي، دار الكتاب العربي، بيروت ٢٠٠٩، ص ١١٢ – ١١٣.

وكما أظهر والتز، فإن أهمية الهيكل هي أن الجهات الفاعلة "المختلفة التجاور والائتلاف تتصرف بشكل مختلف وتعطي نتائج مختلفة في التفاعل"، ويرجع ذلك إلى أن الهيكل يفرض مجموعة من الشروط المقيدة على الفاعلين، وسواء أكان الهيكل نظامًا سوقيًّا أم سياسيًّا فإنه يؤثر على السلوك بمكافأة بعض أنواع السلوك ومعاقبة أخرى. ومن خلال التنظيم الاجتماعي للفاعلين والتنافس فيما بينهم توجه الهياكل سلوك الفاعلين في النظام؛ لذا فإن الهيكل يؤثر على نتيجة السلوك بصرف النظر عن نيات الفاعلين أنفسهم ودوافعهم[(١)].

وهذا يعني أن والتز أضاف بعدًا جديدًا للتحليل الواقعي من خلال التركيز على بيئة السياسة الدولية وطبيعة النظام الدولي في تفسير العلاقات الدولية، فيرى والتز أن وضع الدولة في بيئة السياسة الدولية ومكانتها في النظام الدولي أهم في تفسير سلوكها الخارجي من خصائصها الداخلية وتفاعلاتها مع الدول الأخرى، فبيئة السياسة الدولية وطبيعة النظام الدولي يفسران الفرص المتاحة أمام الدولة، والقيود المفروضة على سلوكها الخارجي، أما خصائصها الداخلية وتفاعلاتها مع الدول الأخرى فتحدد تفاصيل السياسة الخارجية لكل دولة، لذلك يتهم والتز نظريات العلاقات الدولية التي تركز على الخصائص الداخلية للدول وتفاعلاتها بأنها اختزالية، كما ينتقد النظريات التي تتناول النظام الدولي دون التركيز على محدداته البنيوية التي تقدم الفرص وتضع القيود على سلوك الدول[(٢)].

---

(١) روبرت غيلبن، مصدر سبق ذكره، ص ١١٣.

(٢) أحمد علي سالم، "القوة والثقافة وعالم ما بعد الحرب الباردة: هل باتت المدرسة الواقعية في العلاقات الدولية شيئًا من الماضي؟"، المجلة العربية للعلوم السياسية، العدد ٢٠، بيروت، ٢٠٠٨، ص ١٢٠.

يحاول والتز في كتابه "نظرية السياسة الدولية" أن يصوغ نظرية سياسية ويوضح أسسها، على الرغم من معرفته بأنه لا يوجد هناك نص متفق عليه لمفهوم النظرية، وأن معنى توازن القوى نفسه هو موضع مناقشة. من هذا المنطلق يتساءل والتز ما إذا كان من الوهم محاولة إزالة الالتباس الذي يحيط هذه الفكرة، وقد أدت محاولته هذه إلى إنشاء نموذج لتوازن القوى[١].

إن والتز يوفر أفضل نموذج لتوازن القوى التنافسي أو القائم على التضاد، فإن منطق بحثه يوحي بإمكانية نشوء توازن قوى توافقي. وفي هذا المجال فإنه يلمح إلى بروز نظام أحادي القطب، ولذلك فإن عدم الإسهاب في بحث مسألة أحادية القطب هو من نقاط الضعف الأساسية في نظرية السياسة الدولية. إن والتز كان أول باحث منظّر في مجال السياسة الدولية الذي ذهب إلى القول: "إن المقاربة البنيوية هي وحدها ما يرسي الأساس اللازم لنظرية مناسبة في السياسة الدولية"، ويعد أن أبرز مثال لصحة النظرية البنيوية هو الاقتصاد، ويكرر والتز مرارًا شرحه للأسباب التي تدعوه للاعتقاد بأن الاقتصاديين قد نجحوا تمامًا في تطوير النظريات، لا بل إنه يبين أيضًا لماذا يمكنه الاستناد إلى النظريات الاقتصادية لإنشاء نموذج لتوازن القوى[٢].

ويستند والتز إلى نظريات الاقتصاد الجزئي، فهو يشبه النظام الدولي بالسوق، ويميز بين التغير داخل بنية النظام الدولي (أي: تغير وحداته) وتغير بنية النظام الدولي ذاتها، فتغير هذه البنية هو تغير في عدد القوى الكبرى أو في قدراتها،

(١) كينيث ن. والتز، "نظرية السياسة الدولية"، في ريتشارد ليتل، توازن القوى في العلاقات الدولية: الاستعارات والأساطير والنماذج، ترجمة هاني تابري، دار الكتاب العربي، بيروت، ٢٠٠٩، ص ١٩٧.
(٢) كينيث ن. والتز، "نظرية السياسة الدولية"، مصدر سبق ذكره، ص ١٩٨.

وهكذا فإنه قبل انهيار الاتحاد السوفيتي لم تتغير بنية الاتحاد السوفيتي إلا مرة واحدة خلال أربعة قرون، وذلك عندما تحول من تعدد الأقطاب إلى القطبية الثنائية بعد الحرب العالمية الثانية.

إن هذا التحول أثر إيجابيًّا في الاستقرار والسلم الدوليين؛ لأن نظام القطبية الثنائية يقود إليهما أكثر من نظام تعدد الأقطاب[١].

سعى والتز مستفيدًا من نظرية احتكار القلة إلى إثبات أن الاحتكار الثنائي أو الهياكل ثنائية القطب هي الأكثر استقرارًا، وأورد كدليل على ذلك متانة المواجهة المعاصرة بين القوتين العظميين الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتي، وعلل والتز بأن الغموض وسوء الحساب يسببان الحرب، وتكمن ميزة النظام الثنائي القطب في "اعتماد الطرفين على النفس، ووضوح المخاطر، واليقين بشأن من يواجهها: هذه هي خصائص سياسة القوى العظمى في العالم ثنائي القطب"[٢].

وأشار والتز إلى أن الخطر الملازم للنظام المتعدد الأقطاب هو سوء الحساب، إن تسلسل الأحداث الذي أدى إلى الحرب العالمية الأولى في سنة ١٩١٤ عندما كان هناك خمس دول كبرى- نشأ عن سلسلة من سوء الحسابات التي أدت إلى فقدان القوى الكبرى السيطرة على أفعال القوى الصغرى التي أصبحت القوى الكبرى شديدة الاعتماد عليها[٣].

---

(١) أحمد علي سالم، "القوة والثقافة وعالم ما بعد الحرب الباردة: هل باتت المدرسة الواقعية في العلاقات الدولية شيئًا من الماضي؟"، مصدر سبق ذكره، ص ١٢٠ – ١٢١.

(٢) روبرت غيلبن، مصدر سبق ذكره، ص ١١٦ – ١١٧.

(٣) المصدر نفسه ، ص ١١٧.

من جهة أخرى، أقر والتز بأن الخطر الملازم للنظام ثنائي القطب هو إفراط إحدى القوتين العظميين في رد الفعل على الأحداث (مثل التدخل الأمريكي في فيتنام، وهي منطقة ليست ذات أهمية حيوية للولايات المتحدة)، واستدل والتز على أنه ليس هناك هيكل يضمن الاستقرار، هناك معضلة واحدة هي: "ما الأكثر سوءًا الحساب أم الإفراط في رد الفعل؟ من المرجح أن يسمح سوء الحساب بوقوع سلسلة من الأحداث التي تهدد بإحداث تغيير في التوازن وتوصل القوتين إلى الحرب، والإفراط في رد الفعل هو الشر الأهون؛ لأنه يكلف المال فحسب وخوض حروب محدودة[١].

من ناحية أخرى، يقول والتز: إن الأنظمة الثنائية القطب أكثر استقرارًا وأقل تعرضًا للتحولات المفاجئة من الهياكل المتعددة الأقطاب. ومن الإسهامات المفيدة جدًّا في تحليله أن "كثيرًا من التشكيك بشأن مزايا ثنائية القطب نشأ عن التفكير في أن النظام يكون ثنائي القطب إذا تشكلت كتلتان داخل عالم متعدد الأقطاب"[٢].

وتبعًا لذلك يرى والتز أن هناك ثلاثة مستويات لتحليل ظواهر العلاقات الدولية[٣]:

الأول: هو مستوى الأفراد صناع القرار، من حيث ماهية الآثار والدوافع النفسية التي تقود عملية صنع القرار السياسي واتخاذه.

---

(١) روبرت غيلبن، مصدر سبق ذكره، ص ١١٧.

(٢) المصدر نفسه ، ص ١١٧.

(٣) أحمد محمد أبو زيد، " كينيث والتز: خمسون عامًا من العلاقات الدولية (١٩٥٩ – ٢٠٠٩) دراسة استكشافية"، مصدر سبق ذكره، ص ٩٨. .

والثاني: هو مستوى البناء السياسي المحلي.

والثالث: مستوى النظام الدولي، وما هو تأثير اختلاف توزيع القدرات بين الدول ووجودها في عالم فوضوي، وتأثير ذلك في سلوكها الخارجي وطريقة تعاملها مع باقي الوحدات الدولية الأخرى؟

من هذا المنطلق فإن الواقعية الجديدة عند والتز تقوم على الافتراضات الخمسة الآتية[١]:

١ – إن الدولة القومية هي الفاعل الرئيس والوحيد في العلاقات الدولية، بسبب احتكارها حق استخدام القنوات القتالية بشكل قانوني.

٢ – إن النظام الدولي نظام فوضوي لا نظام تراتبي. ويعزى السبب في ذلك إلى كون الدول هي أعلى سلطة موجودة داخل النظام، فلا يوجد طرف أعلى سلطة منها.

٣- إن الهدف الأسمى للدول هو سعيها إلى الحفاظ على بقائها. من هذا المنطلق، فإنها تسعى جاهدة للحفاظ على أمنها وتعظيم نطاقه، ووضع ذلك في مقدمة أولوياتها.

٤ – إن الدول لا تثق في بعضها بعضًا، ولا يمكن لإحداها أن تعرف بالتأكيد نيات الأخرى، فلبعض الدول نيات شريرة، ولبعضها الآخر نيات سليمة، إلا أنه لا يمكن التأكد من هذه النيات بصورة قاطعة بسبب تغيرها الكبير تبعًا لدوافع الدول وتفاعلات البيئة الدولية وتغيراتها، فمن الممكن أن تكون

---

(١) روبرت غيلبن، مصدر سبق ذكره، ص ١٠٥ – ١٠٦.

نيات إحدى الدول سليمة في حقبة من الزمن، وشريرة في حقبة أخرى، والعكس صحيح.

٥ – إن الدول في سعيها نحو البقاء تفكر جديًّا في كيفية تحقيق ذلك، وهي بالتالي فاعل عقلاني (Instrumentally Rational)، ولكنها تتعامل في ظل نظام دولي غير دقيق مع معلومات منقوصة، حيث تكون لأعدائها فرص لإخفاء نياتهم الحقيقية عنها.

وفي هذا الشأن يقدم لنا روبرت غيلبن ثلاثة قيود على مقولة والتز فيما يخص استقرار النظام ثنائي القطب، والتي تتركز في الآتي[١]:

أولًا: افترض والتز أن لكلتا القوتين العظميين دافعًا لليقظة والمحافظة على التوازن الثنائي. وعلى الرغم من صحة هذا المقولة فإنها قد لا تحدث، بل إن إحدى القوتين قد لا تؤدي دورها الضروري في التوازن الثنائي، وقد كانت الحال كذلك عندما فشلت إسبرطة في وقف نمو قوة أثينا، فعند إحصاء الاستعدادات الأثينية للحرب اتهم حلفاء إسبرطة كورنثيو إسبرطة بعدم منع التوسع الأثيني والسماح بتحول توازن القوى لمصلحة أثينا.

ثانيًا: القيد الثاني يتعلق بمعنى الاستقرار. لقد كان والتز محقًّا في القول بأن الأنظمة المتعددة الأقطاب التي تتكون من دول متساوية القوى تقريبًا غير مستقرة؛ لأنها تميل جدًّا إلى العنف (مثل نظام الدول المدينية اليونانية قبل ظهور الاحتكار الثنائي الإسبرطي الأثيني)، غير أن هناك معنى آخر للاستقرار هو انعدام الاستقرار؛ أي: الميل في نظام ما في ظل مجموعة معينة من الشروط لأن

---

(١) روبرت غيلبن، مصدر سبق ذكره، ص ١١٨ – ١٢٠.

تُحْدِث أسباب صغيرة نسبيًّا تأثيرات كبيرة غير متناسبة، ومن أكثر الأمثلة التي تساق على مثل هذا التوازن الذي يلازمه عدم الاستقرار البيضة المتوازنة على أحد طرفيها يمكن أن تؤدي نسمة صغيرة إلى سقوطها، وبهذا المعنى الأخير يمكن القول بأن الهيكل ثنائي القطبية أكثر عدم استقرار من الهيكل المتعدد الأقطاب، فإذا اضطرب التوازن الدقيق بين القوتين العظميين بحدوث تغيير ثانوي قد تكون النتائج أعظم مما يكون عليه الحال في نظام متعدد الأقطاب، وهذا هو فرط رد الفعل الذي أشار والتز إلى أنه يميز الهياكل ثنائية القطب.

ثالثًا: القيد الثالث للتحليل يتعلق باستنتاجاته المستمدة من نظرية احتكار القلة؛ فقد كتب والتز متحديًا حكمة علماء السياسة التقليدية المتعلقة بقوة استقرار الأنظمة المتعددة الأقطاب.

كان علماء السياسة الذين يستمدون استنتاجاتهم من خصائص الدول بطيئين في تقدير العملية (التوافق الأمريكي الروسي)، وقد عرف الاقتصاديون منذ زمن طويل أن مرور الوقت يجعل التعايش السلمي بين المتنافسَيْن الكبيرين سهلًا، فيعتاد أحدهما على الآخر، ويتعلم كل منهما كيف يفسر تحركات الآخر وكيف يتكيف معها أو يواجهها، كما عبر عن ذلك أوليفر ويليامسون بقوله: "تقود الخبرة دون غموض إلى مستوى أعلى من التمسك" بالاتفاقيات المجزأة والممارسات المتفق عليها. وهكذا تجري عملية التعلم، وتتطور قواعد اللعبة المفهومة مما يسهل السيطرة على المنافسة الثنائية وإدارتها.

يقول والتز Waltz: "إن نظرية السياسة الدولية مثل تاريخها موضوعة بحيث تأخذ في الاعتبار القوى الكبرى في أية مدة معينة، هذا هو الأسلوب الشائع بين علماء السياسة والمؤرخين؛ إلا أن الأسلوب السائد لا يكشف السبب الكامن

وراء تلك العادة". ويتابع قائلًا: "إن الوحدات الأقوى هي التي تعد مسرح العمل للآخرين ولها هي نفسها[١].

منذ نهاية السبعينيات عند نشر "نظرية السياسة الدولية" ظهر خط هجوم آخر من المنظرين والمحللين الذين يوافقون على (ما يعده البنائيون) انحياز والتز المادي، وهم إنما يصرون مع ذلك على أن النظرية لا تصمد أمام البحث التجريبي أو التدقيق المنطقي. ويرى هؤلاء النقاد أن مؤيدي هذه النظرية بدلًا من تقبل مثل هذا النقد والتخلي عن نظرية توازن القوى، راحوا يحاولون إنقاذها بإضافة سمات مرتجلة بهدف تطويق الصعوبات التي يثيرها معارضوها، فمثلًا بيَّن والت (Walt) وجود الاختلاف بين نظرية توازن القوى ونظرية توازن التهديد، وأكد أن هذه النظرية الأخيرة تتضمن فكرة القوة، لكنها تدمجها -فضلًا عن الجغرافية والقدرات والنوايا العدوانية- في مفهوم التهديد الأشمل. ثم يقول: إن نظرية توازن القوى تتنبأ بأن الدول تتحالف في وجه الدولة الأخطر تهديدًا. ومن خطوة أهم أطلقها) Schroeder[٢] تطور موقف مفاده أنه نظرًا لأن نظرية والتز تفترض مسبقًا أن الدول هي وحدات تستفيد استفادة قصوى من الأمن، فيستتبع ذلك منطقيًّا أنها تحبذ المحافظة على الأوضاع القائمة، لكن ذلك الافتراض بحسب Schweller يغفل وجود دول تعديلية وأهميتها في النظام

---

(١) أحمد علي سالم، "القوة والثقافة وعالم ما بعد الحرب الباردة: هل باتت المدرسة الواقعية في العلاقات الدولية شيئًا من الماضي؟"، مصدر سبق ذكره، ص ٢٠٩.

(٢) يعد شرويدر من المؤرخين الدبلوماسيين القلائل الذين اهتموا كثيرًا بدراسة المنظرين في العلاقات الدولية، وقد أدى هجومه على والتز إلى مناقشات هامة، وقد كانت هذه المناقشة الثانية حول توازن القوى التي أثارها شرويدر، وكانت هناك مناقشة حادة قبل ذلك حول المحاولات السلوكية لتفعيل المفهوم. راجع: روبرت غيلبن نفسه، مصدر سبق ذكره، ص ٢٠٠.

الدولي، فإذا ما أخذت هذه الدول بعين الاعتبار يصبح الانحياز إلى الطرف الأقوى، وليس التوازن، هو الإستراتيجية السائدة في أي نظام دولي فوضوي، وذلك مناقض لنظرية والتز.

وقد استنتج Vasquez بعد استعراضه مثل هذه الأدلة وتطبيق مقاربة نظرية النظرية التي طورها Lakates أنه قد توافر ما يكفي من الأدلة، التي جمعها الواقعيون أنفسهم، لإثبات أن نظرية والتز قد أضحت برنامج بحث متراجعًا بدلًا من أن يكون متطورًا.

وفي هذا المجال أشار Goddard and Nexon إلى أن مقاربة والتز قد تأثرت تأثرًا عميقًا بالنظرية الاجتماعية المنسوبة إلى التفكير الوظيفي البنيوي، ونتيجة لذلك انتقد غودارد ونيكسون افتراض ويندت بأن مقاربة والتز تفتقر إلى أي أساس مبني على النظرية الاجتماعية[1].

وأساس موقف البنائيين هو أن الواقعيين مثل والتز لا يمكنهم بكل بساطة الادعاء بأنهم وحدهم أصحاب بعض المفاهيم الرئيسة مثل القوة، أو الجزم القاطع بأنه يمكن تعريف القوة بسهولة على المستوى المادي، فهدف البنائيين إذن هو إيجاد وسيلة لمقاربة القوة بحيث لا يتمكن الواقعيون من السطو عليها وتقطع الطريق على كونها ذات شكل مادي، وهم يؤكدون أن تلك الخطوة ضرورية؛ لأنه بالاستناد إلى البراهين الثابتة منذ مدة طويلة في هذا المجال يتضح من خلال التمحيص والتدقيق أن مقاربة الواقعيين أو الماديين غير ثابتة، وذلك لأن القوة في الجوهر تتشكل من أفكار وليس من قوى مادية، ويوافق البنائيون

---

(١) روبرت غيلبن، مصدر سبق ذكره، ص ٢٠٠ – ٢٠١.

على أنه بالرغم من إمكانية وجود نظريات مفيدة تستند تفسيراتها إلى ما يعرف أحيانا بالقوى المادية "العمياء"، فإنها لا تشمل نظريات تستند إلى القوة. ويقول Wendt: إنه على رغم أن منظري فقهاء العلاقات الدولية قد أهملوا بشكل عام المدى الذي تبلغه الأفكار في تشكيل "القاعدة المادية" للسياسة الدولية فإن المسألة تظل هامة جدًّا "ووثيقة الصلة بإمكانيات التحول في النظام الدولي".

ويؤكد البنائيون في معرض الدفاع عن وجهة نظرهم أن نظريات الواقعيين تستند إلى مفهوم مادي غير متماسك عن القوة، ويجب أن يستعاض عنه بمفهوم مثالي، أو أن تلك النظريات تقوم على "افتراضات بنائية مكبوتة حول محتوى الأفكار وتوزيعها"[١].

والزعم بعدم تماسك التصور المادي للقوة يستند إلى آراء راسخة في هذا المجال تفيد بأن المفهوم المركب للقوة غير قابل للقياس. ويرى البنائيون أن ذلك يشكل عقبة كأداء بالنسبة للواقعيين، ذلك أن ثبات نظريتهم يفترض أن تكون القوة قابلة للقياس، وأن يكون لها دور مماثل لدور المال في نظرية المنفعة. وسبب ذلك هو أن الواقعيين -كما يلاحظ- يربطون القوة بالقدرات؛ مما "يعني المقدرة على التحكم بالنتائج"، وذلك يوفر مؤشرًا لتصنيف اللاعبين الدوليين، وتكثر المشاكل أمام الواقعيين لأنهم يقرون دائمًا بوجود أكثر من مقياس واحد للقوة، لكن إذا كان في القوة مكونات عديدة فيمكن التساؤل عما إذا كانت مكونات القوة المختلفة تعمل في مجالات متعددة، فهل للقوة العسكرية أية قيمة مؤثرة في مجال الاقتصاد؟ وهل للقوة الاقتصادية أي تأثير في المجال العسكري؟

---

(١) روبرت غيلبن، مصدر سبق ذكره، ص ٢١٢.

وإذا كان الجواب عن السؤالين بالإيجاب، فإن ذلك يعني أن القوة قابلة للتبادل مثل المال، لكن المتعارف عليه بشكل عام هو أن القوة غير قابلة للتبادل، لذلك يصبح من الضروري، كما ذكر كيسنجر، أن يعين المجال الذي تمارس فيه الدولة قوتها. وإذا كانت القوة غير قابلة للتبادل فيتعذر عندئذٍ إيجاد مقياس مركب للقوة مثلًا بإضافة القدرات العسكرية إلى القدرات الاقتصادية، وللسبب نفسه يمكن القول بأنه من الخطأ إعطاء أي مجال امتيازًا عن المجالات الأخرى، كأن نفترض مثلًا أن ما يهم حقًّا في السياسة الدولية هو القوة العسكرية، لذا يستنتج Baldwin أنه "قد آن الأوان لندرك أن فكرة بنية قوة دولية شاملة واحدة غير مرتبطة بأية منطقة أو مشكلة محددة هي فكرة تقوم على أساس مفهوم للقوة خال عمليًّا من أي معني". ويوافق Guzzini على: "أنه لا توجد حجة مقنعة بوجود مفهوم "مجمل" للقوة كما تتطلب نظريات "توازن القوى". وهنا لا بد من الإشارة إلى أن Guzzini انتقد بشكل صارم وشامل تفكير الواقعيين حول القوة بصورة عامة، ومفهوم والتز عن القوة البنيوية على وجه الخصوص[١].

وفائدة الابتعاد عن أي مفهوم سلوكي للقوة هي التخلص من التساؤل مثلًا عما إذا كان الفيتناميون قد مارسوا القوة على الولايات المتحدة إبان حرب فيتنام أم لا؟ فمن وجهة نظر والتز كانت هزيمة الولايات المتحدة نتيجة لعوامل معقدة لا تعد ولا تحصى، لكن كان للولايات المتحدة، على وجه الإجمال، تأثير كبير على فيتنام، في حين أن تأثير فيتنام على الولايات المتحدة كان أقل أهمية بدرجات؛ أي أن حركة دفع القوة كانت في اتجاه واحد[٢].

---

(١) روبرت غيلبن، مصدر سبق ذكره، ص ٢١٢ – ٢١٣.

(٢) المصدر نفسه، ص ٢١٤.

وخطوة والتز الثالثة هي في غاية الأهمية بالنسبة لتصوره البنيوي للقوة، وهي في الأساس امتداد للخطوتين السابقتين، وهو لا يكتفي فقط بالافتراض أنه يمكن حساب مقدار القوة لدى أي من الدول، بل يفترض أيضًا أن هذا التقدير يتوقف حتمًا على مقدار القوة التي تملكها الدول الأخرى في النظام، وهذا يعني أنه كلما ازداد عدد الدول في النظام لا بد أن يتدنى مستوى القوة التي تملكها كل دولة، ولا داعي طبعًا لافتراض أن القوى الكبرى في النظام لديها جميعًا مقدار القوة نفسه، لكن ما يريد والتز التشديد عليه هو أن القوة التي تملكها أية دولة تتحدد بنيويًّا على ضوء القوة التي تملكها الدول الأخرى في النظام، وبالتالي فإن مقدار قوة أية دولة لا يمكن التعبير عنه إلا في صورة نسبة مئوية من مقدار القوة الإجمالي الكائن داخل النظام، وهكذا إذا زادت القوة لدى دولة ما فإن قوة الدول الأخرى ستنقص بالضرورة بمقدار متناسب.

ويتطابق انتقال والتز من صياغة مفهوم سلوكي للقوة إلى مفهوم بنيوي، مع التغيير الذي يطرأ على المعنى عند ربط القوة مجازيًّا بتوازن القوى، لكن لأن المنظرين والممارسين يبحثون عادة تطورات السياسة الدولية على ضوء توازن القوى؛ فإن ذلك يدل -فضلًا عن ذلك- على أنه بغض النظر عن حجج البنائيين من المتعارف عليه عمومًا أن بالإمكان قياس القوة، لكن لا يكون لأي تقدير معنى إلا إذا كان مصبوبًا في قالب بنيوي[1].

والحق، حين ألف والتز كتابه لم يعتقد أنه كانت هناك أية دولة -مع احتمال استثناء أوروبا- لديها إمكانية تكوين دور عالمي لها في المستقبل القريب، وكان

---

(١) روبرت غيلبن، مصدر سبق ذكره، ص ٢١٦.

يعني بالمستقبل القريب ما قبل قدوم الألفية الجديدة، وكان يظن آنذاك أن تمكن أوروبا من ذلك يفترض أن يطور ما سيعرف فيما بعد بالاتحاد الأوروبي قوته العسكرية وكفاءته السياسية.

ومع أن والتز وافق على أن هذه التطورات كانت ممكنة، فإنه لم يجد أية دولة تحاول تحدي المركز القيادي الذي تحتله الولايات المتحدة، لذلك استنتج أن السؤال المطروح "ليس ما إذا كان بلد ثالث أو رابع يدخل دائرة القوى الكبرى في المستقبل المنظور، إنما السؤال هو: هل سيتمكن الاتحاد السوفيتي من الاستمرار؟". لو كان الجواب عن هذا السؤال هو أن الاتحاد السوفيتي غير قادر على الاستمرار إذن لكان الاستنتاج المترتب على تحليل والتز واضحًا وضوح الشمس، وهو أن الثنائية القطبية ستتراجع مفسحة المجال للأحادية القطبية[١]. ولكن والتز يقبل فكرة أن أي نظام ثلاثي الأقطاب هو أيضًا متميز، إلا أنه يصنَّف ضمن النظام المتعدد الأقطاب[٢].

ومع أن نظرية والتز تقول: إن توازن القوى يعزز الثنائية القطبية والتعددية القطبية[٣] على حد سواء، فإن والتز يعرض تقديرات مختلفة جدًّا لكيفية عمل

---

(١) روبرت غيلبن مصدر سبق ذكره، ص ٢٢ – ٢٣.
لم تبدأ هذه القدرة بالتطور إلا في القرن الحادي والعشرين، وكما ورد في صحيفة إيكونومست: "إذا كانت القدرة على وضع تصورات حول القوة هي الآن سمة أية سياسة خارجية مستقلة، فيمكن القول بأن الاتحاد السوفيتي سيصبح في نهاية الأمر، أكثر دموية وجرأة وعزمًا". لكن المقال يضيف أن: "السياسة الخارجية الأوروبية لا تزال فتية جدًّا بحيث يتعذر الحكم عليها بناء على سجلها". راجع: المصدر نفسه، ص ٢٢١.

(٢) كنيث ن. والتز، مصدر سبق ذكره، ص ٢٢٦. وفريد زكريا، من الثروة إلى القوة: الجذور الفريدة لدور أمريكا العالمي، مصدر سبق ذكره، ٢٣ – ٢٤.

(٣) تبنى الموقف ضد التعددية القطبية البنتاغون الأمريكي في وثيقة سرية أعدت من قبل بول =

توازن القوى في هذين النظامين؛ لأن هذا هو السبب الرئيس لوضع نظريته. ويؤكد Wendt أن نظرية الأنظمة "تشرح التغييرات عبر الأنظمة وليس داخلها". بل إن نظرية الأنظمة يمكنها فقط "أن تفسر استمرارية النظام وتتنبأ بها". ومن ناحية أخرى استطاع والتز بمقارنة هذين النظامين ومقابلتهما أن يعين مواقعهما ضمن سياقات تاريخية محددة، فالتعددية القطبية تحدد بنظام القوى الكبرى الأوروبية، وتناقش الثنائية القطبية في إطار العلاقات بين الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتي أثناء الحرب الباردة. وهدف والتز الأساس هو أن يظهر أن النظام الثنائي القطب يحتمل أن يدعم الاستقرار أكثر من النظام المتعدد الأقطاب؛ لأن القيود البنيوية المتعلقة بالثنائية القطبية تنتج توازنًا للقوى أكثر ثباتًا مما تنتجه القيود المتعلقة بالتعددية القطبية(١).

أكد والتز أن هناك فرقًا استتباعيًّا بين أن يكون النظام المتعدد الأقطاب مكونًا من ثلاثة أو أربعة أقطاب بدلًا من ستة أو سبعة، ومن ناحية ثانية يشير إلى أنه إذا نظرنا إلى المدة بين ١٧٠٠ – ١٩٣٥ لم يكن هناك ولا مرة أقل من خمس قوى كبرى تتفاعل. فتحليله للتعددية القطبية إذن ينطلق من افتراض وجود

=

ولفويتز في العام ١٩٩٢، وترى الدراسة "أنه يجب على الولايات المتحدة بذل جهد منسق من أجل الحفاظ على تفوقها العسكري العالمي. إن مصلحة الولايات المتحدة تقضي بعدم العودة إلى الحقب السابقة حين كانت عدة قوى عسكرية يتوازن بعضها ضد بعض فيما كان يعد مناسبًا للبنى الأمنية، مع بقاء السلام الإقليمي، أو حتى العالمي معلقًا". راجع: جون ج. ميرشايمر، "مأساة سياسات القوى الكبرى" في ريتشارد ليتل، توازن القوى في العلاقات الدولية الاستعارات والأساطير والنماذج، ترجمة هاني تابري، دار الكتاب العربي، بيروت، ص ٢٨٨.

(١) كينيث ن.والتز، "نظرية السياسة الدولية"، في ريتشارد ليتل، مصدر سبق ذكره، ص ٢٢٩ – ٢٣٠. ومارتن غريفيش، مصدر سبق ذكره، ص ٩٥.

خمس قوى كبرى على الأقل، وبالتالي فإن أية زيادة في العدد أكثر من هذا الحد لا تحدث أي فارق استتباعي؛ لأن القيود البنيوية الرئيسة لا تتأثر أساسًا بظهور أية قوة كبرى جديدة على المسرح الدولي(١).

ومع أن زيادة عدد القوى الكبرى يؤدي برأي والتز إلى زيادة حدة عدم اليقين عما هي عليه، فإنها لا تبدل القيود البنيوية الرئيسة التي تربطها بالفوضى المتعددة الأقطاب(٢). وتفترض هذه الظاهرة البنيوية في النظام الدولي أن يكون

---

(١) كينيث ن.والتز، "نظرية السياسة الدولية"، في ريتشارد ليتل، مصدر سبق ذكره، ص ٢٣٠.

(٢) من وجهة نظر Mearsheimer لا يشير شويلر إلى الريب الكبير الذي تولده حالة الفوضى، مما يجعل التمييز بين دول الوضع الراهن والدول التعديلية أمرًا مستحيلًا، لكن والتز لا يسير في هذا الاتجاه. راجع: المصدر نفسه، ص٢٢٥. وبحسب ميرشايمر يبدو أن والتز قد وقف موقفًا معارضًا يفيد بأن "الفوضى تشجع الدول على التصرف من منطلق دفاعي وصيانة توازن القوى بدلًا من الإخلال به".

تمتع مير شايمر بميزتين رئيستين؛ أولاهما: أنه حدد نظريته في العقد الذي تلا نهاية الحرب الباردة، وبالتالي كان في وضع يضمن المرونة الكافية لنظريته كي تستوعب الملامح الرئيسة للنظام الدولي الذي برز بعد سقوط الاتحاد السوفيتي، لكن ما هو أهم من ذلك، من حيث بناء النظريات، هو حقيقة أن ميرشايمر تمكن من التمعن في التطورات النظرية الكبرى التي حدثت في مجال العلاقات الدولية خلال ربع القرن الماضي. وعلى الرغم من التسليم الدائم بأن العالم الذي يواجهه صانعو القرار الدوليون كان معقدًا للغاية، فقد أصبح هناك إدراك متنام بأن على المنظرين أن يأخذوا هذا التعقيد بنظر الاعتبار، وأكثر من ذلك هناك مشكلات فلسفية شائكة لا بد من مواجهتها عند الحديث في أي واقع اجتماعي. وقد يكون Wendt من بين منظري العلاقات الدولية، أكثرَ مَن عمل على طرح هذه المسائل الفلسفية، مع أنه بعمله هذا لم يلق رضا الجميع. ولا يلقي ميرشايمر على هذه المسائل إلا نظرة سريعة، لكن لا شك في أن هدف النظرية هو بناء موقف خال من الثغرات لصالح المقاربة المادية لصياغة النظرية بحيث لا =

الاتكال على الذات بالضرورة هو مبدأ العمل بالنسبة للقوى الكبرى، ويستتبع هذه الفكرة عاملان هامان؛ أولهما: لا بديل أمام كل قوة كبرى عن أن تبذل بعض مساعيها، لا في سبيل تعزيز مصلحتها الخاصة، بل من أجل توفير وسائل حماية نفسها من الآخرين. والثاني: هو أن القوى الكبرى مهيأة مسبقًا لتجنب التعاون فيما بينها وتبني المواقف التنافسية.

ويعرض والتز عددًا من الأسباب التي تدفع القوى الكبرى لتفضيل العمل المنفرد بدلًا من إقامة روابط دائمة للتعاون؛ فهي من ناحية تخشى أن يؤدي التعاون إلى الاعتماد على الغير، لذلك تفضل السير في اتجاه الاكتفاء الذاتي أو الإقدام على "الهجمات الاستعمارية لتوسيع نطاق سيطرتها". ومن ناحية أخرى، تخشى القوى الكبرى أن توزع ثمار التعاون بشكل لا يلائمها.

وفي هذا المجال يقول Schweller: "إن والتز واقعي دفاعي". إلا أنه يتجاهل موقف والتز الإجمالي بأن التعددية القطبية هي بحد ذاتها غير مستقرة"[١].

=

يحجم عنه البنائيون الاجتماعيون. وهو بذلك يُعرض عن المقاربة التي اتبعها والتز في صياغة النظرية. فضلًا عن ذلك، يقر ميرشايمر في آخر مؤلفه "مأساة سياسات القوى الكبرى" بأن الممارسين قد لا يتقيدون بنظريته، ويسلم بأن للولايات المتحدة ثقافة تنزع إلى معاداة الأفكار الواقعية، وبالتالي إهمال نصائح الواقعيين.

ومما هو جدير بالإشارة أن ميرشايمر انتقد رأي عالم الاقتصاد ملتون فريدمان الذي قال: "إذا ازدادت أهمية النظرية قلت واقعية الافتراضات". كما أنه يعارض موقف والتز Waltz. راجع: جون ج. ميرشايمر، "مأساة سياسات القوى الكبرى" مصدر سبق ذكره، ص ٢٥١، ٢٥٣، ٢٥٦ – ٢٥٧، ٢٥٩.

(١) جون ج. ميرشايمر، "مأساة سياسات القوى الكبرى" مصدر سبق ذكره،، ص ٢٣٤.

ميز بول بين توازن القوى العام وتوازنات القوى الإقليمية، ثم قال: إن توازن القوى العام أكثر =

هناك أسباب عديدة وراء نجاح كتاب والتز الموسوم بـ"نظرية السياسة الدولية" من الممكن إيجازها في الآتي[١]:

أولًا: على الرغم من أن توقيت نشره كان مصادفة نوعًا ما، فإن تطابق هذا التوقيت مع بداية مرحلة جديدة من الحرب الباردة أمن لطرحه الأساسي أن يظل محل جدال. كان دفاع والتز عن استمرارية سيطرة القوى العظمى، بوصفها أفضل ضامن للنظام والاستقرار في السياسات العالمية؛ حجة تقدَّم لإجابة العديدين ممن آمنوا بأن حربًا نووية قد تقع في أوروبا نتيجة سباق التسلح النووي.

ثانيًا: على عكس الواقعيين الذين جاءوا بعد الحرب (أمثال كار ومورجانثو) ادعى والتز أنه أنجز ما يوازي "ثورة كوبرنكية" في دراسة السياسات العالمية بكشفه عن مشكلة في مستوى التحليل كان قد أماط اللثام عنها في الخمسينيات.

ثالثًا: ادعى والتز أن كتابه هذا كان النظرية الأولى القابلة للدفاع عنها علميًّا حول موازين القوى في العلاقات الدولية.

وهناك سمات معينة للواقعية الجديدة يمكننا إيجازها في الآتي[٢]:

=

أهمية. لكن ميرشايمر يقارب هذه المسألة من منظور يختلف كليًّا، فهو يرى أنه لا يوجد توازن قوى عام إلا إذا كان يعني وجود علاقة نظامية عامة بين توازنات القوى المحلية. راجع: جون ج. ميرشايمر، "مأساة سياسات القوى الكبرى"، مصدر سبق ذكره، ص ٢٥١.

(١) مارتن غريفيش، مصدر سبق ذكره، ص ٩٤.

(٢) دكتور ناصيف يوسف حتى، مصدر سبق ذكره، ص٦٣. قارن مع: كريس براون، مصدر سبق ذكره، ص ٥٥.

١- تأكيدها على معنى الصراع السياسي الدولي للسيطرة ومن خلال العلاقات الاقتصادية الدولية. وقد ذهبت الواقعية الجديدة إلى القول بأن كلًّا من المدرسة الليبرالية والمدرسة الراديكالية في الاقتصاد أخفقت في إدراك وفهم هذه العلاقات الاقتصادية عندما تناولتها بمعزل عن العلاقات بين الدول. وقدمت الواقعية الجديدة نظريات لتفسير وشرح العلاقات البنيوية، أو الارتباط السببي بين الوسائل والأهداف التي تؤدي إلى نشوء السيطرة أو اضمحلالها، وبالتالي تحديد مؤشرات أو معايير للتنبؤ بالنشوء والاضمحلال.

٢- تتميز الواقعية الجديدة بمفهوم الدولتية Statism من خلال منح الدولة القدرة على تكوين الأهداف والمصالح.

ولإدخال هذه المبادئ إلى حيز الواقع العملي كتب Kenneth N. Waltz في نهاية عام ١٩٩٣ قائلًا: "من أمنياتي الرئيسة إبراز السياسة الداخلية الأمريكية، وانهماكها في الشئون الدولية، وهذا يعني عدم إقرارنا بسياسة الانعزال، حيث أصبحت متعذرة التطبيق، ووقفت أمام الأقطار الأخرى وعلى المدى البعيد لمعالجة مشاكلها وأخطائها".

وفي هذا المعنى يقول Charles Kegley: "وإني لمدرك تمامًا أنه في حالة عودة العالم إلى نظام القطبية المتعدد مرة ثانية فإن الواقعية تكون بحاجة إلى من يدافع عنها"[(١)].

(1) Kenneth N. Weltz, “Structural Realism After The Cold War, In Understanding International Relations The Value Of Alternative Lenses, By Daniel J.Kaufman. Jay M.Parker. Kimberly C.Field, Fourh Edition, The McGraw-Hill Companies, Inc, New York, 1999,P312, Charles W.Kegley,Op.Cit.,P.25.

إن غياب التهديدات الخطيرة على الأمن الأمريكي بعد انهيار الاتحاد السوفيتي، وانتقال النظام السياسي الدولي إلى نظام القطب الواحد، أعطى للولايات المتحدة نطاقًا واسعًا في خيارات عملية صنع القرار في السياسة الخارجية، والمثال على هذه الخيارات يتركز في الآتي: أنه عند انهيار يوغسلافيا وتفككها إلى دول، وتخلي الولايات المتحدة، تحرك السيناتور Robert Dole كي يجعل من الخطر البوسني موضوعًا من موضوعات الانتخابات الرئاسية، وجعل من ذلك، ليس عملية بحث عن أمن الولايات المتحدة ولكن الدفاع عن الوضع القيادي لها في أوروبا، وبهذا المعنى فإن نشوء السياسة الأمريكية بعد الحرب الباردة ناتج ليس من خلال الأمن الخارجي وإنما جاء من ضغط السياسة الداخلية والطموح القومي[١].

وهذا يعني أنه مع زوال الاتحاد السوفيتي ليس بعيدًا أن تواجه الولايات المتحدة تهديد قوة عظمى لأمنها، وفي هذا المجال يقول الجنرال كولين باول عندما كان رئيسًا لهيئة الأركان العامة: "لم يكن لي شيطان، ولم يكن لي أعداء سوى الصغار: كاسترو وكم سونك)[٢].

من هذا المنطلق برزت فئة جديدة في الولايات المتحدة، وفي إطار الواقعية الجديدة بالإمكان تسميتها "تركيا الفتاة" التي أصبحت لها رؤية متباينة بصورة واضحة "لأمريكا" والعالم، وفي هذا المعنى يقول كروثامر: "مع سقوط الشيوعية يجب أن يصبح الارتقاء بالديمقراطية محك السياسة الخارجية الأيديوليجية الجديدة". وقد عزز هذا الرأي واتنبيريغ عندما قال: "بوصفنا القوة العظمى

(1) Ibid., P.311

(2) Ibid.,

الأخيرة علينا أن نحاول تشكيل التطور، علينا ألا نكون لاعبين سلبيين، إن الدولة الأولى ستكون في المستقبل الدولة الأكثر نجاحًا في تشكيل الثقافة الديمقراطية العالمية"[١].

والحق أن الواقعية الجديدة تعد غارقة في التعميم وهي بصدد المواقف الأيديولوجية، لكونها تبغي الحفاظ على الأوضاع الراهنة في البنية الهرمية للعلاقات الدولية، وبهذا يمكن وصفها بأنها تدخل في إطار النظرية المحافظة والتي تدور أساسًا على نظام توازن القوى الثنائي، وهذا يعني أنها تروم الإبقاء على تصنيفات القوى العظمى والتي تؤكد على ظاهرة الاستقرار، وإبعاد النظام الدولي عن حالة الفوضى التي تكتنفه بسبب غياب مجموعة من القيم والقواعد الأخلاقية العالمية.

بعبارة أكثر دقة: إنه يتوجب على القوى الضعيفة الإقرار والاعتراف بأهمية القوى العظمى في العلاقات الدولية، حيث إن موضوعات الحرب والسلم ليست من واجباتها، وعليه ينبغي على هذه الدول الرضوخ لسياسة القوى العظمى[٢].

---

(١) هالبر، مصدر سبق ذكره، ص١٠٥، ١٠٨.

(٢) للمزيد من التفاصيل راجع: فريد زكريا، الجذور الفريدة لدور أمريكا العالمي، مصدر سبق ذكره، ص ٣٥ – ٤٢.

يرى الكثير من المحافظين الجدد أن أحداث ١١ أيلول نتجت عن ضعف الولايات المتحدة في الرد على التهديدات، فهي لم تكن إخفاقًا مخابراتيًا بقدر ما كانت تقصيرًا على مدى عشر سنوات في ضعف التصميم على مجابهة الرئيس العراقي السابق صدام حسين أو النظام السياسي في إيران أو حزب الله أو حركة طالبان أو تنظيم القاعدة. فالإرهاب من وجهة نظر هؤلاء لم يعد قط يتعلق بفرض القانون، بل عُد تهديدًا من الدرجة الأولى يستوجب ردًا قويًا ليس ضد الجماعات الإرهابية فقط بل أيضًا ضد البلدان التي تدعم تلك الجماعات وتؤويها. والمحافظون =

=

الجدد في الجوهر أكثر تفاؤلًا من المحافظين التقليديين في القدرة على تحويل الطبيعة البشرية والعلاقات الدولية، وهم مثل المحافظين لا يميلون عادة إلى التدخل لأسباب إنسانية على وجه التحديد، وعلى العكس من المحافظين، فهم يميلون إلى عد القوة العسكرية الأمريكية عامل تغيير يمكن استخدامه لخلق مناخ ملائم لازدهار القيم والمعتقدات الأمريكية.

في حين أن بعض المحافظين الجدد مثل روبرت كيغن ووليم كريستل يشجعون على الجمع بين القوة والدبلوماسية، فإن آخرين يرون أن القوة نفسها غالبًا ما تفرض منطقها الدبلوماسي. والظاهر أن فكرة خلق وقائع جديدة في المسح السياسي كانت تدور في فكر كبار المسئولين في إدارة بوش الجديدة عند بداية ولايته في كانون الثاني ٢٠٠١، كانوا يعدون أن احترام قوة الولايات المتحدة قد فقد إبان سنوات حكم كلينتون وينبغي استعادته، وعلى الآخرين التكيف مع الحقائق التي ستخلقها الولايات المتحدة حتى ولو أظهروا الامتعاض من تصرفاتها، فكان أولًا الانسحاب من بروتوكول كيوتو، ومعاهدة الحد من القذائف المضادة للصواريخ، وعملية التسوية بين الكيان الصهيوني والعالم العربي، جزءًا من خلق حقائق جديدة، كما كانت زيادة الضغوط على العراق وإيران لتغيير وجه الشرق الأوسط. لكن المحافظين الجدد، وفقًا لما قاله أحدهم قبل توليه منصبًا سياسيًّا رأوا أن تغيير النظام في العراق أو إيران سيكون أقدر على تغيير الشرق الأوسط من مواصلة الدبلوماسية العقيمة بين اليهود والفلسطينيين.

إن بعض الشخصيات البارزة في إدارة كلينتون كانوا معارضين للحرب ضد العراق، بما فيهم وزيرا الخارجية كريستوفر وأولبرايت، فإن العديدين كانوا من مؤيدي الحرب ومنهم على سبيل المثال لا الحصر، الرئيس كلينتون والسناتور كلينتون وريتشرد هولبروك وساندي بيرغر ووليم كوهن وتوم دونيلون ومارتن إنديك وكين بولاك.

من الواضح أن الأمور في العراق لم تنته إلى ما تصوره المحافظون الجدد وتمنوه. إن إدارة بوش لم تواصل الحرب بعد سقوط الرئيس صدام حسين بالطريقة التي أرادها كثيرون، منهم فريتشرد بيرل مثلًا اعتقد أن على الأمريكيين الدخول إلى العراق وإسقاط الرئيس السابق صدام حسين والانسحاب تاركين العراق تحت إدارة عراقيين أمثال أحمد جلبي. وشك آخرون مثل وليم كريستل في ذلك الرأي، وعدوا أن عدم الرغبة في استخدام القوة الكافية وبسط سيطرتها على الأرض العراقية سبب فشلًا ذريعًا خصوصًا لأن ذلك سمح بتجذر استخدام القوة ضد

=

إن العيب الرئيس لنظرية والتز يكمن في ترجمتها الفقيرة بشأن مستوى النظام إلى نظرية للسياسة الخارجية. ويشرح والتز كيف أن توازنات القوى سوف تتكون ضد سلوك أية دولة ابتداءً من المحاولة الأدنى لضمان البقاء إلى المحاولة الأقصى للتوسع، وهو يوحي بأن النظام الدولي يؤثر على الدول بطريقتين: التحول الاجتماعي، والمنافسة والانتقاء. ويقود التحول الاجتماعي الدول إلى أن تصبح أكثر تشابهًا؛ أي غير مختلفة وظيفيًّا، بينما تُوَلِّد المنافسة والانتقاء نظامًا دوليًّا يتفوق أداء بعض الأمم فيه على أداء غيرها. وتفترض نظرية والتز أن سلوك الدولة يقع تقريبًا من النهاية الأدنى للمجال الطيفي لوالتز، وطبقا لتفسير والتز لعملية التحول الاجتماعي فإن جميع الدول تدرك الدروس نفسها من التاريخ، أن الموازنات تواجه المعتدين، وأن تكاليف التوسع سرعان ما تفوق العوائد، وأن المدافعين تتوافر لهم غالبًا ميزة، - وهكذا ا يتجنب الجميع أي شيء أكثر من الحد الأدنى للأمن - ولكن النظرية تسيء تفسير الطريقة التي يؤثر بها بناء النظام الدولي على قرارات الدول، ولا يعني مفهوم التحول الاجتماعي لوالتز أن النظام الدولي يعلم الدول حكمة الواقعية الدفاعية[1].

وكتابات والتز نفسه مضطربة ومتناقضة حول هذه القضايا، إنه يستشهد دائمًا بمثال الربح الأقصى كخط مواز لسلوك الدولة، غير أنه يختار مساواة سلوك الحد الأقصى للربح ليس بالحد الأقصى للنفوذ وإنما ببقاء الدولة[2].

=

الأمريكيين، وقوض إمكانيات إعادة إعمار العراق بسرعة. راجع: دنيس روس، فن الحكم كيف تستعيد أمريكا مكانتها في العالم؟ مصدر سبق ذكره، ص ٣٢ – ٣٣، ٤٠٢ – ٤٠٣ .

(١) فريد زكريا، من الثروة إلى القوة: الجذور الفريدة لدور أمريكا العالمي، مصدر سبق ذكره، ص٣٨ – ٣٩.

(٢) المصدر نفسه، ص ٤١.

وقد خلط والتز آثار النظام الدولي على الدول بالدروس التي اعتقدوا بأن على الدول أن تتعلمها من تطبيق هذا النظام، ولكن الدروس تتكشف على حقب طويلة من الزمن وهي ذاتية إلى حد كبير. وخارج نطاق الضرورات الملحة للبقاء التي يفرضها النظام على الدولة كان لهذه الدروس التاريخية طويلة الأمد بنية خاصة، وقد أوضح الكثيرون من دارسي التاريخ الدولي أن الأمم نادرًا ما تتعلم أي درس من أحداث محددة، وأن ما تتعلمه أمة لا يماثل على الإطلاق ما تتعلمه الأخرى، وأن كل دولة تطبق تلك الدروس بطريقة مختلفة(١).

من ناحية أخرى، نرى أن نموذج والتز Waltz يتجاهل المناظرات حول وجود الهرمية في النظام الدولي، فهذا النموذج إنما يفتقر إلى بحث ما إذا كان يجب وصف حلف واشو في إطار الهرمية أم لا(٢).

ورغم تأثر كثير من دارسي العلاقات الدولية بنظرية والتز البنيوية، فإنها أحدثت انشقاقًا بارزًا في المدرسة الواقعية، فدراسة مقولات أنصار المدرسة الواقعية الآن تشير إلى أن الأساس النظري الذي يتفقون عليه أقل بكثير مما يدعيه دعاتها ويتصوره نقادها على السواء، بل يزداد ضآلة أيضًا مع كل افتراض أو طرح جديد يقترحه أحد المنتسبين بحق أو غير حق إلى المدرسة الواقعية، حتى افترق الواقعيون إلى فرق كثيرة، وبعد انقضاء أكثر من عقد من الزمان على نهاية الحرب الباردة ظهرت وانتشرت أطروحات وشعارات واقعية جديدة يذكرها جلين سنايدر Glenn H. Snyder "هناك الآن في حقل العلاقات الدولية

---

(١) فريد زكريا، من الثروة إلى القوة: الجذور الفريدة لدور أمريكا العالمي، مصدر سبق ذكره، ص٤١– ٤٢.

(٢) ريتشارد ليتل، مصدر سبق ذكره، ص ٢١٠.

نظريتان على الأقل تصف كل منهما نفسها بأنها "واقعية بنيوية"، وهناك نحو ثلاثة أنواع من "الواقعية الهجومية"، وعدة أشكال من "الواقعية الدفاعية"، فضلًا عن نظريات "واقعية تقليدية حديثة" و"مشروطة " و"خاصة" و"معممة"(١).

ولا شك في أن هذا التعدد في النظريات الواقعية يعكس ثراء المدرسة الواقعية، وحيوية النقاش بين أنصارها، ولكنه يعكس أيضًا محاولاتهم الحثيثة والمتعجلة لمعالجة النقائص الكثيرة التي تبدت في نظرياتهم عن العلاقات الدولية، خاصة بعد نهاية الحرب الباردة(٢).

٥ – المنهج السلوكي:

نشأت المدرسة السلوكية في منتصف الخمسينيات، وتبلورت بشكل أساسي في الستينيات، وهدفت السلوكية إلى إيجاد نظرية تعليلية تفسيرية وتنبؤية(٣) من خلال التركيز على دراسة السلوك السياسي للفرد والجماعة في إطار السلوك الإنساني بشكل عام(٤).

يؤكد هذا المنهج عَدَّ سلوك الإنسان جوهر العلاقات السياسية، من هذا المنطلق يدرس سلوكيات الدول التي هي في الأصل والأساس سلوكيات الأفراد والجماعات، وهو في حالة تفاعل مع علوم أخرى كالاقتصاد وعلم النفس وعلم

---

(١) أحمد علي سالم، "القوة والثقافة وعالم ما بعد الحرب الباردة: هل باتت المدرسة الواقعية في العلاقات الدولية شيئًا من الماضي؟"، مصدر سبق ذكره، ص ١٢١.

(٢) المصدر نفسه، ص ١٢١.

(٣) الدكتور ناصيف يوسف حتى، مصدر سبق ذكره، ص٤٠. والدكتور سعد حقي توفيق، مصدر سبق ذكره، ص ٩٧.

(٤) الدكتور عدنان السيد حسين، نظرية العلاقات الدولية، ط ٣، بيروت، ٢٠١٠، ص ٦٧.

الاجتماع وعلم السكان والأنتربولوجيا. يعتمد منهج التحليل الكمي للحالات الواقعة في السياسة الخارجية بوساطة علوم الرياضيات والحاسوب، كان من شأن هذا المنهج تطوير هذه العلوم في النصف الثاني من القرن العشرين[١].

يربط هذا المنهج بين الظواهر السياسية والظواهر الاجتماعية، مشيرًا إلى أن السلوك السياسي هو جزء من سلوك اجتماعي عام، وقد وجه هذا المنهج انتقاداته للمنهجين المثالي والواقعي، من حيث تأكيد الأول على القانون، والثاني على القوة، منطلقًا من عوامل أخرى في مسار السياسة الخارجية، فضلًا عن عاملي القانون والقوة[٢].

كان ديفيد إيستون في مقدمة الأساتذة في المنهج السلوكي الذي أولى عناية لدراسة العوامل المؤثرة في النظام السياسي على مستوى البيئتين الداخلية والخارجية، مركزًا على دراسة البيئة السياسية، كونها تتصف ببعض الصعوبات، وقد وجد إيستون أن هذه العوامل ستقرر ما إذا كان سلوك النظام السياسي يتميز بالاستقرار أو هو عرضة للتغيير؛ إلا أنه غير رأيه من المنهج السلوكي فيما بعد، مشيرًا إلى جملة من الانتقادات في بعض عناصره، ليصل إلى مفاهيم جديدة في حقبة ما بعد السلوكية[٣].

يقوم المنهج السلوكي على مجموعة من العناصر يمكننا إيجازها في الآتي: التناسق، والتثبت، والوسائل المستعملة، والقياس الكمي، والقيم، والترتيب

(١) المصدر نفسه، ص ٦٧.

(٢) الدكتور عدنان السيد حسين، مصدر سبق ذكره، ص ٦٧.

(3) David Easton, ' the current Meaning of Behaviouralism ', in James Cherles Worth (ed), contemporary political Analysis, New York: Free Press, 1967, pp. 11 – 31.

المنهجي، والعلم التجريدي، والاندماج[١].

إن السلوك السياسي قد يكون في صورته الأولى والأكثر عمومية هو سلوك المواطن العادي الذي يتعامل مع السلطة في كيفية تعامله معها، ونقصد بالمواطن العادي ذلك الذي لا يمارس السلطة ولا يعنيه السلطة، هو مواطن مكره على أن يحتك بالسلطة، وصورته العادية في هذا الاحتكاك هي عملية التصويت السياسة[٢].

ثم إن هناك نموذجًا آخر أقل وضوحًا ولكنه أكثر أهمية، وهو الشخص الذي ينتمي إلى الطبقة المحكومة، ومن ثم لا يمارس السلطة، ولكنه يرغب ويسعى في أن يصل إلى السلطة، ومن ثم ينتظر الفرصة المناسبة لينقض على السلطة وصاحب السلطان[٣].

كذلك فإن السلوك السياسي من الممكن أن يفهم على أنه سلوك جماهيري وليس فقط سلوكًا فرديًا أو جماعيًّا، فالإشاعة السياسية تعبير عن السلوك الجماعي، والذعر الجماعي السياسي تعبير عن السلوك السياسي الجماهيري، على أن النظرية السلوكية تعودت عندما تتحدث عن السلوك السياسي أن تقصد به فقط ذلك النموذج الأول: المواطن العادي الذي يتعامل مع السلطة دون أن يقصد أو يسعى إلى ممارسة السلطة، ودون أن يعبر عن سلوكه بموقف المعارضة المتحفزة للوصول إلى دفة السلطة[٤].

---

(١) الدكتور ناصيف يوسف حتي، مصدر سبق ذكره، ص ٤٠ – ٤١.

(٢) الدكتور حامد ربيع، العلوم السلوكية، الجزء الثاني، مكتبة القاهرة الحديثة، القاهرة، ١٩٧٢، ص٤٢.

(٣) المصدر نفسه، ص٤٢.

(٤) الدكتور حامد ربيع، العلوم السلوكية، الجزء الثاني، مصدر سبق ذكره، ص ٤٢.

السلوك السياسي ليس إلا أحد نواحي الشخصية الفردية، بحيث لا يستطيع أن تفصله لا جزئيًا ولا كليًا عن السلوك الفردي. الشخصية حقيقة واحدة، حقيقة ديناميكية لا تقبل التجزئة، وكذلك السلوك السياسي ليس إلا امتدادًا للسلوك الفردي[١].

فالثقافة السلوكية تمثل حلقة الوصل التي تربط العلوم الاجتماعية بالعلوم الأساسية، إن أحد الأجزاء الرئيسة التي منها تنبع النظرة السلوكية هي علم البيولوجي، وهذا يمثل القنطرة التي كانت مفقودة في العلاقة بين نوعين من أنواع المعرفة استطاعت المنهاجية السلوكية أن تمزج بينهما، كذلك فإن العلوم السلوكية قامت على أساس استقبال مناهج البحث التجريبي والمعملي كما عرفها السلوك الحيواني، فضلًا عن ذلك فإن العلوم السلوكية -ولو في مرحلة معينة من مراحل تطورها- أحد أهدافها هو توحيد الثقافة الاجتماعية، وهكذا فهي لا تقتصر على أن تنشر الثقافة الاجتماعية وتُدخل فيها مناهج جديدة أساسها التجريب والاحتكاك المباشر بالظاهرة، بل هي تسعى أيضًا لخلق تلك المناهج الصالحة للتطبيق في نطاق جميع العلوم الاجتماعية[٢].

كان هدف السلوكيين استبدال "أدبيات الحكمة" والاستخدام القصصي للتاريخ المتمثل بمورجانثو والواقعيين التقليديين، مستخدمين في ذلك تفكيرًا ومفاهيم علمية دقيقة ومنهجية، وكان لهذا أبعاد مختلفة؛ فقد كان من المحتمل أن يتضمن صب النظريات القديمة في قوالب جديدة دقيقة كما هو الحال في نماذج مورتن كابلان في كتابه "النظام والعملية في السياسة الدولية System

---

(١) المصدر نفسه، ص ٤٤.

(٢) المصدر نفسه، ص ١١٠.

and Process in International Politics وقد يتضمن توليد بيانات تاريخية جديدة وحقب زمنية لتحل محل سردية التاريخ الدبلوماسي التقليدي كما في مشروع جيه. دي. سينغر J. d. Singer وشركائه "متلازمات الحرب" في جامعة أن أربور، ميشيغان[١].

بدون شك، إن المنهج السلوكي قدم الشيء الكثير للمعرفة العلمية، لكونه استطاع الربط بين السياسة الخارجية والمناهج العلمية، ومع ذلك فإنه تعرض لجملة من الانتقادات يمكننا أن نشير إلى بعضها[٢]:

١ – استبعد المنهج السلوكي القيم المؤثرة في شخصية الباحث ونتائج البحث العلمي، لكون القيم موجودة ومؤثرة في البحث ونتائجه.

٢ – مغالاته في إمكانية التنبؤ في المستقبل بصورة قاطعة، وكيف إذا كان التنبؤ يخص علاقات اجتماعية وسياسية.

٣ – استبعد المنهج السلوكي بعض الظواهر الموجودة في السياسة الخارجية، والتي من الصعوبة بمكان إخضاعها لقواعد البحث العلمي، فبقيت في دائرة المعرفة التقليدية أو المحافظة. من هذه الظواهر التي عصفت بالعالم في الربع الأخير من القرن العشرين: الجوع والعنف والتصحر والمرض وتدمير البيئة... وهي لا تنفصل في واقعها وطرق معالجتها عن القيم الإنسانية والمعايير الأخلاقية والقانونية، فضلًا عن أنها لا تنفصل عن الصراع المستمر بين الدول من أجل امتلاك أسباب القوة.

---

(١) كريس براون، مصدر سبق ذكره، ص ٤٠.

(٢) الدكتور عدنان السيد حسين، مصدر سبق ذكره، ص ٦٨ – ٦٩.

ثانيًا: المناهج المعاصرة:

١ - منهج التحليل النظمي:

ظهرت قبل حقبة من الزمن مدارس فكرية حاولت توحيد مختلف العلوم من أجل الوصول إلى الإطار الفكري والمنهجي الموحد، وقد تمثلت هذه المدارس النظرية العامة للتنظيم Systems Theory General -التي تعود جذورها إلى جهود العالم البيلوجي "فون بيرتا لانفي"- في العشرينيات من هذا القرن[١].

ومن أجل إدخال هذه المفاهيم إلى حيز الواقع العملي عقدت مؤتمرات عديدة بعد الحرب العالمية الثانية ضمت علماء من اختصاصات مختلفة، أثارت الجدل والمناقشة حول ذلك الأمر الذي أدى في عام ١٩٥٦ إلى إنشاء جمعية بحوث النظم العامة التي قامت فيما بعد إلى إصدار كتابها السنوي الأول، ومنذ تلك الحقبة حاولت الجمعية خلق إطار عام للنظرية العامة للنظم.

وقد تمتعت محاولات بيرتا لانفي بصدى عام من بعض الكتاب[٢]، إلا أن الكتابات الأكاديمية التي كانت تغلب عليها المنهج التقليدي حالت من دون

---

(١) الدكتور كمال المنوفي، الأنظمة السياسية المقارنة، الكويت، ١٩٨٧، ص٩٣ و:

Rothman Stanly, Systematic Theory: Observations of the Group Approach, in Puplic Opinion and Policy: Models of Political linkage, E.d., by Norman R.Luitbeg, U.S.A, 1968, P.139.

(٢) عمل فون برتالانفي على إعداد نظرية عامة للعلوم مستندًا على علم الأحياء، تكون صالحة سواء للعلوم الطبيعية أو العلوم الاجتماعية مؤكدًا إمكانية توحيدها على قواعد منطقية – رياضية، فكان يعمل على تناول التصرف البشري في إطار نظام حي وبوساطة حساب التوازنات الدينامية الدائرة في أنظمة مفتوحة". راجع: ريمون حداد، مصدر سبق ذكره، ص١٩٧.

انتشار هذه الأفكار، إلا أن هذه الأمور تكون قد تغيرت بعد منتصف الخمسينيات من خلال تأثير الدراسات الاقتصادية والاجتماعية التي أشارت إلى أهمية أفكاره من خلال دراسة الأبعاد الداخلية والدولية في آن واحد[١].

انطلق دعاة هذه النظرية من مفهوم النظام System الذي يعد عندهم بمثابة وحدة التحليل الأساسية[٢]. وقد عَرَّف بريار النظام قائلًا: "إنه مجموعة العناصر المتفاعلة المكونة لكليَّةٍ، والتي تنم عن تنظيم ما"[٣].

أما نيكولسون ورينولدز فإنهما يعرفان النظام بأنه: "مجموعة من الأجزاء التي تتسم بالتفاعل فيما بينها، التي تحدد نمط العلاقات بين هذه الأجزاء؛ إذ تعد هذه الأنماط أهم من هذه الأجزاء نفسها، بسبب أنه يكوّن خاصية النظام الرئيسة"[٤].

يُعَرِّف جابرييل إي. آلموند، النظام قائلًا: "هو منظمة تتفاعل مع البيئة، وتؤثر وتتأثر بها. وتشير هذه الكلمة أيضًا إلى وجود أطراف داخلية كثيرة، وهي في حالة تتفاعل بعضها مع البعض"[٥].

---

(١) الدكتور مازن إسماعيل الرمضاني، مصدر سبق ذكره، ص١٠٧-١٠٨.

(٢) المنوفي، مصدر سبق ذكره، ص٩٣. وللمزيد من التفاصيل حول مفهوم النظام راجع: Waltz, P. Op.Cit., 45

(٣) الدكتور غسان سلامة، السياسة الخارجية السعودية منذ عام ١٩٤٥ دراسة في العلاقات الدولية، مؤسسة دار الريحاني للطباعة والنشر، ١٩٨٠، ص٩.

(4) M.B. Nicholson and P.A.Reynolds, General Systems the International System and the Eastonian Analysis, PP.12,14,21.

(٥) يعرف آلموند النظام السياسي بأنه: "مجموعة أساسية تتكون من المؤسسات الاجتماعية، ومن =

=

مهماتها إعداد الأهداف العامة لمجتمع ما أو لمجموعة ضمن إطار هذا المجتمع، والسير في كيفية تنفيذها". راجع:

Almond, Gabriel A., and Powell, Jr., G. Bingham, Comparative Politics Today a World View, Printed un U.S.A., 1988, P.3.

يعد آلموند النظام السياسي متغيرًا مستقلًا بذاته، وفي داخله تتم عملية التحول، ونرى من جانب آخر أن آلموند أعطى بعدًا تطويريًا بالتحليل النسقي الذي أكد عليه النسقيون. صنف آلموند النظم السياسية من أجل مفهوم القدرة على تحليل أداء النظام السياسي، ويتضمن الآتي:

١- من خلال ممارستها ونظمها التي تؤثر على أدائها الداخلي كالنظم الحزبية أو الإطار العام للنظام (برلمانية أو رئاسية).

٢- أضاف آلموند مفهوم القدرة كأداة للتحليل والمقارنة في أنماط قراراتها من حيث التفاعل مع المحيط الداخلي والدولي.

أما دافيد إيستون فإنه يعرف النظام السياسي بأنه "مجموعة الظواهر التي تكون نظامًا فرعيًا من النظام الاجتماعي الرئيس، ولكن هذه الظواهر الخاصة بالحكم والجماعة السياسية والسلوك السياسي ينطلق إيستون في تحليل النظام السياسي من وظيفتين أساسيتين هما:

١. المدخلات Inputs وتعني مجموعة المطالب أو التأييدات التي يتلقاها النظام السياسي، وتتضمن هذه المطالب المطالبَ المادية والاجتماعية، كالمطالبة بتجسيد شروط العمل والأمور التي تواجهها الفئات العمالية غير النقابات أو المطالبة بتوفير مواد غذائية معينة والتي تترجمها جمعيات المستهلكين إلى مطالب، والمطالب المعنوية أو الرمزية المتعلقة بما تتطلبه المحافظة على القيم الجماعية وتتولى الهيئات الثقافية والدينية وترجمة الاحتجاجات أو الدعوات إلى مطالب يتلقاها النظام، أما المطالب السياسية فلها علاقة بالضغوط أو الاحتجاجات أو النداءات من قبل الهيئات والجماعات السياسية أو الأفراد للمهام في وضع السياسة العامة للنظام أو المشاركة في السياسة، وفي الوقت نفسه نرى أن المدخلات يمكن أن تكون تأييدات توجهها مختلف الهيئات أو الأفراد للنظام، ولها أشكال: قد تكون مادية كدفع الضرائب وأداء الخدمة العسكرية أو التطوع للخدمة المدنية، أو

=

يستخدم بعض الأساتذة العرب مصطلح النسق بدلالة البحث النظمي، ويمثل هذا الاتجاه الدكتور محمد طه بدوي، في حين يميل غالبية الأساتذة العرب إلى استخدام مصطلح "النظام" بدلالته النظمية لمفهوم النظام أكثر من صفته النظمية، ويمثل هذا الاتجاه الدكتور غسان سلامة[(١)].

= معنوية كالامتثال للقوانين وتنفيذها، فضلًا عن المشاركة الفعالة في الحياة السياسية واحترام القيم ورموز السلطة العامة.

٢. المخرجات Outputs: كل ما يصدر عن النظام من إجراءات وردود أفعال تقوم بها سلطات لمواجهة المدخلات (المطالب والتأييدات)، وتتمثل المخرجات في شكل تدابير وقرارات، وفي هذا المجال قدم لنا إيستون علاقة تحليلية في الوظائف المتعلقة بين المدخلات والمخرجات من خلال العناصر الثلاثة الآتية:

١. يقدم لنا إيستون مفهوم العلبة السوداء التي تعبر عن مركز اتخاذ القرار، وفي إطاره يتم تحويل المطالب والتأييدات إلى قرارات سياسية أو تدابير تنفيذية جزئية. مع ملاحظة أن إيستون لم يقدم لنا تحليلًا دقيقًا لما يجري داخل هذه العلبة.

٢. يقوم النظام السياسي بممارسة وظائفه في إطار المحيط الداخلي والمحيط الخارجي، ومن خلالهما يتلقى التأثيرات على وظائفه.

٣. يعد محيط النظام السياسي بمثابة الهيكلية التي يتم من خلالها التأثير على عملية الانعكاس الذي يحدث داخل النظام عندما يتم تحويل المخرجات إلى مدخلات جديدة، وقد أطلق إيستون على هذا العنصر "التأثير العكسي".

راجع: منصف السليمي، مصدر سبق ذكره، ص١١٠-١١٢. وجيمس دورتي – روبرت بالتسغراف، مصدر سبق ذكره، ص ١٠٩ – ١١٠.

(١) الدكتور مازن إسماعيل الرمضاني، مصدر سبق ذكره، ص١٠٧. وللمزيد من التفاصيل حول ذلك راجع: الدكتور محمد طه بدوي، النظرية السياسية النظرية العامة للمعرفة السياسية، الإسكندرية، ١٩٨٦م، ص٣٢٦-٣٤٩.

أما برتا لانفي فيعرف النظام "بأنه عبارة عن مجموعة عناصر معقدة وهي في حالة تفاعل"[١]. أما سكوت فيعرفه بأنه "مجموعة أجزاء ذات خصائص متباينة ترتبط مع بعض عبر تفاعل مستمر لمدة من الزمن، وتنجز وظائف محددة لها علاقة مهمة بكيفية أداء النظام لوظيفته"[٢].

أما برايار فإنه يعرف النظام: "بأنه مجموعة عناصر متفاعلة تؤلف كلًّا واحدًا، وتظهر تنظيمًا معينًا". في حين يعرف Lesourme Iacque النظام بأنه: "مجموعة عناصر مرتبطة من خلال مجموعة من العلاقات بشكل يسمح لأي تغيير في أي عنصر أن يؤدي إلى تغيير أو تبدل في بعض العناصر الأخرى"[٣].

ويرى جارلس ماكيلند أن النظام: "عبارة عن كيان عام تتداخل عناصره ومكوناته على نحو يجعله يتفاعل ويتبلور في النهاية في صورة أخرى، وأية نظرية تحاول أن تتعرف على الكيفية التي تترابط بها هذه المكونات وتتفاعل يطلق عليها نظرية القيم"[٤].

يرى دورتي بالستغراف أن مفهوم النظام ينطوي على:

١- إطار نظري يقوم على تدوين المعلومات المتعلقة بظاهرة سياسية.

٢- نسق من العلاقات القائمة على مجموعة فرضية من المتغيرات السياسية، وعلى سبيل المثال فإن النظام الدولي يستند على الحكومة العالمية، والأخيرة متغير سياسي مفترض.

---

(١) الدكتور مازن إسماعيل الرمضاني، مصدر سبق ذكره، ص ١٠٩.

(٢) المصدر نفسه، ص١٠٩.

(٣) الدكتور ريمون حداد، مصدر سبق ذكره، ص١٩٩.

(٤) الدكتور إسماعيل صبري مقلد،، النظريات السياسية الدولية، مصدر سبق ذكره، ص١٣١.

٣- نسق من العلاقات بين المتغيرات السياسية في نظام دولي مثل نظام القطبية الثنائية في حقبة الخمسينيات من القرن الماضي(١).

فضلًا عن استخدام دعاة هذا المنهج لمصطلح النظام فإنهم استخدموا مجموعة أخرى من المفاهيم الملائمة للأنظمة العضوية والطبيعية والاجتماعية والاقتصادية، ويمكننا تصنيف ذلك في المجاميع الآتية(٢):

١- مجموعة مفاهيم ذات طابع وصفي بالأساس تقترح تصنيفات للنظم وتوضح الخطوط العريضة لأبنية وحركة النظم، والمثال على ذلك مفاهيم النظام المغلق والنظام المفتوح والنظام العضوي والنظام غير العضوي، مفاهيم تتعلق بالمستويات الهيراركية للنظم مثل النظام الفرعي(٣)، مفاهيم تتناول جوانب التنظيم الداخلي للنظم مثل مفاهيم التكامل Integration والاعتماد المتبادل Interdependence، مفاهيم تخص ارتباط النظام بالبيئة مثل الحدود والمدخلات والمخرجات.

---

(١) الدكتور ريمون حداد، مصدر سبق ذكره، ص١٩٩.

(٢) الدكتور كمال المنوفي، مصدر سبق ذكره، ص٩٣-٩٤.

(٣) إن معنى مصطلح "النظام الفرعي" يأخذ معنى عدم الثبات، وفي هذا المجال يحبذ رينولدز استخدام للقطاعات المختلفة (الاقتصاد، الدبلوماسية...) التي تتكون منها الحياة الدولية، أما مرل فإنه يشير إلى وجود نظام فرعي أيديولوجي أو جغرافي، وقد اعتمد كل من فريمان وكانتوري وسيبغل وريمون أرون على تصنيف مرل، في حين يستخدم مورتون كابلان مصطلح النظم الفرعية، الدول. راجع: الدكتور غسان سلامة، السياسة الخارجية السعودية منذ عام ١٩٤٥ دراسة في العلاقات الدولية، مؤسسة دار الريحاني للطباعة والنشر، ١٩٨٠، ص ١٠.

٢- مجموعة مفاهيم تركز على البعد الدينامي للنظم؛ أي: التعبير الذي يصيب النظم ذاتها أو بفعل الاستجابة لتعديل في الظروف البيئية، ومن الأمثلة على ذلك التكيف والتعلم والنمو والعطل والأزمنة والحمل المتزايد والانهيار.

٣- مجموعة مفاهيم تخص ضبط وتنظيم وبقاء النظام مثل الاستقرار والتوازن والتغذية العكسية.

ويتضح مما تقدم أن المنهج النظمي له سمات وخصائص يمكننا إيجازها في الآتي[١]:

---

(١) مقلد إسماعيل صبري (دكتور)، نظريات السياسة الدولية دراسة تحليلية مقارنة، مصدر سبق ذكره، ص ١٣٢-١٣٣.

تأثر إيستون بمنهج التحليل النظمي، وقد أراد تطبيق ذلك في النظام السياسي الداخلي. ويتكون الأخير عنده من مجموعة من العناصر:

١- المدخلات Input تنبع من البيئة ومن داخل النظام نفسه، وقد قسمها إيستون إلى المطالب Demands وهي قد تكون عامة أو خاصة، ويتم التعبير عنها في برنامج مبسط من خلال جماعات الضغط والأحزاب وقادة الرأي ووسائل الإعلام، ومن ثم يستطيع النظام السياسي الاستجابة لها بصورة أكثر فعالية. والمساندة Support التي تعني ضمان حد أدنى من الولاء والمساندة، والأخيرة عنده نوعان: التأييد العام الذي يعد بمثابة الأداة التي يعتمد عليها النظام، والتأييد الخاص الذي يعد بمثابة الرضا الذي يشعر به الفرد حينما يتصور أن مطالبه قد تحققت.

٢- عملية التحويل.. تشير إلى استيعاب المطالب في أبنية النظام التشريعية والتنفيذية.

٣- المخرجات، وهي تمثل استجابة النظام للمطالب الفعلية أو المتوقعة، وهي قد تكون إيجابية أو رمزية أو سلبية.

=

١- إن النظام لا يخرج في حقيقته النهائية عن كونه وحدة عضوية حية ومتحركة وقابلة للتطور والتغير المستمر.

٢- يعمل النظام من خلال المؤثرات الداخلية والخارجية.

٣- إن النظام قد يكون محكمًا في تكوينه، أو قد يكون مغلقًا.

٤- هناك فواصل بين النظام وبيئته الخارجية، ينتج عنها حاجات وضغوط وتحديات مادية وإنسانية وفكرية.

٥- قدرة النظام على التكيف مع الظروف التي تكتنفه.

اقترح ديفيد إيستن لتحليل النظم السياسية انطلاقا من مفهوم الجوار. وبموجب ذلك يمكن الانطلاق من المدرسة الإستونية لدراسة السياسة الخارجية لدولة ما كسلوك فاعل محدد، ولكن المسألة تصبح معقدة في حالة تطبيق الأنموذج المنظومي الذي وضعه إيستون على النظم الدولية إقليمية كانت أم شاملة. إلا أن إيستون لم يعط أهمية تذكر لهذه الصعوبة. وفي هذا المجال يقول إيستون: "إن أي نظام هو مجرد نظام آخر على مستوى مختلف من التنظيم، وبالإمكان مقاربته من خلال الجهاز نفسه الذي نستخدمه لدراسة النظم السياسية الداخلية. إن مثل هذا التفسير لا تنشأ عنه صعوبات نظرية، ويمكننا تبيان كل المتغيرات الأساسية في النظم الداخلية في النظام الدولي الشامل".

=

٤- التغذية الاسترجاعية، وهي تشير إلى تدفق المعلومات من البيئة إلى النظام السياسي عن نتائج الأفعال. راجع: الدكتور كمال المنوفي، مصدر سبق ذكره، ص ٩٦-٩٩ قارن مع الدكتور مازن إسماعيل الرمضاني، مصدر سبق ذكره، ص ١١٠-١١٧.

ويردف إيستون قائلًا: "إن معظم النظم تتطلب مجموعة من السلطات الثابتة نسبيًّا". وأشار نيكولسون ورينولدز إلى ماهية هذه السلطات في النظام الدولي الشامل وإلى كيفية تحديد الطلبات والردود والاسترجاعات Feed backs، ويخلص الكاتبان إلى "أن المتغيرات التي أشار إليها إيستون هي في النظام الشامل من الهشاشة بمكان، والسبل المنظومية التي يحددها على قدر من صعوبة التحديد، بحيث إن فائدة أنموذجه في فهم النظام الشامل تبدو قابلة للشك"(١).

٦- تتفاعل السياسة الخارجية لجميع الدول مع مفهوم البيئة، ويدخل ضمن هذا التفاعل أمور كثيرة تتمثل في الأهداف والقدرات والإستراتيجيات والوسائل والطرق الفنية والتكتيك والأسلوب والآلية، فضلًا عن القرارات والأفعال ومحصلات السياسة الخارجية، وقد أشار جيمس روزيناو إلى مسألة الترابطات الدولية الوطنية(٢).

انتقد الأستاذ آلموند روزيناو بسبب إهماله لمفهوم النظام الدولي، وفي هذا المجال يذكر آلموند أن البيئة الدولية تؤثر على تطور الأنظمة السياسية الوطنية مهما كانت بنية أو تركيب ذلك النظام الدولي(٣).

وأكثر من هذا؛ فإن آلموند وباول لا يريان وجود علاقة تفاعلية بين الإمكانية الوطنية والإمكانيات الدولية(٤).

---

(١) الدكتور كمال المنوفي، مصدر سبق ذكره.

(٢) روح الله رمضاني، سياسة إيران الخارجية ١٩٤١-١٩٧٣، ترجمة علي حسين فياض وعبد المجيد حميد جودي، مطبعة جامعة البصرة، ١٩٨٤، ص٣٠.

(٣) المصدر نفسه، ص ٢٣.

(٤) المصدر نفسه، ص ٢٣.

هناك تفاعل بين الأنشطة المتكونة خارج البيئة المحيطة الوطنية والسياسة الخارجية للأمم النامية، والعوامل الستة التي ذكرها روزيناو بهذا الخصوص قد تكون ذات فائدة، وهذه العوامل هي: العامل المحلي، والعامل الإقليمي، والعامل العرقي، وعامل الموارد، والعامل التنظيمي(١).

ومن السهولة بمكان إقامة علاقات متبادلة بين هذه العوامل الستة ومشكلات السياسة الخارجية، وفي هذا المجال تثار أسئلة عديدة تتركز في: ما أثر العامل المحلي على أهداف السياسة الخارجية لدولة ما أو قدراتها أو إستراتيجياتها أو أسلوبها؟ فضلًا عن ذلك يمكن إثارة أسئلة مشابهة بخصوص التفاعلات بين كل هذه العوامل وكل مكونات السياسة الخارجية(٢).

يتحدث روزيناو عن ستة متغيرات لها علاقة باقتصاديات الدول النامية والتي يمكن الاستفادة منها عند تحليل السياسة الخارجية لهذه الدول، وهذه المتغيرات هي: المتغير الفردي، ومتغير الدور، والمتغير الحكومي، والمتغير الاجتماعي، والمتغير الجهازي(٣).

---

(١) المصدر نفسه، ص ٣٣.

(٢) المصدر نفسه، ص ٣٣.

يضيف روح الله رمضاني عاملًا آخر إلى هذه العوامل الستة وهو "الانفراج في العلاقات الدولية المتوترة"، أو استبدال عامل الحرب الباردة بعامل الشرق والغرب؛ لأن هذا العامل من وجهة نظره (أي: الشرق والغرب) يتضمن بدوره عامل الحرب الباردة وعامل الانفراج أو أي عامل آخر له علاقة بموضوع العلاقات بين الشرق والغرب. راجع: المصدر نفسه، ص٣٣.

(٣) حاول روح الله رمضاني أن يطبق هذه المتغيرات على السياسة الخارجية الإيرانية للمدة من ١٩٤١ – ١٩٧٣، ويرى أن هناك تذبذبًا في هذه السياسة، ويرى أيضًا أن هناك تذبذبًا واضحًا في القوة والفاعلية النسبية للسياسة الخارجية الإيرانية منذ أوائل الستينيات التي تجاوزت المتغيرات =

وقد حاول مجموعة من أساتذة السياسة الخارجية استخدام المنهج النظمي على مستوى النظام السياسي الدولي، ولعل من بين هؤلاء تشارلز ماكليلاند وجورج مودلسكي وأندروسكوت وريتشارد روزكرينس ودوجرتي، وكابلان الذي تحدث عن أنموذجه في النظم الدولية الحقيقية والنظم الدولية الافتراضية؛ إذ قسم النظم الدولية إلى: نظام توازن القوى، ونظم القطبية الثنائية الهشة، ونظم القطبية الثنائية المحكمة، والنظام العالمي، والنظام الدولي الهرمي، ونظام وحدة الفيتو(١).

والحق، قام مورتون كابلان بتطوير المنهج العلمي في نظرية الأنظمة الدولية، وقد أكد على ذلك كابلان من خلال النماذج التاريخية وأربعة أنظمة دولية ممكنة(٢).

وقد حاول كابلان الاستفادة من المنهج النظمي لأجل إعداد نماذج نظرية للسياسة الدولية معتبرًا أن سلوك الأشخاص الدوليين يحدده عدد من القواعد التي يقبل بها هؤلاء من أجل استمراريتها.

= الجهازية من حيث القيمة والأهمية، وهو يمكن ملاحظته منذ بداية حقبة السبعينيات. راجع: المصدر نفسه، ص٣٣.

(١) لمزيد من التفاصيل حول ذلك راجع: الدكتور إسماعيل صبري مقلد، نظريات السياسة الدولية دراسة تحليلية مقارنة، مصدر سبق ذكره، ص١٣٤ – ١٧٥.

(2) Bull, Hedley, International Theory, P. 16.

للمزيد من التفاصيل حول المنهج النظمي راجع:

Rosenau, James N., The Scientific Study of Foreign Policy, Op. Cit., pp. 23- 33.

وقد دفع هذا الموضوع كابلان إلى تبني مفهوم توازن القوى والذي يتغير حسب المعطيات الدولية، وفي الوقت نفسه رفض كابلان موضوع الفوضى الذي اعتمدته المدرسة الواقعية، معتبرًا أن النظام العالمي يطغى عليه حالة من الاستقرار النسبي. وعليه؛ فإن مبدأ التوازن يرتبط بهذا النظام من أجل بقائه واستمراره، ويؤدي هذا التحليل إلى طرح نماذج عن النظام الدولي القديم والجديد والقادم[١] والتي تقتضي إدراك القواعد الخاصة بكل نظام والتي ستسمح بالتالي للأشخاص الدوليين -ولا سيما فيما يخص النظام القادم- أن يحددوا بصورة مسبقة الطرق والوسائل الواجب اتخاذها في السياسة الدولية[٢].

يقسم مورتون كابلان النظم الدولية إلى ستة أنواع هي[٣]:

---

(١) قدم مورتون كابلان تصوره القائم على أساس جعل النظام الدولي ككل هو موضع التحليل في دراسة السياسة الخارجية، في حين قدم جورج موديلسكي فرضيته المبنية على وجود نموذجين رئيسين للتنظيم الاجتماعي والاقتصادي، وهما النموذج الزراعي والنموذج الصناعي، ولكل منهما مضامين متميزة فيما يخص السياسة الخارجية للدول منفردة، وللسياسات الدولية ككل. راجع: جيمس دورتي – روبرت بالتسغراف، مصدر سبق ذكره، ص ٢٠.

(٢) ريموند حداد، مصدر سبق ذكره، ص٢٠٢. وجيمس دورتي – روبرت بالتسغراف، مصدر سبق ذكره، ص ١٢٧ – ١٣١.

(٣) الدكتور إسماعيل صبري مقلد، نظريات السياسة الدولية دراسة تحليلية مقارنة، مصدر سبق ذكره، ص ١٥٥ – ١٥٦. لمزيد من المعلومات انظر:

Weitman, Jahan,System Theory International Relations, University Of Jouthern Californig, 1973, p. 20. النظام الدولي كما يراه هولستي "هو تجمع يضم كيانات سياسية مستقلة بصفة قبائل، دويلات، مدن، أمم، أو إمبراطوريات تتفاعل فيما بينها بتعاقب معقول وطبقًا لعمليات منتظمة". راجع: Waltz, Op.Cit., P.51.

أ – نظام توازن القوى Balance of Power System[١].

ب- نظام القطبية الثنائية الهشة Loose Bipolar System.

ج - نظام القطبية الثنائية المحكمة Tight Bipolar System.

د – النظام العالمي Universal System.

هـ - النظام الدولي الهرمي Herarchial System.

و – نظام وحدة الفيتو Unite Veto System.

وفيما عدا النظامين الأولين فإن النظم الأربعة هي نظم افتراضية لم تتحقق تاريخيًّا وإن كان من الممكن أن تنبثق إلى الواقع كما يزعم كابلان في مراحل تاريخية لاحقة[٢].

وقد استخدم كابلان خمسة متغيرات في النظام الدولي والتي تعد مهمة لوصف أية وحدة دولية والتي تتركز في: القواعد الأساسية للنظام، وقواعد الانتقال، والمتغيرات المصنفة الفاعلة، والمتغيرات القادرة، والمتغيرات التي لها علاقة بالمعلومات[٣].

---

(١) إن مفهوم توازن القوى مفهوم غامض، إلا أنه يمكن القول بشكل عام بأن توازن القوى يشير إلى وضع أو اتجاه أو قانون عام لسلوك دولة معينة، أو دليل لرجل الدولة، أو هو صيغة تمثل إطارًا يتم من خلاله الحفاظ على عدد محدد من النظم الدولية. راجع: جيمس دورتي – روبرت بالتسغراف، مصدر سبق ذكره، ص ٢٩.

(٢) الدكتور إسماعيل صبري مقلد، نظريات السياسة الدولية دراسة تحليلية مقارنة، مصدر سبق ذكره، ص ١٥٦.

(3) Ibid.,

كان نظام توازن القوى لكابلان الذي كان من بين هذه المتغيرات الخمسة من أكثر الأنظمة اهتمامًا والذي كان سائدًا في القرن التاسع عشر، وقام على القواعد الآتية[1]:

١- العمل على زيادة القدرات، ولكن في إطار المفاوضات أكثر من مفهوم القتال.

٢- القتال بدلًا من أن تخفق في زيادة القدرات.

٣- إيقاف الحرب أكثر من التخلص منها كعمل وطني أساسي.

٤- العمل على معارضة أي ائتلاف أو أي عمل فردي مع الميل لتبني وضع الهيمنة، أخذًا بنظر الاعتبار استقرارية النظام.

٥- إجبار الفاعلين عن منع الطرف الذي يسعى للاشتراك في المبادئ المنظمة لمفهوم ما فوق القومية.

٦- سماح الفاعلين الوطنيين الأساسيين للاعب خاسر بدخول النظام بصفته كشريك، أو السعي من أجل قبولهم مشاركة الدور أو العمل لجلب الفاعل الأساسي السابق ضمن تصنيف الفاعل الأساسي، ومعاملة الفاعلين الأساسيين لمشاركة الدور المقبول.

في مقارنة للأحداث أو التغييرات التي حدثت على الساحة الدولية، نستطيع القول: إن النظام الدولي الذي كان سائدًا قبل الحرب العالمية الثانية القائم على

---

(1) Ibid., Kaplan Morton, "Variants On Six Models Of International Politics & Foreign Policy: Areader In Research & Theory ",The Free Press, New York, 1969, PP.292 –293.

توازن القوى بين الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتي (السابق) كانت هرمية النظام الدولي تُعد في مرحلة القطبية الثنائية المحكمة أو الصلبة، ففيه تختفي الأطراف غير المنحازة إلا نادرًا، والقاعدة في هذا النظام هي أن تكون منتميًا إلى أي من الكتلتين أو تفقد الوجود المؤثر في هذا النظام، كما أن الأطراف العالمية كالمنظمات تفقد دورها كوسيط في نزاعات الكتلتين، فضلًا عن فقدان الشعور بالتضامن.

ولكن بعد التطور التدريجي في الإمكانية الذاتية للقوى الكبرى مثل فرنسا وبريطانيا والصين الشعبية بعد الحرب العالمية الثانية الذي أدى إلى امتلاكها للسلاح النووي وكسر الاحتكار النووي من القوتين العظميين نتج عنه تحول من القطبية الثنائية الصلبة إلى القطبية الثنائية الهشة أو المرنة.

في النظام القائم على القطبية الثنائية الهشة نجد أن الأطراف فوق القومية أخذت تشارك جنبًا إلى جنب مع الأطراف القومية في القيام بالأدوار الرئيسة.

وفي نظام القطبية الثنائية الهشة يقوم طرف قائد بدور القطب الرئيس في كل تكتل دولي، وفي داخل هذا النظام تتعقد الأدوار والوظائف والمسئوليات وتميل إلى التخصص على نحو يسمح بالقول بأن نظام القطبية الثنائية هذا يتميز بدرجة من التعقيد في طبيعته وعلاقاته وتفاعلاته.

ويلاحظ مورتون كابلان أنه "إذا كان نظام القطبية الثنائية الهشة يسمح من حيث المبدأ بوجود بعض الكتل الدولية الأخرى فإن هذه الكتل بصورة عامة تكون على مستوى من الإمكانيات أقل بكثير من الكتلتين الرئيستين اللتين تشكلان بقوتهما الضاربة حجر الأساس في هذا النظام كله"[١].

---

(١) الدكتور إسماعيل صبري مقلد، نظريات السياسة الدولية، مصدر سبق ذكره، ص١٥٨ و:
Waltz, Op.Cit., PP.51-59

ولهذا فإن هذه الكتل ذات الإمكانيات المحدودة لا يمكنها التأثير في الصراعات التي تنشب بين الكتلتين الرئيستين وبأي شكل فعال.

ولكن ثمة تحولات قد طرأت على النظام الدولي القائم أدت إلى حدوث التحولات التي شهدها، من هذه الأحداث[١]:

أ- التحولات في المعسكر الاشتراكي.

ب - الثورة الصناعية الثالثة (ثورة المعلومات).

ج - انحسار فاعلية دول العالم الثالث ودول حركة عدم الانحياز.

د – التكتلات الاقتصادية الكبرى.

هـ - هيمنة الولايات المتحدة الأمريكية.

ولا بد من الإشارة هنا إلى أن توظيف الولايات المتحدة لبعض تطبيقات الثورة التكنولوجية، ولا سيما في مجال إدخال أنظمة جديدة من الأسلحة النووية وتطوير بعض حلقاتها التسليحية المهمة قد عجل بانتهاء معادلة (توازن الرعب النووي) الذي كان سائدًا بين القوتين العظميين، وبالتالي انتهاء مرحلة القطبية الثنائية ونشوء واقع دولي جديد يتسم بخواص تختلف عما سبقه تتجسد في انقلاب كمي ونوعي في ميزان القوى العالمي، ووجود بنية عسكرية قائمة على هيمنة قطب واحد وهو الولايات المتحدة الأمريكية.

ومن هنا تأتي الخطورة في امتلاك طرف دولي قوة تميزت بالأرجحية على باقي أطراف النظام، وينطبق هذا على الولايات المتحدة التي تسعى لديمومة هيمنتها

---

(١) أحمد زكي الجادر، النظام السياسي الدولي والصراع العربي الإسرائيلي، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة بغداد، كلية العلوم السياسية، ١٩٩٣، ص٢١ – ٣٥.

على الساحة الدولية، وفرض إرادتها على معظم المجتمع الدولي، مع عدم ترددها في استخدام القوة العسكرية واختراق سيادة الدول والتدخل في شئونها الداخلية، فضلًا عن أنماط سلوكية أخرى.

ولذلك فإن انهيار الاتحاد السوفيتي (السابق) قد أحدث في الواقع تغييرات أساسية في النظام وفي نمط تفاعلاته؛ إذ أدى غياب الاتحاد السوفيتي (السابق) وانتهاء دوره العالمي إلى تقليل هامش المناورة والحركة للدول الصغرى.

ومن بين الحقائق الملموسة على صعيد الممارسة الأمريكية الكونية في أعقاب الحرب الباردة، أن الولايات المتحدة صارت تعتمد على سياسة الترهيب والتهديد لتقييد حركة الدول والأنظمة السياسية وتأمين انسياقها وراء السياسة الأمريكية بما يؤمن قدرًا أكبر من المصالح التي تسعى لتحقيقها والتي لم تكن بمعزل عن الغاية النهائية للإستراتيجية الأمريكية الكونية أي السيطرة على العالم[١].

لقد أصبحنا الآن بعد مناقشة تفرد وهيمنة الولايات المتحدة في الوضع الدولي الحالي وأساليبها التعسفية نتساءل: هل ما يزال النظام الدولي هو النظام المرن أو الهش؟

بعد كل ما ناقشناه من تفرد أمريكي وسياسة متغطرسة نجد أن النظام الدولي الآن يتجه، وبحسب التصنيف الذي وضعه مورتون كابلان من جهة، وطبقًا للمساعي الأمريكية وما تعلن عنه في سياستها الخارجية من جهة أخرى، نرى هذا النظام يتجه نحو النظام العالمي، وهو ما يقترب مع ما أطلق

(١) عارف محمد خلف البياتي، أثر المتغيرات الدولية الجديدة على السياسة الخارجية السورية (١٩٨٥ – ١٩٩٥)، رسالة دكتوراه غير منشورة، جامعة بغداد، كلية العلوم السياسية، ١٩٩٦، ص٣٢.

عليه العولمة أو الكوكبة... إلخ من تسميات تعبر عن نظام عالمي يتجه للاندماج.

النظام العالمي يظهر عندما يدعم دور أحد الأطراف العالمية في نظام الثنائية المرنة، ويتميز هذا النظام بدرجة عالية من الاندماجية وعلاقات التضامن، وإذا نشأت تحالفات سياسية إقليمية في نطاقه فهي تكون مقيدة بالقواعد السياسية الرسمية التي يقرها هذا النظام ويتخذها معيارًا لأنشطته وعلاقاته.

ويسعى هذا النظام إلى دمج النظم القيمية للدول القومية للتمهيد لظهور معايير قيمية عالمية متفق عليها، ومن دلائل هذا التحول الجديد في نماذج القيم أن المكانة الأدبية والسياسية والمنح والمكافآت التي تحصل عليها الدول من هذا النظام العالمي لا تتقرر تبعًا لما تمتلكه تلك الدول من إمكانيات، وإنما يكون المعيار هو ما تشارك به فعلًا في تحقيق أهداف هذا النظام العالمي.

وفي مقارنة بسيطة لسمات هذا النظام العالمي مع السياسة الخارجية الأمريكية نجد أنهما متطابقان، وتسعى الولايات المتحدة للوصول إلى هذا النظام العالمي بشرط أن تتزعمه هي وحدها.

ولا يغيب عن بالنا أن نذكر أنه من المتوقع أيضًا تصاعد قوى أخرى اقتصاديًّا إلى جانب الولايات المتحدة الأمريكية مثل ألمانيا، واليابان، أو حتى الاتحاد الأوروبي، ونضيف إليها مساعي روسيا الاتحادية في أن ترجع المكانة الدولية التي كان يتمتع بها الاتحاد السوفيتي (السابق)، تصاعد هذه القوى قد يُبقى النظام ثنائيًّا (أو متعدد) القطبية المرنة أو الهشة، بسبب تعدد الأطراف الدولية.

ومن الجدير بالذكر أن مساعي ومحاولات ومشروعات إصلاح الأمم المتحدة كأعلى منظمة دولية قد يعزز ظهور مثل هذا النظام ذي القطبية الثنائية أو المتعددة المرن(١).

نخلص هنا إلى أن أهمية هذا العامل تكمن في إحداث تغيير أساسي في النظام الدولي القائم، وما ينطوي عليه هذا التغيير من أثر في تحديد نوعية العلاقات بين الأطراف الأساسية في النظام الدولي وما يترتب عليه من انعكاسات على حركة السياسة الخارجية للدول المختلفة وتبعًا لإمكانياتها وقوتها المتفاوتة.

وعلاوة على ذلك فإن التغيير في الإمكانيات والموارد وما يتبعها من تغيير في القدرة التأثيرية ستؤدي بالتأكيد إلى الإخلال في التوازن الدولي.

وهنا تكمن الخطورة ولا سيما إذا أدى التغيير إلى انفراد فاعل قوي أساسي، حيث لا يتوقع أن يؤدي دورًا وفقًا لأحكام اللعبة، وإنما طبقًا للاتجاهات التي تخدم استمرار مركزه الدولي وقوة تأثيره(٢).

وبالتالي فإن قدرة أو عدم قدرة صانع القرار السياسي الخارجي في اتخاذ القرار السياسي تتوقف على إدراكه لما يمتلكه من قدرات وإمكانيات تتيح له ولو هامشًا بسيطًا من حرية الحركة السياسية الدولية المستندة إلى القوة والنفوذ، ومدى استعداده أن يقوم بدور فاعل ومؤثر وأيضًا مستقل في المجتمع الدولي.

---

(١) لمزيد من التفاصيل حول مشروعات إصلاح الأمم المتحدة راجع: أحمد الرشيدي وآخرون، الأمم المتحدة ضرورات الإصلاح بعد نصف قرن وجهة نظر عربية، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ١٩٦٦.

(2) Kaplan, Mocton A., Balance of Power, In: Rosenau, James World Politics: An Introduction (New York: Adivisen of Macmilan Publishing, 1979), p.345.

وجه غونبدك بعض الانتقادات إلى كابلان والتي أشارت إلى عدم تحديده للعناصر المؤثرة على سلوك الأشخاص الدوليين، والمثال على ذلك هو نموذج نظام توازن السلطة الذي كان قائمًا بين القوى العظمى والذي كان يعني قائمًا من أجل تبرير مفهوم التوسع الاستعماري[١].

إن منهج التحليل النظمي قد أدخل مفاهيم جديدة إلى تقاليد التحليل السياسي، ومبرزًا الطابع الحركي للنظام السياسي من خلال التأكيد على التفاعل بين النظام والبيئة، ومساعدة الباحث في جمع وتصنيف المعلومات وعرض نتائج البحوث[٢].

على الرغم من المزايا التي تحدث عنها أنصار المنهج النظمي فإن هناك بعض الانتقادات توجه إليه يمكننا إيجازها في الآتي[٣]:-

١- الاهتمام المبالغ فيه باستمرار النظام، وهذا يعني أن نظرية التحليل النظمي هي محافظة بطبيعتها ومتحيزة للوضع القائم. وبالتالي هي غير صالحة لتناول النظام السياسي إبان حقب التغيير الثوري.

٢- يعكس هذا المنهج مستوى عاليًا من التجريد، وافتقار عناصره إلى التحديد الإجرائي الواضح، مما يقلل من فرض استخدامه في البحث السياسي التجريبي المقارن.

---

(١) المصدر نفسه، ص٢٠٢ – ٢٠٣.

(٢) المنوفي، مصدر سبق ذكره، ص٩٩.

(٣) المصدر نفسه، ص٩٩–١٠٠ والدكتور إسماعيل صبري مقلد، نظريات السياسة الدولية دراسة تحليلية مقارنة، مصدر سبق ذكره، ١٧٠ – ١٧٥.

٣- يعاب عليه تناوله السريع الغامض لعنصر التحويل، فقد اكتفى بالقول بأن هذه العملية تحدث داخل أبنية النظام، دون أن يوضح ماهية هذه الأبنية والوزن النسبي لكل منها والتفاعلات التي تحدث بداخلها. ولهذا السبب دُفع بعض المؤلفين إلى تسمية هذا النموذج بالصندوق المظلم أو الأسود.

٢ – المنهج المقارن:

"المقارنة هي التمييز بين أو وصف الخصائص والصفات المشتركة أو المختلفة لشيئين أو أكثر؛ أي هي تقصي نقاط التشابه أو الاختلاف وتحل المقارنة أحيانًا محل التعريف أو تكمله. وقد تعني المقارنة أيضًا النتيجة التي قد تتمخض عن أي من تلك الدراسات"(١).

وفي هذا المجال يقول الفيلسوف الاجتماعي الفرنسي أليكس دي توكفيل: "إن المقارنة شيء أساسي للفكر البشري، علاوة على أنها جوهر المنهج العلمي، فمقارنة ماضي أمتنا وحاضرها، ومقارنة تجاربنا بتجارب الأمم الأخرى يعمق من رؤيتنا لمؤسساتنا الخاصة، ويتيح لنا تفحص سياسات المجتمعات الأخرى ورؤية مدى أوسع من البدائل السياسية، ويلقي الضوء على فضائل حياتنا

---

(١) الدكتور محمد محمود ربيع، مناهج البحث في السياسة، مطبعة جامعة بغداد، بغداد ١٩٧٨، ص٢٤٩.

انتقد روي مكريدس في عام ١٩٥٥ في كتابه "دراسة السياسة المقارنة" المنهج التقليدي للتحليل السياسي، على الرغم مما قدمه هذا المنهج في مجال البحث العلمي. فلم تكن دراسته إلا المقارنة بالشكل والتسمية، لا بل غير مقارن في فحواه، فجل دراسته اهتمت بدولة واحدة أو غلب عليها جانب الوصف في تناول المؤسسات في عدد من الوحدات الدولية. راجع: الدكتور كاظم هاشم نعمة، في السياسة المقارنة المداخل النظرية، تالة للطباعة والنشر، طرابلس، ١٩٩٨، ص٤٠.

السياسية وعيوبها. وبإخراجنا من شبكة المسلمات والترتيبات المألوفة التي اعتدنا العمل من خلالها، فإن التحليلات المقارنة تساعدنا على توسيع وعينا للإمكانات الكامنة في السياسة"(١).

ويتشابه هنا منطق المناهج المقارنة المستخدمة من قبل العلماء السياسيين ومفهومها مع تلك المستخدمة في العلوم الدقيقة. إن العالم السياسي لا يستطيع أن يصمم تجارب يتفحص من خلالها الترتيبات السياسية ويراقب النتائج، لكن من الممكن وصف وشرح مجموعة مختلفة من الأحداث والمؤسسات الموجودة في سياسات المجتمعات المختلفة(٢).

قبل ألفي عام استعرض أرسطو في كتابه "السياسة" البنى الاقتصادية والاجتماعية للعديد من المدن اليونانية في مسعى لمعرفة كيفية تأثير البيئة الاجتماعية والاقتصادية على المؤسسات والسياسات(٣).

قارن روبرت دال، وهو عالم سياسي حديث، في دراساته عن الديمقراطية، بين الخصائص الاقتصادية، والثقافية، والتجارب التاريخية للعديد من الأمم المعاصرة في محاولة لاكتشاف تركيبات الظروف والصفات المميزة التي ترتبط بذلك الشكل من أشكال الحكومة(٤).

---

(١) جابرييل إيه. آلموند جي. بنجهام باويل الابن، السياسات المقارنة في وقتنا الحاضر نظرة عالمية، ترجمة: هشام عبد الله، الدار الأهلية للنشر والتوزيع، المملكة الأردنية الهاشمية – عمان، ١٩٩٨، ص ١٥.

(٢) المصدر نفسه، ص ١٥.

(٣) المصدر نفسه، ص ١٥.

(٤) المصدر نفسه، ص ١٥.

قارن منظرون آخرون في محاولتهم لتفسير الفروق بين أعمال وإنجازات الأنظمة السياسية والأنظمة الدستورية والأنظمة الاستبدادية، والديمقراطيات ثنائية الأحزاب مع الديمقراطيات متعددة الأحزاب، والحكومات المستقرة مع الأنظمة المزعزعة[١].

والتحليل المقارن أداة قوية ومتعددة الاستعمالات، فهو يحسن القدرة على وصف وفهم العمليات السياسية والتحولات السياسية في أي بلد بتقديم مفاهيم ونقاط مرجعية من منظور أوسع، ويحفز أسلوب المقارنة أيضًا على صياغة نظريات عامة عن العلاقات السياسية، كما أنه يشجع ويدفع إلى اختبار النظريات السياسية بمقابلتها بتجارب مؤسسات وأوضاع عديدة[٢].

ولا بد من الإشارة في هذا المجال إلى أن الآراء متباينة حول دلالة المنهج المقارن، وفي هذا المجال يطرح ماكوون اتجاهات خمسة بالإمكان إيجازها في الآتي: يؤكد الأول منها أنه أحد أشكال القياس، في حين يشير الثاني إلى أنه أداة تستخدم لتوضيح أحد المفاهيم وخلفيته الواقعية، والثالث يتضمن على نحو مرادف منطق التحليل العلمي، والرابع يشمل أحد أنماط البحث العلمي، أما الأخير فإنه يشير إلى إحدى صيغ تحليل مشكلة التكامل والتعامل الثقافي بين الدول ومعالجتها[٣].

يستخدم المنهج المقارن أسلوب الملاحظة والاستنتاج في مراحل البحث المختلفة خلال وضع الفرضية أو عند التأكد من المصادر والقواعد من أجل

---

(١) المصدر نفسه، ص ١٥ -١٦.

(٢) المصدر نفسه، ص ١٦.

(٣) الدكتور مازن إسماعيل الرمضاني، مصدر سبق ذكره، ص١٣٠.

الوصول إلى التعميمات أو النظريات الناتجة عن البحث. وعلية يمكننا القول في هذا المجال بأن هذا المنهج يعد الأساس العلمي الذي يقدم التفسير في العلوم الاجتماعية، وعلى صعيد المستويات الآتية في البحث: الوصف وبناء النماذج والتحقق من القوانين(١).

يقوم هذا المنهج بمقارنة السياسة الخارجية لدولة معينة مع السياسة الخارجية لدولة أخرى من أجل الوصول إلى نقاط الشبه أو الاختلاف فيما بينهما(٢). ويطبق المنهج نفسه على السياسة الخارجية لدولة معينة في حقبتين لكل منهما طابعها الخاص، أو في حقبتين لكل حقبة منهما زعامة خاصة تختلف عن زعامة حقبة أخرى تالية أو لاحقة، والغاية من ذلك هي التوصل إلى إبراز أوجه الشبه ونقاط الاختلاف، وأوجه النقص والقوة في حالة وجودها من خلالها المقارنة بين السياسة الخارجية خلال الحقبتين أو السياسة الخارجية بين الدولتين المعنيتين، فضلًا عن ذلك يطبق المنهج المقارن على السياسة الخارجية لأكثر من دولتين(٣).

وتبعًا لذلك يعد المنهج المقارن وسيلة لبحث وتقليل الظواهر المختلفة وتقصي الجذور التاريخية من خلال إبراز أوجه الشبه أو الاختلاف في الأنموذج والأسلوب، إلا أن هذا لا يمنع الحديث عن المشكلات الحديثة بمنهج مقارن كما

---

(١) الدكتور غازي فيصل، منهجيات وطرق البحث في علم السياسة، مطابع دار الحكمة، بغداد، ص٢٧.

(٢) الدكتور عبد الله سعود القباع، السياسة الخارجية السعودية، الرياض، ١٩٨٦، ص٢٨، والدكتور فاضل زكي محمد، مصدر سبق ذكره، ص١٤.

(٣) الدكتور محمد علي العويني، العلاقات الدولية بين النظرية والتطبيق، القاهرة، ١٩٨٠، ص. قارن مع: الدكتور كاظم هاشم نعمة، في السياسة المقارنة المداخل النظرية، مصدر سبق ذكره، ص١٥، ٤١.

هو الحال بالنسبة لمعظم الدراسات المعاصرة التي تكاد تنتمي بما تحويه من مادة ومشكلة إلى حقل السياسة الخارجية[١].

تم استخدام المنهج المقارن في بداية الأمر على مستوى الدول الأوروبية، أما الآن فإنه يستخدم في الأقطار غير الأوروبية، فضلًا عن ذلك فإنه لم يعد يقتصر على إبراز الجوانب الشكلية للمؤسسات، بل تجاوز ذلك ليشمل دراسة الجماعة السياسية والأبعاد والمواقف المؤثرة في عمليات صنع القرار في مختلف الدول، وقد أدى هذا الأمر إلى أن تتحول دراسة التاريخ الدبلوماسي من التوقف عند القرارات الدبلوماسية وتصرف الدبلوماسيين، لتشمل تأثير السياسة الداخلية لكل دولة على سياستها الخارجية، والتفاعل بين السياستين الداخلية والخارجية[٢].

والحق، كانت هناك بعض العوامل التي أسهمت في بلورة الدراسة المقارنة في السياسة الخارجية، وبالإمكان إيجازها في عاملين رئيسين هما:-

١- التطورات الدولية التي حصلت في الستينيات من هذا القرن. وهذه التطورات لها علاقة بتوسيع حجم السياسات الخارجية التي كانت حكرًا على الدول الأوروبية، وذلك بعد بزوغ دول جديدة في العلاقات الدولية، الأمر الذي أدى إلى ظهور مفهوم ما يسمى "بديمقراطية العلاقات الدولية"، وكانت سببًا في فتح المجال أمام الدارسين لمتابعة علاقات بعضها ببعضها الآخر.

---

(١) الدكتور محمد محمود ربيع، مصدر سبق ذكره، ص٢٥٠.

(٢) جبريال آلموند، استهلال الدراسة المقارنة للسياسة الخارجية، بإشراف روي مكريدس: مناهج السياسة الخارجية في دول العالم، ترجمة الدكتور حسن صعب، دار الكتاب العربي، ١٩٦٦، ص١٧. قارن مع الدكتور كاظم هاشم نعمة، في السياسة المقارنة المداخل النظرية، مصدر سبق ذكره، ص١٣-١٩.

٢- التطور العلمي:

إن الدراسة المقارنة في الستينيات من هذا القرن وفي مجال السياسة الداخلية كان لها التأثير الواضح على الدراسات المقارنة في السياسة الخارجية، ولأسباب عديدة من بينها التوسع في حجم المعلومات، وانهيار الحواجز بين السياسة الداخلية والسياسة الخارجية، إلى درجة أنْ أصبحت الأخيرة تعكس الأولى في النظام السياسي الدولي(١).

وكان لبعض الفقهاء في السياسة الخارجية دورهم في إبراز هذه الدراسة، ومنهم على سبيل المثال روزيناو، الذي نادى في عام ١٩٦٨ بإسباغ هذه الدراسة بالعلمية، وإنشاء النظرية، الأمر الذي شجع أنصار الدراسة المقارنة على تطوير هذا المفهوم في السبعينيات.

والحق، قد أسهم كل من ريتشارد سنايدر وروزيناو وميخائيل رودلف روميل ووليم كوبلين وميخائيل أوليري وجونشان ولكينفليد في إيجاد نظريات المقارنة في السياسة الخارجية(٢).

نخلص من ذلك إلى أن الدراسة المقارنة في السياسة الخارجية هي كل تحليل يجعل وحدته تدور حول أكثر من نموذج واحد من نماذج السياسة الخارجية من أجل البرهان واكتشاف أوجه الاختلاف وأوجه التشابه أو كليهما(٣).

---

(١) الدكتور ناصيف يوسف حتي، النظرية في العلاقات الدولية، دار الكتاب العربي، بيروت ١٩٨٥، ص١٩٢-١٩٣.

(٢) الدكتور كاظم هاشم نعمة، نظرية العلاقات الدولية، طرابلس، ١٩٩٩، ص١٨١-١٨٤.

(٣) الدكتور حامد ربيع، نظرية السياسة الخارجية، مصدر سبق ذكره، ص ٩.

والدكتور كاظم هاشم نعمة، في السياسة المقارنة المداخل النظرية، مصدر سبق ذكره، ص ١٤-١٨.

والحق، تتجلى الدراسات المقارنة بشكل واضح بخصوص التحليل الانتخابي، فعلاقة الارتباط بين النواحي المكروكزمية والميكروكزمية تسمح بالتمييز بين أربعة اتجاهات في التحليل، يمكننا إيجازها في النقاط الآتية:

١- ميكرو ميكرو Micro-Micro، حيث يكون أساس المقارنة هو كل ما له صلة بخصوص الفرد أي الناخب.

٢- مكرو مكرو Macro-macro، حيث نجعل أساس المقارنة يدور حول الوسط الهيكلي، أي حول خصائص النظام السياسي.

٣- ميكرو ومكرو Micro-Macro، وفيها يتم التحليل ويدور حول آثار الاتجاهات والقرارات الفردية على السياسة العامة والإستراتيجية العامة سواء للحزب أو للحكومة.

٤- مكرو ميكرو Macro-Micro، وهي تدور حول مدى آثار التحفظ واحترام الشرعية من جانب نظام معين على استقرار وثبات النظام السياسي الكلي.

والحق، أن الأنموذج الأفضل لدراسة السياسة الخارجية هو الوصول إلى أهم نماذج صانعي القرار، والتعرف على الأحوال الملائمة لبروزهم واستمرارهم وتغيرهم، فتتجاوز بذلك التمييز القائم في الوقت الحاضر بين قوى عظمى وصغرى، ودول استعمارية وأخرى مسالمة، ودول ثورية وأخرى محافظة[1].

---

(١) الدكتور حامد ربيع، نظرية التحليل السياسي، مصدر سبق ذكره، ص٢٥ – ٢٦.
التحليل على مستوى الميكرو والتمييز بينه وبين التحليل على مستوى المكرو، هو أحد إنجازات الفكر الاقتصادي المعاصر، أساس هذه التفرقة هو أن التحليل من الممكن أن يتم على واحد من مستويين: إما على مستوى الفرد المنعزل، الوحدة النهائية للسلوك الاقتصادي، وهو على مستوى المجموعة، الحقيقة الشاملة وهكذا فجميع كليات الوجود الاقتصادي: الادخار =

ينطوي هذا المنهج على مزايا عديدة، لعل من بينها أنه يساعد على وصف السياسة الخارجية من حيث شموليتها وتفسيرها من خلال ربط الأفعال التي تقترن بها وأسبابها والوصول إلى أسلوب التنبؤ في تفسير السلوك السياسي الخارجي، ويمكننا أن نذهب إلى القول بأن هذا المنهج يستطيع أن يقدم مقترحات تتضمن ما ينبغي أن يكون عليه السلوك السياسي الخارجي(١).

٣ - المنهج التحليلي:

من الناحية التاريخية، فقد أشار إلى هذا المنهج كل من أرسطو في دراسته للمنطق، وإيمانويل وهوسيرل(٢).

ويمكننا أن نعرف التحليل بأنه "عملية تعريف وتقويم للأجزاء التي يتكون منها الكل، وبتعبير آخر هو تعريف وتقويم للأجزاء المكونة للموضوع قيد البحث كوسيلة للحصول على معرفة غنية وجديدة، والمنهج التحليلي يتخذ أشكالًا ومستويات مختلفة تبعًا لطبيعة ذلك الموضوع، وإن تعدد عمليات التحليل يعد شرطًا لتوفير إدراك أعم وأشمل له"(٣).

= والاستثمار والاستهلاك من الممكن أن نتصورها على مستوى ميكرو؛ أي مستوى الفرد المواطن، أو على مستوى مكرو؛ أي مستوى كلي أو جماعي. وبعبارة أكثر دقة: إن التحليل المكرو يعني التحليل على مستوى الظاهرة الكلية التي تنتهي في أقصى درجاتها إلى أن تتحدد بالدولة أو الأمة إلى الجماعة السياسية الكلية، أما التحليل الميكرو فيعني التحليل على مستوى الفرد أو المواطن كوحدة للتحليل. راجع: الدكتور حامد ربيع، نظرية التحليل السياسي، ص ٢٣.

(١) الدكتور مازن إسماعيل الرمضاني، مصدر سبق ذكره، ص ١٣٣-١٣٤.

(٢) الدكتور محمد محمود ربيع، مصدر سبق ذكره، ص ٢٤٠.

(٣) المصدر نفسه، ص٢٤٠.

=

=

وفي هذا المجال لا بد من التمييز بين أسلوب الاستقراء وأسلوب الاستنباط، حيث يشير الأول إلى كيفية الانتقال من الخاص إلى العام، وبعبارة أخرى، هو عملية تقويم لحكم معين، وهذا الحكم قد يكون مرده الملاحظة، أو المنطق المجرد. أما الثاني فإنه يشير إلى الانتقال من العام إلى الخاص، وهو تفريغ نتيجة على قاعدة أو حكم، هو بطبيعته عملية منطقية، ولكن هذه العملية قد تكون مجربة وقد ترتبط بواقعة معينة، وهي على كل حال عملية تطبيق وتخصيص.

وهذا ما يقودنا إلى أن نميز بين المنهج الاستدلالي والمنهج التجريبي، ففي المنهج الاستدلالي نرى أن موضوعه يتحدد في المخلوقات العقلية، الذي لا يقتصر على السير من الكل إلى الجزء، بل يسير من الخاص إلى العام، وهذا يعني أن هذا المنهج يقترب كثيرًا من المنهج الاستقرائي، الذي يقوم على أساس الانتقال من الخاص إلى العام. أما المنهج التجريبي فإن موضوعه يتمحور في الوقائع الخارجية؛ أي وقائع تتجاوز العقل سواء أكانت خارجة عن النفس إطلاقًا أم باطنة فيها؛ أي عدم الاعتماد على مبادئ الفكر وقواعد المنطق الصورية وحدها، والاعتماد على التجربة في البحث العلمي. راجع: الدكتور عبد الرحمن بدوي، مصدر سبق ذكره، ص ١٢٧-١٢٨، علمًا بأن العلوم الطبيعية تعتمد اعتمادًا كليًّا على منطق المنهج التجريبي، وترجع إليه حسب ما تقتضي عليه إجراءات البحث وطبيعة المتغيرات والعناصر، أما في مجال العلوم الإنسانية التي تتميز بوجود سلسلة من العلاقات المتداخلة والتي تتسم بالتعقيد بين متغيراتها بسبب اكتنافها بظواهر اجتماعية متعددة على نطاق واسع وارتباطها بجذور تاريخية. ولا بد من التأكيد في هذا المجال على أن هذا المنهج يشير من ناحية أخرى إلى اختيار متغير أو أكثر من ذلك يوجد بينها صلة سببية، ثم القيام بعد ذلك بعزل البقية الباقية من المتغيرات في البيئة، وفي مرحلة لاحقة من ذلك عرض ذلك المتغير إلى منبه لملاحظة التأثيرات المترتبة على هذه العملية، وبعد ذلك الانتقال لدراستها وذلك بالمقارنة مع المتغيرات التي بقيت خارج إطار المنبه المشار إليه. وتجدر الإشارة في هذا المجال إلى أن علماء السياسة لا يعولون على هذا المنهج كثيرًا على الرغم من المزايا العلمية لهذا المنهج. راجع: الدكتور كاظم هاشم نعمة، في السياسة المقارنة المداخل النظرية، مصدر سبق ذكره، ص ٣٤. والدكتور حامد ربيع، نظرية التحليل السياسي، مصدر سبق ذكره، ص٢١.

ساد هذا المنهج في أعقاب الثورة الفرنسية، وقد ركز على أهمية الفهم الصحيح للتطورات الدولية من خلال التعرف على غرض الدولة وأهدافها وتسلسل مصالحها وتحليل الظواهر المتكررة في سياسات الدول الأخرى[١].

يشير هذا المنهج إلى أن للدول نمطًا من المصالح والالتزامات وكذلك تقاليد الدولة من خلال دراسة تاريخها وجغرافيتها وأهداف الأمن القومي وحاجاته، وبموجب هذا المنهج يتم التركيز على عملية السياسة الخارجية Process، وهذا يسهم في تحليلها[٢].

وهذا يعني أن المنهج التحليلي يقوم على ما يقف عليه من حقائق تخص تخطيط السياسة الخارجية والأساليب الموضوعة لها لتحقيق أهدافها. وتبرز أهمية هذه الطريقة في التحليلات التي تجريها للحقائق، وفي الخلاصات والاستنتاجات التي تتوصل إليها[٣].

ويجب أن نؤكد في هذا المجال ما يحتله المنهج التحليلي من أهمية في السلسلة الطويلة من الخطوات التي يستلزمها المنهج العلمي، وفي هذا المجال يرى جون ديوي أن البحث لا يبدأ بالحقائق أو وضع الفروض وإنما بالاعتراف

---

(١) الدكتور عبد الله سعود القباع، مصدر سبق ذكره، ص ٢٦.

(٢) الدكتور محمد علي العويني، العلاقات الدولية بين النظرية والتطبيق، مصدر سبق ذكره، ص٦، وكنيث تومبسون، وروي مكريدس، نظريات السياسة الخارجية ومعضلاتها، من إعداد روي مكريدس، مناهج السياسة الخارجية في دول العالم، ترجمة الدكتور حسن صعب، دار الكتاب العربي، بيروت ١٩٦٦، ص٣١.

(٣) الدكتور فاضل زكي محمد، السياسة الخارجية وأبعادها في السياسة الدولية، مصدر سبق ذكره، ص١٣.

بوجود وضع شائك أو مشكلة تحتاج إلى حل. أما نور ثروب فيرى أن تحليل المشكلة هو الخطوة المهمة، ثم تأتي بعدها مرحلة صياغة الغرض العلمي، بينما يضيف أرنولد بريشت الاعتراف بوضع ما على أنه شائك ثم الانهماك في تحليله هما خطوتان يجب أن تسبقهما فكرة ما يكون الباحث أو فرض تجريبي (فرض عمل) بأن الوضع القائم يخفي مشكلة هامة قد يكون تحليلها ذا علاقة بالمعرفة الإنسانية بشكل عام[١].

٤ - منهج اتخاذ القرار:

يتضمن البحث العلمي أن نميز بين عملية صنع القرار كمنهج لتحليل السياسة الخارجية، وعملية إعداد القرار؛ إذ تعد الأولى "عملية ناتجة عن اختيار خطة ضمن عدد محدود ذي طابع اجتماعي من البدائل التي تهدف إلى صياغة وتحديد الموضوعات المستقبلية التي يعالجها صانعو القرار"[٢]. أو بعبارة أخرى: هناك منهج للحركة يقوم مخطط السياسة الخارجية بتحديده للانتقال من الإعداد إلى التنفيذ على ضوء الأهداف والمصالح القومية والتقاليد التاريخية. وتتأثر هذه النواحي جميعًا بقدرات الدولة الإستراتيجية والتكتلات التي تنتمي إليها من أجل السعي إلى تحقيق أهداف ومصالح الدولة الخارجية[٣].

وبتعبير أدق: إن عملية صنع القرار هي المرحلة المحورية في العملية

---

(١) الدكتور محمد محمود ربيع، مصدر سبق ذكره، ص ٢٤٢.

(2) Snyder, Richard C., H.W.Bruck and Spain, Buron, Foreign Policy Decision Making, NewYork, 1962. P.90.

(3) Norman J, Padelford and George K, Lincion, The Dynamics of International. Politics, NewYork, The Mecmillam Company 1967, PP.214 –215.

السياسية، فقد تم ترتيب القوى السياسية، وبعدها يتم الانتقال إلى سن سياسات رسمية: مشروعات قوانين تقترح وتمرر من خلال المؤسسة التشريعية، أو إصدار مراسيم من خلال القادة، وبعد ذلك يتم الانتقال إلى تنفيذ أهداف السياسة الخارجية، ومن ثم مراجعة النتائج[١].

ويشير المفهوم الثاني إلى "وضع منهج للنشاط الإداري والعلمي بغية تحقيق الأهداف الوطنية، بحيث يشمل هذا المنهج تحديدًا زمنيًّا لتحقيق هذه الأهداف، ويعين الوسائل التي يمكن من خلالها تحقيق هذه السياسة"[٢]. أو بمعنى آخر: إن هناك مجموعة من الأهداف تبغي الدولة تحقيقها، وقد تحددت في ضوء الإمكانيات ومقومات التطور. وقد نظر إلى هذا الأخير نظرة متسعة نسبيًّا من حيث الزمان. هذه العملية من حيث طبيعتها لا تعدو أن تكون محاولة لخلق الاتصال الضروري بين الواقع السياسي والأهداف القومية، ومن ثم يسعى صانع السياسة إلى تخطي الحواجز التي تفصل الأهداف بالإمكانيات[٣].

ولا بد من التأكيد في هذا الشأن على أن عملية صنع القرار تشير إلى عملية التفاعل بين المشاركين كافة على المستوى الرسمي وغير الرسمي في رسم السياسات العامة، فعملية صنع القرار تعد بمثابة الوظيفة الرئيسة الملقاة على عاتق المؤسسات السياسية، وقد تقوم الأخيرة باختيار البديل المناسب من خلال المناقشة والمفاضلة.

---

(1) Almond and Powell, Op.Cit., P.102.

(2) Dutsch, Karl. The Analysis of International Relation, Englewood Prentic – Hall, 1968, P.77.

(٣) الدكتور حامد ربيع، نظرية السياسة الخارجية، مصدر سبق ذكره، ص ١٠.

وقد برز في هذا الحقل ريتشارد سنايدر؛ إذ اعتبر أن الأساس في الوحدة النهائية لتحليل السياسة الخارجية هي عملية صنع القرار. فحوى هذه النظرية هو أن الحركة السياسية لا تعدو أن تكون لموقف تحدد زمانًا ومكانًا وموضوعًا، وهذا يعني أن صانع القرار السياسي، سواء على مستوى الحركة أو على مستوى التنبؤ؛ لا بد أن يقوم بتحديد المتغيرات التي تتحكم في الموقف(١).

وتبعًا لذلك فإنه يحاول التلاعب بهذه المتغيرات من حيث الأبعاد الداخلية والخارجية لعملية صنع القرار للوصول إلى تحديد آثارها على موقفه السياسي، ومن ثم يصل إلى القرار الرشيد الذي يتخذه تعبيرًا عن مصالحه القومية، وقد أدت هذه الدراسة إلى إزالة الفوارق بين حقيقة الحركة السياسية على المستوى الداخلي وحقيقتها على المستوى الخارجي(٢).

---

(١) يعرف الموقف بأنه "مفهوم تحليلي يشير إلى العلاقة بين الحوادث والأهداف والأوضاع، وبين العوامل المنظمة الأخرى التي تشكل محط نظر صانعي القرارات". راجع:

Snyder, Op.Cit,. PP.80-81.

(٢) الدكتور حامد ربيع، نظرية السياسة الخارجية، مصدر سبق ذكره، ص ١٩.

بلور سنايدر ومجموعة من الأساتذة الجامعيين في جامعة بريستون الأمريكية سنة ١٩٥٤ نظرية متكاملة لعملية صنع القرار في السياسة الخارجية، وقد جاء هذا على إثر دراسة قرار الإدارة الأمريكية سنة ١٩٥٠ بالاشتراك في حرب كوريا. إن إسهامات سنايدر لم تقتصر على المجال العلمي فقط، وإنما انصبت أيضًا على منهج التحليل الذي أدخل الدينامية والفعالية للتحليلات السكونية للدراسات السياسية. راجع: منصف السليمي، مصدر سبق ذكر، ص ٩٧.

إذا كان سنايدر قد بلور المدخل العقلاني لعملية صنع القرار في السياسة الخارجية، فنرى أن هناك أساتذة جامعيين تبنوا الاتجاه نفسه، مثل روبرنسون، الذي قدم عمله في هذا المجال مع سنايدر في المدة الواقعة بين ١٩٥٤-١٩٦٢، واللذان أكدا على دور صانعي القرارات الرسميين، وعن طريق إدراكات الفاعلين الدوليين واختياراتهم وتوقعاتهم، ومن وجهات نظرهم أن هذه الأمور

=

=

جميعًا هي عمليات متواصلة بشكل حلقات مترابطة. راجع: د. جمال علي زهران، "عملية صنع القرار في السياسة الخارجية المصرية في نصف قرن (السمات والتحديات)"، السياسة الدولية، العدد ١٤٩، ص٢٣.و:

Norman J.Padelford, and Gaorge K. Lincoin, Op.Cit., PP.214-215 Dutsch, Karl, Op.Cit., P.7.

تجدر الإشارة في هذا المجال إلى أن صانعي القرارات السياسية في السياسة الخارجية يعتمدون على عدد من المستشارين في اختصاصات مختلفة، وفي أحيان كثيرة يتم عرض الموضوع الواحد على تخصصات مختلفة، ونتيجة لذلك يتم التوصل إلى مجموعة من البدائل؛ إذ تعالج قضية معينة، ويوضح لكل بديل مزاياه ومساوئه، كما يرجِّح بديل على آخر، وبهذا يترك لصانع القرار أن يختار البديل الملائم من بين البدائل المعروضة. راجع في هذا المجال:

الدكتور محمد علي العويني، الإعلام الدولي بين النظرية والتطبيق، ط٢، مكتبة الأنجلو مصرية، القاهرة، ١٩٨١، ص٣٠.

والحق، أن عملية صنع القرار في السياسة الخارجية تتم على مراحل، ومن المنطقي أن يكون هناك تركيز على أهمية بعض البدائل السياسية من بين هذه البدائل واستبعاد لبعضها، فعلى سبيل المثال عندما يكتب أحد السفراء تقريره في الدولة المعتمدة لديها، وعندما تأتي مرحلة تقويم هذا التقرير بوساطة المسئول عن شئون تلك الدولة في دائرتها الجغرافية بالوزارة تتبلور السياسة في "ورقة تقدير الموقف Position Paper التي يعدها هذا المسئول في صورة مسودة قد يصدق عليها رئيسه بالموافقة أو يعيد صياغتها أو يرفضها.

وبعد هذه المرحلة تحال هذه المسودة إلى مرافق عليا، وفي هذه الحالة من الممكن الرجوع إلى الدوائر الوظيفية بغية استشارتها، أو حصول موافقة دوائر أخرى، أو قد تعقد اجتماعات لتوحيد وجهات النظر المختلفة. راجع في هذا الصدد: كارل دوتيش، تحليل العلاقات الدولية، ترجمة شعبان محمد محمود شعبان، القاهرة، ١٩٨٣م، ص١٣١-١٣٣.

ولقد قسم Snyder المواقف في السياسة الخارجية إلى الأقسام الآتية:-

١- المواقف المنظمة المحددة، والمواقف غير المنظمة التي تشير إلى الغموض وعدم الاستقرار؛ إذ إنه من الصعوبة بمكان لصانعي القرارات استنتاج دلالات محددة لها.

=

=

٢- المواقف الضاغطة، والمواقف غير الضاغطة، وقد يكون الضغط ناتجًا عن إطار الجهاز الذي يتخذ فيه القرار أو من خارجه.

٣- المواقف الحاسمة، والمواقف غير الحاسمة، وتركز التفرقة في هذا الصدد على مدى ارتباط الموقف بالأهداف الرئيسة التي تكون مركز اهتمام صانعي القرارات.

٤- نوع التأثير الذي يكتنف الموقف من حيث درجة التهديد والعداء.

٥- كيف يتم تفسير المشكلة؟ وكيف يتم تحديد طابعها الوظيفي الرئيس؟ هل هو سياسي أو معنوي أو اقتصادي أو عسكري أو مركب من كل هذه؟

٦- المواقف من حيث البعد الزمني؛ لأن هناك مواقف تفتقر إلى خاصية الثبات.

٧- مدى فرض العوامل الموضوعية على صانعي القرارات، ومدى تأثير المواقف التي تفتقر إلى ضغط العوامل الموضوعية.

إن الذي يقرر اتجاهات وردود فعل صانعي القرارات من هذه المواقف هو خاصية الأهداف التي يرمون إلى تحقيقها من وراء هذه القرارات ومدى ارتباطها باستجابات معينة. راجع: Snyder, Op.Cit., PP.80-82, 179-186.

وبصورة عامة، من الممكن وضع الإطار العام لموضوع "النسق الواحد للاختيار في ثلاثة مواقف رئيسة هي:

١- المواقف الجديدة: هي تلك المواقف التي تتطلب من صانع القرار أكثر من مجرد تطبيق قواعد اتخاذ القرار التقليدية؛ لأنها تتميز بأنها مواقف غير تقليدية، والمثال على ذلك موقف اتخاذ قرار الحرب وإنهاء الحرب أو الدخول في تحالف عسكري رئيس.

٢- المواقف الغامضة: وهي قابلة لأكثر من تفسير واحد، وفي هذا المجال يشير بورنر إلى أن هذه المواقف هي على أنواع ثلاثة:

أ- أن يكون الموقف جديدًا تمامًا؛ أي لم يسبق حدوثه من قبل.

ب- كون الموقف يتميز بالتعقيد، بمعنى آخر، أن يكون هناك تراكم معلومات ينبغي أخذها بنظر الاعتبار.

ج- احتواء الموقف على معلومات متناقضة، من الصعوبة بمكان تفسيرها.

٣- مواقف القلق والإجهاد النفسي: في ظل الإجهاد النفسي تقل قدرة الفرد على تقمص =

=

المعلومات الجديدة أو تفسيرها بطابع التفسير العقلاني، وفي خضم ذلك نرى أن الفرد يحاول استخدام النسق العقيدي كأداة للتعرف واتخاذ القرار. راجع: الدكتور محمد السيد سليم، التحليل السياسي الناصري، دراسة في العقائد والسياسة الخارجية، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ١٩٨٣، ص٣٣-٣٤.

يعد سنايدر من الأساتذة البارزين في مجال تحليل عملية صنع القرار، وقد طبق هذا المفهوم على السياسة الخارجية، إلا أنه لم يستبعد استخدامه في السياسة الداخلية.

وقد أدرك سنايدر وبروك وسابين قصور الأنموذج الإستراتيجي أو الرشيد (استخدم مؤرخو الدبلوماسية الأنموذج الإستراتيجي أو الرشيد في وصف تفاعلات السياسات الخارجية المختلفة وتصرفات زعماء تلك الدول تجاه بعضهم البعض، وبموجب ذلك فإن الدول تشكل وحدات منفصلة تسعى إلى تنظيم أهدافها في السياسة العالمية. وفي هذا المجال يرى هذا الأنموذج عملية صنع القرار على أنها صندوق أسود؛ إذ إنه من الصعوبة بمكان فهم القوى السياسية الداخلية المؤثرة على خياراتها. وعليه نرى أن هذا الأنموذج يفسر السياسة الخارجية في ضوء الفعل ورد الفعل، وطبقًا لذلك يحاول الباحث تفسير كل تصرف على عملية حساب رشيدة لكل تصرف قام به الطرف الآخر.

ويعد المحللون الإستراتيجيون الذين يحللون ظاهرة الردع العسكري ومنظرو المباريات الذين يبدون نماذج أو تجارب لاختبار الحسابات الرشيدة من أهم الباحثين الذين يستعينون بالأنموذج الإستراتيجي). وقدموا أنموذجًا بديلًا لفهم عملية صنع القرار في السياسة الخارجية. راجع: لويد، مصدر سبق ذكره، ص٦-٨.

ومما هو جدير بالإشارة، أن روي مكريدس من أساتذة السياسة الخارجية المقارنة أدخل مفهوم القـرار في إطاره التحليلي. راجع: الدكتور كمال المنوفي، مصدر سبق ذكره، ص ١١٣.

يؤكد هولستي أنه في حالة دراسة الموقف، يتضمن معرفة جميع المتغيرات الداخلية والخارجية التاريخية والمعاصرة التي يعدها صانعو السياسة الخارجية على صلة بالمشكلات التي يعالجونها بقراراتهم، ويرى أنه من الصعوبة بمكان التعميم حول مدى الأهلية التي يتمتع بها كل متغير فيها في أي موقف خارجي؛ إذ إن التقويم النسبي لتلك الأهمية يخضع كل واحد من هذا الموقف. يصنف هولستي تلك المتغيرات على النحو التالي:-

=

درس كثير من الكتاب ظاهرة اتخاذ القرارات السياسية، ومن أكثرهم في هذا المجال ريتشارد سنايدر الذي يعد من المتأثرين بنظرية بارسون العامة في الفعل ورد الفعل التي اعتمدت علم النفس والاجتماع لتفسير العوامل التي تؤثر في

=

١- الانطباعات والصور والقيم والمعتقدات والسمات الشخصية والدوافع السياسية للأفراد الذين تناط بهم مسئولية تقرير الأهداف وتحديد أولوياتها، وتعيين الوسائل الكفيلة بتحقيقها في إطار القاعدة المتاحة من الإمكانات والموارد القومية.

٢- هيكل النظام السياسي الدولي القائم والعوامل التي تؤثر في تفاعلاته واتجاهاته العامة.

٣- الدور القومي في السياسة الدولية.

٤- الاحتياجات المحلية كما يتفهمها الجهاز المسئول عن اتخاذ القرار.

٥- الرأي العام وجماعات المصالح ومنظومة القيم الاجتماعية السائدة.

٦- القيم والتقاليد التي تؤثر في سلوك الأجهزة التنظيمية المسئولة عن اتخاذ قرارات السياسة الدولية.

ويشير هولستي إلى دور كل واحد من هذه المتغيرات بالشكل الآتي:

أ- الصور والاتجاهات والقيم والمبادئ والمعتقدات الشخصية كعنصر أساس في تعريف الموقف الخارجي ورؤيته.

ب- هيكل النظام الدولي، وطبيعة الظروف الدولية السائدة كأحد العناصر الداخلة في تعريف الموقف الخارجي.

ج- أبعاد الدور القومي في السياسة الدولية.

د- عامل الاحتياجات القومية.

هـ - الرأي العام.

و- القيم والتقاليد التنظيمية والجوانب الإجرائية.

راجع: الدكتور إسماعيل صبري مقلد، نظريات السياسة الدولية دراسة تحليلية مقارنة، مصدر سبق ذكره، ص ١٩٨-١٩٩، ٢١٥، والدكتور إسماعيل صبري مقلد، العلاقات السياسة الدولية دراسة في الأصول والنظريات، مصدر سبق ذكره، ص ٣٤.

منهج اتخاذ القرار في السياسة الخارجية، واهتم بذلك أيضًا كل من دويتش وكابلان في تحديد متغيرات السياسة الخارجية، فضلًا عن مودلسكي الذي أولى اهتمامًا بتجميع متغيرات صنع القرار والذي اندرج تحت مفهومي المصلحة والقوة، جاهدًا في بحث العوامل المحددة لأهداف وسلوك متخذي القرار. ويجب ألا يخفى عن البال في هذا المجال دراسات السياسة الخارجية سي رايت ميلز على أنواع القرارات وأهميتها وتأثير المناصب القيادية عليها[١].

تعد نظرية اتخاذ القرارات في السياسة الخارجية من النظريات الأساسية التي يهتم بها أساتذة السياسة الخارجية، وتنصب اهتمامات هذه النظرية على تفاعل الدول مع العوامل المؤثرة في النظام الدولي الذي تعمل في إطاره، والتعرف إلى الكيفية التي يعبر بها هذا التفاعل مع الواقع الدولي عن نفسه من خلال اتخاذ قرارات خارجية محددة تبرز بها الدول اتجاهاتها وتدافع بها عن مصالحها إزاء الأطراف الخارجيين الذين تتعامل معهم[٢].

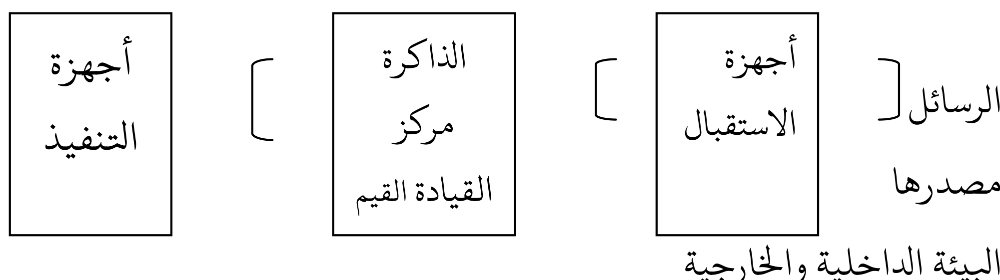
يعد كارل دويتش من رواد منهج الاتصال في دراسة النظام السياسي، طرح أفكاره في هذا المجال من خلال العديد من المؤلفات، من بينها العصب الحكومي، والسياسة والحكم، وكيف يقرر الناس مصيرهم؟

إن عملية الاتصال تعد بمثابة الجانب المحوري في أي نظام سياسي، ويمكننا توضيح ذلك في الشكل الآتي:

---

(١) الدكتور نظام بركات، مصدر سبق ذكره، ص ١٥٥-١٥٦.

(٢) الدكتور إسماعيل صبري مقلد، نظريات السياسة الدولية دراسة تحليلية مقارنة، مصدر سبق ذكره، ص ١٨١.



تتلقى أجهزة الاستقبال Receptors المعلومات في صورة رسائل Messages وتتولى نقلها إلى مركز القرار Center Decision ويعتمد هذا الأخير على ذاكرته Memory (أي المعلومات المختزنة في العقل أو السجلات) وقيمه Values "أي تفضيل قرار على آخر" في التوصل إلى القرار الذي يبعث به إلى الأبنية التنفيذية Effectors التي تتخذ الأفعال والإجراءات الكفيلة بتنفيذه(١).

وهنا لا بد من تحديد بعض المفاهيم المتعلقة بتدفق ومعالجة المعلومات: الحمل، ومقدرة التحمل والاستدعاء، وهنا إلى جانب ذلك مفاهيم تخص القرارات وآثارها: المخرجات ومدة الإبطاء والكسب والتغذية العكسية. والأخيرة تنقسم إلى تغذية عكسية إيجابية وتشير إلى تدفق المعلومات إلى النظام عن نتائج قراراته وتدفعه إلى انتهاج السلوك نفسه من أجل الوصول إلى الهدف، وتغذية عكسية سلبية، وتشير إلى تدفق معلومات إلى النظام عن نتائج قراراته تدفعه إلى تعديل سلوكه في الاتجاه الذي يؤدي إلى بلوغ الهدف. تغذية عكسية تستتبع تغيير الهدف الأصلي أي تدفق المعلومات إلى النظام عن نتائج قراراته تحمله على تغيير هدفه الأصلي(٢).

---

(١) الدكتور كمال المنوفي، مصدر سبق ذكره، ص ١١٨.

(٢) المصدر نفسه، ص ١١٩-١٢٠.

وهناك مفاهيم تخص التجديد والتكيف وهي الأخرى تتفرع إلى: القدرة على التعلم والتحول الذاتي. يؤخذ على المنهج استخدامه لمفاهيم مشتقة من هندسة الاتصال والقوى في تحليل النشاط السياسي، يباشر الإنسان صاحب العواطف تلك التي يصعب التحكم فيها، فضلًا عن وجود عناصر نسق الاتصال، من الصعوبة بمكان إخضاعها للقياس مثل: معنى الرسالة، شدة الرسالة، العلاقة بين مصدر الرسالة وتأثيرها[١].

في حوار بين كيسنجر وترومان، أكد الأول أن البيروقراطية تتجلى في النظام السياسي الأمريكي كأنها الفرع الرابع في الحكومة التي تؤدي الحد من حركة الرئيس في عملية صنع القرار، وقد أجاب ترومان عن ذلك قائلًا: "إذا علم الرئيس ماذا يريد فلن تقف البيروقراطية بينه وبين مراده هذا، فعليه أن يعرف متى يتوقف عن الأخذ بنصائح الآخرين"[٢].

ويرى سنايدر في هذا المجال أن عملية اتخاذ القرارات هي عملية متابعة المراحل؛ إذ تتركز في بيئة قرارية معينة، والأخيرة تضم الوحدات المسئولة عن اتخاذ القرار الخارجي، وهناك عوامل عديدة تؤثر على الأطراف المتفاعلة، وهذه العوامل هي:- الدوافع ومجالات الحيرة ونمط الاتصالات المسيطر، وطرق تفسير البيانات التي تتناول العناصر المختلفة للقرار عن طريق التفاعل بين هذه الدوافع، ونتوصل في نهاية الأمر إلى قرار السياسة الخارجية[٣].

---

(١) الدكتور كمال المنوفي، مصدر سبق ذكره، ص ١٢١-١٢٢، حول منهج الاتصال في دراسة النظام السياسي راجع: Dutsch, Op.Cit., PP.119-131.

(٢) هنري كيسنجر، الدبلوماسية من الحرب البادرة إلى يومنا هذا، ترجمة مالك فاضل البديري، الأهلية للنشر والتوزيع، عمان، ١٩٩٥، ص٩-١٠.

(٣) الدكتور كمال المنوفي، مصدر سبق ذكره.

وقد اقترح سنايدر ثلاث وسائل لتحليل العوامل التي يتبناها صانعو القرار[١]:

١- البيئة الداخلية.

٢- البيئة الخارجية.

٣- صيرورة صناعة القرار.

وعند سنايدر تتكون عملية صنع القرار من مستويات دنيا ثلاثة هي[٢]:

١- دائرة الاختصاص.

٢- الاتصال والمعلومات.

٣- الدوافع والمحركات.

أعطى سنايدر أهمية كبيرة للتحليل السيكولوجي لسلوك صانعي القرار وأفعالهم وردود أفعالهم، فضلًا عن اهتمامه بالجوانب الجغرافية والتاريخية والتكنولوجية. ومن جانب آخر أكد سنايدر على أن "سلوك الدولة يعكس سلوك صانعي قراراتها تبعًا للظروف التي تكتنفهم"[٣].

وفي حقيقة الأمر، إن هناك جملة من الانتقادات توجه إلى منهج اتخاذ القرار لسنايدر، بالإمكان إجمالها في الآتي:

---

(١) منصف السليمي، مصدر سبق ذكر، ص ٩٨.

(٢) المصدر نفسه، ص ٩٩.

(٣) المصدر نفسه، ص ٩٩.

١- إن معالجة سنايدر لموضوع الدوافع في اتخاذ القرارات في السياسة الخارجية تتسم بعدم الوضوح والتحديد[١].

٢- إن منهج اتخاذ القرار في السياسة الخارجية لم يحدد لنا نوعية التأثيرات المتبادلة والارتباطات القائمة بين مختلف العناصر والمتغيرات الأساسية في عملية صنع القرار في السياسة الخارجية، فلا بد من دراسة هذه العناصر والمتغيرات التي تقع في إطـار معين، في حين أن تحديد تفاعلات هذه العناصر وتأثيراتها يدخل في إطار آخر.

٣- في حالات لا حصر لها يكون هناك افتقار في البيانات والمعلومات، كل ذلك يؤدي إلى عدم إمكانية الوصول إلى بناء استنتاجات معينة بشأن عملية صنع القرار في السياسة الخارجية[٢].

٤- مقر التحليل على عملية صنع القرار يعني خلطًا بين مرحلة إعداد السياسة ومرحلة تنفيذها وإدارتها.

٥- يركز منهج صنع القرار على دراسة السياسة الخارجية بتجزئتها إلى مجموعة من القرارات موضحًا دور كل مؤسسة وتأثير كل عامل بيئي في نماذج مختارة من القرارات، ومن ثم فهو يفقد النظرة الشاملة للسياسة الخارجية كمجرد واحد متكامل وليس لمجرد جزئيات، والقدرة على تحديد الخصائص العامة لسياسة دولة ما.

---

(١) للمزيد من التفاصيل حول ذلك راجع: جيمس دورتي – روبرت بالتسغراف، مصدر سبق ذكره، ص ٣١٨ – ٣١٩.

(٢) المصدر نفسه.

٦- لم يرد في أنموذج سنايدر إشارة إلى "النظام الدولي" كواحد من أهم مؤشرات البيئة الخارجية[١].

٧- إن تحديد الأهداف قد يكون صعبًا في التطبيق نظرًا للاختلاف بين الأهداف المعلنة والأهداف الحقيقية التي تتبناها الدول في مثل هذه المواقف الخارجية.

٨- إن الوضع النفسي لمتخذ القرار (حالته – استعداده – تكوينه) يجعل من الصعب التوصل إلى قواعد موضوعية تكون قابلة للتطبيق في المواقف الدولية المشابهة خلافًا لما تميل نظرية اتخاذ القرارات الخارجية إلى افتراضه.

٩- صعوبة تتبع ورصد التفاعلات المستمرة التي تحدث على كل مستوى بين أطراف المواقف الخارجية، والتي تحدد عناصر رؤيتهم وتؤثر في توقعاتهم وفي تعريفهم لأهدافهم وتجعلهم يبدون ردود أفعالهم إزاء تطوراتها بصورة أو بأخرى.

١٠-صعوبة تقويم الدور الذي تسهم به المؤثرات التنظيمية والبيروقراطية في عملية القرارات الخارجية، ومنها على سبيل المثال: قيم وتقاليد الجهاز البيروقراطي المسئول ومدى تأثيرها، والعوائق البيروقراطية وطبيعتها، والمناخ التنظيمي العام لخطة اتخاذ القرار وانعكاساته[٢].

---

(١) مصطفى محمد سيف، مصدر سبق ذكره، ص ٤-٥.

(٢) الدكتور إسماعيل صبري مقلد، نظريات السياسة الدولية دراسة مقارنة، مصدر سبق ذكره، ص ٢٥٤-٢٥٦، ومنصف السليمي، مصدر سبق ذكره، ص ١٠٠. وجيمس دورتي– روبرت بالتسغراف، مصدر سبق ذكره، ص ٣٠٩ – ٣١١.

١١-ينتقد سنايدر على تصنيفه للعناصر المكونة لعملية صنع القرار في السياسة الخارجية من حيث تقسيمها إلى عوامل كبرى وصغرى، دون تحديده لكيفية التأليف بينها، وتأثير إحداها على الأخرى.

١٢- أولى سنايدر أهمية كبرى للعوامل الخارجية في عملية صنع القرار، في حين كان اهتمامه قليلًا بالمحيط الداخلي، في الوقت الذي نرى فيه أن هناك علاقة دينامية وعضوية بينهما(١).

إلى جانب هذه الانتقادات الموجهة إلى نظرية اتخاذ القرار، هناك بعض الإيجابيات المنسوبة إليها، يمكننا إيجازها في الآتي(٢):

١- تساعد هذه النظرية في التعرف مسبقا إلى مختلف القوى والعوامل الثابتة والمتغيرة والمتداخلة التي يتشكل من مجموعها السلوك الخارجي لأية دولة عضو في النظام الدولي.

٢- إن الدولة القومية National State ستظل لمدة طويلة قادمة أهم وحدة سياسية مسئولة في النظام السياسي الدولي. وإذا كانت هناك بعض المنظمات الدولية فوق القومية التي تستند إلى العديد من القوى التي تحركها وتحاول من خلالها ترتيب أوضاع دولية أو إقليمية معينة، إلا أن ذلك على أهميته النسبية لا يغير من الحقيقة الثابتة، وهي أن الدول ما تزال تمثل قوة التأثير الأولى في السياسة الدولية.

---

(١) منصف السليمي، مصدر سبق ذكره، ص ١٠٠.

(٢) الدكتور إسماعيل صبري مقلد، نظريات السياسة الدولية دراسة مقارنة، مصدر سبق ذكره، ص١٨٣-١٨٧.

٣- إن عملية اتخاذ القرارات الخارجية تشتمل على كل العناصر والمتغيرات الرئيسة التي تحدد في النهاية حركة الدول وترسم الإطار الذي تنبثق تصرفاتها الدولية من داخله، ويأتي في مقدمة قائمة تلك العناصر والمتغيرات الطرف أو الأطراف الفاعلة والأهداف والوسائل والمواقف التي تتخذ تلك القرارات إزاءها.

٤- تجمع نظرية اتخاذ القرارات في السياسة الخارجية مستويات عديدة للتحليل؛ إذ تستخدم المتغيرات السيكولوجية وتحليل أثر العوامل الاجتماعية والتنظيمية – المتغيرات البيئية.

٥- بسبب اعتماد نظرية اتخاذ القرار الكثير من المتغيرات، فإنها تكون كأساس لربط العديد من نظريات العلاقات الدولية ببعضها، وهي النظريات التي اقتصر تطبيقها على أمور محددة وضيقة دون محاولة لتجميعها وتنسيقها في إطار متكامل، ومن النظريات التي تبرز إمكانية هذا الربط: نظريات الاتصال، ونظريات التفاوض والمساومة، ونظريات التهديد والصراع، ونظريات التحالف والمشاركة، ونظريات الشخصية القومية أو نظريات الطابع القومي.

٦- عدَّ فارما منهج اتخاذ القرارات لسنايدر بمثابة انتصار لمفهوم الصيرورة في تحليل القرار على مفهوم الآلة الذي أكد عليه التحليل الوظيفي[١].

والحق أن نظرية اتخاذ القرار هي بالأساس إطار فكري Framework Conceptual أكثر من كونه نظرية علمية شاملة تستطيع أن تفسر مختلف

(١) منصف السليمي، مصدر سبق ذكره، ص ٩٩.

حقائق السياسة الدولية وأن تربطها ببعضها ربطًا شاملًا متكاملًا. وفي هذا المجال يقول سنايدر: إنه من المفضل النظر إلى عملية اتخاذ القرارات في السياسة الدولية كفكرة أو كمفهوم أكثر منه كأنموذج Model أو كنظرية(١).

فضلًا عن أنموذج القرار الذي قدمه سنايدر عن الدور المركزي للإطار المرجعي لصنع القرار، هناك الأنموذج الذي قدمه بريتشر، وهو يدور حول "صفوة النخبة"، وعلى هذا الأساس فإن واضعي سياسة الردع بدأوا في الآونة الأخيرة التخلي عن مفهوم الرشادة في بناء نماذج الردع الدولي، وفي تطوير نماذج جديدة تنهض بالدور الرئيس للعمليات المعرفية لكل من الرادع والموجه إليه الردع، ويمكننا أن نستشهد بأنموذج جورج وسمرك وسنايدر وديمزغ(٢).

كما اشتهر روزيناو في دراسة صنع القرار كمنهج لتحليل السياسة الخارجية بأنه قدم لنا في هذا المضمار صياغة مبدئية لعملية صنع القرار تقوم على أساس التمييز بين مجاميع خمسة من المتغيرات هي:

---

(١) الدكتور إسماعيل صبري مقلد، نظريات السياسة الدولية دراسة تحليلية مقارنة، مصدر سبق ذكره، ص ١٨١-١٨٢.

عملية صنع القرار في السياسة الخارجية تتضمن مرحلتين هما:

١- مرحلة صياغة القرارات (سواء أكانت إستراتيجية أم تكتيكية في نطاق أربع قضايا رئيسة وهي: الأمن العسكري، والدبلوماسية، والنمو الاقتصادي، والمكانة الثقافية أو الحضارية).

٢- مرحلة التنفيذ: وتعني تنفيذ القرارات من خلال الأجهزة المتعددة والمؤسسات المختصة بذلك (كرئيس الدولة ورئيس الحكومة والمسئولين بوزارة الخارجية). راجع: جمال علي زهران، السياسة الخارجية لمصر ١٩٧٠-١٩٨١، مكتبة مدبولي، القاهرة، ١٩٨٧، ص٣٥-٣٦.

(٢) الدكتور محمد السيد سليم، تحليل السياسة الخارجية، مصدر سبق ذكره، ص ٢٤.

١ – خصائص الأشخاص الذين يقومون بتحديد سياسة الدولة.

٢ – وظيفة صانع القرار السياسي في الدولة.

٣ – طبيعة هيكل الإطار الحكومي.

٤ – الخصائص الذاتية للمجتمع السياسي.

٥ – تأثير العوامل الخارجية على المجتمع السياسي.

والحق أن روزيناو كان متأثرًا بنظرية دوتيش الفقيه الأمريكي صاحب المؤلفات الشهيرة في العلاقات الدولية وعملية الاتصال(١)، ويتضح هذا التأثير في استخدام روزيناو هذه المتغيرات لتحديد القوى النسبية للدولة يقرر أن ذلك ينبع من خصائص الجماعة سواء كانت مغلقة أو مفتوحة، نامية أو متخلفة، دولة كبرى أو دولة صغرى، مجتمعًا يقوم على أساس فكرة المشاركة الكاملة المباشرة أو عكس ذلك(٢).

إلى جانب هذا هناك أنموذج برويت الذي يشير إلى أن القرارات المتوصل إليها لها علاقة بتعريف صناع القرار للموقف الخارجي، والقرار عند برويت هو نتيجة التصورات التي يحتفظ بها واضعو السياسة الخارجية عن الدول

---

(١) يرى دوتيش أن المجتمع السياسي جسر حي يستقبل المعلومات، فإن هضمها وتفاعلت مع منطقه وإدراكه اتخذ موقفًا معينًا يعكس تحركه نحو اتخاذ قرار معين. هذه النظرية في واقع الأمر تعدُّ نقطة أساسية في تفسير الحركة السياسية. بهذا المعنى نظرية الاتصال عند دوتيش تقدم لنا أنموذجًا يسمح بالإجابة على هذه التساؤلات: كيف ولماذا استطاعت نظم معينة البقاء والتغيير؟ راجع: حامد ربيع، نظرية السياسة الخارجية، مصدر سبق ذكره، ص٢٠.

(٢) المصدر نفسه، ص٢٠.

الأخرى[١].

أما فيما يخص أنموذج هولستي في عملية صنع القرار فإنه يؤكد على أن الموقف الذي يتحدد في إطاره الموقف لا بد أن يأخذ بنظر الاعتبار الأبعاد الداخلية والخارجية، والإطار العام للتاريخ القديم والمعاصر[٢].

فضلًا عن ذلك هناك أنموذج لوفيل الذي ينطلق من أن عملية صنع القرار تستند على الموقف والبيئة الخارجية والإمكانيات التكتيكية، ومن خلالها يمكننا إدراك وفهم السياسة الخارجية لأية وحدة دولية، وهذا الأنموذج يجمع بين عملية صنع القرار والديمومة التاريخية والعوامل الإستراتيجية[٣].

وهنا لا بد من الإشارة أيضًا إلى أنموذج مايكل بريتشر الذي يقوم أساسًا على منهج الدراسات النظمية، مع إبراز أهمية الأبعاد الداخلية والخارجية في عملية صنع القرار، مع تأكيد الترابط بينها من خلال الأثر الراجح (التغذية الاسترجاعية). ويتطلب هذا الأنموذج أيضًا كون السياسة الخارجية تقوم على مجموعة من المتغيرات التي لها علاقة بالبيئة والفاعلين ومكونات النظام من "خلال البداية بالقرارات والاستجابة للتحديات"[٤].

وأخيرًا، يتوجب علينا الإشارة إلى أنموذج هالبرين الذي يؤكد على مركزية الأشخاص الذين تقع عليهم مسئولية عملية صنع القرار في إطار مجلس الأمن

(١) الدكتور جمال علي زهران، "عملية صنع القرار في السياسة الخارجية المصرية في نصف قرن السمات والتحديات"، مصدر سبق ذكره، ص ٢٢.

(٢) المصدر نفسه، ص ٢٢.

(٣) المصدر نفسه، ص ٢٣.

(٤) المصدر نفسه، ص ٢٣.

القومي الأمريكي. ويرى هالبرين في هذا المجال أن الأهداف الداخلية لها الأولوية على قضايا الشئون الخارجية؛ لأن الأخيرة لا تعد إلا انعكاسًا للبيئة الداخلية[١].

هناك آراء مختلفة بين أساتذة السياسة الخارجية حول الدور الذي يقوم به صانع القرار في السياسة الخارجية، ويمكننا تقسيم هذه الآراء إلى قسمين؛ يذهب الأول منهما إلى أن دور صانع القرار في عملية صنع القرار يعد دورًا محدودًا بسبب الإطار العام الذي يخص بالدرجة الأولى طبيعة النظام السياسي التي من شأنها مشاركة العديد من مؤسسات الدولة في صنعها، والتي من نتائجها الحد من دور صانع القرار في التحرك السياسي الخارجي. أما القسم الثاني فإنه على العكس من ذلك يؤكد إعطاء دور كبير لصانع القرار في الدولة.

إن عملية صنع القرار كمنهج لتحليل السياسة الخارجية ليست بسيطة؛ لأن هناك عوامل تحيط بها، يمكننا إيجازها في الآتي:-

١- طبيعة الظروف الموضوعية التي تدفع إلى صنع قرار معين.

٢- طبيعة القيم المتضاربة في كل مرحلة يمر بها صنع القرار.

٣- العلاقة المتبادلة بين هذه القيم وبين تقاليد المؤسسات التي يتم في داخلها القرار.

٤- تأثير الأبعاد الثقافية والطبيعية والمصلحية لصانعي القرار على اختيارهم النهائي للقرار.

---

(١) المصدر نفسه، ص ٢٣.

٥- تأثير البيئة الداخلية على صانعي القرار.

٦- تأثير الخبرات والمهارات الموجودة على صانعي القرار[١].

ويتضح من تعريف عملية صنع القرار في السياسة الخارجية أن هناك مجموعة من العوامل والظروف التي تحيط بصانع القرار، لا بد أن تؤخذ بنظر الاعتبار، إلا أن أهمية هذه العوامل والظروف تختلف من قرار لآخر تبعًا لطبيعة القرار، ومن نظام سياسي لآخر، وتتحدد هذه العوامل والظروف في نقطتين أساسيتين؛ أولاهما: الخلفية الداخلية، وثانيهما: الخلفية الخارجية. ولمتابعة هذه الأبعاد يُطلب من الباحث تناول هذه الأمور على انفراد كي يكون القارئ على بينة تامة من ماهية الأبعاد الداخلية والخارجية.

أ - **مراحل عملية صنع القرار:**

هذه المراحل بالإمكان تقسيمها إلى النقاط الثلاث الآتية[٢]:

١- المرحلة السابقة لاتخاذ القرار؛ أي مرحلة الإعداد.

٢- اتخاذ القرار؛ أي مرحلة الاختيار.

٣- المرحلة اللاحقة لاتخاذ القرار؛ أي مرحلة التطبيق.

هذه المراحل برمتها من الممكن أن تكون متداخلة فيما بينها، فضلًا عن ذلك فإن كل مرحلة قد تحتوي على العديد من المراحل الجزئية.

---

(١) أحمد نوري النعيمي، "الأبعاد المؤثرة في السياسة الخارجية"، الحقوقي، العددان الأول والثاني، بغداد ١٩٧٧، ص٧٠-٧١، والدكتور إسماعيل صبري مقلد، "اتخاذ القرارات في السياسة الخارجية"، مجلة السياسة الدولية، عدد ١٤، أكتوبر، ١٩٦٨، ص١٤٢.

(٢) ودودة عبد الرحمن بدران، مصدر سبق ذكره، ص ٩.

أ- المرحلة السابقة لاتخاذ القرار:

تتضمن هذه المرحلة العديد من العمليات، أهمها المبادأة والتخطيط وتعريف الموقف والتنبؤ والمشورة.

١) المبادأة:

ونعني بها الحالات التي أدت إلى تبني مثل هذا القرار وحالات الضرورة التي أدت إلى بلورته، وهي تنشأ من النظام بحد ذاته أو ظروف نشأت لمتطلبات فرضتها دولة أخرى أو الوضع الدولي[1]. ويعد هذا المعيار هو الأساس للتمييز بين السياسة الخارجية الإيجابية وتلك التي تتصف بأنها سلبية، نقصد بالأولى المبادأة المتخذة من لدن صانعي القرار في ضوء أفكارهم عن النظام الدولي، في حين تشير الثانية إلى أنها تعد بمثابة رد فعل لمواقف من جانب دول أخرى، وقد تجمع السياسة الخارجية بين الأولى والثانية[2].

٢) التخطيط:

يعد هذا المفهوم من المفاهيم الحديثة إلى حد ما في عملية صنع القرار في السياسة الخارجية؛ إذ لم يدخل في أدب السياسة الخارجية إلا في أعقاب الحرب العالمية الثانية، عندما قامت وزارة الخارجية الأمريكية بتشكيل مجموعة تقوم بتخطيط السياسة الخارجية سنة ١٩٤٧ للاستجابة مع متغيرات ظهرت بعد انتهاء

---

(1) Snyder, Ruchard and Furnis, Edgar, American Foreign Policy. NewYork, Rinchard and Company, Inc, 1959, P.95.

(٢) ودودة عبد الرحمن بدران، "السياسة الخارجية الأمريكية في عهد كينيدي"، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الاقتصاد والعلوم السياسية، جامعة القاهرة، ١٩٧٣، ص١٠.

تلك الحرب، فضلًا عن قيام وزارة الخارجية البريطانية في عام ١٩٥٧ بإنشاء هيئة التخطيط، وقامت كل من كندا وألمانيا الاتحادية بإيجاد هيئة للتخطيط سنة ١٩٦٩، وأعقبتها أستراليا وهولندا سنة ١٩٧١ وفرنسا والكيان الصهيوني في ١٩٧٥، وقد ظهر مفهوم التخطيط في حقبة السبعينيات في كتابات روتشتين وبلومفيلدا وميسرا وموريس وايست ودستلر(١).

والتخطيط السياسي يتجه بطبيعته لأن يصير كليًّا وشاملًا، والتخطيط نوع من التصور الذي يتضمن اصطناعًا للحركة، وكل تطور لا بد أن يتجه إلى التجرد، وكل حركة مصطنعة لا تستطيع أن تنعزل في جزئية معينة تاركة النواحي الأخرى تنطلق دون توجيه ودون رقابة ودون ضبط يسمح بتجنب النتائج غير المعقولة(٢).

يعرف ميسرا تخطيط السياسة الخارجية بأنه "توقع الأحداث الدولية، والأحداث الداخلية ذات الأهمية الدولية، بهدف تعديل السياسة الخارجية بشكل محسوب يحقق أهداف الدولة(٣).

أما بلومفيلدا فإنه يعرف ذلك بأنه تحديد المصالح والأهداف الوطنية(٤). وعلى هذا الأساس نرى أن تخطيط السياسة الخارجية يتضمن أبعادًا أربعة هي:

---

(١) الدكتور محمد السيد سليم، تحليل السياسة الخارجية، مصدر سبق ذكره، ص ٤٩٣، ٥٠٧، وودودة عبد الرحمن بدران، "تخطيط السياسة الخارجية: دراسة نظرية تحليلية"، السياسة الدولية، يوليو ١٩٨٢، ص٦٧. والدكتور مازن إسماعيل الرمضاني، "نحو تخطيط سياسي خارجي عربي"، مجلة العلوم السياسية، آذار ١٩٨٨، بغداد، ص٩٥-٩٧.

(٢) الدكتور حامد ربيع، نظرية السياسة الخارجية، مصدر سبق ذكره، ص٦.

(٣) المصدر نفسه، ص ٤٩٥.

(٤) المصدر نفسه، ص ٤٩٦-٤٩٧.

التخطيط العام وقدرات الدولة، وتخطيط البرامج، وتخطيط الطوارئ، والتخطيط المؤسسي[١].

٣) الموقف:

أي وضع تصور للمجتمع والظروف التي تكتنف الموقف، مع ضرورة إبراز القيم المحيطة بالواقع محل البحث[٢].

٤) التنبؤ:

يمثل التنبؤ افتراضًا موجهًا للمستقبل، والتنبؤ في أوسع معانيه لا يعدو أن يكون تخطيطًا سياسيًّا؛ إلا أن عملية التنبؤ في مجال السياسة الخارجية قد تواجه العديد من الصعوبات، بسبب اتساع الظاهرة وما يحيط بها من غموض في أحيان كثيرة[٣].

٥) المشورة:

قد يكون للمشورة دور في تعريف الموقف ووضع التوقعات بخصوص ذلك.

٢- اتخاذ القرار:

ويمكننا في هذه المرحلة أن نميز بين القرارات الآتية: القرارات الإيجابية والقرارات السلبية، القرارات المرنة والقرارات الجامدة، القرارات

---

(١) المصدر نفسه، ص ٤٩٧.

(2) Frankel, Op.Cit., P11.

(3) Robert Jervis, " Hypotheses on Misperception ", Ed., by Rosenau 1964, PP.239-254.

والدكتور حامد ربيع، نظرية السياسة الخارجية، مصدر سبق ذكره، ص٦.

الرئيسة والقرارات التابعة، القرارات الإجرائية والقرارات الموضوعية[١].

ب- **المرحلة اللاحقة لاتخاذ القرار:**

وتعد هذه المرحلة من المراحل المهمة التي تعني تطبيق القرار؛ لأن هذه المرحلة تشكل المصدر الأساس لرد الفعل، كما أنها تفترض نوعًا من الشرح والتفسير[٢].

والحق، أن هذه المرحلة تسمح بتقويم الخطة التي تم اتخاذها، وعلى الرغم من دقة الأمور التي بموجبها يتم إعداد السياسة الخارجية، فإنه من الممكن بروز الاختلافات بين التصور والواقع عند اتخاذ القرار[٣].

ج- **اختيار السياسات:**

هناك مجموعة ملاحظات بالنسبة لاختيار القرارات في السياسة الخارجية، والتي تكمن في:-

أولًا: إن صانعي القرارات في اختيارهم للسياسات لا يختارون من بين كل السياسات البديلة الممكنة، وإنما يختارون فقط تلك البدائل المنظورة لهم التي تكون أكثر قبولًا من بين كل السياسات الممكنة؛ إذ قد تتوافر بعض السياسات من النوع غير المنظور هي أكثر واقعية من الناحية السياسية، في حين أن بعض

---

(1) Frankel, Op. Cit., 196-197,210.

(٢) الدكتورة ودودة عبد الرحمن بدران، مصدر سبق ذكره، ص ١٥-١٦ و:

William Wallace, Foreign Policy and the Political Process, London, the Macmillan Press Lid, 1971, P.33.

(٣) الدكتورة ودودة عبد الرحمن، "تخطيط السياسة الخارجية دراسة نظرية وتحليلية"، مصدر سبق ذكره، ص ٧٣.

السياسات البديلة الممكنة قد لا تكون مرغوبة من جانب سياسي، غير أن عدم إلمام صانع القرارات بالأنموذج الأول هو الذي حداه إلى تبني النوع الثاني[1].

ثانيًا: إن اتساع البدائل المنظورة والمقبولة سياسيًّا قد يفتح المجال أمام واضعي القرارات للتكيف مع تغير الزمن والظروف وطبيعة المشكلة.

ثالثًا: عدم وجود أحكام موضوعية متفق عليها لترشيد أحكام صانعي القرارات في السياسة الخارجية، وعلى هذا الأساس فإن جل السياسات التي يصل إليها صانعو القرارات تعاني من بعض نقاط الضعف، وذلك نتيجة للعوامل الآتية:-

١- غموض أو عدم التأكد من الأهداف عند صانعي القرارات، ويؤدي هذا الغموض إلى الصعوبة في تنفيذ القرارات.

٢- إن بعض الاتجاهات المألوفة عند المجتمع قد تعوق اختيار سياسة معينة.

٣- إن عملية صنع القرارات قد تعوز إلى تبني أهداف شاملة.

٤- إن متابعة صانعي القرارات لمصالح متباينة عن مصالح المجتمع تؤدي إلى اختيار قرارات غير رشيدة.

٥- من الممكن أن يختار صانعو القرارات قرارات رشيدة؛ إلا أن مثل هذه القرارات تكون بحاجة إلى تأييد شعبي.

---

(١) للمزيد من التفاصيل حول تحديد البدائل في السياسة الخارجية، راجع: الدكتورة ودودة عبدالرحمن بدران، "تخطيط السياسة الخارجية دراسة نظرية وتحليلية"، مصدر سبق ذكره، ص٧٢-٧٣. وروبرت أ. دال، مصدر سبق ذكره، ص١٨٠- ١٨٢.

٦- إن الاختلافات والمنازعات بين صانعي القرارات تقود إلى اتخاذ قرارات خاطئة.

٧- ليس من الصحيح أن تكون البدائل الممكنة منظورة عند صانعي القرارات، ونتيجة لذلك من الممكن إهمال اختيار سياسة مرجوة.

٨- يمكن أن يؤدي تعقد الموقف إلى عدم فهمه بصورة جيدة من قبل صانعي القرارات.

٩- إن الميول الشخصية قد تقف حجر عثرة أمام اختيار بعض البدائل الممكنة.

١٠-تأثير العاطفة على أحكام صانعي القرارات في السياسة الخارجية.

١١-إن جهاز اتخاذ القرارات قد يكون مثقلًا بالتبعات والواجبات التي تعوق اتخاذ قرار رشيد.

١٢- إن جهاز اتخاذ القرارات قد يكون مكدسًا بمعلومات مفرطة.

١٣- إن جهاز اتخاذ القرارات قد يصبح من المتعذر عليه إصلاح ما قام به.

١٤- إن القصور في جهاز الاتصالات يؤدي إلى الفشل في اتخاذ القرارات.

١٥- استناد القرارات على معلومات ناقصة.

١٦- استناد القرارات على معلومات خاطئة.

١٧- عدم الفهم الصحيح للمعلومات المتاحة.

١٨- إن قصور جهاز اتخاذ القرارات قد يرجع إلى التنوع في الطرق، وبالتالي يؤدي إلى التحريف والإخفاق[1].

---

(1) Scott, Op.Cit., PP.93-94.

٥ – المنهج الوظيفي:

يقوم المنهج الوظيفي على الوصف، ويجعل منه الوظيفة Fanction، وعلى الرغم من الغموض وعدم الدقة حول مصطلح الوظيفة، فإنه يشير في أغلب الأحيان إلى كلمة مفيد Utile أو الصالح؛ لأنه يحقق الغرض الذي وجد من أجله. وقد استُخدم هذا المصطلح بالتحديد في مجال التحليل الاجتماعي. وفي هذا المجال يقول أحد رواد هذا المنهج العالم الأمريكي مرتن Merton: "التحليل الوظيفي هو أكثر أنواع التحليل في المجال الاجتماعي من حيث الغنى والخصوبة، ولكنه في الوقت نفسه يتميز بعدم التقنية". وبعبارة أكثر دقة: إنه يعد من أكثر المناهج صلاحية لتقديم نتائج تجسد الظاهرة الاجتماعية، ولكنها أقل صلاحية من حيث البناء المنتهي لأصوله وطرق استخدامه وتطبيقه وصياغة نتائجه[١].

بهذا المعنى يشير علماء الاجتماع إلى توافر العناصر الثلاثة في المنهج الوظيفي[٢]:

١- تحدد الوظيفة في إطار النظام الاجتماعي.

٢- إن العناصر والمقومات الاجتماعية والثقافية كافة تؤدي وظيفة اجتماعية.

٣- إن الظاهرة الكلية لا تستطيع بصورة أو بأخرى الاستغناء عن المقومات الاجتماعية.

---

(١) الدكتور حامد ربيع، نظرية التحليل السياسي، مصدر سبق ذكره، ص٦٦. للمزيد من التفاصيل راجع:

David Mitrany, the Functional Theory of Politics, London School of Economics and Political Science, 1975.

(٢) المصدر نفسه، ص٦٦-٦٧.

إلا أن العالم الأمريكي مرتن يشير إلى حقيقة تعارض هذه المقومات مع الحقيقة الاجتماعية، لأسباب عديدة يمكننا إيجازها في الآتي:-

١- هناك عادات وتقاليد اجتماعية من الممكن أن تكون وظيفة بالنسبة لمجتمعات معينة، ولكنها لا تعبر عن أية حقيقة وظيفية في مجتمعات أخرى.

٢- إن التسليم بأن هذه المقومات تؤدي وظائف اجتماعية لا يفسر شيئًا في طبيعة هذه الظاهرة؛ لأن الوظيفة قد تتنوع بين وظائف واضحة وأخرى باطنة أو خفية.

٣- على الرغم من عدم وضوح التحليل الوظيفي فإنه يعد من أكثر التحليلات مصداقية كما عبر عنه مالينوفسكي.

نشأ هذا المنهج في الولايات المتحدة كرد فعل على مبالغة المنهج التأريخي، وقد خلط هذا المنهج بين تحديد نواحي التحليل التي تفرضها طبيعة الظاهرة، وأسلوب التحليل، فالوظيفة عنصر أساسي من عناصر التحليل، ولكنها ليست الوحيدة، وإنها ليست سوى أحد عناصر الحقيقة الوصفية التي نستطيع أن نصل إليها سواء عن طريق المنهج التحليلي أو المنهج الوصفي[١].

---

(١) المصدر نفسه، ص ٦٧-٦٨.

الفصل الثالث

أهداف السياسة الخارجية وعملية صنع القرار

يُعَرَّف الهدف في السياسة الخارجية بأنه: "الغايات التي تسعى الوحدة الدولية إلى تحقيقها في البيئة الدولية"[١]. إن الهدف الذي يرنو صانع القرار إلى تحقيقه هو عبارة عن جوهر ما يتصوره صانع القرار للظروف والأوضاع التي يروم إنجازها في المستقبل بوساطة التأثير على معطيات المحيط الخارجي[٢].

من الصعوبة بمكان تحديد أهداف أية دولة من الدول في السياسة الخارجية؛ إذ إن ما يعد هدفًا لدى وحدة دولية قد يكون وسيلة لدى الوحدة الدولية نفسها في حقبة زمنية أخرى، كذلك تختلف درجات تحديد أهمية الأهداف من وحدة دولية إلى أخرى، ويعزى السبب في ذلك إلى تباين العناصر التي تسهم في بلورة وتحديد الأهداف، ومن ثم فإن تحليل ذلك لا بد فيه من التمييز بين المفاهيم الآتية: القيادة والأمن القومي، والقدرات الذاتية، والإطار الدولي وخصائصه[٣]. وإن كانت هناك محاولات بين أساتذة السياسة الخارجية لترتيب هذه الأهداف، والأخيرة تصنف حسب المعايير الآتية:-

---

(١) مصباح، مصدر سبق ذكره، ص ٦٠. ود. ودودة عبد الرحمن، تخطيط السياسة الخارجية دراسة نظرية وتحليلية، مصدر سبق ذكره، ص ٦٧.
يتضمن مفهوم السياسة الخارجية لأية وحدة دولية كلًّا من الأهداف والوسائل التي ينبغي على هذه الوحدة تحقيقها على مستوى العلاقات الدولية. راجع: د. ودودة عبد الرحمن "تخطيط السياسة الخارجية – دراسة نظرية وتحليلية"، مصدر سبق ذكره، ص ٦٧.

(٢) مصباح، مصدر سبق ذكره، ص ٦٠.

(٣) مصباح، مصدر سبق ذكره، ص٣٨.

١- أهداف بعيدة المدى، وهي التي تعكس فلسفيًّا أو عامًّا عند وحدة دولية معينة لمحيطها، ولا تقوم الدولة عادة بتعبئة قدراتها لاستثمارها من أجل خدمة هذه الأهداف، وتعكس هذه الأهداف رؤيا معينة لبنية النظام الدولي، كالنظام الاقتصادي الدولي أو النظام الإقليمي المباشر مثل أوروبا الموحدة.

٢- فئة الأهداف المتوسطة، وهذه الفئة تفرض إحداث تغيير في البيئة الخارجية للدولة، والأخيرة يتوجب عليها الالتزام بها، والمثال على هذه الأهداف بناء النفوذ السياسي في العلاقات الخارجية، والقيام بدور متميز في البيئة الخارجية، وخدمة المصالح العامة للدولة.

٣- فئة الأهداف المحورية، وهي التي يساوي تحقيقها وحمايتها وجود الدولة أو النظام ذاته، بحيث قد تكون علة وجود الدولة أحيانًا كالسيادة الوطنية، وحماية الحدود والأمن القومي، ومن ثم استثمار الإمكانات والوسائل كافة من أجل الحفاظ عليها، ولكن من ناحية أخرى قد لا تتطلب المحافظة عليها إجراء تغييرات في البيئة الخارجية للدولة[١].

٤- أهداف إيجابية وأهداف سلبية[٢].

---

(١) حتى، مصدر سبق ذكره، ص ١٧٥-١٧٦، ومصباح، مصدر سبق ذكره، ص ٦٢-٦٦.

(٢) الدكتور إسماعيل صبري مقلد "اتخاذ القرارات في السياسة الخارجية، السياسة الدولية"، عدد ١٤، ١٩٦٨، ص١٤٤-١٤٥.

هناك من يقسم الأهداف إلى أهداف مباشرة ووسيطة ونهائية، ولهم تفسيران إزاء ذلك:

١- يؤكد التفسير الأول أن أيًّا من الأهداف المعنونة بالمباشرة والوسيطة من الممكن عدها كوسائل بالتبادل.

=

إن أهمية تصنيف الأهداف في السياسة الخارجية تكمن في أن معرفة الهدف وطبيعته تسهم في تحديد سلوكيات الدولة ورد فعلها إزاء البيئة الخارجية عندما يكون الهدف المعني موضوع قضية قائمة، وفي هذا الشأن يمكننا أن نقدم ملاحظتين رئيستين هما(١):

١- إن الكثير من الأهداف على درجة كبيرة من الوضوح، بحيث يمكن تصنيفها ضمن فئة أو أخرى، ومن ثمة الوزن الذي يولونه إياها، فالتصنيف يصبح في هذا الشأن نسبيًّا وليس مطلقًا؛ فقد يكون مثلًا عند اتفاقية اقتصادية هدفًا محوريًّا بالنسبة لبلد معين أو قد يكون هدفًا متوسطًا.

٢- يمكن على المدى الطويل، ونتيجةَ قيامِ متغيرات داخلية وخارجية حدوث تغيير في بعض الأهداف في حالة انتقالها إلى مجموعة أخرى.

كما بذل البعض الجهود الرامية لإيجاد العلاقة بين هذه الأهداف(٢).

وعلى الرغم من تعدد الأهداف في السياسة الخارجية فإنه بالإمكان تعيين هذه الأهداف، والتي تتركز في حماية الأمن القومي، وتنمية الرفاهية الاقتصادية،

=

٢- يشير التفسير الثاني إلى عدم وجود أساس حقيقي لمعيار التمييز بين الأهداف والوسائل بسبب العلاقة العضوية بينهما، وقد اكتشف هذه العلاقة عبد الرحمن بن خلدون في القرن الرابع عشر الميلادي؛ إذ لم تكن له نظرة جامدة؛ فقد كان يعتقد على سبيل المثال بأن الوسائل تعد بصورة دائمة وسائل، والأهداف على الدوام أهداف. راجع: الدكتور محمد محمود ربيع، مصدر سبق ذكره، ص ٢١١-٢١٢.

(١) حتي، مصدر سبق ذكره، ص ١٧٦.

(2) Snyder, Op.Cit.,P.82.

وزيادة السمعة الوطنية. وجميعها أبعاد مختلفة تعبر عن مفهوم المصالح الوطنية(١).

---

(1) Norman.Op.Cit.,PP.75-67.

مهما يكن نوع الحكومات فإن الدول تتصرف تبعًا لمصلحتها القومية، وفي هذا المجال يذهب الاتجاه الواقعي إلى أن الدول ليس لديها مساحة كبيرة من الاختيار في تعريف مصالحها القومية، وذلك بسبب المنظومة الدولية لأنها يجب عليها تعريف تلك المصالح بلغة توازن القوى، وإلا سوف تزول هذه الدول تمامًا مثل شركة تعمل في سوق مثالية وتريد أن تؤثر مصالح الشركات الأخرى على تعظيم أرباحها فإنها ستنتهي، لهذا يرى الواقعيون أن وضع الدولة في المنظومة الدولية يحدد مصالحها القومية وينبئ عن سياستها الخارجية، أمَّا الليبراليون فيقولون: إن المصالح القومية تعرف بما هو أكثر من مجرد وضع الدولة في المنظومة الدولية، وهؤلاء يعتمدون في تعريف المصالح القومية على المجتمع الداخلي لتلك الدولة. راجع: جوزيف س.ناى، الابن، مصدر سبق ذكره، ص ٦٩.

تعد المصلحة الوطنية هي المصدر الرئيس في السياسة الخارجية التي هي مجموع القيم الوطنية، تلك القيم التي تنبثق من الأمة والدولة في الوقت نفسه، وأكثر من هذا فإن المصلحة الوطنية هي الأهداف العامة المستمرة التي تعمل الأمة من أجل تحقيقها، وتبعًا للحالة الأخيرة فإن المصلحة الوطنية تتميز بعموميتها واستمرارها وارتباطها بالعمل السياسي، ومن ناحية أخرى فإن مفهوم المصلحة الوطنية يقوم على وجود قيم في الجماعة الوطنية، وهذه القيم هي التي تعكس ثقافتها والمعبرة عن روح تجانسها. راجع: جوزيف فرانكل، مصدر سبق ذكره، ص٥٢-٥٣.

ويعرف الكاتب الهندي A Appadora ; Ms Rajsan المصلحة الوطنية بأنها: مدى قدرة الدولة في الحفاظ على استقلالها السياسي واندماجها الإقليمي عن طريق حماية حدودها الدولية بوسائل متعددة، منها توازن القوى والأحلافـ ومن خلال مفهوم عدم الانحياز Panchsheel. راجع: Appadorai Ms Rajan, op.Cit., P.9.

إن المصلحة القومية هي جوهر الخيارات للعمل في سياسة الأمة الخارجية، ومن الصعوبة بمكان تحديد ماهية وتطوير السياسات من أجل الوصول إليها. والحق فإن دورها كوجه للسياسة الخارجية مثير للجدل والنقاش. وفي هذا المجال فإن كلًّا من جورج وروبن كوهان أشارا إلى =

=

أهمية المصلحة الوطنية؛ لأن بإمكانها تقديم العون والمساعدة في تنمية الأحكام المتعلقة بالنهايات والأهداف المناسبة في السياسة الخارجية.

راجع:

Jentleson, Op.C it.,p.10

عرف مجلس الأمن القومي الأمريكي في عام ١٩٩٨ المصلحة الوطنية التي ترادف عند الإستراتيجية الأمريكية "المصالح الحيوية" بأنها: المصالح ذات الأهمية الواسعة الطاغية بالنسبة لبقاء وسلامة وحيوية أمتنا، ومن بين هذه المصالح: الأمن الطبيعي لأراضينا وأراضي حلفائنا، وسلامة المواطنين ورفاهنا الاقتصادي، وحماية بنانا التحتية الحيوية، سنفعل ما يتوجب علينا للدفاع عن هذه المصالح، بما في ذلك عند الضرورة. راجع: مايكل كلير، الحروب على الموارد الجغرافية الجديدة للنزاعات العالمية، دار الكتاب العربي، بيروت، ٢٠٠٢، ص٣٦. وفي هذا المجال لا بد من التمييز بين المصالح الحيوية التي قد تكون لأجلها في تحليلها النهائي لاستخدام القوة، والمصالح الثانوية التي تعدها ذات أهمية أقل، والتي يمكن أن تتراجع عنها بصورة نهائية. وعلى الرغم من أن الأولويات يمكن أن تتغير مع الزمن تبعًا لتغير الظروف والمفاهيم، فإنها تتشكل بفعل المطالب المختلفة الموجهة للحكومات من العناصر الداعمة لها في الداخل والخارج. راجع: جيفري ستيرن، مصدر سبق ذكره، ص ١٨١.

في هذا المجال فإن جوهر الأهداف الأربعة التي تدخل في تعريف المصلحة القومية الأمريكية تتركز في القوة، ويماثلها في نظرية العلاقات الدولية (الواقعية)، والسلام ويماثله (الليبرالية الدولية)، والازدهار ويماثله (الاقتصاد السياسي الدولي)، والمبادئ وحركية الاختيار، ويماثلها (المثالية الديمقراطية).

القوة هي المتطلب الرئيس لأغلب الأهداف الأساسية للسياسة الخارجية والدفاع الذاتي والحفاظ على الاستقلال القومي والإقليمي، كذلك هي جوهر ردع العدوان والتأثير على الدول الأخرى.

"القوة تمكن المسئول من أن يشكل بيئة على نحو يعكس مصلحته"، وفي هذا الشأن يؤكد صموئيل هنتنغتون (أن الدولة في خصوصيتها لا بد أن تقوم على حماية أمنها أو منع تهديده، وعلى مدى بعيد تهتم الدولة بالدفاع عن نفسها، وتقدم مصالحها الخاصة وبناء نفسها ضد

=

=

العدوان، والقوة ضرورية لذلك).

السياسات المبدئية: لأجل إنجاز القوة قامت إستراتيجيات السياسة الخارجية على وحدات الإرغام بشكل كبير، وفي أغلب الأحيان فإن الدولة تؤكد على مفهوم الدفاع والردع في آن واحد. إن المتطلبات الخاصة لتجهيز الولايات المتحدة مع الدفاع والردع تتنوع دراماتيكيًّا عبر الزمن مع التغير في هوية العدو المحتمل-بريطانيا العظمى في التاريخ المبكر للولايات المتحدة، ألمانيا في الحربين العالميتين، الاتحاد السوفيتي خلال الحرب الباردة-وطبيعة السلاح –من بنادق المشاة القديمة والسفن الحربية القليلة إلى الأسلحة النووية والغواصات والقنابل فوق الصوتية، لكن الإستراتيجية الرئيسة هي دائمًا ذات جوهر واحد يكمن في ردع العدوان.

التحالفات ضد أعداء متعددين هي جزء أساسي لكل من إستراتيجيتي الدفاع والردع. شكلت التحالفات في أغلب التاريخ الأمريكي أساسًا في وقت الحرب، على سبيل المثال مع فرنسا في عام ١٧٧٨ عندما جاء اثنا عشر ألف مقاتل فرنسي للمساعدة في الحرب الأمريكية من أجل الاستقلال ضد العدو المشترك مع بريطانيا وفرنسا في الحرب العالمية الأولى مع بريطانيا والاتحاد السوفيتي في الحرب العالمية الثانية، ومع ٢٦ أمة أخرى في حرب الخليج ١٩٩٠-١٩٩١.

خلال الحرب الباردة (رسميًّا في أوقات السلام) نصبت الولايات المتحدة شبكة تحالفات عالمية، تتضمن وحدات متعددة مثل منظمة معاهدة شمال الأطلسي (ناتو)، منظمة معاهدة جنوب آسيا (سياتو)، ومعاهدة ريو (مع بلدان أمريكا اللاتينية)، وكذلك الاتفاقيات الثنائية التي أبرمت مع اليابان وكوريا الجنوبية وتايوان والكيان الصهيوني وإيران ودول أخرى، وتكون الإستراتيجية متصلة مع أهداف الدولة والتي تتركز في توفير المساعدة العسكرية كالأسلحة والاستشارات والتمويل وأشكال أخرى من المساعدة.

أساس إستراتيجية القوة في النهاية، بالطبع، هو الحرب، استمرارية السياسات بوسائل أخرى في كلمات الإستراتيجي الروسي الكبير في القرنين التاسع عشر والعشرين كارل فون كلاوزفيتز الذي أشار إلى أن الغاية من عمل العنف هي إخضاع خصمنا لتمام إرادتنا. والتدخل العسكري هو "حرب صغيرة" واستخدام القوة العسكرية في شكل محدود جدًّا، كما في إسقاط الحكومات التي تعد معادية لمصالح الولايات المتحدة والحفاظ أو جلب القوة للقادة الأمريكيين، كان في الحالات المعروفة تاريخيًّا وكذلك الأمثلة المعاصرة.

=

=

القوة يمكن أن تمارس من خلال أكثر من وسيلة لعل من بينها القوة العسكرية. الدبلوماسية أيضًا يمكن أن تستخدم الإرغام؛ إرغام الدبلوماسي يمكن أن يتخذ عدة صيغ، من أعمال ذات مستوى منخفض كتقديم احتجاج رسمي أو إصدار إدانة عامة، إلى سحب السفير وتعليق العلاقات الدبلوماسية، إلى فرض عقوبات اقتصادية وأعمال أخرى بمستويات أشد. ثم هناك الأعمال السرية، إدارة العمليات السرية لوكالات المخابرات، كتلك التي وضعها سكرتير الدولة هنري كيسنجر للدفاع عن المصلحة القومية الأمريكية في المناطق الرمادية عندما لا تتناسب العمليات العسكرية ولا تستطيع الدبلوماسية العمل بموجبها. وبالرغم من أنها ارتبطت خصيصًا بالحرب الباردة إلا أن العمليات السرية تعود إلى وقت مبكر من تاريخ الولايات المتحدة عندما اشترى بنيامين فرانكلين سرًّا معدات عسكرية من فرنسا خلال الحرب الثورية، أو عندما رتب الرئيس توماس جيفرسون سرًّا لإسقاط باشا طرابلس (في ليبيا اليوم).

وعلى أية حال، إن كل أهداف المصلحة القومية الأربعة تؤدي في النهاية إلى السلام، لكن في هذه المقولة التحليلية الخاصة نجد تحديدًا نظريات الليبرالية الدولية ونمطين للسياسة الخارجية، رؤى الليبرالية الدولية لسياسات العالم كـ"حديقة قابلة للحراثة" في خلاف مع الرؤية الواقعية لعالم "الغاب"، تلك النظريات تؤكد كلًّا من إمكانية وقيمة تخفيض فرص الحرب وإنجاز مصالح مشتركة رسمية لأجل نظام دولي يكون وحدة واحدة. الليبراليون الدوليون اعترفوا بأن التوترات والنزاعات بين الأمم تنتهي، لكن التعاون بين الأمم الأكثر إمكانية وأكثر فائدة من عمل الواقعيين؛ لذلك فإن متابعة التعاون ليست بسيطة ولا خطرة، لكنها بالأحرى طريقة عقائدية لتخفيض الأخطار وصنع الأرباح التي لا تستطيع أكبر القوى مجردًا إنجازها وحدها. وللتأكيد، عرف الأستاذ أنيس كلود مشكلة القوة بقوله: (هي هنا لتبقى، إنها واقعيًّا ليست مشكلة لتضمحل، لكن -النقطة الرئيسة لليبراليين الجدد- مشكلة لتدار).

انسجامًا مع هذا المعنى فإن السلام يمكن إنجازه لكن ليس تلقائيًّا، الباحثون مثل كيوهان أكدوا على أهمية إيجاد مؤسسات دولية كأساس لـ"مؤازرة التعاون".

فضلًا عن ذلك فإن القوة والمصالح لدى الواقعيين تولد العنف، لذلك فالمؤسسات الدولية ستكون عناصر ثابتة لأي سلام دائم. هذا صحيح على اعتبار أن العلاقات بين الحلفاء. الدول قد تكون لها علاقة صداقة ومصالح عامة مشتركة لكن تبقى لديها مشكلات العمل الجماعي

=

=

أو حتى التنسيق فقط، والمؤسسات الدولية توفر الهيكل والتعهدات للتسهيلات، وفي بعض الاقتراحات المطلوبة إنجاز التعهدات للعمل الجماعي والتنسيق.

المؤسسات الدولية قد تكون هيئات رسمية مثل الأمم المتحدة، لكنها أيضًا قد تكون أكثر لا رسمية، كما في تلك التي غالبًا ما تدعى بـ"الأنظمة الدولية". كيوهان عرف المؤسسات الدولية وظيفيًّا وهيكليًّا بـ"الأحكام التي تحكم عناصر سياسات العالم، والمنظمات التي تساعد في تطبيق تلك الأحكام". هذا التعريف يشمل قواعد وأحكام السلوك وإجراءات الإدارة، وحل النزاعات، والأساس المنظم للتحكم العملي ببعض الدرجات الدنيا.

باستطاعتنا أن نطابق خمسة أنماط رئيسة للمنظمات الدولية: (أ) عالمية، مثل عصبة الأمم (مثال غير ناضج)، والأمم المتحدة (الوحدة الأكثر نجاحًا). (ب) إقليمية كما في حقبة الحرب الباردة، مثال على ذلك: مؤتمر الأمن والتعاون في أوروبا، أو مؤتمر بان أمريكان في نهاية القرن التاسع عشر. (ج) قانونية دولية، كمحكمة العدل الدولية الدائمة (المحكمة العالمية). (ء) السيطرة على السلاح وعدم الانتشار، كالوكالة الدولية للطاقة الذرية ومنظمة حظر انتشار الأسلحة الكيماوية. (هـ) اقتصادية، وحدات عالمية خاصة كصندوق النقد الدولي، والبنك الدولي، ومنظمة التجارة العالمية. وكذلك وحدات إقليمية كمنتدى التعاون الاقتصادي لدول آسيا –الباسفيك– في تلك الحالات أصبحت الولايات المتحدة هي الدولة الوحيدة الداخلة في إقامة المؤسسات والمنظمات، لكن في الغالب، وليس بشكل عام، الولايات المتحدة تلعب الدور الرئيس.

النمط الآخر لإستراتيجية السياسة الخارجية الذي يناسب هنا هو "سلام الوسيط" الدور الذي تلعبه الولايات المتحدة في الحروب والنزاعات التي لا تدخل فيها كطرف مباشر، والمثال المعاصر لذلك يتمثل في "الدبلوماسية المكوكية" في الشرق الأوسط من قبل هنري كيسنجر ١٩٧٣-١٩٧٥، واتفاقيات كامب ديفيد بين مصر والكيان الصهيوني في ١٩٧٨ بوساطة من الرئيس جيمي كارتر، ودور إدارة كلينتون في اتفاقية دايتون التي أنهت الحرب في البوسنة عام ١٩٩٥، لكن هذا الدور أيضًا له جذوره التاريخية، كما في معاهدة السلام بوساطة الرئيس تيودور روزفلت التي أنهت الحرب الروسية-اليابانية، ولأجلها كان قد حصل على جائزة نوبل للسلام عام ١٩٠٦.

أما الازدهار فإنه يولي اهتمامًا بالمصلحة الاقتصادية القومية فوق أي شيء، ويبحث عن الربح

=

=

للاقتصاد الأمريكي من السياسات التي تساعد على توفير الثقة وكلف وإيرادات منخفضة، ونمو الأسواق للصادرات الأمريكية واستثمارات خارجية مربحة وفرص اقتصادية دولية أخرى، والتي تعد وحدات اقتصادية خارجية خاصة كالسياسة التجارية، وأخرى متضمنة علاقات عامة مع البلدان المهمة للسياسة الخارجية الأمريكية اقتصاديًا وبشكل واسع، مثل بلد نفطي غني كالعربية السعودية.

نستطيع التمييز بين نمطين رئيسين من النظريات، واحدة تقدم نظرة حميدة معتدلة وأخرى نظرة نقدية.

النظرة الحميدة لقبت بالرفاهية العامة (كما جاء في إحدى فقرات الدستور الأمريكي التي أشارت إلى مفهوم تعزيز "الرفاهية العامة"). وأكدت على المتابعة من خلال سياسة خارجية مفيدة للاقتصاد العام للأمة: ميزان ملائم للتجارة، ونمو اقتصادي قوي، واقتصاد جزئي صحي. الهدف النهائي هو ازدهار جماعي، تلك المصالح تخدم الشعب الأمريكي بشكل عام. ذلك كان يشغل الجزء الأساسي من السياسة الخارجية الأمريكية في القرن التاسع عشر. تجدر الإشارة في هذا المجال إلى أن ٧٠٪ من المعاهدات والاتفاقيات الدولية الأخرى وقعتها الولايات المتحدة على قضايا تتعلق بالتجارة والنشاط التجاري الدولي، وهو أيضًا بدا واضحًا في السنوات الأخيرة، كما في العام ١٩٩٥، حيث وضع سكرتير الدولة وارن كريستوفر تأكيد السيطرة على السلاح.

معظم النظريات الاقتصادية كالإمبريالية ترى مثل هذه السياسات كهيمنة وخدمة لمصالح طبقة الرأسماليين ونخب أخرى، كالشركات المتعددة الجنسيات والبنوك الكبرى والازدهار سيعود بنفع خاص لمصالح خاصة، والطرق التي اتبعتها أدت إلى استغلال عال لبلدان أخرى. أُسس هذه النظرية تعود إلى الاقتصادي البريطاني جون هوبسون في كتابه "الإمبريالية" ١٩٠٢ بسبب عدم المساواة في توزيع مستويات الثروة للطبقات الدنيا مع قدرة شرائية محدودة. الرأسمالية خلقت لنفسها مشكلة مزدوجة، هي انخفاض التسويق وزيادة الإنتاج، ولذلك احتاجت إلى إيجاد أسواق جديدة لمنتجاتها لتجنب نفسها الانحسار والكساد.

أما المبادئ فتعد الهدف الجوهري الرابع، وتتضمن القيم والمثل والمعتقدات التي تدعي الولايات المتحدة حملها إلى العالم. وكنظرية عامة، هذا التأكيد على المثالية يعود في جذوره إلى الديمقراطية المثالية.

=

=

المثاليون الديمقراطيون حملوا عقيدتين مركزيتين حول السياسة الخارجية؛ الأولى لها علاقة بمفهوم عمل التناوب وعمل "الحق"، والأخيرة تعني أن من يمتلك الحق يمتلك "القوة"، هذا القول صحيح بالنسبة للولايات المتحدة؛ لأن الدور الخاص المزعوم وضع عليها للوقوف لأجل المبادئ التي كانت قد وجدت، وليس فقط لاعبًا آخر في سياسات القوة العالمية. ونجد تأكيدًا لهذه الفكرة في "الاستثنائية الأمريكية" خلال تاريخ الولايات المتحدة توماس جيفرسون، سكرتير الدولة الأول في البلاد وثالث رئيس لها، وصف الولايات المتحدة الأمريكية على النحو الآتي: الجمهورية المنفردة في العالم والبارزة في حقوق الإنسان، والمستودع الفريد لنار الحرية والحكم الذاتي، من هذا المكان تنير هذه المنطقة من الأرض، والمناطق ستصبح للأبد متقبلة لتأثيرها". وبعد ذلك كان الإعلان المشهور للرئيس ودروولسن عندما دخلت الولايات المتحدة الحرب العالمية الأولى اعتزم "جعل العالم يحيا لأجل الديمقراطية": "سنقاتل لأجل الأشياء التي طبقناها دائمًا واعتمرت قلوبنا لأجل الديمقراطية، لأجل حق أولئك الذين يخضعون للسلطة ليمكنوا من التصويت في حكوماتهم، لأجل الحقوق والحريات لكل الأمم، لأجل سيادة عالمية للحق باتفاق الشعوب الحرة التي ستجلب السلام والأمن لكل الأمم وتجعل العالم بنفسها أكثر حرية". والمثالية تؤدي بها أيضًا من قبل عدد من الرؤساء في الحرب الباردة، من الديمقراطيين كجون كيندي مع دعوته في خطابه الافتتاحي إلى تحمل أي عبء، ودفع أي ثمن "للدفاع عن الديمقراطية وقتال الشيوعية، إلى الجمهوريين كرونالد ريغان وحملته ضد "إمبراطورية الشر".

العقيدة الرئيسة الأخرى للديمقراطية المثالية هي على المدى الطويل أحد التصريحات الأقوى لوجهة النظر، هذه هي نظرية سلام الديمقراطية التي تؤكد أنه بتعزيز الديمقراطية تعزز السلام لأن الديمقراطيات لا تذهب للحرب ضد بعضها بعضًا. لصياغتها بطريقة أخرى، العالم يستطيع صنع الأمن بوساطة الديمقراطية، كل الاهتمام بنظرية السلام الديمقراطي ازداد في مرحلة ما بعد الحرب الباردة، النقاش المركزي والأساس الفلسفي يعود أثره إلى الفيلسوف السياسي في القرن الثامن عشر (عمانؤيل كانت) وكتابه "السلام الدائم" "إذن تطلب إعلان الحرب رضا المواطنة" كتب كانت: "لا شيء أكثر طبيعية من الاحتراس في بدء مثل هذه اللعبة، لكن من جانب آخر، في الدستور الذي هو غير جمهوري، مثل هذا الموضوع لا يخضع للمواطنين، وإعلان الحرب يكون قرارًا أسهل".

=

والحق أن هناك ثمة اتفاق في الآراء بين المختصين في السياسات الخارجية، على أن الهدف الرئيس في السياسة الخارجية للدولة، على الرغم من تباين أنظمتها السياسية والأيديولوجية، وعدد سكانها هو حماية وجودها الذاتي ودعم أمنها[1].

في خدمة هذه القوة، الأستاذ جوزيف من جامعة هارفرد ابتكر مفهوم "السلام المرن" الذي يعني الإشارات إلى الطريقة التي توضع فيها القيم لأجل قيام الأمة. إنه ذو جاذبية ثقافية، وملامحه الأخرى ذات سمة تستطيع وضع قيم سياسية مثلًا كمصدر للتأثير، هذا كان فقط عن قضية كيفية أن القادة الأمريكان يدعون بلاغتهم، لكن الحكومات والشعوب الأخرى أدركوا أنفسهم متناغمين بين المبادئ المعتنقة والسياسات الحقيقية المتبعة من قبل الولايات المتحدة، إنهم اعتمدوا أيضًا على كيفية اعتقاد الولايات المتحدة لحياتها ومثلها ضمن مجتمعها الخاص على قضايا مثل سباق العلاقات وحماية البيئة والعنف.

إن الديمقراطية المثالية تحمل تشابهات من الليبرالية الدولية، المشروع أكبر شدة الولاء للمثل، والثاني تطويق تأثير المؤسسات الدولية التي تستطيع حمل مثل هذه المثل، من جانب آخر تأثير التفاؤلية على طبيعة الإنسان المعتنقة للديمقراطية المثالية تتعارض بحدة مع كل من القوة القائمة على الواقعية ومعظم نظريات الماديين للازدهار القائم على المدارس. راجع:

Jentleson, PP. 10 – 18.

وللمزيد من التفاصيل حول ذلك راجع: بيتر فالنستين، مدخل إلى فهم تسوية الصراعات الحرب والسلام والنظام العالمي، ترجمة سعد فيصل السعد ومحمد محمود دبور، المركز العلمي للدراسات السياسية، عمان، ٢٠٠٦، ص ١١٧ – ١٢٢.

فكرة العزلة مثلًا في الفقه الأمريكي التي وصلت خلال القرن ١٩ إلى حد تبني قانون باسم "قانون الين" الذي يقوم على منع أي أمريكي من القيام بأية دعاية لصالح الثورة الفرنسية، وفكرة الأمن القومي التي عبر عنها الكيان الصهيوني عام ١٩٦٧. راجع: الدكتور حامد ربيع، نظرية السياسة الخارجية، مصدر سبق ذكره، ص ٢٣.

(1) Dyke, Van, Vernon, International politics, Appleton century –Crofts, New York, 1966, PP.175-177.

ونعوم تشومسكي، النظام الدولي الجديد، مصدر سبق ذكره، ص٥٣-٦١.

وحري بالذكر أن الأمن القومي يصير أحد أهداف السياسة الخارجية، إلا أنه ليس الهدف الوحيد، فهناك معايير مختلفة تستخدم عند تقويم الأهداف وتصنيفها، وهذه المعايير هي[1]:-

١- معيار الرغبة في الهدف:

يتضح مما تقدم أن السياسة الخارجية تتضمن مجموعة من الأهداف التي لها علاقة بالقيم والمصالح الأساسية للدول، ويقصد بها التفضيلات المتعلقة المستقبلية المحتملة؛ أي الأوضاع التي تبغي الدولة تحقيقها في المحيط الخارجي، وذلك من خلال التأثير في النسق الدولي، أو في السياسات الخارجية للدول الأخرى بوساطة تخصيص بعض الموارد، والأهداف تكون مرتبطة بوحدة اتخاذ القرار التي تتضمن رئيس الدولة ورئيس الوزراء ووزير الخارجية أو الدبلوماسيين[2].

ومؤدى هذا المعيار هو تقدير أو تقويم طبقًا لدرجة ارتباطها بالمصالح القومية للدولة، ويَعُد الحاجة ضرورية في هذا التقويم، وذلك عند إعادة النظر في الأهداف التي لم تكن متاحة، وذلك للأسباب الآتية:-

أ- ظهور بعض الحقائق والأبعاد التي كانت خافية عن الأذهان.

ب- التغير الاستثنائي في أهداف الدولة، الأمر الذي يستوجب إعادة التقويم من جديد وفقًا لمتطلبات هذا التغيير.

---

(١) الدكتور إسماعيل صبري مقلد، "اتخاذ القرارات في السياسة الخارجية"، مصدر سبق ذكره، ص١٤٤-١٤٥، والدكتور حامد ربيع، نظرية السياسة الخارجية، مصدر سبق ذكره، ص ٢٩.

(٢) الدكتور محمد السيد سليم، تحليل السياسة الخارجية، مصدر سبق ذكره، ص ٤٠.

٢- المعيار الخاص بمدى توافر الأهداف أو عدم توافرها:

يقتضي هذا المعيار إجراء تحليل كامل ودقيق للموقف من جانب الوحدة المتخصصة بصنع القرار، للاتفاق على رأي باتٍّ بالنسبة لتوافر الأهداف، إن الوقوع في خطأ هذا التحليل يؤدي إلى نقض الأساس الذي تعتمد عليه عملية التقويم.

ومن المعلوم أن هناك اعتقادًا شائعًا في كثير من المجتمعات، وذلك بعدم إعطاء الطابع الشرعي لبعض الأهداف ذات الطابع الشرعي.

٣- المعيار الخاص بإمكانية الحصول على الهدف:

ونعني بذلك تقويم قابلية الدولة في إطار إمكانيات معينة. وحري بالذكر أنه يتعين على صانعي القرار التأكد من أن الوصول إلى أهداف محددة لا يؤثر في الحصول على غيره من الأهداف المرغوب فيها.

إن وسائل متابعة الأهداف متعددة، وتتراوح بين العنيفة المكشوفة، وبين الوسائل القانونية ذات الإجراءات المرعية، والسبب في هذا التراوح هو ضعف القواعد الدولية القانونية لتسوية المنازعات، فما دامت الدول لا تلتزم بهذه القواعد التزاما كافيًا فإن المجال يظل مفتوحًا للتهديد بالعنف، ويظل مفتوحًا للتهديد بالعنف إلى الحرب[١].

---

(١) روي مكريدس، كينث تومبسون، نظريات السياسة الخارجية ومعضلاتها في مناهج السياسة الخارجية في دول العالم، ترجمة: الدكتور حسن صعب، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٩٦٦، ص٤٦ – ٤٧.

- **القيود على القرارات في السياسة الخارجية:**

هناك عدة قيود على اتخاذ القرارات في السياسة الخارجية، وتنحصر هذه القيود في النقاط الآتية:-

١- الأهداف البديلة.

٢- الطرق البديلة.

٣- الجمع بين الأهداف البديلة والطرق في إستراتيجيات أو مشروعات.

٤- مصادر عملية اتخاذ القرارات مثل الوقت والطاقة والخبرات والمعلومات.

٥- درجة ضغوط المحيط الخارجي[١].

ومن الممكن تقسيم هذه القيود إلى الأنواع الآتية[٢]:-

١- القيود الخارجية:

لا شك في أن القيود الخارجية لها تأثيرها على اتخاذ القرارات، وعليه فإن السلوك الرشيد Rational Behavior يجب عليه عدم التأكيد على أهمية بعض الطرق دون الأخرى.

---

(1) Snyder, op.Cit., P.100.

(٢) هناك أنواع ثلاثة لقرارات السياسة الخارجية التي تتضمن القرارات العامة التي تقترب من معنى السياسة، والقرارات الإدارية التي تدخل في وظائف المؤسسات الحكومية الرسمية والمسئولة بإدارة السياسة الخارجية، أمَّا الثالث فيخص قرار الأزمة الكامن في عنصر المفاجأة ومناخ المواجهة المباشرة بين دولتين. راجع:

Spanier, John, Games Nations play Analyzing International Politics, N.Y., Holt Rinehort and Winston Praeger, 3ed, 1967, PP.31-32.

وبعد ذلك يجب على صانع القرار إجراء تقسيم للقيود المحتملة، وفي هذا الصدد يمكن تقسيم هذه القيود إلى نوعين:-

أ- إمكانية سوء التقدير أو الخطأ فيه محدود بصورة نسبية، وتخضع هذه القيود إلى تقويم كيفي وكمي.

ب- قيود لا يمكن إخضاعها لمعايير القياس الكمي، وإنما تُجري لها تحليلًا كيفيًّا، وفي هذا المجال فإن الاجتهاد الشخصي يقوم بدور مؤثر.

٢- القيود الداخلية:

إن صنع القرارات في السياسة الخارجية موضوع في إطار تنظيمات واسعة معقدة لدرجة كبيرة؛ إذ تتطلب تأديته عددًا من الوظائف والمهارات المتعددة، وبالإمكان تحديد مصادر القيود الداخلية في النقاط الآتية:-

أ- **المعلومات Information**:

لا شك في أن صانعي القرارات في السياسة الخارجية تعوزهم المعلومات اللازمة، أو قد تكون المعلومات الموجودة لديهم غير دقيقة، وكل هذه العوامل لها تأثير في تقديرات صانعي القرارات لخطط العمل البديلة.

ب- **الضعف في الاتصال Communications Failures**:

من الممكن رؤية المعلومات الصحيحة في إطار وحدة اتخاذ القرار، إلا أن هذه المعلومات تكون غير متيسرة لدى صانعي القرارات، مما يؤدي إلى عرقلة المشاركة في العملية.

ج- **السوابق** Precedent:

إن بعض الأعمال السياسية السابقة، أو الأحكام السياسية الحالية لا بد وأن

تقيد المداولات التي يستند عليها صانعو القرارات، كما قد تعوق إجراء تغييرات أساسية في طبيعة مشروعات السياسة الخارجية.

د- إن ندرة الموارد والخبرات والطاقات لها تأثيرها في تقييد الأعمال البديلة التي يمكن أن يعتمد عليها صانعو القرارات.

هـ - الإدراك أو القدرة على الفهم Perception:

وهذه العملية لها تأثير فعال في تحديد العمل حول ما يقوم به صانع القرارات؛ إذ يتصرف من خلال الإدراك والحكم والقيود الخارجية ذات التأثير الهام، ومن الطبيعي فإن صانعي القرارات قد يعطون أهمية لبعض العوامل، أو يستغنون عنها.

٣- القيود المختلطة:

وقد أصبح واضحًا من الملاحظات السالفة الذكر أن القيود الداخلية تؤدي إلى تقوية القيود الخارجية أو تقليل تأثيرها، وعليه لا بد من بحث العلاقة بين القيود الداخلية والخارجية، وتحديد ما إذا كان بالإمكان التحكم في أحدها عن طريق التحكم في الآخر، وذلك بافتراض أنه لم يكن هناك انفصال تام بينهما[١].

- **خصائص القرارات في السياسة الخارجية**[٢]:-

يلخص ريتشارد سنايدر خصائص القرارات في السياسة الخارجية في النقاط

(1) Ibid., pp.100-103.

(2) Ibid.,pp.104-105.

الآتية:-

١- وجود مدى واسع من الأهداف والخطط الخاضعة لنطاق من التفسيرات الممكنة.

٢- انعدام التجانس بالنسبة لأوضاع الأطراف التي تختصها قرارات السياسة الخارجية، ويؤدي هذا الوضع إلى بروز إمكانية ظهور ردود فعل أو عداء أو مطاليب.

٣- وجوب الوصول إلى نوع من الاندماج لمجموعة من المفاهيم والإدراكات قبل أن يتم التوصل لإجماع الآراء بشأنها.

٤- تتميز المواقف التي تتخذ في إطارها القرارات بالتعقيد وعدم الاستقرار، وينجم عن ذلك صعوبة إجراء التنبؤ والسيطرة على النتائج.

٥- تتصف مصادر المعلومات بالاتساع والتشعب، كما أن هناك مشكلات أخرى بالنسبة لتصنيف هذه المعلومات وتبويبها.

٦- الفقدان النسبي لغرض التجريب وندرة تكرار المواقف.

٧- صعوبة إجراء القياس لفعالية المنظمات والنتائج السياسية.

٨- الحاجة لمناقشة البدائل على أساس عدم إخضاعها للاختيار الدقيق بصورة مستمـرة.

٩- انقضاء حقبة زمنية بين ظهور مشكلات الموقف، وتوضيح مضمونها الكلي.

١٠-وجود صراعات بين القيم والمبادئ التي يدين بها صانعو القرارات تبعًا للعقيدة والفلسفة التي يعتنقونها، وبالنتيجة لا بد أن تؤدي هذه الصراعات إلى تبني حل يتسم بالاعتدال لحسم المعضلات الدولية.

وجدير بالذكر أن هذه الخصائص تحدد السمات التي يختص بها صنع القرار في إطار السياسة الخارجية، غير أن هذه الخصائص لا تكون واضحة إلا في حالة تأثير مقتضيات الموقف على وحدات صنع القرار في مكان وزمان معينين[1].

(1) Ibid., PP. 104-105.

هناك تصنيفات عديدة للقرارات، من بينها: القرار الحاسم، وقرار التأجيل، قرارات تتخذ بمبادرة من صانع القرار، وقرارات تنفذ بصورة رئيسة بصفة رد فعل على القرارات، أو تبعًا لسلوكيات بعض الوحدات الإقليمية أو الدولية، وقرارات تشكل نقطة تحول أساسية في مجرى السياسة العامة، وقرارات تتم تنفيذًا لإستراتيجية مستقلة وفي إطارها. وهناك تصنيف يعتمد على أساس ما إذا كان القرار يتم بالفعل أو بالامتناع عن الفعل، ونقلًا عن تصنيف يميز بين القرارات وبموجب أسلوب اتخاذها، وهناك قرار يتخذه فرد واحد وهو القائم على المشورة أم لا، وقرارات تتخذ باسم المجموعة سواء بالإجماع أو بالأغلبية، أو قرارات تحتكرها المؤسسات التشريعية. راجع: حمادة بسيوني إبراهيم، دور وسائل الاتصال في صنع القرارات في الوطن العربي، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ١٩٩٣، ص٩٦-٩٧، وحتى، مصدر سبق ذكره، ص١٨٧-١٨٨.

الفصل الرابع
ظاهرة القيادة وأثرها في عملية صنع القرار في السياسة الخارجية

جرى التقليد بين علماء السياسة الخارجية على عدم الاهتمام بظاهرة القيادة السياسية في عملية صنع القرار في السياسة الخارجية، غير أن الأبحاث الميدانية والتطبيقية أثبتت عكس ذلك، فإن هذا المتغير يمثل العامل الأصيل الذي يتبع عملية التلاعب بالقوى والمواقف[١].

ويدخل القادة في خانة العوامل النوعية التي تعد من العوامل الهامة في السياسة الخارجية، وهو دور يعنى بدراسته الباحثون في السياسات الدولية، والباحثون في السياسات المقارنة، فيتناولون في دراستهم عمليات تطبيق السياسة، وأساليب هذه العمليات ونوعها، وتكشف هذه الدراسة عن الأهليات السياسية تنوعًا بالغًا، كما تظهر اختلاف الطرق العقلانية التي يتبعها المسئولون من دولة لأخرى.

إن دراسة البيئة النفسية لظاهرة القيادة تعد مهمة؛ لأن تلك تعطي الصورة الواضحة للقرار المتخذ من لدن صانع القرار، وفي هذا المجال يرى فانيكيوس أن فقدان جمال عبد الناصر الإحساس بالأمن في طفولته نتيجة وفاة والدته[٢]

(١) الدكتور حامد ربيع، نظرية السياسة الخارجية، مصدر سبق ذكره، ٣٤.

(٢) كان لوفاة والدته الأثر العميق في نفسه، تركت في نفسه الحزن العميق، حيث كان يكن لها كل التقدير والاحترام، وكانت تسدي له المشورة وهو في مقتبل عمره، وقد أحدثت هذه الوفاة فجوة =

عندما كان طفلًا، والإقدام السريع لزواج أبيه من أخرى، قد جعل عنده نوعًا من الريبة والشك نحو الآخرين[١]، كل ذلك دفعه إلى تبني قرارات تحمل معنى الكرامة واحترام الذات.

والحق، كان عبد الناصر رجل عواطف وانفعال وخيال، وفي هذا المجال يقول محمد حسنين هيكل: "إن عبد الناصر في أوائل عهده كان قد أعد خطبة يلقيها، ويعلن فيها خطة أو رؤية للسلام في المنطقة، غير أنه سمع من السفير الأمريكي وقتئذٍ كلمة استقبله بها في زيارة فلم تعجبه الكلمة، وانفعل وغير خطبته واتجاهه في الحال، وكان لهذا المسلك الانفعالي تأثيره على مصير الوطن كله. كما سارت الأمور كلها بعد ذلك في شئون الدولة خارجها وداخلها على هذا المسلك وبهذا المحرِّك: انفعال ورد فعل"[٢].

ومن يدرس الأحداث السياسية والعسكرية والاجتماعية في مصر على عهد الرئيس الراحل جمال عبد الناصر يجد أن المحرك الخفي وراءها كان هو "الانفعال ورد الفعل"، وليس التفكير الهادئ الرصين الرزين المبني على بعد النظر، فعبد

=

في حياته، استطاع فيما بعد السيطرة عليها وتحمل المسئوليات. راجع: د. بثينة عبد الرحمن التكريتي، جمال عبد الناصر نشأة وتطور الفكر الناصري، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ٢٠٠٠، ص٦٦.

(١) يقول السادات في هذا المجال: "عبد الناصر مات دون أن يستمتع بحياته كما يستمتع الآخرون، فقد قضاها كلها بين انفعال، وانفعال القلق يأكله أكلًا، فقد كان يفترض الشك في كل إنسان مسبقًا". راجع: أنور السادات، البحث عن الذات قصة حياتي ط٢، المكتب المصري الحديث للطباعة والنشر، ١٩٧٨م، ص٩٢.

(٢) نقلًا عن توفيق الحكيم، عودة الوعي النص الأصلي والكامل ط٢، دار الشروق، بيروت، ١٩٧٤، ص٤٠.

الناصر ظهر فيما بعد من النتائج أنه لم يكن رجلًا سياسيًّا، ولم تكن له قط طبيعة رجل السياسة، التي يملكها رجال اتصل بهم وعرفهم مثل "نهرو" و"تيتو"[١].

ومن المعروف أن نهرو قال لعبد الناصر في عبارة رقيقة موحية أنه يحتاج إلى قليل من الشعر الأبيض. وهو يقصد بلا شك قليلًا من الرزانة والحكمة والتجربة، وقد ظهر فيما بعد أن نهرو كان على حق، وأن عبد الناصر لم يستطع تحقيق عدم الانحياز كما استطاع تحقيقه بطلاه الحقيقيان نهرو وتيتو، فهما سياسيان حقًّا؛ فقد كان عبد الناصر أقرب إلى طبيعة الكاتب الفنان الحالم العاطفي، ويظهر أن الظروف هي التي دفعته إلى طريق غير طريقه، ولو أنه تُرك لطبيعته لكان كاتبًا ناجحًا، ولعل هذا ما خطر له أول الأمر فقد اتجه بالفعل في مطلع شبابه إلى كتابة القصة، وكتب صفحات من قصة بعنوان "في سبيل الحرية" جعل اسم بطلها محسن، أيضا كاسم بطل "عودة الروح"[٢]، ولكن الظروف حولته من مؤلف محسن على الورق إلى محسن نفسه، أيضًا على أرض الحياة، فعاش مثله وتصرف تصرفاته الشخصية الوطنية العاطفية الانفعالية، حتى في المسائل البعيدة عن السياسة وشئون الحكم تبدو طبيعته العاطفية والانفعالية[٣].

---

(١) عودة الوعي النص الأصلي والكامل، مصدر سبق نفسه، ص ٤٠.

(٢) قرأ الرئيس الراحل جمال عبد الناصر عندما كان شابًّا صغيرًا كتاب "عودة الروح" لتوفيق الحكيم، وكان بطل الكتاب "محسن"، وهو كتاب بشكل رواية، يمثل محسن على أنه معبود الجماهير، وقد أعجب به. راجع: توفيق الحكيم، عودة الروح، ط ٢، دار الشروق، القاهرة، ٢٠٠٧.

(٣) المصدر نفسه، ص ٤٠ – ٤١.

أما فيما يخص أنور السادات[١]، فإنه منذ صباه كانت لديه الرغبة الكبيرة في أن يكون نجمًا ساطعًا، وقد انعكس هذا على سلوكه في السياسة الخارجية[٢]، فقرار السادات بالذهاب إلى الأرض المحتلة في العام ١٩٧٧ كان انعكاسا لرغبته في أن يجد فرصة أخرى لتأكيد تسليط الأضواء عليه التي أفلت بعد أحداث كانون الثاني من العام ١٩٧٧ في السياسة الداخلية[٣]. يكشف بوست أن اللمحات النفسية لأنور السادات ومناحيم بيغن كانت لها الدور البارز في إدارة جيمي كارتر لمفاوضات كامب ديفيد عام ١٩٧٨. ويكتب المحلل النفسي الدكتور جيرالد م. بوست: "وصف وزير الدفاع رونالد رمسفلد أثناء جلسات تثبيته في منصبه إمكانية عدم فهمه نوايا خصومه الخطرين، بأنها الكابوس بالنسبة إليه"[٤]. إن طفولة ودرو ولسن تميزت بسيطرة والده عليه سيطرة كاملة، مما دفعه

---

(١) يقول السادات في كتابه "البحث عن الذات": "وعندما زحف هتلر من ميونيخ على برلين ليخلص بلاده من آثار هزيمتها في الحرب العالمية الأولى ويعيد بناءها كنت في ذلك الوقت أقضي الصيف في القرية، فجمعت أقراني وقلت لهم: إننا يجب أن نفعل كما فعل هتلر، وإنني أنوي الزحف على القاهرة من ميت أبو الكوم، كان عمري في ذلك الوقت ١٢ سنة فضحكوا مني وانصرفوا عني، كانت هذه في أغلبها إرهاصات تلقائية لخط كفاح لم أكن بعد قد بنيته، ولكن من بين هذه الإرهاصات التي كانت في الحقيقة مجموعة انفعالات وتفاعلات مع الأحداث بقي كل شيء واحد هو حبي لكمال أتاتورك، فمن أتاتورك استهوتني البذلة العسكرية، وهو لم يستطع أن يفعل شيئًا ويحقق ثورته إلا بالقوات المسلحة". راجع: أنور السادات، مصدر سبق ذكره، ص ٢١- ٢٢.

(٢) الدكتور محمد السيد سليم، تحليل السياسة الخارجية، مصدر سبق ذكره، ص ٣٨٦.

(٣) المصدر نفسه، ص ٣٨٦.

(٤) د. جوستن أ. فرانك، بوش تحت المجهر الرئيس على أريكة التحليل النفسي، ترجمة سعيد الحسنية، الدار العربية للعلوم بيروت، ٢٠٠٥، ص ١٠.

إلى الإنجاز والقوة، وفرض إرادته على الآخرين[١].

جورج دبليو بوش هو حالة نموذجية من التناقض[٢]، وأمثلة واضحة على

---

(١) الدكتور محمد السيد سليم، تحليل السياسة الخارجية، مصدر سبق ذكره، ص ٣٨٥ – ٣٨٦.
يقول نلسون مانديلا في مذكراته: "دخل والدي وأنا لم أزل رضيعًا في نزاعٍ حرمه من حقه في زعامة قرية مفيتزو، وكشف عن جانب من شخصيته أعتقد أنه ورثه لابنه، وأنا أؤمن بأن العامل الأساس في صياغة شخصية الإنسان هو تنشئته وليست طبيعته التي ورثها، فقد كان والدي يجنح إلى التمرد والاعتزاز بالنفس، وكان متشددًا في فهمه للعدل والظلم، وهو ما ألمسه أنا في شخصيتي". راجع: مانديلا نلسون، رحلتي الطويلة من أجل الحرية، ترجمة عاشور الشامس، لندن، ١٩٩٨، ص٦٠. وحول الإطار العام للبيئة النفسية لصانع القرار. راجع: زهران جمال علي، السياسة الخارجية لمصر ١٩٧٠–١٩٨١، مكتبة مدبولي، القاهرة، ١٩٨٧، ص٤٧–٤٨.

(٢) إن آل بوش كانوا جميعًا من أصول بروتستانتية منحدرة من نيو إنغلاند، وقد أعيدوا إلى الأخيرة من أجل الالتحاق بمدارس تعليمية منتقاة متخصصة في تخريج القادة الأرستقراطيين، أحد هؤلاء المتعلمين جيدًا كان بريسكوت بوش، المولود في مدينة كولومبوس بولاية أوهايو في العام ١٨٩٦، وقد التحق بأكاديمية فيليبس في أندوفر بولاية ماساشوستس، ثم التحق في العام ١٩١٣ بجامعة يال، بعد تخرجه في الجامعة حصل على وظيفة في شركة "هب برودكتس كومباني"، بعد قليل من عمله في تلك الشركة حدثت مشاكل فيها، وأدين مالكها بتهمة الاحتيال، انتقل بريسكوت إلى بوسطن، وهناك ولد جورج هربرت والكر بوش في ١٢ حزيران من العام ١٩٢٤، ولم يمض وقت طويل حتى انتقلت العائلة إلى مدينة جرينويتش بولاية كونكتيكت. وبناء على شهادة أحد المخضرمين، وهو جندي كان على متن طائرة أخرى قريبة، فإن جورج هربرت والكر بوش كان مسئولًا عن موت الرجلين برفقته على متن تلك الطائرة، حيث دفعه إلى الهرب والتخلي عنهما، والد ذلك الضابط كان مطلوبًا للإدارة الأمريكية بناء على علاقته بالنازية، في العام ١٩٤٢ تولى المدعي العام في الولايات المتحدة هذه القضية فحجز ممتلكاته لصالح الخزينة. وهذا الأمر كان معروفًا على نطاق ضيق، بحيث إن الأعضاء الآخرين في هذه الأسرة لم يرغبوا في تحمل المزيد من المسئولية عن ذلك. راجع: كينيون غيبسون، أوكار الشر دراسة حول آل بوش
=

عدوانيته هي جزء صغير فقط من البحث التحليلي النفسي في نموذج كلاين. إن الفتى جورج دبليو بوش وهو بعمر السابعة كان يواجه مسبقًا تحديات تعوق تطوره النفسي، وسوف تتردد خلال بقية عمره. إن قصة السنين الأولى لجورج دبليو بوش بما فيها ذكرياته الحية الأولى، تحتوي على جذور عدة عناصر أولية لما نعرفه اليوم عن شخصيته[١].

كان جورج دبليو بوش في السادسة من عمره[٢] عند بداية الحادثة المأساوية

=

ووكالة المخابرات المركزية والشكوك حول هجمات ١١ /٩، الدار العربية للعلوم، مطبعة المتوسط، بيروت، ٢٠٠٤، ص ١١ – ١٢. وف. ي. كرلوف، مصدر سبق ذكره، ص ٢١ – ٢٥. للمزيد من التفاصيل راجع:

George bush, op. cit., pp., 1 – 13.

(١) د. جوستن أ. فرانك، مصدر سبق ذكره، ص ١٨.

(٢) ولد جورج دبليو بوش في شهر تموز من العام ١٩٤٦ في نيو هافن بولاية كونكتيكت، كان الابن الأكبر بين ستة أطفال: باولين روبنسون (روبن)، نيل مالون، مارفين بيرس، جون إلليس (جب)، ودوروثي والكر، بينما كان والده لا يزال في يال، حيث كان لديه القليل من الوقت ليساعد زوجته في واجبات تربية أولاده نتيجة متطلبات برنامجه الاجتماعي والرياضي والأكاديمي، وبعد تخرجه بيوم واحد من العام ١٩٤٨ توجه بوش الكبير، وانطلق ليلاحق فرص الثروة في فورة غرب تكساس النفطية، مستقرًّا في أوديسا، مدينة الطبقة العاملة الشقيقة لميدلاند. راجع: المصدر نفسه، ص ١٨. وكينيون غيبسون، مصدر سبق ذكره، ص ٣٢. تلقى تعليمه الابتدائي والثانوي في مدرسة سان جاكينتو الثانوية، واختير من بين زملائه ليكون عريفًا لصفه، ثم التحق بأكاديمية كينكيد، ثم أكاديمية فيليبس عام ١٩٦١ بولاية مشاتسوستس. في العام ١٩٦٤ التحق بجامعة يال، ونال إجازته في مادة التاريخ عام ١٩٦٨، كما ترأس جمعية "دلتا كابا إيبلسون" الطلابية، وفي العام ١٩٦٨ ادعى جورج دبليو بوش التحاقه بالحرس الوطني بولاية تكساس طيارًا متدربًا لقيادة طائرة إف ١٠٢ في قاعدة التنتغون، خلال

=

التي قال عنها: إنها أثمرت أولى ذكريات صباه الحية، مرض وموت أخته، روبين الصغيرة والتي ولدت في كانون الأول من العام ١٩٤٩، ولدت مصابة بمرض اللوكيميا (سرطان الدم) في ربيع العام ١٩٥٣، الأمر الذي تسبب بالبدء بسلسلة رحلات واسعة نحو الساحل الشرقي قامت بها الأسرة مع الطفلة من أجل العلاج الذي لم يُجْدِ في النهاية. وقد عبرت السيدة بوش عن شكوكها بشأن كيفية معالجتها المسألة مع ابنها، الذي كان كبيرًا بما فيه الكفاية لكي يتأثر بفقدان أخته[١].

وفي السياق نفسه يمكننا إبراز هذه النقطة في علاقة الشاه محمد رضا شاه إيران السابق مع والده رضا خان، خلال السنوات السابقة التي أمضاها مرافقًا لوالده سنحت للضابط الشاب محمد رضا فرصة طيبة لمراقبة والده وهو يدير الحكم في البلاد، ولعله اقتبس منه ذلك الاهتمام الكبير بالاطلاع على كل صغيرة وكبيرة للأمور التي يعالجها[٢].

هناك اعتقاد عند بعض الباحثين بأن الشاه الابن كان يفتقر منذ شبابه لتلك القناعات العميقة التي كان يؤمن بها والده طول حياته، ولذلك كان في

الحرب الفيتنامية سرح من الخدمة ما بين العام ١٩٧٢ والعام ١٩٧٣، ثم عاد ليلتحق بجامعة هارفارد، حيث نال درجة الماجستير في إدارة الأعمال، وشارك في تأسيس شركة للتنقيب عن الغاز في مدينة ميدلاند بولاية تكساس، وكان ذلك في العام ١٩٧٥، وفي العام ١٩٧٧ تزوج بلورا التي أنجبت له توأم إناث "جينا وباربرا" في العام ١٩٨٤. راجع: الدكتور شادي فقيه، مصدر سبق ذكره، ص ٦٣ -٦٤. وف ي. كرلوف، مصدر سبق ذكره، ص ٢٤ – ٢٦.

(١) د. جوستن أ. فرانك، مصدر سبق ذكره، ص ١٩. وف. ي. كرلوف مصدر سبق ذكره، ٢٢ – ٢٣.

(٢) وليم ساليفان، أمريكا وإيران، ترجمة نجدة الشواف، دار الملتقى للنشر، ليماسول – قبرص، ١٩٩١، ص ٥٠.

شبابه كثير الميل لحياة اللهو الفارغة، وكان يمضي معظم أوقاته خارج إيران متنقلًا بين أوروبا والولايات المتحدة، كما أنه كان في شبابه رياضيًّا جيدًا يجيد التزحلق والفروسية والصيد وقيادة السيارات السريعة والطائرات[١].

تعرض الشاه محمد رضا خلال مدة حكمه للاغتيال مرتين نجا منهما بأعجوبة، حيث أصيب في المحاولة الأولى في شفته، واستقرت في الثانية رصاصة في كتفه، ويقال: إنه في المرتين حافظ على رباطة الجأش بشكل أثار إعجاب مرافقيه[٢].

ولكن أحداث سنة ١٩٥٣، أظهرت أنه رجل متردد تعوزه القدرة على اتخاذ قرارات حاسمة. ويقول بعض الإيرانيين الذين عاصروا عهد والده رضا شاه: إن المجابهة التي وقعت بينه وبين رئيس وزرائه الدكتور مصدق عولجت بطريقة تختلف كليًّا عن معالجة والده للأزمات السياسية الحادة التي كان يواجهها طوال مدة حكمه؛ فقد كان الشاب الأب رجلًا ذا إرادة صلبة وقدرة فائقة على اتخاذ القرارات القاطعة التي لا رجوع عنها[٣].

التفسير الذي يقدمه بعضهم لنقطة الضعف هذه لدى الشاه الابن هو رضوخه التام لإرادة أبيه في صباه وشبابه؛ مما ولد لديه الشك بنفسه وبالآخرين أيضًا. ولكن هناك تفسير آخر لذلك، حيث يقول بعضهم: إن مدة إعداده وتهيئته لتسلُّم زمام الأمور كانت قصيرة، ولم يكن مهيَّأً ومدربًا تدريبًا كافيًا

---

(١) وليم ساليفان، مصدر سبق ذكره، ص ٥٠.

(٢) المصدر نفسه، ص ٥٠.

(٣) وليم ساليفان، مصر سبق ذكره، ص٥٠.

حينما أنزل والده عن عرشه ووضع في مكانه، كما أن بعضًا آخر يعتقد أن دراسته الغربية في بلد ديمقراطي كسويسرا جعلته غير مؤهل لممارسة الحاكم الأوتقراطي المطلق الذي يحتاجه بلد مثل إيران[١].

إن الصورة الشائعة عنه في الخارج التي تمثله كحاكم[٢] أوتقراطي متغطرس؛ هي الصورة التي صقلها رجال البلاط وتبنتها ونشرتها الفئات المعارضة، وهي لم تكن صورة حقيقية ودقيقة، فالشاه محمد رضا بهلوي لم يخلق ليقود رجالًا أو أمة في أوقات الأزمات.

من ناحية أخرى، باربارا بوش التي يسميها أولادها بـ"الفارضة الأوامر" كانت على الدوام فارضة النظام في العائلة، كانت تحدد المهام بكل برودة، وكانت تضرب أولادها حالًا، أسمتها صديقة مقربة للعائلة "الشخص الذي يستدعي الخوف"، واعتادت أن تحسم الخلافات بين أولادها بجرأة، وذلك عن طريق تعنيفهم وصفعهم[٣].

---

(١) المصدر نفسه، ص ٥٠ – ٥١.

(٢) المصدر نفسه، ص ٥١.

يقول السفير الأمريكي الأسبق في إيران وليم ساليفان في هذا الصدد: "شعرت وأنا أستعرض في ذهني في ذلك المساء هذا الواقع الذي توصلت إليه بشيء من القلق والارتباك عندما تذكرت أيضًا الرد الذي صدر عن المسئولين في وزارة خارجيتنا في واشنطن على استفساري عن أسباب اختياري شخصيًّا لسفارة أمريكا في طهران؛ إذ كانوا يعتقدون أن تجاربي السابقة بالتعامل مع حكام أوتقراطيين متغطرسين هي التي جعلتني في أعينهم مؤهلًا لمهام السفارة في طهران؛ إذ إن الحقيقة التي توصلت إليها عن هذا الرجل الذي قدمت له أوراق اعتمادي في صباح ذلك اليوم أنه لا يدخل قطعًا ضمن هذا التصنيف للحكام". راجع: وليم ساليفان، مصر سبق ذكره، ص ٥١.

(٣) د. جوستن أ. فرانك، مصدر سبق ذكره، ص ٢٠.

=

من هذا المنطلق رأى بوش أن القوة وجدت لكي تستعمل وإلا فلن يعود لها أية قيمة، حتى ولو أدى استعمالها إلى إبادة شعوب بأكملها، باستخدام حتى السلاح النووي، وتحقيق الدمار الشامل، ومن ثم إبادة ملايين البشر[١].

ويرى بعض المحللين النفسانيين الأمريكيين من خلال متابعتهم لبوش ونزعته العدوانية أننا أمام جريمة فردية يمارسها ديكتاتور مجرم لأسباب شخصية؛ لأن الإنسان قد يعاني عذاب الضمير، ويشعر بالذنب عندما يقتل إنسانًا واحدًا، أما عند قتل آلاف بل ملايين البشر من أجل إحياء عقيدته الفاسدة فيصبح القاتل في حلٍّ من أي شعور بالذنب؛ لأن هذا الشعور باللاذنب يتكفل بتبرير جريمته والحروب التي شهدها التاريخ تحت غطاء الدين كافية لأن تؤكد ذلك[٢].

فقد تكفلت الحروب الدينية طيلة التاريخ بالقيام بهذه المهمة، لتؤدي القربان البشري بأساليب مختلفة بحجة الحفاظ على العقيدة مهما كان نوعها، وأضحت الحروب بمثابة المذبح العالمي الإلهي الذي تستباح به دماء البشر من

=

وصفت باميلا كيليان "باربارا بوش" في كتابها الصادر في العام ١٩٩٢ بعنوان "باربارا بوش: الأم الحاكمة لسلالة من الحكام" بأنها رياضية ممتازة، وأنها من أروع الفتيات في سنوات مراهقتها، وبأن لديها موهبة التسبب بالأذى للناس، قاسية، كما أنها معروفة بالبطش والسيطرة على زملائها في حافلة المدرسة، حيث كانت تستهدف واحدًا منهم كل يوم ليكون ضحيتها، فيما بعد أصبحت باربارا من الأوصياء على جمعية أمير كير الخيرية. راجع: كينيون غيبسون، مصدر سبق ذكره، ص ٢٠.

(١) مجدي كامل، ثورة أوباما الأمريكية.. ذهبت السكرة وجاءت الفكرة.. هل يصدق أم يصبح رئيسًا أبيض في جلد أسود؟ دار الكتاب العربي، دمشق – القاهرة، ٢٠٠٨، ص ٢٠١.

(٢) المصدر نفسه، ص ٢٠٢.

دون حرج، مدعومة بتبريرات مختلفة اقتصادية وسياسية ودينية مضللة[١].

وفي كتابه "الإرث المأساوي: كيف دمرت أفكار بوش عن الصراع بين الخير والشر رئاسته" الذي صدر في عام ٢٠٠٧ ووصفته الصحف بأنه أفضل كتاب عن أسوأ رئيس على حد تعبير المعلق السياسي آلان هانيتي بقناة "فوكس نيوز" الأمريكية، ويقول: "إنه ليس مجرد كتاب وإنما هو عمل وطني قام به مؤلفه "جلين جرينوود" لما تضمنه من تحليل للبعد الديني في شخصية بوش وتأثيراته الكارثية على أمريكا الحاضر والمستقبل، ومحاولة تبصير الأمريكيين بما ينتظرهم على يدي رئيس ديكتاتور، اختطف دينهم المسيحي وصبغه بنبوءات توراتية كاذبة، وراح يتاجر به ليأخذهم معه إلى الحضيض[٢].

يقول جرينوود: إن أكبر كارثة حلت بأمريكا على مدى تاريخها بأكمله هي انتخاب رئيس أهوج أحمق، يحمل فكرة غبية وبلهاء، مفادها أن الصراع بين الخير والشر لا بد أن يحدد توجهات أمريكا، وأن عليها أن تنهض بتفويض من الرب لاستئصال قوى الشر من العالم، بوصفها تمثل قوى الخير. ويتساءل جرينوود: "من إعطاء هذا التفويض الإلهي هل يمكن أن نصدق هراءه بأن الرب جاءه وطلب منه إنقاذ العالم؟!"[٣].

ويقول المؤلف: إن بوش، الذي يعاني منذ طفولته عُقَدًا نفسية واضطرابات عقلية، ويحمل إرثًا دينيًّا متطرفًا لم يكن مؤهلًا لتولي منصب سياسي كبير

---

(١) المصدر نفسه، ص ٢٠٢.

(٢) مجدي كامل، مصدر سبق ذكره، ص ٢٠٢.

(٣) المصدر نفسه، ص ٢٠٢ – ٢٠٣.

كمنصب الرئيس، ولهذا لجأ لإضفاء طابع ديني على حملته لتسويق نفسه كرسول العناية الإلهية، والمسيحي المدجج بأفكار توراتية"[١].

ويدلل المؤلف على هذا بنقل بعض ما كان بوش يردده في مناسبات عدة عند ترشيح نفسه: "لقد سمعت الدعوة، أعتقد أن الله يريدني أن أرشح نفسي للرئاسة"[٢].

ويقول المؤلف: "في الثاني عشر من أيلول عام ٢٠٠١ ألقى بوش خطابًا للأمة، وقدم صورة واضحة لما هو آت، صورة يمكن أن نقول: إنها حددت مسار رئاسته بأكملها، صورة الصراع بين الخير والشر وفق إيمانه المسيحي هو الذي تدعمه أوهام توراتية، وقد شكل إيمان بوش الخاص هذا -ليس إيمان المسيحيين بشكل عام- رؤيته لثنائية العالم، ومن ثم إجبار كل شخص على أن ينحاز لجانب الخير أو الشر، وركب بوش الرأي العام مستغلًّا هجمات أيلول، وجثمت عقيدته الحمقاء هذه على صدر الأمريكيين ومعهم العالم، وأبحر بوش في حربه المبكرة على الإرهاب ليحدد وفق رؤية عبيطة أعداء أمريكا، ويضع أجندة لهزيمتهم، والغريب أن بعض هؤلاء الأعداء الذين حددهم بوش كانوا من الحلفاء أو من الأصدقاء، وهذا يفسر اتخاذه موقفًا أكثر تشددًا بعد أحداث ١١ سبتمبر، رغم تعاون وتعاطف حكوماتهم وتعاونهم مع بلاده لمحاربة الإرهاب"[٣].

وضرب المؤلف مثلًا بما قاله بوش من أن: "منطقة الشرق الأوسط تمر بمرحلة تاريخية ومفصلية تستوجب من شعوبها الاختيار ما بين الديمقراطية

---

(١) المصدر نفسه، ص ٢٠٣.

(٢) المصدر نفسه، ص ٢٠٣.

(٣) مجدي كامل، مصدر سبق ذكره، ص ٢٠٣.

والحرية، وما بين الاستبداد والتطرف". ويقول: إن هذه الرسالة لم تكن لشعوب الشرق الأوسط، وإنما المستهدف منها أتباع الكنائس الإنجيلية قاعدته الانتخابية العريضة هو ويمينه المحافظ، أما الهدف فكان التأسيس لحروبه المقبلة كحرب العراق، وكان بوش يريد أن يؤكد لهم تمسكه بتطبيق حكم الله في الأرض وتحقيق "النبوءة"؛ أي تخليص منطقة الشرق الأوسط من قوى الشر، الشرط الأساس لعودة المسيح، وتحضير المنطقة لخوض المعركة الأخيرة التي سينتصر فيها الخير على الشيطان، وبالتالي إقامة دولة الله على الأرض"[(١)].

ويكشف جلين النقاب عن أسباب انهيار سلطة بوش وتأييد الأمريكيين له فيقول: "إن أهم وأخطر سبب هو رؤيته المدمرة للصراع بين الخير والشر. ويقول: إن بوش وهو يحاول -كما وعد الأمريكيين- القضاء على الشر قام هو نفسه بخلق شتى أنواع الشرور، فراح يعلن حروبه غير المبررة، ويأمر أجهزته بملاحقة المسلمين في شوارع أمريكا، وراح يتنصت على الأمريكيين بقوانين غير دستورية سنها بنفسه ليكون أول ديكتاتور منتخب في تاريخ أمريكا، وراح يخسر الخلفاء والأصدقاء الذين نظر بعضهم له كمعتوه لا يفقه في أمور السياسة شيئًا، أو كراعي بقر أحمق لا يصلح أن يقود أمة عظيمة، وعندما راح

---

(١) المصدر نفسه، ص ٢٠٣ – ٢٠٤.

أصدر جورج بوش الجد كتابًا بعنوان "حياة محمد" عام ١٨٣١ يقول فيه: "ما لم يتم تدمير إمبراطورية المسلمين فلن يتمجد الرب بعودة اليهود إلى وطن آبائهم وأجدادهم، وإنه لا بد من تدمير إمبراطوريتهم حتى نقيم إمبراطورية الرب". ولم يقف الأمر عند هذا الحد، فقد نهل الابن أيضًا من الأب بوش الرئيس الأسبق، الذي كان معروفًا بعلاقاته الوثيقة بالتيارات المسيحية المتطرفة، وإن كان أكثر حرصًا من الابن على إخفاء توجهاته هذه. راجع: المصدر نفسه، ص ٢٠٤.

بوش يقاتل الأشرار حول العالم اكتشف الأمريكيون أن كل الشرور من صنع يديه هو، فراحوا يتراجعون عن تأييده"[١].

ويقول جلين: إن الأمريكيين أدركوا أخيرًا أنه لولا أنهم مُنُوا بعقلية كعقلية بوش ومعه هذه الإدارة الفاسدة، فإن العالم كان سيكون أكثر أمانًا مما هو عليه الحال الآن"[٢].

موقع "ديالوغ إنترناشيونال" المتخصص في العلاقات السياسية والثقافية بين الولايات المتحدة وألمانيا الاتحادية يقول: إنه "عندما لا يقرأ بوش النص المكتوب بين يديه، ويكون بعيدًا عن معاونيه، يظهر جليًّا أمام الجميع مدى افتقاده الشديد للذكاء وللنضج العام"[٣].

وفي الآونة الأخيرة راحت أنباء تعاطي بوش عقاقير قوية للسيطرة على الاكتئاب وجنون الارتياب اللذين ينتابانه، تتردد في الصحف الأمريكية، وأكدها أطباء أمريكيون ممن عملوا في السابق مع بوش لبعض الوقت[٤].

ويقول بعض المساعدين السابقين لبوش: إن الأدوية والمسكنات الموصوفة له، والتي يشرف على إعطائها له الكولونيل ريتشارد تاب طبيب البيت الأبيض، قد تؤثر في قوى الرئيس الأمريكي العقلية، وتثبط عزيمته، وتخفض من قدراته الجسدية، وقدرته على معالجة الأزمات[٥].

(١) مجدي كامل، مصدر سبق ذكره، ص ٢٠٥.

(٢) المصدر نفسه، ص ٢٠٥.

(٣) مجدي كامل، مصدر سبق ذكره، ص ٢٠٦.

(٤) المصدر نفسه، ص ٢٠٦.

(٥) المصدر نفسه، ص ٢٠٦.

يقول بوب ودوارد: "حين قابلت الرئيس بوش الابن في العشرين من آب ٢٠٠٢ لجمع مادة كتابي "بوش محاربًا" أشار عشر مرات إلى "غرائزه الفطرية" أو ردود أفعاله "الغريزية" بوصفها دليلًا هاديًا لقراراته، حيث يقول: "لست لاعبًا يعتمد على الكتب التعليمية، بل على المواهب الفطرية، والكالسيوم في العمود الفقري قائد يشتغل وفق مبدأ "عدم الشك". وقد علق ودوارد على ذلك قائلًا: "تعد غرائزه الفطرية طبيعة ثانية له تقريبًا". في حرب أفغانستان صاغ المؤشر الدال على أن قناعاته سوف تلغي كل شيء آخر وتقهر كل شخص آخر[١].

في العادة يتطلب صنع القرار المتعلق بالأمن القومي عملية صارمة ودقيقة من تقصي بدائل مسار العمل، لكن الرئيس السابق "بوش الابن" الواثق البعيد عن الشبهة لمنهجه يكتسح أية عملية، ولا يسمح بكثير من التفكير وإعادة النظر، لقد أصبح بوش وأعضاء فريقه من المسوقين لثقته ويقينه، ولم يكتف هادلي بالإذعان لأحكام بوش وآرائه فقط، بل لمنهجه وأسلوبه أيضًا، فعمل على تهميش أسلوب كورنيل وبيل وتجربته الخاصة[٢].

طلب أحد المراسلين من الرئيس السابق بوش الابن في مؤتمر صحفي بعد نحو ثلاثة أعوام في البيت الأبيض يوم ٢٥ أيار ٢٠٠٦ أن يحدد: "الهفوات والأخطاء التي ارتكبها شخصيًّا وندم على اقترافها". رد بوش قائلًا: "لعلها أشبه بجملة باتت متكررة (هات قل لنا) كلام فيه قسوة، يوجه رسالة خاطئة إلى الشعب، تعلمت بعض الدروس على صعيد التعبير عن نفسي ربما بطريقة أكثر تعقيدًا،

---

(١) بوب ودوارد، الحرب الداخلية التاريخ السري للبيت الأبيض بين عامي ٢٠٠٦ – ٢٠٠٨، ترجمة معين الإمام، العبيكان، الرياض، ٢٠١١، ص ٤٥ – ٤٦، ٥٤٤.

(٢) المصدر نفسه، ص ٤٦.

تعرفون عبارة "حيًّا أو ميتًا" ذلك النوع من الكلام، أظن أنه أسيء تفسيره في أمكنة معينة من العالم، وبالرغم من ذلك فأنا تعلمت منه درسًا"[١].

نستخلص من دراسة شخصية الرئيس السابق جورج دبليو بوش أنه لا يمتلك صفة القائد، ولم يشكل أية منظومة قيادية، وكل عوامل القوة التي يمتلكها لا تعود إليه كشخص، وإنما إلى النظام الذي يترأسه، ولا يمتلك أية رؤية لأي شيء، وثقافته السياسية لا تتجاوز ثقافة أي فرد متوسط الذكاء، ويستند إلى قيم ممزوجة بين ما هو ديني وما هو برجوازي، وتصوراته عن السلطة محكومة بتصوراته عن الرجل الذي في القمة، فهؤلاء الأشخاص مزجوا بين الموقع والسلطة، وبوصفه في المرتبة الأولى كان له قناعة بأنه السلطة الأولى، ومن هنا تكونت كل أفعاله وردودها تجاه الواجبات التي أوكلت إليه. وباستخدامه المتزايد للسلطة خُلقت عنده فكرة الجهاز الوحيد القائمة على الاستبدادية في شعور الأمة التي تتحول إلى مشاعر متنوعة ومختلفة، ولكنها تتفق على هدف واحد هو إزاحة هذا الرجل عن مركزه وإبعاده عن أدوات السلطة التي أساء استخدامها. ومما عقَّد الوضع لدى بوش أنه نتيجة أيضًا للظروف قد حصل على تفويضات كبيرة أكثر مما يتمتع به المركز الوظيفي الذي تبوأه، الأمر الذي أدى إلى تراكم وتركيز السلطات، وتضخم الرئيس، وحيث إن هذه الضخامة لا ترافقها شخصية قيادية أو منظومة قيادية كانت مثل فيل يرقص في مستودع للخزف[٢].

---

(١) بوب ودوارد، حالة إنكار حرب بوش، مصدر سبق ذكره، ص ٢٩٠.

(٢) قصي محبوبة، القائد بين السياسة والسلطة والنفوذ.. صراع المفاهيم والشخصيات في الأمم والدول والمؤسسات، الأهلية للنشر والتوزيع، عمان، ٢٠١٠، ص ٦٠ – ٦١.

وخلال مرحلة الانتخابات التمهيدية لاختيار مرشح الرئاسة الديمقراطي في الولايات المتحدة في العام ٢٠٠٨، وبعدما أصبح أوباما[1] يتقدم في نتائج

---

(١) باراك هو الاسم الأول لأوباما ويعني "مبارك" باللغة العربية، فجده كان مسلمًا، حصل والد أوباما (كيني الأصل) على منحة للدراسة في الولايات المتحدة، وكان والد باراك يرعى الماعز في صغره إلى جانب الدراسة، وبعد الحصول على إجازة جامعية نال منحة دراسية وانتقل للدراسة في ولاية هاواي الأمريكية، ماتت والدة أوباما آنا دونهام مبكرًا بعد إصابتها بالسرطان، وخلال دراسته التقى الأب مع آنا والدة أوباما وتزوجا وأنجبا أوباما الابن عام ١٩٦١، حاول الأب الدراسة في جامعة هارفارد لكنه لم يكمل الدراسة لأسباب مالية، وعاد إلى كينيا وعمل مستشارًا لدى الحكومة الكينية وطلق والدة أوباما، عند بلوغ أوباما السادسة من العمر تزوجت والدته رجلًا إندونيسيًّا مسلمًا وانتقلت العائلة إلى إندونيسيا وعاش أوباما هناك أربع سنوات درس خلالها في مدارس كاثوليكية، ثم عاد بعدها مع والدته إلى ولاية هاواي للعيش مع جده وجدته الأمريكيين، في إحدى سنواته الدراسية لم يستطع والده دفع مصاريف المدرسة، ولذا طرد من المدرسة، وأصبح في غاية من الخجل، باكيًا طوال الليل لعدم استطاعته أن يفعل شيئًا، ولكنه كان محظوظًا؛ إذ سمعت إحدى المديرات بالمدرسة عما حل به وأعطته منحة دراسية سمحت له بالبقاء في الدراسة. في هذا المجال يقول أوباما: "وعلى الرغم من قدر رعايتي لأبي وقلقي عليه، فمن المؤسف أن أقول: إنني كنت سعيدًا لعدم اضطراري إلى العيش معه، لذا تركته بمفرده، وتركت الماضي خلف ظهري". في السنتين الأخيرتين في المدرسة الثانوية تحسنت أحوال والده، وكان ذلك عندما مات كينياتا وأصبح والده قادرًا إلى حد ما على العمل مرة أخرى في الحكومة، فحصل على وظيفة في وزارة المالية، وبدأ ينعم بالمال من جديد إلى جانب السلطة، وأكمل دراسته ودخل جامعة كولومبيا في نيويورك، حيث درس العلوم السياسية، وبعدها انتقل إلى مدينة شيكاغو وعمل بإحدى الهيئات المحلية لمدة ثلاث سنوات ونصف، عام ١٩٨٨ انتقل إلى جامعة هارفارد لدراسة القانون، وبعد التخرج كان أول إفريقي يتولى منصبًا مرموقًا في الجامعة، ثم تولى منصب السيناتور في مجلس ولاية إلينوي في المدة الواقعة بين ١٩٩٦ – ٢٠٠٤. ويعد أوباما السيناتور الأسود الخامس في تاريخ مجلس الشيوخ الأمريكي، والسيناتور الوحيد =

الانتخابات على هيلاري كلينتون كان مديرو الحملة الانتخابية لهيلاري يحاولون طرح ورقة "الواسب"؛ أي الأبيض الأنجلوساكسوني والبروتستانتي وبالأخص على وتر البروتستانت، فكان التركيز على ديانة والد باراك وعلى مرحلة الطفولة لحسين أوباما الذي درس سنتين في مدرسة ابتدائية مسلمة في جاكرتا بإندونيسيا، كما روج المحيطون بهيلاري صورة فوتوغرافية يظهر فيها باراك مرتديًا زيًّا تقليديًّا صوماليًّا يشبه اللباس التقليدي للمسلمين، وكان باراك مدركًا لهذه السهام التي قد تأتيه من خصومه الديمقراطيين أو الجمهوريين(١).

= في المجلس الحالي، ثم أول مرشح أسود للانتخابات الرئاسية في تاريخ الولايات المتحدة. تزوج أوباما من شريكته في مكتب المحاماة ميشيل روبنسون في عام ١٩٩٢، أوباما وميشيل لديهما ابنتان: ماليا وهي من مواليد عام ١٩٩٨، وساشا من مواليد عام ٢٠٠١. تأثر أوباما بالسيرة الذاتية لمالكولم إكس، ومن خلاله حاول أن يفك لغز القومية السوداء، وجادل بأن الرسالة الإيجابية للقومية عن التضامن والاعتماد على النفس والنظام والمسئولية المشتركة ليست في حاجة إلى أن تكون معتمدة على كراهية البيض أكثر من اعتمادها على سماحتهم، وكان يحث نفسه ويحدث أصدقاءه السود بأن بوسعهم إخبار الولايات المتحدة عن مواطن الأخطاء، وكان أصدقاؤه يستمعون إليه دون التوقف عن الإيمان بقدرة البلد على التغيير. راجع: باراك أوباما جرأة الأمل أفكار لاستعادة الحلم الأمريكي، عرض وتحليل حسين عبد الواحد، مدبولي الصغير، القاهرة، ٢٠٠٩، ص ٤١ – ٤٣. باراك أوباما، أحلام من أبي قصة عرق وإرث، ترجمة هبة نجيب مغربي وإيمان عبد الغني نجم، ط ٤، كلمات عربية للترجمة والنشر، القاهرة، ٢٠١٠، ص ٢٨، ٦٨، ١٢٨، ٢٣٥،٢٥٨. ومجدي كامل، مصدر سبق ذكره، ص ٢٢٧ – ٢٢٩، ٢٤٠، ٣٠٥.

(١) باراك أوباما، جرأة الأمل أفكار لاستعادة الحلم الأمريكي، مصدر سبق ذكره، ص٢١.

يقول أوباما في وصف أمه: " كل صفاتي الجميلة اكتسبتها من أمي.. الفضل في كل ما حققته يعود إليها". راجع: مجدي كامل، مصدر سبق ذكره، ص ٢٢١.

والحق، نصح أحد أصدقاء أوباما، الذي يعمل مستشارًا للاتصالات، بأن يغير اسمه؛ لأن الناخب الأمريكي قد يتردد كثيرًا أمام اسم "حسين" وباراك؛ لأن حسين يستدعي للذاكرة اسم الرئيس العراقي السابق "صدام حسين"، وباراك يشبه الأسماء الإسلامية لارتباطهما بأحداث ١١ أيلول التي اتهم فيها جميع المسلمين. من هذا المنطلق يقول أوباما: "بالنسبة لأمي، كان الدين يعني انغلاق الفكر وارتداءه ثوب التقوى، ويعني ارتداء القسوة، والقمع في ثوب الصلاح، وعلى الرغم من أن والدي تربى وترعرع كمسلم فإنه عندما قابل والدتي أصبح ملحدًا تمامًا، وكان يعتقد أن الدين مجرد خرافة[١]. أخذ أوباما بنصيحة صديقه، وراح يؤكد على أنه مسيحي معمداني، وبذلك يرد على كل من يتهمه بالإسلامي المتطرف، وأكثر من ذلك فإن الكثيرين من مؤيديه حاولوا إبعاده عن شبهة الإسلام بالإشارة إلى أن اسمه أقرب للاسم اليهودي "باراخ" الذي يعني البركة، وهو ما سوف يجعله مباركًا على اليهود من خلال تقديم المزيد من الدعم للكيان الصهيوني على حساب العرب والمسلمين[٢].

إدراك أوباما لأهمية المال اليهودي والهيمنة الإعلامية جعله يتودد لليهود في اجتماعاتهم السنوية للإيباك، وبدأ يقسم بأغلظ الإيمان أنه سيدافع عن القدس كعاصمة موحدة غير قابلة للتجزئة للكيان الصهيوني. وبتعبير آخر فإن أوباما لا يؤمن بالعقائد التي يؤمن بها والده من أن القدس أرض مقدسة للمسلمين أو ما تمثله من رموز كأولى القبلتين وثالث الحرمين، وهو إيمان قطعي بأنه كمسيحي معمداني يؤمن باليهود كشعب الله المختار، وشد الرحال سنويًّا إلى مجمع الإيباك

(١) باراك أوباما، جرأة الأمل أفكار لاستعادة الحلم الأمريكي، مصدر سبق ذكره، ص ٧٨ – ٧٩.

(٢) المصدر نفسه، ص ٢٢.

لها دلالتها الانتخابية، حيث يصوت أغلبية اليهود بنسب كبيرة لصالح الحزب الديمقراطي[1].

ومن المؤكد أن أوباما أدرك جيدًا هذه التجربة ولم يشأ أن تتكرر معه، انطلاقا من رؤية تاريخية تؤكد أنه طيلة ٢١٨ سنة وبعد ٥٦ تجربة انتخابية رئاسية في التاريخ السياسي الأمريكي تكرس مبدأ ثابت قائم على مركزية الرجل الأبيض الأنجلوساكسوني والبروتستانتي أو ما يعرف اختصارًا بالـ"واسب"، وكان الاستثناء في هذه التجربة جون كيندي الذي ينتمي للطائفة الكاثوليكية، ولكن نهايته كانت مأساوية يدركها جيدًا أوباما؛ لأنه يستدل كثيرًا بخطاباته، فضلًا عن ذلك فهو من أبرز الرؤساء الديمقراطيين[2].

ومن نافلة القول أن أوباما يمتلك صفات قيادية منذ أن كان طالبًا في جامعة هارفرد، حيث كان أول أمريكي من أصول إفريقية يرشح نفسه لرئاسة تحرير مجلة الجامعة التي تضم الصفوة المختارة من المجتمع القائمة على التقاليد البرجوازية المحافظة؛ إذ هو يمتلك الجرأة والثقة بالنفس، وهما حجر الزاوية في تشكيل الشخصية القيادية، وأضاف إليهما أهم سمة من سمات القيادة وهي التواصل، فهو متحدث[3] لبق يملك وسائل الإقناع، لم تتوقف جرأته عند أبواب جامعة هارفرد فنقلته إلى أبواب الكونغرس، عند هذا الحد وصل أوباما إلى قمة أمانيه، وكان راضيًا عن نفسه تمامًا، ولم يتجرأ على أن يشطح بخياله أكثر من ذلك[4].

---

(١) باراك أوباما، جرأة الأمل أفكار لاستعادة الحلم الأمريكي، مصدر سبق ذكره، ص ٢٢ – ٢٣.

(٢) المصدر نفسه، ص ٢٣ – ٢٤.

(٣) قصي محبوبة، مصدر سبق ذكره، ص ٦١.

(٤) المصدر نفسه، ص ٦١.

بوش وأوباما، بعيد أحدهما من الآخر، ولا يوجد أي رابط بينهما حتى الروابط البسيطة، ولكنهما جزء من نظام ضخم جدًّا يسمح بالحركة في داخله بحرية محدودة، فداخل حرية النظام توجد مناطق ممنوعة بصفة غير رسمية ومحرمة تقليديًّا، الظروف كانت تتشكل وتخلق قوانينها ومفاجآتها(١).

ومن القادة المعاصرين الذين لهم دور في عملية صنع القرار، رئيس وزراء تركيا الحالي، وزعيم حزب العدالة والتنمية، رجب طيب أردوغان، من حيث البيئة الجغرافية هو من محافظة "ريزة" في منطقة البحر الأسود بشمال تركيا، تكتنفها جبال عالية وسهول تتميز بالخصوبة، والأهالي لهم ميل إلى الشجار، مع عدم وجود صفة الكراهية والحقد عندهم، يتميزون بسمة الغضب والتهدئة بسرعة أيضًا، إلى جانب صفة الشجاعة والذكاء المفرط، وإقدامهم الكبير والحثيث نحو العمل(٢).

انتقل أهل أردوغان إلى حي "قاسم باشا" في إسطنبول، حيث يتميز قاطنوه باستخدام السلاح الأبيض، مع صفات أخرى، إلا أن أردوغان لم يتكيف بتلك البيئة، والتي لها إغراء لشبابها(٣).

إن روح "حي قاسم باشا" تعد مثالًا واضحًا على مدى الترابط الاجتماعي في علم الاجتماع، أما على المستوى اللاشعوري فهي وإن أدت إلى استدعاء صور نمطية للعجرفة والفتوة، فإنها تعبر عن معنى يتضمن أن الشاب المنسوب إلى

---

(١) قصي محبوبة، مصدر سبق ذكره، ص ٦١.

(2) Huseyin Besli, Omer Ozbay, R. Tayyip Erdogan Bir Liderin Dogusu, Meydan Yayincilik, Istanbul, 2010, s. 17.

(3) Ibid., s. 9.

"حي قاسم باشا" يتوجب عليه أن يوصف بالشجاعة والمروءة. وفي هذا الشأن فإن جملة الصفات الحسنة والسلوكيات التي تعبر عن الشجاعة والمروءة إنما ترجع إلى الشخص ذاته أكثر من رجوعها إلى البيئة التي يسكنها فقط[١].

فالاتصاف بالشجاعة والمروءة يعد قدرة على التحدي ورد فعل تلقائي قادر على تطوير البيئة ضد نمط الحياة النخبوي؛ فالشخص الذي ينتمي إلى هذه الفئة عندما يعبر عن غضبه فإن المتلقي سرعان ما يعتقد أن ذلك الشخص ناقص الخلق وضعيف التربية [٢].

في هذه البيئة أخذ أردوغان يمارس هواية كرة القدم لمدة ستة عشر عاما، إلى وقوع انقلاب ١٢ أيلول من العام ١٩٨٠. إن ممارسة هواية كرة القدم من قبله كانت البداية للوصول إلى مكانته اليوم، ومن خلال ذلك تعلم الصبر في مواجهة العقبات، والثبات حتى الدقائق الأخيرة، وأن يحول الكرة تحت قدمه إلى هدف يسدده في مرمى المنافس. وما من شاب يمارس هذه الهواية إلا ويفكر في أن يكون النجم الساطع في المستقبل[٣].

إن أعوام ممارسة كرة القدم كانت كفيلة بدفع أردوغان إلى السعي الحثيث للمثابرة والتخطيط الصحيح، وأكسبته الاتزان وإعداد الإستراتيجيات، وعلمته مفهوم النصر والهزيمة، ومنحته الثقة بالنفس، ووهبته الإقدام والمثابرة[٤].

---

(1) Ibid., s. 21.

(2) Ibid., s. 21 – 22.

(3) Ibid.,s. 11.

(4) Ibid.,

إلى جانب ذلك فإن دراسته في مدرسة الأئمة والخطباء كانت كفيلة في تدعيم مساراته السياسية، حيث انكب على دراسة الشريعة الإسلامية، وحفظ الآيات القرآنية، والأحاديث النبوية، مما أكسبه التمتع بأساليب بلاغية ومهارات خطابية متميزة[١].

من ناحية أخرى، ولفقر عائلته، عمل أردوغان بائعًا للسميط والماء في شوارع إسطنبول، وكان ينفق جل ما يحصل عليه من أموال على شراء الكتب، الأمر الذي دفعه إلى جمع كتب كثيرة في بيته وهو لا يزال في ريعان شبابه وفي مراحل دراسته الأولى، وكان من نتائج ذلك بلورة ثقافته، حيث انكب على دراسة مشاهير تركيا في الشعر والأدب، أمثال "سردانغتشي"، و"نجيب فاضل قيصة كورك"، و"محمد عاكف ارصوي"، فضلًا عن كلاسيكيات الأدب الروسي ولا سيما روايات "تولستوي"[٢].

يقول آرنولد توينبي: إن هناك نوعين من السلوك تسلكهما الأمة عندما تغلب أمة أخرى، أو عندما تقع في وضع خطر يهدد كيانها: إمَّا أن تتقوقع على نفسها، وفي هذا المجال يعطي مثالًا لذلك بالحركة السنوسية في شمال إفريقيا والحركة الوهابية في الجزيرة العربية. أو أن تقلد الأمة الغالبة، وهذا يعطي مثالًا لذلك من حركة محمد علي باشا في مصر، وحركة مصطفى كمال في تركيا[٣].

والحقيقة، نستطيع أن نكتشف أمورًا كثيرة تحيط بشخصية مصطفى كمال، بيئته الاجتماعية الأولى في سلانيك، فقدانه للعطف الأبوي، تربيته على يد

---

(1) Ibid.,

(2) Huseyin besli, Omer osbay, op. Cit., s. 19.

(٣) ضابط تركي سابق، الرجل الصنم كمال أتاتورك، ط٢، ترجمة عبد الله عبد الرحمن، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٨٢، ص٩.

والدته، كل هذه الأمور انعكست على سياسته الداخلية والخارجية بعد انتهاء حرب الاستقلال في عام ١٩٢٢م.

والحق أن القيادة لا تعني شخصًا وإنما تعني قيمًا، وأن الظاهرة لا تفرض ولا تختلط بأسلوب ممارسة السلطة، وإنما تصير عملية علاقة بين الطبقات الحاكمة والطبقات المحكومة[١].

وفي هذا المعنى كتب الجنرال ديغول قائلًا: "لا شيء عظيم يصنع بدون رجال عظماء، وأولئك عظماء لأنهم أرادوا أن يكونوا كذلك"[٢].

يتحدث نيكسون عن عنصر القيادة مشيرًا إلى أن هناك عنصرين فقط، وهما: التمتع بالسلطة وعدم خشيته من المجازفة بالأخطاء سيقوم بالتحركات الجريئة التي تتطلبها القيادة العظيمة. ويردف نيكسون قائلًا: "فالقرارات الصعبة التي تعين اتخاذها بشأن إنهاء التورط الأمريكي في فيتنام غالبًا ما كانت قرارات مغلقة، وعندما يعرب المستشارون الذين أسهموا في صنع تلك القرارات عن شكوكهم بصورة سرية بشأن صحتها أقول لهم: تذكروا زوجة لوط ولا تلتفتوا إلى الوراء قط، فإذا ما شغل القائد نفسه بما إذا كانت القرارات التي اتخذها صحيحة أم لا يصبح مشلولًا، وإن السبيل الوحيدة التي يستطيع بها إعارة الانتباه الكافي للقرارات التي ينبغي عليه اتخاذها غدًا هي أن يطوي قرارات الأمس ويدير ظهره لها"[٣].

---

(١) الدكتور حامد ربيع، نظرية السياسة الخارجية، مصدر سبق ذكره، ص٣٤.

(٢) ريتشارد نيكسون، القادة، ترجمة خضر إبراهيم، ص٤٤٢.

(٣) ريتشارد نيكسون، القادة، مصدر سبق ذكره، ص٤٥٤.

وفي هذا المجال يقول أحد منتقدي ديغول: "في المسائل السياسية يعتقد أن ثمة خطأ هاتفيًّا مباشرًا مع الإله، وأن كل ما يترتب عليه أن يفعله عند صنع القرارات هو أن يتصل عبر سلك الهاتف ويحصل على الكلمة مباشرة من الإله"[1].

وفي هذا الصدد يتحتم علينا أن نلقي الضوء على عنصر القيادة في عملية المواجهة، ويمكن تلخيص ذلك في المبادئ الآتية:

١- **الحساسية**: وتعني إمكانية فهم طبيعة الموقف وخصائصه، فالقيادة هي نوع من السلوك الذي يخرج عن السلوك المعتاد، وهي لذلك أكثر قدرة على الخضوع للاستجابة بالموقف.

٢- **عملية الاختيار**: إن عملية الاختيار عمل إرادي لا يمكن أن يقوم بها إلا قائد وزعيم، على أن اختيار القرار ليس فقط مجرد اختيار أنموذج للحركة، وإنما هو عملية تفضيل وقدرة على الموارد يتلاعب فيها أكثر من متغير واحد.

٣- **الناحية الأيديولوجية**: وتقوم هذه الناحية بعملية ربط بين الحركة والفكر، بين المواجهة وما تعنيه، والتقاليد وما تفرضه.

٤- **عنصر الثقة**: وهذا العنصر لا يمكن أن ينبع إلا من شخص الزعيم، فالقيادة ليست شخصًا فقط، وإنما علاقة بين القائد وجماعته، وهذه العلاقة تفرضها خصائص الظاهرة القيادية.

---

(١) المصدر نفسه، ص٤٥٣.

كذلك فإن عملية الاتصال بأبعادها المختلفة التي تنبع من الظاهرة القيادية التي تصير أساسية في بعض المواقف، وبصفة خاصة عندما تتعرض للمعارك المصيرية تتبع وتتحدد بطبيعة القيادة[١].

٥ – **التواضع**: السيطرة على الأعصاب في حالتي النصر والفشل من أصعب الأمور التي يجب أن تتوفر في القائد الممتاز، وربما تكون السيطرة على الأعصاب في حالة الهزيمة أسهل من السيطرة عليها في حالة النصر، فكم غيَّر النصر من أخلاق القادة وجعلها تنقلب من حال إلى حال[٢].

ولكن نصر المسلمين يوم فتح مكة، حيث دخلوها بعشرة آلاف مقاتل، جعل الرسول ﷺ يتواضع لله، حتى رآه المسلمون يوم ذاك ورأسه قد انحنى على رحله، وبدا عليه التواضع الجم، حتى كانت لحيته تمس واسطة راحلته خشوعًا، وترقرقت في عينيه الدموع تواضعًا وشكرًا لله[٣].

إن قيمة هذا التواضع في موقف يعد أكبر نصر للمسلمين تتضاعف في النفس إذا قارناه بمواقف العظمة والجبروت التي أبداها مختلف القادة في مختلف الظروف عندما حازوا نصرًا أقل قيمة من فتح مكة بكثير[٤].

---

(١) الدكتور حامد ربيع، نظرية السياسة الخارجية، مصدر سبق ذكره، ص٣٤.

(٢) محمود شيت خطاب، الرسول القائد، ط ٢، منشورات دار مكتبة الحياة ومكتبة النهضة، بغداد، ١٩٦٠، ص ٢٤١. والسيرة النبوية لابن هشام، الجزء الرابع، ط ٢، حققها وضبطها وشرحها مصطفى السقا وإبراهيم الإبياري، وعبد الحفيظ شلبي، دار الخير، بيروت، ١٩٩٥، ص ٤٩.

(٣) محمود شيت خطاب، مصدر سبق ذكره، ص ٢٤١.

(٤) المصدر نفسه، ص ٢٤١.

إن تواضع الرسول ﷺ درس عملي لكل قائد منتصر، وما أصعب الظهور بهذا المظهر ساعة النصر![1].

جاء في كتاب رالف بيترز "القتال من أجل المستقبل: هل ستنتصر أمريكا؟ "إن كل الديانات العظمى تحذر متبعيها من خطر الغرور،

وذلك من خلال استنكار خطيئة الغرور، أو الإصرار على أن التواضع فقط يمكنه أن يقود إلى التنور، إننا في زحمة بعدنا عن الدين سواء كان عملنا هذا خطأً أم صوابًا قد فقدنا دون شك نفاذ البصيرة فيما يخص هذا الأمر بالذات"[2].

٦ - **الثبات:** من الممكن استنتاج هذه الصفة من غزوة حنين في التاريخ الإسلامي في سنة ثمان بعد الفتح، حيث دخلت قوات المسلمين وادي حنين فجرًا، وكان واديًا أجوف منحدرًا ينحط فيه الركبان كلما أوغلوا كأنهم يسيرون إلى هاوية، فلما استقرت أكثر قوات المسلمين في الوادي رماهم المشركون بوابل من سهامهم، فلم يعرف المسلمون مصدر ذلك الرمي لأن الظلام كان سائدًا وقتذاك، ولأن مواضع المشركين كانت مخفية تمامًا، فانسحبت مقدمة المسلمين وجرفت أمامهم قوات المسلمين الأخرى، فانقلب انسحاب المسلمين إلى هزيمة.

ثبت الرسول ﷺ في مكانه، وثبت معه عشرة من أهل بيته ومن المهاجرين: علي بن أبي طالب، والعباس بن عبد المطلب، وأبو سفيان بن الحارث، وابنه، والفضل بن العباس، وربيعة بن الحارث، وأسامة بن زيد، وأيمن ابن أم أيمن بن

---

(١) المصدر نفسه، ص ٢٤١.

(٢) نقلًا عن مايكل شوير، مصدر سبق ذكره، ص ٢٧.

عبيد قتل يومئذٍ، وأخذ الرسول ﷺ ينادي الناس إذ يمرون به منهزمين: "أين أيها الناس؟ أين؟ هلموا إلي، أنا رسول الله، أنا محمد بن عبد الله". فلا يرد عليه أحد[١].

اجتمع حول الرسول نحو مائة مسلم وهم يصيحون: لبيك. فاستقبل الرسول بهم المشركين، وصمدوا في مواضعهم حتى فتر هجوم المشركين، وكان النهار قد طلع والمشركون قد تركوا مواضعهم، فلا يحتاج المسلمون إلا للصمود لإيقاع بعض الخسائر بالمشركين لكي تتزعزع معنوياتهم وينسحبوا من الميدان، ولولا صمود هذا العدد القليل من المسلمين ومشاغلتهم المشركين لكانت خسائر المسلمين في تلك المعركة كبيرة جدًّا[٢].

وأخذ عدد المسلمين الصامدين يتزايد، وهناك بدأ الهجوم المقابل على المشركين، وعندما رأت هوازن وثقيف أن المقاومة لا تجديهم نفعًا، وأنهم لا يستطيعون صد هجوم المسلمين، انسحبوا من ميدان المعركة تاركين وراءهم نساءهم وأبناءهم وأموالهم غنيمة للمسلمين، ولم يكن للمشركين ساقة لحماية الانسحاب، فانقلب انسحابهم إلى هزيمة[٣].

هناك خصائص معينة للقائد السياسي بالإمكان إيجازها في الآتي:

(١) محمود شيت خطاب، مصدر سبق ذكره، ص ٢٤٩. والسيرة النبوية لابن هشام، مصدر سبق ذكره، ص ٦٧.

(٢) محمود شيت خطاب، مصدر سبق ذكره، ص ٢٥٠. والسيرة النبوية لابن هشام، مصدر سبق ذكره، ص ٦٨.

(٣) المصدر نفسه، ص ٢٥٠.

١- الشخصية التسلطية:

تتميز هذه الشخصية بكونها تؤكد السيطرة على المرءوسين، والميل نحو استخدام المفاهيم النمطية، مع نظرة ثابتة للعالم السياسي على أنه مكون من أصدقاء وأعداء، والتعصب لقوميتهم، كل ذلك يفسر ميل هؤلاء نحو الحرب والعدوان، فضلًا عن تأكيدهم على اختيارات محددة كشن حرب محدودة، أو وقف الحرب نهائيًّا.

٢- العقل المتفتح والعقل المنغلق:

يعد ميلتون روكيش من رواد التحليل السياسي لخصائص العقل المتفتح، أمام العقل المنغلق كأحد خصائص الشخصية.

وفيما يخص العقل المنغلق نرى أنه يتميز بالقلق النفسي والميل إلى الاهتمام بمصدر المعلومات أكثر من اهتمامه بمضمون المعلومات، فضلًا عن عدم استيعاب المعلومات الجديدة التي تتعارض مع النسق العقيدي، ولهذه الأسباب نلاحظ أن هذه الشخصية ليس بإمكانها صياغة سياسة خارجية متكاملة أو رشيدة، مما يغلق أمامها بعض البدائل.

ومن صفات هذه الشخصية أيضًا نظرتها إلى العالم بعقلية تآمرية، وميلها إلى استخدام القوة مع الآخرين، والسرعة في اتخاذ القرارات، والابتعاد عن قبول الحلول الوسطى.

٣- تحقيق الذات:

تتميز الشخصية المحققة للذات بعدة خصائص، منها إشباع الحاجات الطبيعية، والإحساس بالأمن والانتماء، والإحساس باحترام الذات، هذه

الخصائص هي التي تخلق عند الشخص الإحساس باحترام الذات والثقة نحو العالم الخارجي، والانعطاف على العالم(١).

تعد ظاهرة القيادة من أكثر الظواهر الاجتماعية التي عنيت بالبحث والدراسة؛ إلا أنها كانت ولا تزال من أقل الظواهر فهمًا وإدراكًا في علم السياسة، مع الإشارة إلى أن كثيرًا من كتب علم السياسة تعالج ظاهرة القيادة من دون تناول تحليل دور القيادة وتأثيرها.

والحق، يُنظر إلى القيادة بشكل عام على أنها تمثل عملية تفاعل بين الحكام والمحكومين ضمن إطار يجمعهم: التراث والأيديولوجية والمصلحة المشتركة، وبوساطة مؤسسات محددة من وظائفها تنظيم هذه العلاقة(٢).

كانت دراسة ظاهرة القيادة محل اهتمام الباحثين منذ حقبة ليست بالقصيرة تعود إلى أفلاطون على عهد دولة المدن الإغريقية القديمة، إلا أن الدراسات المعاصرة بدأت في التركيز على تحليل نظريات القيادة ونماذجها منذ نهاية القرن التاسع عشر كرد فعل للنظرية الماركسية بشكل يتجاوز ما سبقها من دراسات متعددة في هذا المجال(٣).

يرى لوسيان سفاز أن دراسة القرار السياسي انطلاقًا من مفهوم القيادة السياسية يرتبط بحقبة النظام الفردي المطلق التي تسبق النظام الليبرالي الحديث والمرتبط بمكانيزمات العملية السياسية فيها لنمط وظيفي مؤسسي معقد وحديث(٤).

---

(١) الدكتور محمد السيد سليم، تحليل السياسة الخارجية، مصدر سبق ذكره، ص ٣٨٧-٣٨٨.

(٢) الدكتور نظام بركات، مصدر سبق ذكره، ص١٨.

(٣) مصباح، مصدر سبق ذكره، ص١٧٨.

(4) Bavelas, A., Communication Patternsin tasIr Oriented Groups in Cortwright and Zander, 1963.

تنوعت إسهامات المختصين والأكاديميين في كشف ملامح مفهوم القيادة، فبالنسبة للمختصين برز في هذا الحقل (بلافيلاس Bavelas الذي يعرف القيادة بأنها "عملية سيكولوجية وليست مركزًا أو مكانة وقوة فحسب، وإنما هي محصلة تفاعل اجتماعي فيه بتدفق النشاط الموجه الذي يكون له أثره على نفوس الأفراد والجماعات؛ إذ يكون للقيادة رد فعلها في عمليات الإنتاج ونجاح المشروعات"[١].

وتبعًا لذلك يفهم من كلام (بافيلاس) أن روح القيادة تتركز في التفاعل بين القائد والمحكومين، وليس يراد بها وجود شخص على رأس السلطة يقوم بمهام القيادة بصورة مجردة فقط، وإنما يؤكد (بافيلاس) على ديناميكية الدور القيادي، وليس مجرد وجود الحالة القيادية الجامدة من دون حيوية ونشاط فعال لإثبات القدرة القيادية للشخص الذي يشغل موقع القيادة.

ويظهر من جانب آخر (كوبرومجو) Cooper McGaugh ليؤكد على مفهوم القيادة محاولًا خلق نوع من التمييز بين "قيادة الدفع وقيادة الجذب"[٢]. إننا نرى (كوبر) يقترب نوعًا ما من مفهوم (بافيلاس)، وخاصة عندما نجد مفهومه للقيادة ليظهره بأنه مفهوم قيادة جذب أكثر ما يكون من مفهوم قيادة الدفع الذي يعني بأقل صورة ممكنة دفع المجموعة أو الجماعة إلى إنجاز مهمة أو تجاوز معضلة ما لتنتهي العملية بمجرد تحقيق ذلك، بل إن القائد بنظر (كوبر) يمكن أن يكون عامل جذب للجماعة، وبذلك تظهر حقيقة مهمة خلاصتها ضرورة وجود نوع من التفاعل بين القائد والمجموعة.

---

(١) منصف السليمي، مصدر سبق ذكره، ص١٤٨.

(٢) الدكتور حامد عبد السلام زهران، علم النفس الاجتماعي، ط٤، عالم الكتب، مطبعة دار العالم العربي، القاهرة، ١٩٧٧، ص٢٦٩.

أمَّا الأكاديميون فلم يكونوا أقل حظًّا من المختصين عندما تناولوا مفهوم القيادة في دراسات وبحوث أكاديمية متميزة كان لها وقع كبير في إزاحة بعض ملامح هذا المفهوم.

وعلى سبيل المثال لا الحصر أثار المشروع البحثي الذي قام به (دوروين كاتريت) الأستاذ بجامعة مشيغان ردود فعل ضمن مركز بحوث ديناميات الجماعة في الولايات المتحدة، و(ستوجديل) الذي قام بإعداد دراسة بعنوان "القيادة العضوية والتنظيم"، فضلًا عن إسهامات (ألفين زاندر) التي تعد من الدراسات المهمة التي ترى ضرورة عرض أبرز الآراء والأفكار التي تناولتها.

وهنا لا بد من الإشارة إلى الأبحاث التي قام بها آخرون مع الفريق البحثي السابق منهم (لوين) Lewin و(مورينو) Moreno وأثرهما في تقدم ملحوظ في تطوير مناهج دراسة القيادة كظاهرة في الجماعات، فالقيادة بنظرهما يمكن أن تعد "عملية تؤثر في نشاط جماعة منظمة من أجل تحقيق هدف معين، أو إرساء قواعد هذا الهدف"[(١)].

إن مراجعة بسيطة وتحليل جهد (لوين) و(مورينو) سيعطي لنا ملاحظة مهمة مفادها إضافة سمة جديدة تنفرد بها على التعاريف السابقة ألا وهي التأكيد على دور القيادة في تحقيق هدف معين، وفي أضعف الحالات تهيئة الأرضية المناسبة لخلق الهدف الذي يدفع الجماعة المنظمة لإنجازه بمساعدة وتوجيه القائد.

---

(١) دوروين كارلوبت وآخرون، تنظيم وقيادة الجماعات، ترجمة د. محمد طلعت عيسى، سلسلة الإنسان والمجتمع، دار مطابع الشعب، مكتبة القاهرة الحديثة، القاهرة، ١٩٦٥ م، ص١٩-٢٢.

لكن ما يؤخذ عليه أنه يندرج ضمن التعاريف العمومية وليس المحددة لتعريف مفهوم القيادة بشكل يؤثر على أن يكون أكثر دقة من غيره. أمَّا الدكتور عبد المنعم شوقي فيعرف مفهوم القيادة بأنها "عملية التأثير في جماعة من الجماعات في مواقف خاصة". والقيادة بنظره هي "قيادة مواقف"[١].

هنا بالإمكان أن نستشهد بالرئيس الأمريكي هاري ترومان، حيث عد الآن بطلًا بالنسبة إلى الديمقراطيين والجمهوريين على حد سواء، كونه يرتبط من وجهات نظر الأمريكيين بالعصر الذهبي للقيادة الأمريكية بعد الحرب العالمية الثانية، بسبب صراحته وحسمه وتحمله المسئولية كاملة. في هذا المجال كتب دين أتشيسون عنه قائلًا: "إن لمسة هاري الصغير، التي كانت تحفزنا على الاستمرار تنبع من معين لا ينضب من الحيوية والروح المعنوية، كان بوسعه أن يبزنا جميعًا في العمل، وقد فعل دون حاجة إلى اختصار الأوراق في ورقة واحدة، كان يتحمل المسئولية عندما تفشل الأمور، ويُرْجِع الفضل لمساعديه عندما تنجح، هذه هي صفات القائد الذي يبني ولاء المجموعة، كان يتوقع الولاء الذي يقدمه ويحصل عليه"[٢].

فضلًا عن ذلك نرى أن الدكتور عبد المنعم شوقي يعطي أهمية للموقف الذي يبرر فيه دور القيادة، بما يعني أن الأمر يتطلب وجود العناصر القيادية في المواقف التي تتطلب وجودهم للانسجام الحاصل بين قدرتهم القيادية ونوعية

---

(١) الدكتور عبد المنعم شوقي، مبادئ تنمية وتنظيم المجتمع، مطابع دار الكتاب العربي، القاهرة، (بلا)، ص١٣٩.

(٢) مادلين أولبرايت، مذكرة إلى الرئيس المنتخب كيف يمكننا استعادة سمعة أمريكا ودورها القيادي؟ مصدر سبق ذكره، ص ٣٠.

المواقف التي يستثمرون فيها طاقاتهم القيادية للسيطرة والتحكم بها لصالح منفعة التنظيم الذي ينتسبون إليه.

ونحن نشاطره هذا المجال؛ لأننا نعتقد أن صيرورة الحياة دائمًا يقع فيها مواقف عديدة، بما يستنتج على سبيل المثال أن قائد الكتيبة العسكرية لا يمكن أن يكون قائدًا لفرقة موسيقية لاعتبارات عديدة، أهمها وجود الاختصاص، ناهيك عن التركيبة النفسية والجسدية التي تأقلم بها القائد العسكري مع منتسبيه الذين ينتمون إلى الاختصاص نفسه، مما يخلق دائرة متناسقة بين القائد العسكري وكتيبته العسكرية، ويحصل الشيء نفسه مع قائد الفرقة الموسيقية الذي سيتفاعل مع أعضاء فرقته التي يقودها بأفضل صورة.

أما الدكتور جلال معوض فإنه يعرف القيادة بأنها: "قدرة وفاعلية وبراعة القائد السياسي بمعاونة النخبة السياسية في تحديد أهداف المجتمع السياسي وترتيبها تصاعديًّا حسب أولوياتها، واختبار الوسائل الملائمة لتحقيق هذه الأهداف بما يتفق مع المقدرات الحقيقية للمجتمع، وتقدير أبعاد المواقف التي تواجه المجتمع، واتخاذ القرارات اللازمة لمواجهة المشكلات والأزمات التي تفرزها هذه المواقف، ويتم ذلك في إطار تفاعل تحكمه القيم والمبادئ العليا للمجتمع"[(١)].

أما فيما يخص الدكتور إسماعيل صبري مقلد والدكتور محمد محمود ربيع فإنهما عرفا القيادة في موسوعة العلوم السياسية بما يلي: "هي العملية التي يمارس من خلالها عضو الجماعة تأثيرًا إيجابيًّا على باقي أعضاء الجماعة، وعلى

---

(١) زايد عبد الله مصباح، مصدر سبق ذكره، ص١٧٧.

ذلك فالقائد Leader هو عضو الجماعة الذي يمارس تأثيرًا إيجابيًّا على أعضاء الجماعة الآخرين"[١].

وفي هذا المعنى يشير الدكتور ناصيف يوسف حتى إلى أن العامل القيادي في دول العالم الثالث له الدور الأساس في رسم السياسة الخارجية، بسبب الإطار العام للسلطة والذي يفتقد إلى المؤسسات الدستورية، وذلك بالمقارنة مع تجربة العالم المتقدم[٢].

أكد على هذه الحقيقة نجوين مانه هونج عندما أشار إلى دور العامل الشخصي في دول العالم الثالث في تحديد الأفضليات والأولويات في السياسة الخارجية، نتيجة عدم خضوعه للقانون والمؤسسات الدستورية، يشاطره القول روبرت رونستين الذي يؤكد على أن شخصنة السياسة الخارجية في دول العالم الثالث تعد عاملًا مهمًّا لإحداث التغير الرئيس في السياسة الخارجية، حيث يعد القائد في هذه الدول هو المهيمن على عملية صنع القرار في السياسة الخارجية[٣].

فضلًا عن ذلك يرى بعضهم أن مفهوم القيادة يجب ألا يتم "الخلط بين مفهوم الرئاسة Headship الذي يعني الرئاسة أو الرئيس المعترف به رسميًّا في نظام، ومفهوم Leadership الذي يعني القيادة والقائد المعترف به من جماعته"[٤].

---

(١) د. إسماعيل صبري مقلد والدكتور محمد محمود ربيع، موسوعة العلوم السياسية، جامعة الكويت، ١٩٩٣ – ١٩٩٤، ص٤٩٢.

(٢) المصدر نفسه، ص١٩٣.

(٣) د. إسماعيل صبري مقلد والدكتور محمد محمود ربيع، موسوعة العلوم السياسية، مصدر سبق ذكره، ص١٩٤.

(٤) الدكتور خليل أحمد خليل، العرب والقيادة، دار الحداثة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ١٩٨١، ص٧.

يقدم لنا أنصار المدرسة السلوكية تعريفًا لمفهوم القيادة بأنها: "الأشخاص الذين يحصلون على معظم الأهداف والمتطلبات التي يمكن الحصول عليها"(١).

ونخلص إلى القول: إن المختصين والأكاديميين الذين تم التعرف إلى آرائهم سلفًا يشتركون جميعًا في الاتفاق على حقيقة واحدة مفادها أن القيادة هي عملية إنسانية واجتماعية غير اعتيادية، تتطلب إثبات عامل التأثير على الجماعة من قبل القائد الذي يقود تلك الجماعة سواء كان فردًا واحدًا أو هيئة قيادية.

ويبدو من خلال تدقيق وتحليل الآراء السابقة أنها تحاول أن تؤكد على أن وجودًا شخصيًّا في موقع القيادة لا يكفي لتحقيق العملية القيادية؛ لأنه في حالة إبدال أي شخص آخر محل الشخص السابق لا يعد شيئًا، بل إن الحقيقة التي يمكن الوصول إليها من خلال خلاصات الآراء السابقة أنه ليس المهم وجود الشخص في موقع القيادة بل إن الأساس أن يثبت ذلك الشخص أهليته لممارسة الدور القيادي.

وأخيرًا لا بد من التنويه بأننا نؤكد أن نتائج نقدية مهمة تولدت لدينا لإحساسنا بوجود نوع من النقص واختصار تلك الآراء لبعض الأركان المهمة التي تعدُّ أساسية.

وعلى سبيل المثال لاحظنا أن تلك التعاريف لم تؤشر على كون القيادة هي مسئولية إنسانية واجتماعية تجاه التنظيم الذي يمكن قيادته، ناهيك عن أنها لم تعط إشارة لكون القيادة هي حالة مؤقتة تتطلب من القائد استثمار كل طاقاته، والمتغيرات الداخلية والخارجية لإثبات وجود لقيادة التنظيم نحو تحقيق كامل أهدافه وغاياته.

---

(١) الدكتور نظام بركات، مصدر سبق ذكره، ص١٩.

وتبعًا لذلك يمكن وضع تعريف لمفهوم القيادة مفاده:-

إن القيادة هي مسئولية إنسانية واجتماعية وسياسية وتأريخية لمرحلة معينة تهدف إلى التوجيه والسيطرة لمجموعة تتألف من أكثر من اثنين فما فوق، بحصر نوع من التفاعل المتبادل بين القائد والمحكومين القائم على الثقة المشتركة لإنجاز المهمات المستقبلية المطلوبة لتطور وتقدم ذلك التنظيم.

أما خصائص القيادة فهي الأخرى تعرضت لكثير من الاجتهادات والإسهامات الفكرية من علماء الاجتماع والمختصين في العلوم السياسية. ويلاحظ أن أغلب تلك الإسهامات التي سنحاول استعراض أبرزها تحاول أن تطرح عدة سمات مشتركة للقيادة، لكننا نريد أن نؤكد حقيقة مهمة مفادها أن القيادة هي ليست لباسًا جاهزًا أو بدلة تستعمل عند الطلب يلبسها أي إنسان بشكل ساذج ومجرد، بل هي من حيث الفهم والإدراك أكثر بعدًا من ذلك، بحيث إن عدة اعتبارات يمكن إعطاؤها أهمية لكونها ضرورية لاعتمادها على خلق القائد.

وتبعًا لذلك يفضل علماء الاجتماع الكلام عن الوظائف القيادية أكثر من الكلام عن وظيفة القائد، ونظرًا لهذا التباين فقد قام هؤلاء بوضع عدة لوائح بوظائف القائد[١]، ومن ضمن تلك اللوائح:-

---

(١) نظام بركات، مصدر سبق ذكره، ص٢٨ – ٣٠.

فيما يخص دراسة النماذج الدراسية الرئيسة حول القائد راجع: بيير رينوفان وجان باتيست دوروزيل، مصدر سبق ذكره، ص٣٨٢-٣٩٤.

١- لائحـــة كيرشـــت وكروتشفيلـد

CRUTCHIELD 1948 KERCHET

تتضمن أربعة عشر دورًا قياديًّا يمكن للقائد تأديتها، ومن أبرزها:

أ- المنفذ، والمخطط، والضابط؛ أي المسئول عن الانضباط.

ب- الخبير، والوجيه؛ أي ممثل الجماعة في الخارج.

ت- الحكيم، والقدوة، ورمز الجماعة.

ث- الأيديولوجي، وصورة الأب.

٢- لائحة هامفيل 1950 HEMPILL

حيث ينطلق من ١٧٩٠ سمة من سمات سلوك القائد، وانتخب منها ١٥٠ سمة، رتبها في تسع فئات، وهي كما يلي:-

أ- ترقية الأفكار والممارسات الجديدة والانتماء للجماعة، وتمثيل الجماعة.

ب- التنظيم، والهيمنة.

ت- إرسال المعلومات أو قبولها، والاعتراف بالفضائل والمآثر، والإنتاج.

٣- لائحة كاتيل 1948 CATELL

إذ عدَّ هذه الوظائف متطابقة تمام التطابق مع نوعين من الطاقة:-

أ- **الطاقة الفاعلة:** وهي الطاقة التي تنتجها الجماعة بشكل مشترك لبلوغ أهدافها المنشودة.

ب- **الطاقة الحافظة:** الطاقة التي تبذلها الجماعة للمحافظة على ائتلافها واتساقها، ولا مناص للقائد من الاضطلاع بهاتين الوظيفتين المتلازمتين: بناء الجماعة، والحفاظ عليها.

ويبدو أن تلك الخصائص التي جاء بها (كيرشت) و(هامفيل) و(كاتيل) تحاول أن تعطي للمختصين وذوي الخبرة مؤشرات مهمة حول ملامح القيادة الفاعلة أكثر مما تكون خصائص قيادة تقليدية، فمثلًا عندما يورد (كيرشت) ما يجب أن يتميز به القائد بكونه خبيرًا ورمزًا للجماعة والمخطط، فضلًا عما جاء به (هامفيل) بكون القائد عاملًا إنسانيًّا فاعلًا لترقية الأفكار والممارسات لجماعته نحو منزلة رفيعة ومتقدمة، وأخيرًا تأكيد (كاتيل) على أن وظائف القيادة هي أصلًا طاقة، والطاقة هي في طور الحركة والتغير والاستمرارية، كل ذلك يؤكد صحة استنتاجنا سالف الذكر بكون دور القيادة مهمًّا، ووظيفة القائد ليست مقتصرة على الجانب الفني والإداري للشخص الذي يشغل موقعًا أعلى من جماعته، بقدر ما يكون ذلك الإنسان نوعية استثنائية في التفكير والاستنتاج والخبرة والتخطيط والسلوك... إلخ.

صفوة القول في الكلام أن ما تحتاج له البشرية كأحد متطلبات مجابهة تحديات القرن الحادي والعشرين الحالي هو خلق أو ظهور أو حضور قادة من طراز خاص تتناسب إمكانياتهم ومؤهلاتهم مع التطورات والمتغيرات والمعطيات التي تواكب التطور الحضاري والإنساني، إلى جانب التطور التكنولوجي والعلمي والصناعي الذي له خطوات غير اعتيادية تتطلب وجود قادة متميزين يأخذون بشعوبهم إلى طريق التقدم والازدهار وتهيئتهم لمواجهة الأخطار الداخلية والخارجية، فهم في مفترق طرق للموازنة بين رفاهية شعوبهم والدفاع عن قيمهم وحضارتهم في آن واحد.

دوافع ونظريات القيادة:

دوافع القيادة: حاول "رايموند كارفيلد كيتيل" في كتابه الموسوم بـ"العلوم السياسية" أن يقدم تحليلًا مهمًّا خلاصته الدعوة إلى ربط وتحليل العوامل النفسية لتحليل القواعد السياسية؛ إذ يشرح (كيتيل) ذلك بالقول: (تحاول الطريقة النفسية شرح الظواهر السياسية عن طريق القوانين النفسية، وخاصة بدراستها لبواعث سلوك الإنسان، وعمل العقول في الجماعات والمنظمات، والطرق التي تؤثر على الرأي العام، وهذه الطريقة تساعد على تفسير القضايا التي تستند إليها الأحزاب السياسية، والتي تنشأ منها الخلافات العالمية"[١].

وتبعًا لذلك استطاع بعض المختصين الوصول إلى نتائج ذات أهمية، تفسر الدوافع النفسية الحقيقية نحو ممارسة دور القيادة، ومن ضمن هؤلاء "برتراند رسل" الذي يربط وجود علاقة السلطة بما سماه بالـرغبة الإنسانية"[٢]. وإذا كان برتراند رسل لم يحدد بصورة دقيقة مضمون هذه الرغبة، فإن بعض المختصين كان قام بذلك لتتمثل بالميل المضخم نحو الهيمنة[٣].

إن نظرة فاحصة لتحليل قول "برتراند رسل" تعطي للباحث قوة للتساؤل عن ماهية الرغبة الإنسانية التي تدخل في علاقة مع السلطة؛ أي بعبارة أخرى: ما هي تلك الرغبة التي تدفع لخلق علاقة مع السلطة؟

---

(١) رايموند كارفيلد كيتيل، العلوم السياسية، ج١، ط٢، ترجمة د. فاضل زكي محمد، مكتبة النهضة، بغداد، ١٩٦٣، ص٨.

(٢) الدكتور عبد الرضا الطعان، "القيادة والحزب دراسة نظرية"، مجلة العلوم السياسية"، العدد الأول، مطبعة وأوفسيت رافد، ١٩٨٨، ص٥٩.

(٣) المصدر نفسه، ص ٥٩.

إن الإجابة على ذلك التساؤل تتم من خلال بعض المختصين، ومن ضمن هؤلاء "هيربرت سان سيمون" (Simon) الذي كشف عن أصل تلك الرغبة بكونها الميل المتصاعد نحو الهيمنة، لأنها بذاتها تمثل ميلًا طبيعيًّا عند الإنسان، وهو ما أكده (سيمون) بعد ذلك عندما قال: (هناك واقعة يمكن متابعتها عن طريق سلسلة من الملاحظات، وهذه الواقعة تتلخص في أن كل إنسان يستشعر بدرجة إلى حد ما الرغبة القوية في أن يهيمن على كل الناس الآخرين، وهناك شيء واضح بموجب التسبيب العقلي هو أن كل إنسان ليس معزولًا يجد نفسه سواء كان فعالًا أم سلبيًّا في حالة نزوع نحو الهيمنة في علاقاته مع الآخرين"[1].

ولكن هذا الميل الطبيعي قد يتضخم لدى البعض بسبب عوامل عديدة، كالثقة البالغة بالنفس، والغرور، ويؤكد "كلود لفي ستراوس" هذا المعنى قائلًا: (هنالك رؤساء؛ لأنه يوجد في كل مجموعة إنسانية أناس يحبون بخلاف أقرانهم الهيمنة لذاتها، ويشعرون بالافتتان بالمسئولية كما يشعرون بأن التكلف بالشئون العامة يجلب لهم مقابلًا، إن هذه الاختلافات الفردية تتطور وتؤتي ثمارها تحت تأثير الاختلافات الثقافية ولكن في قياس تبايني، غير أن وجودها حتى في مجتمع لا يقوم إلا بدرجة ضئيلة على روح التنافس كبعض المجتمعات البدائية يسمح بالافتراض بأن أصولها ليست تمامًا اجتماعية، وإنما هي تشكل بالأحرى جزءًا من مواده السيكولوجية الخام التي يتمسك بموجبها كل مجتمع. إن الناس ليسوا جميعًا متشابهين، فحتى لدى القبائل البدائية التي جرت العادة على أن توصف من قبل علماء الاجتماع بكونها خاضعة للتقاليد الشديدة، نلاحظ

---

(١) المصدر نفسه، ص ٦٠.

هذه الاختلافات، ويتم تلمسها بكل دقتها، ويتم استثمارها في مجالات عديدة تمامًا كما هو الحال بالنسبة لمجتمعاتنا المتحضرة التي تسمى فردية)[١].

ونخلص إلى نتيجة مهمة تكمن في "أن كل مشروع للهيمنة يقتضي وجود القائد الذي يمسك بالسلطة من أجل ضمان إدارة التنظيم"[٢].

أما "نيوكومب" New Comp، فيرى من خلال بحثه الذي يحلل الدوافع المحفزة للقيادة أن هناك بعض الأشخاص يحاولون تقمص شكل القيادة، ولاحظ أن القادة يتباينون حسب شخصياتهم إزاء الدوافع التي تدفعهم إلى التمسك بزمام دور القيادة[٣].

وهنا بالإمكان الإشارة إلى أهم الدوافع في القيادة والتي تتركز في الآتي[٤]:-

١- الرغبة في الجزاء المادي.

٢- الحاجة إلى السيطرة من حيث الشعور والسلوك والمكانة. ويقابلها الحاجة إلى الخضوع والتبعية والاعتماد على الغير من جانب الأتباع.

٣- قوة القائد بالنسبة للأتباع، والحاجة إلى الشعور بالقوة والرغبة في استخدامها عند تعامله مع الأتباع.

٤- الحاجة إلى المكانة العالية والشهرة؛ مما يضفي على القائد قوة وسلطة تعود عليه بجزاء مادي.

---

(١) الدكتور عبد الرضا الطعان، "القيادة والحزب دراسة نظرية"، مصدر سبق ذكره، ص ٦٠.

(٢) المصدر نفسه، ص ٦٤.

(٣) الدكتور حامد عبد السلام زهران، مصدر سبق ذكره، ص ٢٧٦.

(٤) المصدر نفسه.

وفي هذا السياق يتفق "ليبيت LIPPIT " مع ما ذكره الأكاديميون من خلال التجارب التي أجراها على تأثير القيادة في الجماعات بقوله: "إن من يتمتع بالقوة والسلطة والتأثير هو الذي يكون قدوة للآخرين ومثلًا أعلى، فيقلده الغالبية الكبرى من المجتمع؛ لأنه أكثر ميلًا ورغبة في مقاييس الأخير"[١].

إلا أن (روبرت ميشلز) أحد المنظرين التقليديين في التنظيم يوجه انتقادًا لاذعًا للرأي المطروح سابقًا بقوله: (إن القائد أو الزعيم الذي حصل على السلطة وتعوَّد على ممارستها يجد بعد ذلك صعوبة في التنازل أو التخلي عنها، إن ممارسة القوة ذاتها تحدث تحولًا سيكولوجيًّا في شخصية القائد، فيزداد إيمانه بنفسه ويبالغ في عظمته، ثم يلجأ في النهاية إلى أن ينسب التنظيم لنفسه ويربطه به)[٢].

ونرى أن "ميشلز" يعلل رأيه استنادًا إلى رأي ميكافيللي الذي يحلل أن سلوك جماعة مسيطرة أو حاكمة ينبع من مصلحتها الذاتية، وهو ما توصل إليه أيضًا بعض الكتاب كمحصلة نهائية[٣].

يتضح مما تقدم أن الآراء سالفة الذكر يبدو أنها متفقة على إبراز سمة الهيمنة التي تبرز لدى الأشخاص الذين يميلون إلى السيطرة على الآخرين، آخذين بنظر الاعتبار أن هناك عدة متغيرات تحفز الشخص الذي تؤثر عليه تلك المتغيرات إلى التعلق بالهيمنة، منها على سبيل المثال النفوذ، والقدرة الاقتصادية، والاعتداد

---

(1) Lippit R., Wgit RK, An Experimental Study of Leadership Group Life, n New Combhortly. Newwork, Holt, 1977.,

والدكتور إسماعيل محمد قيادي، المدخل إلى علم الاجتماع المعاصر، مصدر سبق ذكره، ص ٤٤.

(٢) الدكتور السيد الحسيني، النظرية الاجتماعية ودراسة التنظيم، ط٢، دار المعارف، القاهرة، ١٩٧٧، ص٦٦.

(٣) المصدر نفسه، ص ٦٦.

بالنفس، لكننا مع ذلك نقول: إن القادة أو نخبة القيادة في كل أنحاء العالم قد تتباين ظروف نشأتهم وطبيعة شخصياتهم وخصائصها الذاتية؛ مما يؤثر على اختلاف دوافعهم للقيادة، ولكن هذا لا يعني أن الدراسات السابقة قد حاولت إلصاق دوافع مشتركة لكل قادة العالم، بل إننا نرى أن تلك الدراسات قد شخصت دوافع عامة لأغلب حالات القيادة كنوع من استقراء الشخصيات أو رموز سياسية تاريخية سابقة أصبحت موضع الدراسة، بحيث كانت تلك الشخصيات بمثابة نماذج تطبيقية لرفد تلك الدراسات بالدوافع المشتركة ولو بصورة نسبية، وهي حقيقة يمكن التسليم بها.

نظريات القيادة:

توجد هناك عدة نظريات لتحليل وتفسير علم النفس القيادي، ومن أهم تلك النظريات[١]:-

١- **نظرية السمات Trait Theory**: تؤكد هذه النظرية على الخصائص الذاتية للقائد وسماته، بل وتدخل في تفصيلات عميقة تصل إلى خصائصه الجسيمة والعقلية والانفعالية والاجتماعية. ويورد "هولاندرHOLLANDER 1962 " حقيقة مهمة مفادها أن كل أعضاء الجماعة تقريبًا تحت بعض الظروف سوف يؤثرون على الآخرين، ناهيك عن أن التعرف على القادة ليس قضية محصورة بتوافر كل السمات مجتمعة في شخص القائد، بحيث إن التمييز بين القادة والأعضاء الآخرين النشطين يكون غير كامل[٢].

---

(١) الدكتور حامد عبد السلام زهران، مصدر سبق ذكره، ص ٢٧٠.

(٢) الدكتور حامد عبد السلام زهران، مصدر سبق ذكره، ص ٢٧١، وموسوعة العلوم السياسية، مؤسسة الكويت للتقدم العلمي، جامعة الكويت، ١٩٩٤، ص ٤٩٣.

وفي هذا المجال يقرر مارفين شو وغيره من علماء الاجتماع أن نظرية السمات وإن كانت لا تقدم للباحثين تفسير ظاهرة القيادة، إلا أنها قدمت لنا مدى العلاقة بين خصائص القائد والسمات الشخصية، بسبب أن القائد له صفات مميزة من ذكاء ومؤهل علمي وخبرة؛ مما يجعله متميزًا على غيره من أقرانه[١].

تفترض هذه النظرية النقاط الثلاث الآتية[٢]: -

١- الناس يولدون بسمات (صفات) وراثية.

٢- بعض السمات ملائمة ومطلوبة بشكل مخصوص للقيادة.

٣- الناس الذين يكونون قادة جيدين يمتلكون بشكل كاف مزيجًا من مجموعة السمات.

٢- **نظرية المواقف Situational Theory**: وهي نظرية تقوم على أساس أن ظهور القائد يتوقف على تصرفه في مواقف معينة طبقًا للظروف المحيطة به خلال التفاعل المباشر بين الناس في تلك المواقف، وليس نتيجة لصفات معينة يتميز بها شخص ما. وهذه النظرية لا تقصر ظهور القادة على عدد محدد من الناس، بل تجعل ذلك فرصة متاحة لكل من يستطيع الظهور كقائد في مواقف معينة[٣]. ويؤكد ستوجدل أن الفرد الذي يكون قائدًا في موقف كالحرب قد لا

---

(١) موسوعة العلوم السياسية، مصدر سبق ذكره، ص ٤٩٣.

(٢) قصي محبوبة، مصدر سبق ذكره، ص ٢٨.

(٣) سيد أبو بكر حسانين، طريق الخدمة الاجتماعية في تنظيم المجتمع، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، (بلا)، ص٤٤٥.

يكون بالضرورة قائدًا في موقف آخر كالسلم[١].

٣- **النظرية المشتركة Common Theory**: وهي النظرية التي تربط كما يؤكد "ألفين كولدنير" Alvin W.Gouldner بين نظرية السمات ونظرية المواقف؛ لكون أن بعض الباحثين مع مرور الوقت أدركوا أنه من الخطأ إهمال نظرية السمات كليًّا، وكانت حجتهم في ذلك أن القائد الذي يظهر في مواقف معينة لا بد أن يتميز عن غيره من الناس بمجموعة من الصفات تجعله يتصرف بطريقة معينة في ظل الظروف المحيطة به في المواقف المختلفة، ومن ثم يبرز كقائد، ولولا ذلك لما استطاع أن يثبت كفاءته دون غيره من الناس[٢].

٤- **النظرية الوظيفية Functional Theory**: وتؤكد هذه النظرية أن القيادة عبارة عن القيام بالوظائف الجماعية التي تساعد الجماعة على تحقيق أهدافها، بحيث ينظر إلى القيادة على أنها وظيفة تنظيمية[٣].

٥- **النظرية التفاعلية Interactional Theory**: تقف هذه النظرية على حقيقة مهمة مفادها أنها تؤكد وجود تكامل وتفاعل بين كل متغيرات القيادة، وهي[٤]:-

أ) القائد وشخصيته ونشاطه في الجماعة.

---

(١) الدكتور حامد عبد السلام زهران، مصدر سبق ذكره، ص ٢٧٣، وموسوعة العلوم السياسية، مصدر سبق ذكره، ص ٤٩٢.

(٢) الدكتور سيد أبو بكر حسانين، مصدر سبق ذكره، ص ٤٤٦.

(٣) الدكتور حامد عبد السلام زهران، مصدر سبق ذكره، ص ٢٧٢.

(٤) المصدر نفسه، ص ٢٧٤.

ب) الأتباع (اتجاهاتهم، حاجاتهم، مشكلاتهم).

ج) الجماعة نفسها (بناؤها، العلاقات بين الأفراد، خصائصها، أهدافها، دينامياتها).

د) المواقف كما تحددها العوامل المادية وطبيعة العمل وظروفه. وتلفت هذه النظرية الأنظار إلى ضرورة وجود تفاعل بين القائد والأتباع، وإدراكه لنفسه وإدراك الأتباع له وإدراكه لهم، والإدراك المشترك بين كل من القائد والأتباع للجماعة والموقف.

٦- **نظرية الرجل العظيم**[١] **Great Man Theory**: يعدّ فرانسيس جالتون Galton من أوائل دعاة هذه النظرية، الذي أكد أن بعض الرجال العظام يبرزون في المجتمع لما يتسمون به من قدرات ومواهب عظيمة وخصائص وعبقرية غير عادية تجعل منهم قادة أيًّا كانت المواقف الاجتماعية التي يواجهونها.

وتعتمد هذه النظرية على فرضيتين أساسيتين تشكلان جوهر النظرية وتفاصيلها، وهما[٢]: -

١ – أن القادة يولدون ولا يصنعون.

٢ – أن القادة العظماء يقفون ويظهرون حينما تكون هناك احتياجات عظيمة وواقع يستدعي وجودهم.

---

(١) الدكتور حامد عبد السلام زهران، مصدر سبق ذكره.

(٢) قصي محبوبة، مصدر سبق ذكره، ص ٢٧.

وبعد هذا الاستعراض الموجز لأبرز وأهم نظريات القيادة يبدو أن الباحثين المختصين قد توزعت دراساتهم ونظرياتهم على تحليل سيكولوجية الفرد القائد الذي يظهر في ظرف وزمان معينين، وأنهم توصلوا إلى نتائج غير متكاملة بدليل أن كلًّا منهم يعتقد أن نظريته مكملة للنظريات التي توصل إليها غيره.

ونحن نرى أن هذا الرأي مقبول إلى حد ما؛ لأن دراسته للإنسان هي عبارة عن محاولة لدراسة ظواهر نسبية اجتماعية.

وهي في حالة تغير مستمر، محال الحياة التي هي في حركة دائمة، ولكننا لاحظنا أن كل طائفة من المنظرين لم يُخَطِّئوا النظريات السابقة لنظرياتهم؛ لأن كل مجموعة منهم ركزت دراستها على متغيرات مهمة لصنع متوالية القيادة، غير أننا نميل نوعًا ما إلى النظرية التفاعلية في أسسها ونتائجها؛ لأن التقويم الأولي لها أنها حاولت أن تُلِم بأغلب النظريات السابقة التي جمعت القواعد الأساسية لمتغيرات القيادة على شكل دائرة مغلقة تبدأ بالقائد وتنتهي بالمواقف.

ب- الكاريزما:

الكاريزما Charisme الأصل اللغوي للمصطلح اليوناني الذي يعني الموهبة أو عطية Gift أساسًا يشير إلى موهبة إلهية[1]. حيث تكون هناك مغناطيسية في الشخصية تشد الناس إليها حتى قبل أن يعرفوا ماهيتها، وعلى الرغم من أن فلاسفة اليونان كانوا بارعين في الوصف والتعريف لكنهم عجزوا عن أن يعرفوا

---

(١) نيفين عبد الخالق مصطفى، "قيادة الرسول وخلافته والأنماط المثالية للسلطة لماكس فيبر" دراسة مقارنة "مجلة العلوم الاجتماعية، العدد ٤، المجلد ١٤، شتاء ١٩٨٦، ص١٤٧. وقصي محبوبة، مصدر سبق ذكره، ص ٧٧.

الكاريزما وأن يحددوها في إطار معين، فأطلقوا عليها هذا الاسم وعدوها هدية الآلهة للإنسان، ولا يحصل عليها أي إنسان إلا إذا أرادت الآلهة أن تمنحها له، واكتفى فلاسفة الإغريق بهذا ولم يحاولوا أن يتعمقوا فيها أكثر؛ لأنهم حسموا النقاش حولها بأنها من الآلهة، والآلهة لا تُسأل عن عطاياها. وبقي هذا الحال إلى بداية القرن الثامن عشر، حيث تطور علم النفس وتفتحت الآفاق للتحليل فوضعت الكاريزما على النقاش مرة أخرى كي يكتشفوا أسرارها، وهنا كان تحليل الكاريزما بطريقة مختلفة: أصفات هي أم سلوك؟ حيث إذا كانت صفات فإنه يمكن معرفتها أصفات موروثة هي أو صفات مكتسبة؟ وإذا كانت سلوكًا فهل هو سلوك طبع أم تطبع؟ بمعنى آخر: هل هو سلوك مولود مع الإنسان بالفطرة أم سلوك مكتسب؟[(١)].

ويؤشر قاموس وبيسر إلى أن المصطلح يراد به القوة الفائقة الموهوبة للسيد المسيح على إبراء المرضى وشفائهم، وهي من ثم عرفت للدلالة أو الاستدلال للنصراني أو المسيحي الموهوب بوساطة الروح المقدسة والتي تصب في النهاية لصالح الكنيسة[(٢)].

وتبعًا لذلك وظف هذا الأصل لصالح تعزيز تعريف مفهوم القيادة الكاريزمية بكونها نوعًا من القيادة المتميزة بمواهب شخصية تشبه السحر،

---

(١) قصي محبوبة، مصدر سبق ذكره، ص ٧٧.

(٢) المصدر نفسه، ص ١٤٧. و:

Noahwebster, Webster’s New, Twenlieth Century, Dictionary of the English Language, Unabrid GID, Second edition, Collins World, Printed in USA, 1978, P.305.

والتي تثير ولاء وحماسًا شعبيًّا خاصًّا، ويترجم البعض عبارة Charismalic Leadership القيادة أو الزعامة الملهمة. ونرى أن تلك الترجمة قد تفلح في التعبير عن أحد صور الكاريزما؛ إلا أن عالم الاجتماع الألماني ماكس فيبر الذي تبنى مهمة بناء نظري لمفهوم السلطة الكاريزمية استخدم مصطلح الكاريزما بمعنى موسع ضم كافة أوجه التعبير عن التفوق والنبوغ الذي يكون مظهرًا للهيبة الإلهية(١).

الكاريزما والظاهرة السياسية:-

يمكن القول بأن دول العالم عرفت القيادة الكاريزمية في حقب متفرقة؛

---

(١) نيفين عبد الخالق مصطفى، "قيادة الرسول وخلافته والأنماط المثالية للسلطة لماكس فيبر دراسة مقارنة" مصدر سبق ذكره، ص ١٤٧.

يعد ماكس فيبر (١٨٦٤-١٩٢٠) أول من أعطى مدلول الكاريزما معنى سياسيًّا؛ ليشير إلى الإمكانية التي يتمتع بها شخص معين للتأثير في الآخرين. ونظرية فيبر في السلطة التي اقترنت باسمه، التي بحث فيها عن أسباب رضوخ الأفراد للسلطة العليا، وتبعًا لذلك فإنه قسم السلطة إلى السلطة التقليدية والسلطة القانونية العقلانية. والسلطة الكاريزماتية من الممكن أن تتحول إلى زعامة مؤسسية، وهو ما أسماه بالتنميط، بحيث يحل المنصب محل الشخصية. يرادف الكثير من الكتاب بين الكاريزمات من ناحية، والزعامة من ناحية أخرى؛ إذ يعطون للزعامة تعريفًا ليشير إلى الإمكانية والقابلية لخلق كسب ثقة الآخرين، وتأييد هؤلاء لأهداف الزعيم، والأخذ بأيديهم بصورة جماعية لمثل هذه الأهداف. راجع:

Reese. W. I: Dictionary of philosophy and Religion, Fastern and Western Thought, (NewJersey,) Humanities press, Sussex, Harvester press, 1980 ; Seruton: A Dictionary of Political Thought, NewYork Hill and Wong 1982 ; International Encyclopedia of the Social Sciences, Macmillan Compary and Free Press, 1968.

إلا أنها تباينت بين دول الغرب المتقدم التي تمتاز أوضاعها السياسية بالاستقرار ومناسبة التنظيمات البرلمانية والديمقراطية لعقود طويلة وبين دول العالم الثالث التي تميزت بظاهرة عدم الاستقرار السياسي.

ومن هنا يبدو أن دول العالم الثالث تحتاج للقيادة الكاريزمية أكثر من دول الغرب؛ لأن السلطة الملهمة كما يراها ماكس فيبر تكون ضرورية عندما تمر المجتمعات التقليدية بأزمات عنيفة وتنهار فيها القيم والقواعد السائدة في المجتمعات التقليدية لتظهر زعامات من نوع جديد تقود حركة التطور إلى الأمام، هذه الزعامات تعد ملهمة لأنها لا تتقيد بالوضع القائم وإنما تستوحي مسيرة التاريخ بوعي مكثف وإرادة قوية(١).

إن المفهوم الحديث للإلهام يقوم قبل كل شيء على مزايا تفوق شخصية لدى الزعيم، أو على الأقل هكذا ينظر إليه من يلتف حوله من الأتباع أو المؤازرين، فالزعيم الملهم يستقطب حوله إخلاص مؤيديه له وثقتهم بشخصيته أو بطولته أو صفاته النادرة، ومن ثم فإنه عندما يمارس السلطة لا يتقيد بالمؤسسات القائمة ولا بالسوابق في الحكم.

وفي بعض الأحيان تكاد مشيئته الشخصية تقف على قدم المساواة مع القواعد القانونية، وطاعة الأفراد له لا تتأتى من عرف أو قانون وإنما من إيمان به(٢).

---

(١) الدكتور صادق الأسود، علم الاجتماع السياسي، دار الحكمة للطباعة والنشر، بغداد، ١٩٩١، ص١٣٩، ومصباح، مصدر سبق ذكره، ص ١٧٨-١٧٩.

(٢) الدكتور صادق الأسود، مصدر سبق ذكره، ص ١٣٩-١٤٠.

وقد زخرت الحقب التاريخية في بعض مراحلها داخل الدول الأوروبية والغربية بحقب غير اعتيادية قريبة من الأزمات الحادة في الربع الأول من القرن العشرين وما بعده، مما شجع على ظهور القيادة الكاريزمية بصورة أو بأخرى كما هو الحال مع إيطاليا موسوليني وألمانيا هتلر، وعلى نحو أقل من ذلك إسبانيا الفرنكونية والبرتغال قبل تطوعهما بالنظام الديكتاتوري[١].

ويورد ماكس فيبر بوصفه من أوائل من كتب ونمى وشجع مفهوم الكاريزما تفاصيل مهمة عن هذا المفهوم وتطوراته التي وقعت على كاهل الدول الأوروبية والغربية، محاولًا وضع حدود بين هذه الظاهرة عن مثيلتها في دول الجنوب للتباين في المتغيرات التاريخية والسياسية في حركة الظاهرة السياسية في كلا الطرفين.

لقد حاول فيبر أن يعطي لمفهوم الكاريزما دعمًا قويًّا بوصفه مسَلَّمة لا يمكن تخطئتها، وهو بذلك قد خدم فيما بعد الظروف التي عاشتها أوروبا والغرب بصورة عامة بعد مخلفات الحرب العالمية الأولى وصولًا إلى صعود نجم ألمانيا وزعيمها هتلر، وانتهاء بانتشار الأيديولوجية النازية؛ إذ بالرغم من رحيل فيبر ووفاته ظلت مبادئه منسجمة وملائمة لصورة الزعيم المستبد لتزيينها وتزويقها، ولا سيما في حقبة تنامي تطلعات الإمبراطورية النازية، فكأنما كان فيبر قد وضع منظارًا مستقبليًّا لصعود نجم الزعيم الملهم والكاريزمي بعد وفاته، وأهم ما ذكره في ذلك ولا سيما في عام ١٩١٨ واصفًا أكثر أشكال الديمقراطية تقدمًا وتوعية عندما قال: "إنها ديمقراطية المبايعة التي يقودها الزعيم"، وفي

---

(١) المصدر نفسه، ص ١٤٠.

الوقت نفسه "حاول فيبر أن يقرن دستور جمهورية فايمار بمبدأ انتخاب الزعيم بطريقة المبايعة". وكان فيبر يريد بذلك إضافة مبدأ الكاريزمية للديمقراطية الدستورية والبرلمانية في الأنموذج الأنجلوسكسوني، فبالنسبة له ولتلميذه ميشلر وآخرين مثل بارينو موسكا كارل شميدت السياسة بلا كاريزما هي بيروقراطية وتدمير للفرد ولحرية القيم الخلاقة[١].

ويضيف فيبر معلقًا على مفهوم الكاريزما مؤكدًا أنها كانت موجودة دائمًا لدى النبي والساحر والديماجوجي، وزعيم الحزب، والبرلمان، والأحزاب الدستورية، ولدى كبار وجوه السياسة من قيصر إلى نابليون وبسمارك، وفي نظم الملكية المطلقة، وفي مختلف أشكال الديمقراطية الدستورية والاشتراكية والرأسمالية. إن الكاريزما بنظر فيبر تعطي لرجل السياسة قوة القرار والاختيار بل وعشق القرار ومتابعة أهدافه، وتشجعه على تكريس ذاته وإخلاصه دون قيد ولا شرط[٢].

ويورد فيبر نوعين من الكاريزما[٣]:-

١- القيادة الكاريزمية تعتمد على المواهب الشخصية للقائد.

٢- السلطة الكاريزمية؛ فإن العلاقة تنقطع عن هذه السمة الشخصية.

وطالما أن شريعة السلطة أمر معترف به من جانب المؤمن بها فإن الخاضعين لها يطيعون الأوامر، بغض النظر عن الشخص الذي يقوم بإصدارها، إن الخاصية

---

(١) المصدر نفسه.

(٢) المصدر نفسه.

(٣) نيفين عبد الخالق مصطفى، "قيادة الرسول وخلافته والأنماط المثالية للسلطة لماكس فيبر"، مصدر سبق ذكره، ص ١٤١.

الكاريزمية الملتصقة بالسلطة تجعل شخص القائد مجرد رمز. ويعلل فيبر سبب ظهور القيادة الكاريزمية بكونه مرتبطًا بالأوضاع الحادة والشاذة، حيث يقول: (هناك مجتمعات تعاني من أزمات حادة تجعل منها بيئة خصبة وملائمة لظهور وانبثاق النمط الكاريزمي في القيادة، فلقد ساد الاقتناع بأن الظاهرة الكاريزمية ما هي إلا نتاج أزمات حادة، حيث يقود الإحساس بحرمان أخلاقي أو نفسي شديد الأفراد والجماعات إلى البحث والسعي وراء القيادة الفذة)[١].

وهنا نرى أن الأستاذ الدكتور حامد عبد الله ربيع يبدي معارضته لما جاء به فيبر واصفًا إياه بأنه يتدرج في أخطائه؛ لصياغته لمفهوم الظاهرة الكاريزمية على أنها انعكاس للتدهور أو تعبير عن الاختلال، إنها على العكس من ذلك تقدم أكثر النماذج السياسية صفاء، أو تسمع بأكثر المواقف السياسية تماسكًا).

ونورد هنا مدخلًا مهمًّا في صياغة مفهوم الكاريزما مفاده أن هناك متغيرات مساعدة تعين الباحث والدارس على اكتشاف القيادة الكاريزماتية، وهي تندرج في الإجابة على الأسئلة التالية:-

١- كيف وصل صانع القرار إلى قمة الهرم السياسي في دولته؟ هل كان الأمر له علاقة بالجوانب الدستورية أو لاعتبارات كون صانع القرار له صفة قيادية كاريزماتية؟ بعبارة أخرى: هل استخدم صانع القرار أدوات إقناعية أم إكراهية في الوصول إلى دفة الحكم؟ والمفاضلة بين الاثنين ضرورية لتحديد أهمية الكاريزما التي ترتبط بأهمية المتغير النفسي في التطلعات الخارجية.

---

(١) نيفين عبد الخالق مصطفى، "قيادة الرسول وخلافته والأنماط المثالية للسلطة لماكس فيبر"، مصدر سبق ذكره، ص ١٤١.

٢- مدى تميز صانع القرار بعامل الإلهام أو عامل الكاريزما، ويمكن الرجوع إلى الشخصيات القيادية في التاريخ العربي الإسلامي لنتأمل ذلك، فشخصية صلاح الدين الأيوبي وشخصية خالد بن الوليد مثالان على ذلك، أما الشخصيات في العصر المعاصر فتبرز شخصية غاندي مثالًا على ذلك كشاهد حي في تاريخ الهند المعاصر.

٣ - نوعية معرفة صانع القرار بالسياسة الدولية:- هنا يأتي الدور الهام للعادات والتقاليد والتصورات والأفكار في صنع الشخصية الكاريزماتية التي يمكن تلخيصها في مفهوم الطابع القومي للأمة التي تؤدي دورًا بارزًا في ذلك.

إن المجتمعات السياسية عدا البدائية تشكل بصورة عامة طبقات وصورًا لجنسيات وأمم أخرى. هذا يعني أن لديها انطباعات عما يشبهه مجتمعهم القومي، وما الذي يرمز إليه لتصبح أنواعًا مجسمة بالعبارة الاصطلاحية للعلم السلوكي؟ وهذه الأنواع المجسمة من المحتمل أن تشترك فيها كثيرًا أو قليلًا الطبقة الحاكمة في المجتمع، وتنعكس بصورة محتملة جدًّا في اختياراتهم وأحكامهم وقراراتهم(١).

وفي هذا السياق لا بد من طرح بعض الملاحظات التي نراها هامة لتقويم ما ورد أعلاه:-

١- إن مفهوم الكاريزما يكاد يقترب كثيرًا من الظاهرة الاجتماعية السياسية التي لها ظروفها وزمانها ومتغيراتها الداخلية والخارجية التي تؤثر على صياغته وإظهاره إلى الوجود كان قد أصابه تطور نسبي ملحوظ عبر الحقب التاريخية في التاريخ الحديث والمعاصر.

---

(١) أحمد نوري النعيمي، "الأبعاد المؤثرة في السياسة الخارجية"، مصدر سبق ذكره، ص ٧٤.

٢- إن ظهور قادة كاريزميين ليس دليلًا على استقرار الشعوب والأمم، بل ينذر بوجود أزمة حادة داخلية تتطلب إصلاح هذا الخلل وتجاوز تلك الأزمة عبر هذه القيادة التي تبرز إمكانياتها الشخصية وارتباطاتها الاجتماعية وخبراتها الذاتية؛ لتوظيفها جميعًا لقيادة الأمم ومجتمعاتها نحو الوصول إلى وضع مستقر نسبيًّا.

٣- إن ما يُعَرِّض هذه الظاهرة لنوع من إشكالية أسلوب القيادة التي لها علاقة مهمة، وكما يقول أحد كتاب السياسة الخارجية: (بالعقائد الفلسفية والأدائية لصانع القرار بسبب غياب علماء السياسية في التحليل النفسي لصانع القرار، مما حدا بريتشارد سنايدر إلى أن يستعار بعض العلوم الاجتماعية بغية إضافة هذه العلوم في تحليل شخصية صانع القرار، منها علم النفس التربوي والاجتماع، وعلم الاجتماع السياسي، إلى العقائد الفلسفية والأدائية لشخصية صانع القرار، مما أصبحنا بسببه على مفترق طرق في هذا الاتجاه أساسًا)[١].

٤- على الرغم من عدم استقرار دول الجنوب ولا سيما دول العالم الثالث، مما شجع على ظهور الأنظمة والقيادات التقليدية والشمولية، إلا أن بعض الكتاب عندما يتحدثون عن مفهوم الرجل المتسلط، هذا الرجل له علاقة

---

(١) يشار إلى أن مارجريت هيرمان قَسَّمت العقائد السياسية للقائد السياسي صانع قرار الأزمة إلى قسمين؛ الأولى: فلسفية، والثانية: أدائية. الفلسفية تخص مفهوم القائد السياسي عن الدولة ودورها في النظام الدولي، والأدائية تخص الإستراتيجية والتكتيك وكيفية اختيار الأهداف.

راجع:-

Hermann, H, Effects of Personal Characteristics of Political Leaders on Foreign Policy, Chapter 3, Hermann, C.F.Crisis in Foreign Policy New York, 1988. PP.49-68.

بالعالم المتقدم، ولنا شخصيتان في التاريخ الحديث والمعاصر تدعم ذلك، فلو دققنا في شخصية الجنرال ديغول بموجب الجمهورية الخامسة ١٩٥٨ نرى أن هناك صلاحيات واسعة لديغول في المتغير السياسي الداخلي والخارجي، هذا الموضوع له علاقة بمفهوم الكاريزما ومفهوم القيادة، ودوره الأكيد في الحرب العالمية الثانية؛ فقد أسهم في إيجاد حكومة في المنفى. هذه العوامل أسهمت في إبراز دور العامل الشخصي في هذا الاتجاه.

أما الشخصية القيادية الثانية فإنها تخص شخصية (بوريس يلتسين) رئيس دولة روسيا الاتحادية وريث الاتحاد السوفيتي الأسبق، فرغم مرضه العضال يتمسك بقوته الدستورية لا بل يتجاوزها بطريق أو بآخر، وما محاولته الأخيرة في عام ١٩٩٨ لإعطاء رئيس الدولة صلاحيات واسعة في دستور روسيا الاتحادية إلا دليل على ذلك، ونتوصل بذلك إلى القول بأن القيادة المتسلطة لا علاقة لها بالأنظمة الشمولية، بل لها علاقة وثيقة بالأنظمة المتقدمة[١].

٥- الملاحظة الأخيرة التي نرى وجوب الأخذ بها كطريق يحبذ أن ينتهجه الباحثون والمختصون لدعمها بالدراسات والبحوث المستقبلية لإثبات مصداقيتها، ومفادها أنه بالرغم من ضرورة وجود الشخصية القيادية الكاريزماتية التي تشتد الحاجة إليها أثناء الأزمات، بل إنه في بعض الأحيان وقت الاستقرار وفي ضوء كثرة تعقيدات متطلبات الإنسان وازدياد شدة احتكاك الحدود الخارجية للأهداف الوطنية والقومية للدول أصبح وجود قيادة ملهمة ضرورية في حدودها المعقولة لشد ورص صفوف الأمم والشعوب لمواجهة الأزمات والتهديدات الداخلية والخارجية للحقبة المقبلة،

---

(١) المصدر نفسه، ص ٨.

ولا سيما ونحن على الألفية الثانية وما تحمله من تحديات حقيقية لمصير الشعوب والمجتمعات، لكن يبدو أن مفهوم أو ظاهرة الكاريزما إذا ظل على طول الخط بدون وجود قنوات للتغذية الاسترجاعية توجه وتنبه القائد الكاريزمي لخطواته تحت مظلة الاستشارة وإبداء الرأي لتقوية خطواته السياسية ولا سيما على مستوى صنع القرار السياسي الخارجي، نقول: إن ذلك قد ينذر بتغييب الوجه الديمقراطي للحياة المعاصرة ومصادرة حق التعبير عن الرأي والرأي الآخر، لا بل إلى قمع آراء الآخرين، وسوف تكون نعمة القيادة الكاريزماتية نقمة على الشعوب بسبب عزلتها وتقوقعها على نفسها؛ لأن السلطة والنفوذ قد توقع أغلب الذين يصلون إليها في متاهات الغرور والثقة غير الطبيعية في النفس بالرغم من تمتعهم بصفات كاريزمية؛ مما يحدوهم إلى تطعيم قدراتهم الكاريزماتية بجرعات تنشيطية من تبادل الآراء مع الآخرين لتبقى شعلة القائد الملهم والكاريزمي في آن واحد متقدة ومقبولة وسائرة نحو هدفها الصحيح؛ (لأن النزعة الكاريزمية ما هي إلا مخرجات الحاجة إلى النظام، ومن ثم فإن إيجاد وخلق النظام هو الذي يثير الاستجابة أو الحاسة الكاريزمية سواء كانت في شكل قانون إلهي أو قانون طبيعي أو قانون علمي، فمن ذلك المصدر تتيقظ النزعة إلى الرهبة المقدسة والاحترام والتبجيل، تلك هي النزعة الكاريزمية، فالناس يحتاجون إلى نظام يستطيعون من خلاله أن يستقروا وأن يستمدوا الالتحام والتماسك والاستمرارية والعدالة"[1].

---

(١) نيفين عبد الخالق مصطفى، "قيادة الرسول وخلافته والأنماط المثالية للسلطة لماكس فيبر: دراسة مقارنة"، مصدر سبق ذكره، ص ١٤٥.

=

ويتضح من ذلك أن هناك عوامل عديدة لتحديد دور القيادة في النظام السياسي، بالإمكان إجمالها في الآتي[١]:

١- **شخصية القيادة**، سواء أكان رئيسًا للدولة أو رئيسًا للوزراء، وهو في وضع سلطة اتخاذ القرار، ويدخل في إطار هذا العامل الصفات الشخصية والنفسية والسلوكية للقائد وانتماءاته الاجتماعية والمهنية.

خبرات القيادة السياسية: التي تتحدد في إمكانية القائد من تكون حزبه وإدارته له بمهارة وجدارة، الأمر الذي يساعده في الحفاظ على وحدة الحزب وتماسكه[٢].

=

هناك مداخل نظرية في دراسة تأثير العامل القيادي على السياسة الخارجية، وتتركز هذه المداخل في: مدخل التحليل الكمي، ينتمي أصحاب هذا المدخل إلى المدرسة الواقعية التي تقلل من أهمية تأثير العامل القيادي في السياسة الخارجية ومدخل التحليل الجزئي. ظهر هذا المدخل في إطار المدرسة السلوكية التي نشأت في عقد الخمسينيات، وانتهجت أساليب تعتمد على الاقتباس من العلوم الطبيعية، وقد ركزت في اهتمامها على مستويات أعلى من مستوى الدولة وأقل من مستوى الأخيرة؛ أي دراسة الظواهر السياسية على أساس من التداخل، إلى جانب اهتمامها بالأسلوب الكمي. راجع: مصباح، مصدر سبق ذكره، ص ١٨٤-١٨٧.

(١) د. جلال عبد الله معوض، مصدر سبق ذكره، ص٢٣-٢٤.

(٢) روبرت أ.دال التحليل السياسي الحديث، ترجمة د. علاء أبو زيد، ط٥، مؤسسة الأهرام، القاهرة، ١٩٩٣، ص٨٥.

يعلق الجنرال كلاوزفيتز أهمية كبرى على شخصية القائد وإرادته القوية؛ إذ يؤكد أنه في الحالات التي يفتقر القائد فيها إلى المعطيات الموضوعية يعتمد على كفاءاته الشخصية، ويصف تلك الحالة بصورة مجازية قائلًا: على القائد أن يوجه مركبه في داخلها وسط ظلام دامس"، انظر القيادية التي استطاع من خلالها في منتصف الثلاثينيات تبني مشروع العهد ١٩٦١.

ومن هنا ينبغي ألا نغفل مدى سلامة القوى العقلية والبدنية في موضوع القيادة، وعلى سبيل

=

٢- **طموح القيادة**: من الممكن أن تكون في حوزة القائد السياسي مجموعة من الرؤى والتصورات في السياسة الخارجية، وهو يرنو إلى تحقيق أهداف معينة تخص المصلحة الوطنية، وفي الوقت نفسه يتمتع بمساندة القوى السياسية المؤثرة في عملية صنع القرار في السياستين الداخلية والخارجية.

أنواع وحدة صنع القرار:

هناك أنواع متعددة لوحدة اتخاذ القرار، وتتركز في:-

أ) **وحدة القائد المسيطر**:

إن القائد في هذه الوحدة يقع على عاتقه بمفرده اتخاذ القرار من دون الرجوع إلى أخذ موافقة بقية أعضاء الوحدة، والأعضاء في هذه الوحدة يشاركون القائد في جل آرائه في قضايا السياسية الخارجية بصورة مباشرة أو غير مباشرة من أجل التأكيد العضوي البناء لدور القائد المهيمن، وعلى الرغم من دور القائد في مثل

=

المثال كان لشيخوخة النخبة السياسية في الاتحاد السوفيتي، بريجينيف واندروبوف وتشرينينكو، الأثر الكبير في ظهور قيادة جديدة لمواكبة ومواجهة التطورات في العلاقات الدولية، تقول رايسا غورباتشوف: "إن زوجها الرئيس السوفيتي سابقًا ٤٧ سنة عندما نقل سنة ١٩٧٨ للعمل في موسكو كان معدل الأعمار في المكتب السياسي سبعة وستين عامًا، أما معدل أعمار الوزراء فأربعة وستون عامًا، وقد فرضت فيما بعد عملية التشديد والتشبيب صعوبات كبيرة لكنها أحدثت تغييرًا في أسلوب الحكم كلها".

يقول تشرشل في مذكراته: "كيف كان لحالته الصحية المتدهورة وشيخوخته دور حاسم في إبرام معاهدة يالطا؟ وكسب السوفيت فيها بسبب القوة والشباب الذي كان يتمتع به ستالين، إنه لو لم يسرع بتوقيع هذه المعاهدة لحدثت مفاجآت كبيرة لن تكون في صالح بلاده بسبب ظروفه الصحية". راجع: منصف السليمي، مصدر سبق ذكره، ص ١٥٣.

هذا القرار فإن عملية صنع القرار تتميز بطابع الوفاق الجماعي، ولهذا السبب فإن هذا القرار يتميز أيضًا بسرعته وجرأته.

ب) **وحدة القادة المستقلين:**

في هذه المجموعة يبرز دور القائد كما هي الحال في المجموعة الأولى، إلا أن الأعضاء مستقلون عنه بسبب انتمائهم إلى وحدات ومؤسسات مستقلة، لكنهم غير مفوضين من هذه الوحدات، وكل عضو من الأعضاء المنتمين إلى هذه الوحدات يدافع عن آرائه التي تعكس وجهات نظر عن الموقف المراد اتخاذه، وهنا يكون دور القائد بمثابة دور القاضي الذي يستمع إليهم، وفي نهاية الأمر يتخذ البديل الذي يتناسب مع الموقف.

وتجدر الإشارة في هذا المجال إلى أنه لا يوجد هناك ضغط مؤسساتي يدفع إلى الاتفاق منذ البداية، إلا أن الأعضاء بإمكانهم تغيير آرائهم في حالة رفض القائد هذه الآراء، أو إذا استطاع إقناعهم بآرائه هذه، وفي هذا الشأن يصف ميرمان هذه الحالة بالدفاع عن وجهات النظر.

ج) **وحدة القادة المفوضين:**

من حيث المبدأ فإن هذه الوحدة شبيهة بالمجموعة الثانية، مع تباين دور الأعضاء الذين ينتمون إلى مؤسسات أخرى؛ إذ ليس بمقدوره تغيير آرائهم من دون الاستشارة، الأمر الذي يؤدي إلى البطء في عملية صنع القرار بسبب انقسام الوحدة على نفسها بسبب اختلاف مصالح المؤسسات التي ينتمون إليها، والسمة الغالبة على هذه المجموعة هي التأكيد على الوضع الراهن وإقرار السياسات المتبعة للنظام.

نماذج عملية صنع القرار:

قام ماكس فيبر بتصنيف نماذج القيادة السياسية إلى أنواع ثلاثة[١]:

١ – أنموذج القائد التقليدي القائم على عنصر السن أو المكانة التقليدية أو الدينية.

٢- أنموذج القائد الكاريزمي الذي يقوم على سمات وخصائص معينة تجعله في موقع جدير بالطاعة والاحترام.

٣- أنموذج القائد الشرعي العقلاني الذي يؤكد على إيجاد وتشكيل مؤسسات قانونية، ويعد هذا الأنموذج بعيدًا عن الصفة الفردية.

في هذا المجال من الممكن الإشارة إلى نماذج ثلاثة للقيادة السياسية التي تتركز في[٢]:

أ) **الأسلوب التحليلي (الرشيد):**

يقوم هذا الأسلوب على فرضية مفادها أن عملية اتخاذ القرار تقوم أساسًا على التركيز على أهمية المنافع، وأن متخذ القرار يأخذ بنظر الاعتبار العملية العقلانية في تصرفه السياسي الخارجي، من خلال البحث الكلي عن جميع المعلومات والبدائل المتاحة، ويعقب هذه المرحلة الحسابات العقلانية الرشيدة

---

(١) مصباح، مصدر سبق ذكره، ص ١٧٨ – ١٧٩، ومنصف السليمي، مصدر سبق ذكره، ص ١٤٩.

(٢) للمزيد من التفاصيل حول ذلك راجع: الدكتور ناصيف يوسف حتي، مصدر سبق ذكره، ص١٨٨– ١٩١.

المحتمل وقوعها لكل بديل من أجل الوصول إلى بديل ملائم[1] قد يحقق منافع كبيرة في هذا المجال.

ب) **الأنموذج التنظيمي (الإداري):**

إن كلًّا من سايمون ومارش، ودراسات علوم الضبط والتحكم "السيبر ناطقي" أسهموا في مجال العلوم الإدارية في تقديم هذا الأنموذج من أجل قيام العقل بعملية صنع القرار بسمة تقوم على طابع السرعة وفي حقبة زمنية محددة، وبموجب هذا الأنموذج نرى أن عقل الإنسان يتضمن برامج مخزنة لاتخاذ القرار، فهو يتقبل من المخ توجيهات عامة عن طبيعة الحركة المطلوبة، ثم القيام بهيئة تفاصيل المعلومات اللازم بثها إلى الكثير من المعضلات لضمان الأداء المتزن في مجموعة من الاستجابات الآنية.

وبموجب هذا الأنموذج فإن عملية اتخاذ القرار لا تستند إلى تضخيم دور المنافع، بل إلى عملية القيام المستمر للبحث عن البدائل من أجل الوصول إلى بديل مناسب ومقبول؛ أي بمعنى آخر: تحقيق الحد الأدنى من الأهداف، وهي العملية التي أطلق عليها سايمون أنها "البدائل الدنيا المقبولة".

وقد طرح هذا النموذج غراهام أليسون (Graham Allision) في دراسة حالة أزمة الصواريخ الكوبية لعام ١٩٦٢ وعنوانها "جوهر القرار" (Essence of

(١) الدكتور محمد السيد سليم، مصدر سبق ذكره، ص ٤٧٤-٤٧٦. والدكتور مازن إسماعيل الرمضاني، مصدر سبق ذكره، ص ٣٦٨-٣٧٢. وجلال إبراهيم عبد الله فقيرة، صنع القرار في السياسة الخارجية اليمنية حول الجوار العربي ١٩٩٠-١٩٩٧، رسالة دكتوراه غير منشورة - جامعة بغداد، كلية العلوم السياسية، ١٩٩٩، ص١٠-١١.

Decision) يطرح أليسون في واقع الأمر ثلاثة نماذج للقرار، يُستخدم كل منها لإعطاء وصف مختلف للقرارات التي حددت الأزمة، وهي في صورة مبسطة[١]:

أولًا: القرار السوفيتي بنشر صواريخ بالستية متوسطة المدى في كوبا.

ثانيًا: قرار الولايات المتحدة بالرد على هذا النشر للصواريخ بفرض حصار.

ثالثًا: القرار السوفيتي بسحب تلك الصواريخ، فهو يرى خلافًا لعنوانه، أنه لا يوجد "جوهر للقرار"، بل يوجد طرق مختلفة لرؤية الأحداث ذاتها.

وأول نموذج له هو "نموذج الفاعل العقلاني" (Rational Actor Model) وهذا يقابل نوع التحليل المفضل في الأوصاف التقليدية للمصلحة الوطنية، فالقرارات المتعلقة بالسياسة الخارجية يفترض أنها ردود فعل لظرف معين،

---

(١) كريس براون، مصدر سبق ذكره، ص ٨٦.

لعل أزمة خليج الخنازير التي جرت بين جون كيندي وخروشوف على الأراضي الكوبية -بعد أن صمم الاتحاد السوفيتي على نشر قواعد صاروخية بمحاذاة خليج الخنازير في مواجهة السواحل الأمريكية- كانت الأخطر والأعنف أمام الرئيس الأسبق كيندي.

وقد ندد كيندي بمثل هذه الخطوة التي تهدد الأمن القومي الأمريكي وسلامة أراضيه، وهو ما لا يمكن قبوله والسكوت عنه، كان الاختبار صعبًا وعنيفًا، ولم يكن متوقعًا، بيد أن كيندي أراد أن يعلن عن نفسه ولو أدى ذلك إلى مواجهة نووية مع السوفيت.

ويبدو أن الاتحاد السوفيتي كان قد أدخل كيندي إلى الاختبار للكشف عن مخزونات صبره وطاقاته وقدراته ونواياه، وقد أسفرت نتيجة هذا الاختبار عن انتصار الولايات المتحدة الأمريكية والمعسكر الغربي بزعيم قوي قد يفوق إيزنهاور ويتجاوز روزفلت، حيث اضطر الاتحاد السوفيتي إلى أن يمتثل لأوامر كيندي، ويتحرك فعليًا لفك منظومة الصواريخ، الأمر الذي أدى إلى انتصار كيندي على خصمه السوفيت. راجع: هشام خضر، مصدر سبق ذكره، ص١٨٥ – ١٨٦.

يصوغها فاعل واحد في دولة أحادية؛ فالعقلانية ينظر إليها من منطلق الأهداف - الوسائل؛ أي يفترض أن الدول تختار التصرف الذي يحقق لها أقصى المكاسب، ويقلل خسائرها في سياق مجموعة معينة من القيم، ويمكن دراسة القرارات من خلال عملية إعادة تركيب عقلانية، وتحليل نظري يضع المحلل نفسه فيه في موقف صانع القرار(١).

يرى أليسون أنه يوجد نوعان من المشاكل التي تتصل بهذا النموذج(٢) أولًا: إن الفكرة القائلة بأن الفعل عقلاني تمامًا تثير بعض المشاكل. فمقتضيات الفعل العقلاني لا يتم توفرها أبدًا في الواقع؛ فهي تنطوي على مجموعة من القيم محددة بشكل تام يتعين بلوغ أقصى حد لها، وعلى وصف لجميع سبل التصرفات المتاحة لصانع القرار، ومجموعة من الأنظمة الحسابية التي تمكننا من التنبؤ بالعواقب المقترنة بكل تصرف، فالمعلومات التامة من هذا القبيل هي بكل بساطة غير متوفرة لا بالنسبة لصانع القرار الأصلي، ولا لمحللين لاحقين، فمثل هذه المعلومات من شأنها أن تعادل مثلًا مجموعة قرارات محددة بشكل تام لمباراة شطرنج، وهذا يستحيل عمليًّا حتى على أسرع الحواسيب.

وثاني مشكلة تتصل بنموذج الفاعل العقلاني، وهي ذات طابع عملي، فحتى حين نتوصل إلى نتيجة باستخدام عملية إعادة تركيب عقلانية فإنه تبقى دائمًا حالات شاذة لم يكن بالإمكان تفسيرها، وهكذا فإن أليسون يعتقد أن أكثر تفسير معقول لنموذج الفاعل العقلاني فيما يتصل بنشر السوفيت للصواريخ البالستية متوسطة المدى هو أنه كان يرمي إلى سد ما كانوا يعدونه فجوة آخذة

(١) كريس براون، مصدر سبق ذكره، ص ٨٦.

(٢) المصدر نفسه، ص ٨٧ – ٨٨.

بالاتساع في القدرات فيما بينهم وبين الولايات المتحدة، لكن هذا لا يفسر بعض سمات النشر الفعلي التي يبدو أنها كادت تكون محسوبة؛ لتشجع على أن تكتشفها الولايات المتحدة في وقت مبكر، فالرأي البديل القائل: إنها كانت بالفعل مصممة بحيث تكتشف يعطي تفسيرًا أقل شمولية من تفسير فجوة الصواريخ.

ولعل باستطاعة تفسير أفضل لنموذج الفاعل العقلاني أن يغطي هذه النواحي الشاذة لو أننا تمكنا فقط من العثور على ذلك التفسير الأفضل، لكن أليسون يقترح أن نتحول إلى نموذج آخر للقرار، فنموذج الفاعل العقلاني يفترض أن القرارات هي نتاج حساب يجريه فاعل واحد.

أما نموذج العملية التنظيمية (Organizational process Model)، فهو يفترض أن القرارات تصنع من قبل منظمات متعددة لكل منها طرائقه الخاصة في عمل الأشياء، عمليات روتينية تنظيمية (Organizational Routines) وإجراءات عمل موحدة (Standard Operating Procedures) وهي تقاوم أن يتم تنظيمها من قبل أي نوع من الاستخبارات المركزية، وهذا ينسجم -ولكن ليس على سبيل المصادفة- مع الملاحظات السابقة بشأن التغلب على الصعوبات المقترنة بعدم توفر المعلومات الكاملة.

إن نموذج العملية التنظيمية يقلل من شأن المراقبة المركزية العقلانية للقرارات[١].

وفي نموذجه النهائي "السياسة البيروقراطية" (Bureaucratic Politics)

---

(١) كريس براون، مصدر سبق ذكره، ص ٨٨ – ٨٩.

يفكك أليسون صنع القرار العقلاني من جانب آخر، ويؤكد على مدى تأثير العوامل السياسية الخارجية على نطاق القضية الدولية الواضحة في صنع القرار، ويتمثل أحد جوانب ذلك بالطريقة التي ترى بها الجهات البيروقراطية العالم من منظور مؤسستها الخاصة بها[١].

ينطوي نموذج أليسون على مشاكل عامة أخرى يتمثل أحدها بالتأكيد على صنع القرار في الأزمات، وهي ظروف تنطوي على رهان ذي قيم عالية يجري تحت ضيق الوقت، وقد تنتج أنماط من السلوك تختلف اختلافًا كبيرًا عن الأنماط السائدة خلال عملية صنع القرار في الظروف الطبيعية، قد ينطبق نموذج أليسون التفصيلي فقط في البلدان ذات الهياكل المؤسسية شديدة التميز، ومن المؤكد أنه من الصعب تطبيق نموذج العملية التنظيمية في تلك البلدان التي ليست لها أجهزة بيروقراطية واسعة النطاق، على أنه سيكون من العجب ألا تستبدل دراسة حالة عمرها ثلاثون سنة من بعض الجوانب، ومع ذلك فإن نماذج أليسون لا تزال مستعملة، ويمكن قراءة ذلك بطريقتين: فقد يدل ذلك على درجة حسن تنظيم النماذج، فمن هذا المنطلق يعد صنع قرار السياسة الخارجية واحدًا من أكثر المجالات الثابتة في العلاقات الدولية[٢].

ج) الأنموذج العقيدي (المعرفي):

يذهب هذا الأنموذج إلى أن عملية صنع القرار هي عملية عقيدية – إدراكية يتصرف فيها متخذ القرار بإسقاط عقائده الذاتية على العملية بحد

---

(١) كريس براون، مصدر سبق ذكره، ص ٨٩.

(٢) المصدر نفسه، ص ٩١.

ذاتها، في حالة اختيار البديل الملائم الذي ينسجم مع مدركاته وعقائده، وعليه نرى أن صانع القرار يميل إلى قبول المعلومات التي تنسجم مع مدركاته العقيدية، مع التقليل من هذه المدركات التي تتعارض معه[١].

ويمكننا أيضًا ونحن في هذا الصدد أن نستشهد بدراسة الأستاذة دينا زينس التي توصلت إلى نتيجة مفادها أن هناك إجماعًا بين علماء السياسة الخارجية يؤكد أن العوامل الفردية الإدراكية لها دورها في سلوكيات وقرارات السياسة الخارجية[٢].

من هذا المنطلق يرى كيسنجر أن معرفة الشخصية القيادية تتطلب دراسة العوامل الآتية:-

١- الخبرة التي يكتسبها القائد من خلال جهده للوصول إلى السلطة.

٢- البيئة التي نشأ بها القائد.

٣- مجموعة القيم السائدة في البيئة التي يعيش فيها القائد.

وفي هذا المجال قدم كيسنجر النماذج الثلاثة للقيادة:-

١- أنموذج القائد البرجماتي – البيروقراطي

٢- أنموذج القائد الأيديولوجي

٣- أنموذج القائد الكاريزمي – الثوري

(1) Joseph H. Derivera, The Pychological Dimension of Foreign Policy, Charles E.Merrill Publishing Company Ohio, 1968.

(٢) الدكتور محمد السيد سليم، التحليل السياسي الناصري، دراسة في العقائد والسياسة الخارجية، مصدر سبق ذكره، ص، ص١٩.

يمثل الأول المجتمعات الغربية، ويتجسد الثاني في الأقطار الاشتراكية السابقة، في حين يظهر الثالث في جل الدول النامية[١].

من الصعوبة بمكان تقدير تأثير القائد في السياسة الخارجية لدولة ما؛ لأن بعض الإجراءات الصادرة عنها مردها الأحداث، فالهجوم الياباني على ميناء بيرل هاربور كان بإمكانه استفزاز الولايات المتحدة من دخول الحرب العالمية الثانية، بغض النظر عن هوية الرئيس الأمريكي وقتئذٍ. إن قدرة الرئيس على كسب تأييد عام لقرارات السياسة الخارجية هي انعكاس لشخصية ذات فكر نير أكثر منها للقرارات ذاتها، فعلى الرغم من الجهود الكبيرة التي بذلها الرئيس لندون جونسون حول سياسته في فيتنام فإنه لم يكن بمقدوره إقناع ناخبيه بصحة ذلك[٢].

من جانب آخر، فإن دعم الرئيس روزفلت لبريطانيا قبل دخول الولايات المتحدة في الحرب كان يمثل بعد نظر لقائد لم يكسب تأييدًا واسع النطاق

---

(١) مصباح، مصدر سبق ذكره، ص١٧٩.

يشير روبرت دال استنادًا إلى مفهوم الجماعات المتعددة المصالح، إلى تطبيق الأنموذج التعددي لتحليل النظام السياسي في الولايات المتحدة، بسبب تأثير الجماعات المؤثرة على عملية صنع القرار، بينما يذهب رايت ميلز إلى مفهوم نخبة السلطة.

ولكننا نرى أن الأنموذج التعددي على الرغم من أهميته في فهم وتحليل العلاقات بين مختلف القوى وفي إطار المؤسسات الدستورية فإنه يتحدد في إطار مفهوم القوة الذي يتأثر به فلسفيًا.

فضلًا عن ذلك فإن هذا الأنموذج عند معالجته عمليةَ صنع القرار في الولايات المتحدة لا يعطينا الجواب الكافي عن الأسئلة التي تثيرها الطبيعة المؤسسية للعملية السياسية. راجع: منصف السليمي، مصدر سبق ذكره، ص ١٥٤.

(٢) روبرت د. كانتور، مصدر سبق ذكره، ص ٤١٤ – ٤١٥.

لسياسته، وربما كان السبب في دخول الولايات المتحدة الحرب هو تلك العلاقة التي تربطها ببريطانيا تحت أي ظرف من الظروف[١].

إن القائد الناجح إنما هو ذلك الذي يعرف إلى أي مدى يستطيع الدخول في الاتجاه الذي يرغبه، مع احتفاظه في الوقت نفسه بالتأييد من الرأي العام المحلي، وهنا لا بد من التأكيد على أن قوة القائد مرتبطة بطبيعة النظام السياسي الذي يعمل في إطاره، والتزامات سابقة من خلال عملية انتخابية (القواعد المعروفة)، فضلًا عن المناخ السياسي في البيئة الداخلية[٢] وفي حدود ما تسمح به الظروف[٣].

وهنا بالإمكان أن نستشهد بما قام به الرئيس كيندي عندما أعطى أمرًا بالمضي قدمًا في أزمة كوبا في نيسان ١٩٦١؛ أي بعد ثلاثة أشهر من وصوله إلى الحكم، وقد مكنته شعبيته الخاصة بعد هذا الإخفاق الكبير من الاستمرار في السلطة، وبأضرار سياسية محدودة في البيئة الداخلية.

وفيما يخص حدود ما تسمح به الظروف نرى أنه لو كانت منظمة الدول الأمريكية قد فشلت في تشرين الأول ١٩٦٢ في الحصول على نسبة ثلثي الأصوات المطلوبة لفرض الحصار على كوبا لكان ذلك الفشل حافزًا للسوفيت، وربما لدول أخرى غيرهم، على تحدي شرعية تصرف الولايات المتحدة في تلك الأزمة، ولأدى ذلك إلى الاضطراب والتذبذب في صفوف المعسكر الغربي،

---

(١) المصدر نفسه، ص ٤١٥.

(٢) روبرت د. كانتور، مصدر سبق ذكره، ص ٤١٥ – ٤١٦.

(٣) تيودور سورنسن، مصدر سبق ذكره، ص ٤٨.

ولنشأت مشاكل لا حصر لها حول التأمين البحري ومسالك البحرية الأمريكية ذاتها، وهي مشاكل يصعب الخلاص من أحابيلها[١].

ويقول بعض المراقبين: إن الواجب كان يقضي بإخطار الرئيس كيندي بأمر اكتشاف تلك الصواريخ الخطيرة في الليلة نفسها التي قام فيها أول دليل على وجودها في الأراضي الكوبية، ولكن لم يكن من الممكن في تلك الليلة اتخاذ أي إجراء للردع أو التحقيق، وليس ثمة سبب يدعو إلى الاعتقاد بأن سبل التصرف المتاحة للرئيس كانت ستتغير بين الليل والصباح حين تم العرض الفعلي للموضوع على الرئيس كيندي، ولو كان الرئيس قد أخطر بالأمر خلال الليل فإن مجرد مغادرة المدعوين للعشاء لعقد اجتماع طارئ في البيت الأبيض كان في حد ذاته كافيًا لنشر الانزعاج والقلق، وما من شك في أن النوم العميق الذي تمتع به الرئيس في تلك الليلة، وهو أمر نادر الحدوث، كان خير إعداد للرئيس للأيام العصيبة التالية[٢].

إن القرار الذي اتخذ في ذلك الموقف لم يولد خلال الأيام السبعة التي سبقت إعلانه فقط، فقد كان أول ما فعله الرئيس كيندي صباح اليوم الأول من تلك الأيام السبعة أن طلب موافاته بنسخ من البيانات كافة التي سبق أن أدلى بها

---

(١) المصدر نفسه، ص ٤٨ – ٤٩.

(٢) تيودور سورنسن، مصدر سبق ذكره، ص ٥٧ – ٥٨.

ولقد روي عن الرئيس (فرانكلين ديلانو روزفلت) أنه قال يومًا لأحد أصدقائه: "عندما أضع رأسي على الوسادة ليلًا لأنام أفكر في كل ما عرض علي من الأمور خلال اليوم، والقرارات التي اتخذتها، وأقول لنفسي في النهاية: لقد فعلت كل ما بوسعي. وعندئذٍ أستغرق في النوم". ولعل في الرئيس "هاردنج" خير مثال للرؤساء الذين يتوخون هذه الحكمة، وقد روي عنه أنه قال: "إنني أصغي لأحد الجانبين فأجده على صواب، ثم أصغي إلى الجانب الآخر فأجده لا يقل صوابًا، فأجد نفسي حيث بدأت! يا إلهي، ما أسوأها من وظيفة!". راجع: المصدر نفسه، ص ٧٢.

حول كوبا، وحول وجود الأسلحة الهجومية (خلاف الأسلحة الدفاعية) وحول تهديد المصالح الحيوية للولايات المتحدة، وكذلك حول التدخل الأمريكي في تلك الجزيرة.

والحق أن مضمون تلك البيانات كان يحول دون اتخاذ الولايات المتحدة موقفًا سلبيًّا من أزمة تشرين الأول ١٩٦٢، وكذلك كان يحول في الوقت ذاته دون غزو القوات الأمريكية للجزيرة ردًّا على وجود الصواريخ[١].

ولعل السبب في بناء جدار برلين في آب ١٩٦١ يعزى في بعضه إلى تصور سوفيتي بأن كيندي لم يكن جازمًا أو لم تكن له كفاءة أو مقدرة. وأبعد من ذلك فإنه ربما كانت استجابة كيندي هي دك الجدار على الفور لو لم يحل أزمة كوبا دون التنفيذ، فتخلي خرتشوف عن الحكم في الاتحاد السوفيتي مرده عند كثير من الباحثين تحرره من الوهم بعد جهود مضنية في نصب صواريخ في جزيرة كوبا ثم تراجع وسحبها. وهنا نذكر أيضًا ما بذله الرئيس ليندون جونسون من تغطية فشله في فيتنام، فعلى امتداد مدة رئاسته كانت الخسائر المتعاظمة التي حلت بالقوات الأمريكية، وعدم جدوى الإسهام الأمريكي في الحرب، قد طغت على تفكيره، ومع ذلك فقد قال في خطاب له في ٣١ آذار ١٩٦٨، حيث أعلن فيه عن قراره بعدم ترشيح نفسه للانتخابات مرة أخرى: "... وعبر هذه المدة الطويلة كنت أعتمد على مبدأ وحيد، هو أن ما نفعله الآن في فيتنام أمر حيوي، لا بالنسبة لأمن جنوب شرق آسيا فحسب، بل لأمن كل أمريكي"[٢].

---

(١) تيودور سورنسن، مصدر سبق ذكره، ص ٦٢.

(٢) روبرت د. كانتور، مصدر سبق ذكره، ص ٤١٦ – ٤١٧.

تقوم السياسة الخارجية للدول على أسس اتجاهاتها الأساسية، فالقادة في الدول المستقرة مقيدون بالعمل في إطار السياسة العريضة التي تم إعدادها، ولكن هذه ليست سوى خطوط توجيهية تحمل في طياتها مجموعة من المتغيرات عند كل مفترق. بدأ التصعيد في فيتنام في عهد الرئيس كيندي، ولما أصبح جونسون رئيسًا كان هناك ما يقارب ١٦ ألفًا من القوات والمستشارين العسكريين في فيتنام الجنوبية، ولم يكن بالخطة شيء مباشر يضمن زيادة حجم القوات إلى ٥٠ ألفًا، وتولى نيكسون الحكم، حيث عقد العزم على عدم التراجع عن ضعف، وأسفرت النتيجة عن أربع سنوات ونصف من الحرب، في الوقت الذي كان يفاوض فيه من أجل السلم، وكانت ثمة خيارات أخرى تسمح بإمكانية اختيار رئيس جديد[١].

---

(١) المصدر نفسه، ص ٤١٩.

صفحة بيضاء

الفصل الخامس

العوامل المؤثرة في السياسة الخارجية

أولاً: الأبعاد الداخلية لعملية صنع القرار في السياسة الخارجية[1]:

تستمد هذه الأبعاد قوتها من المبادئ الاجتماعية الموجودة، ومن النظام

---

(١) يعرف سنايدر الأبعاد الداخلية والخارجية لعملية صنع القرار بأنها: "مجموعة من العوامل والظروف التي تقع خارج صلاحية وحركة صانعي القرار والمؤسسات الرسمية المؤثرة عليهم، إلا أن هذه العوامل والظروف علامة سلوكهم". راجع في هذا الصدد:-

Snyder, Richard, and Furnis, Edger, American Foreign Policy, New York: Reinhand on Company, Inc., 1959, P.94.

قارن مع الدكتور الرمضاني، مازن، "السياسية الدولية بحث في منهاج اتخاذ القرار السياسي الخارجي"، مجلة العلوم السياسية والقانونية، العدد (١) بغداد، ص١٥٠. وقد تولى أساتذة العلوم السياسية دراسة هذه الظاهرة، ومدى تأثيرها على عملية صنع القرار. ومن الدراسات الشائعة في هذا المجال دراسة هارولد ومارجريت سبراوت حول تأثير الأبعاد الداخلية والخارجية في السياسة الخارجية، مقدمًا خمس نظريات تفسر هذا الاتجاه، وهذه النظريات هي:

Enviromental Determininism, Free-will Enviromental Enviromental Possiblism, Cogntivr behavirism, Enviromental Possibilism. See, Harald and margaret, Sprout Enviromental ctors)

In The Study of International Politics, ed., by Rosenau, The Free Press, New York, 1969, 43.

ليس من الصعوبة بمكان أن نكتشف ماهية السياسة الخارجية (عدا في حالة المعاهدات السرية)، وكيف تم التوصل إليها بصورة واسعة مع ذلك من أجل أن نحصل على تحليل بالغ الأهمية لعملية صنع القرار، فإن العملية تشمل ليس فقط البحث الدءوب المذكور، ولكن أيضًا دراسة مطولة لمناخ عملية صنع القرار في السياسة الخارجية. راجع:

Rosenau, International Politics and Foreign Policy.. Op.Cit.,P.61.

السياسي والاقتصادي، والموقع الجغرافي للدولة، ومن المؤسسات غير الرسمية مثل الأحزاب السياسية والرأي العام وجماعات الضغط والطابع القومي.

ويتضح من هذا أن الأبعاد الداخلية تشتمل على نوعين من العوامل، بعضها دائمة ديمومة نسبية، مثل: العامل الجغرافي والمساحة والموارد الطبيعية، أما البعض الآخر فيتكون من عناصر اجتماعية، مثل: الطابع القومي والرأي العام والأحزاب السياسية وجماعات الضغط.

إن المخطط السياسي لا يكون باستطاعته إهمال هذه العوامل في عملية صنع القرار، وإلا فإن القرارات المتخذة ستتعارض مع هذه الأبعاد، مما يحمل الدولة أعباء تكون غير قادرة على تحملها، ذلك أن اتخاذ القرارات وما تؤدي إليه من تعهدات خارجية قد يسيء إلى مركز الدولة وقدرتها[١].

ولأهمية ذلك نتناول هذا الموضوع في العوامل المؤثرة في السياسة الخارجية التي تتركز في العوامل المادية الدائمة ديمومة نسبية، والعوامل الاجتماعية.

إذن بالإمكان دراسة العوامل المؤثرة في السياسة الخارجية بعاملين هما:-

أولًا: **العوامل المادية الدائمة ديمومة نسبية** كالجغرافية والموارد الطبيعية، وبعضها أكثر عرضة للتغيير كالعوامل الاقتصادية والصناعية والعسكرية.

ثانيًا: **العناصر الإنسانية** التي تشمل الجوانب الكمية والنوعية[٢].

---

(١) ودودة عبد الرحمن بدران، مصدر سبق ذكره، ص ٢٠. وفيليب برايار ومحمد رضا جليلي، مصدر سبق ذكره، ص ٨٢.

(٢) روي مكريدس، كينث تومبسون، نظريات السياسة الخارجية ومعضلاتها، في مناهج السياسة الخارجية في دول العالم، مصدر سبق ذكره، ص٣٢-٣٥. وفيليب برايار ومحمد رضا جليلي، مصدر سبق ذكره، ص ٨١ - ٨٢.

وفي هذا المعنى نتناول دراسة العوامل الجغرافية والاقتصادية والسكانية والعسكرية.

١- **العامل الجغرافي**(١):

---

(١) إن معظم الكتاب بما فيهم الكتاب الجغرافيون يخلطون بين العلمين، ويعدون الجيوبولتيكا مرادفًا للجغرافيا السياسية. تطور مفهوم الجغرافية السياسية في القرن التاسع عشر، وتفرع عنها مضمون جديد يعرف بالجيوبولتيكا (Gopolitik)، وإذا كانت الأفكار الجيوبوليتيكية قديمة ترجع إلى الإغريق، فإن الجيوبولتيكا لم يظهر كعلم له أساسيات محددة إلا في مطلع القرن العشرين، حيث ظهرت مجموعة من النظريات والقواعد المنظمة لهذا العلم والتي ترتبط بحالة السلم وبالعلاقات الدولية بشكل عام.

يعرف هارتسهورن الجغرافية السياسية بأنها: "العلم الذي يهتم بدراسة التشابه أو الاختلاف بين الشخصية السياسية للدولة والإقليم السياسي وبين نظيراتها في الدول والأقاليم السياسية الأخرى في العالم. ولكي نفسر الاختلافات الإقليمية في صورة الملامح السياسية لا بد من دراسة علاقاتها المترابطة مع جميع الاختلافات الإقليمية الأخرى المتصلة بها، سواء أكانت ذات أصل طبيعي أم حيوي أم ثقافي".

أما الجيوبولتيكا فإنها مصطلح مكون في الأصل من كلمتين إغريقيتين هما (Geo) وتعني الأرض و(Politique) وتعني سياسة الدولة. وإذا كانت الجغرافية السياسية علمًا وصفيًّا تحليليًّا يعالج العلاقات المكانية المتصلة بالوحدة السياسية، فإن الجيوبولتيكا يعالج هذا الموضوع، ولكن في إطار المصالح القومية العليا، وفي إطار السياسة الدولية.

والجيوبولتيكا مصطلح جديد، وأول من ابتكره هو العالم السويدي رودلف كيلين (Rudolf Kiellen) أستاذ التاريخ والنظم الحكومية في جامعة جوتبرج في السويد (١٨٦٤ – ١٩٢٢)، وقد ظهر هذا المصطلح الجديد في كتابه الذي أصدره تحت عنوان "الدولة كمظهر من مظاهر الحياة" والذي نشره سنة ١٩١٧.

وعَرَّف كيلين الجيوبولتيكا بأنها: "نظرية الدولة ككائن جغرافي، أو ظاهرة تشغل حيزًا من الأرض". وأهم ما يعني به هذا العلم دراسة الوحدة السياسية (الدولة) في إطار بيئتها الجغرافية.

=

لا بد من الإشارة إلى أن ابن خلدون كانت له الأسبقية على علماء الغرب بقرون عندما تحدث عن أهمية العامل الجغرافي في حياة الدول، حيث قال في هذا الشأن: "إن كل دولة لها حصة من الممالك والأوطان لا تزيد عليها".

وعن أهمية المركز في أوقات السلم والحرب، قال ابن خلدون: "الدولة في مركزها أشد مما يكون في الطرف والنطاق، وإذا انتهت إلى النطاق الذي هو

=

غير أن الإلمام بعلم الجغرافية أو بعلم السياسة كل على حدة لا يكفي لفهم الجيوبولتيكا؛ لأن معرفة كل من الأرض والدولة مما يعدان من أهم مجالاتها.

وإذا كانت الجيوبولتيكا كما ذكر كيلين تتناول حيوية الدولة وحركتها في مجالها الإقليمي وفي المجتمع الدولي في ضوء الحقائق الجغرافية، فإن الجغرافية السياسية تدرس الحقائق الجغرافية التي تسهم في تكوين سياسة الدولة وشخصيتها. أو بتعبير آخر: إن الجغرافية السياسية تهتم بتحليل بيئة الدولة تحليلًا موضوعيًّا، أما الجيوبولتيكا فتقوم على دراسة الدولة من ناحية مطالبها وأهدافها على مستوى السياسة الدولية.

وتبعًا لذلك نستنتج أن الجيوبولتيكا هي دراسة متحركة، تتميز بديناميكية معينة، وعرضة لعوامل التغيير، لكن يبقى العامل الجغرافي مؤثرًا في السياسة الخارجية. وإن الدراسات الجيوبولتيكية لا تتوقف عند حد التعرف على دراسة وتحليل الحوادث الماضية، بل تركز كذلك على الحاضر وما سيكون عليه المستقبل، وإذا كان بعض الكتاب يرى أن الفوارق ضئيلة بين الجغرافية السياسية والجيوبولتيكا، ومنهم من يراهما مفهومًا واحدًا، فإن هناك من يذهب إلى وجود فاصل أساسي بينهما هو كون الجغرافية السياسية تهتم بدراسة الدولة كما هي كائنة، بينما تسعى الجيوبولتيكا إلى تصورها كما يجب أن تكون في ضوء المعطيات الجغرافية. وعلى ذلك فإن الجغرافية السياسية هي الأصل الذي تفرعت منه الجيوبولتيكا، أو بمعنى آخر: إن الجيوبولتيكا هي أحد فروع الجغرافية السياسية. راجع: الدكتور حسام الدين جاد الرب، الجغرافيا السياسية، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، ٢٠٠٩، ص ٢٦، ١٩١ – ١٩٢، ١٩٤– ١٩٥. والدكتور عدنان السيد حسين، الجغرافيا السياسية والاقتصادية والسكانية للعالم المعاصر، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، ١٩٩٤، ص ٦٢.

الغاية عجزت وقصرت عما وراءه، وإذا غلب على الدولة من مركزها فلا ينفعها بقاء الأطراف والنطاق، بل تضمحل لوقتها؛ فإن المركز كالقلب الذي تبعث منه الروح، فإذا غلب على القلب وملك انهزم جميع الأطراف". وبمعنى آخر: إن سقوط العواصم أو المراكز سيؤدي في النتيجة إلى سقوط الدول(١).

تعدُّ الجغرافية في مقدمة العوامل المؤثرة في السياسة الخارجية، وهي من أكثر مقومات سياسة الدولة ثباتًا، إن أهمية هذا العامل واضحة بالنسبة لبعض الدول مثل بريطانيا، حيث نرى أن الحاجز المائي الذي يعد فاصلًا بينها وبين القارة الأوروبية الأثر الرئيس في سياساتها الخارجية على مر التاريخ، وعن طريق هذا الحاجز استطاعت بريطانيا وقف حملات نابليون لها في القرن التاسع عشر، وهتلر في منتصف القرن العشرين، ويوليوس قيصر وفيليب الثاني(٢).

وللموقف البحري الأثر المهم في سياسة الدولة الخارجية(٣) والحق جاءت حركات الاستعمار الحديث بوساطة دول كانت لها خصائص الدول البحرية، وهذه

---

(١) الدكتور عدنان السيد حسين، مصدر سبق ذكره، ص ٥٩.

(٢) المصدر نفسه، ص ٣٥. وHenderson, p103.

(٣) رأى المؤرخ وضابط البحرية الأمريكي الفرد ماهان " ١٨٤٠ – ١٩١٤ " (درس في الأكاديمية البحرية، وتخرج منها في سنة ١٨٩٥) في القوة البحرية المصدر لهيمنة الإنسان على البيئة. تأثرت كتابات ماهان بالحقبة التي كتب فيها والمتمثلة في زيادة التوسع الأوربي، وظهور الولايات المتحدة كقوة عالمية، وتجدر الإشارة في هذا المجال، من أن ماهان كان مستشارا لتيودور روزفلت في الأمور العسكرية والبحرية، علما أن روزفلت أسهم إلى حد بعيد في أن تكون الولايات المتحدة في مقدمة القوى البحرية في العالم. راجع: جيمس دورتي – روبرت بالتسغراف، مصدر سبق ذكره، ص ٤٤ – ٤٥. والدكتور محمد طه بدوي، النظرية السياسية النظرية العامة للمعرفة السياسية، مصدر سبق ذكره، ص ١٧٢.

المسألة واضحة في أوروبا الغربية ودول بحرية حديثة في شرق آسيا كاليابان مثلًا[١].

أما فيما يخص الحدود فنرى أن كثيرًا من الحدود السياسية للدول التي استقلت منذ أن وضعت الحرب العالمية الثانية أوزارها كانت حدودًا تاريخية؛ أي بعبارة أوضح: إنها وضعت بوساطة الدول عندما كانت المنطقة خاضعة لها، ثم ورثتها فيما بعد الدولة الجديدة، وعلى سبيل المثال حدود الدول المستعمرة وما ينطبق على القارة الإفريقية ينطبق على القارة الآسيوية؛ لأن تخطيط حدودها تم من دون الأخذ بنظر الاعتبار الظروف التاريخية والجغرافية لتلك المناطق[٢].

---

(١) الدكتور محمد عبد المجيد عامر، دراسات في الجغرافيا السياسية، الإسكندرية.

إن الدول التي لا منافذ لها على البحار كثيرًا ما تتعرض للضغوط الاقتصادية في حالات التوتر السياسي، ومن هنا كانت المكانة الهامة التي احتلتها على طول التاريخ الحديث مسألة المنافذ إلى البحار في السياسة الخارجية للكثير من الدول، الأمر الذي أدى بـ"راتزل الألماني" أن يشير إلى العلاقة بين المعطيات الجغرافية والسياسات الخارجية على أساس فكرة الحتمية، مشيرًا إلى الجغرافيا من ناحية وبين التاريخ وعلم السياسة من ناحية أخرى، ومشيرًا إلى القول "بأن الشعوب الأقوى كانت دائمًا وفي كل مكان تعمل على احتلال المناطق الساحلية، دافعةً الشعوب الأضعف إلى الداخل. من هنا يتحدث أساتذة السياسة الخارجية عن المزايا التي تحققت لبريطانيا العظمى بفضل طبيعة موقعها كجزر منعزلة عن القارة الأوروبية هيأ لها الموقع على طول تاريخها حرية اختيار واسعة في شأن سياستها الخارجية، لقد استطاعت ارتكازًا على وفرة مواردها النباتية أن تختار بين الاتجاه إلى القارة الأوروبية لتحقق فيها أهدافها، أو بين الانصراف عنها نهائيًا إلى ما وراء البحار؛ لتنشد هناك قوتها الاقتصادية لتصبح قوة بحرية بصفة أصلية. راجع: الدكتور محمد طه بدوي، مدخل إلى علم العلاقات الدولية، مصدر سبق ذكره، ص ١١١-١١٣.

(٢) الدكتور فتحي محمد أبو عيانة، الجغرافية السياسية، الإسكندرية، ١٩٨٥، ص٥٧، تصنف الحدود =

والحق أن العامل الجغرافي له دوره الكبير في إيجاد الدول الإقليمية.

وفي هذا المجال حاول بعض الرواد من المدرسة الجيوبوليتيكية[١] تفسير

=

إلى الحدود الطبيعية، والحدود العرقية، والحدود التاريخية، والحدود الهندسية، والحدود المعقدة. راجع: المصدر نفسه، ص ١٥٢-١٥٦. لا ننسى في هذا المجال أهمية الهند في آسيا، حيث إن هناك أوجهًا ثلاثة تلفت نظرنا تتركز في حجمها وموقعها وحدودها، هذه الأوجه هي التي حددت أن تكون الهند اللاعب المحلي الجيوإستراتيجي في القارة الآسيوية. راجع:

Appadorai and M. S. Rajan, Op.C it., p.8.

وهنا يجب ألا ننسى عدم استطاعة كل من نابليون بونابرت وهتلر غزو روسيا القيصرية، على الرغم من أن اليابان استطاعت هزيمتها عام ١٩٠٥ وذلك بسبب سعة الأراضي الروسية، فضلًا عن ذلك فإن سعة الأراضي تؤدي إلى إطالة الحدود التي يتعين الذود عنها، فالاتحاد السوفيتي عليه أن يراقب حدودًا مشتركة مع الصين الشعبية يبلغ طولها ثمانية آلاف كيلومتر فضلًا عن خط دفاعه المتقدم صوب الشرق الأوسط وأوروبا، كما قد تؤدي في الوقت نفسه إلى إعاقة حركة القوات داخل البلاد. راجع مارسيل ميرل، سوسيولوجيا العلاقات الدولية، مصدر سبق ذكره، ص ١٥٥-١٥٦.

(١) أسس المدرسة الجيوبوليتيكية، الجغرافي الألماني راتزل، الذي أشار إلى العلاقة بين المعطيات الجغرافية وسياسات الدول على أساس فكرة الحتمية. راجع: الدكتور محمد طه بدوي، النظرية السياسية العامة للمعرفة السياسية، مصدر سبق ذكره، ص ١٦٩، والدكتور عبد الرزاق عباس حسين، الجغرافية السياسية مع التركيز على المفاهيم الجيوبوليتيكية، مطبعة أسعد، بغداد، ١٩٧٦، ص٣٨٨. وقد انتمى إلى هذه المدرسة الجغرافي الإنجليزي ماكندر، والجنرال الألماني اشوفير. راجع:

Frankel, Joseph, International Relations, Op.Cit., PP. 83-84.

كما برز في هذا المجال ماكندر الذي بلور اتجاه الجغرافيا السياسية نحو دراسة الكتل الإقليمية كوحدة سياسية، وهذه المفاهيم هي أساس نظرية قلب الأرض لماكندر. راجع: الدكتور محمد متولي، والدكتور محمود أبو العلا، الجغرافيا السياسية، مكتبة الأنجلو مصرية، القاهرة، ١٩٧٧، ص٣٤.

=

=

وقد أعلن ماكندر ذلك لأول مرة في المحاضرة التي ألقاها في الجمعية الملكية الجغرافية عام ١٩٠٤. راجع: بدوي، النظرية السياسية العامة للمعرفة السياسية، مصدر سبق ذكره، ص ١٦٩.

ونظرية ماكندر تقوم على الفرضية الآتية: من يحكم أوروبا يتحكم في قلب العالم، من يحكم في قلب العالم يتحكم في جزيرة العالم، من يتحكم في جزيرة العالم يحكم العالم. من هذا المنطلق بين ماكندر إمكانية إقامة توازن القوى، على أن يكون هذا في جانب ولصالح الدول المركزية، الدول التي على المحور الذي تدور حوله باقي دول العالم، وقد فسر هذا بتصوير خريطة للعالم، مستندًا في تفسيره إلى كتلة أوروآسيا.

راجع: الدكتور دولت أحمد صادق، والدكتور محمد السيد غلاب الدناصوري، والدكتور جمال الدين الدناصوري، الجغرافية السياسية، القاهرة ١٩٨٢، ص٢٢. والدكتور عبد الرزاق عباس حسنين، مصدر سبق ذكره، ص ٤١١-٤١٤ وإدوارد ميدايرل وآخرون، الكتاب الرابع، مصدر سبق ذكره، ص ٣٣. و:

Brzenishi, Zbigniew, The Grand Chessboard American primacy and Its Geosivategic, Imperatives U.S.A, 1997, P.38.

أما سبايكمن (١٨٩٣-١٩٤٣) من رواد المدرسة الجيوبوليتكية فإنه رأى الحافة التي تحيط بالقلب وهو ما أسماه ماكندر "بالمنطقة الانتقالية الوسطى أو الهلال الداخلي" أعظم أهمية من القلب نفسه، فهذه الحافة تعد منطقة التقاء أو تصادم، وهو ما يطلق عليه بمفهوم Buffer Zone بين القوى البرية الكامنة في الاتحاد السوفيتي وكتلها البرية (الاتحاد السوفيتي)، وبين القوى البحرية، وقد عدل سبايكمن نظرية ماكندر وجعلها بالشكل الآتي: من يتحكم في إقليم الحافة يتحكم في أوروآسيا، ومن يتحكم في أوروآسيا يسيطر على العالم". راجع: صادق وآخرون، مصدر سبق ذكره، ص ٣٣-٣٤.

وهذا يعني أن سبايكمن قلل من أهمية القلب الروسي والدور الذي يمكن أن تقوم به السياسات الجغرافية كمركز للمواصلات والحركة والفعاليات الاقتصادية الزراعية والصناعية، ومن ثم كمحور للقوة. ورأى أن تصنيع الصين والهند يهدد سلامة القلب، وتوقع بأن السيطرة على أوروآسيا وفي النهاية على العالم قد تأتي من خلال الهيمنة على الدول التي تكتنف القلب الأرضي الروسي، وبعبارة أوضح: الدول والمناطق التي تدخل ضمن إقليم "الهلال الداخلي" في

=

السياسة الخارجية تفسيرًا ماكرويًّا على ضوء تأثير العوامل الجغرافية. والحق أنه لا يمكن التسليم بهذه النظرية تسليمًا مطلقًا، وإن كان للعامل الجغرافي أهمية كبيرة في تشكيل قوة الدولة، فضلًا عن ذلك نرى أن هناك علاقة بين قوة الدولة ومساحة إقليمها. وفي هذا الشأن يمكننا أن نذهب إلى القول بأن مساحة الاتحاد السوفيتي السابق تزيد على ٨.٥ مليون ميل مربع، تتميز بغاية من القوة في العلاقات الدولية، ولكننا لا نستطيع أن نقول: إنها أقوى من الولايات المتحدة التي لا تزيد مساحتها على(٣) ملايين ميل مربع، أما فيما يخص بريطانيا التي تزيد مساحتها على ١٠٠.٠٠٠ ميل مربع "وتدخل أيرلندا في هذه النسبة"، وتعد هذه

=

فرضية ماكندر، وقد أطلق عليها تسمية "دول الإطار الأرضي".

قسم سبايكمن الكرة الأرضية إلى قسمين، هما: القسم الشرقي، والقسم الغربي، يضم النصف الأول كلًّا من قارة أوروآسيا وإفريقيا وأستراليا، أما الثاني فإنه يتكون من الأمريكتين الشمالية والجنوبية، ثم بدأ يقارن بين هاتين الجبهتين فظهر له أن القسم الشرقي يطوق الأمريكتين من حيث الموقع والاتساع والشكل، وأن مساحته مرتان ونصف قدر مساحة القسم الغربي، كما أنه من حيث السكان أكثر بمقدار عشرة أضعاف وقتئذٍ، أما فيما يخص إنتاج مادتي الفحم والحديد فإن العالم القديم الذي يضم أوروآسيا وإفريقيا قد بلغ إنتاجه أكثر من ٣/٢ من الإنتاج العالمي لهاتين المادتين في سنة ١٩٣٧، لذلك أدرك سبايكمن صعوبة صمود القسم الغربي من العالم أمام الجبهة الشرقية، وذلك في حالة حدوث حرب عالمية بين الجانبين، وفي هذا الشأن قدم نصائحه للولايات المتحدة لبذل جهودها لمنع أي تقارب بين أوروبا وآسيا؛ لأن ذلك يؤدي إلى تعزيز قوة الجبهة الشرقية، بسبب تعارضها مع مصلحة الولايات المتحدة. راجع: الدكتور عبد الرزاق عباس حسين، مصدر سبق ذكره، ص ٤١٨، ٤٢٠-٤٢١. وتجدر الإشارة في هذا المجال إلى أن نابليون بونابارت حاول في عام ١٨١٢ غزو روسيا القيصرية إلا أنه أخفق بسبب حجم الدولة الكبير.

Appadorai and M. S. Rajan, Op.C it., p.9.

المساحة صغيرة، استطاعت أن يكون لها دور بارز في السياسة الدولية[١].

والحق، يعد الشكل والموقع والطبوغرافيا أمورًا مهمة، يستحسن أن تكون الدولة.. لأسباب إستراتيجية وإدارية محجمة، وأن تكون العاصمة في مركزها حال فرنسا. إن الدولة الممتدة طوليًا مثل تشيكوسلوفاكيا وشيلي يصعب الدفاع عنها.."[٢].

ويمكننا تفسير التاريخ الألماني والبولندي، الذي تميز بالاضطرابات وظاهرة عدم الاستقرار، هو وقوع كل من ألمانيا وبولندا في منتصف المنخفض الأوروبي، ولكن استطاعت بريطانيا في خضم العامل الجغرافي أن تعزز وتدعم إمبراطوريتها"[٣].

إن الموانع الطبيعية كالجبال والأنهار كان لها التأثير الكبير على السياسات الخارجية بالنسبة لدول كثيرة، بحيث إن كل دولة من هذه الدول أصبحت لها الرغبة في أن يكون لها مثل هذه الحدود الطبيعية التي عن طريقها تستطيع أن تدافع عن أمنها القومي[٤].

---

(1) Frankel, Joseph. International Relations, Op. Cit., PP.83-84., Appadorai and M. S. Rajan, Op.C it., p.7.

(2) Ibid., P.84.

(3) Ibid.,

(٤) الدكتور إسماعيل صبري مقلد، الإستراتيجية والسياسة الدولية، المفاهيم والحقائق، مؤسسة الأبحاث العربية، بيروت، ١٩٨٥، ص٥١.

تحدث ألفريد ماهان في كتابه الموسوم The Influence of Sea Power Upon History كيف أن في القوة البحرية تفسيرًا كافيًا للقسم الأكبر في التاريخ، وذلك استنادًا إلى أن في البحر طريقًا أضمن للاتصال بالشعوب الأخرى، ولتجديد القوة الذاتية للدولة، ومن ثم فعلى الدولة =

ولأهمية ذلك حاولت الدول الكبرى أن تحقق مبدأ توازن القوى عن طريق مفهوم Buffer Zone الذي يعني العمل على وضع دولة محايدة كمنطقة فاصلة بينهما، وعادة ما تكون هذه الدولة المحايدة دولة ضعيفة وليس من شأنها أن تؤثر على الأمن القومي لأي من الدولتين.

أما فيما يخص المناخ فقد أشار أرسطو في كتابه "السياسة" إلى العلاقة بين المناخ والحرية، هذه العلاقة التي بدأ اقتباسها الكُتاب الذين جاءوا بعده، وخير مثال على ذلك كتابات جان بودان الفرنسي، ومونتسكيو في كتابه "روح القوانين"، وفكرة الحتمية التاريخية التي أشار إليها راتزل في القرن التاسع عشر[١].

يعتقد المؤرخ البريطاني هنري توماس بكل (١٨٢١ – ١٨٦٢) أن هناك ثلاثة عوامل تعتمد على بعضها بعضًا وهي: المناخ، والغذاء، والتربة. فالمناخ يؤثر في نوع المحصول الذي يتواءم مع هذا المناخ، ونوعية الغذاء تعتمد على التربة التي ينبت فيها[٢].

= التي تطل على البحر أن تطور قوتها البحرية من دون أن تنهض بتوسيع رقعتها الإقليمية، من هنا يرى ماهان كيف أن فرنسا كانت غير صائبة في القرن السابع عشر، وفي القسم الأكبر من القرن الثامن عشر حين ركزت إستراتيجيتها نحو القارة، فضلًا عن أن اضمحلال إسبانيا يعزى إلى عدم إمكانياتها المحافظة على وسائل اتصالها بأمريكا الجنوبية نتيجة لعدم امتلاكها للقوة البحرية الكافية. راجع: الدكتور محمد طه بدوي، النظرية السياسية النظرية العامة للمعرفة السياسية، مصدر سبق ذكره، ص ١٧٢-١٧٣، والدكتور عبد الرزاق حسين، مصدر سبق ذكره، ص٤٠١-٤٠٤.

(١) الدكتور محمد طه بدوي، النظرية السياسية النظرية العامة للمعرفة السياسية، مصدر سبق ذكره، ص ١٦٨.

(٢) جيمس دورتي – روبرت بالتسغراف، مصدر سبق ذكره، ص ٤٢.

أما عالم الجغرافيا الأمريكي السوورت هنتينغتون (١٨٧٦ – ١٩٤٧) فلاحظ أن المناخ لا يحدد فقط الحالة الصحية والنشاط والإنتاج الغذائي، ولكنه يحدد الهجرة السكانية واختلاط الأجناس كذلك، وهو يربط بين الهجرة أو النزوح وبين قلة الغذاء وتوفر روح المغامرة والذكاء واللياقة البدنية، ويقدم هنتينغتون مثالًا على ذلك بالقول: إن الجفاف الذي أصاب آسيا الوسطى في حقب زمنية مختلفة أدى إلى غزو موجات من البربر لأوروبا، حيث غزا الدوريون والأيونيون اليونان القديمة، وغزا المغول جنوب شرق آسيا[١].

ويذهب هنتينغتون قائلًا: "إن تحسن الأوضاع الاقتصادية الذي تلعب العوامل المناخية دورًا فيه حرر قطاعًا كبيرًا من السكان من وظيفة جمع وإنتاج الغذاء، وسمح لهذا القطاع بالتفكير والتطوير في مجالات الفن والأدب والعلم والحياة السياسية[٢].

والحق أن المناخ له تأثير كبير في إنتاج الأرض وفي خواص سكانها. وفي هذا المجال يلزم أن نقول: إن المناطق المعتدلة التي تتراوح الدرجة فيها بين ٢٠، ٦٠ شمالًا، شهدت فيها بروز مراكز القوى في السياسة الدولية[٣].

[٤]إذن بإمكاننا أن نقول في هذا المجال: إن الجغرافية تدخل دائرة الاهتمام؛

---

(١) المصدر نفسه، ص ٤٢ – ٤٣.

(٢) المصدر نفسه، ص ٤٣.

(3) Frankel, Joseph, International Relations,Op.Cit., P.84.

ومصباح، مصدر سبق ذكره، ص ٨٣. قارن مع: جيمس دورتي – روبرت بالتسغراف، مصدر سبق ذكره، ص ٤٢ – ٤٣.

(٤) مايكل كلير، مصدر سبق ذكره، ص٣٥ – ٣٦.

لأن كثيرًا من مصادر العالم الرئيسة للنفط تقع في مناطق حدودية متنازع عليها، أو في مناطق الأزمة والعنف المتكرر. إن كون الصراع على النفط الذي سوف ينفجر في السنوات القادمة هو نتيجة محتومة، لكن مقدار العنف ومستويات الشدة والأماكن لا يمكن تحديدها. في النهاية فإن تواتر وسمة الحرب سيعتمدان على النقل النسبي للعوامل الرئيسة الثلاثة وتفاعلها:

١- البيئة السياسية والإستراتيجية التي تصنع فيها القرارات حول قضايا الموارد.

٢- العلاقة المستقبلية بين الطلب والعرض.

٣- جغرافية إنتاج توزيع النفط.

أبلغ هنري كيسنجر علانية في عام ١٩٧٥ محرري مجلة Business Week أن الولايات المتحدة مستعدة للذهاب إلى الحرب لأجل النفط، وأن واشنطن رغم كونها غير راغبة في استخدام القوة في نزاع على الأسعار وحدها لن تتردد حيث يوجد خنق فعلي للعالم المصنع.

في ٢٣ كانون الثاني ١٩٨٠ صرح كارتر أن أية محاولة من قوة معادية لتقييد تدفق النفط في الخليج سوف تصد بأية وسيلة ضرورية بما في ذلك القوة العسكرية. انسجامًا مع هذا المبدأ المعروف وقتئذٍ باسم عقيدة كارتر شرعت الولايات المتحدة في تعزيز قوتها العسكرية في منطقة الخليج واستمر حتى هذا اليوم. إن هذا المبدأ قد أخضع بشكل دوري للاختبار؛ ففي أثناء الحرب العراقية الإيرانية ١٩٨٠ – ١٩٨٨ عندما صعد الإيرانيون هجماتهم على شحن النفط في الخليج، وافقت الولايات المتحدة على رفع الأعلام الأمريكية على ناقلات النفط الكويتية ومن خلال الأسطول البحري الأمريكي.

وضعت عقيدة كارتر موضع التنفيذ للمرة التالية في آب ١٩٩٠ عند الوجود العراقي في الكويت، وفي هذا الشأن أكد بوش الأب أن السيطرة العراقية على حقول النفط الكويتية والسعودية سوف تفرض تهديدًا لا يحتمل على الأمن الاقتصادي الغربي، فاتخذ قرارًا سريعًا بالقيام برد عسكري، مشيرًا إلى أن الاستقلال السيادي للسعودية ذو أهمية حيوية للولايات المتحدة.

وفي المعنى نفسه صرح ج.هـ. بينفورد القائد العام للقيادة المركزية الأمريكية CENTCOM في عام ١٩٩٧ (أن التدفق اللامحدود لموارد النفط من دول الخليج الصديقة إلى المصافي ومرافق المعالجة حول العالم هو الذي يحرك الآلة الاقتصادية العالمية).

نقلت الولايات المتحدة ٢٠٠ ألف جندي إلى منطقة الخليج العربي عام ١٩٩٠ وإنفاق ٦٠ بليون دولار، كان الغرض كما أشار إليه بيل وبستير مدير وكالة المخابرات الذي أبدى مخاوفه عن قرب العراق عن الحدود السعودية بواقع ٨،١٠ ميل؛ لأن العراق كان بإمكانه أن يستحوذ على ٢٠٪ من مجموع احتياطيات النفط في العالم، وفي حالة تقدمه لأميال إضافية كان بإمكانه أن يهيمن على ٢٠٪ أخرى.

كان الأمن القومي الأمريكي بالنسبة للإدارة الأمريكية يرتبط مباشرة بسلامة إمدادات النفط الخليجي والتطلعات إلى زيادة الناتج، وما دام الرئيس العراقي السابق صدام حسين باقيًا في السلطة فإن الخليج العربي لن يكون مستقرًّا تمامًا، ولن تكون الولايات المتحدة أبدًا قادرة على تشجيع إنتاج النفط العراقي[1].

---

(١) مايكل كلير، دم ونفط أمريكا وإستراتيجيات الطاقة إلى أين؟ مصدر سبق ذكره، ص ١٨٩.

بذل الرسميون الكبار في الإدارة الأمريكية جهودًا كبيرة لكي يتفادوا ذكر النفط بوصفه عدوانيًّا، اعتراف سيقوض التأييد الشعبي للحرب، ومع ذلك قدم نائب الرئيس تشيني تلميحات فيما يخص القلق العميق للإدارة حول إنتاج النفط في الخليج العربي[1]. فخطاب تشيني في شهر آب ٢٠٠٢ إلى المحاربين القدماء في الحروب الخارجية عُدَّ على نطاق واسع تعبيرًا غير مزوق لتفكير الإدارة؛ لأنه كان المستشار الأكثر نفوذًا لبوش الابن والمهندس للحرب، ولأن الخطاب كان الوحيد الذي ألقاه حول العراق أعلن تشيني: "إذا تحققت كل طموحات حسين بأسلحة الدمار الشامل فإن المضامين ستكون هائلة بالنسبة إلى الشرق الأوسط والولايات المتحدة". وأضاف: "يمكن أن نتوقع صدام حسين مسلحًا بترسانة من أسلحة الرعب، ومتربعًا فوق ١٠٪ من احتياطيات النفط في العالم، وأن يسعى لكي يهيمن على الشرق الأوسط بالكامل، ويسيطر على جزء كبير من إمدادات الطاقة للعالم، ويهدد أصدقاء أمريكا مباشرة في المنطقة، ويخضع الولايات المتحدة أو أية دولة أخرى للابتزاز النووي"[2].

يقدم دانبيل بيرغن تحليلًا مماثلًا حول ذلك في مقالة له في صحيفة واشنطن تايمز في ٦ كانون الأول ٢٠٠٢ قائلًا: "مع أن هذه الأزمة تتركز على الأمن الشامل، إلا أن هناك بعدًا واضحًا للطاقة في المواجهة: أمن واستقرار منطقة الخليج التي يتدفق منها ما يقرب من ربع نفط زيت العالم"[3].

---

(١) يمتلك الخليج العربي ما يقرب من ٦٨٪ من احتياطيات النفط والغاز المعروفة في العالم، أكثر من ٤٠٪ منها تمر عبر مضيق هرمز. راجع: المصدر نفسه، ص ٢٠٨.

(٢) المصدر نفسه، ص ١٨٩ – ١٩٠.

(٣) مايكل كلير، دم ونفط أمريكا وإستراتيجيات الطاقة إلى أين؟ مصدر سبق ذكره، ص ١٩١.

تحدثت "وول ستريت جورنال" في ٣ آذار ٢٠٠٣ حول الموضوع نفسه قائلة: تنصح هيئة خبراء النفط العراقيين المنفيين الذين ترعاهم وزارة الخارجية بفتح الحقول الواسعة للبلد للاستثمار الأجنبي في حال قيام القوات الأمريكية بالإطاحة بصدام حسين، وتوفير الاستقرار السياسي في البلد"[١].

وفقًا للورد براون فإن المدير التنفيذي لشركات الطاقة الأمريكية ذهب إلى القول: "في حال ما إذا غير العراق نظامه نريد أن نتأكد من أنه سيكون هناك ملعب ممهد تختار شركات النفط الذهاب إليه"[٢].

في هذه الأثناء كانت وزارة الدفاع تحضر للاستيلاء على حقول ومنشآت النفط فور نشوب الأعمال العدائية؛ لكي تحول دون تخريبها من قبل القوات العراقية، فقد قال كبير موظفي البنتاغون في ذلك الوقت: "من دون الخوض في التفاصيل من المفيد القول بأن قائدنا الرئيس في البر وهيئة تخطيطه ابتكرا إستراتيجيات ستسمح لنا بضمان أمن هذه الحقول وحمايتها بأسرع ما يمكن لكي نحافظ عليها قبل التدمير، بدلًا من الدخول إليها والقيام بتنظيفها فيما بعد"[٣]. ولكن حماية المنشآت كانت مجرد بداية، فوفقًا لجريدة "وول ستريت جورنال" تلقت الوحدات العسكرية الخاصة المكلفة باحتلال الحقول تدريبًا مكثفًا في طريقة المحافظة على حقول النفط. وفي الوقت نفسه منحت وزارة الدفاع عقدًا بعدة بلايين من الدولارات دون مناقصة لشركة تابعة لشركة ديك تشيني القديمة شركة هوليبورتون؛ لإصلاح أي تلف تسببه القوات العراقية في

---

(١) المصدر نفسه، ص ١٩١.

(٢) المصدر نفسه، ص ١٩٢.

(٣) المصدر نفسه، ص ١٩٢ – ١٩٣.

المنشآت أثناء الحرب، والبدء بإعادة تأهيل البنية الواسعة للنفط في البلد حال انتهاء الحرب[١].

تحدث نائب الرئيس الأمريكي السابق بوش الابن ديك تشيني في اجتماع مغلق نظمه المعهد البريطاني للنفط – لندن، في خريف ١٩٩٩ عن موضوع النفط قائلًا: "من الواضح لنا جميعًا أن إنتاج النفط آيل للنضوب، ولهذا يترتب استكشاف المزيد من الاحتياطات النفطية وتطويرها كل عام بما يعادل حجم الإنتاج في ذلك العام، وذلك لتحقيق التعادل المطلوب، وهي حقيقة لا تمس الشركات النفطية فحسب، بل تمس القطاع الاقتصادي على مستوى العالم بشكل عام"[٢].

أهمية العامل الجغرافي في تقرير سياسة الدولة:

إن جغرافية الدولة قد توفر خطوط دفاع طبيعية، كما هو الأمر بالنسبة للمحيط الأطلسي والهادي أو جبال الألب في سويسرا، أو أنها قد تقدم القليل من حيث المواقع الدفاعية كما في أوروبا الغربية[٣].

في أية مناقشة علمية للسياسة الخارجية لا يمكن إهمال العامل الجغرافي[٤]، وفي هذا الصدد كتب السير أستون جمبرلن قائلًا: "تعد الحقائق

---

(١) مايكل كلير، دم ونفط أمريكا وإستراتيجيات الطاقة إلى أين؟ مصدر سبق ذكره، ص ١٩٣.

(٢) عبد الحي يحيى زلوم، حروب البترول الصليبية والقرن الأمريكي الجديد، دار الفارس للنشر والتوزيع، عمان، ٢٠٠٥، ص ١٥ – ١٦.

(٣) روبرت د. كانتور، مصدر سبق ذكره، ص ٣١٤.

(٤) يمكننا أ ن نذهب إلى القول بأنه من أكثر الدراسات وضوحًا في مفاهيمها وتطور فرضياتها، وتقديم إطارات لتفحص علاقات البيئة والإنسان، هي دراسات هارولد سبروت وزوجته مارغريت "عائلة سبروت"، ورغم القناعة التي كانت لدى عائلة سبروت بأهمية الجغرافيا في =

الجغرافية عاملًا هامًّا وحاسمًا في مجرى التاريخ البريطاني وشرحه، وهي المبادئ الرئيسة التي تشغل ذهن رجل الدولة البريطاني"[1]. ونتيجة لأهمية هذا العامل عُدت بريطانيا قوة عظمى لمائة عام على وجه التقريب من نهاية حروب نابليون عام ١٨١٤ وحتى نشوب الحرب العالمية الأولى، وقد كانت بريطانيا تعتمد على قوتها البحرية التي مكنتها من الحكم وبسط نفوذها على شبكة عالمية من المستعمرات لدعم اقتصادها المحلي[2].

إن المحيطات التي وفرت لبريطانيا وسائل تحقيق الإمبراطورية خدمت غرضًا مختلفًا للولايات المتحدة، حيث عملت كمنطقة عازلة ضد أي تورط في السياسات الأوروبية، هذا الانعزال الطبيعي منح الدولة الجديدة وقتًا لتطور مواردها، وفي الوقت نفسه فتحت أبوابها لملايين المهاجرين لزيادة قوتها المتنامية[3].

=

تفسير السلوك السياسي فإنهما يعتقدان أن معظم النشاطات الإنسانية تتأثر بعدم عدالة التوزيع في الموارد البشرية وغير البشرية، ومع أن القرارات السياسية تعتمد على إدراك القادة السياسيين لبيئاتهم، غير أن نتائج هذه القرارات محدودة بحقيقة الواقع كما هو كائن، لا كما هو في ذهن صانع القرار.

غير أنه من الضروري أن نتذكر أن سبروت لا يرى أن العامل الجغرافي يملي الخيارات على صانع القرار، وإنما هذا الأخير هو الذي يضع في حسابه الإمكانيات المتاحة وحدود الحركة في البيئة التي يدركها، كما أن الفرد أو السكان في مجموعهم هم الذين يتحركون في إطار البيئة وليست الدولة ككائن مجرد، وبالتالي فإن اهتمام دارس السياسة الخارجية ينبغي أن ينصب على الفرد أو السكان لا على المجرد. راجع: جيمس دورتي–روبرت بالتسغراف، مصدر سبق ذكره، ص٥١، ٥٣.

(1) Hupe, Robert, Stranzs and Possony, Stefant, International Relations Second Edition, NewYork, 1954, PP.51-52. Appadorai and M. S. Rajan, Op.C it., p.7.

(٢) روبرت د. كانتور، مصدر سبق ذكره، ص ٣١٤.

(٣) المصدر نفسه، ص ٣١٤.

وقد كان للحاجز المائي لبريطانيا أثره الحاسم في سياستها الخارجية في جميع أطوار تاريخها الطويل، وتعطينا هذه الفكرة مفتاحًا لفهم واحدة من أكثر السياسات الخارجية نجاحًا في التاريخ، فبريطانيا لم تغز ولم تهزم منذ القرن الخامس عشر، وهزيمتها الوحيدة في الثورة الأمريكية لا تخص وضعها الجغرافي. وفي هذا المجال يقول أدولف هتلر: "إن تنفيذ عملية "أسد البحر" الخطة الأكثر جدوى في التعجيل بنهاية الحرب". وبعد حديث طويل مع الأميرال بدأ هتلر يكشف خطورة ما تخفيه عمليات عبور المانش بما فيه من تيارات ومد وجزر، وبما في البحر من غموض[1]. ثم وصف عملية "أسد البحر" بأنها عملية في منتهى الجرأة والمغامرة، واستطرد قائلًا: "وبالرغم من قصر المسافة فإن العملية ليست مسألة اجتياز نهر، لكنها اقتحام بحر كبير يسيطر العدو عليه، وليست العملية إجراء فرديًّا في العبور كما حدث في النرويج؛ إذ لم تكن هناك عناصر المفاجأة، ولكننا هنا سنواجه عدوًّا مستعدًّا للدفاع وقد صمم على القتال وفرض سيطرته على المنطقة البحرية التي يجب علينا استخدامها، وستقضينا عملية الجيش نحوًا من أربعين فرقة، وربما يكون نقل الإمدادات أصعب شيء في هذه العملية؛ إذ ليس في مقدورنا أن نعتمد على أي نوع من المؤن يتيسر لنا الحصول عليه داخل إنجلترا، وكان الأساس الأول في نجاح الغزو هو السيطرة الكاملة في الجو، واستخدام مدفعية قوية في مضيق دوفر، والحماية عن طريق الألغام..."[2]. ثم تابع هتلر حديثه بقوله: "والطقس عامل حيوي أيضًا، فهو في بحر الشمال وفي المانش يشتد في النصف الثاني من شهر أيلول، كما يتكاثف

---

(١) ونستون تشرشل، مذكرات تشرشل، الجزء الأول، منشورات مكتبة المنار، بغداد، (بلا)، ص ١٣٧.

(٢) المصدر نفسه، ص ١٣٧.

الضباب في منتصف شهر تشرين الأول، لذلك يتحتم علينا إنهاء عملية الغزو قبل الخامس من أيلول، فبعد هذا التاريخ يصعب علينا أن نضمن قيام تعاون بين الطيران والأسلحة الثقيلة، فهذا التعاون من الطيران يعد عاملًا هامًّا وحاسمًا في تحديد الموعد"(١). ويقول نابليون بونابرت في هذا الصدد: "إن الوضع الجغرافي هو الذي يملي السياسة"(٢). كما أكد موسوليني على العامل الجغرافي عندما ألقى خطبته عام ١٩٢٤، وجاء فيها: "ما كانت السياسة الخارجية أمرًا مبتكرًا، ولكنها خاضعة لمجموعة من العوامل الجغرافية والتاريخية والاقتصادية"(٣).

وهناك أمثلة على هذه المناطق، بولندا في الماضي كانت حاجزًا بين روسيا وألمانيا وبلجيكا، هولندا كحاجز بين فرنسا وألمانيا، وسويسرا قبل الحرب العالمية الأولى كانت حاجزًا بين ألمانيا وإيطاليا وفرنسا والنمسا(٤).

والحق، كانت الحواجز الجغرافية كالبحار والجبال تقوم بدور فعال في عزل وحماية هذه الدول. من هذا المنطلق نرى أن العديد من المدن اليونانية القديمة استفادت من وجود البحر الأبيض المتوسط كحاجز بينها وبين بعض هذه المدن، وقد ساعدها على الانعزال وإبعادها عن ويلات الحروب، وكان هذا هو وضع

---

(١) المصدر نفسه، ص ١٣٧.

(٢) الدكتور بطرس غالي، والدكتور محمود خيري عيسى، المدخل في علم السياسية، ط٣، مكتبة الأنجلو مصرية، القاهرة ١٩٦٦، ص٦٤٨. و:

Appadorai and M. S. Rajan,p.7.

(٣) أحمد نوري النعيمي، السياسة الخارجية التركية بعد الحرب العالمية الثانية، دار الحرية للطباعة، بغداد، ١٩٧٥، ص١٣.

(٤) المصدر نفسه، ص ١٠٦.

النيبال حتى القرن التاسع عشر؛ إذ أسهمت الجبال وصعوبة الطرق في تبني الدولة لسياسة انكفاء سياسي بالرغم من النشاط التجاري البريطاني هناك، ولا ننسى في هذا المجال الدور الذي قامت به مياه البحار والمحيطات بالنسبة لليابان والتي أسهمت في انكفائها على نفسها لأجيال طويلة[١].

وفيما يخص جغرافية الولايات المتحدة فإنها انتهزت مناسبة ظاهرة عدم الاستقرار والفوضى التي رافقت أوروبا في القرن التاسع عشر، ثم أعلنت أن خط المياه وسط المحيط هو حدود سلامتها وحمايتها من منازعات وصراعات العالم القديم، وأصبح ذلك الخط تبعًا لـ"مبدأ مونرو" هو خط الأمن الأمريكي، بموجب ذلك قامت الولايات المتحدة الأمريكية بممارسة مبكرة لمفهوم "حدود السيادة" على مستوى القارة الأمريكية، ثم القيام برسم حدود أمنها إلى منتصف المحيط[٢].

عندما استطاعت الولايات المتحدة استكمال التوسع إلى الغرب، وتملكها لـ"كاليفورنيا" و"تكساس" وجدت نفسها في موقع متميز مفاده أن المحيطات نفسها: الأطلسي شرقًا، والهادي غربًا، هي بحد ذاتها حواجز الأمن الضامنة له[٣].

(١) الدكتور ناصيف يوسف حتي، مصدر سبق ذكره، ص ١٦٢.

(٢) استفاد الكيان الصهيوني من المفهوم الأمريكي لـ"حدود السيادة" وتطبيقها، معتبرًا أنه إذا كان خط حدوده هو فلسطين كافة فإن خط أمنه متواصل تبعًا لـ"آرييل شارون" إلى إيران وباكستان وجنوب السودان. راجع: محمد حسنين هيكل، الزمن الأمريكي من نيويورك إلى كابول ط٣، الشركة المصرية للنشر العربي والدولي، القاهرة، ٢٠٠٢، ص ٣٦.

(٣) المصدر نفسه، ص ٣٧.

"فهذه المساحات الكبيرة من المياه، فضلًا عن وجود الجبال العالية من الموج، كانت حائلًا لأية دولة غازية، حتى بعد التطورات الحديثة من ظهور وتقدم الطيران، وفي الاحتمالات السيئة فإن أية دولة مهاجمة ليس باستطاعتها الانقضاض على الولايات المتحدة بصورة مفاجئة، كتعامل الجيش الألماني مع فرنسا، أو مع روسيا القيصرية على سبيل المثال[١].

"هكذا ظهر في التاريخ لأول مرة وطن تضمن الطبيعة ذاتها أمنه وتعفيه من أي تهديد خارجي، وكان ذلك حدثًا في الفكر الإستراتيجي مستجدًّا بالكامل، لم يخطر على بال فرعون مثل "رمسيس الثاني"، ولا غاز مثل "الإسكندر"، ولا إمبراطور مثل "نابليون"، ولا مفكر عسكري مثل "كلاوزفيتز"، وطن ضخم غني بموارده، فادح في ثرواته، ومع ذلك فهو غير معرض لتهديد من أي نوع (حتى ظهر عصر الصواريخ في أواخر القرن العشرين)"[٢].

"فمشروع الصواريخ المضادة للصواريخ يكفل ألا ينفذ في سماء المحيطين تهديد صاروخي يصل إلى الولايات المتحدة، وكان ذلك من وجهة نظر السياسة الأمريكية أفضل؛ لأنه يغلق الباب على سباق في الأسلحة النووية تبارت فيه دول كثيرة وفرت لنفسها إمكانياته، ومن المنطقي أنه إذا استطاع طرف إلغاء سلاح طرف آخر فإنه يضمن النصر، وبما أن الولايات المتحدة سابقة بتجربة النجوم أيام "ريغان" فإن الصواريخ المضادة للصواريخ تكفل لها موقع القلعة المنيعة التي لا يصل إليها تهديد، هذا مع الأخذ في الحساب (وتلك نقطة جديرة بالاعتبار) أن الصواريخ المضادة للصواريخ كفيلة بإلغاء فاعلية كل الترسانات

(١) المصدر نفسه، ص ٣٧.

(٢) المصدر نفسه، ص ٣٧.

النووية التي تملكها ولا تملك غيرها الآن روسيا الاتحادية، وتلك الترسانات التي تملكها بلاد كانت تنتمي إلى الاتحاد السوفيتي سابقًا مثل أوكرانيا، وفوق ذلك تلك الترسانات التي تملكها دول صديقة في الغرب الآن (بريطانيا وفرنسا)، وذلك من باب الاحتياط ليوم تتغير فيه الأجواء وتختلف. "وهكذا فإن الولايات المتحدة في دفاعها عن نفسها لا تتسابق مع طرف، وإنما هي تمنع كل الأطراف مرة واحدة"[١].

وقد قللت التكنولوجيا الحديثة من أهمية العوامل الطبوغرافية من الرغبة في الحصول على الطبيعة كسلاسل الجبال والأنهار، بينما لا يزال الموقع محتفظًا بأهميته[٢]. وتبعًا لذلك نلاحظ اضمحلال أهمية ذلك كحاجز يسهم في انعزال دولة[٣]. في القرن العشرين كانت الولايات المتحدة تعد من أهم الدول التي تبنت سياسة الانطواء ما بين حقبة الحربين، وساعدها على ذلك بعدها الجغرافي عن أوروبا، وتميزها بوزنها السياسي الكبير في النظام الدولي، وكذلك وضعها الاقتصادي، واتبعت بورما وألبانيا السياسة نفسها في الستينيات، ومن الصعوبة بمكان -لأسباب تخص المتغيرات الدولية في النواحي السياسية والاقتصادية

---

(١) المصدر نفسه، ص ٣٧ – ٣٨.

(٢) جوزيف فرانكل، مصدر سبق ذكره، ص ١٠٣.

(٣) ينبغي الإشارة هنا إلى أن العزلة يجب ألا تفهم بمعناها المطلق، الذي يشير إلى التقوقع التام بقطع أوجه الاتصال والتفاعل كافة مع بقية وحدات النسق الدولي، بل يشار إليها بالعزلة النسبية؛ أي بمعنى أن الدولة قد تقلل من انغماسها في التفاعلات السياسية الدولية إلى أدنى حد لازم. بهذا المعنى تُعَرَّف العزلة بأنها: "اختيار يهدف إلى تقليل مدى المشاركة في المحيط الخارجي أو كيفية التفاعل معه على المستويات كافة، ولا سيما في المجالات السياسية والعسكرية". راجع: مصباح، مصدر سبق ذكره، ص ٥٥-٥٦.

ومجالات الاتصال والمواصلات- أن تقوم دولة بتبني سياسة انطواء إلا في الحد الأدنى لتلك السياسة[١].

والحق، إذا ارتأينا دراسة الأوضاع السياسية في كل من الاتحاد السوفيتي والولايات المتحدة وبريطانيا من حيث التأثير على إعداد السياسة الخارجية لزم علينا أن نضع نصب أعيننا العامل الجغرافي لكل منها.

وعلى الرغم من أن التكنولوجيا والأسلحة الحديثة قد قللت من أهمية الموقع الجغرافي فإنها لم تستطع أن تأخذ المكان الأول في تقرير سياسة الدولة[٢]. ذلك لأن الموقع الجغرافي لأي دولة ليس هو العامل الوحيد في إستراتيجية هذه الدولة، بل لها علاقة بظروف الدولة الإقليمية والسياسة الدولية.

إن الدولة التي لا يتغير موقعها الجغرافي عبر العصور والأجيال يكون بالإمكان أن تتغير علاقات هذه الدولة مع القوى الدولية بصورة مستمرة، وإن هذه النقطة في التغيير هي الأساس في إعطاء الدولة أهمية إستراتيجية.

ولأهمية العامل الجغرافي قامت الولايات المتحدة في السنوات الأخيرة بالاهتمام بمناطق جغرافية معينة، ومن هنا بدأت تولي اهتماماتها بمنطقة أوروآسيا، محاولة وضع إستراتيجية جغرافية متكاملة وشاملة وطويلة المدى للمنطقة المذكورة، لطالما أصبحت الأخيرة المسرح المركزي للعالم، من منطلق أن ما يحدث لتوزيع القوة على القارة الأوروآسيوية سوف تكون له أهمية حاسمة على سيادة الولايات المتحدة وميراثها[٣].

---

(١) حتى، مصدر سبق ذكره، ص ١٦٢.

(٢) غالي وعيسى، مصدر سبق ذكره، ص ٦٤٩.

(3) Brzeniski, Zbigniew, Op.Cit., P.199.

إن كيفية معالجة الولايات المتحدة للاعبين الجيوستراتيجيين الرئيسين على رقعة الشطرنج الأوروآسيوية، واحتواءهم وكيفية إدارتها للمحاور الجيوبوليتيكية الأساسية في أوروآسيا سوف يكون لهما تأثير حاسم على طول مدة سيادة الولايات المتحدة الكونية واستقرارها، وفي أوروبا سوف يبقى اللاعبان الرئيسان هما فرنسا وألمانيا. من هذا المنطلق تحاول الولايات المتحدة نشر معالمها في الفكر السياسي القائم على الديمقراطية على الحدود الغربية لأوروآسيا، وفي الشرق الأقصى من أوروآسيا، وتبعًا لهذه الإستراتيجية من المرجح أن يكون للصين دور مركزي متزايد، وأن يكون للولايات المتحدة موطئ قدم سياسي على البر الرئيس لآسيا ما لم يتحقق بنجاح توافق جيوستراتيجي أمريكي-صيني، وفي وسط أوروآسيا فإن الفضاء بين أوروبا موسعة وصين ناهضة إقليميًّا سوف تبقى حفرة جيوبوليتكية سوداء على الأقل، حتى تحل روسيا الاتحادية صراعها الداخلي بشأن تحديد الذات بعد الحقبة الإمبراطورية، في حين أن المنطقة الواقعة جنوب روسيا، وهي منطقة البلقان الأوروآسيوية تهدد بأن تصبح مرجلًا للصراع العرقي وتنافس القوى الكبرى[1].

٢- العامل الاقتصادي:

إن الموارد الموجودة في الدولة تمثل واحدة من أهم قواتها السياسية، وواحدة من أهم أسباب القوة في سياستها الداخلية وسياستها الخارجية على حد سواء.

وتأتي قوة الدولة مما يتوفر لديها من موارد داخل أرضها وخارجها أيضًا، والأخيرة تمثل مدى نفوذ الدولة في المجالات الاقتصادية والسياسية خارج حدودها الإقليمية.

---

(1) Ibid, PP.195-176.

الاعتمادية الاقتصادية الدولية:

راجت فكرة بين مثقفي الغرب بصورة عامة، ومثقفي الأمريكان بصورة خاصة، على أثر ظهور دولة الاتحاد السوفيتي، مفادها أن تحديد مستقبل العالم الغربي والولايات المتحدة يكمن بالدرجة الأولى في الحرب الاقتصادية وليس استخدام القنوات القتالية في السياسة الدولية، وانطلاقًا من ذلك أشار ريتشارد روزكرانس في عام ١٩٨٦ الباحث في مركز العلاقات الدولية في جامعة كاليفورنيا بلوس أنجلس، إلى أن ذهاب الدول إلى العامل الاقتصادي سوف يقلل من لجوئها إلى الصراع فيما بينها، وأن القوة العسكرية لا تعد هي مصدر المكانة الدولية؛ إذ إن هذه القوة تتحدد بعامل التجارة. وقد ذهب بول كيندي في عام ١٩٨٧ إلى المقارنة بين القوة الاقتصادية والقوة العسكرية، مشيرًا إلى مخاوف استخدام الأدوات القتالية في العلاقات الدولية(١).

وفي هذا المعنى يقول جوزيف س. ناي، ج. ر: "وفي هذا العصر، عصر الاقتصاديات القائمة على المعلومات والاعتماد المتبادل الذي يتخطى الحدود القومية، أصبحت القوة أقل قابلية للنقل والتحويل، وأصبحت مادية ملموسة وإكراهية بدرجة أقل"(٢).

---

(١) ألفن وهايدي توفلر، الحرب والحرب المضادة الحفاظ على الحياة في القرن المقبل، تعريب د.صلاح عبد الله، الدار الجماهيرية للنشر والتوزيع والإعلان، بنغازي، ١٩٩٥، ص٢٧-٢٨. ولمزيد من التفاصيل راجع: بول كيندي - نشوء وسقوط القوى العظمى، ترجمة مالك البديري، الأهلية للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ١٩٩٤، ص٥٢٩-٥٦٩. ولويد جنسن، مصدر سبق ذكره، ص ٢٢٢.

(٢) جوزيف س. ناي، ج. ر، مصدر سبق ذكره، ص ٣٤.

وحتى هنري كيسنجر المعروف بإيمانه العميق بسياسة توازن القوى التقليدي، جادل في عام ١٩٧٥ قائلًا: "إننا ندخل الآن عصرًا جديدًا. إن الأنماط العالمية القديمة تتهاوى، لقد غدونا نعيش الآن في عالم من الاعتماد المتبادل في الاقتصاد والاتصالات والتطلعات الإنسانية"[١].

ومما يؤيد مقولة العلاقة بين زيادة عملية الاعتماد الاقتصادي المتبادل وبين زيادة حجم الصراع، أن عملية الاعتماد الاقتصادي المتبادل تزيد من قابلية الدولة للتأثر بالأزمات الناشئة من الدول الأخرى المشتركة معها في تلك العملية، فإذا كانت إحدى الدول تعتمد على تدفق الاستثمارات وعلى التجارة والمواد الأولية لتحقيق رفاهيتها الاقتصادية فإنها تنزع إلى التدخل في الصراعات الدولية التي قد تؤثر على هذه المصالح، وقد يؤدي الاعتماد الاقتصادي المتبادل من جانب آخر إلى زيادة حدة الصراع، عن طريق تشجيع الوحدات الخارجية على استغلال الصراع لصالحها، وقد يؤدي كذلك إلى الإقلال من مفعول الصراع عن طريق زيادة مصداقية الردع؛ فقد انتهى رسيت من دراسة واقع تحليله لسبعة عشر صراعًا دوليًا في المدة (١٩٣٥ – ١٩٦٥) إلى أن الاعتماد الاقتصادي المتبادل قد يكون من الشروط المكونة لنجاح الردع، فالاعتماد الاقتصادي المتبادل بين دولتين من شأنه أن يردع الوحدات الخارجية، حيث إن كلتا الدولتين ستقومان للذود عن الأخرى في حالة الاعتداء عليها من أي من تلك الوحدات الخارجية[٢].

---

(١) المصدر نفسه، ص ١٥٧.

(٢) جوزيف س. ناي، ج. ر، مصدر سبق ذكره، ص ٢٢٦ – ٢٢٧.

يرى كثير من الباحثين أن الاعتماد الاقتصادي المتبادل بين الدول يؤدي إلى التخفيف من هوة الصراع بينها من خلال زيادة التفاعل، إلا أنه من ناحية أخرى يؤدي إلى توسيع قضايا الخلاف بينها[١].

ويمكننا أن نستخلص بعض النتائج حول دراستنا عن التبادل الاقتصادي الدولي، منها أنه يؤدي في نظر بعض الباحثين الغربيين إلى الإقلال من حدة الصراع بين الدول، بسبب أن الدول قد تتردد في إقحام نفسها في الصراع، خوفًا من تجميد أرصدتها الخارجية أو توقف معاملاتها الاقتصادية الخارجية. وهذا يعني أنه في حالة زيادة حجم استثمار الدول في دولة أخرى، وزيادة حجم تجارتها معها، أصبحت أكثر اعتمادًا على ظاهرة الاستقرار في المجالات السياسية والاقتصادية في الدولة المذكورة[٢].

ومما لا شك فيه أن من أحد الكوابح الرئيسة التي تقف أمام دول منظمة الأوبك في زيادة أسعار النفط هو وجود أرصدة دولارية لتلك الدول في البنوك الغربية، وفي مقدمتها الولايات المتحدة. فدول منظمة الأوبك تخشى أن تضعف زيادة أسعار النفط من اقتصاديات وقيمة عملة الدول التي تستثمر فيها أرصدتها، مما قد يؤدي إلى فقدان دول المنطقة ذاتها وغيرها من المستثمرين المحليين والأجنبيين جزءًا كبيرًا من قيمة تلك الأرصدة، كذلك فإن الشركات التي لها استثمارات أجنبية كبيرة تعمل على ضبط السلوك الصراعي للدولة الأم تجاه الدول المستقبلة للاستثمارات خوفًا من أن يؤدي انفلات سلوك الدولة الأم الصراعي إلى تأميم استثمارات تلك الشركات، أو سحب الامتيازات الخاصة

---

(١) المصدر نفسه، ص ٢٢٨.

(٢) المصدر نفسه، ص ٢٢٠ – ٢٢١.

المنوحة لها في الدول المستقبلة للاستثمارات، فضلًا عن احتمال فقدان أحد مصادر المواد الخام اللازمة لتلك الشركات. وعليه فإن الدول التي لها الرغبة في الدفاع عن مصالحها الاقتصادية في البيئة الخارجية تحاول الابتعاد عن استعمال القوة العسكرية المباشرة للدفاع عن استثماراتها، مع أفضلية اللجوء إلى القنوات الخفية[١].

والحق أن العلاقة بين الاعتماد الاقتصادي المتبادل والصراع تأخذ شكل المنحنى، فالصراع يبلغ أدناه بين الدول غير المعتمد بعضها على بعض، وبين الدول الشديد اعتماد بعضها على بعض؛ ففي الحالة الأخيرة يصبح الصراع أحد العوامل التي تهدد رفاهية تلك الدول، ولا تؤدي عملية الاعتماد الاقتصادي المتبادل إلى التوتر في العلاقات بين الدول إلا حينما تشعر بعض الدول بأنها لا تستفيد من تلك العملية بالقدر الذي تستفيده وحدات دولية أخرى، كالخلاف بين الشمال والجنوب[٢].

وقد أشار إلى الحقيقة نفسها إدوارد لوتواك قائلًا: إن القوة العسكرية فقدت أهميتها أمام بروز عصر الجيو الاقتصادي الجديد. وفي المعنى نفسه أكد س. فريد برغستن مدير مركز المعهد الاقتصادي الدولي في واشنطن على أولوية العامل الاقتصادي في ظل النظام العالمي الجديد، ولا يخفى علينا كتابات ليستر ثورو، الذي أولى عناية فائقة بالتنافس الاقتصادي الذي حل محل الأدوات القتالية، مشيرًا إلى أهمية ذلك في خطوات إلى الأمام[٣].

---

(١) المصدر نفسه، ص ٢٢١.

(٢) المصدر نفسه، ص ٢٢٨.

(٣) ألفن وهايدي توفلر، مصدر سبق ذكره، ص٢٨.

والحق أن أولوية الاقتصاد على الجانب الحربي كانت هي السبب الرئيس في فوز الرئيس كلينتون، الذي أشار في برنامجه الانتخابي إلى تركيز الولايات المتحدة على مشاكلها الداخلية، حيث عاب على سلفه كيفية اعتمادهم على القضايا الخارجية.

لقد تم الإفصاح عن وجهة النظر هذه لأول مرة بطريقة منهجية من قبل كلينتون أثناء الحملة الرئاسية عام ١٩٩٢ حينما قال: "إن قوتنا الاقتصادية يجب أن تصبح عنصرًا مركزيًّا في تحديد سياستنا الأمنية القومية". هكذا أبلغ الطلاب في جامعة جورج تاون في كانون أول ١٩٩١: "يجب أن ننظم لننافس ونفوز في الاقتصاد العالمي". في خطاب حملة انتخابية أخرى وعد كلينتون بـ"إعلاء شأن الاقتصاد في السياسة الخارجية". وهي عملية، كما صرح، سوف تتطلب إعادة بناء لإدارة الدولة "بحيث لا يعود الاقتصاد ابن العم الفقير لدبلوماسية المدرسة القديمة"[١].

ومن هنا كانت هناك اقتراحات داخل الإدارة الأمريكية تؤكد على إيجاد "مجلس أمن اقتصادي" من أجل تقوية الحرب الاقتصادية[٢].

ولكن العوامل الجيواقتصادية لا تعد البديل من استخدام الأدوات القتالية. أن الحرب القتالية، تعد بمثابة المقدمة في مفهوم الحرب الحقيقية؛ إذ إن الصراع بين الولايات المتحدة واليابان في الحرب العالمية الثانية كان صراعًا اقتصاديًّا، والذي دفع اليابان إلى الهجوم على بيرل هاربور عام ١٩٤١[٣].

---

(١) مايكل كلير، مصدر سبق ذكره، ص ١٤.

(٢) ألفن وهايدي توفلر، مصدر سبق ذكره، ص٢٨.

(٣) المصدر نفسه، ص٢٩.

مع نهاية الحرب الباردة استعادت قضايا الموارد دورها المركزي في التخطيط العسكري للولايات المتحدة، وفي صميم هذا التحول في السياسة ثمة إيمان بأن المعالم المحددة للقوة والنفوذ قد تغيرت منذ زوال الحرب الباردة، ففي حين كان يعتقد في الماضي أن القوة القومية تكمن في امتلاك ترسانة جبارة والحفاظ على منظومات تحالفات موسعة، فإنها في الوقت الحالي تربط بالدينامية الاقتصادية ورعاية الابتكار التكنولوجي[١].

من هذا المنطلق صرح وزير الخارجية الأمريكي الأسبق وارن كريستوفر أنه ومعاونيه: "لن نخجل من ربط دبلوماسيتنا الرفيعة بأهدافنا الاقتصادية". وبعد إشارته إلى أن العالم قد دخل حقبة "تتفوق فيها المنافسة الاقتصادية على التنافس الأيديولوجي" وعد بأن الإدارة سوف "تدفع الأمن الاقتصادي للولايات المتحدة إلى الأمام بالقوة نفسها وسعة الحيلة اللتين كرسناهما لشن الحرب الباردة"[٢].

إن الحاجة إلى استعمال القوات المسلحة لحماية إمدادات الموارد الحيوية هي حاجة مفهومة سلفًا من قبل الجمهور الأمريكي، وهو اعتبار لا يخلو من الأهمية عندما تكون التبريرات الأمنية التقليدية للإنفاق العسكري قد فقدت الكثير من إغرائها[٣].

---

(١) مايكل كلير، الحروب على الموارد الجغرافية الجديدة للنزاعات العالمية، ترجمة عدنان حسن، دار الكتاب العربي، بيروت، ٢٠٠٢، ص ١٣.

(٢) مايكل كلير، مصدر سبق ذكره، ص ١٤.

(٣) المصدر نفسه، ص ١٦.

منذ نهاية الحرب الباردة حاول المحللون السياسيون من المذاهب كافة أن يعرفوا المبدأ المحدد المركزي للبيئة الدولية الجديدة، وهو ما اصطلح توماس فريدمان على تسميته "الشيء الكبير الواحد" حاول بعض الكتاب معرفة هذا "الشيء الكبير الواحد" في مقدمتهم صموئيل هنتنغتون، الذي ذهب قائلًا: "إن القوى المحركة للأمن العالمي سوف يحكمها "صدام الحضارات"، وروبت كابلان الذي يصور على نحو نابض بالحياة عالمًا تستبد به زيادة السكان والفوضى، وفريدمان نفسه الذي يناقش في كتابه "سيارة اللكسس وشجرة الزيتون" The Lexus and the Olive Tree، أن "العولمة" الاقتصادية قد أصبحت السمة السائدة للعالم. إن كل واحد من هذه التفسيرات يملك ما يسهم به في القوى المحركة العالمية، وكل واحد منها قد دخل في سجال السياسة العالمية، ومع ذلك فإن أيًّا منها لا يقدم تحليلًا مقنعًا تمامًا لشئون العالم الراهنة(١).

من هذا المنطلق فإن الولايات المتحدة بدأت تولي الاهتمام بالنفط والغاز في سياستها الخارجية، حيث يبقى كلاهما المصدر الأساس للطاقة في القرن الحادي والعشرين، ويرى في هذا المجال بعض الاقتصاديين أن النمو الأعظم في الاستهلاك يأتي من بلدان العالم النامية لا سيما الصين الشعبية والهند، ويعتقد هؤلاء أنه لعشرين سنة تالية على الأقل سيبقى النفط هو وقود النقل المهيمن، ويتنافس الغاز والفحم على الوقود المختار لتوليد الطاقة(٢).

---

(١) مايكل كلير، مصدر سبق ذكره، ص ٢٠.

(٢) جان ه. كاليكي – ديفيد ل. غولدون، الأمن والطاقة نحو إستراتيجية سياسية خارجية جديدة، ترجمة حسام الدين خضور، منشورات الهيئة العامة السورية للكتاب، وزارة الثقافة، دمشق، ٢٠١١، ص ٥٣.

على المستوى الإقليمي يتوقع أن تقود الصين الشعبية والهند نمو الاستهلاك الأسرع في آسيا، وفي المقابل يتوقع أن تستمر حصة السوق التي تستهلكها أمريكا الشمالية وأوروبا من إمداد الوقود العالمي في التآكل، الأمر الذي يجعل آسيا وليس الولايات المتحدة الدافع الذي يهيمن على سوق الطاقة العالمية[١].

وفي الإجمال سيزداد الاعتماد على منظمة البلدان المصدرة للنفط (أوبك)، وسيتراجع إنتاج النفط من المنطقة المحيطة بأعضاء منظمة التعاون والتنمية الاقتصادية OECD (لا سيما الولايات المتحدة وبحر الشمال)، وسيكون هناك نمو مستمر في الإنتاج في روسيا الاتحادية ومنطقة بحر قزوين، لكنه سيقلص في بلدان أخرى خارج منظمتي الأوبك ومنظمة التعاون والتنمية الاقتصادية. تمتلك دول أوبك ثلث احتياطيات النفط العالمي، وهي ستستمر في تزويد معظم السوق في المدى الطويل؛ إذ لبت تحدي تزويده بشروط عقلانية ومستقرة[٢].

يحتمل أن يبقى موقع النفط المهيمن بكونه مصدر الطاقة التجاري الأكبر في العالم دون تحد في مدة التنبؤ الممتدة من عام ٢٠٠٠ إلى ٢٠٣٠[٣].

بحسب وزارة الطاقة الأمريكية فإن حوض بحر قزوين (الذي يشمل أذربيجان وتركمانستان وأوزباكستان مع أجزاء من روسيا وإيران) يختزن ٢٧٠ بليون برميل من النفط، أو ما يقارب خُمس احتياطيات العالم الإجمالية المؤكدة

---

(١) جان ه. كاليكي – ديفيد ل. غولدون، مصدر سبق ذكره، ص ٥٨.

(٢) المصدر نفسه، ص ٥٩.

(٣) المصدر نفسه، ص ٥٨.

من النفط. (وحده الخليج العربي الذي يختزن ٦٧٥ بليون برميل من الاحتياطيات المؤكدة يضم موردًا أكبر). تقدر وزارة الطاقة أيضًا أن منطقة قزوين تحوي ما يقارب ٦٦٥ ترليون قدم من الغاز الطبيعي، ما يمثل ثمن احتياطيات الغاز في العالم[١].

حتى عام ١٩٩٢ كانت هذه المستودعات النفطية والغازية (باستثناء ما تسيطر عليه إيران) ملكًا حصريًا للدولة السوفيتية، ومع انهيار اتحاد الجمهوريات السوفيتية الاشتراكية، فإن كثيرًا من ذاك المخزون قد وقع تحت سيطرة الأمم الجديدة لبحر قزوين التي تسعى جميعها الآن لتصدير موارد الطاقة لديها إلى الغرب[٢].

إن الطبيعة الإستراتيجية للاهتمام الأمريكي بمنطقة قزوين قد تم الإفصاح عنها أولًا من قبل وزارة الخارجية الأمريكية في تقرير نيسان ١٩٩٧ إلى الكونغرس، وأشار التقرير إلى أن الولايات المتحدة، كمستهلك رئيس للنفط، لها مصلحة مباشرة في تعزيز وتنويع إمدادات الطاقة العالمية، وهذا التنويع مهم ليس فقط بالمفهوم الاقتصادي لتأمين مصدر إضافي للطاقة لأجل الصناعات وشبكات النقل الأمريكية، بل أيضًا كإجراء أمني للحماية من انقطاعات الإمداد في أماكن أخرى.

وفقًا لذلك فقد أصبحت سياسة الولايات المتحدة "أن تشجع التنمية السريعة لموارد الطاقة القزوينية" لكي تقوي أمن الطاقة الغربية[٣].

---

(١) مايكل كلير، مصدر سبق ذكره، ص ٨.

(٢) المصدر نفسه، ص ٨.

(٣) مايكل كلير، مصدر سبق ذكره، ص ٩.

إن امتداد القوة العسكرية الأمريكية إلى منطقة بحر قزوين هو بحد ذاته تطور جيو سياسي خطير، كما يتبين من تمريني سنترازبات فإن ذلك سوف يتطلب من واشنطن أن تبني وتقوي العلاقات مع جمهوريات آسيا الوسطى، فضلًا عن إنشاء قدرة لوجستية ذات امتداد عالمي[١].

من بين هذه الأهداف لم يؤثر أي هدف بشكل عميق للغاية على السياسة العسكرية الأمريكية كما أثر قرار ضمان وصول الولايات المتحدة إلى مخزونات ما وراء البحار من الموارد الحيوية[٢].

وتبعا لذلك يرى بعض أساتذة السياسة الخارجية والعلاقات الاقتصادية الدولية في الجامعات الأمريكية أن هناك خمس تحديات جديدة ومتنامية للسياسة الخارجية الأمريكية، والتي تتركز في[٣]: -

١ – يجب أن يقبل صناع السياسة أنه لعشرين سنة قادمة سيكون مستحيلًا تعديل ما يخص الارتباط الأمني والاقتصادي الراهن للغرب بالشرق الأوسط كونه المنطقة الأغنى في العالم.

٢ – يجب على الولايات المتحدة أن تركز جهودها على تنويع مصادر الطاقة في العالم؛ لتقليص اعتماد السوق العالمية على مستوردات الطاقة من الشرق الأوسط، وبذلك تزيد قدرتها على التعامل بفعالية مع التهديدات من تلك المنطقة.

---

(١) المصدر نفسه، ص ١١.

(٢) المصدر نفسه، ص ١٢.

(٣) جان ه. كاليكي – ديفيد ل. غولدون، مصدر سبق ذكره، ص ٣٠.

٣ – ينبغي على الولايات المتحدة أن تعترف بأن العواقب الأمنية والاقتصادية لما يسمى "لعنة النفط" الفشل في تحويل ثروة الطاقة إلى منافع مجتمعية طويلة المدى، تقود إلى الفقر والنزاع، وفي النهاية إلى عدم الأمن الدولي والطاقة معًا.

٤ – تحتاج الولايات المتحدة بسرعة إلى إستراتيجيات اقتصادية وسياسية جديدة لمواجهة الأسباب الجذرية لعدم الاستقرار في وقت يجب عليها فيه أن تبقى معتمدة على دول غير مستقرة أو محكومة بطريقة سيئة من أجل النفط.

٥- الولايات المتحدة بحاجة إلى بناء تحالفات بين الدول في العالمين الصناعي والنامي لدعم أجندة أمنية مشتركة أكثر اتساعا، بما فيها مسائل مثل إصلاح الأنظمة في الشرق الأوسط، والشفافية في إفريقيا، وحكم القانون في روسيا الاتحادية وآسيا الوسطى. وعلى الولايات المتحدة أن تتجاوز شلل السياسة الحالية الناتج عن التنافس للوصول إلى النفط الذي تنتجه تلك البلدان.

٥- وهناك شواهد معاصرة حول ذلك؛ إذ إن الولايات المتحدة التي قامت بنقل ٢٠٠ ألف جندي إلى منطقة الخليج إبان الوجود العراقي في الكويت، وإنفاق ٦٠ بليون دولار من أجل ذلك، كان الغرض من ذلك ليس الدفاع عن الكويت؛ لأن الولايات المتحدة، كما أشار إلى هذه الحقيقة بيل وبستير مدير وكالة الاستخبارات المركزية، الذي أبدى مخاوفه من قرب العراق من الحدود السعودية بواقع ١٠/٨ ميل؛ لأن العراق كان بإمكانه أن يستحوذ على ٢٠٪ من مجموع احتياجات النفط في العالم، وفي حالة تقدمه لأميال إضافية بإمكانه أن يهيمن على ٢٠٪ أخرى[1].

---

(١) جوزيف بريسكو، يوميات كولين باول، الأهلية للنشر والتوزيع، عمان، (بلا) ص٥٨٤، ٦١٨.

أحد دفاتر ملاحظات البيت الأبيض سجل ملاحظات عن الجبروت الاقتصادي الهائل الذي من شأن الرئيس العراقي السابق صدام حسين أن يحصل عليه من الكويت، كيف أن ثروة الأخيرة من شأنها أن تمكنه من حيازة قدرات متزايدة التطور: أسلحة كيميائية، وأسلحة نووية، وصواريخ بالستية. كان واضحًا أيضًا من وجهة نظر الإدارة الأمريكية أن على الولايات المتحدة الأمريكية أن تصدر بيان التزام قوي بالمملكة العربية السعودية، التي كان الرئيس العراقي السابق صدام حسين يفكر دون أدنى شك في حقولها النفطية. بعد الوجود العراقي في الكويت بات العراق متحكمًا في ٢٠٪ من الاحتياط النفطي العالمي، وكان من شأن عملية الاستيلاء على المنطقة الشرقية من السعودية أن تمكنه من ٤٥ – ٥٠ بالمائة من هذا الاحتياطي[1].

نشر فرانسيس فوكوياما في صيف ١٩٨٩مقاله المشهور تحت عنوان: (المصلحة الوطنية) بين فيه انتهاء الشيوعية، وفي الوقت نفسه أشار فيه إلى انتصار الرأسمالية ونهاية التاريخ، ثم شرع في تأليف كتابه المعروف بـ"نهاية التاريخ" "الذي أكد فيه أن الرأسمالية والليبرالية قد حققتا انتصارًا كبيرًا" على الأيديولوجيات كافة. بهذا المعنى يتحدث فوكوياما عن نهاية التاريخ، وقد ترجم هذه المفاهيم بشكل واضح في كتابه الأخير (الثقة)، الذي تنبأ فيه أنه

(١) جاء القائد الأعلى للقيادة المركزية الأمريكية المسئولة عن الشرق الأوسط، الجنرال نورمان شوارتزكوبف إلى البنتاغون في الأول من آب ١٩٩٠ لإطلاع وزير الدفاع الأسبق ديك تشيني على ما استجد من أمور بشأن الكويت، مشيرًا إلى "أنه من المحتمل أن يتوغل صدام حسين في الكويت، ربما لاحتلال حقل نفط الرميلة أو للاستيلاء على جزيرتين موضوعي نزاع خلف الحدود مباشرة: وربة وبوبيان". راجع: ديك تشيني مع ليز تشيني، مصدر سبق ذكره، ص ٢١٠.

باقتراب القــرن الحادي والعشرين تشهد المؤسسات السياسية والاقتصادية في العالم تقاربًا" ملحوظًا نتيجة إقبالها على تبني الديمقراطية الليبرالية واقتصاديات السوق.

وعليه نرى أن آراء فوكوياما كانت تمثل العولمة، التي ذاع انتشارها في الوقت الحاضر ولا سيما بعد سقوط الاتحاد السوفيتي. العناصر الأساسية التي جاء بها فوكوياما والتي تتركز في ازدياد العلاقات المتبادلة بين الدول، سواء المتمثلة في تبادل السلع والخدمات أو في انتقال رءوس الأموال، أو في انتشار المعلومات والأفكار، أو في تأثر دولة بقيم وعادات غيرها من الأمم، تعد عناصر للعولمة. والحق أن هذه العناصر عرفتها الدول منذ قرون عديدة، وبصورة خاصة منذ عهود الاستكشافات الجغرافية في أواخر القرن الخامس عشر.

بعد سقوط الاتحاد السوفيتي أضحت الولايات المتحدة بفضل هذا المفهوم، ومع تنامي التداخل ووسائل الاتصال والعولمة في المجالات كافة، القوة العظمى الوحيدة في عالم يزداد تقلصًا"، الأمر الذي أدى إلى بروز أشكال الأمركة العالمية.

في الخمسينيات والستينيات، وهي المرحلة التي تبغي العولمة إنهاءها، كان للثقافة سمتان، هما: ثقافة استعمارية إمبريالية، وثقافة وطنية تحررية، أما في الوقت الحاضر فإن أنصار العولمة يجعلونها ذات ثقافتيــن، هما: ثقافة الانفتاح والتجديد، وثقافة الانكماش والجمود.

وفي الوقت الحاضر، هناك تفسيرات وتحولات كثيرة في ضوء الاتجاهات المتعارضة، فهناك انهيار المجتمعات الاشتراكية السائدة، فضلًا "عن أزمة الرأسمالية". وفي الوقت الذي يتم فيه الاحتفال بنمو المجتمع المدني في الاتحاد السوفيتي السابق، فإن هناك مأساة تدمير المجتمع المدني في زائير. فالمجتمع

الروسي يشهد مخاض ولادة مجتمع متعدد الطوائف مما يحدث في إفريقيا هو الآتي: إذا كانت هناك دولة مركزية قوية يدعمها جيش متعجرف وقوة شرطة كبيرة تحت سيطرة ديكتاتورية بيروقراطية وشخصية، عندها تحصل المأساة في زائير، أما إذا كانت هناك دولة مركزية حقيقية، وللأسباب ذاتها فإنها تصبح ذات مركزية متعددة الأحزاب؛ إذ يصفها الأوروبيون عادة بالنزعة الإفريقية؛ إذ إن إدخال أنظمة متعددة الأحزاب لا يبشر بحل مشكلات ندرة الغذاء وقطاع الطرق... إلخ التي تنتشر بشكل مخيف في أثيوبيا وزيمبابوي[١].

يشير المؤرخ الفرنسي جين ماري دوميناخ: (الغربيون وترحيبهم بفساد الماركسية لم يفهموا تمامًا حقيقة أنهم بذلك إنما كانوا يخيبون آخر محاولة غربية لعقلنة وعولمة التاريخ؛ فإن ثمة ما يبرر شكوك الفرد إذا ما ظن أن اختفاء الشيوعية قد يسفر عن عواقب مختلفة في مناطق مثل شمال إفريقيا وجنوب آسيا أو أمريكا اللاتينية، وهناك تطفح مخاطرة أخرى مع نهاية العولمة الغربية، فقد يتأتى من تضافر الليبرالية السياسية والمتعة الاجتماعية المتنامية في الغرب حد تام في مناطق أخرى بدلًا من التزام ديمقراطي[٢].

---

(1) Gupta, Rakesh, Interdependence and Security among States in the 1990s, Strategic Analysis, April 1995, p. 93.

(٢) زبغنيو بريجنسكي، الفوضى الاضطراب العالمي عند مشارف القرن الحادي والعشرين، ترجمة مالك فاضل، الأهلية للنشر والتوزيع، عمان، ١٩٩٨، ص ٥٠.

إن هزيمة الشيوعية تمثل جزئيًّا انتصارًا للنظم الديمقراطية ونظام السوق الحرة والدين والقومية، إذا كان لهذه العناصر دور مهم، بيد أن أيًّا منها لم يكن بمفرده العنصر الحاسم والمنظم. راجع: المصدر نفسه. ص ٦٠.

في ظل هذه التطورات أصبحت معالم الفكر الأمريكي في موضوع العولمة واضحة في هذا المجال، فضلًا عن الخبرة الغربية في الفكر السياسي، ومدى امتداد كلتا الخبرتين وشيوعهما في العالم، إزاء ذلك تثار أسئلة متعددة حول العولمة، منها: هل تكون العولمة بهذا المفهوم أعلى مراحل الإمبريالية وهي بذلك تعد مظاهرة لرأسمالية القرن الحادي والعشرين؟ وفي ظل ذلك كيف يمكن فهمها؟ هل هي ظاهرة اقتصادية أم إعلامية أم ثقافية؟ أم خطاب أيديولوجي؟ وفي إطار ذلك هل العالم متجه حقيقة إلى هذا المفهوم؟ ما هو مستقبل الثقافات والهويات القومية والوطنية في ظل شيوع العولمة في العالم؟

وإذا كانت أوروبا قد أنجزت ولو نسبيًّا وحدتها القومية من خلال جهاز (الاتحاد الأوروبي) وما بعد مرحلتي الحداثة والمجتمع الصناعي إزاء ذلك، ما هو مكان الشعوب التي لم تنجز وحدتها القومية؟

إثارة هذه الأسئلة لها علاقة بين شيوع تيارين لمفهوم العولمة، الأول له علاقة بطبيعة هيمنة القوى العسكرية والاقتصادية، وفي ظل نظام القطب الواحد، وبتعبير أدق سيطرة الفكر الأمريكي على العالم، أما الثاني فإنه يذهب إلى أن العولمة عملية تبادل منافع وخبرات ومعارف بين شعوب العالم كافة. هذه أسئلة من الممكن الإحاطة بها من خلال هذه الدراسة[1].

---

(١) الدكتور رسلان خضور، الدكتور سمير إبراهيم حسن، "مستقبل العولمة"، قضايا راهنة، العدد ٢٧ تموز / يوليو، المركز العربي للدراسات الإستراتيجية، دمشق، ١٩٩٨، ص٨-٩.

أ - **مفهوم العولمة**[(١)]:

ظهر مصطلح العولمة في بداية الأمر في الموضوعات المتعلقة بالمال والتجارة والاقتصاد، إلا أنه لم يعد مصطلحًا اقتصاديًّا بحتًا"؛ لأنه تجاوز مجال الاقتصاد، لكونه نظامًا "عالميًّا"، أو يراد لها أن تكون كذلك، ليشمل مجال المال والتسويق والمبادلات والاتصال، فضلًا عن السياسة والفكر والأيديولوجيا[(٢)].

---

(١) هنا لا بد من التمييز بين العولمة ومفهوم تبادل الاعتماد؛ لأن الأولى تشير إلى مفهوم التوحيد القياسي الذي يعني من الناحية العملية السيطرة والهيمنة على السياسات الخارجية، في حين يشير المفهوم الثاني إلى حالة من حالات التفاعل والحوار التي لا تعني إلا ازدهار الحضارة الإنسانية، وهذا ما يؤكد عليه دول العالم الثالث، وهذا المفهوم يقوم على المبادئ الآتية:-

١- اقتصاد قائم على الصناعة والتقنية.

٢- النظرة الجماعية للسياسات الخارجية.

٣- إشاعة الأمن والسلم الدوليين.

راجع: د. محمد نعمان جلال، "العولمة بين الخصائص القومية والمقتضيات الدولية"، السياسة الدولية، العدد ١٤٥، يوليو ٢٠٠١، ص٤٦.

(يستخدم جوزيف س، ناي الابن مفهوم تبادل الاعتماد على المستويين الأيديولوجي والتحليلي، فالفعل من الاعتماد المتبادل يمكن تعريفه من الناحية الأيديولوجية: "أنا أعتمد، أنت تعتمد، نحن نعتمد وهم يحكمون". أما الكلمة على المستوى التحليلي فتشير إلى موقف يؤثر فيه الأشخاص أو الأحداث المتعددة في أجزاء مختلفة من نظام معين على بعضهم بعضًا، وببساطة تعني الكلمة الاعتماد المشترك. راجع: جوزيف س.ناي الابن، مصدر سبق ذكره، ص ٢٣٤).

إن العولمة (Globalization) بما تنطوي عليه من فرض أنماط محددة في السياسة الخارجية تختلف عن العالمية (Universality) من حيث هي عملية تفاعل وانفتاح بين الأمم والشعوب والدول؛ الأولى تتجسد في الهيمنة والإملاء، بينما تبقى الثانية في إطار التكامل العالمي المعروف منذ زمن بعيد. راجع: الدكتور عدنان السيد حسين، مصدر سبق ذكره، ص ١٩٣.

(٢) الدكتور محمد عابد الجابري، قضايا في الفكر المعاصر، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ١٩٧٧ ص ١٣٦.

=

وفي حالة خروج مصطلح معين عن دائرة الاختصاص الضيق في بداية ظهوره، فإنه يكون مشاعًا للجميع. وقد تم تناول هذا الموضوع على وجه الخصوص في العالم الغربي[١].

من هذا المنطلق نحاول في هذه الدراسة تحديد معنى هذا المصطلح؛ إذ إن العولمة هي ترجمة للكلمة الفرنسية "Mondialisaion التي تشير إلى جعل أي شيء ينظر إليه في مجال كوني"؛ أي نقله من المحدود المراقب إلى اللامحدود الذي يبتعد عن كل مراقبة. وهنا نقصد بالمحدود بصورة رئيسة معنى الدولة التي ترتبط بإقليم معين وبمراقبة صارمة على مستوى الجمارك ونقل البضائع والسلع، فضلًا عن بروز مصطلح الأمن القومي الذي يقوم على حماية الدولة في الداخل والخارج في المجالات الاقتصادية والسياسية والثقافية، أما اللامحدود فيشار إليه بكلمة (العالم) أو الكون. بهذا المعنى تكون العولمة الإشارة إلى معنى إلغاء سيادة الدولة القومية، وتخطي هذه الحدود إلى العالم كله[٢].

=

Anthony G.Mc Grew and Paul G. Lewis, Global; Politics: Globalization and the Nation State, Cambridge, 1992, p.p.1-5.

يقول RJ.Johnston and C.J. Pattie: (استجابت الأحزاب البريطانية لاتجاهات متعددة دولية ومحلية، ومن بين هذه الاتجاهات: العولمة في مجالات الاقتصاد والثقافة، تركزت الأولى في حركة المعلومات والمال، في حين انصبت الثانية حول تحديات مقدرة الحكومات الإقليمية والمحلية للسيطرة وتنظيم الاقتصاديات والثقافات الوطنية). ويردف Johnston قائلًا: (إن هذا الموضوع له علاقة بانهيار المواقع الأساسية للأحزاب السياسية الناجمة عن الصراعات الطبقية، ونمو سياسات المسألة الواحدة حول المسائل المتعددة مثل البيئة). راجع: ←

R.J. Johnston and C.J.Pattie, British Conservation: Bight Word Shifting or Fissuring ?, World Affairs, Vol.lll, Issue I, Winter, spring 1996, p. 172

(١) الجابري، مصدر سبق ذكره، ص ١٣٦.

(٢) المصدر نفسه، ص ١٣٦.

والحق أن كلمة Mondialisaion هي ترجمة للكلمة الإنجليزية Globalization التي ظهرت في بداية الأمر في الولايات المتحدة، ويرادف المعنى السالف الذكر[1].

بهذا المعنى فإن العولمة كمفهوم عولجت في دراسات العلوم الاجتماعية كأداة تحليلية لوصف عمليات التغيير في المجالات كافة، وهذا يعني أن هناك خطًّا جديدًا وعلاقات اجتماعية مادية ونفعية تستبعد كل المفاهيم القومية

---

(١) المصدر نفسه، ص ١٣٦.

تقول أستاذة العلاقات الدولية بجامعة بينج (بكين)، واحدة من أبرز المتخصصين في الشئون الأمريكية يوان مينج: "إن قادتنا السياسيين لا يستخدمون في خطبهم العامة العولمة Globalization". إنهم يستخدمون مصطلح التحديث Modernization. ويوجد سبب ثقافي لذلك؛ فالدرس التاريخي ما زال ماثلًا في أذهان الشعب الصيني بأن الصين أجبرت على الانخراط في المجتمع الدولي في القرن الماضي بقوة السلاح، ومن ثم فالعولمة تمثل شيئًا لا تسعى إليه الصين بل يفرضه الغرب أو الولايات المتحدة عليها. أما التحديث فإنه من الناحية الأخرى شيء نستطيع السيطرة عليه. هناك استعراض تليفزيوني يذاع سنويًّا بمناسبة العام الجديد على القناة الرئيسة، ويعد هذا البرنامج من أكبر الأحداث التليفزيونية السنوية في الصين ويشاهده مليار شخص، وهو غالبًا يقتصر على المطربين ونجوم الكوميديا، غير أنه قبل ثلاث سنوات (في عام ١٩٩٥) عرض البرنامج استكشافًا يمثل أبوين في منطقة ريفية يتصلان هاتفيًّا بابنهما الذي يدرس في الولايات المتحدة، يسألانه: "كيف حالك في يوم رأس السنة؟ يقول: إنه بخير وإنه يعتزم العودة إلى الوطن بعد الانتهاء من رسالة الدكتوراه في الولايات المتحدة. يفرح الأبوان لسماع ذلك، غير أن الجملة التي ما زالت عالقة في ذهني هي عندما يبلغ الأبوان ابنهما بأن الحياة في الصين أصبحت طيبة في كثير من الوجوه مثل الولايات المتحدة؛ إذ يقولان: "لقد كنت تقوم ببعض أعمال غسيل الأطباق في الولايات المتحدة، والآن لدينا بعض الأمريكيين يغسلون لنا الأطباق". راجع: توماس ل. فريدمان، السيارة ليكسس شجرة الزيتون محاولة لفهم العولمة، ترجمة ليلى زيدان، الدار الدولية للنشر والتوزيع، القاهرة، ٢٠٠٠، ص ٤٨٨ – ٤٨٩.

والعرفية والعائلية والدينية الخاصة[١]. ومن هذا المنطلق يرى المهتمون بالشئون الدولية أن الأمور السياسية والأحداث والأنشطة في الوقت الحاضر لها بعد عالمي متزايد، وفي هذا المجال يذهب بعض الباحثين إلى أن العولمة ترتبط بأربع عمليات أساسية تكمن في المنافسة بين القوى العظمى، والوصول إلى التقنية الجديدة، وشيوع عولمة الإنتاج، والتبادل والتحديث[٢].

والحق أنه من الصعوبة بمكان إعطاء تعريف دقيق للعولمة بسبب كثرة التعريفات بشأنها؛ إلا أنه مع ذلك بالإمكان الإشارة إلى بعضها، فعلى سبيل المثال يقدم لنا جيمس روزيناو أحد أساتذة السياسة الخارجية في الولايات المتحدة تعريفًا لها؛ إذ يعرفها بقوله: (يقيم مفهوم العولمة علاقة بين مستويات متعددة للتحليل: الاقتصاد والسياسة والثقافة والأيديولوجيا، وتشمل إعادة تنظيم الإنتاج، وتداخل الصناعات عبر الحدود، وانتشار أسواق التمويل، وتماثل السلع المستهلكة لمختلف الدول، ونتائج الصراع بين المجموعات المهاجرة والمجموعات المقيمة[٣].

وقد قسم روزيناو المواد والنشاطات التي تنتشر عبر الحدود إلى مجاميع ست: بضائع وخدمات وأفراد وأفكار ومعلومات ونقود ومؤسسات وأشكال في السلوك والتطبيقات[٤].

---

(١) الدكتور رسلان خضور، الدكتور سمير إبراهيم حسني، "مستقبل العولمة"، مصدر سبق ذكره، ص٨.

(٢) السيد ياسين، (في مفهوم العولمة)، في العرب والعولمة، بحوث ومناقشات الندوة الفكرية التي نظمها مركز دراسات الوحدة العربية، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ١٩٩٨، ص ٢٥.

(٣) المصدر نفسه، ص ٢٦.

(٤) المصدر نفسه، ص ٢٧.

وفي رأي روزيناو تتم عملية الانتشار من خلال طرق متعددة، بالإمكان إيجازها في الآتي[(١)]:

١-بوساطة التفاعل في الحوارات الثنائية، ومن خلال تقنية الاتصال.

٢- الاتصال المونولوجي أحادي الاتجاه بوساطة الطبقة المتوسطة.

٣- من خلال المنافسات والمحاكاة.

٤- من خلال تماثل المؤسسات.

يقدم لنا صادق جلال العظم، أحد الأساتذة العرب، تعريفًا للعولمة؛ إذ يعرفها بقوله: (هي حقيقة التحول الرأسمالي العميق للإنسانية جمعاء، في ظل هيمنة دول المركز وبقيادتها وتحت سيطرتها، وفي ظل سيادة نظام عالمي للتبادل غير المتكافئ[(٢)].

أما محمود الأطرش فيعرفها بأنها: (اندماج أسواق العالم في حقول التجارة والاستثمارات المباشرة، وانتقال الأموال والقوى العاملة والثقافات والتقانة ضمن إطار من رأسمالية حرية الأسواق وتاليًا خضوع العالم لقوى السوق العالمية، مما يؤدي إلى اختراق الحدود القومية وإلى الانحسار الكبير في سيادة الدولة؛ إذ إن العنصر الأساس في هذه الظاهرة هو الشركات الرأسمالية الضخمة متخطية القوميات"[(٣)].

---

(١) المصدر نفسه، ص ٢٧.

(٢) المصدر نفسه، ص ٢٨.

(٣) محمد الأطرش، العرب والعولمة ما العمل؟ في العرب والعولمة بحوث ومناقشات الندوة الفكرية التي نظمها مركز دراسات الوحدة العربية، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ١٩٩٨، ص٤١٢.

ويمكننا أن نذهب إلى القول بأن هناك عناصر أساسية للعولمة، يمكن إيجازها في الآتي: انخفاض الحواجز الجمركية، أو تدهور تكاليف النقل لأساليب الإنتاج الضخمة(١).

إن الولايات المتحدة تحاول الآن توسيع مفهوم العولمة؛ إذ إن الأخيرة ظهرت فيها، وهذا يعني أن الموضوع لم يكن ليُشْمَل بآلية من آليات التطور الرأسمالي الحديث، بل تجاوز ذلك ليشمل الأخذ بأنموذج معين ألا وهو أنموذج الطابع القومي الأمريكي(٢).

---

(١) إدوارد ليتواك، انهيار الحلم الأمريكي الأزمة الاقتصادية في مجتمع متدهور، ترجمة ليلى غانم، الدار الجماهيرية للنشر والتوزيع والإعلان، طرابلس، ١٤٢٥ ميلادية – الصيف، ص ٢١.

(٢) الجابري، مصدر سبق ذكره، ص ١٣٧.

والعناصر الأساسية في مفهوم العولمة التي تتركز في ازدياد العلاقات المتبادلة بين الأمم في مجال تبادل السلع والخدمات أو في انتقال رءوس الأموال أو في انتشار المعلومات والأفكار أو تأثر أمة بقيم وعادات غيرها من الأمم، هي عناصر عرفها العالم منذ قرون خلت ولا سيما منذ حقبة الاستكشافات الجغرافية في أواخر القرن الخامس عشر، راجع: الدكتور جلال أمين، العولمة، ط٢، دار المعارف، القاهرة، ١٩٩٨، ص ١٣.

والحق، تعد العولمة من نتائج دراسات السلام والحرب التي قامت خلال الحرب العالمية الثانية في الولايات المتحدة، ولقد تم إيجاد الأمم المتحدة ومؤسسات بريتون وودز ومنها صندوق النقد الدولي كأدوات لتنفيذ هذا النظام؛ إذ مكنت العلوم الإدارية والاتصالات الحديثة في ذلك فأصبح نظام العولمة أشد قسوة في الاستعمار القديم ولكن بطرق جديدة تتميز بالدهاء والذكاء. راجع: عبد الحي يحيى زلوم، لدرء العولمة هل بوسع العالم أن يقول: لا للرأسمالية المعلوماتية؟ المؤسسة العربية للدراسات والنشر، عمان، ١٩٩٩، ص ٥–١٠.

طُلب من المكسيك في عام ١٩٩٥ عندما كانت دولة عضوة في اتفاقية النافتا التجارة الحرة لدول أمريكا الشمالية، أن تودع عائداتها النفطية كافة لدى البنك الاحتياطي الفيدرالي الأمريكي =

=

في نيويورك ضمانًا لحقيقة الإنقاذ في صندوق النقد الدولي، علمًا "بأن النفط المكسيكي قد تم تأميمه في عام ١٩٣٩". راجع: المصدر نفسه، ص ٢٢. تكمن أزمة المكسيك بسبب إفراط الأخيرة في الإنفاق في عام ١٩٩٥، حيث بدأ كل البشر كبارًا وصغارًا في بيع ما لديهم من السندات المكسيكية، مما هبط بأسعارها، ولم يعد بوسع جويريا بعد الآن مجرد الاتصال تليفونيًّا بعشرين بنكًا ويطلب منها تمديد مدة سداد الدين وموافاته ببعض القروض الجديدة. لقد قسم دين المكسيك ديمقراطيًّا على عدد كبير من الناس، ومن ثم كان على المكسيك في هذه المرة أن تتصل بوزارة الخزانة الأمريكية طالبة العون، ولكن الإدارة الأمريكية وقتئذٍ لم تقدم الأموال للمكسيك إلا بشروط مشددة للغاية، وكان على المكسيك أن تقدم احتياطياتها النفطية كضمان، وكانت الطريقة الوحيدة التي ستجعل الإدارة الأمريكية تتقدم لإنقاذ المكسيك وتشترط عليها أن تدير اقتصادها بالطريقة التي يدار بها الاقتصاد في ولاية نيومكسيكو الأمريكية. راجع: توماس ل. فريدمان، السيارة ليكسس شجرة الزيتون محاولة لفهم العولمة، مصدر سبق ذكره، ص ٩٥.

وفي هذا المعنى قال كلينتون للرئيس الإندونيسي سوهارتو (شهد العام ١٩٩٨ استمرار الأزمات المالية والاقتصادية الآسيوية التي ظهرت نتائجها جلية على الاقتصاد الحقيقي والمؤشرات الرئيسة المعبرة عن أدائه، وبخاصة في الدول الثلاث التي شكلت مركز الأزمة، وهي: إندونيسيا وكوريا الجنوبية وتايلاند. راجع: التقرير الإستراتيجي العربي لعام ١٩٩٨ مؤسسة الأهرام، القاهرة، يناير ١٩٩٩، ص ١١٧). في مكالمة هاتفية للرئيس الأسبق بيل كلينتون في منتصف شهر كانون الثاني ١٩٩٨ أشار: (إن الاستقرار في إندونيسيا -هي الدولة التي يعيش على أراضيها ١٩٨ مليون نسمة- له أولوية حاسمة بالنسبة للولايات المتحدة، وإن ذلك الاستقرار يعتمد على قبول سوهارتو شروط صندوق النقد الدولي، وأن يقبل الدواء المر الذي وصفه الصندوق للشعب الإندونيسي، والأخذ به كأمر مسلم به كما لو كان قد جاء من السماء). من ناحية أخرى شكت إندونيسيا في ١٥ شباط ٢٠٠١ في أن صندوق النقد الدولي يضغط عليها أكثر من اللازم (جرى تشجيع صندوق النقد الدولي كي يقوم بتقديم مساعدة مشروطة بإدخال إصلاحات في مرافق الدولة التي هي بحاجة إلى ذلك سواء ما لها علاقة بصورة مباشرة بالأزمة أم غير ذلك. وعليه فقد قام الصندوق بغلق خمسة عشر مصرفًا، وإنهاء الاحتكار على الأغذية ووقود التدفئة،

=

=

وإلغاء المعونات الحكومية. وقد طلب منها صندوق النقد الدولي إعداد برنامج تقشف صارم يخفض الإنفاق العام بشكل حاد مما يؤدي إلى تحقيق فائض في الموازنة العامة يبلغ ١٪ من الناتج المحلي الإجمالي، كما طالب الصندوق بإلغاء الدعم بصورة عامة، لكن الحكومة الإندونيسية رأت أن الاعتبارات السياسية والاجتماعية تقتضي الإبقاء على دعم الأرز وفول الصويا مع رفع أسعار الطاقة والوقود تدريجيًّا، وقد اضطرت الحكومة الإندونيسية للتراجع عن الإلغاء التدريجي لدعم الطاقة بعد نشوب احتجاجات اجتماعية واسعة النطاق إثر رفع أسعار الوقود في مايس ١٩٩٨، لكن الذي حدث هو أن العملة الإندونيسية تدهورت من نحو ٢٥٧٥ روبية لكل دولار في آب ١٩٩٧ إلى نحو ٧٣٠٠ روبية لكل دولار في كانون الثاني ١٩٩٨ لتصل إلى نحو ١٥ ألف روبية لكل دولار في ذروة تدهورها، وتظل تتراوح بين ١٣ ألف و١٤ ألف روبية لكل دولار طوال ربيع وصيف العام ١٩٩٨، بما يعني أنها فقدت ٨٠٪ من قيمتها أمام الدولار منذ نشوب الأزمة وحتى صيف عام ١٩٩٨ قبل أن تبدأ في التحسن لتسجل نحو ٧٨٠٠ روبية لكل دولار في كانون الأول ١٩٩٨. راجع: المصدر نفسه، ص ١٢٣ – ١٢٥).

في تلك المرحلة أشارت عليه وزيرة خارجية الولايات المتحدة مادلين أولبرايت بأن الوقت قد حان لإجراء "انتقال ديمقراطي"، وإن ظل البعض من أمثال بول ولفويتز، المدافع القديم عن سوهارتو، يجدون فيه حسنات جديرة بالتقدير. في هذا السياق يقول جيفري وينترز الخبير الأكاديمي في الشئون الإندونيسية: "إن إنجاز ولفويتز الأبرز في المجال الاقتصادي عندما كان سفيرًا لدى إندونيسيا هو المعاونة في" إعداد المسرح لانهيار الاقتصاد الإندونيسي عام ١٩٩٧ في ظل حكم سوهارتو، المأساة التي دفعت بعشرات الملايين إلى براثن الفقر المدقع". ولعل أخطر مبادرة قام بها ولفويتز هي رعايته "لواحدة من أشد الخطوات تهورًا وطيشًا التي عرفها العالم على صعيد إعادة تنظيم القطاع المصرفي"، وكانت عاقبتها الوخيمة انهيار الاقتصاد وتفشي البؤس، في تلك الأثناء حاز سوهارتو الأسير لدى ولفويتز "على اللقب الملتبس، لقب الزعيم الأكثر فسادًا بين زعماء العالم في العصر الحديث"، وبحسب منظمة الشفاهية الدولية (ترانسبيرنسي إنترناشيونال) التي مقرها في بريطانيا فإنه "الفائز بكل معنى الكلمة" كونه جمع ثروة عائلية "تقدر بما يتراوح بين خمسة عشر وخمسة وثلاثين مليار دولار أمريكي"، متقدمًا بأشواط على صاحب المرتبة الثانية فرديناند ماركوس من الفلبين، وصاحب المرتبة الثالثة موبوتو سيسي

=

=

سيسكو من الكونغو، وكلاهما عضو عريق في نادي الأوغاد التابع للإدارات التي خدم فيها ولفويتز.

وصلت العملة الإندونيسية إلى خمس قيمتها قبل الأزمة، وأصبحت الحكومة ضعيفة بسبب المحسوبية والفساد، الأمر الذي أثر كثيرًا على تدمير الإطار العام للنظام السياسي، مما كان له أبلغ الأثر في سقوط حكومية سوهارتو. راجع: هنري كيسنجر، هل تحتاج أمريكا إلى سياسة خارجية نحو دبلوماسية للقرن الحادي والعشرين؟ مصدر سبق ذكره، ص٢٢٥، ٢٢٨). ويعلق ميلتون فريدمان على ذلك قائلًا: (في نظري، فإن صندوق النقد الدولي يعد مسئولًا إلى درجة كبيرة عن الأزمة التي حلت بالدولة الآسيوية). راجع: عبد الحي يحي زلوم، لدرء العولمة هل بوسع العالم أن يقول: لا للرأسمالية المعلوماتية، مصدر سبق ذكره، ص ١٢١، وعبد الحي يحي زلوم، نذر العولمة، مصدر سبق ذكره، ص١٤. كارثة آسيا التي تجسدت في منتصف عام ١٩٩٧، تتركز في انهيار العملة التايلاندية فقد بدأ في وقت من الأوقات كما لو أنه لا حياة للمستثمرين في دول آسيا، لكن سرعان ما تنكر لها فتقلصت تدفقات المستثمرين إلى آسيا بمقدار مائة مليار دولار تقريبًا خلال عام واحد. راجع: إحسان علي بو حليفة، "التماسيح تستحوذ على أسماك البحيرة"، المعرفة، العدد ٤٦، محرم ١٤٢٠هـ أبريل - مايو ١٩٩٩، وزارة المعارف، السعودية، ١٩٩٠، ص١٠. ونعوم تشومسكي، الدول الفاشلة إساءة استعمال القوة والتصدي للديمقراطية، دار الكتاب العربي، بيروت – لندن، ٢٠٠٧، ص ١٤٧، ١٦٧.

دعمت الولايات المتحدة جهود صندوق النقد الدولي في تايلاند وإندونيسيا وكوريا الجنوبية، حيث قدمت إسهامات في الدولتين الأخيرتين، وقد أرادت وزارة الدفاع ومجلس الأمن القومي تقديم بعض العون انطلاقًا من أن تايلاند حليفة قديمة للولايات المتحدة في جنوب شرق آسيا. وعليه نرى أن الإدارة الأمريكية تركت وزارة الخزانة تتخذ هذا القرار، والحق أنه لم تعالج الإدارة الأمريكية المشكلة التايلاندية وفق ما قامت به في روسيا الاتحادية؛ فقد كانت الولايات المتحدة تدعم الاقتصاد الروسي، حيث أسهمت بنحو ثلث حزمة الـ٢٣ مليار دولار من صندوق النقد الدولي. راجع: كلينتون، مصدر سبق ذكره، ص٨٣١.

والحق، قامت الحكومة التايلاندية بتنفيذ جل المقترحات التي أعدتها وزارة الخزانة الأمريكية ومؤسسات التمويل الدولية كحل لأزمة الثمانينيات، وفي خلال أسابيع قليلة استنزف احتياطي

=

=

تايلاند البالغ ٣٠ بليون دولار، وفي الوقت نفسه انخفضت قيمة الين بنسبة كبيرة، الأمر الذي أدى إلى زيادة حجم الديون بمستويات كبيرة، وانعكاس ذلك على الجوانب المالية والسياسية في آن واحد. (في صباح يوم ٨ كانون الأول١٩٩٧، أعلنت حكومة تايلاند أنها ستغلق ٥٦ بيتًا من بين كبرى بيوت التمويل وعددها ٥٨؛ فبين ليلة وضحاها أفلست هذه البنوك الخاصة بسبب انهيار العملة التايلاندية "الباهت". كانت بيوت التمويل قد أسرفت في اقتراض الدولارات الأمريكية، ثم أقرضت هذه الدولارات للمشروعات التايلاندية لبناء الفنادق والمباني الإدارية الضخمة والشقق الضخمة والمصانع، وكانت بيوت التمويل جميعًا تظن أنها بمأمن لأن الحكومة التايلاندية كانت ملتزمة بالحفاظ على تثبيت سعر "الباهت" أمام الدولار، بيد أنه عندما أخفقت الحكومة في الوفاء بهذا الالتزام إثر مضاربات عالمية مكثفة ضد "الباهت"، أشعلها ظهور نوع من الإدراك بأن الاقتصاد التايلاندي ليس بالقوة التي كان يعتقد فيما سبق أنه عليها حدث هبوط حاد في سعر العملة التايلاندية بلغ ٣٠ في المائة. راجع: توماس ل. فريدمان، السيارة ليكسس شجرة الزيتون محاولة لفهم العولمة، مصدر سبق ذكره، ص ٥ – ٦.

من ناحية أخرى شكت إندونيسيا في ١٥ شباط ٢٠٠١ في أن صندوق النقد الدولي يضغط عليها أكثر من اللازم (جرى تشجيع صندوق النقد الدولي كي يقوم بتقديم مساعدة مشروطة بإدخال إصلاحات في مرافق الدولة التي هي بحاجة إلى ذلك، سواء ما لها علاقة بصورة مباشرة بالأزمة أم غير ذلك، وعليه فقد قام الصندوق بغلق خمسة عشر مصرفًا وإنهاء الاحتكار على الأغذية ووقود التدفئة وإلغاء المعونات الحكومية.

وصلت العملة الإندونيسية إلى خمس قيمتها قبل الأزمة، وأصبحت الحكومة ضعيفة بسبب المحسوبية والفساد، الأمر الذي أثر كثيرًا إلى تدمير الإطار العام للنظام السياسي مما كان له أبلغ الأثر في سقوط حكومة سوهارتو. راجع: هنري كيسنجر، هل تحتاج أمريكا إلى سياسة خارجية نحو دبلوماسية للقرن الحادي والعشرين؟ مصدر سبق ذكره، ص٢٢٥، ٢٢٨).

والحق، ينظر إلى صندوق النقد الدولي والبنك الدولي بعدائية من العالم الخارجي؛ لأن برامجهما تعد شديدة القسوة، وغير مراعية، وداعمة لمصالح الولايات المتحدة وأوروبا بول ستريت والمؤسسات الكبرى. خلال أزمة الأسواق النامية بين عامي ١٩٩٧ – ١٩٩٨ شجب المحتجون في الشوارع من ساو باولو إلى سيول، وكتب على ملصق مثير في البرازيل: "صندوق النقد الدولي:

=

والحق أن الولايات المتحدة والنخبة السياسية والإعلامية والمؤثر فيها والشركات العملاقة الأمريكية المتعددة الجنسيات تدعم العولمة من أجل نشر القيم والتقاليد الأمريكية، وقد تحولت الولايات المتحدة في هذا المجال إلى مكسيك أوروبية[1].

أما من حيث نشوء العولمة فيمكننا في هذا المجال الرجوع إلى نموذجين في الدراسة، أولهما دراسة توماس فريدمان تحت عنوان "العالم مسطح: تاريخ موجز للقرن الواحد والعشرين"، حيث حدد فريدمان ثلاثة عصور من العولمة، دام الأول من ١٤٩٢ عندما أبحر كريستوفر كولومبس فاتحًا باب التجارة بين العالم القديم والعالم الجديد حتى نحو العام ١٨٠٠، أما العصر الثاني للعولمة فدام تقريبًا من العام ١٨٠٠ إلى العام ٢٠٠٠، وقد تخلله الكساد العظيم، والحربان العالميتان الأولى والثانية. وقلص هذا العصر من حجم متوسط إلى حجم صغير، وكان العامل الرئيس للتغيير القوة المحركة التي تقود التكامل العالمي؛ أي الشركات الدولية. أما العصر الثالث فإنه يبدأ من العام ٢٠٠٠، حيث تعمل العولمة على تقليص العالم من حجم صغير إلى حجم صغير جدًّا، وتسطح ساحة اللعب في الوقت نفسه، وهو الأمر الذي يعطيها شخصيتها الفريدة، القوة الجديدة للأفراد على التعاون والتنافس عالميًّا. إن القوة التي تمكن الأفراد والمجموعات من دخول السوق العالمية بسهولة وسلاسة ليست القوة الحصانية، وليست الأجهزة، ولكن البرمجيات، كل أنواع التطبيقات الجديدة بالترابط مع إنشاء شبكة

= صندوق السفلة الدولي". راجع: دايفيد ج. روثكوبف، الطبقة الخارقة نخبة التسلط العالمي وأي عالم تبني، شركة المطبوعات للتوزيع والنشر، بيروت، ٢٠١١، ص ٢٦٤.

(١) ليتواك، مصدر سبق ذكر، ص ٢١.

ألياف ضوئية عالمية التي جعلتنا كلنا جيرانًا متقاربين، ويجب على الفرد الآن ويمكنه أن يسأل: أين أنا في المنافسة العالمية وفرص اليوم؟ وكيف يمكنني بمفردي أن أتعاون مع الآخرين عالميا؟[١]، وثانيهما هي دراسة رولاند روبرتسون في دراسته الموسومة بـ(تخطيط الوضع الكوني: العولمة بوصفها المفهوم الرئيس)، وقد حاول فيها إبراز مراحل تطور العولمة وامتدادها عبر المكان والزمان[٢].

في هذه الدراسة يشير رولاندر وروبرتسون إلى أن بداية ظهور العولمة إنما يرجع إلى بـزوغ (الدولة القومية الموحدة)؛ لأن الأخيرة التي ظهرت في القرن الثامن عشر تمثل حقيقة تاريخية من نوع فريد؛ لأنها تقوم أساسًا على التجانس الثقافي، وبهذا يمكن أن نذهب إلى القول بأن انتشار مفهوم الدولة القومية في القرن العشرين هو فعل من أفعال العولمة. وبمعنى آخر: إن شيوع هذا المفهوم ونشر الأفكار المتعلقة بالدولة القومية أدى إلى سرعة ظهور العولمة خلال قرن من الزمن[٣].

وفي ظل هذه الظروف صاغ روبرتسون أنموذجه الذي استند إلى المراحل التالية: المرحلة الجينية، ومرحلة النشوء، ومرحلة الانطلاق والصراع من أجل الهيمنة، ومرحلة عدم اليقين[٤].

---

(١) توماس فريدمان، العالم مسطح تاريخ موجز للقرن الواحد والعشرين، ترجمة عمر الأيوبي، دار الكتاب العربي، بيروت، ٢٠٠٦، ص ١٥ – ١٧.

(٢) السيد ياسين، (في مفهوم العولمة)، مصدر سبق ذكره، ص ٣٠.

(٣) المصدر نفسه، ص ٣٠.

(٤) المصدر نفسه، ص ٣٠ – ٣٢.

من هذا المنطلق يقول فوكوياما: "مع اقتراب القرن الحادي والعشرين تشهد المؤسسات السياسية والاقتصادية في العالم تقاربًا ملحوظًا نتيجة إقبالها على تبني الديمقراطية الليبرالية، واقتصاديات السوق تحول القسم الأكبر من الدول المتقدمة إلى اقتصاديات السوق الحرة ومحاولة الاندماج في بوتقة النظام الرأسمالي العالمي لتقسيم العمل وتحديد تخصصاته الرئيسة، فضلًا عن تبني المؤسسات السياسية الديمقراطية – الليبرالية[١].

(١) فرنسيس فوكوياما، الثقة الفضائل الاجتماعية ودورها في خلق الرخاء الاقتصادي، ترجمة معين الإمام وحجاب الإمام، ١٩٩٨، ص ٩.

يذهب هنتنغتون إلى خلاف ما ذهب إليه فوكوياما؛ إذ يشير الأول إلى أن الفروق بين الحضارات ليست فروقًا حقيقية فحسب، بل هي فروق أساسية، فالحضارات تتمايز الواحدة منها عن الأخرى بالتاريخ واللغة والثقافة والتقاليد، إنها فروق أساسية بدرجة أكبر من الاختلافات بين الأيديولوجيات السياسية والنظم السياسية، والاختلافات لا تعني النزاع بالضرورة، والنزاع لا يعني العنف، بيد أنه على مر القرون ولدت الاختلافات بين الحضارات أطول النزاعات وأكثرها عنفًا". راجع: صامويل هنتنغتون وآخرون، صدام الحضارات، مركز الدراسات الإستراتيجية والبحوث والتوثيق، بيروت، ١٩٩٥، ص٢٠. و:

Foreign Policy, Summer, 1998, pp 19-20.

وهذا يعني من وجهة نظر هنتنغتون أن الخلافات الثقافية سوف تحتل مركز الصدارة في عالم المستقبل. راجع: فوكوياما، الثقة، مصدر سبق ذكره، ص ١١. و"نحن العولمة، من يربي الآخر؟"، المعرفة، العدد ٤٦، محرم ١٤٢٠ هـ، أبريل – مايو، ١٩٩٩، ص ٢٦ –٢٧.

وفي هذا المجال يقول جيمس سالنجر: (إن النظام العالمي المستقبلي سترسمه سياسة القوى والصراعات القومية والتوترات العرقية). راجع: بريجنسكي، الفوضى، مصدر سبق ذكره، ص١٤٥.

يعلق لستر ثورو على آراء هنتنغتون قائلًا: (إن الانقسامات الاثنية هي ليست الحروب الدينية للقرن الحادي والعشرين، ما يجري ليس حروبًا دينية وإنما ظاهرة تشظي اثني أو تشظي ديني =

وفي هذا المعنى يقول جاك أتالي: (في كل مكان أيضًا في الشرق كما في الغرب، في الشمال كما في الجنوب، سوف تحقق الديمقراطية انتصارات جديدة يواكبها تحرر لقوى السوق التي تفتح أمام أولئك الذين يتبنون النظام الاقتصادي الحر

=

حيثما وجدت خطوط للتصدع وإن بدت ضئيلة حتى لا يكاد يراها الناظر الخارجي وإن قيل له: إنها موجودة. إن الدم والنسب هما في الدماغ وليسا على الأرض). راجع لستر ثورو، مستقبل الرأسمالية، كيف تصوغ القوى الاقتصادية الراهنة عالم الغد، ترجمة عزيز سباهي، دار المنتدى للثقافة والنشر، بيروت، ١٩٩٨، ص ٢٧٠.

الأهداف المعلنة في العولمة هي ضمان التطور السلمي على أساس الليبرالية السياسية والاقتصادية في دول وسط وشرق أوروبا للتحرر من شبح الحروب السياسية والاقتصادية في دول وسط وشرق أوروبا والحرب الأهلية والكابوس الروسي معًا في وقت واحد، ولو كان ذلك هو الهدف فقط لما امتنع الرئيس كلينتون عن التعهد للرئيس الروسي يلسن في قمة هلسنكي بعدم ضم دول كانت ضمن دولة الاتحاد السوفيتي السابق إلى حلف شمال الأطلسي في المراحل التالية ولا سيما الدول الآسيوية، ولو كان هذا هو الهدف أيضًا لكانت تكفي سلسلة من الترتيبات التعاقدية في إطار منظمة الأمن والتعاون الأوروبي تنص على عدم الاعتداء، وعلى احترام الإنسان والالتزام بالانتخابات طريقة لتولي السلطة. هناك مصالح وأهداف للإستراتيجية الأمريكية في توسيع حلف شمال الأطلسي، منها دمج اقتصاديات أوروبا الشرقية في الاقتصاديات الأوروبية الغربية والاقتصاد الأمريكي، والدليل الدافع إلى ذلك هو أن خطط توسيع الأطلسي تتطابق مع خطوط الدوائر الحضارية المتصارعة التي رسمها هنتنغتون تستبعد روسيا الاتحادية زعيمة الحضارة السلافية الأرثوذكسية، كما تستبعد أيضًا الصين الكونفوشوسية، وأيضًا تستبعد الدائرة العربية الإسلامية، أما ضم دول صغيرة تتبع الدائرة الحضارية المستبعدة أو تلك فهو استثناء لا يلغي القاعدة، والمقصود به حرمان الدول القائدة للدائرة الحضارية المستبعدة في تبعية بقية مكونات الدائرة لقيادتها ودمج هذه المكونات تدريجيًّا في الأنموذج السياسي والاقتصادي والثقافي الغربي المهيمن. راجع: عبد العظيم حماد، الاتجاهات المضادة للعولمة، المعرفة، العدد ٤٦، محرم ١٤٢٠ هـ أبريل، ص١٢٠.

إمكانية انضمامهم هم أيضًا إلى حركة النمو الاقتصادي الشاملة)[١].

وبتعبير آخر فإن النظام الرأسمالي الليبرالي لربما شكل المرحلة النهائية في التطور العقائدي للجنس البشري، وبالتالي يصبح هو نظام الحكم الأمثل، وبمعنى آخر فإن الوصول إلى هذا النظام هو نهاية التاريخ[٢]، الأمر الذي يؤدي

---

(١) جاك أتالي، آفاق المستقبل، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٩٢، ص٣٨.

(٢) فرنسيس فوكوياما، نهاية التاريخ، ترجمة وتعليق الدكتور حسين الشيخ، دار العلوم العربية، بيروت، ١٩٩٣، ص١٥.

يقدم لنا Wallerstein ثلاثة أنواع من الليبرالية وهي الليبرالية المحافظة، والليبرالية الاشتراكية والليبرالية الجديدة، إن العودة إلى المحافظة في الغرب هي بمثابة انهيار أنظمة الحزب الواحد في أوروبا الشرقية، وإدخال مناطق اقتصادية ولا سيما الصين الشعبية، فضلًا عن انهيار الشيوعية في الاتحاد السوفيتي بانتهاء عهد غورباتشوف. وعلى حد تعبير وولرستين فإن المعنى الحقيقي في انهيار الشيوعية هو الانهيار النهائي لليبرالية بوصفها أيديولوجية مهيمنة، كما يشير وولرستين إلى انهيار اقتصاد الرأسمالية المفرطة في الولايات المتحدة، وسيظهر احتمال في عهد ما بعد الولايات المتحدة وما بعد الليبرالية تسود فيه فوضى عالمية أكبر من تلك التي شهدتها الأعوام ١٩١٤- ١٩٤٥، ويتوقع بروز سياسة الهوية للعالم الثالث. راجع:-

Gupta, Rakesh, Interdependence and Security Among States in the 1990s, Op. Cit., p. 100.

من ناحية أخرى يحذر صامويل هنتنغتون مراعاة ظهور قيم غير غربية وغير ليبرالية تتعارض مع القيم الليبرالية، المحور الرئيس عنده يكمن على حد تعبيره (بيننا وبين البقية)، ويثير هذا التحليل عددًا من القضايا التي تتراوح ما بين مستوى التحديث في دول العالم الثالث إلى السيناريو المتعارض لحقبة ما بعد الحرب الباردة. راجع:-

Samuel p. Huntington, The Clash of Civilization, Foreign Affairs, Summer 1933, Gupta, Pakesh, Interdependence and Security Among State in 1990 s,Op. Cit., p. 101.

=

إلى زوال صراع المصالح والأيديولوجيات على حد سواء، وهذا يعني إلى توقف عجلة الأحداث وإنهاء التاريخ، وفي

هذا المجال بإمكاننا إثارة هذا التساؤل حول طرح فوكوياما، الذي يكمن في: هل للتاريخ نهاية؟[١].

=

يقول ستروب تاليوت وكيل وزارة الخارجية الأمريكية ومستشار الرئيس كلينتون في الشئون الروسية وهو يلخص مبدأ كلينتون (أنه كلما اتسع نطاق جماعة الدول التي تختار الديمقراطية نظامًا لحكمها، وازداد توثق العلاقات بين الدول المكونة لهذه الجماعة، كلما كان الأمريكيون أكثر أمنًا ورخاءً؛ لأن الدول الديمقراطية تحافظ على التزاماتها الدولية، وتكون أقل ميلًا لإثارة الحروب). راجع: عبد العظيم حماد "الاتجاهات المضادة للعولمة"، مصدر سبق ذكره، ص٣٨ - ٣٩.
لقد حاول بول م. كيندي وهنتنغتون الاعتماد أكثر مما يجب في التنبؤ بالمستقبل على الماضي، والماضي وحده، ولقد رصد كينديو ببراعة شديدة انهيار الإمبراطوريات الإسبانية والفرنسية والبريطانية، ولكنه خلص إلى أن الإمبراطورية الأمريكية ستليها في السقوط بسبب تجاوزاتها الإمبريالية، وكان يعني ضمنًا بذلك أن انتهاء الحرب الباردة لم يكن يعني فقط نهاية الاتحاد السوفيتي ولكنه يعني أيضًا إرهاصًا بسقوط الولايات المتحدة.
أما وجهة نظر هنتنغتون فهي أنه بانتهاء الحرب الباردة لن يكون السوفيت هناك لنوجه إليهم عداءنا بعد الآن، ومن ثم فسوف نتحول نحن بعدائنا بطبيعة الحال نحو الهندوس والمسلمين الذين سيبادلوننا العداء نفسه، واستبعد ضمنًا ظهور نوع ما من النظام الدولي الجديد الذي يمكن أن يشكل الأحداث على نحو مختلف، وليس هناك بالنسبة لهنتنغتون شيء بعد الحرب الباردة سوى القبلية، وليس شيء جديد آخر. ثم يأتي كتاب فوكوياما القاطع ليحتوي على رؤية مستقبلية إزاء الأشياء التي استجدت، وأعني بها انتصار الليبرالية ورأسمالية السوق الحرة بوصفهما أكثر الطرق فاعلية لتنظيم أي مجتمع. راجع: توماس ل. فريدمان، السيارة ليكسس شجرة الزيتون محاولة لفهم العولمة، مصدر سبق ذكره، ص ١٧ – ١٨.

(١) الدكتور إبراهيم يحيى الشهابي، النظام المادي الجديد والاستلاب الحضاري، في ندوة التاريخ الإسلامي وأزمة الهوية، جمعية الدعوة الإسلامية العالمية، طرابلس، ليبيا، ٢٠٠٠، ص١٠٩.

يقوِّم ليسترثورو هذا النظام قائلًا: "من سوء الحظ أن أيًّا من الرأسمالية والديمقراطية ليست أيديولوجية قادرة على الدمج والتوحد؛ إذ إن كلتيهما أيديولوجية عملية تقول: إن الإنسان سيكون في وضع أفضل إذا اتبع الإجراءات التي توحي بها، ولا تقدم أي منها أية أهداف عامة يمكن للجميع أن يتبناها ويتم تطبيقها بشكل جماعي، وتضمن كل منها التأكيد على الفرد لا على المجموعة[١].

ويردف ثورو قائلًا: (رئيس في النبلاء، هو فرانكلين روزفلت صمم دولة الرفاه الاجتماعي، وأنقذ الرأسمالية بعد انهيارها في الولايات المتحدة، ولو لم تكن الرأسمالية مهددة لما حدث أي شيء من هذا القبيل).

وقد قدم فوكوياما في هذا الكتاب موضوعات رئيسة، هي:

١- اضمحلال وزوال الفكر الشيوعي بصورة نهائية من العالم كأيديولوجيا مناقضة ومعادية للرأسمالية.

٢- صارت الليبرالية الإطار العام الذي يحتذى به من قبل شعوب العالم كافة، على عكس التخطيط المركزي الذي جلب معه الشقاء والانهيار.

٣- إن العقائد الأخرى غير الغربية لا أهمية لها في تاريخ الفكر السياسي؛ لعدم مقدرتها على الوقوف أمام الفكر الليبرالي[٢].

ويتضح من كل ما تقدم أن هناك دعامتين رئيستين للعولمة، هما: المال والإعلام. وعليه نرى أن بعض الكتاب قد دمجوا بين مصطلحي المالية

---

(١) عبد الحي يحيى زلوم، مصدر سبق ذكره، ص ٤٥.

(٢) حسن بكر، "مطارحة نقدية لنظرية فوكوياما" المستقبل العربي، العدد ٩، شتاء ١٩٩٣، ص ٢٦.

والمعلوماتية، للإشارة إلى مصطلح جديد يسمى بالرأسمالية المعلوماتية[١].

إذن بإمكاننا أن نذهب إلى القول بأن العولمة من وجهات نظر مؤيديها تشكل أشكال تبسيط العلاقات، وتجاوز العقد التاريخية والنفسية، والنظر للعالم بوصفه وحدة متجانسة واحدة، وأنها نظام رشيد يضم العالم بأسره، فلم يعد هناك انفصال أو انقطاع بين المصلحة الوطنية والمصالح الدولية وبين الداخل والخارج، وهي تحاول أن تضمن الاستقرار والعدل للجميع بما في ذلك المجتمعات الصغيرة، وتضمن حقوق الإنسان للأفراد وهو سينجز ذلك من خلال مؤسسات دولية رشيدة مثل هيئة الأمم المتحدة ووكالتها المتخصصة والبنك الدولي وقوات الطوارئ الدولية.

وحقبة العولمة اليوم التي حلت محل الحرب الباردة هي أيضًا نظام دولي مماثل، ولكن له صفاته الفريدة الخاصة به. أول كل شيء، إن نظام العولمة، على عكس نظام الحرب الباردة، ليس نظامًا جامدًا، ولكنه عملية ديناميكية مستمرة، العولمة تنطوي على ذلك التكامل الصارم في الأسواق، وفي الدول، وفي التكنولوجيات، إلى درجة لم تحدث من قبل، وبطريقة تمكن الأفراد والشركات والدول من التجول حول العالم والوصول إلى مسافات أبعد وبصورة أسرع وأعمق وأرخص من أي وقت مضى، وبطريقة من شأنها أن تفرز أيضًا ردة قوية من جانب أولئك الذين تعرضوا لمعاملة وحشية أو فاتهم ركب ذلك النظام الجديد[٢].

---

(١) "نحن والعولمة.. من يربي الآخر؟"، المعرفة، العدد ٤٦، محرم ١٤٢٠ هـ، أبريل – مايو ١٩٩٩، وزارة المعارف – السعودية، ١٩٩٩، ص ١٨.

(٢) توماس ل. فريدمان، السيارة ليكسس شجرة الزيتون محاولة لفهم العولمة، مصدر سبق ذكره، ص٣٠.

والعولمة على عكس نظام الحرب الباردة لها ثقافتها الخاصة بها، وهذه الثقافة تجعلها تميل نحو إيجاد التجانس، كان هذا الاتجاه نحو التجانس الثقافي في الحقب السابقة يحدث على نطاق إقليمي - الهيلينية في الشرق الأدنى وحوض البحر الأبيض المتوسط تحت حكم الإغريق، أو إسلامية آسيا الوسطى وشمال إفريقيا وأوروبا والشرق الأوسط تحت الحكم العثماني، أو التأثير الروسي في شرق أوروبا ووسطها وأجزاء من آسيا الأوروبية في ظل الاتحاد السوفيتي. العولمة من الناحية الثقافية هي إلى حد بعيد، ولكن ليس بصورة شاملة، انتشار للأمركة، بدءًا من البيج ماك والأيماك وانتهاء بميكي ماوس، على نطاق يشمل العالم[1].

والعولمة لها تكنولوجيتها المحددة الخاصة بها: دنيا الكمبيوتر، وتصغير الأشياء إلى منمنمات، والرقميات، والاتصالات عن طريق الأقمار الصناعية، وبصريات الألياف والإنترنت، وقد ساعدت هذه التكنولوجيات على إيجاد المنظور الذي يحدد العولمة، فإذا كان المنظور الذي يحدد عالم الحرب الباردة هو "الانقسام"، فالمنظور الذي يحدد العولمة هو "التكامل". كان الرمز لنظام الحرب الباردة هو السور الذي يقسم الجميع، أما رمز نظام العولمة فهو شبكة الإنترنت العالمية التي توحد بين الجميع، كانت الوثيقة التي تحدد نظام الحرب الباردة هي "المعاهدة"، أما الوثيقة التي تحدد نظام العولمة فهي "الصفقة"[2].

ولئن كان المقياس الذي تعرف به الحرب الباردة هو الثقل ولا سيما ثقل قذف الصواريخ، إلا أن المقياس الذي يعرف به نظام العولمة هو السرعة: سرعة التجارة والسفر والاتصال والابتكار، فالحرب الباردة كانت تتعلق بمعادلة الكتلة

---

(١) المصدر نفسه، ص ٣١.

(٢) المصدر نفسه، ص ٣١.

والطاقة لأينشتاين، e = mc2 (الطاقة = مربع الكتلة)، أما العولمة فتتعلق بقانون مور، الذي ينص على أن القوة الحاسبة لشذرات السيليكون سوف تتضاعف كل مدة تتفاوت بين ثمانية عشر وأربعة وعشرين شهرًا. في الحرب الباردة كان السؤال الأكثر ترديدًا هو: "ما مدى ضخامة صاروخك؟"، أما في العولمة فالسؤال الأكثر ترديدًا هو: "ما مدى سرعة المودم لديك؟"[١].

إذا كانت الحرب الباردة نوعًا من الرياضة فإنها تكون أشبه بمصارعة السومو، يقول مايكل ماندلبوم أستاذ السياسة الخارجية بجامعة جونز هوبكنز: "إنها عبارة عن رجلين بدينين ضخمي الجثة في حلبة، يقومان بكل أنواع الأوضاع والطقوس وحركات الأرجل الراقصة، ولكن لا يوجد بينهما في الواقع سوى النزر اليسير من الاتصال حتى نهاية المباراة عندما يحتدم الصراع بينهما لبرهة وجيزة ويدفع الخاسر إلى خارج الحلبة، ولكن لا تحدث أية خسائر في الأرواح"[٢].

وعلى العكس، إذا كانت العولمة نوعًا من الرياضة فإنها ستكون أشبه بسباق المائة متر المستمر مرارًا وتكرارًا، ولا يهم عدد المرات التي تفوز فيها، وإنما عليك الاشتراك في سباق اليوم التالي، أما إذا خسرت بواقع واحد على مائة من الثانية فإن الخسارة ستكون وكأنها بواقع ساعة[٣].

---

(١) المصدر نفسه، ص ٣٢ – ٣٣.

(٢) المصدر نفسه، ص ٣٤.

(٣) المصدر نفسه، ص ٣٤ – ٣٥.

إذا أعدنا ما قاله المُنَظر السياسي الألماني كارل شميت، فقد كانت الحرب الباردة عالمًا من "الأصدقاء" و"الأعداء"، أما عالم العولمة فهو على العكس يميل إلى تحويل كل الأصدقاء والأعداء إلى "متنافسين"[(١)].

ولئن كان القلق الذي تعرف به الحرب الباردة هو الخوف من الفناء على يد عدو في ظل صراع عالمي محدد وثابت، فإن القلق الذي تعرف به العولمة هو الخوف من ذلك التغيير السريع من عدو لا تستطيع أن تراه أو تلمسه أو تحسه، وهو إحساس بأن الوظيفة أو المجتمع الذي يعيش فيه المرء أو مكان العمل أن يتغير في أية لحظة بفعل قوى اقتصادية وتكنولوجية مجهولة، صفتها الوحيدة هي عدم الثبات[(٢)].

وللعولمة أيضًا طرازها الديموغرافي الخاص بها، وهو التسارع المستمر في حركة الناس من المناطق الريفية وأساليب الحياة الزراعية إلى المناطق الحضرية وأساليب الحياة الحضرية شديدة الارتباط بالموضة والطعام والأسواق واتجاهات التسلية السائدة في العالم[(٣)].

وأخيرًا، والأهم من أي شيء، أن العولمة لها هيكل القوة الذي تعرف به، والذي يتميز بأنه أكثر تركيبًا من هيكل الحرب الباردة، فقد اقتصر بناء نظام الحرب الباردة على الدول وتحقق له التوازن عند المركز بالقوتين العظميين: الولايات المتحدة، والاتحاد السوفيتي[(٤)].

---

(١) المصدر نفسه، ص ٣٥.

(٢) المصدر نفسه، ص ٣٥.

(٣) المصدر نفسه، ص ٣٦.

(٤) المصدر نفسه، ص ٣٦.

أما نظام العولمة فهو على العكس قائم على أساس ثلاثة توازنات تتداخل مع بعضها بعضًا وتؤثر في بعضها بعضًا؛ التوازن الأول يتمثل في التوازن التقليدي بين الدول؛ ففي نظام العولمة أصبحت الولايات المتحدة الآن القوة المسيطرة الوحيدة، وما زال التوازن في القوى بين الولايات المتحدة والدول الأخرى هامًّا في تحقيق الاستقرار لهذا النظام، كما أنه يفسر الكثير من الأنباء التي تقرؤها على الصفحة الأولى في الصحف، سواء كان ذلك عن احتواء بعض الدول في الشرق الأوسط، أو في توسيع حلف شمال الأطلسي في وسط أوروبا على حساب روسيا الاتحادية[١].

والتوازن الثاني في نظام العولمة هو بين الدول والأسواق العالمية، فهذه الأسواق العالمية تقوم على ملايين المستثمرين الذين يحركون أموالهم حول العالم بمجرد الضغط على فأرة الكمبيوتر (الماوس).

والتوازن الثالث في نظام العولمة هو التوازن بين الأفراد والدول؛ إذ إنه نظرًا لأن العولمة حطمت الكثير من الأسوار التي كانت تحد من الحركة والوصول إلى الناس، ونظرًا لأنها ربطت العالم كله في شبكة اتصالات عالمية، فقد أعطت مزيدًا من القوة للأفراد تمكنهم من التأثير في الأسواق وفي الدول على السواء أكثر من أي وقت مضى[٢].

ب - العولمة والدولة:

بخصوص مفهوم العولمة تثار أسئلة متعددة، من بينها: هل ظهور العولمة هو

---

(١) المصدر نفسه، ص ٣٦.

(٢) المصدر نفسه، ص ٣٧ – ٣٨.

بداية اضمحلال الدولة؟ وهل ينطبق تعريف الدولة الرخوة على دول العالم الثالث؟ وهل وصف الدولة الوطنية والقومية ينطبق على دول الجنوب؟ وإلى القول بأن الذي سيختفي ليس الدولة ولكن كيانات هشة رخوة"[١].

من وجهة نظر أنصار العولمة فإن الحدود السياسية التقليدية للوحدات الدولية بدأت في الإهمال، وذلك بسبب أن العلاقة بين التجارة والتقنية والتخوم السياسية التي كانت لردح من الزمن عاملًا من عوامل الحروب صارت مخترقة، والتجارة لم تنظر العملية السياسية لتتكيف مع التقنية، بل اتجهت لتسيرها، وهذه النقطة واضحة في العالم الأوروبي؛ إذ يؤكد مديرو الأعمال التزامهم وصول السوق الأوروبية إلى التكامل الذي تحدد موعده في عام ١٩٩٢[٢].

وفي هذا السياق يقول توماس ل. فريدمان: "إن التكنولوجيا إذا استخدمت الاستخدام السليم ووزعت بطريقة ليبرالية، فهي ليست قادرة على محو الحدود الجغرافية فحسب، بل والحدود البشرية أيضًا، ونحن نرى أن عالم اليوم الذي لا يتجاوز عمره عشر سنوات ما زال يعدنا بالكثير، وفي غضون ذلك ليس هناك من يدعي أن النمو على مر السنين كان أمرًا يسيرًا"[٣].

---

(١) أسامة أمين الخولي، في مقدمة العرب العولمة، بحوث ومناقشات الندوة الفكرية التي نظمها مركز دراسات الوحدة العربية، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ١٩٩٨، ص١١. والدكتور أمين جلال، العولمة والدولة، أمن العرب والعولمة، في العرب والعولمة بحوث ومناقشات الندوة الفكرية التي نظمها مركز دراسات الوحدة العربية، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ١٩٨٨، ص ١٦١.

(٢) ولترب رستون، أفول السيادة، ترجمة سمير عزت نصار وجورج خوري، دار النسر للنشر والتوزيع، عمان، ١٩٩٤، ص ٢٣.

(٣) توماس ل. فريدمان، السيارة ليكسس شجرة الزيتون محاولة لفهم العولمة، مصدر سبق ذكره، ص ١٢.

وفي هذا المجال يقول صموئيل هنتنغتون في كتابه "صراع الحضارات": "المرحلة المقبلة هي مرحلة الهيمنة الغربية على العالم، مرحلة بداية ما بعد الدولة القومية أو الدولة الأمة؛ أي نهاية مرحلة السيادات المتساوية للأمم والدول، ولهذا لن يعود أحد يهتم بالتقسيمات الجغرافية التي تحدد داخلها دولًا ذات سيادة". أما المفكر البريطاني بول جونسون فيذهب قائلًا: "إن بعض الدول لا تستطيع أن تحكم نفسها واستمرار وجودها، والعنف والانحدار الإنساني الذي تعيشه يشكل تهديدًا لاستقرار جيرانها، وهنا تبرز قضية أخلاقية أن على العالم المتحضر رسالة أن يخرج إلى هذه المناطق التي يحكمها اليأس ليحكمها هو!"[١].

ويمكننا توضيح هذه النقطة في الآتي: إن من أهم الواجبات الرئيسة لسلطات الدولة القومية هو إصدار العملة وتحديد قيمتها، وعلى الرغم من سلطة السوق القومية فقد ظلت حكومات إلى وقت قريب جدًّا تحتفظ بسلطتها الرئيسة في التلاعب بقيم عجلاتها.

إلا أنه نتيجة لثورة المعلومات نرى أن الدولة فقدت سلطتها في هذا الشأن، وقد برز مفهوم عدم تدخل الدولة في المرافق العامة من خلال ظهور الليبرالية الجديدة NeoliberaLismus التي تشير قائلة: (ما تقرره السوق صالح، أما تدخل الدولة فهو طالح)[٢]. وقد بلور هذه النظرية الاقتصادي الأمريكي

---

(١) الدكتور أحمد شوقي الحنفي، "النظام المادي الجديد والاستلاب الحضاري"، في ندوة التاريخ الإسلامي وأزمة الهوية، جمعية الدعوة الإسلامية العالمية، طرابلس، ليبيا، ٢٠٠٠، ص٩٣.

(٢) فيما يخص السوق الحرة وعدم تدخل الدولة في المرافق الاقتصادية في الولايات المتحدة، راجع:

Richard N.Hass and Robert E. Litan, Globalization its Discontents Navigating the Dangers of a Tangled world,(Foreign Affairs, May / June, 1998, pp.3-4.

=

ملتون فريدمان، وقد تبنت الغالبية العظمى من الدول الأوروبية هذه النظرية في الثمانينيات من القرن العشرين، ونتيجة لذلك فقد صارت الدولة تشجع تحرير التجارة، وحرية تنقل رءوس الأموال وخصخصة المشروعات والشركات الحكومية، والمتمثلة في البنك الدولي، وصندوق النقد الدولي IMF، ومنظمة التجارة العالمية WTO، وقد ساعدت جملة أمور على بروز هذه النظرية من بينها انهيار نظام الحزب الواحد في الاتحاد السوفيتي، الذي منحها الإمكانية كي تصبح ذات أبعاد دولية. وعليه نرى أنه منذ انهيار هذا النظام أصبح التأكيد على بناء ديكتاتورية السوق العالمية(١).

ومن تطبيقات الليبرالية الجديدة ما تشهده الولايات المتحدة من جرائم ترتكب، بحيث أصبحت وباءً واسع الانتشار، وعلى سبيل المثال فإن الإنفاق على السجون في ولاية كاليفورنيا يبلغ المجموع الكلي لميزانية التعليم، وهناك ٢٨ مليون مواطن أمريكي -أي ما يزيد على عشر السكان- قد حصنوا أنفسهم في أبنية وأحياء سكنية محروسة، وليس من الغريب أن ينفق الأمريكيون على حراسهم المسلحين ضعف ما تنفق الدولة على الشرطة(٢).إن فكرة اضمحلال الدولة تحدث عنها كارل ماركس، مشيرًا إلى أن تدخل الدولة في العلاقات

= يعود اضمحلال دور الدولة في تلك الدول التي كانت تؤمن بأهمية المناقشة في النظام السياسي الداخلي، وفي تلك الدولة التي حملت شعار "دعه يعمل دعه يمر" وهذا الشعار كان يعني قيام الدولة بعدم التدخل في مرافق الدولة الأخرى. راجع: أمين جلال، مصدر سبق ذكره، ص ٢١.

(١) بيتر تين هارلدشومان هانس، فخ العولمة الاعتداءات على الديمقراطية والرفاهية، ترجمة الدكتور عدنان عباس علي، عالم المعرفة، الكويت، ١٩٩٨، ص ٣٤.

(٢) المصدر نفسه، ص ٣٥.

الاجتماعية يصبح عديم الفائدة؛ لأنه في نهاية الأمر -أي بعد الثورة البروليتارية- تحل حكومة الأشخاص محل إدارة الأشياء التي تقوم بتوجيه سير الإنتاج، وفي مثل هذه الحالة لم تلغ الدولة بل إنها تذبل[١].

وعليه فقد ذهب ماركس قائلًا: (إن الدولة هي دائمًا وأبدًا أداة الطبقات للسيطرة لقهر الطبقات الأخرى، أو هي دائمًا وسيلة الطبقات المسيطرة لتحقيق تلك الأهداف التي يحتاج تحقيقها إلى استخدام صورة أو أخرى من صور القهر[٢].

أشار إلى ذلك بوضوح أنجلس عندما قال: (الدولة لا تلغى، إنها تضمحل، وعلى هذا الأساس ينبغي أن ينظر لعبارة "الدولة الشعبية الحرة" وينبغي أن ينظر أيضًا لمطلب من يسمون بالفوضويين القائل بإلغاء الدولة بين عشية وضحاها).

وهذا يعني أن ماركس يؤكد على اضمحلال الدولة، في حين يتحدث الفوضويون عن إلغاء الدولة؛ إذ إن البروليتاريا كما يقول أنجلس تأخذ سلطة الدولة، وتحول وسائل الإنتاج إلى ملك للدولة. وفي رأي أنجلس إنه بعد الثورة البروليتارية تضمحل الدولة البروليتارية أو شعبة الدولة. إن البروليتارية برأي ماركس ليست بحاجة إلا لدولة في طريق الاضمحلال؛ أي مبنية بشكل لا مندوحة لها معه عن أن تأخذ بالاضمحلال على الفور ومن أن تضمحل[٣].

---

(١) الدكتور منذر الشاوي، في الدولة، مطبعة شفيق، بغداد، ١٩٦٥، ص ٣٧. وبيتر مارتين هانس، مصدر سبق ذكره، ص ٣٧.

(٢) جلال أمين، العولمة والدولة، مصدر سبق ذكره، ص ٣٧.

(٣) لينين، مختارات، ج ٢، دار التقدم، موسكو، ١٩٦٨، ص ١٩٢ –٢٠٢.

إن جون هيرز أشار في نهاية الخمسينيات إلى إمكانية احتمال انقراض دور الدولة على ضوء التطورات التقنية، ولا سيما في مجال الأسلحة، وعلى الرغم من أن هيرز قد عدل أفكاره في مستهل الستينيات فإنه أشار إلى أن السياسة التقليدية نتيجةً للتحديات التقنية والاقتصادية والنفسية قد تواجه تقلصًا في دورها، وقد أشار إلى هذا كل من ريموند فرنون وهاري جونسون في بداية السبعينيات[١].

وفي هذا السياق، قال مساعد وزير الخارجية الأمريكية جورج بول في إدارة الرئيس الأمريكي الأسبق جون كيندي أمام اللجنة الوطنية البريطانية المنبثقة من غرفة التجارة الدولية عام ١٩٦٧: "إن الحدود السياسية للدول ذات القومية الواحدة ضيقة للغاية ومضغوطة، وأعجز من أن تقدر على تحديد آفاق ومدى النشاطات والأعمال الحديثة والعصرية. إن سياسة التصنيع للأسواق المحلية وتصدير الفائض إلى الخارج لم تعد فعالة، بل أصبحت عاجزة عن إحداث الأثر المطلوب. إنه ينبغي تعبئة وسائل الإنتاج: رأس المال، العمالة، المواد الخام، المصانع والتسويق، بطريقة أكثر فاعلية، وهذا بالمقابل لن يصبح ممكنًا ومتاحًا إلا بعد أن يتوقف دور الحدود القومية في رسم وتحديد الآفاق الاقتصادية"[٢].

وقد علقت مجلة الإيكونومست البريطانية على ذلك قائلة: (إن مقولة الانحسار الكبير في سيادة الدولة القومية هي بمثابة خرافة، على الرغم من أنها

---

(١) تعقيب متروك الفالح على بحث جلال أمين (العولمة والدولة)، مصدر سبق ذكره، ص ١٧٢ – ١٧٣.

(٢) عبد الحي يحيي زلوم، مصدر سبق ذكره، ص ٣٤٨.

ترحب بأن تسيطر قوى الأسواق المالية وتلزم الحكومات باتباع سياسات تعدها رشيدة"[١].

والحق، أصبحت الحدود لها أهمية أكثر من أي وقت سبق، وتتضمن مناطق اقتصادية من ألفي ميل بعد المياه الإقليمية، أما الحدود الضريبية فإنها تتخطى ذلك؛ إذ يسعى كل بلد لفرض ضرائب على الشركات المتعددة الجنسيات، وأخذ حصة من أرباحها على حساب الدول الأخرى[٢].

وهنا لا بد من التأكيد على أن ضعف الحكم والإدارة[٣] يقوض مبدأ الوطنية الذي قام عليه النظام العالمي الحديث في الحقبة التي أعقبت معاهدة وستفاليا، ويعزى السبب في ذلك إلى أن المعضلات الكثيرة التي تولدها الدول الضعيفة لنفسها وللوحدات الأخرى تزيد بشكل كبير احتمال أن تسعى وحدة دولية أخرى في النظام الدولي إلى التدخل في شئونها الداخلية ضد إرادتها لحل تلك المعضلات بالوسائل غير السلمية[٤].

---

(١) محمد الأطرش، (العرب والعولمة، ما العمل؟) مصدر سبق ذكره، ص ٤١٣. وهانس بيتر مارتين، مصدر سبق ذكره، ص ٣٤٧ – ٣٥٦.

(٢) ليتواك، مصدر سبق ذكره، ص ٤٥.
عندما ظهرت العولمة وبزغت الشركات متعددة الجنسيات، أرخت الدول القومية في العالم الثالث من هيمنتها على الاقتصاد والمجتمع من أجل تحقيق مصالح هذه الشركات. راجع: أمين جلال، مصدر سبق ذكره، ص ٢٧.

(٣) تشير كلمة "الضعف" في هذا المجال إلى قوة الدولة لا مداها، وبتعبير أدق ضعف القدرة المؤسساتية لتنفيذ وفرض السياسات، بسبب افتقار النظام السياسي برمته في أحيان كثيرة إلى أساس الشرعية. راجع: فرانسيس فوكوياما، بناء الدولة النظام العالمي ومشكلة الحكم والإدارة في القرن الحادي والعشرين، ترجمة مجاب الإمام، العبيكان للنشر، الرياض، ٢٠٠٧، ص ١٧٠ – ١٧١.

(٤) المصدر نفسه، ص ١٧٠.

وفي واقع الأمر، بدأ اضمحلال السيادة قبل ذلك في التسعينيات خلال ما يسمى بالتدخلات الإنسانية التي مهدت الطريق أمامه؛ إذ أدت تجارب المجتمع الدولي في الصومال وهاييتي وكمبوديا ودول البلقان وغيرها إلى تعزيز مسألة موضوع التدخل الإنساني[١].

أكد مؤيدو مبدأ التدخل الإنساني أن النظام العالمي الذي أعدته معاهدة وستفاليا لم يعد يشكل الإطار المناسب للعلاقات الدولية المعاصرة؛ لأن ذلك النظام انبنى أساسًا على غموض متعمد حول مسألة السيادة[٢].

يذهب هذا الرأي إلى أن نهاية الحرب العالمية الثانية أحدثت إجماعًا أكبر من ذي قبل داخل المجتمع الدولي حول مبدأي الشرعية السياسية وحقوق الإنسان، بحيث لم يعد بالإمكان التسليم بالسيادة الوطنية، وبالتالي إضفاء الشرعية بشكل أوتوماتيكي على من يمتلك مقاليد السلطة في دولة ما بحكم الواقع[٣].

أدت التدخلات الإنسانية في التسعينيات إلى توسيع سلطة ما أصبح بحكم الواقع إمبريالية دولية على جزء ما يطلق عليه "بالدول الفاشلة" من العالم، وفي الغالب شكلت القوة العسكرية الأمريكية رأس الحربة في هذه التدخلات، وتبعتها عملية بناء الأمة بالاشتراك مع تحالف عريض مكون بصورة رئيسة من الدول الأوروبية وأستراليا ونيوزيلاندا واليابان، وفي كل من الصومال وكمبوديا والبوسنة وكوسوفو وتيمور الشرقية وأفغانستان لم يعد المجتمع الدولي كيانًا

(١) المصدر نفسه، ص ١٧١.

(٢) المصدر نفسه، ص ١٧١.

(٣) المصدر نفسه، ص ١٧١ – ١٧١.

مجردًا، بل اكتسب حيوية كبيرة؛ إذ أصبح الحكومة الفعلية للدولة المعنية، في حين تم تعليق السيادة الوطنية لهذه الدول، وأنيطت وظائف الحكم فيها إلى منظمة الأمم المتحدة أو وكالات الغوث والمنظمات غير الحكومية. وفي حالة تيمور الشرقية أصبح موقع السلطة والسيادة سفينة في المرفأ خارج العاصمة ديلي، وقد تكون هذه السلطة الإمبراطورية الدولية العليا طيبة النوايا، وقد تكون قائمة على الديمقراطية وحقوق الإنسان، لكنها في كل الأحوال سلطة إمبريالية عليا، شكلت سابقة في نزع السيادة وتسليمها إلى حكم الهيئات والوكالات الدولية[١].

ومن تطبيقات اضمحلال نفوذ الدولة الشركات العملاقة[٢].

---

(١) المصدر نفسه، ص ١٧٢ – ١٧٣.

(٢) ألفن توفلر، تحول السلطة بين العنف والثروة والمعرفة، ط٢، تعريب ومراجعة الدكتور فتحي حمد بن شتوان ونبيل عثمان، طرابلس، ليبيا، ١٩٩٦، ص ٢٤١.

إن تعبير الشركات (المتعددة الجنسيات أصبح الآن باليًا، ذلك لأن مثل هذه الشركات الضخمة لا جنسية لها أساسًا، لقد كانت الشركات ذات الطابع الدولي تنتمي حتى عهد قريب لهذه الدولة أو تلك، حتى ولو كانت تعمل في كل أرجاء العالم، فشركة IBM كانت بدون شك شركة أمريكية، إلا أن تحديد جنسية الشركات الآن بات أصعب في ظل نظام خلق الثروة الجديدة، ففرع شركة IBM في اليابان يعد من وجوه كثيرة شركة يابانية، وشركة فورد تملك ٢٥٪ من شركة مازدا، وشركة هوندا تصنع سيارات في الولايات المتحدة وتبيعها في اليابان، وشركة جنرال موتورز هي أكبر مالكة لأسهم شركة أيسوزو، يقول كينيشس أوهامي: (من الصعوبة تحديد جنسية الشركات الدولية، إنها تحمل علم عملائها وليس علم بلادها). ما هي جنسية شركة فيزا إنترناشيونال قد يكون مقرها الرئيس في الولايات المتحدة، لكنها مملوكة لنحو ٢١ ألف مؤسسة مالية في ١٨٧ قطرًا أو إقليمًا"، وتم تشكيل مجلس إدارتها ومجالس إدارتها الإقليمية بطريقة تمنع أية دولة بمفردها من امتلاك ٥١٪ من الأصوات فيها. راجع: المصدر نفسه، ص ٢٩٠.

=

باقتصاديات التوسع اللاحجمي. والحق أن الشركات الضخمة ستصبح أكثر اعتمادًا في اقتصاد الغد على قاعدة عريضة في المنشآت الموردة الصغيرة حجمًا" لكن الأكثر حيوية ومرونة والتي ستكون أغلبها منشآت يديرها الأسر[1].

= يوجد في العالم ما يقارب ٤٠ ألف شركة متعددة الجنسيات، تبلغ إيراداتها أكثر من نصف الناتج الإجمالي العالمي، وقيمة أصولها تقارب ٩٤ تريليون دولار، أما الشركات الخمسمائة الأولى من هذه الشركات فهي موجودة في دول الشمال والتي عددها ٤٧٢ شركة مقابل ٢٨ شركة في الجنوب، وبلغت إيراداتها في عام ١٩٩٦ ما يقارب ١١٤٣٥ تريليون دولار؛ أي أن إيرادات هذه الشركات الخمسمائة فقط تعادل ٤١٪ من الناتج المحلي العالمي و٦٤٪ من الناتج الإجمالي الأمريكي. راجع: الدكتور رسلان خضور، والدكتور سمير إبراهيم حسن، (مستقبل العولمة)، مصدر سبق ذكره، ص ١٢.

(١) المصدر نفسه، ص ٢٤١.

لم تكن الشركات متعددة الجنسيات جديدة، بسبب أنها ظهرت في أواخر القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين، وقد ساعدت تقنية الاتصالات على ذلك، متجسدة في اختراع جهاز البرق، وغياب الحروب في إطار القوى الكبرى، فمثلًا في عام ١٩٠٠ كان في حوزة عائلة روتشليد فروع في فرانكفورت وفينا وباريس ولندن، وتميزت هذه الفروع بوجود اتصال يومي فيما بينها، كما كانت شركة (لويدز ولندن) قبيل عام ١٩١٤ قد اعتمدت لدى القطاع الأعظم في صناعة السفن الألمانية كشركة للتأمين على السفن الألمانية، كما كان لدى شركة (ليفرز برذرز) المعروفة باسم (يونيليفر) مصانع إنتاجية تمتد من غرب إفريقيا إلى الهند، كما كانت هناك شركات من هذا النوع في مجال النفط قطعت الأرض طولًا وعرضًا لغرض التنقيب عن مصادر جديدة للنفط، فيما كانت تنقل النفط المكرر من سوق إلى أخرى، كما سلكت شركة فورد طريقًا عالميًا عندما اتخذت قرار صنع السيارات والشاحنات على جانبي الأطلسي. راجع: بول كيندي، الاستعداد للقرن الحادي والعشرين، ترجمة محمد عبد القادر وغازي مسعود، دار الشروق للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ١٩٩٣، ص ٧٢.

إن خمس دول هي: الولايات المتحدة، واليابان، وفرنسا، وألمانيا، وبريطانيا تتوزع فيما بينها ١٧٢ شركة من أصل ٢٠٠ من أكبر الشركات العالمية، وهذه الشركات المائتان العملاقة هي التي تسيطر عمليًا على الاقتصاد العالمي[١] وفي رأي أنصار العولمة فإن الشركات والمؤسسات المتعددة الجنسيات التي تتولى التيسير والقيادة عبر العالم، وهي بذلك تحل محل الدولة في كل مكان[٢].

علق وزير الخارجية الأمريكي السابق جورج شولتز على هذه الشركات قائلًا: (قبل بضعة أشهر رأيت صورة رقعة شحن رادارات متكاملة أنتجتها إحدى الشركات الأمريكية تقول: "صنعت في واحد أو أكثر من الأقطار التالية:

---

(١) الجابري، مصدر سبق ذكره، ص ١٤٠.

عندما انهارت دولة الاتحاد السوفيتي والمنظومة التابعة لها، بلغت نسبة أرباح الشركات الأمريكية مقارنة مع أرباح جميع الشركات بالعالم هي النسبة نفسها بين حجم الاقتصاد الأمريكي بالمقارنة مع حجم الاقتصاد العالمي وذلك في سنة ١٩٩٢.

وخلال سنوات قليلة فقط أصبحت نسبة حصة الشركات الأمريكية عام ١٩٩٨ ضعف ما كانت عليه، وفي الوقت نفسه تقلصت نسبة أرباح الشركات اليابانية بالمقارنة مع أرباح الشركات العالمية من ٥ و١٧٪ سنة ١٩٩٢ إلى ٧٪ فقط سنة ١٩٩٨. راجع: عبد الحي يحيى زلوم، مصدر سبق ذكره، ص ١٠.

وإذا تناولنا بالدراسة أضخم مائة اقتصاد في العالم فسنجد أن أكثر من ٥٠٪ منها ممثلة في شركات، والباقي دول. إن شركة متعولمة واحدة لديها دخل ومبيعات سنوية تفوق مجموع إجمالي الناتج القومي لتسع دول يبلغ تعداد سكانها ٥٥٠ مليون نسمة، أو ما يعادل ١٠٪ من تعداد السكان في العالم، وتخضع ٢٥٪ من الموجودات في العالم لهيمنة ٣٠٠ شركة معولمة فقط، كما تبلغ الموجودات المجمعة لأكبر ٥٠ مصرفًا تجاريًا ومؤسسة مالية في العالم ما يعادل زهاء ٦٠٪ من الأسهم العالمية العاملة في رأس المال المنتج. راجع: المصدر نفسه، ص ١٤٧.

(٢) الجابري، مصدر سبق ذكره، ص ١٤٧.

كوريا، هونغ كونغ، ماليزيا، سنغافورة، تايوان، فوريسوس، تايلاند، إندونيسيا، المكسيك، الفلبين. وبلاد المنشأ الصحيح غير معروفة. وتقول تلك الرقعة الكثير عن المكان الذي تقودنا إليه الاتجاهات العصرية)[١].

يعلق ألفن توفلر على هذه الشركات قائلًا: (إن البيروقراطية في الواقع ضرب من الإمبريالية بحكم المستعمرات الخفية المتنوعة في الشركة، وهذه المستعمرات هي تلك المجموعات غير الرسمية والمكبوتة أو السرية التي لا حصر لها، والتي تعمل على إنجاز الأعمال بطريقتها في أية شركة كبيرة عندما يقف التنظيم الرسمي في طريقها، وكل منها يقوم بجمع كتلة فريدة ومتميزة في المعرفة، يتم تنميتها وتنظيمها خارج هيكل الوحدات المتعلقة الرسمية للجهاز البيروقراطي، ولكل واحدة من هذه المستعمرات قياداتها الخاصة وهيكل السلطة اللارسمي الخاص بها، وجميعها نادرًا ما تعكس الهرم البيروقراطي الرسمي)[٢]. وعليه نرى أن رؤساء دول أو حكومات عندما يقومون بزيارة دول أخرى يقومون بتشكيل وفد يتكون من رجال الأعمال وفي معيتهم مشروعات عقود كبيرة، وأصبح تقويم الزيارة على مدى ما قام به هؤلاء من إبرام العقود مع تلك الدول[٣].

وعلى المستوى الداخلي فإن غالبية الأحزاب السياسية الكبيرة تتلقى دعمًا ماليًّا كبيرًا من شركات معينة، والحق أن بعض هذه الأحزاب تمول من قبل الشركات حتى لا تكون نتيجة الانتخابات بأي شيء سلبي يمكن أن يضايقها.

---

(١) رستون، مصدر سبق ذكره، ص ٢٢.

(٢) توفلر، تحول السلطة بين العنف والثروة والمعرفة، مصدر سبق ذكره، ص ٢٤٤.

(٣) إسماعيل صبري عبد الله، العرب والعولمة: العولمة والاقتصاد والتنمية العربية (العرب والكوكبة)، في ندوة العرب والعولمة، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ١٩٩٨، ص ٣٧٤.

وهكذا تحول رجال الدولة States Men إلى بائعين Sales Man، وظهرت في الولايات المتحدة دعوة قيادات الشركات الكبرى لأن يتحلوا ببعض صفات رجال الدولة؛ أي أن يراعوا الجوانب السياسية والاجتماعية وضرورات الاستقرار إلى جانب اهتمامهم الأصيل بتنظيم الربح[١].

والحق أن حجم الفساد السياسي في الدول الديمقراطية الغنية مرتبط بتراجع دور الدول وهيبة كبار المسئولين فيها أمام ما تملكه الشركات الكوكبية من نفوذ وسلطان وأموال تتزايد باستمرار[٢].

---

(١) المصدر نفسه، ص ٣٧٤.

تجدر الإشارة في هذا المجال إلى أن الشركات متعددة الجنسيات في تحركها في المجال الدولي تستعين بجهود هيئات ومؤسسات أخرى، منها على سبيل المثال المؤسسات المالية الدولية كصندوق النقد الدولي والبنك الدولي، وبعض الوكالات المتخصصة التابعة للأمم المتحدة في مجالات التنمية والثقافة. راجع: الدكتور جلال أمين، مصدر سبق ذكره، ص ١٩.

وهي تساعد الشركات متعددة الجنسيات على ممارسة العولمة بصورة فعلية من خلال برامج صندوق النقد الدولي والوصايا العشر والإصلاح الهيكلي والخصخصة وشروط البنك الدولي وأحكام اتفاقيات الجات. راجع: الدكتور رسلان خضور، الدكتور سمير إبراهيم حسن، (مستقبل العولمة) مصدر سبق ذكره، ص ١٦.

(٢) في السبعينيات عملت وكالة المخابرات المركزية الأمريكية على زعزعة حكومة الليندي في تشيلي لصالح شركة ITT وغيرها من الشركات الأمريكية، وقد تم اغتياله في عام ١٩٧٦ من خلال انقلاب عسكري خططت له ومولته وكالة المخابرات ذاتها (حصل سلفادور الليندي غوسنس في ٤ أيلول من العام ١٩٧٠على أغلبية الأصوات في الانتخابات الرئاسية، التي كانت تدور بين ثلاثة مرشحين، ونال ٣٦،٢٪ متفوقًا هكذا على المرشح الذي وصل إلى الدرجة الثانية بتسعة وثلاثين ألف صوت. ولدى مقارنة ذلك بالأصوات التي نالها في انتخابات عام ١٩٦٤ فهي تقل بثمانية وثلاثين وتسعة بالعشرة من مائة عما حازه حينذاك، وأدى إلى هزيمته من قبل =

=

إدواردو فراي مونتالفا، ولكن في العام ١٩٧٠ فإن القانون حرم على فراي ذي الشعبية تجديد ولايته، وعدد الأصوات المرتفعة ضد اللندي، والذي قدر باثنين وستين وسبعة بالعشرة من مائة، كان هذا العدد موزعًا بين مرشحين اثنين. وعلى البرلمان التشيلي تنظيم انتخابات أخرى للتمكن من الترجيح بين المرشحين إذا لم يحصل أحد منهم معدل الأصوات المطلوب. وبصورة تقليدية فإنه البرلمان الذي يساند المرشح الحائز على معدل نسبي. كان الكل يتوقع هذا وأن يصبح سلفادور اللندي رئيس جمهورية تشيلي. تجدر الإشارة في هذا المجال إلى أن اللندي قد أسس حزب تشيلي الاشتراكي الذي لم يكن ليتميز عن الحزب الشيوعي سوى بالكشف عن ثوريته والقيام بأعمال ينم عنها برنامجه، كما أنه لم يكن أكثر ديمقراطية في فلسفته، وأراد الاستيلاء على السلطة قبل المباشرة بالثورة، لكن البرنامج الاشتراكي والسياسي الذي كان يحدد مبادئه لم يكن مختلفًا عن برنامج الحزب الشيوعي، والمبدأ الأساسي في برنامج الحزب هو إلغاء الممارسات الديمقراطية البرجوازية. وعلى التحديد فإن انتخابه سيكون آخر انتخاب ديمقراطي. للمزيد من التفاصيل حول ذلك راجع: مذكرات كيسنجر في البيت الأبيض، ط ٥، الجزء الثاني، ترجمة خليل فريجات، دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر، دمشق، ١٩٩٩، ص ٥١٨ - ٥٢٥، ومذكرات كيسنجر في البيت الأبيض، الجزء الرابع، ص ١٦٨ – ٢٠٩. وعبد الحي يحيى زلوم، مصدر سبق ذكره، ص ١٥٤.

صور الروائي ألفريد كويل هذا الوضع تمامًا، تقوم شركة دولية ضخمة بإنشاء جيش خاص بها لحماية حقول النفط من هجوم إرهابي متوقع، وتتصرف الشركة على هذا النحو بمفردها نظرًا لعدم تمكنها من حمل الحكومة التي تنتمي إليها على حماية مصالحها.

عندما احتجزت إيران بعض المستخدمين لدى البليونير روس بيرو كرهائن، لجأ إلى استئجار بعض أفراد الصاعقة السابقين ليدخلوا إيران وينقذوا أولئك الرهائن. راجع: توفلر، تحول السلطة بين العنف والثروة والمعرفة، مصدر سبق ذكره، ص ٥٩١ – ٥٩٢.

وفي هذا المجال يقول توفلر: (كيف يكون للمستشفى وظيفة اقتصادية فضلًا عن وظيفتها العلاجية والطبية؟ وكيف يكون للمدرسة وظيفة سياسية فضلًا عن وظيفتها التعليمية؟ أو أن للشركات وظائف اقتصادية أو غير اقتصادية؟).

وفي هذا المعنى يقول هنري فورد الثاني: (إن الشركة أداة متخصصة مصممة لتسد الحاجات

=

وأما على المستوى الدولي فنرى أن عصر استعمار الشركات محل الاستعمار الذي كان يتمثل في الاحتلال الفعلي للدول الأخرى، وهو أكثر جشعًا ومكرًا واستشراءً من الاحتلال الفعلي المباشر؛ لأنه في الغالب استعمار غير منظور(١).

إن تحركات وأنشطة الاحتكارات التجارية والصناعية والمعلوماتية والإعلامية في العالم الغربي كانت تتم إلى وقت قريب في إمكانية خرق الحدود، وخارج الحدود السيادية للدول والمجتمعات فيما يطلق عليه Trans Border Trends أو فيما يسمى بـ"فوق الإطار الوطني" أو الترابي Supralerritoriality وقد انطلقت هذه التحركات من إنشاء فروع للشركات العملاقة المتعددة الجنسيات تربط الميدان الإنتاجي والسلعي والخدمي ثقافيًّا كان أو ماديًّا بنمط الإنتاج وشروط تقسيم العمل الدولي، وتوزيع الموارد وتخصيصها، وإعادة توزيع الموارد التي تمليها هذه الشركات(٢).

الاقتصادية للمجتمع، وهي ليست مستعدة تمامًا لتسد الحاجات الاجتماعية غير المرتبطة بالعمليات التجارية).

ولكن من ناحية أخرى نرى أن هناك آراء تذهب على العكس من ذلك؛ إذ أشارت شركة AMOCO النفطية الرائدة (إننا في سياسة شركتنا، فيما يخص مواقعها وفي تكامل التطور الاقتصادي الاعتيادي باستكشاف التبعات الاجتماعية؛ ننظر إلى عوامل كثيرة ومن بينها التأثير على المحيط الطبيعي والتأثير على الخدمات العامة والتأثير على ظروف الاستخدام المحلية وخصوصًا فيما يخص الأقليات). راجع: ألفن توفلر، حضارة الموجة الثالثة، ترجمة عصام الشيخ قاسم، الدار الجماهيرية للنشر والتوزيع والإعلان، بنغازي، ١٩٩٠ ص ٢٥٩. وعبد الحي يحيى زلوم، مصدر سبق ذكره، ص ١٥٤.

(١) عبد الحي يحيى زلوم، مصدر سبق ذكره، ص ١٠٢

(٢) أحمد ثابت، (العولمة والخيارات المستقلة)، المستقبل العربي، العدد ٢٤٠، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ١٩٩٩، ص ٩.

=

فضلًا عن ذلك، هناك مخاوف من التأكيد على حق الدول في تقرير المصير والدول التي تكافح من أجل الحفاظ على سيادتها الإقليمية، وخير دليل على ذلك هو ما يحدث في يوغسلافيا السابقة وأجزاء أخرى من العالم، ويصاحب ذلك التنقل المستمر للأشخاص عبر الحدود كلاجئين، فضلًا عن انتقال الأشخاص من الجنوب إلى الشمال. إن ثورة الاتصالات والإصرار الكبير للأشخاص على الحصول على هويات سياسية جديدة داخل وضمن الدول يؤديان إلى الانهيار وخلق دول جديدة، وليس بروز دول قوية؛ لذا فإن المرحلة الحالية في هذا القرن تختلف عن المرحلة ذاتها في نهاية القرن التاسع عشر؛ ففي القرن الماضي؛ أي انتشار الرأسمالية إلى انبثاق دول مستقلة وصاحبة سيادة. وفي المرحلة الحالية فإن ظهور العولمة يعني خلق دول ضعيفة ومحو الدول، وهذا يعني بحد ذاته تباينًا في حقيقة العولمة في الأنظمة الرأسمالية[1].

=

أقيمت مؤخرًا ندوة في الولايات المتحدة عن العولمة، أكد المشاركون فيها أنه في عام ٢٠١٠ ستلغى الحدود بين الدول.

(1) Gupta, Rakesh, "Interdependence and Security Among States in the 1990s, Op.Cit., 94

عندما أعلن غورباتشوف عن البيروسترويكا، تحدث البعض الآخر في الغرب عن "بيروسترويكا لأمريكا؛ لأن بيروسترويكا غورباتشوف أدت إلى خلق تحديات أمنية جديدة بالنسبة للمجتمعات الغربية، وقد واجهت المهمة الجديدة الرامية إلى خلق تنظيم للحياة السياسية أكثر شمولًا واستقرار وفعالية، فما يعد الأمن مرتبطًا بالقوة العسكرية، وهو مشمول يبعد على نطاق واسع يتضمن إدخال مشكلات مثل التسرب الحاصل في طبقة الأوزون والتفوق الاجتماعي لحتمية التكنولوجيا الجديدة وخلق توازن جديد بين الاستهلاك والموارد، بين الإنسان والطبيعة، وإيجاد مجتمع حر يمكنه توسيع حجم إمكانات المشاركة. راجع:

=

وعلى الرغم من كل هذه النقاشات حول الدولة القومية، وحول نقل السلطة وولاء الجماعات، لا زالت الهياكل القديمة قائمة، بل يزداد التمسك بها حقًّا في النظام السياسي الدولي، ولربما حدث شيء من التآكل في قوى الدولة القومية في السنوات الأخيرة، ولكن تبقى الدولة المصدر الرئيس للهوية الشخصية لغالبية شرائح الرأي العام المحلي، وبصرف النظر عن أرباب العمل الذين يدفعون الضرائب للدولة ويخضعون لتشريعاتها، وينضمون في سلك الجيش خدمة للعلم ولا يستطيعون الانتقال إلى خارج تخوم الدولة بدون جوازات سفر، فضلًا عن ذلك، في حالة حدوث تحديات كالهجرة غير القانونية أو الزراعة بأساليب التكنولوجيا يعود المواطنون نحو حكوماتهم من أجل إيجاد حلول لذلك، ولا تزال الحكومات والبرلمانات القومية تسهم في عملية القرار فيما يخص إلغاء الرقابة على النقد، والسماح باستخدام التكنولوجيا الرئيسة، والحد من انبعاث أدخنة المصانع أو دعم سياسة سكانية معينة[1].

وأكثر من هذا، حتى في حالة المساس بالسيادة الإقليمية ووظائفها للتآكل نتيجة بروز القضايا المتعلقة بتجاوز الحدود القومية، ولا سيما أنه لم يظهر حتى الآن البديل المناسب الذي يحل محل الدولة، على أساس أنها الوحدة الأساسية التي لها المكنة من الاستجابة للمتغيرات الخارجية، كما أنها تبقى الطريقة التي من

=

Ferderich kratchwi "The Challenge of Security in a Changing World, Journal of International Affairs, vol,13, No. I Summer / fall 1989,p.141.

ولسترثورو، المتناطحون المعركة الاقتصادية القادمة بين اليابان وأوروبا وأمريكا، ط٢، مركز الإمارات للدراسات والبحوث الإستراتيجية، أبو ظبي، ١٩٩٦، ص ٢٧٤.

(١) بول كيندي، الاستعداد للقرن الحادي والعشرين، مصدر سبق ذكره، ص١٨٠.

خلالها تستعد الزعامة السياسية لتهيئة مواطنيها للاستعداد من أجل الانتقال إلى القرن الحادي والعشرين(١).

فاتفاقية الجات والبنك الدولي واتفاقية التجارة الكندية – الأمريكية وظهور الاتحاد الأوروبي ما هي إلا أمثلة على العولمة؛ لذا فإن نظام القطب الواحد لا يعني تدمير الدول إلى حد كبير، بل إجراء تغيير في طبيعة الدولة من دولة مرفهة إلى دولة ليبرالية يخدمه احتكار القلة(٢).

إحدى الوسائل الرامية إلى فهم مسألة جعل الدول تقوم بدور الشرطي تكمن في الاتكال على النظرية الاعتمادية. والحق أن روزيناو اقترح في عام ١٩٨٠ هذه النظرية التي سبقه إليها كل من كوهين وناي، وفي هذا المجال قال روزيناو: (يمكن القول دون أية مبالغة بأن الحجم الهائل والزيادة السريعة للتجارة الدولية الرامية إلى ضمان السلام في العالم، هو ضمان دائمي لتقدم الأفكار والأعراف وسمة سباق (الإنسان) وتحدث هيدلي بول عن هذا المنهج قائلًا: (الإيمان بأن نظام العلاقات الدولية الذي أدى إلى نشوب الحرب العالمية

---

(١) المصدر نفسه، ص ١٨١.

لا زالت دولة الكيان الصهيوني تتدخل في قضايا الاقتصاد والمجتمع، وبينما تسرح دول أخرى الجيوش أو تخفض إنفاقها على السلاح، تتمسك هي بجيشها وتزيده قوة، وهي لا تتلقى التوجيهات من صندوق النقد الدولي أو البنك الدولي، ولكن من ناحية أخرى تدافع عن النظام الشرق أوسطي الذي هو عولمة مصغرة، في الوقت الذي تغفل الدولة الصهيونية فيه عكس ذلك بالضبط، فتتمسك بأيديولوجيتها، وترفض الانفتاح على الآخر، وتضحي بالاعتبارات الاقتصادية إذا تعارضت مع الأهداف السياسية، وتتمسك بالولاء التقليدي للأمة والوطن، وتمارس الحرب باستمرار. راجع: الدكتور جلال أمين، مصدر سبق ذكره، ص ٢٩–٣٠.

(2) Ibid.,p.95.

الأولى كان بالإمكان تحويله إلى نظام عالمي أكثر سلمًا وعدالة إلى حد كبير، وباقي ذلك في ظل تأثير إضعاف الديمقراطية ونمو الفكر الدولي، وتطوير عصبة الأمم والمساعي التي يبذلها رجال السلام أو التنوير الذي انتشر عبر تعاليمهم، فضلًا عن أن مسئوليتهم كفنيين في العلاقات الدولية تختلف في دعم مسيرة التقدم هذه من أجل التغلب على اللامبالاة والتحيز والإرادة الضعيفة والمصالح الشريرة التي تقف في طريقها[1].

وفيما يخص الإمكانات الخلابة لاتحاد عالمي التي اعتمدت على الرأسمالية التي تضمن السلام؛ قد برزت إلى الأفق من جديد في هذه المرحلة؛ إذ سلطت

---

(1) Ibid., p.96.

إن موقف الإدارة الأمريكية في التحالف السياسي العسكري لحلف شمال الأطلسي لا يتناسب مع موقف الأعضاء الآخرين في الحلف؛ إذ إن هناك تباينًا بين الهيمنة الأمريكية والتعاضد الذي كان ينشده الأعضاء الآخرون.

ومن ناحية أخرى، فإن ما أشار إليه المنظرون في مجال الاعتمادية هو أن المفهوم القديم لتوازن القوى لم يعد ساري المفعول، وإن توازن القوى الجديد يعني أن توزيع القوة الاقتصادية لم يعد مقتصرًا على الولايات المتحدة، وإن الدول ستعمل في حالة عدم وجود تكاليف أخرى على تحسين موقفها النسبي من توازن القوى. راجع:

Ibid.,p.98.

وفي هذا المعنى يقول جاك أتالي المستشار الاقتصادي للرئيس الفرنسي ورئيس البنك الأوروبي للتعمير والتنمية EBRD في كتابه (العصر الذهبي): يرفض الأمريكيون التصديق بأنهم يتخلفون عن معظم الأجزاء المتقدمة في العالم الصناعي، وبسبب هذا الاعتقاد لن يبادروا إلى إجراء التغييرات اللازمة للبقاء في حلبة المنافسة، وليس في مقدور أحد أن يحل مشكلة يرفض الأمريكيون رؤيتها). راجع: لسترثرو، المتناطحون المعركة الاقتصادية بين اليابان وأوروبا وأمريكا، مصدر سبق ذكره، ص ٢٤١.

مرحلة ما بعد الحرب الباردة الضوء مرة ثانية على احتمالات تحقيق السلام عن طريق الاعتمادية، وأصبح من وجهة نظر هؤلاء حلف شمال الأطلسي أنموذجًا لتحقيق مجتمع مسالم ضمن محاور حددتها العلاقات الدولية بعد الحرب العالمية الثانية(١).

وهنا لا بد أن نؤكد على حقيقة معينة أنه لا يمكن التنبؤ باختفاء دور الدولة في ظل العولمة، فقط يكون هناك تغير جوهري واضح في الوظائف الرئيسة والتقليدية للدولة باعتبار أن بعضها في وظائفها وواجباتها بدأت تسلم للشركة متعددة الجنسيات والمؤسسات والمنظمات الدولية.

إن ضعف الدول رافقه انهيار نظام ثنائي القطب بعد الحرب الباردة، وحل محله نظام أحادي القطب. لقد شهدنا حدثين سابقين: أولهما عالم أحادي القطب يعني "انفراد قوة واحدة على الصعيد الجيوبوليتيكي بالنظر إلى قدراتها تعد هائلة بما فيه الكفاية لتشكيل تحالف متوازن إلى حد كبير لمواجهة هذه القوة".

إن انهيار الاتحاد السوفيتي والقيادة الأمريكية في بداية التسعينيات وتعددية سعي دول حلف شمال الأطلسي في الحصول على التكنولوجيا الخاصة بمبادرة الدفاع الإستراتيجي SDI والافتقار إلى مجال للقيام بمناورات بين الدول المتوسطة والعالم الثالث نتيجة لانهيار الاتحاد السوفيتي، والتوجه الغربي الجديد في السياسة الخارجية لنظام يلتسين، ونقاط الضعف الموجودة في حركات التحرر

---

(1) Gupta, Rakesh, "Interdefendence and Security Among States in the 1990s "Op. Cit., p.96.

الوطنية كلها جعلت الولايات المتحدة القوة المهيمنة في عالم أحادي القطب هذا[١].

ومن وجهة أنصار العولمة فإن البرجوازيين الغربيين هم أكثر نشاطًا وفاعلية من القيادات الشيوعية لحقبة السبعينيات، لكونهم قاموا بمعالجة الأزمة الاقتصادية للحقبة المذكورة وأضافوا إليها ثورة الرقائق الميكروية Micro Chip، وتضمن أيضًا "على حد تعبير بانيش وميلسيباند، أن البرجوازيين الغربيين جددوا إيمانهم بالتنافس والفردية والتجارة الحرة والأسواق الحرة وتأكيدهم الفعلي لرأيهم في الحرية بالنسبة إلى حرية القيام بأعمال تجارية، وهذا يعني إصرارًا متجددًا لجعل العالم مثلما يروه بالكامل[٢].

والحق أن دول منظمة التعاون والتنمية الاقتصادية OECD حكمت على نفسها بالإخفاق، ولكنها في الوقت نفسه قامت بدور الشرطي إزاء دول العالم الثالث، مستندين في ذلك إلى قوانين الرأسمالية، ونتيجة لذلك، فإن العولمة أصبحت تعني أن يكون للدولة الواحدة علاقة مع أقرانها بأسلوب مؤقت كما هو الحال مع الانخفاض الحاصل في مهام الدولة.

وظهرت خطوة أخرى باتجاه عالم الاعتمادية في الوقت الذي توحدت فيه أوروبا اقتصاديًّا في الخمسينيات، وأكد إيرنست هاس على أن الدولة لا تستطيع ضمان تحقيق نمو اقتصادي ما لم تتوحد مع اقتصاديات مماثلة[٣].

---

(1) lbid.

(2) lbid.

(3) Ibid.,p.96.

من السمات البارزة للنظام السياسي الدولي في نهاية القرن العشرين الاعتمادية Interdependence

=

الاعتمادية لا بد أن ينظر إليها كهيكل وعملية، فقام كل من جوزيف ناي وروبرت كوهين بمناقشة هذين الجانبين بالإشارة إلى تجارة السبعينيات والتغييرات التي طرأت في التسعينيات، ويقول جوزيف ناي: إنه كانت هناك ثلاثة أقسام في نظرية التحليل الخاصة بالقوة، وهي قوة تتوجه لتحليل سياسة الاعتمادية معتمدة على نظرية المقايضة، تحليل يطلق عليه (الاعتمادية المعقدة وتأثير العمليات التي تشتمل عليها، وتحديد أربعة نماذج عرضية للتغيير في الأنظمة الدولية التي تم تعريفها على أنها: مجموعة من الترتيبات السائدة التي تؤثر على علاقات الاعتمادية)[١].

وقد أوضح جوزيف ناي التفاؤلية الليبرالية إزاء المستقبل بالنسبة إلى الاعتمادية، واستعراض خمسة إمكانات للمستقبل، وحدد الاعتمادية متعددة المستويات ثلاثة مستويات هي: العسكرية، والتنافس الاقتصادي وانتشار السلطة. وبناء على ذلك وضع وجهة نظره الخاصة بالليبرالية الجديدة[٢].

=

التي لم تعد حديثة العهد؛ إذ ترجع تاريخيًا إلى القرن الثامن عشر، وقد أسهمت عوامل كثيرة في انبثاقها، مما أدى إلى تحطيم الحواجز الفاصلة بين السياستين الداخلية والخارجية بسبب النمو المطرد في العلاقات التجارية بين الدول إلى درجة حدت مؤيديها إلى أن يذهبوا إلى القول بأنها شجعت المجتمعات على عصر ما بعد الدولة. راجع:

Holsti, K.s. Change in the International System:Boulder: Westview, 1970,p.22.k

Daneil S.Papp., Contemporary Interational Relations,2nd ed, New York, 1988,p..42.

(1) World Politics, Lexington Mass,Toronto 1988.

(2) Gupta, Rakesh,” Interdependence and Security Among States in the 1990 S ",Op.Cit,p44.

وقد أشار مورتن كابلان إلى الموضوع نفسه قائلًا: نظامنا العالمي يعد نظامًا يسوده الاعتمادية وتوازن القوى ونماذج أحادية القطب، يعتمد بشكل كبير على عوامل النزاع والاعتمادية، ومما لا شك فيه أن الاعتمادية الاقتصادية لا تؤدي إلى إيجاد مجتمع سياسي متين[١]. ولا بد أن نؤكد على حقائق جوهرية فيما يخص نظام القطب الواحد، من بينها أن السياسة الكونية تتمحور دائمًا حول القوة والصراع من أجلها، وأن العلاقات الدولية الراهنة تتغير وفق البعد الثقافي. وكان الهيكل الكوني للقوة إبان الحرب الباردة يقوم على القطبية الثنائية، أما الهيكل الناشئ حاليًّا فمختلف تمامًا.

بالنسبة للإدارة الأمريكية، بدأت تتباهى بالقوة الأمريكية والفضيلة الأمريكية، ففي مؤتمر قمة السبعة الكبار الذي عقد في دنفر ١٩٩٧ تباهى الرئيس كلينتون بنجاح الاقتصاد الأمريكي كأنموذج للآخرين، كما سمت وزيرة الخارجية السابقة مادلين أولبرايت الولايات المتحدة بأنها (الدولة التي لا غنى عنها)، وقالت: إننا نقف على طولنا، ونرى أبعد مما ترى الدول الأخرى. وهذا القول بالمعنى الضيق الذي يفيد أن الولايات المتحدة هي مشارك لا غنى عنه في أي جهد لمعالجة المشكلات الكونية الكبيرة، لكنه قول لا يصمد أمام المناقشة العلمية؛ لأنه يوحي بأن الدول الأخرى يمكن الاستغناء عنها، في حين أن الولايات المتحدة تحتاج إلى تعاون بعض البلدان الرئيسة في معالجة أية قضية، وكذلك القول بأن الضرورة الأمريكية هي مصدر الحكمة[٢].

---

(1) Moroton Kaplan,"Apoor boy’sJourney "in Joseph kurzel and James N. Rosenau, Foreign Affairs, September/October, 1993, p.44.

(2) Ibid.,p.37.

وقد طـرح نائب وزيـر الخارجية الأمريكية ستروب تاليوت هذا البسط المنطقي عندما قال: (في إحدى صور تلك الهيمنة التي تبدو فريدة في تاريخ القوى العظمى، فإن الولايات المتحدة توضح قوتها، والحق عظمتها ليست في باب قدرتها على تحقيق هيمنتها على الآخرين ما دامت تلك الهيمنة، ولكن في باب قدرتها على العمل مع الآخرين في مصلحة المجتمع الدولي بشكل عام؛ إذ إن السياسة الخارجية للولايات المتحدة تهدف بشكل واضح إلى الارتقاء بالقيم الكونية، وإن التعريف الأكثر اختصارًا لظاهرة الهيمنة غير الخطيرة قد ورد على لسان نائب وزير الخزانة لورانس اج سوبرز عندما سمى الولايات المتحدة بالقوة العظمى الأولى غير الاستعمارية، وهذه دعوى استطاعت من خلال ثلاث كلمات أن تمجد تفرد وعفة وقوة الولايات المتحدة)[١].

إن القادة الأمريكان ينصحون بزيادة نفقات الدفاع بنسبة ٥٠٪، لكن هذه طروحات لم يكتب لها النجاح؛ إذ إن الرأي العام الأمريكي لا يرى حاجة لتوسيع الجهود والموارد لتحقيق الهيمنة الأمريكية؛ ففي أحد استطلاعات الرأي في عام ١٩٩٧ فضل ١٣٪ فقط من مجموع الذين استطلعت آراؤهم وجود دور بارز للولايات المتحدة في شئون العالم، بينما قال ٧٤٪: إنهم يريدون أن تشارك الولايات المتحدة في القوة مع بقية العالم[٢]. وقد أظهرت العمليات الأخرى لاستطلاع الآراء نتائج متشابهة، فعدم الاهتمام الشعبي بالشئون الدولية هو مسألة واضحة؛ إذ إن ٥٥٪ - ٦٦٪ من الرأي العام يقولون: إن ما

(1) Ibid.,p38., Stribe Talbalt, Globalization and Diplomacy: Apractitioners perspective, Foreign policy, No, 108, full 1997, pp.75- 78

(2) Ibid.,p.39.

يحدث في أوروبا الغربية وآسيا والمكسيك ليس له تأثير قليل أو ليس له أثر بالمرة على حياتنا. وعلى الرغم أن الكثير من أعضاء نخبة السياسة الخارجية ربما يتجاهلون ذلك أو يشجبون؛ فإن الولايات المتحدة تفتقر إلى القاعدة السياسية المحلية اللازمة لإقامة عالم أحادي القطب(١).

ومن ناحية أخرى، إنه في حالة حديثنا عن العولمة الأمريكية لا بد من التأكيد على الطابع القومي الأمريكي؛ إذ إن لهذا الطابع جانبين هما: الثقافة والعقيدة، وفيما يخص الأولى نرى أن قيم المستوطنين الأوائل من الأوروبيين الشماليين البريطانيين المسيحيين البروتستانت الذين يتحدثون الإنجليزية، وعبر ثلاثة قرون استطاع المهاجرون من غربي أوروبا ووسطها وشرقيها أن يمتثلوا هذه الثقافة، ولكن تمثل السود كان أضيق وأبطأ(٢)، وأما العقيدة فهي

---

(١) دعا أحد الدبلوماسيين اليابانيين المعروفين وهو السفير هيساشي أوادا Hisashi Owada بعد الحرب العالمية الثانية؛ الولايات المتحدة إلى انتهاج سياسة (الكونية الأحادية الجانب)، وذلك بتقديم منافع عامة على شكل أمن ومعارضة الشيوعية واقتصاد كوني مفتوح ومساعدات للتنمية الاقتصادية ومؤسسات دولية أقوى. راجع: Ibid., p.42

(٢) كرست الهجرة والتعددية الثقافية في الولايات المتحدة دور الأقليات العرقية في صنع السياسة الخارجية، فثراء الأقليات وتطور وسائل النقل والاتصال حول الجماعات الثقافية إلى شتات Diaspora داخل المجتمع الأمريكي، ولا تتعرض لأية ضغوط من أجل الاندماج الثقافي ولا تجد أية فائدة فيه.

جماعات الشتات هذه تدعم حكوماتها الأم، بعكسها في السابق؛ فالأقلية الصينية تدفع باتجاه مرونة أمريكية أكبر تجاه الصين الشعبية؛ إذ حلت الثقافة القومية محل الأيديولوجيا في تأليف مواقف الشتات.

وتوفر جماعات الشتات فوائد جمة لوطنها الأم اقتصاديًا وعسكريًا وسياسيًا واستخباريًا. يقدم اليهود الأمريكان ٤ مليارات دولار سنويًا للكيان الصهيوني. (تلعب الديانة دورًا غامضًا في حياة اليهود الأمريكيين؛ ففي دراسة شاملة أجريت عام ١٩٩٠ وأشرف عليها مجلس الاتحادات =

الأفكار والمبادئ المثبتة في الوثائق المؤسسة للدولة الأمريكية، وتتلخص في الحرية والمساواة والديمقراطية والدستورية والحكومة المحدودة والعمل الخاص، ولكن انتهاء الحرب الباردة والتغييرات الاجتماعية والفكرية والسكانية وضعت على الأفق أرجحية هذين الجانبين، ولذلك لم يعد الأمريكان قادرين على تحديد مصالحهم القومية، وغدت المصالح التجارية والمصالح المتغيرة للأقليات العرقية تهيمن على السياسة الخارجية(١).

=

اليهودية CPF تم إخفاء ٤/٣ من عينة البحث (الدين كأساس لتصنيف اليهودية في مقابل الجنسية أو الثقافة)، وأجاب ٤٠٪ بأنهم ينتمون للمعابد اليهودية، (ولكن ربما تصل النسبة الحقيقية للانتماء للمعبد إلى ما يقارب ٥٠٪، وقد أوضحت دراسة أجرتها لجنة يهود الولايات المتحدة عام ١٩٨٩ أن ٨٢٪ من اليهود يعتقدون على سبيل القطع أو الاحتمال بوجود الله، ولكن ٤٧٪ فقط قالوا: إن الله يستجيب لصلواتهم. وقال ٤١٪: إن الله يتدخل في خط سير الحياة الإنسانية. أما غير اليهود الأمريكيين فتزداد نسبة إجابتهم المماثلة إلى الضعف فيما يخص القضايا نفسها. راجع:

J.J. Goldbery, Jewish Power Inside the American Jewish Establishmet, U.S.A., 1998,p.38.

أهم من ذلك، نرى أن الشتات توجه السياسة الأمريكية لخدمة مصالح بلدانهم بما تمتلكه من وعي بالذات وشرعية ونفوذ سياسي. في السياسة الأمريكية تجاه اليونان وتركيا والقوقاز ومقدونيا وكرواتيا وجنوب إفريقيا وهايتي وتوسيع حلف الأطلسي وكوريا وأيرلندا الشمالية والكيان الصهيوني. راجع:

Hutington, Samuelp., The Erosion of American National Interests" Foreign Affairs, Vol: 76, No:5; pp. 39 –40.

وفيما يخص العولمة والصراعات الاثنية والعرقية راجع, Foreign Policy, Summer 1998, pp.13-20.

(1) Huntingston,Samuel p., " The Erosion of American National Interests" Op. Cit., P.29.

وفي هذا المجال يقول هنتنغتون: (إن القوى الداخلية تدفع باتجاه الاختلاف والتنوع والتعددية الثقافية والانقسامات العرقية والعنصرية، لهذه الأسباب تحتاج الولايات المتحدة أكثر من غيرها إلى عدو يصون وحدتها[1].

ومن وجهة نظرنا أنه بالإمكان مناقشة هذا الطرح؛ لأنه يخلط بين الظواهر ويحاول تصوير الأمور على غير حقيقتها، فالولايات المتحدة لا تحتاج إلى عدو لكي يصون وحدتها، ومن جانب آخر فإن الولايات المتحدة تحتاج إلى عدو؛ لأن أجهزتها العسكرية والاستخبارية والسياسية والإعلامية الضخمة مصممة ومعدة أساسًا لمواجهة عدو.

وهنا لا بد من إثارة تساؤلات عديدة: كم من الوقت ستصمد العقيدة الأمريكية في غياب أيديولوجيا منافسة؟ إن الانتصار الديمقراطي هو أكثر الأحداث أذى وإقلاقًا للولايات المتحدة[2].

عاملان داخليان ساعدا في هذا التأثير التفكيكي لانتهاء الحرب الباردة: الهجرة والتعددية الثقافية. فقد أخذت الهجرة تغير التكوين العنصري والديني والعرقي للولايات المتحدة، المهاجرون البيض في الأصول غير الهسينانية لن يزيدوا عن النصف إلا قليلًا، ويبلغ السود ١٤٪ والآسيويون ٨٪ بينما يزيد المسلمون على أعضاء الكنيسة البروتستانتية[3].

وفي خضم ذلك اتجهت الولايات المتحدة إلى المصالح التجارية والعرقية، وتحولت المؤسسات والإمكانات السياسية والعسكرية والاقتصادية والاستخبارية

---

(1) Ibid.,pp.31-32.

(2) Ibid.,p.32.

(3) Ibid., p.33.

لخدمة أغراض ثانوية وعابرة وغير قومية، يظن العديدون في الإدارة والكونغرس والخارجية أن التجارة أداة بيد السياسة الخارجية، والحق أن السياسة الخارجية موضوعة لخدمة الأهداف التجارية، فعقد الصفقات هو اسم لعبة السياسة الخارجية الآن[١].

وفي هذا المعنى يقول سالنجر: "لقد عدت سياستنا الخارجية غير متناسقة بالكاد تليق بقوة عظمى"[٢].

إن فكرة منطقة السلام تنطوي على أسطورة راسخة في الأذهان وهي أسطورة التبعية السلمية المتبادلة، يمكن جيدًا للجيو اقتصاديين وغيرهم أن يعرفوا أن الصراع العسكري يتراجع عندما تزداد التبعية المتبادلة أو المالية بين الأمم، ويعطون مثلًا على ذلك بألمانيا وبريطانيا اللتين كانتا خصمين بالأمس وتعيشان في سلام في الوقت الحاضر؛ لأنه من المشاهد أنه حين نشبت الحرب بينهما في ١٩١٤ كانتا أهم شريكين تجاريين الواحدة مع الأخرى[٣].

وهناك أمثلة أخرى في هذا المجال، فبعض القرارات التي يتخذها مجلس النواب الياباني يمكن أن يكون لها تأثير على عمال صناعة السيارات الأمريكية أو استثمارات البناء في الولايات المتحدة أكثر من قرارات الكونغرس نفسه، والعكس بالعكس، وازدهار الأنسجة البصرية في الولايات المتحدة يهدد مبدئيا بخفض أسعار النحاس، ويمكن لقوانين حماية البيئة التي

(1) Ibid., p.37.

(2) Ibid., p.46.

(٣) ألفن وهايدي توفلر، الحرب والحرب المضادة الحفاظ على الحياة في القرن المقبل، ترجمة د. صلاح عبد الله، الدار الجماهيرية للنشر والتوزيع والإعلان، بنغازي، ١٩٩٥، ص ٣٠٨ –٣٠٩.

في زامبيا التي تعتمد مداخيل ميزانياتها على النحاس، ويمكن لقوانين حماية البيئة التي تم الاقتراع عليها في البرازيل أن تؤثر على أسعار الخشب والورق وعلى حياة حطابي ماليزيا، وهو ما يهدد بدوره بتغيير العلاقات السياسية بين الحكومة المركزية والجماعات المؤثرة في مختلف المناطق(١).

كلما ازداد الارتهان المتبادل ازداد تورط المعيشة، وأصبحت العواقب أكثر تعقيدا وتشعبا. لقد أصبحت العلاقات المتبادلة مشوشة تماما ومعقدة، بحيث أصبح شبه مستحيل بالنسبة لرجال السياسة والخبراء اللامعين جدًّا أن يقيسوا نتائج الدرجة الأولى والثانية لقراراتهم(٢).

باختصار، التبعية المتبادلة لا تجعل بالضرورة العالم أكثر أمنًا، وإنما تفعل أحيانًا عكس ذلك. إن كلًّا من المسلمات التي تقوم عليها فرضية منطقة السلام كالنمو الاقتصادي، وعدم إمكانية انتهاك الحدود، والاستقرار السياسي، والوقت الكافي للمفاوضات والمشاورات، وفاعلية المنظمات والمؤسسات الدولية، كلها تبعث على الريبة للغاية(٣).

إن القرن المقبل من الممكن أن يكون مقترنًا بمشكلات من شأنها إحداث اضطرابات شديدة في خضم حضارة السرعة وانتشار الأسلحة، كل هذه الأمور توضح أن القرن القادم مقبل ليس على منطقة سلام جيواقتصادية وعلى نظام عالمي جديد ومستقر أو منطقة سلام أوروبية، وإنما على صمود مخاطر الحرب،

---

(١) المصدر نفسه، ص ٣٠٩.

(٢) المصدر نفسه، ص ٣٠٩.

(٣) المصدر نفسه، ص ٣١٠.

وهي مخاطر تكتنف القوى العظمى نفسها أكثر مما تكتنف الوحدات الصغيرة في العلاقات الدولية[١].

وفي هذا المجال يقول بريجنسكي: إن الإمبراطوريات بشكل مستمر يعوزها الاستقرار؛ لأن وحداتها التابعة تميل دائمًا إلى تفضيل الاستقلالية، وتعمل التنمية المضادة دائمًا في هذه الوحدات على تحقيق ذلك الهدف عند سنوح الفرصة، ولذلك فهو يرى الإمبراطورية لا تسقط بل تتفكك ببطء، ولكن في بعض الحالات بسرعة كبيرة[٢].

وفي تعزيز هذا الرأي طرح بريجنسكي مناقشة الأنموذج الروماني (الإمبراطورية الرومانية) باحثًا عن أوجه التشابه للولايات المتحدة بعد انهيار الاتحاد السوفيتي، ومستعرضا التحديات التي تعرضت لها الإمبراطورية الرومانية في قرطاج من الإمبراطورية الفارسية، ويلخص ثلاثة أسباب ينتج عنها انهيار الإمبراطورية الرومانية؛ أولها: سعتها الكبيرة التي لم تجعل من الممكن حكمها في مركز واحد، وهكذا كان شطرها إلى قسمين جعل النخبة تميل نحو المتعة بدلا من العظمة. وثانيها: المدة الطويلة للسيطرة على الإمبراطورية جعلت من الصعوبة بمكان السيطرة على الرقعة الجغرافية الواسعة التي كانت في حوزتها. وثالثها: التضخم المستمر الذي سبب إتلاف قدرة المجتمع لإدامة نفسه دون التضحية الاجتماعية التي لم يكن المواطنون الآن مستعدين لتقديمها. وهكذا فإن الانحلال الثقافي والانقسام السياسي والتضخم المالي تعاونت على جعل روما ضعيفة حتى تجاه البرابرة على حدودها. ويسحب

---

(١) المصدر نفسه، ص ٣١٠

(2) Brzenzinski, Op. Cit., p. 10

بريجنسكي كل تلك الفقاعات إلى العصر الراهن، مرورًا بالإمبراطورية الصينية والاستعمار الأوروبي والسيادة البريطانية، وصولًا إلى السيادة الكونية الأمريكية(١).

ج- العولمة والثورة المعلوماتية:

تُعَرَّف المعرفة بأنها (الاطلاع على الوقائع والحقائق والمبادئ عن طريق الدراسة أو البحث، ويمكننا أن نعد المعرفة على أنها ما نطبقه على العمل في إنتاج الثروة، والمعرفة هي المصدر النهائي للقيمة في العمل)(٢).

في موضوع الجانب الثقافي للعولمة هناك اتفاق في الآراء على أن العولمة تعد من الأسلحة الرئيسة في التأكيد على الازدواجية وانقسام الهوية الثقافية الوطنية؛ لأن الأخيرة لا تصمد أمام ضغوط البيئة الخارجية في حالة ضعف مؤسسات البيئة الداخلية، ولا سيما إذا عرفنا أن الثقافة التي تعود إلى التقاليد الاجتماعية غدت سلعة مادية في سوق يطغي عليها الأقوى من الناحية التقنية(٣). إن الجانب الثقافي للعولمة يعود إلى التطور الهائل في وسائل الاتصال والتقنية الإعلامية وشبكة المعلومات والإنترنيت واضمحلال إمكانية الدولة على الرقابة والمنع، أو استمرار سيطرتها على الثقافة والإعلام، والانتقال من ثقافة الطباعة والكتاب

---

(1) Ibid.,pp.10-24

(٢) رستون، مصدر سبق ذكره، ص ١٦.

(٣) أسامه أمين الخولي، (في مقدمة العرب والعولمة)، مصدر سبق ذكره، ص ٩. وبحث د.لسترثرو (تأثير ثورة المعلومات على الاقتصاد وأسواق المال) في بحوث المؤتمر السنوي الثالث، (ثورة المعلومات والاتصالات وتأثيرها في المجتمع والدولة في العالم العربي)، مصدر سبق ذكره، ص٨٣.

والصحافة المكتوبة إلى ثقافة التلفزيون والإنترنيت، وخضوع الثقافة إلى المعايير نفسها في المجال الاقتصادي، ذلك أن الإعلانات التجارية أصبحت هي المهيمنة على وسائل الإعلام[١]. وقد شرع في الولايات المتحدة تشريع حرية المعلومات الذي دخل حيز التنفيذ في عام ١٩٦٦، وسرعان ما شاع هذا المفهوم في بقية الأقطار المتقدمة[٢]، وعزز هذا الرأي ما ذهب إليه غورباتشوف في الكلمة التي ألقاها أمام اللجنة المركزية في ٥ شباط ١٩٩٠ عندما قال: (إن الرأسمالية القائمة على الحساب الآلي -وليس رأسمالية الصناعات ذات المداخن- هي التي تقدمت بـ(القفزة النوعية) إلى الأمام، وبانتشار الثورة الحقيقية في أقطار التقنية المتقدمة أضحت البلدان الشيوعية في الواقع كتلة موغلة في الرجعية يقودها رجال مسنون متشربون بلاهوتية القرن التاسع عشر[٣]. إن حكومة الاتحاد السوفيتي كانت تحتكر المعلومات، حيث كان حتى الناتج القومي الإجمالي رقمًا سريًّا فقد كبل نفسه، فلو أراد الكرملين مواكبة العالم الغربي لكان عليه أن يسمح للمواطنين بالمشاركة في ثورة المعلومات[٤]، يقول غورباتشوف في هذا

---

(١) الدكتور رسلان خضور، الدكتور سمير إبراهيم حسن، (مستقبل العولمة)، مصدر سبق ذكره، ص٨.

(٢) ألفن توفلر، تحول السلطة بين العنف والثروة والمعرفة، مصدر سبق ذكره، ص ٦٨٥.

(٣) المصدر نفسه، ص ٥٣٤.

تبين حملات انتخاب العديد من المرشحين لمجلس نواب الشعب في عهد غورباتشوف أنه كانت هناك قرى في الاتحاد السوفيتي السابق تفتقر إلى وسائل الاتصال الرئيسة، مثل خطوط الهاتف التقليدي. راجع:

Gupta, Rakesh, Interdenpendence and Security Among Stats in the 1990 s, Op.Cit.,

(٤) رستون، مصدر سبق ذكره، ص ٢٦.

الصدد: (إن الاتحاد السوفيتي في انحدار روحي، وكان علينا أن ندفع ثمن هذا بالتخلف، وسندفع هذا الثمن لوقت طويل؛ فقد كنا ندرك أن أهم الموجودات في عصر علم المعلومات هو المعرفة واتساع النظرية الفعلية والخيال الخلاق[١]؛ إذ يمكننا القول بأن العولمة هي الثورة التكنولوجية الأكثر تأثيرًا على مسارات الأمة والشعوب من أية ثورة أخرى سجلها التاريخ على الإطلاق، وهي حسب Alain Minc الفرنسي في كتابه عن العولمة السعيدة قد عدّها بالنسبة لفرنسا هي المستقبل بعينه والمصير نفسه بالنسبة للشعوب كافة[٢].

كانت إحدى النتائج العديدة للثورة المعلوماتية الحلول السريعة للبرمجة، وإحلال الإنسان الآلي محل الأيدي العاملة، وإحلال تقانة المعلوماتية محل الإنسان بالطريقة ذاتها التي حلت بها الآلة محل الجهود البشرية كقوة محركة خلال القرن التاسع عشر، وعليه نرى أن الحاسوب حل محل عدد كبير من مديري البنوك وموظفيها بالآلة الحاسبة[٣].

---

(١) المصدر نفسه، ص ٣٤.

(٢) الدكتور عبد الجليل التميمي، "أية إستراتيجية للهوية القومية تجاه العولمة"، في ندوة التاريخ الإسلامي وأزمة الهوية، مصدر سبق ذكره، ص ٦٤.

(٣) أنطوان زحلان، (العولمة والتطور الثقافي) في العرب والعولمة، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ١٩٩٨، ص ٨٤، وألفن توفلر، خرائط المستقبل، ترجمة أسعد صقر، منشورات اتحاد الكتاب العرب، ١٩٨٧، ص٩٠–٩٧

الحاسوب Ordinaleur آلة جديدة، يجمع عددًا من المعالجات الصفرية ويجعلها تعمل وفقًا لخطة معقدة بمردود متزايد جدًّا. راجع: أتالي، مصدر سبق ذكره، ص ١٢٨.، وبحث المؤتمر السنوي الثالث، مصدر سبق ذكره، ص ٨١ – ٨٢.

هناك أنواع ثلاثة لأجهزة الإنسان الآلي: الصناعي، والميداني، والذكي؛ فالنوع الأول عبارة عن آلات ثابتة مزودة بمعالجات وموجهة لأداء مهمات مختلفة بصورة تلقائية، مثل لحام أماكن =

ومن النتائج الأخرى للثورة المعلوماتية الأقمار الصناعية، التي جعلت الحدود قابلة للاختراق كليًّا أمام المعلومات، فالأقمار الصناعية تبث الأخبار فوق ستائر حديد أو خيزران متجاوزة المراقبين الحكوميين إلى كل من لديه راديو ترانسستور يدوي. وهذا يعني من وجهة نظر دعاة العولمة أن وسائل الإعلام الغربية العالمية من خلال هذه الأدوات حولت العالم إلى قرية صغيرة؛ لأن المعلومات أصبحت متاحة للجميع(١). لقد كان أحد الامتيازات الأساسية التي تتولاها الحكومات ملاحقة مصالحها عن طريق شن حرب، أما اليوم فإن هذا الامتياز مقيد كثيرًا بتقنية المعلومات، فالذي عاصر التجربة الأمريكية في فيتنام يدرك التأثير الكبير لجهاز التلفزيون في إخفاق هذه الحكومة في جنوب شرق آسيا. إن المعرفة بأن حرب فيتنام أدت إلى موت عنيف شيءٌ، لكن مشاهدة مجزرة معركة أو أكياس جثث موتى تم إنزالها في قاعدة دوفر الجوية من خلال جهاز التلفزيون في بيت الأسرة الصغيرة هو شيء آخر تمامًا(٢). إن القمر الصناعي رغم كل معجزاته لم

=

محددة، أو الدهان عن طريق الرش. أما الإنسان الآلي الميداني فهو مصمم للعمل في بيئة غير هيكلية، وهي مزودة بمساحات تسمح لها بالحركة والتعامل مع مشكلة ما، وهي غالبًا تستخدم في عمليات صعبة للغاية أو خطيرة على حياة الإنسان، كأعمال المناجم، ومكافحة الحرائق، ومعالجة التلوث في المصانع، والأعمال التي تُجْرَى في أعماق البحار. أما البعض الآخر فيتم توجيهه بأسلوب التحكم اللاسلكي عن بعد. أما الإنسان الآلي الذكي فهو عبارة عن آلة تجريبية تعمل بالكمبيوتر ومصممة لاستخدام الذكاء الاصطناعي في معالجة المشكلات تمامًا كما يفعل الإنسان. راجع: بول كيندي، مصدر سبق ذكره، ص ١١٧ – ١١٨.

(١) نحن والعولمة .. "من يربي الآخر"، مصدر سبق ذكره، ص ١٩.

(٢) رستون، مصدر سبق ذكره، ص ٢٤-٢٥ قارن مع ثورو، مستقبل الرأسمالية، مصدر سبق ذكره، ص١٦٨.

انتشر في هذا العالم أكثر من ٦٠٠ مليون جهاز تلفزيوني، وأصبح الفرد على تماس مباشر =

=

بمجريات الأمور في هذا العالم المتنامي الأطراف، وأصبح من الصعوبة بمكان على الدول ذات الأنظمة الشمولية أن تبقى شعوبها بعيدًا عن ذلك، فما أن حدث انفجار شيرنوبيل حتى كان قمر صناعي (تجاري) فرنسي له بالمرصاد، فالتقط صور الانفجار بالسرعة الممكنة، وتم بث الفيلم المصور في العالم كافة بما في ذلك الاتحاد السوفيتي. أما حملة القمع التي قامت بها حكومة بكين ضد الطلاب في ميدان تيانانمين والصدمة التي اجتاحت العالم جراء ذلك فسرعان ما تم تصوير ذلك للصينيين بوساطة الإذاعة والتلفزيون وأجهزة الفاكس.
بدأ عام ١٩٨٩ بثورة للمثقفين، ففي ٦ كانون الثاني كتب العالم الفيزيائي فانج ليشي رسالة مفتوحة إلى دنج بمناسبة مرور أربعين عامًا على تأسيس الجمهورية الشعبية وسبعين عاما على حركة الرابع من أيار ١٩١٩، وكان الميدان قد أصبح أيضًا منذ مظاهرة الطلبة في ٤ أيار ١٩١٩ بداية تاريخ انطلاق الصين الجديدة رمز الاحتجاج السياسي ضد السلطة، وفي الثالث من نيسان ١٩٧٦، وهو يوم ذكرى الموتى، استغل الطلبة ومواطنو بكين تقليد ٤ أيار ليضعوا أكاليل الحزن على نصب الشهداء بمناسبة ذكرى وفاة شو إن لاي، والتظاهر بشدة ضد سلطة عصابة الأربعة، وبعد مرور ١٣ عامًا في نيسان ١٩٨٩ حول الطلبة ميدان تيانانمين مجددًا إلى ميدان للاحتجاج الذي انطلق من هنا لينتشر في طول البلاد وعرضها. يناشده فيها إصدار عفو عام يشمل بصورة خاصة عن المعتقلين السياسيين مثل واي جينج شن، هذه كانت المرة الأولى على الإطلاق التي يتم التطرق فيها إلى موضوع المعتقلين السياسيين الحساس ونشره في صفوف الرأي العام. وفي شباط انضم إلى فانج مجموعة من المثقفين المشهورين وتقدموا بالتماس مستقل، وتبعهم في مقصدهم في آذار ٤٢ عضوًا من أكاديمية العلوم، وهي أشهر المؤسسات العلمية في الصين الشعبية.
وفي ١٧ أيار زحف مليون إنسان إلى ميدان تيانانمين وسيطروا على شارع السلام الأبدي بطوله وعرضه، وفي اليوم التالي قرر آلاف الطلبة عدم مغادرة الميدان إلى أن تستمع الحكومة رسميًّا إلى التماساتهم، هكذا بدأ الصراع على ميدان تيانانمين، وإلى جانب الطلبة زحف الأساتذة والعلماء والكتاب والصحافيون والمستخدمون الحزبيون والحكوميون والمعلمون من مدرسة الحزب المركزية، وعناصر من جيش التحرير الشعبي، وبعض عناصر جهاز أمن الدولة أيضًا، وكان معظمهم يحمل لافتات تشير إلى وحدات عملهم، وكان الجنود يوجهون نيرانهم إلى الشعب
=

=

دون رحمة ويدهسون المتظاهرين بدباباتهم المجنزرة، وحتى الفارين كانوا يقتلون بالرصاص، الأمر الذي أدى إلى مقتل مئات الطلبة، لا بل الآلاف في الميدان، وكيف أن الدبابات دهستهم داخل خيمتهم.

ويعود الفضل إلى مغني الروك التايواني هودجيان في منع وقوع الكارثة في اللحظات الأخيرة؛ إذ تمكن بمعونة قادة وحدات الجيش من التفاوض بهدوء مع الطلبة وتقديم الضمانات لهم بعدم اعتراض طريقهم عند مغادرتهم الميدان، بعد أن أقنعهم بعدم جدوى تقديم المزيد من الضحايا، وفي اليوم الرابع من حزيران غادر الطلبة الميدان عبر ممر ضيق من الدبابات والمدرعات، وعاد ميدان السلام السماوي ملكًا للحكومة من جديد. راجع: كونراد زايتس، الصين عودة قوة عالمية، ترجمة سامي شمعون، مركز الإمارات للدراسات والبحوث الإستراتيجية، دولة الإمارات العربية المتحدة، أبو ظبي، ٢٠٠٣، ص ٣٣٩،٣٤١ – ٣٤٣، ٣٤٥ – ٣٤٦.

أطلقت الولايات المتحدة على حوادث ميدان تيانانمين بمذبحة الأبرياء والتي حدثت في ٣ حزيران، الميدان الذي مارس فيه الجيش القتل، وقد مثل هذا الميدان قدرة ثورة الاتصالات الكونية على توجيه السياسة، فلم يشهد الأمريكيون منذ حرب فيتنام مثل هذه الصور المأساوية في حجرات المعيشة، وعلى نقيض فيتنام حيث كانت الأنباء تتأخر في الغالب لساعات أو لأيام في بعض الأحيان، وكانت مذبحة بكين تلتقط حية وتبث على الفور عبر القمر الصناعي، ومنذ ذلك الحين باتت تغطية الأخبار بشاهد عيان أمرًا شائعًا؛ ففي العراق والبوسنة والصومال ورواندا والشيشان وأماكن أخرى أسهمت التغطية الحية لبؤر الصراع من جانب ووسائل الإعلام الإلكترونية من جانب آخر في خلق ضرورة قوية تدفع للقيام بعمل فوري، وهي تغطية لم تكن متوفرة في أوقات أقل حدة. وفي الخامس من حزيران أعلن الرئيس بوش الأب فرض عقوبات ضد الحكومة الصينية، واشتملت تلك العقوبات على تعليق المبيعات العسكرية الأمريكية ووقف الزيارات بين القادة العسكريين والصينيين كافة، فضلًا عن ذلك فقد وجه الدعوة تقريبًا للطلبة والدارسين الصينيين في الولايات المتحدة أن يطلبوا تأجيل عودتهم، معلنًا أن مثل هذه الطلبات ستحظى بمراجعة متعاطفة. وصرح للصحفيين (بأن الولايات المتحدة لن تصفح عن هذا القمع ولا يمكنها تجاهل عواقب هذا القمع على علاقاتنا مع الصين الشعبية). كما تم تعليق الزيارة المقرر أن يقوم بها وزير الخارجية الصيني لواشنطن في الثاني عشر من

=

يكن إلا مجموعة فرعية من سلاح المعرفة التي ترتبط بتقانة المعلومات[1]. إن إحدى النتائج الرئيسة للثورة الصناعية الثالثة هي أن عدد الوظائف المتوفرة للعمال غير المهرة أخذت في الاختفاء بسرعة، وحتى الأعمال المنزلية بحاجة في الوقت الحاضر إلى مستوى عالٍ في التعليم[2]، وفي هذا المجال من المتوقع أن يكون للعولمة دور في نقل البطالة من بلد إلى آخر، وتصدير البطالة إلى الدول ذات المستويات المنخفضة في الاستثمار في الموارد البشرية. ويقدم لنا ريفكن

=

حزيران، وترحيل أفراد عائلات الدبلوماسيين الأمريكيين العاملين في الصين الشعبية، والطلب من ٨٨٠٠ مواطن أمريكي يقيمون فيها مغادرتها على الفور. وبالرغم من نتائج استطلاعات الرأي العام التي أظهرت تأييدًا للنهج الوسط للرئيس بفارق كبير أصر الكونغرس على المطالبة باتخاذ إجراءات أشد. وفي الثلاثين من حزيران وافق مجلس النواب على تعديل لمشروع قانون سلطة التفويض في المعونات الخارجية وفرض عقوبات إضافية على الصين الشعبية بأغلبية ٤١٨ صوتًا دون اعتراض، وفي تموز حذا مجلس الشيوخ حذو مجلس النواب بإصدار تشريع مماثل بأغلبية ٨١ ضد ١٠ أصوات، وكان فارق الأصوات كاسحًا لدرجة بات معها من المستحيل أن يستخدم الرئيس الفيتو على القانون على مضض. راجع: جيمس بيكر، سياسة الدبلوماسية، مكتبة مدبولي، ١٩٩٩، ص١٤٩-١٦٠.

ويؤدي حدوث كارثة شديدة كالمجاعة التي اجتاحت إثيوبيا في عام ١٩٨٥ إلى ردود فعل شعبية واسعة النطاق عن دول الشمال من قبل المشاهدين الذين يظهرون الخوف الشديد جراء صور المجاعة التي تبثها أجهزة التلفزة.

وفيما كانت الأنظمة الشمولية في الاتحاد السوفيتي وأوروبا الشرقية تعاني الضعف والانهيار في نهاية عام ١٩٨٩ كانت التقارير والصور الناقلة لانهيار كل حكومة من هذه الحكومات تثير أحداثًا متشابهة في الدول المجاورة. راجع: بول كيندي، الاستعداد للقرن الحادي والعشرين، مصدر سبق ذكره، ص ٧٥- ٨٨.

(١) المصدر نفسه، ص ٢٦.

(٢) أنطوان زحلان، العولمة والتطور الثقافي، مصدر سبق ذكره، ص٨٤.

إحصائية عن عدد العمال العاطلين في العالم التي تتحدد في ٨٠٠ مليون عاطل[١].

إن استثمارات الولايات المتحدة الخارجية لم تعد تجتذبها العمالة الرخيصة، حيث كان ٧٦٪ من إجمالي الاستثمارات الأمريكية الخارجية في عام ١٩٩٦ كانت في دول مرتفعة الأجور[٢].

وقد ذهب ديلبورشرام إلى أن هناك اتجاهات جديدة بخصوص مستقبل عصر المعلومات[٣] هي:

---

(١) المصدر نفسه، ص ٨٤.

(٢) المصدر نفسه، ص ٨٥.

لم تكن هناك مواكبة من الأقطار العربية مع الثورة المعلوماتية، وعلى سبيل المثال فإن حصة الزراعة في مصر ٣٩.٩٪ وفي المغرب ٣٤.٤٪ وفي عمان ٤٤.٥٪ وفي تونس ٢٦.٢٪ وفي الصين الشعبية ٧٠.٢٪، فضلًا عن ذلك فإن هناك في الأقطار العربية بيروقراطيات حكومية غير كفء، علمًا بأن الحصة العالمية للخدمات في الأقطار العربية لا تعكس اقتصادًا علميًّا حديثًا يقوم على تقانة المعلومات، وهذا يعني من جانب آخر أن الأقطار العربية تعاني عددًا فائضًا من الموظفين في وظائف متدنية الكفاءة ومنخفضة القيمة في قطاع الخدمات، فضلًا عن ذلك فإن التحصيل العلمي للعمالة العربية لا يعدها لمنافسة دولية. راجع: المصدر نفسه، ص ٨٥.

(٣) احمد ثابت، (العولمة والخيارات المستقلة)، مصدر سبق ذكر، ص ١١٤. وكالة المشاريع المتقدمة ARPA التابعة للبنتاغون الأمريكي شبكة (اربانيت) للربط بين الجامعات ومراكز البحوث الأمريكية، من أجل الاستمرار في التواصل بين العلماء ومتخذي القرار العسكري السياسي في حالة قيام السوفيت بضربة نووية مفاجئة، وقد أصبحث نواة الشبكة في بداية عام ١٩٦٩ للربط بين المركز الدولي للبحوث التابع لجامعة ستانفورد وجامعة كاليفورنيا في لوس أنجليس وجامعة كاليفورنيا في مدينة سانتابارياراا وجامعة ولاية يوتا، ومن المتوقع أن يصل حجم الإنترنيت إلى مليار مشترك في مطلع عام ٢٠٠٠. راجع: نبيل علي، ثورة المعلومات: الجوانب التقانية (التكنولوجية) في العرب والعولمة، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ١٩٨٨، ص =

١- زيادة المعلومات السريعة التي بإمكانها أن تؤدي إلى زيادة فرص الأعمال المعلوماتية.

٢- سرعة العمل للحصول على المعلومات.

٣- عمليات الاتصال المستمرة عبر المسافات الطويلة من أجل اللقاء بين الثقافات المختلفة.

٤- زيادة مجال الاتصالات من نقطة إلى نقطة أكثر من الاتصال في نقطة إلى اتصال جماهيري، مما يؤدي لإنتاج رسائل أرخص وأسهل وأكثر ملاءمة لمتطلبات المستهلكين.

٥- قيام أجهزة الكمبيوتر بمهمات كانت قاصرة على الناس.

٦- ازدياد نفوذ العاملين وقوتهم في مجالات جمع وتخزين واسترجاع ومعالجة المعلومات بكفاءة، وقد بلغت السيطرة الأمريكية في المجالات الإعلامية في دول صناعية متقدمة مثل كندا حدًّا أشار بعض الخبراء إلى أن الأطفال الكنديين الذين يشاهدون باستمرار البرامج الأمريكية إلى لم يدركوا أنهم كنديون[1].

=

١١٦، واليوم ترسل شركة التليفون والتلغراف الأمريكية ATQT المعلومات بين شيكاغو والساحل الشرقي بمعدل ٦.٦ مليار بايت gigabit (ما يعادل ألف كتاب) في الثانية، وبهذه السرعة يمكن إرسال جميع مكتبة الكونغرس خلال أربع وعشرين ساعة إما باستعمال أسلاك النحاس التقليدي و٤٠٠و٢ بادومودم، وبموجب ذلك يحتاج الإنسان إلى ألفي عام. راجع: رستون، مصدر سبق ذكره، ص ٣٤. والدكتور رسلان خضور، والدكتور سمير إبراهيم حسن، (مستقبل العولمة)، مصدر سبق ذكره، ص ١٧.

(١) أحمد ثابت، (العولمة والخيارات المستقلة)، مصدر سبق ذكره، ص ٢٠.

وفي المعنى نفسه يقول بريجنسكي: "إن الولايات المتحدة هي المركز الفكري للعالم، مركز الفنون والعلوم والاقتصاد ومخبره الاجتماعي، بل إن سيطرة الولايات المتحدة على السينما والتلفزة والوسائل السمعية والبصرية هو أكثر تأثيرًا ومردودًا مما تنتجه صناعة الطيران مثلًا لديها، وإن ٨٨٪ فيلم الأكثر مشاهدة عبر عام ١٩٩٣ كانت أفلامًا أمريكية بحتة"[١].

أشار إلى هذا المجال الباحث الفرنسي مارك أوجبه في كتابه حرب الأحلام المخاطر الناجمة من التقدم السريع في مجال البث الفضائي المباشر للصور والأفلام في واقع الأحداث مباشرة، وقد أطلق عليه تسمية (غزو الصور)، وفي هذا المعنى يشير المفكر الفرنسي جي سورمان إلى أنه من الضروري أخذ الحذر إزاء المعنى الجديد للعولمة؛ لسبب رئيس هو أنه من الصعوبة بمكان إخضاع ما هو إنساني لنظرة أحادية مهما كانت قوة حضورها الواقعي[٢].

---

(١) الدكتور عبد الجليل التميمي أية إستراتيجية للهوية القومية تجاه العولمة؟ مصدر سبق ذكره، ص٦٥.

(٢) المصدر نفسه، ص ٢٠.

هناك ٥٣٠ مليون جهاز مذياع محمول في العالم، وارتفع العدد عام ١٩٩٠ ليصل إلى ما يقارب ١و٢ مليار جهاز، وخلال المدة نفسها ارتفعت أعداد أجهزة التلفاز من ١٨٠ مليون إلى أكثر من مليار جهاز. أما الأهمية السياسية الأكثر فتنطوي في حقيقتها على أن ٨٠٪ من الأعداد المشار إليها أعلاه كانت موجودة في أمريكا الشمالية وأوروبا، ثم انخفضت إلى ٥٥٪ عام ١٩٩٠. راجع: زبغنيو بريجنسكي، الفوضى الاضطراب العالمي عند مشارف القرن الحادي والعشرين، مصدر سبق ذكره، ص ٥١.

أما فيما يخص جهاز التلفزيون فإن البرامج التي يراها المشاهدون أكثر في التلفاز الأمريكي تلك التي تظهر أمرًا لا يعزز قدرة الوالدين في نقل القيم إلى أبنائهم. راجع: المصدر نفسه، ص٩٧. قارن مع الدكتور جلال أمين، مصدر سبق ذكره، ص ٨٨-٩٠.

وقد حدثت بعض التغييرات الأساسية في طبيعة تكنولوجيا الاتصالات خلال نهاية الحرب العالمية الثانية، من حيث تزايد نسبة المصادر المرسلة والمستقبلة، بمعنى أن بعض الرسائل تبث من قناة واحدة مثل جهاز الهاتف، وتسلمها من مستقبل واحد، أو من مرسل واحد كالتلفزيون وتسلمها من مجموعة من المستقبلين. أما في الوقت الحاضر فإن الإرسال له مصادر متعددة لمستقبلين عدة، الأمر الذي يؤدي إلى جانب من التعقيد في التفاعل بين الجماعات الاجتماعية المختلفة، ونشوء ظواهر جديدة في المجتمع المدني تتجاوز التخوم الجغرافية والهوية القومية[١].

وفي هذا المجال تنبأ فوكوياما بأن تقانة المعلومات ستلحق تأثيرات أربعة على النظام الدولي تتركز في[٢]:

١- إضعاف النظم الحاكمة الشمولية، وشيوع الديمقراطية على المستوى الكوني. الأمر الذي يعزز مصالح السياسة الخارجية الأمريكية من خلال بث المبادئ الديمقراطية في العالم.

٢- تآكل السيادة القومية وتشتت السلطة المركزية، والمثال على ذلك انحسار السلطة المركزية في السياسات النقدية، كما تتأثر السياسات الخارجية وعملية صنع القرار عندما تأخذ في الاعتبار دور الشبكات الإخبارية العالمية لا سيما CNN.

---

(١) أبحاث المؤتمر السنوي الثالث (ثورة المعلومات والاتصالات وتأثيرها في المجتمع والدولة في العالم العربي)، ٤ -٧ يناير ١٩٩٧، مركز الإمارات للدراسات والبحوث الإستراتيجية، ١٩٩٧، ص٦٨.

(٢) المصدر نفسه، ص ٦٨-٦٩.

٣- تغير طبيعة القوة ومفهومها، ومن وجهة نظر فوكوياما تتفوق العناصر المعنوية على الموارد التقليدية للثروة. وفي هذا المجال فإن تقانة المعلومات تقف على صف واحد مع المعنى التقليدي للقوة في المجتمعات المتقدمة. ويتحدث فوكوياما عن إشاعة الديمقراطية في العالم التي من شأنها إبعاد الدول عن مشكلات كثيرة في التعامل مع الأنظمة الشمولية.

٤- تحول المنظمات الهرمية الكبرى إلى شبكات أصغر وأكثر مرونة، أما في حالة المؤسسات التي يتصل عملها بالأمن القومي فإن هناك صعوبة في كيفية تفويض السلطة.

وهنا يؤكد فوكوياما على أمرين هامين هما: خلق مجتمع مدني جديد يتكون من جنسيات عديدة، والثاني أن الأثر العالمي لثورة المعلومات سيتخذ صورة غير منتظمة لكي يكون مستمرًّا في طريق واحد، وهذا يعني أن التقانة المعاصرة قد تدفع للقيام بثورة مضادة في المستقبل(١).

وهنا لا بد أن نؤكد على حقيقتين جوهريتين هما(٢):

---

(١) المصدر نفسه، ص ٦٩.

يتحدث فوكوياما عن كيفية تأثير تقانة المعلومات على الاتجاهات الدينية، مؤكدًا أن حركة التحديث في أوروبا خلال العصور الوسطى متصلة ببزوغ العلمانية وتعزيز دور الدولة القومية، في حين يكون أثرها متباينًا في الوقت الحاضر، وهناك احتمالية توقعات أن يعطي نتائج إيجابية بالنسبة للاتجاهات الدينية المعاصرة. راجع: المصدر نفسه، ص ٧٠.

(٢) الدكتور المصمودي، (ثورة المعلومات وتحدياتها في العالم العربي)، أبحاث المؤتمر السنوي الثالث، (ثورة المعلومات والاتصالات وتأثيرها في المجتمع والدولة في العالم العربي، ٤ –٧ يناير، ١٩٩٧، مركز الإمارات للدراسات والبحوث الإستراتيجية، ١٩٩٧، ص ١٨.

١- قيام الولايات المتحدة بإنشاء الشبكة القومية للمعلومات، ومن مهامها تبادل المعلومات وتوفيرها، والتي تهدف إلى هيمنة الإدارة الأمريكية على المعلومات في القرن الحادي والعشرين.

٢- دعوة مؤتمر الدول الصناعية السبع الذي عقد في المدة الواقعة بين ٢٥-٢٦ شباط ١٩٩٥ إلى الالتزام بدور ريادي في تطوير مجتمع المعلومات العالي، وقد حدد المؤتمر مجموعة من المشروعات من أجل إدخالها إلى حيز الواقع العملي، مثل دراسة تأثير مجتمع المعلومات على العالم، وكيفية تنمية سبل التعليم والتدريب مع الأخذ بنظر الاعتبار التعددية الثقافية، وإنشاء المكتبات والمتاحف والمعارض الإلكترونية، وإدخال المعلومات الحكومية على شبكات الكمبيوتر.

يتضح مما تقدم أن العولمة أمام مفارقات لا تدعو إلى الاهتمام، وهناك أمثلة تعزز هذا في المنطقة العربية، ونحن نرى كيف يطوى سجل حقوق الإنسان والسلاح النووي مع الكيان الصهيوني، وتبرز هذه الناحية مع الأقطار العربية والإسلامية.

ومن المفارقات أيضًا لتسهيل الدعاية للعولمة الإشارة إلى إنشاء مجموعات من التحالفات العالمية والإقليمية، كالترتيبات الإقليمية، ومشروع النظام الشرق أوسطي في الوطن العربي لمواجهة ما يسمى بالعدوان الإقليمي.

ما تعززه العولمة من تقدم ليس تقدمًا من منظور مئات الملايين، ولا مراء في أن الأمر قد بدا لهم مدعاة للسخرية عندما لاحظوا أن رؤساء حكومات مجموعة الدول الاقتصادية الكبرى السبع قد جعلوا من شعار (لتكن العولمة انتصارًا لمنفعة الجميع) المنار الذي يستهدون به في اجتماعهم في نهاية حزيران ١٩٩٦.

أما في المجال السياسي فالخاسرون يتمتعون بحق التصويت، وهم سيستغلون هذا الحق بلا شك، ومن هنا فليس هناك ما يدعو للطمأنينة، فالهزة الاجتماعية ستلحق بها نتائج سياسية، والاشتراكيون الديمقراطيون والمسيحيون الاجتماعيون لن يحتفلوا بانتصارات جديدة في المستقبل المنظور، فالأمر الواضح بجلاء الآن هو أن الناخبين لم يعودوا يأخذون الدعاوى التقليدية التي يتذرع بها دعاة العولمة مأخذ الجد.

إذن يمكننا أن نذهب إلى القول بأن العولمة لا تعترف بالوطن ولن يتحدد وضعه بحق الإسهام في تدمير المدنية، فالعولمة لا تعترف بحق مواطنيها وهم المستهلكون لا في الانتخاب ولا في المراقبة، إن لهم حقًّا واحدًا هو الاتصال، اتصال بعضهم مع بعض في مجال اللامرئي، يجاور بعضهم بعضًا عن بعد من خلال شبكة الإنترنيت.

وهذا يعني بمعنى آخر أن العولمة هي عالم بدون دولة، بدون أمة، بدون وطن، هو عالم المؤسسات والشبكات، العولمة هي نظام يقفز على الدولة والأفراد والوطن، وفي مقابل ذلك يعمل على التفتيت والتشتيت. إن إضعاف سلطة الدولة والتخفيف من حضورها لفائدة العولمة يؤديان حتمًا إلى استيقاظ أطر للانتماء سابقة على الدولة، أعني القبيلة والطائفة والجهة والتعصب المذهبي، والنتيجة تفتيت المجتمع وتشتيت شمله.

أما فيما يخص السياسة الخارجية في نظام العولمة فيتولاها بصورة مباشرة أو غير مباشرة ما يسمى بالمجتمع الدولي وعلى رأسه مجلس الأمن، هذا فضلًا عن التأثير الذي تمارسه المؤسسات الاقتصادية العالمية مثل صندوق النقد الدولي والبنك الدولي.

يبين التاريخ أن عالم أحادي القطب يعد مؤقتًا، وفي هذا المجال يوضح (لاين) أن الأنظمة أحادية القطب تضم موروثها بداخلها؛ لأن القوة غير المتزنة تخلق أجواء مناسبة لظهور قوى عظمى جديدة، فضلًا عن أن دخول قوى عظمى جديدة إلى النظام الدولي يؤدي إلى محو القوة النسبية وبروزها في نهاية المطاف، ويواصل محاولة البرهنة على أنه سيكون هناك تحول لهيكل متعدد الأقطاب.

وعلى النقيض من الحالات السابقة فإن عالم أحادي القطب لن يدوم لخمسين عامًا لو أخذ بعين الاعتبار التحولات الحالية وعدم قدرة الاقتصاد الأمريكي ليصبح شرطي العالم، وفي هذا المجال يقول أحد الباحثين اليابانيين: (إن الولايات المتحدة لا تملك القدرة الشاملة للعمل شرطية للعالم، وعليها الاعتراف بذلك بتواضع[١] وكما قال مانديلا: (ومعظم دول العالم لا تريد الولايات المتحدة أن تنصب نفسها شرطيًا للعالم)[٢].

وبناء عليه، فإن الرجوع إلى التاريخ يعد ضروريا من أجل الإطلاع على العمليات الحالية للعولمة والأمر الذي يساعد في هذه المحاولة هي نظرية المدارات الطويلة التي تعتمد على الأدلة التاريخية.

---

(١) بريجنسكي، الفوضى الاضطراب العالمي عند مشارف القرن الحادي والعشرين، مصدر سبق ذكره، ص ٨٥.

يقترح صامويل هنتنغتون أن أنسب بديل (لمدير الشرطة الكوني، هو سياسة جماعية تتولى فيها القوى الإقليمية الكبيرة مسئولية أساسية في حفظ النظام في مناطقها، وينتقد هاس هذا الاقتراح بحجة أن الدول الأخرى الموجودة في المنطقة والتي أسماها هنتنغتون بالقوى الإقليمية الثانوية ستعارض توجيهها من قبل القوى الإقليمية الكبيرة). راجع:

Huntington, Samuel., "The lonely Superpower” Foreign Affairs, Vol:78, No:2, 1999,p.43.

(2) Ibid.,

إن اندماج الدول وأمنها في العقد المقبل لا يعني انتهاء نظام الويستفاليا بالنسبة للدول حتى في معاييرها قبل الاتفاق الجديد، وستواصل الدول تأكيد وجودها في قضايا الأمن القومي. إن استمرار الدولة الدولية لممارسة دور الشرطي على الدول المتطورة والعالم الثالث وفق المبادئ القديمة للسوق الحرة لا يؤدي إلى ظهور اختلافات تميل إلى خلق آثار جسيمة في السياسة الدولية.

والحق أن هناك تحديات للعولمة، تحدث عنها مناصروها ومنهم على سبيل المثال بيتر سوذرلاند، الذي عبر عن قلقه العميق إزاء العولمة، ودعا إلى عقد مؤتمرات قمة لشرح التحديات التي تكتنفها؛ إذ يقول سوذرلاند في هذا المجال: (إننا نعتقد أن العولمة تثير ما يمكن عده أهم المشكلات التي تواجه الجنس البشري في الوقت الحاضر، ونعتقد أن هذه التحديات يجب تناولها على أعلى المستويات وبصورة مستمرة، والتحدي الرئيس للعولمة في المقام الأول هو التأكيد على أن ثمارها تعم جميع الدول)[١].

والتحديات عند سوذرلاند تكمن في الآتي:

١- إن النمو الاقتصادي في الدول المتقدمة أخذ في بطء العملية الاقتصادية، وعليه فإن هذه الدول بحاجة إلى أسواق جديدة في دول العالم الثالث للمحافظة على استمرار الارتفاع في مستويات المعيشة.

---

(١) عبد الحي يحيى زلوم، مصدر سبق ذكره، ص ٢٠ – ٢١.

أشار البابا يوحنا بولس الثاني في كانون الثاني ١٩٩٨ أثناء زيارته إلى كوبا إلى انعدام المساواة في توزيع الثروة على نحو مفرط بين الدول، وكذلك بين الأفراد ضمن الدولة الواحدة فهو مؤشر على اختلال الأداء وإفراط في الرأسمالية العالمية. راجع: المصدر نفسه، ص٢١-٢٢.

٢- تبديد المخاوف من أن النمو الذي تخلقه العولمة يكون على نحو متلازم عاملًا على زعزعة الاستقرار، وقد عملت الأزمة الآسيوية على تضخيم هذه المخاوف.

٣- تناول القلق لدى الدول الثرية في العالم من المنافسة العالمية سيؤدي إلى الإضرار بمستويات معيشة الأفراد.

٤- حل المشكلات المعقدة من التوسع في التجارة والاستثمار.

وفي هذا المجال يصف لسترثورو العولمة بقوله: (إنه في أكثر التعريفات تشددًا وصرامة للاختلافات الرأسمالية، فإن الجريمة ببساطة تعد نشاطًا اقتصاديًّا آخر ما دام فاعله راضيًا يدفع ثمن عمله وهو السجن في حالة الوقوع في يد العدالة، وليس ثمة عمل يجب إلا ويقوم به المرء، وليس هناك وجود للواجبات والالتزامات، ولكن الوجود فقط لعمليات السوق)[١]. ويردف ثورو قائلًا: وفي أدق التعبيرات عن المبادئ والأخلاقيات الرأسمالية، تعد الحرية نشاطًا اقتصاديًّا آخر يمكن مقارنته لقاء ثمن باهظ إذا ما وقع صاحبه في قبضة رجال الأمن، وليس هناك من شيء يمتنع القيام به، ولا وجود للواجبات والالتزامات، ما هو موجود فقط هو عمليات السوق[٢].

وفي هذا المعنى يقول الكاتب الأمريكي روجر موريس في كتابه عن سيرة الرئيس بيل كلينتون: (إن والدة كلينتون وصفت مدينة هوت سيرنفر التي نشأ بها كلينتون بأنها مكان ينظر إليه الخارجون على القانون باحترام؛ إذ وضع

---

(١) المصدر نفسه، ص ٢٣.

(٢) المصدر نفسه، ص ٤٥.

القوانين لتكسر، وحيث المال والقوة كيفما تم الحصول عليهما هو المعيار لقيمة الإنسان[١].

"إن الفكر الأمريكي يقود الحضارة اليوم، وهو يقوم بتفريغ الإنسان من الشعور. إن الغرب يحاول إرساء نفسه كحضارة الوحيدة، وهو يختزل التنوع الثقافي، ونظر إلى تجاربه بوصفها تجارب كونية".

روفوس مايلز في عام ١٩٧٦ الذي كان رئيسًا لموظفي وزارة الصحة والتربية والخدمة الاجتماعية في الولايات المتحدة في كتابه الموسوم بـ"الاستيقاظ في الحلم الأمريكي"، حلل فيه ٢٢ عاملًا حاسمًا تجعل المجتمع الأمريكي مكشوفًا للغاية في كثير من الأزمات الاجتماعية والتخريب والانهيار، وبانقضاء عشر سنوات في ذلك أكد بول كيندي في كتابه (صعود وسقوط القوى العظمى) استمرار التآكل التدريجي لقوة الولايات المتحدة الاقتصادية العالمية، وبالتالي تدهور قدرتها في استمرار سيطرتها على العالم[٢].

إن غالبية دول العالم تشعر بأخطار العولمة، وهي تحاول الحفاظ على هويتها الثقافية لمواجهة الهيمنة الأمريكية، في هذا الإطار أصدرت فرنسا قانونًا يلزم محطات البث التلفزيون بألا تزيد نسبة البرامج الأجنبية من إجمالي البث عن ٣٠٪ من أجل الحفاظ على الهوية الثقافية الفرنسية.

وهنا لا بد أن نؤكد على أن اليابان أخذت من الغرب التكنولوجيا والأسس الاقتصادية والحداثة، وقامت ببناء اقتصاد قوي على الصعيد العالمي، إلا أنها

---

(١) المصدر نفسه، ص ٢٤.

(٢) الدكتور رسلان خضور، سمير إبراهيم حسن، "مستقبل العولمة " مصدر سبق ذكره، ص ٢٠.

حافظت في الوقت نفسه على هويتها الثقافية، بل كان لثقافتها الخاصة المتمثلة في قيم وأخلاقيات العمل والتفاني والإخلاص والعمل الجماعي والتعاون دور مهم في إنجاح التجربة الاقتصادية، وتحقيق ما يسمى بالمعجزة اليابانية دون أن تكون هناك أية هيمنة أو خرق ثقافي[١].

٣- العامل السكاني:

يعد عامل السكان من المكونات الرئيسة لتطوير القوة الوطنية من الناحيتين: النوعية، والكمية[٢]، حيث إن هناك علاقة وثيقة بين حجم السكان وقوة الدول؛ إذ إن الدولة القوية في المجالات السياسية يكون لها حجم مناسب من السكان، شريطة أن يتميز السكان بالتقدم العلمي والتكنولوجي. إن هذا الترابط بين حجم السكان وقوة الدولة واضح في كل من الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتي وبريطانيا وفرنسا وألمانيا واليابان[٣].

ويمكن أن يكون لحجم السكان تأثير في قدرة الدولة على شن حروب تقليدية، وجل الذعر والخوف الذي تبعثه الصين الشعبية في داخل الاتحاد السوفيتي السابق مبعثه بالدرجة الأولى الأعداد الكبيرة من القوات التي باستطاعتها دفعها إلى ساحة القتال، ولم تبتعد الصين الشعبية إلا في الآونة الأخيرة عن اعتمادها "للجيش الشعبي"، والذي يركز على إشراك أكبر عدد ممكن من الشعب في الذود عن الدولة، أما في الوقت الحاضر فإن التركيز يكون

---

(١) المصدر نفسه، ص٢٤.

(٢) روبرت د. كانتور، مصدر سبق ذكره، ص ٣٠٣.

(٣) محمد عبد المجيد عامر، مصدر سبق ذكره، ص ٢٠٧-٢٠٨.

على تحديث القوات العسكرية، وفي حالة إنجاز هذا الهدف فإن القوات العسكرية الصينية التي لها سمة التفوق السكاني الكبير مقرونة بالأسلحة المتطورة ستشكل قوة مرهوبة الجانب.

إن التخوم الصينية السوفيتية الطويلة وقتئذٍ أكدت أن أيًّا منهما لن تشعر بالأمن بدون وجود قوات عسكرية كبيرة لها في المنطقة(١).

إن حجم السكان يعد عاملًا فقط إلى المدى الذي تختار فيه الدولة استخدامه لأغراض عسكرية؛ فاليابان على سبيل المثال تستخدم نسبة مئوية ضئيلة من مصادرها البشرية للأغراض العسكرية، وذلك بسبب سياستها القومية، وجيش الهند ليس سوى جزء بسيط مما تستطيع دولة كبيرة أن تبقي عليه. إن العوز النسبي لعدد كبير من الشعب الهندي يتطلب تحويل الموارد القومية لحل المعضلة، وإرساء القواعد من أجل تقدم صناعي أكبر، وهذا يبين أن حجم السكان يمكن أن يكون عائقًا في وجه القوة العسكرية(٢).

إذن يمكننا القول بأن العامل السكاني يطرح في نطاق تحديد قوة الدولة ومدى تأثيرها في المجتمع الدولي، غير أن الكم البشري عامل متغير من عوامل قوة الدولة؛ أي أنه غير ثابت، وترتبط قيمته بكثير من العناصر الكيفية أو النوعية، وهو ما يقود إلى الاستنتاج بأن الكثرة البشرية ليست دليلًا أكيدًا على قوة الدولة، فالشعب الصيني عانى من تراجع فعاليته في السياسة الدولية قبل قيام الثورة الاشتراكية، وذلك على الرغم من وفرة عدده، وقد استطاعت اليابان أن

---

(١) روبرت د. كانتور، مصدر سبق ذكره، ص٣٠٣.

(٢) المصدر نفسه، ص ٣٠٣.

تجند جيشًا متفوقًا في عدده على الجيش الصيني في حرب عام ١٨٩٤، على الرغم من أن الصين كانت متفوقة على اليابان سكانيًّا بمقدار ثمانية أضعاف، وقد تقف العوامل الاقتصادية، أو التكنولوجية، أو السياسية وراء هذه الظاهرة وما يماثلها من ظواهر، فالحرب هي ظاهرة اجتماعية بالدرجة الأولى قبل أن تكون كمًّا من الرجال والسلاح، والحرب تستهدف دائمًا تأكيد القوة والفعالية في المجال الدولي، كما يقول العالم الفرنسي غاستون بوتول (G. Bouthoul)؛ أي أن العامل السكاني يؤثر بشكل أو بآخر في الاستعداد للحرب.

استغلت الحركة الفاشية الإيطالية بزعامة موسوليني فكرة الارتباط بين الزيادة السكانية والتوسع الإقليمي لتبرير سياسة التوسع، كما ادعت الحركة النازية الألمانية بزعامة هتلر التبرير نفسه وصولًا إلى تحقيق فكرة المجال الحيوي، وأنفقت الحكومة الألمانية أموالًا طائلة للتحضير لخوض الحرب العالمية الثانية كان يمكن أن ترفع مستوى معيشة الشعب الألماني أضعافًا مضاعفة[١].

إن العامل السكاني قد يؤدي إلى نتيجتين[٢]:-

أولًا: **التوسع الإقليمي**: ينتج هذا التوسع بسبب الضغط السكاني في دولة معينة، وبالتالي تقوم تلك الدولة باتباع سياسة التوسع، إما عن طريق سياسة ضم الدول المجاورة لها، أو بامتلاك المستعمرات.

ثانيًا: **الهجرة**: يقوم هذا المفهوم على هجرة العناصر البشرية من المناطق المزدحمة إلى مناطق أقل ازدحامًا.

---

(١) الدكتور عدنان السيد حسين، مصدر سبق ذكره، ص ٦٤ – ٦٥.

(٢) الدكتور محمد متولي، الدكتور محمد أبو العلا، مصدر سبق ذكره، ص ١٤٨-١٤٩.

وقد ساعد اعتقاد الناس في القرون الماضية بأن الفارق بين المستوى التكنولوجي البريطاني والصيني يعوض ما بين بريطانيا والصين الشعبية من فارق في عدد السكان؛ إلا أن هذا الاعتقاد قد زال في الوقت الحاضر بعد أن أصبحت الصين الشعبية دولة تكنولوجية، ثم إن إمكانات العامل السكاني الصيني التكنولوجي وإن لم تكن في مستوى التقدم البريطاني، إلا أنها مجتمعة قد تفوق إمكانات العامل السكاني البريطاني(١).

استطاعت ألمانيا في عام ١٩٤٢ الوقوف أمام الاتحاد السوفيتي "لأن شعب الاتحاد السوفيتي على الرغم من أنه يزيد ثلاثة أضعاف في العدد على الشعب الألماني- كان في مستوى أقل في أكثر هذه النواحي، أما في الوقت الحاضر وبعد زوال هذا التخلف فإن مجرد ضخامة عدد السكان في الاتحاد السوفيتي كاف بذاته لاستبعاد مثل هذا التحدي(٢).

٤- العامل العسكري:

يعدُّ العامل العسكري من العوامل الهامة في السياسة الخارجية، فالدبلوماسية والقوة العسكرية "تسيران جنبًا إلى جنب"، "وليس للقوة العسكرية ثبات الجغرافية أو الموارد الطبيعية، فهي عرضة للتغيرات والثورات التكنولوجية"(٣).

---

(١) روي مكريدس، كينث تومبسون، نظريات السياسة الخارجية ومعضلاتها، مصدر سبق ذكره، ص ٤٣.

(٢) جوزيف فرانكل، مصدر سبق ذكره، ص ١٠٢. قارن مع: روبرت د. كانتور، مصدر سبق ذكره، ص ٣٠٣.

(٣) مكريدس وتومبسون، نظريات السياسة الخارجية ومعضلاتها، مصدر سبق ذكره، ص ٤٠.

العوامل الاجتماعية:

في هذا المبحث نتناول الطابع القومي، والرأي العام المحلي، والأحزاب السياسية، وجماعات الضغط.

أولاً – الطابع القومي:

أ- العوامل المكونة لنظرية الطابع القومي[1]:

لما كانت نظرية الطابع القومي تدخل في إطار العوامل المعنوية المؤثرة في عملية صنع القرار في السياسة الخارجية؛ فمما لا شك فيه أنها تتكون من عدد من المكونات أو العوامل التي تشكل بمجموعها نظرية الطابع القومي بمعناها الشمولي، وفي معرض تقويم أساتذة السياسة الخارجية للعوامل الداخلية والخارجية قدم العديد من علماء السياسة ومنهم هولستي وسنايدر وغيرهم العوامل المعنوية المجتمعية التي تمثل أساس وجوهر نظرية الطابع القومي التي سنأتي على ذكرها تباعًا وتفصيلًا، ومنها:-

---

(١) أكد الجنرال بوفر على أهمية دراسة الطابع القومي للشعوب بالاستناد على الحوافز الإنسانية؛ لأنه "تتعلق مقومات الرجال بصورة أساسية بالحوافز الباعثة لها، وتستجيب هذه الحوافز قبل كل شيء للغرائز البسيطة، كغريزة المحافظة على البقاء والجوع والنوم والحاجات الجنسية، ثم تتحول بعد ذلك إلى رغبات في التفوق والقدرة والارتباطات متبادلة في الحاجة للحماية والأمن، وإن مجموعة هذه الحوافز البسيطة هي التي تعطي للمجتمعات اتجاهاتها المشتركة، وينتج عن ذلك توفر صفات وخصائص نفسية واجتماعية تتميز غالبًا في كل مجتمع خلال مسيرته التاريخية". راجع: أندريه بوفر، بناء المستقبل، تعريب أكرم ديري وبسام العسلي، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت ١٩٧٦، ص٧٦.

١- الأيديولوجيا:-

لقد تعددت الآراء والتعريفات التي تناولت مفهوم الأيديولوجيا بالشكل الذي انعكس على الخلط بينها وبين غيرها من المفاهيم ذات العلاقة المتصلة بها مثل الفلسفة والاتجاه والنظرية والثقافة وغيرها، إلا أن ما يهمنا أساسًا هو المعنى الخاص لمفهوم الأيديولوجيا لنتمكن بالتالي من توضيح دورها وأثرها في عملية صنع القرار في السياسة الخارجية، فهناك عدة تعريفات لمفهوم الأيديولوجيا[(١)]، فالأيديولوجيا هي كلمة لاتينية مشتقة من كلمة (ideal)؛ أي المثل أو المثال، وهي؛ أي الأيديولوجيا ناتج عملية تكوين نسق فكري عام يفسر الطبيعة والمجتمع والفرد ويطبق بصفة دائمة[(٢)]. وفي تعريف آخر: إن الأيديولوجيا هي (منظومة من الأفكار تهدف إلى غاية عملية، فهي مجموعة من الأفكار عن العالم وعن الحياة وعن المجتمع تصلح قاعدة لعمل جماعي؛ لذلك فهي بعيدة عن خصائص التفكير الشخصي وعن مطاطيته ومرونته؛ لأنها أقرب لأن تكون برنامج عمل[(٣)]. فالأيديولوجيا تهتم إذن بتقديم أسس وقواعد عملية من أجل الوصول إلى أهدافها المثالية، لذلك تعد ذات صفة حركية، يقول ماركس: إن الأيديولوجيا تنشأ من قبل مجموعة اجتماعية (طبقة)، وذلك في محاولة منها لتقبل علاقاتها الآخرين، وغالبًا ما تكون هذه الأيديولوجيا طوباوية ومعبرة عن وعي محرف. وتؤكد على ذلك الباحثة (جوان روبنسون) بقولها: "إن الأيديولوجيا لا تتعدى حجر افتراضات مثالية لا يمكن اختيارها بالتحليل

---

(١) ودودة عبد الرحمن بدران، مصدر سبق ذكره، ص ٢٠-٣١.

(٢) عبد المعطي محمد غسان، مقدمة في علم السياسة، ط٢، دار محدلاوي للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ١٩٨٧، ص٢٣٢.

(٣) الدكتور عبد الوهاب الكيالي، وكامل زهيري، مصدر سبق ذكره، ص٩٩.

العلمي. أما عن علاقتها بالسياسة فيمكن القول بصورة عامة بأنه لا يمكن الحديث عن تمتع النظام السياسي بأيديولوجيا معينة إلا إذا أقام وجوده الفكري على مجموعة من الأفكار والقيم والمعتقدات المتناسقة والمتفاعلة، وبالقدر الذي تعبر به عن نسق عام ونظام واحد يغطي بأبعاده رقعة النظام السياسي بكاملها، كما يشير بعض الباحثين إلى أهمية وجود أيديولوجيا أو عقيدة فذلك أفضل من ألا يوجد لنظام منظومة من القيم توجه سلوكياته[١]. كما أن القضايا أو المسائل الرئيسة التي تقسم الأمم والشعوب هي أساسًا أيديولوجية في طبيعتها، وإن الأيديولوجيات المتصارعة هي السبب الرئيس للحرب، فهي مجموعة من الأفكار عن الحياة والمجتمع التي تنشأ في معظم الحالات كمؤيد أو مدافع واع، أو تؤكد عقائديًّا أو على نحو جازم الشعارات الاجتماعية أو السياسية أو الدينية أو أزمة المعركة، والتي من خلال الاستخدام المستمر والتبشير تدريجيًّا تصبح الاعتقادات أو العقائد المميزة لجماعة خاصة أو قومية[٢].

إذ إن النسق الأيديولوجي في المجتمع يتميز بالاستاتيكية والنمطية والثبات؛ لأنه يتعلق بالفكر والتصورات، ومن الصعب تمييزه لتحكمه وسيطرته على معتقدات الناس واتجاهات الرأي العام، ولذلك كان النسق الأيديولوجي هو آخر ما يتغير في أنساق البناء الاجتماعي كله على الرغم من تغير أنساق أخرى لا تتحكم في طبائع البشر، فالأيديولوجيا هي ما يحرك الجماعات وهي ما يرسخ أذهان الناس من فلسفات ومذاهب وعقائد تلك التي تخلق بين الناس تيارًا شعوريًّا واحدًا، بمعنى أن الأيديولوجيات على العموم هي موجهات السلوك التي

---

(١) عساف، مصدر سبق ذكره، ص ٢٣٣-٢٤١.

(2) Palmer, Norman D., Perkins, Howard C., Op.Cit., P.82.

تدفع الناس دفعًا، فهي كل ما يواجه الرأي العام ويؤثر على أفهام الناس ومداركهم وأذواقهم. وتدور الأيديولوجيات حول أفكار أو موضوعات لها جاذبيتها الخاصة وتتسم بالقبول الاجتماعي، كما ترتبط في الوقت نفسه بمذاهب الناس ومشاربهم مثل التصورات والأحكام العامة والقيم الاجتماعية الشائعة تلك التي تسيطر على أنماط السلوك الثقافي والتقليدي طبقًا لأنساق القيم والثقافة والدين، ووفقًا لما يسود بنية المجتمع من العقائد والمعتقدات والفنون والآداب[(١)].

أما هولستي فيقول: إن المذهب هو مجموعة من المعتقدات الواضحة والمحددة التي تحاول أن تفسر الواقع وتوفر إحساسًا بالهدف لأي تصرف سياسي، وقد يتسع نطاق المذهب وتتعدد أبعاده وتتنوع عناصره ليشكل ما يعرف بالأيديولوجيا التي يتجاوز تأثيرها مجرد تقرير الأهداف أو تبرير السلوك إلى التأثير بعمق في رؤية واضعي القرارات الخارجية وصبغها بلون محدد[(٢)]. وتعد الأيديولوجيات إحدى القوى أو العوامل الرئيسة التي تؤثر في أوضاع المجتمع السياسي الدولي، فمن خلال الأيديولوجيا يمكن أن يتحدد الواقع بمعالمه الراهنة، كما يمكن تخيل الواقع بالكيفية التي يجب أن يكون عليها في المستقبل، والتفسير الأيديولوجي للأحداث يسمح بتأكيد أهمية بعض العوامل والتقليل من أهمية بعضها الآخر وتجريد عوامل أخرى من أي تأثير فعلي لها؛

---

(١) قباري محمد إسماعيل، علم الاجتماع السياسي وقضايا التخلف والتنمية والتحديث، منشأة المعارف بالإسكندرية، ١٩٨٠، ص٢٤٤.

(٢) الدكتور إسماعيل صبري مقلد، نظريات السياسة الدولية - دراسة تحليلية مقارنة، مصدر سبق ذكره، ص ٢٠٥.

إذن فالأيديولوجيا بحقل واضع القرارات الخارجية تميل في اتجاه فكري معين تمامًا، كما أن التصورات هي التي تحدد الكيفية التي يتخيل بها العالم الذي تمسه قراراته[١]. وفيما يخص أثر الأيديولوجيا كأحد عوامل نظرية الطابع القومي وأثرها في السياسات الخارجية وفي عملية صنع القرار؛ فإن هناك رأيين متباينين، الرأي الأول ينكر دورها أو يقلل من أهميتها إلى حد بعيد، أما الرأي الثاني فيرى أنها العامل الأكثر أهمية في تقرير السياسة الخارجية. أما كيفية تأثير الأيديولوجيا في صناعة القرار فيتم ذلك من خلال التأكيد على ضرورة وجود أيديولوجيا واضحة لكل نظام سياسي، وذلك بوصفها ليس فقط أداة تقويم الواقع والمستقبل، بل بوصفها الأداة أو العامل المحدد لنوعية الدور الذي تلعبه الدولة في النظام السياسي الدولي ونوعية تصورها لما يجب أن يكون عليه النظام، فهي إذن العامل المؤثر والمحدد لما هو كائن وما كان وما قد يكون ولما يجب أن يكون[٢].

ومعنى ذلك أن الرأي الثاني هو الأرجح، وذلك لوجود العديد من الطرق التي تعبر عن الأثر الأيديولوجي في مواقف صنع القرار في السياسة الخارجية منها:-

- تساعد الأيديولوجيا على بلورة الإطار الفكري أو العقلي، ويرى واضعو السياسات الواقع الخارجي الذي يتعاملون معه بأسلوب الاستجابة للقرار.

---

(١) الدكتور إسماعيل صبري مقلد، العلاقات السياسية الدولية –دراسة في الأصول والنظريات، مصدر سبق ذكره، ص ٦٣– ٦٩.

(٢) ظافر ناظم سلمان، السياسة الخارجية الإيرانية تجاه الخليج العربي منذ ١٩٨٩ دراسة في أثر البيئة الداخلية، رسالة ماجستير غير منشورة، معهد الدراسات الآسيوية والإفريقية، الجامعة المستنصرية ١٩٨٨، ص٨٨.

- تضع الأيديولوجيا متخذ القرار الخارجي في حالة تصور المستقبل، وتعين له أهدافه البعيدة المدى ووسائل تحقيقها.
- تساعد الأيديولوجيا على عقلنة المفاصلة بين الخيارات الكثيرة الناتجة عن ظروف الموقف الخارجي، وتفضيل الخيار المنسجم مع مضمون تلك الأيديولوجيا واتجاهاتها ومبادئها.
- توفر الأيديولوجيا مجموعة من المعايير الأدبية والأخلاقية التي يتم الاستناد إليها عند تقويم الاتجاهات والتصرفات(١).

أي أن النسق العقيدي أو الأيديولوجي يضع قيودًا أو محددات على خيارات السياسة الخارجية، بحيث يجد صناع القرار صعوبة التصرف بشكل مغاير للمعتقدات السائدة لدى دولهم، كما تسهم أيضًا في المساعدة على استمرار السياسة الخارجية للدولة، وكلما كانت شاملة كلما كانت السياسة الخارجية للدولة أكثر استقرارًا، فضلًا عن دعم الأيديولوجيا للوحدة الوطنية للدولة واستخدامها استخدامًا دعائيًّا، حيث تبرر بها الدولة سياستها المتبعة وإقناع الآخرين بصحة هذه السياسات للدولة(٢).

صفوة القول في هذا المجال أن بعض الدول أحيانًا تحاول أن تبرر سلوكية خارجية عامة أو معينة، أو صنع قرار سياسي خارجي من خلال الاستناد إلى

(١) الدكتور إسماعيل صبري مقلد، نظريات السياسة الدولية –دراسة تحليلية مقارنة، مصدر سبق ذكره، ص ٢٠٥-٢٠٦.

(٢) الدكتور لويد جنسن، تفسير السياسة الخارجية، ترجمة: الدكتور محمد بن أحمد مفتي والدكتور محمد السيد سليم، مطابع جامعة الملك سعود، الرياض، ١٩٨٩، ص٨٤- ٨٥.

مجموعة القيم أو المبادئ السياسية التي تشكل عقيدة أو أيديولوجيا النظام السياسي في الدولة لإعطائها شرعية عقائدية في السياسة الخارجية تجاه المجتمع في الدولة ذاتها أو تجاه الحلفاء في الخارج[١].

٢- التركيب الاجتماعي والتكوين القومي:

إن التركيب الاجتماعي والتكوين القومي يشكل عاملًا هامًّا آخر من عوامل مكونات نظرية الطابع القومي؛ ذلك لأن تجانس أو تنافر التركيب الاجتماعي للسكان يؤثر بشكل ملحوظ في تكوين ظواهر المجتمع السياسية؛ إذ إن التجانس العنصري والعرقي، ووحدة المعتقدات الدينية والتقارب حتى في المستويات الحضارية قد لا يضفي على المجتمع السياسي قيمًا تعينه على صنع وحدته السياسية وتنمية روابطه العضوية فحسب، وإنما تؤهله أيضًا لتوطيد أسس استقراره السياسي، وذلك لأن تباين المعتقدات الدينية والمذهبية وتعاون المستويات الحضارية والطبقية أيًّا كان نوعها قد يثير المشكلات الاجتماعية التي قد تفضي إلى الصراع السياسي أو الدموي، فتحول بين الدولة وبين تحقيق الاستقرار السياسي لها[٢]. إذ إن تحقيق الاستقرار السياسي والاجتماعي الذي يتمثل في مدى التجانس والتآزر الذي يميز مجتمع الدولة، والذي يتباين ذلك التجانس والتآزر الداخلي في دولة أخرى بما يترتب على ذلك من تأثير في نوعية حركتها السياسية الخارجية، فالدولة التي يحظى نظامها السياسي بدعم اجتماعي

---

(١) الدكتور ناصيف يوسف حتى، مصدر سبق ذكره، ص ١٥٩.

(٢) فكرت نامق عبد الفتاح، سياسة العراق الخارجية في المنطقة العربية للفترة ١٩٥٣-١٩٥٨، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية القانون والسياسة، جامعة بغداد، آذار ١٩٧٩، ص٩٨-٩٩. وفيليب برايار ومحمد رضا جليلي، مصدر سبق ذكره، ص ٨٣ – ٨٤.

داخلي تصبح قادرة على المبادرة السياسية الخارجية، وقادرة على صنع وتنفيذ قرارها السياسي الخارجي الفاعل، وعلى العكس من ذلك في حالة انعدام أو قلة الدعم الاجتماعي الداخلي يؤثر ذلك بشكل سلبي في عملية صنع القرار السياسي الخارجي، بمعنى أن المجتمعات الممزقة داخليًا عنصريًا أو اثنيًا لا تتمكن من تجميع القوى الداخلية وراء حركة الدولة السياسية الخارجية، وبالتالي إضعاف عملية صنع القرار وإضعاف حركة الدولة سياسيًا وعسكريًا واقتصاديًا[١].

وينطبق هذا الحال كذلك فيما يخص مسألة القومية أو التركيب القومي؛ إذ يعد البعض القومية بمثابة القوة المحركة الأولى في المجتمع الدولي، كما يعدونها من أهم الدوافع التي تتحكم في تشكيل السياسة الخارجية للدول وتحديد مصالحها القومية، فبذلك يعد فهم القومية شرطًا رئيسًا لتفهم ظاهرة السلوك الدولي، فالقومية بمفهومها العام تعني ميلًا أو شعورًا بالانتماء إلى جماعة حضارية معينة، ورغبة في التجمع والترابط لتحقيق غايات وأهداف مشتركة في ظل إحساس عام بوحدة المصير[٢]. فالقومية بعبارة أخرى هي الإحساس النفسي بالانتماء إلى الدولة القومية، كما أن للقومية أثرًا إيجابيًا على السياسات الداخلية والخارجية؛ إذ إنها يمكن أن تسهم في توحيد الشعوب وتشجيعها على المشاركة السياسية؛ لأنها تسعى إلى تعبئة المجتمع وتقضي على العلاقات التقليدية وتعمل على بناء مجتمع جديد[٣].

---

(١) الدكتور مازن إسماعيل الرمضاني، مصدر سبق ذكره، ص ٢١٠-٢١٢.

(٢) الدكتور إسماعيل صبري مقلد، العلاقات السياسية الدولية دراسة في الأصول والنظريات، مصدر سبق ذكره، ص ٩٧.

(٣) لويد جنسن، مصدر سبق ذكره، ص ٦١-٦٣.

وبناء على ذلك سوف يكون للقومية أثر في عملية صنع القرار السياسي الخارجي للدولة؛ إذ إن الاندماج القومي ووجود هوية قومية مشتركة سيكون دافعًا إلى إيجاد تنافس معقول في الرأي العام الوطني تجاه القضايا القومية الكبرى، كما يؤدي إلى نشوء رأي ومزاج عام يُمَكِّن أو يساعد عملية صنع القرار السياسي الخارجي في تحديد الاتجاهات والدوافع وسبل التأثير ومعرفة درجة قبول أو رفض الرأي العام المحلي الذي سيحظى به هذا البديل أو ذاك، كما أن الشعور الذي يغمر الأفراد بوجود هوية قومية مشتركة بما يمثله من الأنماط الفكرية والتقاليد الموروثة عن الأسلاف والمآثر التاريخية والبطولات يعطي الدافع المعنوي للتضحية من أجل صيانة تلك القيم التي ينتاب الأفراد إزاءها إحساس بأنهم يكونون كلًّا واحدًا عما حولهم من أقوام وجماعات، وبذلك يصبح الدفاع عنها أمرًا متعلقًا بالذات القومية وهيبة الدولة[١]. وبذلك سيؤثر التركيب الاجتماعي والقومي في تحقيق الاستقرار السياسي والاجتماعي للدولة، وسيظهر التأثير الإيجابي لذلك واضحًا في عملية صنع القرار السياسي الخارجي الفعال والمؤثر والمستقل والناتج عن تركيبة اجتماعية قومية قوية وموحدة ومتماسكة تعكس الطابع المتماسك في الدولة.

٣- الثقافة والشخصية:

من أجل الوقوف على أثر الثقافة والشخصية بوصفها أحد عوامل نظرية الطابع القومي؛ لا بد أولًا من معرفة معنى الثقافة بشكل عام، وقد تم طرح العديد من التعريفات للثقافة، منها أن بعض العلماء عرفها بأنها "الكل المتكامل لأنماط السلوك المكتسب المشترك بين أفراد المجتمع الموحد"، ويعرفها تايلور

---

(١) ظافر ناظم سلمان، مصدر سبق ذكره، ص ١٦.

بأنها "ذلك الكل المركب الذي يشتمل على المعرفة والعقيدة والفن والأخلاق والقانون والمعرفة، وغيرها من القدرات والعادات التي يكتسبها الإنسان بوصفه عضوًا في مجتمع"، وهي دليل السلوك لما يلي ذلك من تفاعل، ومن هنا تصبح الثقافة على صلة وثيقة بالمجتمع من ناحية، وبالشخصية من ناحية أخرى.

ويرى جيمس داون أن الثقافة هي نسق من الرموز المشتركة بين جماعات من الناس ينقلونها إلى الأجيال القادمة. ووضع علماء الأنثروبولوجيا المحدثين تعريفًا جديدًا للثقافة يقوم على الفرضية القائلة بأن سلوكنا المكتسب في التحليل الأخير هو نتاج لطريقة تفكيرنا في الأشياء وإدراكنا لها، أما الشخصية فهي نمط السلوك الخاص الذي يمتلكه كل منها[١].

وفي تعريف آخر للثقافة: إنها طريقة أو أسلوب للحياة ولغة المعتقدات واتجاهات القيم، وكذلك السمات الملموسة للسلوك الاجتماعي. ويقدم كروير تعريفًا شاملًا فيقول: "الثقافة تتألف من أنماط مستترة أو ظاهرة للسلوك المكتسب والمنقول عن طريق الرموز، فضلًا عن الإنجازات المتميزة للجماعات الإنسانية، ويتضمن ذلك الأشياء المصنوعة، ويتكون جوهر الثقافة من أفكار تقليدية متصلة بها كافة، أما الأنساق الثقافية فتصير نتاج السلوك من ناحية، وتمثل الشروط الضرورية من ناحية أخرى. أما موريس ديفرجيه فيعرفها بأنها "مجموعة مترابطة من أنماط العمل والتفكير والشعور، تؤلف الأدوار التي تحدد السلوكيات المنتظرة بين مجموعة من الأشخاص".

---

(١) الدكتور عبد الهادي الجوهري، مصدر سبق ذكره، ص ١٧١-١٨٧.

ومن خلال ذلك يمكن القول بأن الثقافة السياسية هي نمط كتوزيع شامل لتوجهات واتجاهات المواطنين نحو الموضوعات والمسائل السياسية، وأوضح فيربا وألموند الأبعاد الإدراكية والتأثيرية والتنظيمية للموضوعات السياسية كتطوير أنموذج للثقافة السياسية المثالية، الثقافة السياسية المشاركة النامية وقد أعطى بعض العلماء أهمية خاصة لخبرات الشعب التعليمية بوصفها عاملًا مساعدًا في تحليل الشخصية وتفسير الثقافة التي تتطور في بيئة وطنية محدودة. وإذا افترضنا أنه من الممكن تحديد الشخصية الوطنية لشعب، وأن النخبة التي تصنع السياسة الخارجية تشترك في خصائص هذه الشخصية، فكيف تؤثر خصائص الشخصية الوطنية على السياسة الخارجية؟ من ناحية يبدو أن تلك الخصائص تؤثر بشكل معين على كيفية صنع قرارات السياسة الخارجية(٢)، وهي تختلف من شعب إلى شعب أو من دولة إلى دولة، بمعنى أن الشخصية القومية للدولة هي المعايير المهمة التي تحدد أهداف الدولة في سياستها الخارجية وفي صنع قراراتها(٣).

يظهر تأثير الشخصية القومية والثقافية في سياسة الدولة وفي صنع قراراتها، وذلك من خلال مجتمع تلك الدولة، فعندما يكون مجتمع الدولة موحدًا ثقافيًّا سيصبح أكثر إصرارًا على تحقيق أهدافه المشتركة بالاتجاه الذي يرفد السياسة الخارجية بعنصر فاعل دائم مضاف، ويتسع المتغير ويمتد ليشمل أهداف الدولة

---

(١) ناجي صادق شراب، السياسة دراسة سوسيولوجية، مكتبة الإمارات، العين، دار الجليل للطباعة والنشر، دمشق، ١٩٨٤، ص١٤٩-١٥٢.

(٢) لويد جنسن، مصدر سبق ذكره، ص ٥٤-٥٦.

(٣) الدكتور إسماعيل صبري مقلد، العلاقات السياسية الدولية دراسة في الأصول والنظريات، مصدر سبق ذكره، ص ١٤٣.

ووسائلها، بحيث يصبح في أوقات كثيرة واحدًا من الأسس التي تتحدد بموجبها هذه الأهداف والوسائل. ويتضح التأثير الثقافي في عملية صنع القرار السياسي الخارجي في تعبيره عن ذاته بصيغ متنوعة، كتأثير الرأي العام والنخب المؤثرة، ودور القيم الاجتماعية السائدة[١]. كل ذلك يمتزج معًا عبر ثقافة مشتركة لها أثرها في عملية صنع القرار السياسي الخارجي.

٤- العامل التأريخي:-

يقصد بالعامل التأريخي كل ما تتركه التجارب التاريخية والقيم والتقاليد الاجتماعية لمجتمع من المجتمعات من تأثيرات مختلفة في نوعية سلوك أعضائه، وكذلك في علاقاتهم المتبادلة من جهة، وفي نوعية تفسيرهم للماضي وتقويمهم للحاضر ونظرتهم للمستقبل من جهة ثانية، كما أن اكتساب التاريخ أهمية خاصة أو نقلًا خاصًّا على الحركة السياسية الخارجية يتوقف على نوعية إدراك صانع القرار لدلالات هذا التاريخ من جهة، وعلى تحكم الصفات الثقافية الأيديولوجية في تشكيل التنظيم الاجتماعي السائد من جهة أخرى[٢].

وعلى الرغم من خصوصية التجارب التاريخية لكل مجتمع وكل دولة؛ فإن هناك مجموعات من الدول من الممكن أن تكون قد عاشت تجارب مشتركة ومحددة بما يجعل أنماط سلوكها متشابهة أو متقاربة، وإلى جانب صعوبة تحديد آثار العامل التاريخي على السلوك السياسي الخارجي للدولة على اعتبار أن التاريخ لا

---

(١) الدكتور مازن إسماعيل الرمضاني، مصدر سبق ذكره، ص ٢٠٩-٢١٠.

(٢) عارف محمد خلف البياتي، السياسة الخارجية السورية حيال الوطن العربي للفترة من عام ١٩٧٠ – ١٩٨٨، رسالة ماجستير غير منشورة، معهد الدراسات القومية والاشتراكية، الجامعة المستنصرية، تشرين الأول ١٩٨٨، ص١٦.

ينكر رد الطبيعة آثاره غير المادية؛ إلا أنه مع ذلك يبقى يحمل تأثيرًا هامًّا وفعالًا في السياسة الخارجية وفي عملية صنع القرار السياسي الخارجي[١].

٥- التصور:-

يقول هولستي: إن العامل أو المحدد لعملية تحديد الأهداف القومية في مواقف السياسة الخارجية، وكذلك لاختيار أحد البدائل السلوكية العديدة والمتنافسة التي توفرها هذه المواقف هو تصور واضعي السياسة الخارجية للبيئة التي تحيط بهم، وللواقع الذي يتعاملون معه، فهذا التصور قد يكون دقيقًا وقريبًا من الواقع، وقد يكون مختلفًا عنه بشكل أساسي، فهو -أي التصور- يرتكز على تقويم الواقع وتفسيره، وعلى المغزى الخاص الذي ينسب إليه، ومعرفة ما إذا كان يهدد القيم الأساسية للدولة أم لا[٢].

بمعنى أن صانع القرار يرتبط ببيئته وبنظامه السياسي عن طريق مجموعة معقدة من الرموز أو الإشارات التي يكون مجموعها تصوراته العقلية عن نفسه وعن بعض جوانب محيطة وعلاقته به؛ لأنه كما ذكرنا فإن الطابع القومي يعبر عن أنماط جماعية؛ هذه التصورات تتسم باللاموضوعية نرى أن هولستي يعرف التصرف بأنه الإدراك الشخصي لشيء أو لحقيقة أو لحالة، وأن تقويم ذلك الشيء أو الحقيقة أو الحالة يكون وفقًا لمعايير الجودة أو الرداءة أو الصداقة أو العدوان وما تعنيه، وبما أن الأفراد يتأثرون برؤيتهم الذاتية للموقف فمن الطبيعي أن يختلفوا في إدراكهم وتقويمهم له، وفي المعاني المشتقة منه، ومما ينتج عن ذلك

---

(١) الدكتور مازن إسماعيل الرمضاني، مصدر سبق ذكره، ص ٢٠٨.

(٢) الدكتور إسماعيل صبري مقلد، نظريات السياسة الدولية دراسة تحليلية مقارنة، مصدر سبق ذكره، ص ٢٠٠.

الاختلاف في سلوك كل منهم عن غيره، والتمايز في القرارات المتخذة في مواجهة موقف ما[١]، كما أن المصلحة الوطنية أو القومية وتعريف الموقف كلها مفاهيم تقليدية في دراسة السياسات الدولية، ويمكن عدها تصورات أو مدركات عامة جدًّا؛ لأن نظرية التصور هي في المعنى العام لها لا تحمل الفعالية أو القوة التي تفعلها أو تؤديها الأنواع الأكثر خصوصية للتصورات[٢]. وقد أثبت كينث بولدنك في عام ١٩٥٦ أن صانعي القرار لم يستجيبوا للحقائق الموضوعية للموقف، ولكنهم يستجيبون لتصوراتهم للموقف فقط، فأهمية التصور تزداد في حالة كون المعلومات التي تصل إلى صانع القرار ناقصة أو يشوبها الغموض، أو بسبب الحاجة إلى اتخاذ قرار سريع، الأمر الذي يضطر صانع القرار إلى اللجوء للتخمينات والتقويمات وفقًا لإدراكه الذاتي وتصوره ونظرته الشخصية لذلك[٣]. وأحيانًا يحصل أن ينتج تفاوت بين الموقف -أي الواقع- وبين النظرة إليه -أي التصور- مما يؤدي إلى أن يكون رد فعل صانع القرار عن الموقف لا يتلاءم مع طبيعته، وهنا يؤكد هولستي على ضرورة التمييز بين الظروف المادية والظروف النفسية التي اتخذ القرار في إطارها[٤].

---

(١) الدكتور مازن إسماعيل الرمضاني، "السياسة الدولية: بحث في منهاج اتخاذ القرار السياسي الخارجي"، مجلة العلوم السياسية والقانونية، العدد الأول، حزيران ١٩٧٦، دار الحرية للطباعة، بغداد، ص١٥٢.

(2) Sullivan, Michael P., International Relations: Theories and Evidence, Printice Hall, Inc, Englewood Cliffs, NewJersey, 1976, P.49.

(٣) عارف محمد خلف البياتي، مصدر سبق ذكره، ص ٩٥.

(٤) الدكتور مازن إسماعيل الرمضاني، "السياسة الخارجية: بحث في منهاج اتخاذ القرار السياسي الخارجي"، مصدر سبق ذكره، ص ١٥٣.

٦- القيم:

تشمل القيم كل الرموز التي يحملها الشخص بناء على تصوراته وما يعد مثاليًّا كالحرية أو المساواة وما إلى ذلك، وقد حددها لاسويل وكابلان بأنها نتيجة رغبة ونتيجة هدف، فهي تشكل ركنًا أساسيًّا آخر من أركان البيئة النفسية التي تشكل الجزء الرئيس من نماذج إدراك صانع القرار[1]. فهي إذن كما يقول

(١) عارف محمد خلف البياتي، مصدر سبق ذكره، ص ٩٦.

قضى الجنرال كولن باول أول التسعة أشهر متبقية له في الخدمة كرئيس للأركان مع قائد أعلى للقوات المسلحة. والحق، ارتقى باول لأعلى المناصب في الولايات المتحدة نتيجة دعمه الرئيسين السابقين ريغان والرئيس بوش الأب. كان باول (خلف باول الأدميرال وليام كروي الذي انتهت رئاسته لهيئة الأركان العامة المشتركة في ٣٠ أيلول ١٩٨٩، ثم أصبح باول مستشار الأمن القومي للرئيس ريغان، وذلك في ١٨ كانون الأول ١٩٨٧، ثم أصبح وزيرًا للخارجية على عهد الرئيس بوش الابن) فيما يخص القيم الأمريكية معارضًا لاقتراح الرئيس كلينتون بالسماح للشاذين جنسيًّا بالخدمة في الجيش، على الرغم من أن البنتاغون قد سمح بتعيين ما يزيد عن مائة شاذ أثناء حرب الخليج، وتم سرحهم بعد انتهاء الحرب عندما لم تكن لهم حاجة هناك، وكان هناك جدل على عهد الرئيس كلينتون حول حقوق الشاذين، وفي هذا المجال تلقى النائب بيل ستانسل النقد الكبير من القساوسة المحافظين في بلدته فورت سميث؛ لأنه صوت لصالح القانون الجنائي المعدل، وبموجب ذلك أصبح الشاذ جنسيًّا ليس مجرمًا، مع أنه كان كذلك قد تبنى القانون الجديد إلا أنه صمم أن يصحح خطأه قبل أن يعاقبه رجال الدين تبعًا للقيم المسيحية، ولسبب ما أيضًا أدان الفعل الجنسي مع الحيوانات، ولم يكن هناك من طريقة لإسقاط المذكرة للتصويت المباشر. وأكثر من ذلك، كانت المحكمة العليا ما تزال بعيدة عن قرارها عام ٢٠٠٣، الذي يصرح بأن العلاقات الجنسية الشاذة ترضي الطرفين بحق الخصوصية، وعليه لم يعط كلينتون قرارًا أو رأيًا يقول بأن المذكرة غير دستورية. فضلًا عن ذلك فإن لكلينتون آراء أخرى حول الإجهاض وحقوق الشاذين، ونتيجة لموقف باول من حقوق الشاذين جنسيًّا في القوات المسلحة، أرسلت عضو الكونغرس بات شرويدر من كولورادو، تعبر عن استيائها من تصريحات باول حول ذلك، واستشهدت شرويدر بتقرير حكومي من العام ١٩٤٢، =

هولستي نتاج لعملية التنشئة السياسية، وهي العملية التي تتأثر بظروف البيئة الاجتماعية، وبطبيعة التوعية المذهبية، وبالخبرات والتجارب التي يمر بها الأفراد ويحصلون عليها؛ إذ هي القاعدة التي ترتفع فوقها الاتجاهات فتشكل بذلك أهم المعايير التي يرجع إليها في تقويم عناصر السلوك الذاتي وسلوك الآخرين(١). فكلما كان تصرف الآخرين أفرادًا أو منظمات اجتماعية بما فيها الدول مطابقة للقيم الذاتية كانت الاستجابة ملائمة، وكلما كان سلوك الآخرين متباينًا مع أهداف وأفضليات فرد ما كان رد فعل الأخير على هذا يشكل سلوكًا أو تصرفًا سليمًا، وينسحب هذا السلوك الاجتماعي للفرد على صانع القرار كذلك في تصرفه السياسي الخارجي؛ إذ إن القيم الاجتماعية والسياسية التي يؤمن بها أو السائدة في مجتمعه تؤثر على تصوره لتصرفات الدول الأخرى، ومن ثم تؤدي به

=

مشيرة إلى الحجج نفسها التي استخدمت ضد الدمج العنصري في القوات المسلحة، وتُستخدم اليوم ضد الشاذين جنسيًّا. والحق، حصل ربط بين حقوق الشاذين جنسيًّا وحركة الحقوق المدنية على ردة فعل مختلطة في المجتمع الإفريقي – الأمريكي، وأيد المؤتمر الحزبي للعرق الأسود في الكونغرس إلغاء تحريم الشاذين جنسيًّا من الدخول إلى القطاعات المسلحة. وقد أبدى الإكليروس السود معارضتهم الشديدة لإزالة التحريم. راجع: كلينتون، مصدر سبق ذكره، ص٢٦٢، ٢٦٦، ٤٥٨، وجيمس بيكر، مصدر سبق ذكره، ص٤٣، جوزيف بريسكو، يوميات كولين باول، الأهلية للنشر والتوزيع، عمان، (بلا)، ص٤٤٧، ٦٩٨ –٦٩٠.

قام الجمهوريون في عامي ١٩٩٦ و١٩٩٧ بإقرار مشروعات قوانين تحظر الإجهاض لشبه المولود (Partial – birth abortion) رغم معرفتهم بأن الرئيس كلينتون سيتضرر سياسيًّا إذا ما اعترض على التشريع الذي يميل له غالبية الأمريكيين. راجع: ثيودور لووي، مصدر سبق ذكره، ص ٢٢٥.

(١) الدكتور إسماعيل صبري مقلد، نظريات السياسة الدولية دراسة تحليلية مقارنة، مصدر سبق ذكره، ص ٢٠٣.

إلى اتباعه سلوكًا سياسيًّا خارجيًّا مماثلًا لقيمه[١]. بمعنى أن القيم لا تؤدي إلى فعل سياسي مباشر إلا في حالة تبنيها من قبل صانع القرار كأهداف محددة، وبذلك تصبح ذات أهمية كبيرة عندما يترجمها رجل الدولة وفق تصوراته عن البيئة بشكل فعال إلى نمط سلوكي محدد[٢].

وباجتماع القيم التي يحملها صانع القرار بمجموعها تتكون لدينا حصيلة مناسبة من القيم الجماعية التي تشكل نمطًا سلوكيًّا جماعيًّا فاعلًا ومؤثرًا ومعبرًا عن جزء من الطابع القومي لذلك المجتمع أو الدولة، وينعكس بشكل جلي على عملية اتخاذ القرار السياسي الخارجي للدولة.

٧- الاتجاهات:

يعرف هولستي الاتجاهات بأنها المنطلقات التقويمية العامة لتلك الحقائق أو الظروف أو المواقف التي يتعامل معها واضع القرارات، أو التي يراها من منظوره الخاص، فإزاء مواقف التعامل الدولي يكون واضعو السياسات متأثرين سواء بشكل مباشر أو غير مباشر ببعض الاتجاهات المسبقة التي يحتفظون بها عن الأطراف الأخرى، سواء عبرت عن مشاعر ثقة أو عداء أو شك أو ود أو خوف لها تأثيرها الواضح في تحديد أهداف واستجابة واضعي السياسات لتصرفات هذه الدول الأخرى ونواياها ودوافعها[٣]؛ أي تؤثر بالمحصلة في عملية اتخاذ القرار

(١) الدكتور مازن إسماعيل الرمضاني "السياسة الخارجية بحث في منهاج اتخاذ القرار السياسي الخارجي"، مصدر سبق ذكره، ص.

(٢) عارف محمد خلف البياتي، مصدر سبق ذكره، ص ٩٦.

(٣) الدكتور إسماعيل صبري مقلد، نظريات السياسة الدولية دراسة تحليلية مقارنة، مصدر سبق ذكره، ص ٢٠٢.

السياسي الخارجي سواء بشكل إيجابي أو سلبي؛ أي اتخاذ موقف عدائي أو تعاوني من الطرف الآخر طبقًا للاتجاهات السائدة لكل طرف إزاء الطرف الآخر.

يتضح لنا من المعلومات التي شرحناها أن الطابع القومي هو اصطلاح يستعمل بصورة عامة للدلالة على نماذج التفكير والتعبير والشعور للسلوك الاجتماعي، وهذا يعني أن الطابع القومي يتضمن درجة من المطابقة والانسياق الاجتماعي غير مؤكدة أبدًا بالتمحيص لأي مجتمع قومي(١).

ويعرف كارل فريدريك الطابع القومي بأنه "سمات ثقافة معينة قد ارتبطت بأمة أو بقومية محددة"(٢).

وبموجب هذا التعريف، بالإمكان أن نميز بين الطابع القومي والثقافة السياسية في نقطتين مركزيتين(٣):-

١- يرتبط الطابع القومي بقومية معينة، في حين أن الثقافة السياسية لها علاقة بجماعة مهنية أو طبقية.

٢- الطابع القومي أشمل من الثقافة السياسية لمجتمع سياسي معين؛ إذ إن الثقافة السياسية لها علاقة بشكل مباشر بالسلطة السياسية، فهي ثقافة فرعية من ثقافة الرأي العام المحلي الواسع، في حين يشمل الطابع القومي الثقافة بمعناها العام.

---

(1) Harold and Margaret Sprout, Foundation of International Politics, NewJersey, 1963, P.488.

(٢) الدكتور عبد الغفار رشاد، الرأي العام دراسة في النتائج السياسية، مكتبة نهضة الشرق، القاهرة، ١٩٨٤م، ص ٦٩.

(٣) المصدر نفسه، ص ٦٩-٧٠.

الطابع القومي بهذا المعنى هو مفهوم عام مجرد لا وجود له من حيث الواقع التجريبي، وإن كان يستمد عناصره من دلالة الخبرة وتكرارها، وإنه نوع من الافتراض المسبق كإطار لفهم الحقيقة أو لمعانقة تلك الحقيقة على أساس الخبرة المتوارثة. إن الطابع القومي بهذا المعنى أيضًا لم يعد يقتصر على مجرد تأكيد الولاء في ناحية معينة، بل ارتبط دائمًا بتطور عكسي تغلفه الكراهية من ناحية أخرى. إن عاطفة الولاء نحو قومية معينة لا تعني بالضرورة كراهية القومية الأخرى[١].

هكذا يتبين لنا أن هناك مجموعة من المتغيرات الأساسية، هذه المتغيرات -التي لا بد أن تؤثر على عملية التفاعل والاندماج بين القوى- تدور حول التيارات من جانب، والموقف وخصائصه من جانب آخر. والقيادات تتكون أساسًا من مجموعة إرادات اتخذت صورة الفرد الواحد أو المجموعة المختارة، إذن فإن مفهوم الطابع القومي يعني: "تلك المجموعة من الخصائص والأنماط السلوكية التي تسود مجتمعًا معينًا، بحيث تصير علامة من علامات الانتماء إلى ذلك المجتمع"[٢].

والحق، هناك تفسيرات متعددة بين أساتذة السياسات الخارجية فيما يخص أهمية الطابع القومي في عملية صنع القرار، ومن الممكن تقسيم هذه التفسيرات إلى قسمين:-

١- يرى قسم من أساتذة السياسات الخارجية أن نظرية الطابع القومي لا يمكن أن تنطبق إلا في المجتمعات الفطرية أو البدائية، على أساس أن هذه النظرية نشأت أساسًا على أيدي علماء الأجناس، الذين جعلوا أساس دراستهم ينصب

---

(١) الدكتور حامد ربيع، نظرية السياسة الخارجية، مصدر سبق ذكره، ص ٦٤.

(2) Arvid, Brodersen, National Character and ald Proplem Reexamined, New York, 1961, PP. 302-305.

قارن مع الدكتور حامد ربيع، نظرية السياسة الخارجية، مصدر سبق ذكره، ص ٦٠.

وينطبق على المجتمعات الفطرية؛ لما في أنماطها السلوكية من تجانس وتلاحم[١].

٢- يرى القسم الآخر من أساتذة السياسات الخارجية أن التفسير سابق الذكر ينطبق أيضًا على المجتمعات المتقدمة، التي تحتوي في حضارتها العناصر الاجتماعية، بل وأكثر من ذلك فإن النظام السياسي في هذه المجتمعات يتكون من هذه العناصر، بحيث إن كلًّا منها يشكل طابعًا قوميًّا خاصًّا[٢].

على الرغم من التفسيرات المقدمة حول ظاهرة الطابع القومي، فإن هذا الاصطلاح لا يزال مستخدمًا في إطار مفهومه العام، إلا أنه لا بد من التأكيد على ضرورة أن يُبْقِيَ القارئ في ذهنه أن الإشارة لا توجه دائمًا إلى سمات شخصية مفردة، ولكن إلى نماذج التفكير والشعور والعمل التي تبدو سائدة بصورة واسعة جدًّا ضمن البلد مجال البحث[٣].

إن مقدارًا كبيرًا من البحث والمناقشة عن الطابع القومي قد جرى بحثه خارج نطاق علم السياسة، وينطبق هذا القول على وجه الخصوص على أبحاث علماء النفس والاجتماع والأنثروبولوجي والجغرافيا، حينما يطبق هؤلاء اكتشافاتهم وبحوثهم على المشكلات السياسية فإنهم غالبًا يبدون مفترضين أن المواقف والنماذج السلوكية الأخرى المرئية في تجمعات قومية معينة لها أهمية سياسية آنية أو جوهرية[٤].

---

(1) Ibid., PP. 301, 306-307 ; Hubertus, C.S. Duiike National. Character and Sereotypes, Amesterdam North –Holl and Pub., Co., 1969, P.115.

(٢) الدكتور حامد ربيع، نظرية السياسة الخارجية، مصدر سبق ذكره، ص ٧٢.

(3) Harold and Margaret Sproat, Op.Cit., P.489.

(4) Ibid., P. 489.

ويجب التأكيد هنا على أن المجتمعات السياسية عدا البدائية منها تشكل بصورة عامة طبائع وصورًا لجنسيات وأمم أخرى، وهذا يعني أن لديها انطباعات عما يشبهه مجتمعهم القومي وما الذي يرمز إليه؟ وما الأعمال التي تكون صحيحة مناسبة؟ وما الأخطار التي تجابهه؟ إلخ. هذه الانطباعات تظهر نزعة عالمية لتمجيد ومقاومة التغيير لتصبح أنواعًا مجسمة بالعبارة الاصطلاحية للعلم السلوكي، هذه الأنواع المجسمة من المحتمل أن تشترك فيها كثيرًا أو قليلًا الطبقة الحاكمة في المجتمع. إن هذا يعكس إلى أي مدى تنعكس الأنواع المجسمة السائدة بصورة محتملة جدًّا في اختياراتهم وأحكامهم وقراراتهم، حينما يحدث ذلك أو حينما يذعن الحكام للمطالب والمواقف العامة الملحوظة التي لا يشتركون فيها شخصيًّا، عندها وعندها فقط تصبح النماذج السلوكية المتخذة -ما يدعى في النتيجة الطابع القومي- مهمة كمصدر للسياسة القومية[1].

وهنا يتعين علينا أن نتساءل: كيف يمكن أن نسلم بتكوين المجتمع من عناصر اجتماعية متعددة في طابعها القومي؟ وكيف نؤكد ونقول: إن الطابع القومي يصبح أحد منطلقات فهم السياسة الخارجية لذلك المجتمع الكلي؟ والحق أنه في حالة عدم التجانس تبرز أهمية الطابع القومي مرة أخرى. إن واضع السياسة الخارجية يقوم بالبحث والتحري عن تلك العناصر التي تكتنفها نماذج عديدة للطابع القومي حتى ولو بوساطة التفاعل والانسجام، ولو لم تتجاوز جزئيات محددة؛ لأنه فقط من خلال تلك العناصر يستطيع الحصول على التأييد والرفض الجماعي الكلي[2].

---

(1) Ibid.,

(٢) الدكتور حامد ربيع، نظرية السياسة الخارجية، مصدر سبق ذكره، ص ٧٣.

وفي هذا الصدد قامت دراسات عديدة من قبل علماء الاجتماع لدراسة ظاهرة الطابع القومي الأمريكي[1]، فقد أكد هؤلاء على أن هناك تفاعلا بين متغيرات ثلاثة في تكوين الطابع القومي الأمريكي هي[2]:-

١- العزلة عن القارة الأوروبية.

(١) إن الشكل الأساس للنظام السياسي في الولايات المتحدة يقوم على الدستور المكتوب الذي تم الإعداد له في ١٧٨٧، وتصديقه في ١٧٨٨، والعمل به في ١٧٨٩، يقوم هذا النظام على الفصل بين السلطات، ويطلق عليه اسم الديمقراطية الرئيسة، وهو الفارق الوحيد والأهم بين نظام الحكم في الولايات المتحدة وغيرها من الأنظمة الديمقراطية. راجع: أوستن رني، السياسة في الولايات المتحدة، في جابرييل آي. ألموند، جي. بنجهام باويل الابن، السياسات المقارنة في وقتنا الحاضر، ترجمة هشام عبد الله، الدار الأهلية للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ١٩٩٨، ص٩٥٤، ٩٥٧. وإميل هوبنر، مصدر سبق ذكره، ص ١٣ – ١٦. وثيودور لووي، مصدر سبق ذكره، ص ٥٨، ٧٧، ٨١.

(٢) تبلغ مساحة الولايات المتحدة ٣.٦١٨.٧٦٨ ميل مربع، وتعد رابع أكبر الدول مساحة في العالم، وهي أصغر فقط من دولة الاتحاد السوفيتي السابق ٨.٦٤٩.٤٩٦ ميل مربع، وكندا ٣.٨٤٩.٦٥٦ ميل مربع، وجمهورية الصين الشعبية ٣.٧٠٥.٣٩٠ ميل مربع. ومساحتها تبلغ تقريبًا ستة أمثال مساحة فرنسا (تبلغ مساحة فرنسا ٣٥١٨١ فرسخًا مربعًا)، وتشغل الولايات المتحدة وحدها مساحة تعادل نصف مساحة أوروبا؛ إذ تبلغ مساحة أوروبا ٥٠٠ ألف فرسخ مربع، أما عدد سكانها فقد زاد على ٢٩٦ مليون نسمة. راجع: المصدر نفسه، ص ٩٥١. وألكسي دو توكفيل، الجزء الأول، مصدر سبق ذكره، ص ٤٧، والجزء الثاني من المصدر نفسه، ص٤٤٣. وإميل هوبنر، مصدر سبق ذكره، ص ٢٢. ويبلغ تعداد سكان الولايات المتحدة أكثر من ٢٩٠ مليون نسمة، يقيمون على مساحة قدرت بـ٠٩١، ٦٢٩، ٩ كلم ٢، يعتنق معظمهم الديانة المسيحية بنسبة ٢٨٪ كاثوليك، ٥٪ بروتستانت، ٢٪ يهود، ٤٪ أقليات، ١٠٪ لا يدينون بدين. أما معدلات الناتج القومي الإجمالي للفرد في العالم فتعد عالية؛ إذ تبلغ ٢٠٩١٠ دولار. راجع: منصف السليمي، مصدر سبق ذكره، ص ٢١. والدكتور شادي فقيه، مصدر سبق ذكره، ص ١١٩. إميل هوبنر، مصدر سبق ذكره، ص ٢٩.

٢- اتساع رقعة الأراضي والموارد الطبيعية المتوفرة[1].

٣- خصائص المهاجر الأمريكي[2] إن هذه المتغيرات أدت إلى تكوين عنصرين واضحين في الطابع القومي الأمريكي، وأنه على المدى البعيد كان لا بد

---

(١) كان اقتصاد الولايات المتحدة في بداية عقد التسعينيات أكبر اقتصاد في العالم، حيث بلغ إجمالي الناتج القومي أو القيمة الإجمالية للبضائع والخدمات التي أنتجتها ٤٥٢٧ مليار دولار، مقارنة مع اليابان ٢٣٦٩ مليارا، والاتحاد السوفيتي ٢.٤٦٠ مليار، وألمانيا الغربية ١١٢٦ مليارا. راجع: المصدر نفسه، ص ٩٥٢.

(٢) هنا لا بد من الإشارة إلى أن هناك تمييزا بين المستوطنين والمهاجرين، فيما يخص الأُوَل فإنهم في العادة يغادرون مجتمعًا موجودًا في مجموعات لإنشاء جماعة جديدة ومدنية جديدة، على الأغلب في مكان بعيد، تجمعهم أهداف جماعية، ويقومون بعد ذلك بدعم اتفاق أو عقد بشكل ضمني أو صريح من شأنه أن يحدد أساس الجماعة التي يؤسسونها وعلاقتهم الجماعية بمجتمعهم الأصلي، في حين أن المهاجرين لا يقومون بإنشاء مجتمع جديد، حيث ينقلون من مجتمع إلى آخر متباين ومختلف. ومن سمات الهجرة أنها تكون عملية شخصية، تشمل الأفراد والعائلات، التي تحدد علاقاتها فرديًّا مع بلدها الأصل وبلدها الجديد.

وانطلاقًا من ذلك يمكننا أن نتحدث عن موضوع الهجرة في الولايات المتحدة، حيث بلغ عدد سكان الولايات المتحدة في عام ١٧٩٠ ما يقارب ٣٩٢٩٠٠٠، شَكَّل العبيد منهم ٦٩٨٠٠٠ نسمة، ولم يعدهم الآخرون جزءًا من المجتمع الأمريكي. وكان ٦٠٪ من السكان البيض إنجليزًا من الناحية العرقية و٨٠٪ بريطانيين، أما البقية الباقية فكانت من أصل ألماني وهولندي بالدرجة الأولى، ٩٨٪ بروتستانت.

تزايدت نسبة الهجرة في الولايات المتحدة في ثلاثينيات القرن التاسع عشر، ثم بدأت تميل إلى الانخفاض في خمسينيات القرن التاسع عشر، والميل إلى الزيادة في الثمانينيات، والانخفاض في التسعينيات في القرن ذاته؛ إلا أنها أصبحت في زيادة عالية خلال عقد ونصف قبل الحرب العالمية الأولى، ثم بدأت في الانخفاض بشدة بعد إقرار الهجرة عام ١٩٢٤، واستمرت في الانخفاض إلى أن صدر قانون الهجرة في عام ١٩٦٥. راجع: صموئيل ب. هنتنغتون، من نحن؟ التحديات التي تواجه الهوية الأمريكية، ترجمة حزام الدين خضور، دار الحصاد، دمشق، ٢٠٠٥، ص٥٣، ٥٨ – ٥٩. وإميل هوبنر، مصدر سبق ذكره، ص ٢٩ – ٣١.

لهذين العنصرين أن يكون لهما أثر على السياسة الخارجية، المادية أولًا، ثم السطحية ثانيًا. التفكير المتزايد من المواطن العادي الأمريكي في زيادة الدخل يشكل المحور الأساس في مفهوم النجاح الأمريكي، فهو متفائل، مؤمن بالقدرة الأمريكية، سريع التغير، يعتقد بأن أية مشكلة يمكن أن تجد حلولها بسرعة ودون صعوبة، كذلك تعكس السياسة الخارجية هذه الصفات؛ إذ يرى بعض العلماء في الرئيس الأمريكي السابق جونسون وسياسته أنموذجًا واضحًا لهذه الحقيقة، فضلًا عن ذلك فإن الأبحاث التي أجريت عن تصور دالاس للوجود السوفيتي وأثر ذلك التصور على صنع القرار السياسي الأمريكي خلال حقبة كاملة تؤكد موضوع هذه الحقيقة[١].

هناك اتفاق بين كتاب السياسة الخارجية في تحديد خصائص الطابع القومي الأمريكي، وفي هذا المجال يؤكد توكفيل "أن هذه الحركة أدت إلى قلق في المجتمع الأمريكي، ومرد ذلك الاهتمام الزائد بالقيم الخاصة على حساب القيم العامة والروح التنافسية"[٢].

يأتي جرند بعد توكفيل ليؤكد على النجاح المادي الذي حققه الأمريكي، ديكنز يلقي الضوء على سيطرة عدم الثقة الناتجة عن الروح التنافسية، هربرت سبنسر يتحدث عن العدوانية المسيطرة على السلوك الأمريكي، جيمس برايس يتحدث عن ظاهرة عدم الاستقرار وعدم اتباع السلوك العقلاني الرشيد، ثم يأتي Ostrogorski ليؤكد على خصائص المادية والعملية كي يضيف إليها خاصية أخرى هي التفاؤل؛ إذ يقول Ostrogorski في هذا المجال: "إن غنى أمريكا

---

(١) الدكتور حامد ربيع، نظرية السياسة الخارجية، مصدر سبق ذكره، ص ٧٤.

(٢) محمد سيف، مصطفى علوي، مصدر سبق ذكره، ص ٧٤.

مضافًا إليه تكافؤ الفرص قد أدى إلى تفاؤل غير محدود، فالاعتقاد في النجاح عند الأمريكي ليس مجرد اتجاه عام وإنما هو عقيدة قومية"[١].

من هذا المنطلق يقدم الأستاذ تروبوفيتر، أستاذ العلوم السياسية بجامعة تكساس، مجموعة من العوامل التي تؤثر على السياسة الخارجية الأمريكية، والدوافع المحركة للمصالح القومية الأمريكية من افتراض مبدئي فحواه أن السياسة الخارجية الأمريكية تتصف بظاهرة عدم الاستقرار، التي ترجع إلى عاملين رئيسين، يتركز الأول في الطبيعة غير المستقرة للاندماج الأمريكي في الاقتصاد العالمي، والثاني يكمن في التعددية الإقليمية -وهو محور دراستنا في هذا الفصل- في البيئة الداخلية برمتها، الأمر الذي أوجد صعوبة لدى صانع القرار في تحديد ماهية المصلحة القومية لدولة بهذا التعدد الإقليمي[٢]، وهذه التوجهات العالمية المختلفة. والحق، تعد دراسة تروبوفيتر بمثابة مدخل جديد لإدراك ومعرفة السياسة الخارجية الأمريكية[٣].

---

(١) المصدر نفسه، ص ١٦.

(٢) يشير بعض أساتذة السياسة الخارجية إلى أن مفهوم المصلحة القومية بدأ استخدامه في الفقه الأمريكي على يد رجال الدولة في الولايات المتحدة عندما استقلت الأخيرة وانبثق الدستور الأمريكي وظهر على نحو واضح في بداية القرن العشرين، وقد اتضح ذلك، وريثما انتهى قيام حربين عالميتين، من أن الرأي العام المحلي بدأ يولي اهتمامًا كبيرًا بهما، ومن هنا بدأ الاهتمام على هذا المفهوم. راجع: مصباح، مصدر سبق ذكره، ص ٣٠.

(3) Trubowits, Peter, Defining the National Interest, Chicage ; University of Chicago Press, 1998.

أجرى علماء السيكلوجيا الاجتماعية وطبائع الإنسان الثقافية الأمريكيون منهم على سبيل المثال كارل دويج وهارولد سبراوت ومارغريت مي بصورة خاصة منذ قيام الحرب العالمية الثانية، وذلك لإعداد مناهج جديدة في دراسة الطابع القومي، ولقد طبق الألماني Helpach المنهج =

هناك من الباحثين الذين يؤكدون على وجود العلاقة التأثيرية بين الطابع القومي والسياسة الخارجية، كأن يقال على سبيل المثال أن الطابع المادي للرأي العام الأمريكي، يجعل الهدف المبتغاة تحقيقه في السياسة الخارجية الأمريكية هو كيفية تحقيق الرفاهية المادية للمواطن الأمريكي، أو يقال: ارتباط الطبيعة العسكرية بالشخصية الألمانية مع العالم الخارجي، وأصحاب هذا الرأي ينطلقون من الافتراضات الثلاثة الآتية:

١- إن المواطنين في أية دولة يرتبطون بخصائص نفسية مشتركة تجعل لهم تكوينًا نفسيًّا يميزهم عن غيرهم في وحدات السياسة الخارجية.

٢- لا تتغير ظاهرة الطابع القومي بسرعة، وإن خصائصها قد تؤثر في سلوك الوحدات الدولية لحقب زمنية طويلة المدى.

٣- وجود رابطة مشتركة بين ظاهرة الطابع القومي وأهدافها القومية.

أما الرأي الثاني فيذهب إلى القول بعدم وجود هذه العلاقة التأثيرية بين الطابع القومي والسياسة الخارجية؛ لعدم وجود البراهين العلمية المقنعة لذلك، فضلًا عن عدم استمرارية خصائص الطابع القومي للأمم، بسبب ارتباط ذلك بالجانب النفسي الذي يخضع لتأثير العوامل البيئية المختلفة، وتغير هذا الطابع

= الاجتماعي السيكولوجي في مؤلفه المعروف Volkerpsychologie Einfuhrung in die، ولكن الذي يهمنا في هذا المجال وفي ميدان السياسة الخارجية هو دراسة نماذج ثابتة Stereotypes لسواد أفراد قومية بالنسبة إلى نماذج مماثلة لأفراد قومية أخرى، وتشير هذه الدراسة إلى تشويهات الحقيقة الواضحة في هذه النماذج ومصدرها، في هذا المجال يمكننا الرجوع إلى كتاب Cantril والموسوم بـHow Nations See eath Other الذي أبرز بمعلومات تنطبق على تسع وحدات دولية. راجع: بيير رينوفان وجان باتيست دوروزيل، مصدر سبق ذكره، ص ٦٣٠-٦٣١.

من حقبة إلى حقبة زمنية أخرى، وعلى سبيل المثال فإن الطابع القومي للشعب الإيطالي في العصر الوسيط يتباين عن طابعه في عصر موسوليني[١].

إن العلاقة بين الطابع القومي والسياسة الخارجية تأتي عن طريق تأثير الطابع القومي على الرأي العام المحلي من ناحية، وعلى صانعي القرارات السياسية الخارجية من ناحية أخرى؛ لأن معرفة اتجاهات وآراء الرأي العام المحلي إزاء السياسة الخارجية لا تأتي فقط من الاستجابة لمشكلات ومواقف موضوعية، بل تتأثر أيضًا بالسمات الأساسية في الطابع القومي[٢].

وهذا يعني أن تلك النماذج غير العقلانية للسلوك ورد الفعل تؤثر بشكل كبير على إدراك واختيار وتقويم الحقيقة السياسية، فعلى مستوى الرأي العام تحدد تلك الخصائص السيكولوجية الحضارية أنماط الفكر والاستجابة لمشكلات السياسة الخارجية وتكييفها[٣]، فإذا كان لدينا دولة (أ) ودولة (ب)، فعند صانعي القرارات في الدولة (أ) يصنع قرار (س) تجاه الدولة (ب)، ففي مثل هذه الحالة فإن هؤلاء يأخذون بنظر الاعتبار في عملية صنع القرار الطابع القومي للدولة (ب)، والصورة القومية للدولة (ب) لدى الرأي العام (أ)، كما أن الطابع القومي للمجتمع (أ) ينعكس على صانعي قراراته الخارجية وعلى استجابة للرأي العام المحلي للقرار (س)، هذه الاعتبارات لا تدخل فقط في عملية صنع القرار، بل إنها أحد العوامل المحددة لنجاح القرار (س) في تحقيق أهدافه[٤].

---

(١) مصباح، مصدر سبق ذكره، ص ١٠٢-١٠٣.

(٢) محمد سيف، مصطفى علوي، مصدر سبق ذكره، ص ١٥.

(٣) المصدر نفسه.

(٤) المصدر نفسه.

بهذا المعنى يمكننا أن نقدم الملاحظات الآتية حول العلاقة بين مفهوم الطابع القومي والسياسة الخارجية في النقاط الآتية[١]:

١- يؤدي الطابع القومي إلى فهم أبعاد الحركة السياسية الداخلية، ولا سيما إذا عرفنا مدى العلاقة بين السياسة الداخلية والسياسة الخارجية.

٢- إن الطابع القومي قد يؤدي في نهاية الأمر إلى تأصيل سياسة التعاون والتقارب. في دراسة حديثة قام بها العالمان بوخانان وكانتريل بعنوان: كيف ترى الشعوب الأخرى؟ وذلك لحساب منظمة اليونيسكو استطاع أن يقدم لنا علم النفس الاجتماعي ما يؤكد هذه الملاحظة. إن هذه الأبحاث في حقيقة الأمر من الممكن أن تقود إلى نتيجة أخرى عملية تدور حول اكتشاف أبعاد ونطاق التنظيمات الإقليمية للهيئات الدولية، فحيث إن التنظيمات الإقليمية تدور حول مبدأ التعاون، فمن الواضح أن حدود تلك التنظيمات يجب أن يحددها أبعاد القدرة على التعاون، وبالتالي تتلاعب بخصوصها خصائص الطابع القومي.

٣- على أن هذه الأهمية تزداد وضوحًا في نطاق دبلوماسية التجمعات، حيث السياسة الخارجية تختلط بالسياسة الداخلية وتصير كلًّا يكاد لا يتجزأ، وتبرز هذه الأهمية بشكل خاص في المراحل الأولى من ظاهرة الاندماج السياسي، فالحساسية المبالغ فيها التي تميز بعض الطبقات والفئات ذات المصالح المعارضة للاندماج والمؤكدة للانفصال تجعل من عملية فهم الطابع القومي ولو على مستواه المحلي أمرًا ضروريًّا ولازمًا لنجاح السياسة الاندماجية.

---

(١) الدكتور حامد ربيع، نظرية السياسة الخارجية، مصدر سبق ذكره، ص٦٥-٦٧.

٤- تبرز أهمية تحليل وفهم الطابع القومي عندما تأخذ السياسة الخارجية أسلوب التغلغل في المجتمعات الأجنبية، من خلال التفاعل مع الرأي العام المحلي، والسعي لتفتيته أو الحصول على مساندته بأسلوب مستتر.

٥- اتبعت السياسة الخارجية الأمريكية هذا الأسلوب بشكل واضح كأداة من أدوات الاستعمار الجديد، وبصفة خاصة في عملية تقليم أظافر المجتمعات الخطرة.

لا بد من الإشارة في هذا المجال إلى أن ظاهرة الطابع القومي لها تأثير على عملية صنع القرار في السياسة الخارجية؛ لأن صانعي القرار هم جزء من مجتمع سياسي معين؛ إذ إن سلوكهم يعكس العلاقة بين نسق المعتقدات والإدراك وعملية صنع القرار، فصانع القرار يتصرف استنادًا إلى صورة أكثر منها إلى حقيقة موضوعية. ويوضح هذا الدور الملقى على نسق المعتقدات في عمليات الإدراك خصوصًا بالنظر إلى الصور القومية النمطية. وفي هذا المجال يذهب كينيث بولدنج إلى أن "الدول تنقسم إلى جيدة ورديئة، العدو يحمل الصفات الرديئة، أما الأمة نفسها بمعنى صورتها عن نفسها فهي تتسم بالفضيلة في أنقى صورها"[(١)].

إن هذه العلاقة بين ظاهرة الطابع القومي والصراع الدولي تتأتى من تصرف صانعي القرار بموجب تعريفهم للموقف والصورة الواردة في ذهنهم عن الدول، وهذه الصور بدورها تستند إلى نسق القيم والمعتقدات لدى صانعي القرار، وهي قد تكون مطابقة فعلًا للحقيقة وقد لا تكون كذلك، وهكذا فإن الصراع الدولي لا يكون عادة بين دول وإنما الأرجح أنه يكون بين صور مشوهة للدول[(٢)].

---

(١) الدكتور عبد الغفار رشاد، مصدر سبق ذكره، ص ٧١.

(٢) المصدر نفسه، ص ٧١.

ب- **الرأي العام:**

تستهدف أية حكومة تعبئة أكبر قطاع ممكن من الرأي العام لتأييد سياسة معينة وبرنامج معين، وتنشد قاسمًا مشتركًا أعظم يعبر عنه بمبادئ وأفكار عامة أكثر مما يعبر عنه بخطة إستراتيجية محددة كتلك التي تعينها السياسات العسكرية في احتمالات عملية لمواجهة الظروف، وبطبيعة الحال فإن المؤسسات السياسية الرسمية لها تأثير فعال على صنع القرارات في السياسة الخارجية بما لها من أجهزة متعددة ووسائل أخرى تمكنها من اتخاذ موقف معين، إلا أن هذا لا يعني أن الجماعات غير المنظمة لم يكن لها دور في هذا المجال، ويتم ذلك من خلال الانتخابات؛ إذ إن صانعي القرارات يأخذون في اعتبارهم الرأي العام، ولا سيما في القرارات التي تتخذ قرب الحملات الانتخابية، وإرسال الرسائل إلى المؤسسة التشريعية أو أية مؤسسة أخرى، وهذا يوضح لدى صانعي القرارات اتجاهات الرأي العام التي قد تؤيد أو تعارض قرارًا معينًا، ويمثل في الوقت نفسه الإطار العام للحركة السياسية الذي يوضح اتجاه الرأي العام بخصوص السياسة الخارجية بصفة عامة.

وفي هذا المجال لا بد أن نقدم تعريفًا للرأي العام؛ إذ يعرفه جيمس برايس بأنه مدلول يستخدم للتعبير عن مجموعة من الآراء التي يدين بها الناس إزاء القضايا التي تمس مصالحهم العامة والخاصة[1].

---

(1) Bryce, Games, Modren Demecraites, 11, NewYork ; The Mocmillan Co. ,1921, P.370.

اختلف الباحثون حول مدلول الرأي العام، فبعضهم يعرفه بأنه رأي حول أمور عامة، فيما يبرز بعض آخر مدلول لفظ العام من حيث القواعد المشتركة والعضوية في مجتمع واحد، وبالتالي يعرفون الرأي العام كرأي حول قضية ما يعتنقه مجتمع واحد يؤمن بعدة قواعد مشتركة، أما =

أما فلويد أولبرت فإنه يعرف الرأي العام بأنه: "تعبير جمع كبير من الأفراد عن آرائهم في موقف معين، إما من تلقاء أنفسهم أو بناء على دعوة توجه إليهم، تعبيرًا مؤيدًا أو معارضًا لمسألة معينة أو شخص معين أو اقتراح ذي أهمية واسعة، بحيث تكون نسبة المؤيدين أو المعارضين في العدد ودرجة اقتناعهم وثباتهم واستمرارهم كافية لاحتمال ممارسة التأثير على اتخاذ إجراء معين بطريق مباشر أو غير مباشر تجاه الموضوع الذي هم بصدده"(١).

ويعرف ليونارد دوب الرأي العام بأنه: "يشير الرأي العام إلى اتجاهات أفراد الشعب إزاء مشكلة ما في حالة انتمائهم إلى مجموعة اجتماعية واحدة"(٢). أما ديفيد ترومان فإنه عرف الرأي العام قائلًا: "يتضمن الرأي العام آراء تُجْمَع من الأفراد الذين يشكلون العامة محل المناقشة"(٣).

ويعرف لاري الوتيز الرأي العام بأنه "مجموعة الآراء والاتجاهات التي يتبناها مختلف الجماعات والأفراد تجاه النظام السياسي بصفة عامة، والقضايا الجماهيرية الهامة بصفة خاصة، ويتعين على القادة أن يأخذوا في اعتبارهم وجهات نظر هذه الجماعات المتباينة عندما يقومون بصياغة سياساتهم الجديدة"(٤).

=

البعض الآخر فيوضح هذا المفهوم من خلال التركيز على الأدوات التي تشكله، مثل التفاعل الاجتماعي ونظم الاتصال وردود الفعل Feed Back، فضلًا عن طرق تعبئته. راجع: آسيا الميهي، "الرأي العام في السياسة الخارجية الأمريكية"، السياسة الدولية، العدد ١٢٧، يناير ١٩٩٧، ص٨٦.

(١) الدكتور علي محمد شمبش، مصدر سبق ذكره، ص ٧٠.

(٢) المصدر نفسه، ص ٧٣.

(٣) المصدر نفسه، ص ٧٣.

(٤) لاري الويتز، مصدر سبق ذكره، ص ٤٥.

=

ولا بد من التأكيد في هذا المجال على أنه ليس من الضروري أن نفترض وجود دولة ديمقراطية أو نظرية عن مفهوم "الإرادة العامة" لا تـأخذ بنظر الاعتبار أهمية الرأي العام، وفي هذا المجال قال دافيد هيوم: "على الرأي وحدة تبني الحكومة، وهذه القاعدة تنطبق على أكثر الحكومات استبدادًا في المجالات العسكرية، وتنطبق على أكثرها حرية وشعبية[١]. فضلًا عن ذلك فإن الرأي العام يكون له تأثير في حالتـين[٢]:

١- عندما يكون هذا الرأي غير منظم بشكل مزاج عام يبين الحدود التي يمكن أن تدور السياسة داخلها.

٢- أو عندما يعبر الرأي العام عن مصالح شرائح متعددة بطرق منظمة.

والحق أن القادة السياسيين في أوروبا في القرن التاسع عشر كانوا لا يهتمون بأهمية الرأي العام في اتخاذ القرارات في السياسة الخارجية، وفي هذا الصدد يقول مترنيخ: "إن وجوب علم الجمهور بشيء عن السياسة الخارجية، أو أن يكون له رأي فيها، أمر خطير وشيء من الخيال"[٣].

إلا أن الاعتراف بأهمية الرأي العام بدأ عند رجال السياسة في بريطانيا، الذين كانوا يعتقدون بأن الرأي العام العالمي لا سيما في أوروبا شبيه بالرأي العام

= يتعرف الأمريكيون على قياداتهم ويطورون آراءهم عن الحكومة من خلال عملية التوعية السياسية والاجتماعية، وتتأثر هذه العملية في الأساس بالأسرة والمدرسة وجماعات الأقران ووسائل الإعلام والأحداث التي تقع في كل جيل. راجع: المصدر نفسه، ص ٤٨.

(1) Frankel, Joseph, International Relation, Op. Cit, P.34.

(2) Ibid., PP. 34-35.

(٣) نيكولسون، مصدر سبق ذكره، ص ٨٥.

الإنجليزي، وأنه لو أُعطي فرصة التعبير عن نفسه كان السلم لا محالة سائدًا في تلك القارة"[١].

وقد أعطى كاننغ وبالمرستون أهمية كبرى لدور الرأي العام في السياسة الخارجية، ويقول كاننغ في هذا الشأن: "قوة أشد هولًا من أية قوة أخرى ظهرت حتى ذلك الحين في تاريخ البشرية، وستنتصر في النهاية على حراب المشاة ونيران المدفعية وحملات الفرسان"[٢].

وفي هذا المعنى يقول لويد جورج: "إنني واثق من أن الرأي العام لن يدعمنا إذا تدخلنا في ظروف مماثلة لا في أمريكا ولا في إنجلترا". ويردف لويد جورج قائلًا: "إن الرأي العام عندنا يرغب قبل كل شيء في السلام، وهو لا يعلق أهمية على شروط هذا السلام، ولن يدعم حكومة تثير الحرب دون أسباب قاهرة غاية في العنف"[٣].

أما فيما يخص كلمنصو فيقول في هذا المجال: "إنني مثله -لويد جورج- أتلقى تيار الرأي العام في بلدي، وعليَّ أن أحسب له حسابًا، أعتقد أن العالم كله متعجل للخلاص، إنهم يرون في إنجلترا أن عليهم الوصول إلى النهاية عن طريق التنازلات، أما في فرنسا فنعتقد أن علينا أن نقسو، نحن نعرف الألمانيين أكثر من أي مكان"[٤].

ويردف كلمنصو قائلًا: "إن الرأي العام البريطاني لا يشكو؛ إذ يرى ألمانيا ملزمة بإعطاء كل مستعمراتها وكل أسطولها، وهذا طبيعي؛ لأن كل شعب يرى

---

(١) المصدر نفسه، ص ٨٦.

(٢) المصدر نفسه، ص ٨٦، ومارسيل ميرل، السياسة الخارجية، مصدر سبق ذكره، ص ٩٤.

(٣) بيير رينوفان وجان باتيسي دوروزيل، مصدر سبق ذكره، ص ٤٩٤.

(٤) المصدر نفسه، ص.

المسائل من وجهة نظره الخاصة، إن شعورًا ليس أقل من أن يكون طبيعيًّا في فرنسا يرى أن الانتصارات البريطانية تتركز على المسائل القارية فحسب". ويضيف كلمنصو قائلًا: "إن مجالسنا النيابية تظن أنه لا يمكن أن نعطي عطاءً كافيًا، إن صحفًا يدعمها أحيانًا نفوذ على أعلى المستويات تخاطبني كل يوم قائلة: إنني لا أعمل عملًا كافيًا، إنني أقوم بواجبي، وهذا حسبي"[١].

والحق، تقتضي الفلسفة الديمقراطية أن يقرر الشعب الأهداف العامة للسياسة الخارجية، وأن تتخذ القيادة السياسية -أي السلطة التنفيذية- القرارات الموصلة لهذه الأهداف وأن تقوم بتنفيذها، ويثق المفكرون الديمقراطيون بأهلية الشعب لتقرير هذه الأهداف. ويعبر جيمس برايس عن هذه الثقة مؤكدًا أن الديمقراطية أظهرت من الحكمة في اعتماد أهدافها الخارجية العامة أكثر مما أظهرت الدول الاستبدادية، ولكن أثر المفكرين الديمقراطيين يسلمون أن الشعب أقل وعيًا وأقل عصمة من الخطأ في الشئون الخارجية منه في الشئون الداخلية[٢]. يمكن النظر إلى الرأي العام على أنه نظام للقرارات القومية،

---

(١) المصدر نفسه، ص ٤٩٤-٤٩٥.

(٢) مكريدس، وتومبسون، نظريات السياسة الخارجية ومعضلاتها، مصدر سبق ذكره، ص ٥٤.
يقول توكفيل في كتابه "الديمقراطية في أمريكا": "تقيم الأغلبية في الولايات المتحدة حواجز منيعة حول حرية الرأي، وفي نطاق هذه الحواجز يستطيع المؤلف أن يكتب ما يشاء، وويل له إن تجاوزها.. يتعرض للفضيحة وللاضطهاد المستمرين، ويقضي على حياته السياسية بيده إلى الأبد، والويل لا يعني إحراق كتبه وحظر تداولها، بل يعني الازدراء وضروبًا من الاضطهاد اليومي، وتقفل دونه أبواب العمل السياسي، لقد أغضب بصنيعه السلطة الوحيدة التي تمسك بمفتاحها، يحرم من كل شيء حتى الشهرة، قبل أن ينشر آراءه كان يحسب أن مناصريه كثر، أما وقد جاهر بها فيبدو له أن أحدًا من الناس ما عاد يناصره، وذلك لأن من يناصبونه العداء يجاهرون برأيهم، بينما الذين يشاطرونه الرأي يصمتون ويبتعدون؛ لأنهم لا يمتلكون جرأته، فيستسلم ويزداد رضوخًا لمعاناته اليومية، ويلزم الصمت كأنه نادم على إشهاره الحقيقة!

=

ويمكن لبعض أغراض تخص التحليل أن نتصور تدفق الاتصالات والقرارات في صورة مبسطة للغاية، كأنه مسقط ماء من خمسة مستويات، ويمكن أن نتصور كل مستوى خزانًا معينًا من الرأي العام أو رأي الصفوة، وكل من هذه الخزانات متصل بمركب معين من المؤسسات الاجتماعية والجماعات التي تمثل المركز الاجتماعي، وتنساب الاتصالات بسهولة أكثر من داخل كل مستوى منها لو كانت تنساب من مستوى إلى الآخر، وهي تنساب من مستويات المراكز الاجتماعية العليا إلى المستويات الدنيا بسهولة أكبر مما لو انعكس الوضع، ونظام الاتصال والعمل في كل مستوى يمكن أن يمثله "صندوق أسود" بسيط فيه بطاقات قليلة ملصقة بأجزاء منه، بحيث تشير إلى الرسائل والخبرات الواردة الذاكرة والتذكر، القرار من خلال الربط بين البيانات الواردة والمعلومات المستقاة من الذاكرة لتحديد إنتاج السلوك وإنتاج الرسائل والاتصال التي تستنتج والتي يمكن أن تعيد المعلومات إلى جانب الوارد في النظام، وبهذا تعدل المراحل التالية من سلوكه(١).

أول هذه المستويات من خزانات الرأي العام في المجتمعات الغربية هو مستوى الصفوة الاجتماعية والاقتصادية وتمثل على وجه التقريب، ٣٪ أو نحو ذلك من السكان على أساس الملكية والدخل والمركز الاجتماعي-الاقتصادي –

________________=

ويضيف توكفيل قائلًا: "لم تنجب أمريكا إلى اليوم سوى نفر قليل من الكتاب البارزين، كما أنها لم تنجب مؤرخين مرموقين، ولا نعثر فيها على شاعر واحد؛ إذ ينظر أهلها إلى الأدب نظرة استخفاف وعدم اكتراث؛ فقد نعثر في أوروبا على مدن من الدرجة الثالثة من حيث الأهمية تنشر سنويًّا عددًا من الأعمال الأدبية يفوق ما تنشره ولايات الاتحاد الأربع والعشرون مجتمعة".

Tokfel, Democracy in The United States, Op.Cit., PP.232-233.

(1) Dutsch, Op.Cit., PP. 119-120.

كبار الملاك، وحملة الأسهم، وأصحاب الأعمال، والمستثمرون والموظفون في الإدارة العليا ومؤسساتهم الرئيسة مثل الشركات في مجالات التجارة والمصرفية والاستثمار[1]. والمستوى الثاني في عالم غربي يتكون من الصفوة السياسية والحكومية، وهذه الصفوة تدور أساسًا حول الحكومة القومية، ويتكون المستوى الثالث من وسائل الاتصال بالجماهير -ولا سيما الصحف والمجلات والتلفزيون والإذاعة- مع وكالات الإعلان والسينما والأسطوانات، وصناعات النشر بوصفها ملحقات وثيقة الاتصال بها، ونظام الاتصال في المستوى الرابع أكبر بكثير وأقل تماسكًا بكثير، ولكنه لا يقل أهمية، ويمكن تمثيله كصندوق أسود شبيه بما في كل من المستويات الأخرى، ولكنه يختلف عنها من حيث المحتوى، فهو يتكون من شبكة من قادة الرأي المحليين؛ أي نسبة قدرها ٥ أو ١٠ من الأماكن ممن يوجهون اهتمامًا متصلًا بوسائل الاتصال الجماهيرية، وإلى حد ما بالسياسات الخارجية[2].

وتتكون المجموعة الخامسة والأكبر المكونة من الرأي العام من طبقات السكان عمومًا ممن لهم أهمية من الناحية السياسية نظرًا لإمكانية الوصول إليهم واهتماماتهم وقدراتهم، ولأنهم كبار في السن بدرجة تجعل لهم تأثيرًا محتملًا على السياسة، بحيث يتعين أخذهم بنظر الاعتبار في تقدير مجرى الأحداث السياسية المحتملة والنتيجة المحتملة للأزمة، وهؤلاء من ذوي الفعالية من الناحية السياسية يشكلون في الأقطار الغربية مجموع الناخبين الذين يدلون بأصواتهم بالفعل؛ أي: يبلغ عددهم ما بين ٦٠ و٩٠ في المائة من السكان البالغين[3].

---

(1) Ibid., P.120.

(2) Ibid., PP.120-121.

(3) Ibid., P.122.

وقد ظهرت محاولات عديدة لإبراز العلاقة بين الرأي العام والسياسة الخارجية، ومن بين هذه الدراسات نظرية جابرييل ألموند، والمسماة بنظرية المزاج، والتي تقول: "إن الاهتمام بالسياسة الخارجية والرغبة في تتبع تطوراتها منخفض بصفة عامة، وقابل للتغلب الملحوظ في وقت الأزمات"[١].

وفي هذا المجال يمكننا أن نطرح دراسة أنموذج الرأي العام الأمريكي وعلاقته بالسياسة الخارجية؛ إذ يؤكد الواقع أن تأثير الرأي العام على السياسة الخارجية الأمريكية من خلال العملية الانتخابية محدود للغاية، بسبب أن المرشحين نادرًا ما يطرحون اهتماماتهم بقضايا السياسة الخارجية خلال الحملات الانتخابية، ففي التنافس على منصب الرئاسة ينصب الاهتمام على أمور معينة، من بينها نظرية الأمن القومي، في حين يحاول المرشحون في انتخابات الكونغرس إثبات صلاحيتهم لعضوية الكونغرس من خلال كسب ثقة وتعاطف الناخبين، ومما لا شك فيه أن الاهتمام بالسياسة الداخلية يتيح للمرشح عدم تقديم وعود في نطاق السياسة الخارجية، أما جمهور الناخبين فإن منح أصواتهم للمرشحين لا علاقة له بموقف المرشحين في قضايا السياسة الخارجية، بل إن عناصر مثل الانتماء الحزبي وصورة المرشح عند الرأي العام هي الأكثر تأثيرًا عند التصويت[٢].
هناك اتفاق بين الباحثين على أن الرأي العام في الولايات المتحدة من النادر أن يكون مصدرًا لتغيير السياسة الخارجية، بل إنه فقط يضع حدودًا ممكنة ومقبولة سياسيًّا، بينما يرى البعض أن الرأي العام يشكل قيدًا فعليًّا على متخذي القرار نظرًا لأنه يتأثر بالتصريحات الرئاسية، ويتغير مع توجهات المجتمع الدولي، وفي هذا

(١) شمبش، مصدر سبق ذكره، ص ٣٥٩.
(٢) آسيا الميهي، "الرأي العام في السياسة الخارجية الأمريكية"، مصدر سبق ذكره، ص٨٨.
Jentleson, Op. Cit.,p.58.

الشأن يقول مستشار الرئيس الأمريكي الراحل ترومان: "إن مهمة الرئيس هي قيادة الرأي العام وليس الاتباع الأعمى له". وفي هذا المعنى قال ثيودو مورنسن مستشار الرئيس كيندي "ليس هناك رئيس ملزم بأوامر الرأي العام، بل هو عليه مسئولية قيادة الرأي العام وتكوينه وإطلاعه وكسبه، ولا سيما لإحصائيات حقبة الستينيات، وبالتحديد إحصائية عام ١٩٦٤، اتضح أن ٥٨٪ من الرأي العام الأمريكي كانوا يعرفون أن الولايات المتحدة دولة عضوة في حلف شمال الأطلسي، وأن ٣٨٪ منهم كانوا يهتمون بالاتحاد السوفيتي. وفي مثال آخر نرى أنه في عام ١٩٨٦ وعلى الرغم من التوتر الشديد في الصراع الدائر في نيكاراغوا من قبل إدارة ريغان فقط ٣٨٪ من الرأي العام الأمريكي كانوا يعرفون بشكل صحيح مساندة الإدارة الأمريكية للكونترا أو الساندنيت، وأكثر من هذا، وبعد ثلاثة شهور من الحفل الذي أقيم في البيت الأبيض بين الرئيس كلينتون ورئيس وزراء الكيان الصهيوني إسحاق رابين ورئيس منظمة التحرير الفلسطينية ياسر عرفات في ١٣ أيلول ١٩٩٣ اتضح أن ٥٦٪ من الرأي العام الأمريكي كانوا لا يعرفون قيادة الرئيس ياسر عرفات.

وفيما يخص الوطن العربي فإن ٧٥٪ من الشعب الأمريكي الناضج يجهلون موقع منطقة الخليج العربي، بينما ١٤٪ منهم غير قادرين على تعريف موقع الولايات المتحدة. معظم الأمريكيين لا يستطيعون تحديد موقع إندونيسيا على الخريطة، هذه الحقيقة تحير وتدهش الإندونيسيين؛ لأن مصير دولتهم خلال السنوات الستين الماضية ارتبط ارتباطًا مباشرًا بالسياسة الخارجية الأمريكية[1]، فضلًا عن ذلك فإن ٤٦٪ من جمهور الناخبين يعتقدون أن المعونة الخارجية تشكل أقل ١٪ منها، فضلًا عن أن إحدى الدراسات كشفت أن الغالبية العظمى من

(١) باراك أوباما، جرأة الأمل أفكار عن استعادة الحلم الأمريكي، مصدر سبق ذكره، ص ٢٧٧.

المجتمع الأمريكي يعطون الأولوية للشئون الخارجية، ولا سيما الاقتصادية بالمقارنة مع السياسة الخارجية.

وفي استطلاع لأهمية الرأي العام في موضوعات السياسة الخارجية لسنوات ١٩٧٤، ١٩٧٨، ١٩٨٢، ١٩٨٦، ١٩٩٠ تبين مدى اهتمام الرأي العام المحلي بقضايا السياسية الداخلية والذي بلغ بين ٦١.٥٥٪ على مدى سنوات، في حين وصل هذا الاهتمام في السياسة الخارجية إلى مستويات أدنى من ذلك بكثير؛ إذ بلغ ٤١٪، وقد اتضح أيضًا أن ما يقارب ٢١ إلى ٢٣٪ من الرأي العام الأمريكي على بينة كاملة بقضايا السياسة الخارجية، وقد أطلق على[1] هؤلاء لفظ "الجمهور الفطن".

لمعرفة اهتمام الرأي العام المحلي الأمريكي بموضوعات السياسة الداخلية يمكننا أن نرجع إلى أزمة الرئيس بيل كلينتون في كانون الثاني من عام ١٩٩٨،

(١) اتصل إسحاق رابين بالرئيس كلينتون في التاسع من أيلول ١٩٩٣ وأخبره بوصول الكيان الصهيوني ومنظمة التحرير الفلسطينية إلى اتفاق التسوية في إطار اتفاق عقده الطرفان في أوسلو، وكان هذا تمهيدًا لإقامة الحفل في ١٣ أيلول ١٩٩٣ في الحديقة الجنوبية للبيت الأبيض، حيث واجهت الإدارة الأمريكية بعض المشاكل حتى اللحظة الأخيرة بسبب اعتراض الفلسطينيين على غياب أية إشارة إلى منظمة التحرير الفلسطينية وإعلان المبادئ وإعلان رابين عدم الحضور في حالة ارتداء الرئيس ياسر عرفات الزي العسكري، إلى حدٍّ التمست الإدارة الأمريكية من الأمير بندر بن السلطان السفير السعودي في واشنطن إقناع عرفات بأنه لا لزوم للمسدسات ولا للبذلات. وافق شمعون بيريز في النهاية على إدراج منظمة التحرير الفلسطينية في أول سطر من الوثيقة وعند مكان التوقيع أسفلها. راجع: دنيس روس، السلام المفقود: خفايا الصراع حول سلام الشرق الأوسط، ترجمة عمر الأيوبي وسامي كعكي، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، ٢٠٠٥، ص ١٧٠، ١٧٢. وبيل كلينتون، حياتي، ترجمة حسام الدين خضور، دار الرأي للنشر، دمشق، سوريا، ٢٠٠٤، ص٥٥١ –٥٥٥.

حيث برئت ساحته من اتهامات بأنه كان متورطًا في عملية جمع تبرعات غير قانونية خلال الحملة الانتخابية عام ١٩٩٦، كان لا يزال يدافع عن نفسه في مجموعتين من التهم، كانت الأولى بشأن دعوى بالتحرش الجنسي أقامتها باولا جونز، وهي موظفة سابقة في ولاية أركانسو (التي كان كلينتون حاكمها قبل انتخابه رئيسًا)، وطلب كلينتون من المحكمة تأجيل المحاكمة المدنية إلى حين انتهاء ولايته، فإن البلاد كلها تقريبًا بما في ذلك الصحف الليبرالية مثل "نيويورك تايمز" و"واشنطن بوست" عارضت طلب كلينتون رافعين شعار "لا أحد فوق القانون"، ولكن كلينتون لم يكن يطلب إعفاءه من المحاكمة المدنية، فكل ما كان يطالب به هو إجراء روتيني معهود، وعندما رفضت المحكمة الاتحادية في النهاية طلب كلينتون وقضت بوجوب محاكمته أثناء ولايته الرئاسية، اتفقت البلاد كلها مرة أخرى مع رأي المحكمة الذي حظي بمديح واسع؛ لكونه عكس المبدأ الأمريكي في أنه لا أحد فوق القانون. وفي هذا المجال قالت صحيفة "لوس أنجلوس تايمز": "إن المحكمة الاتحادية العليا قد قضت بصورة صحيحة بأن الرئيس لا يتمتع بأي حق دستوري في التأجيل المؤقت"، في حين كتبت صحيفة "نيويورك ديلي نيوز" قائلة: "عندما ينتهي كل شيء، فإن التاريخ سيسجل أن المحكمة قد تمسكت برأيها بأن الرئيس هو أولًا مواطن أمريكي يخضع للقانون، حاله كحال غيره"[١]. وكانت التهمة الثانية التي

---

(١) كشفت صحيفة واشنطن بوست في ٢١ كانون الثاني ١٩٩٨ علاقة الرئيس الغرامية، وأشارت الصحيفة أيضًا إلى أنه حث عشيقته السابقة على كتم الحقيقة، وبعد ثلاثة أيام عاد الرئيس ليؤكد أمام عدسات التلفزة أنه لم يقم علاقات جنسية مع مونيكا. في هذا الجو العاصف نال كلينتون على الأقل دعمًا تامًّا من بعض المؤيدين، وكان جاك شيراك في عدادهم، واعتبر الرئيس الفرنسي هذه القضية مهزلة وقال لمقربيه: "إنها سخافة، وقال: على الأخص إن هجمات من أرادوا الإساءة =

كانت موضع تحقيق بوساطة المحقق المستقل كينيث ستار تدور حول تورط كلينتون في مضاربة عقارية غير مشروعة كجزء من مؤسسة وايت ووتر للتنمية، وفي محاولة لإثبات أن كلينتون دأب على طلب لفتات جنسية من الموظفات، قام محامي باولا جونز بطلب استدعاء متدربة سابقة للشهادة هي مونيكا لوينسكي، وقد قدم ادعاء بأن كلينتون ولوينسكي قد أقاما علاقة جنسية، وأن كلينتون قد دفع لوينسكي إلى أن تشهد كذبًا وتنكر الاتهام في شهادتها تحت القسم. ورغم أن هذا النمط من السلوك الجنسي غير ذي أهمية من الناحية القانونية في التقاليد الأمريكية، فإن الاتهامات التي وجهت إلى كلينتون تضمنت تهمًا جنائية بإعاقة العدالة. وفي كانون الأول ١٩٩٨ جرى اتهامه بالإخلال بواجبات وظيفته أمام مجلس النواب عن بندين (شهادة الزور، وإعاقة العدالة) ثم مثل أمام مجلس الشيوخ لاحتمال إدانته وعزله عن منصبه، وهو الإجراء الأول من نوعه منذ اتهام الرئيس أندرو جونسون بالإخلال بواجبات وظيفته عام ١٨٦٨، وكان الرئيس كلينتون في ورطة[1].

ويلقي موقف الرأي العام حول علاقة الرئيس كلينتون مع لوينسكي الضوء على طبيعة الرئاسة في الوقت الحاضر، فعندما سئل الجمهور عما إذا كانوا يظنون

=

إلى صديقه بيل مقززة ولا مجال للتفاخر بها. راجع: فنسان نوزيل، أسرار الرؤساء وكالة المخابرات. البيت الأبيض. الإليزيه: الملفات السرية ١٩٨١ – ٢٠١٠، ترجمة فاطمة علي الخوجة، سناء خوري، هناء خوري، موريس شربل، جروس برس ناشرون، طرابلس، لبنان، ٢٠١١، ص ٤٦٧ – ٤٦٨. وفنسنت بوغليوسي، مقاضاة جورج دبليو بوش بجريمة القتل، ترجمة محمد حديد الشجيري، مركز العراق للدراسات، مطبعة البينة (بلا)، ٢٠١٠، ص ١٩ – ٢٠.

(١) ثيودور لووي، مصدر سبق ذكره، ص ٢٦٣. وفنسنت بوغليوسي، مصدر سبق ذكره، ص ٢١.

أن كلينتون متورط في إخفاء الحقيقة أجاب ٥١ في المائة منهم بالإيجاب، وعندما سئلوا عما إذا كان ينبغي عزل كلينتون من منصبه إذا ثبت أنه كذب تحت القسم عن علاقته أجاب ٥٥ في المائة منهم بالإيجاب، وعندما سئلوا عما إذا كان ينبغي عزله من منصبه إذا ثبت أنه حرض لوينسكي على الكذب تحت القسم أجاب ٦٣ في المائة منهم بالإيجاب، لكن عندما سئلوا عما إذا كانوا يوافقون أو لا يوافقون على الطريقة التي يدير بها مهام وظيفته، أبدت نسبة صارخة بلغت ٦٨ في المائة موافقتهم، وأعطوا الرئيس كلينتون بذلك أعلى نسبة قبول حتى ذلك الوقت. وعلى الرغم من أن نتائج استطلاع الرأي هذه قد تبدو محيرة للوهلة الأولى فإنها تبدي حقيقة هامة وهي أن للرئاسة طبيعة ثنائية يحسها الأمريكيون ويتصرفون بناء عليها، والسلطة التي مارسها الرئيس كلينتون والتأييد الذي بدا أنه حصل عليه عقب هذه النكسة توجد ركائزه في مؤسسة الرئاسة أكثر من شخص الرئيس نفسه. وبعبارة أكثر دقة: يحترم الأمريكيون الرئاسة كمؤسسة، ويحترمون قدراتها على السيطرة حتى ولو لم يكونوا موافقين على الشخص الموجود في المنصب. إن المنصب هو الذي يمارس السلطة وليس الشخص بالضرورة[(١)].

عندما نشرت هذه البيانات التي وضحت أن الرأي العام كان سلبيًّا بدرجة كبيرة إزاء السلوك الجنسي المشين قرر كلينتون أن يبقى صلبًا حتى النهاية، وأن يحاول أن يخرج منتصرًا بإنكاره "لأية علاقة جنسية بهذه المرأة"، وعندما جاء الوقت الذي لم يستطع فيه كلينتون أن يستمر في إنكار العلاقة بعد ثمانية أشهر

---

(١) ثيودور لووي، مصدر سبق ذكره، ص ٢٦٤.

من الشهادة المتصاعدة ضده، وفي آب ١٩٩٨ كان الرأي العام قد تحول بالفعل لصالحه[١].

هذا يعني أن كلينتون استطاع النجاة من محاولة الجمهوريين عزله من منصبه بعد اعترافه بعلاقة جنسية غير لائقة مع متدربة في البيت الأبيض هي مونيكا ليونسكي؛ فقد أدان مجلس النواب كلينتون بناء على اقتراع تم على أساس حزبي؛ أي أن الأعضاء الجمهوريين جميعًا صوتوا ضده، بينما صوت الأعضاء الديمقراطيون جميعًا لصالحه، لكن تمت تبرئته في تصويت آخر في مجلس الشيوخ تم كذلك على أساس حزبي، (حيث يحتاج الأمر إلى أغلبية الثلثين لإدانته)[٢].

وفي الوقت ذاته أظهر مسح أجرته مجلة (National Geographic)[٣] أن واحدًا فقط من بين سبعة من الأمريكيين ممن تتراوح أعمارهم بين[٤] ١٨ – ٢٤ كانوا يستطيعون تحديد موقع العراق على خارطة العالم.

هناك ١٪ فقط من طلبة الجامعات الأمريكية يدرسون في الخارج، وليس لدى معظمهم أدنى فكرة عن مكان وجود الدول الأخرى، وقد وجدت دراسة أجرتها الجمعية الجغرافية الوطنية في سنة ٢٠٠٢ أن ٨٥٪ من الشباب الأمريكيين

---

(١) المصدر نفسه، ص ٣٠٧.

(٢) المصدر نفسه، ص ٥٦٦.

(٣) ليام أندرسن، غاريث ستانسفيلد، عراق المستقبل ديكتاتورية، ديمقراطية، أم تقسيم؟، مراجعة وتقديم وتعليق ماجد شبر، دار الوراق للنشر، لندن، ٢٠٠٥، ص ١٧.

(٤) زبيغنيو بريجنسكي، الفرصة الثانية.. ثلاثة رؤساء وأزمة القوة العظمى الأمريكية، مصدر سبق ذكره، ص ٢٠٧.

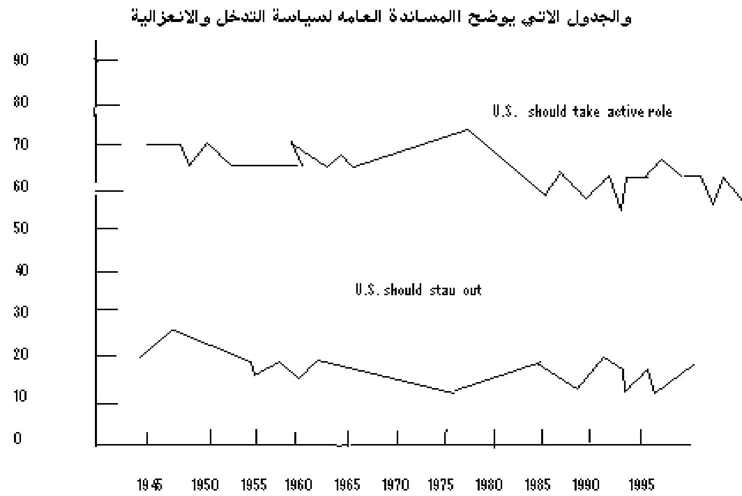
لا يمكنهم تحديد العراق أو أفغانستان على الخريطة، ولم يستطع ٦٠٪ منهم العثور على بريطانيا، ولم يستطع ٢٩٪ يدرسون حاليًّا اللغات التي من المرجح أن تصبح مهمة دوليًّا في المستقبل، مثل الصينية والعربية. والجهل الشعبي الذي يسهل تعزيزه بالخوف يخلق الشروط غير المواتية لأي بحث جدي لما تحتاج الولايات المتحدة إلى عمله لكي تقوم بدور بناء في العالم.

يعلق بريجنسكي على هذه الحالة قائلًا: "في السنوات التالية يجب على الرئيس أن يمارس قيادة شخصية في التعليم العام الضروري، وعلى الرئيس أن يتحدث مرارًا وتكرارًا عن مسئولية أميركا العالمية وتحديدها بطريقة لا تزيد من حدة القلق العام، ولكن تركز الاهتمام على حل المشاكل. ولعل وضع خطاب رئاسي سنوي عن حالة العالم خطوة مفيدة في هذا الإطار تستتبع تعليقات عامة، وآراء في الصحف، وتزيد الوعي (على ما يؤمل)، لا بأن أميركا تؤثر على العالم فحسب، وإنما أن العالم يؤثر على أميركا أيضًا بطرق غير متصورة حتى الآن"[1].

من ناحية أخرى أرسلت جريدة (Daily Mirror) البريطانية مراسلًا لها إلى شوارع نيويورك للاستقصاء، وقد أظهر هذا الاستفتاء الخاص بين ١٠٠ من أبناء نيويورك نتائج مشابهة، فمن بين الـ١٠٠ من المشاركين ٨٠ لم يعرفوا أي شيء عن مكان العراق، وقد شمل ذلك رجل شرطة اختار أستراليا على أنها العراق الجديد، وهناك آخرون وضعوا العراق في فرنسا، وألبانيا في شمال إيطاليا. لكن أحد المشاركين في الاستفتاء الذي جرى وصفه بأنه "عامل بناء قوي البنية" قد لفت انتباه الكثيرين وأثار مشاعرهم بالكلمات: "لا أعرف، لا أهتم، ولكن لن يبقى

(١) المصدر نفسه، ص ٢٠٧ – ٢٠٨.

منها؛ أي شيء قريبا". لا شك أنه كان بالإمكان الحصول على نتائج مشابهة من أية مدينة غربية كبرى، لكن كون غالبية كبريات مدن الأمريكيين دعمت الإطاحة بنظام شخص لم تستطع تعيين موقع بلاده على الخريطة، يشكل مؤشرًا على حقيقة أكثر عمقًا[١].



هناك ١٪ فقط من طلبة الجامعات الأمريكية يدرسون في الخارج، وليس لدى معظمهم أدنى فكرة عن مكان وجود الدول الأخرى، وقد وجدت دراسة أجرتها الجمعية الجغرافية الوطنية الأمريكية في سنة ٢٠٠٢ أن ٨٥٪ من الشبان الأمريكيين لا يمكنهم تحديد العراق أو أفغانستان على الخريطة، ولم يستطع ٦٠٪ منهم العثور على بريطانيا، وهناك ١٪ فقط من طلبة الجامعات الأمريكية الذين يدرسون في الخارج ليس لدى معظمهم أدنى فكرة عن مكان وجود الدول الأخرى. وقد وجدت دراسة أجرتها الجمعية الجغرافية الوطنية الأمريكية في سنة

---

(١) المصدر نفسه، ص ١٧ – ١٨.

٢٠٠٢ أن ٨٥٪ من الشباب الأمريكيين لا يمكنهم تحديد العراق أو أفغانستان على الخريطة، ولم يستطع ٦٠٪ منهم العثور على بريطانيا، ولم يستطع ٢٩٪ الإشارة إلى المحيط الأطلسي، كما أن القليل من الأمريكيين يدرسون حاليًّا اللغات التي من المرجح أن تصبح مهمة دوليًّا في المستقبل، مثل الصينية والعربية. والجهل الشعبي الذي يسهل تعزيزه بالخوف يخلق الشروط غير المواتية لأي بحث جدي لما تحتاج الولايات المتحدة إلى عمله لكي يكون لها دور بناء في العالم(١).

والحق، أن هناك بعض الأسباب التي تفسر التأثير المتواضع للرأي العام لعملية صنع القرار في السياسة الخارجية.

١- عرضية اهتمام الرأي العام بأمور السياسة الخارجية، وعلاقة ذلك بأزمات دولية خاصة.

٢- التأثير السريع للرأي العام الأمريكي برؤسائهم في السياسة الخارجية، وعلى سبيل المثال قبل حادثة استيلاء الطلاب الإيرانيين على السفارة الأمريكية في طهران في تشرين الثاني ١٩٧٩ كانت نسبة تأييد الرئيس كارتر ٨٢٪ من تأييد الرأي العام أثناء معالجته لهذه القضية.

٣- وفي هذا المجال مارس الرئيس إيزنهاور ضغطًا على الكيان الصهيوني في عام ١٩٥٦ للانسحاب من سيناء دون مبالاة على عدم قيام هذا الرأي بانتخابه بعد شهر من ذلك، وقد فاز في الانتخابات بجدارة(٢).

---

(١) زبغنيو بريجنسكي، الفرصة الثانية ثلاثة رؤساء وأزمة القوة العظمى الأمريكية، مصدر سبق ذكره، ص ٢٠٧.

(٢) د. فواز جرجس، مصدر سبق ذكره، ص ١٢٩-١٣١،١٣٠.

وفي هذا المجال قامت صحيفة واشنطن بوست باستطلاع للرأي، أعلن في ٢٩ كانون الثاني ١٩٩٦ أن ٨٥٪ من الأمريكيين يوقنون بأن الميزانية الفيدرالية تخصص أكثر للمساعدة الخارجية من تلك التي للعناية الطبية؛ إذ إن ٢٧٪ فقط يعتقدون أن العناية الطبية أكبر.

والحق أن الإنفاق على العناية الطبية في السنة المالية ١٩٩٤ كان عشرة أضعاف أكثر من ١٤٥ بليون دولار في مقابل المساعدة الخارجية لكافة الأنواع البالغة ١٤ بليون دولار[1].

مع ذلك فإن نظرة فاحصة لمدى العلاقة بين الرأي العام الأمريكي والسياسة الخارجية، نرى من خلالها أن صانعي القرار لهم الاستجابة للمظاهر السطحية للرأي العام، على الرغم من أن الأمريكان يستمرون في دعم الاستعداد العسكري ذي المستوى العالي، فإن استطلاع الرأي المعمق (المعمول) من قبل (برنامج اتجاهات السياسة الدولية) PIPA في مركز الدراسات الدولية والأمن في

---

(1) Destler, I. M., " Foreign Policy and The Public: Will Leaders Catch the Full Message? World Affairs, Vol. 111. Issuel, Winter / Spring 1996, P.267.,Sabato, Op. Cit., PP. 226-227.

قام الرئيس جون كيندي عام ١٩٦٣ بتشكيل لجنة لدراسة المساعدات الأمريكية الخارجية برئاسة الجنرال لوكيوس كلي، ولم يكن هناك توقع منه بقيام هذه اللجنة بتقديم مقترحات حول تخصيص الإنفاق في المساعدات الخارجية، على الرغم من دفاعها عن البرنامج كان بصورة رئيسة، علمًا بأن رغبة كيندي كانت تكمن في زيادة الإنفاق في المساعدات الخارجية، وكانت النتيجة أن قام الكونغرس بالأخذ بمقترح اللجنة حول تخفيض المساعدات الخارجية الأمريكية. راجع: جيمس أندرسون، صنع السياسات العامة، ترجمة د. عامر الكبيسي، دار السيرة للنشر والتوزيع، عمان، ١٩٩٩، ص٩١-٩٢.

مريلاند CISSM، وجد أن عامة الناس يعارضون بشكل كبير بنسبة ٧٧ إلى ١٦ بالمائة زيادة ٧ بليونات (مليارات) دولار في تخصيصات البنتاغون التي فرضها الكونغرس "مجلس النواب" على الرئيس كلينتون في كانون الأول ١٩٩٥، وبصورة أكثر عمومية، فإن أغلب الشعب يؤمن بأن الولايات المتحدة تنفق كثيرًا جدًّا على الدفاع، وأن الأغلبية تحبذ تخفيض ميزانية البنتاغون ما يقارب ١٠٪[1].

(1) Ibid., P.266.

وعند وصول بيل كلينتون إلى الحكم أثيرت تساؤلات مفادها: مع عدم وجود قوة عظمى كعدو للولايات المتحدة، لماذا الإبقاء على منظمة حلف شمال الأطلسي؟ أجاب الرئيس كلينتون قائلًا: يعد الحلف بمثابة حجر الأساس في الأمن الأوروبي؛ فقد حل محل التهديد السوفيتي تهديدات أخرى كالإرهاب، وانتشار أسلحة الدمار الشامل، والتطهير الاثني، وفي بروكسل عام ١٩٩٤ أعلن كلينتون مساندة الولايات المتحدة لتوسيع تدريجي لحلف شمال الأطلسي، ونتيجة لذلك صدرت الدعوات في تموز من عام ١٩٩٧ وذلك لعقد قمة التحالف، وشجب الدبلوماسي الأمريكي المشهور جورج كنان توسيع الحلف وعد ذلك خطرًا كبيرًا في الدبلوماسية الغربية في حقبة ما بعد الحرب الباردة بأكملها. أما توماس فريدمان فقد عد ذلك التوسيع عملًا متهورًا، كما انتقد سام نن سياسة كلينتون في هذا الصدد قائلًا: إنها غلطة ذات أبعاد تاريخية. أمام هؤلاء كان هناك أشخاص عارضوا هذا التوسيع، وفي مقدمة هؤلاء الرئيس الروسي بوريس يلتسين الذي رأى فيه أنه إستراتيجية لاستغلال نقطة ضعفهم، ونقل خط تقسيم أوروبا إلى الشرق، مما قد يؤدي إلى وضع روسيا معزولة عن العالم الخارجي، فضلًا عن ذلك طلب الرئيس يلتسين ضمانًا خاصًّا ألا يضم الحلف الجمهوريات السوفيتية السابقة (أستونيا، وليتوانيا، ولاتيفيا)، إلا أن الرئيس كلينتون رفض ذلك مؤكدًا أن مثل هذا الاتفاق سيجعل روسيا تبدو ضعيفة، ويعيد تقسيم أوروبا، ويقوض معنويات الشراكة من أجل السلام ويثير ثائرة دول البلطيق. وفي هذا المجال لا بد من الإشارة إلى أن حلف شمال الأطلسي قد أصدر في تشرين الثاني ٢٠٠٤ مجموعة من الدعوات لكل من رومانيا، وجيكوسلوفاكيا، وسلوفينيا، وبلغاريا، ودول البلطيق الثلاث (أستونيا وليتوانيا ولاتفيا) للانضمام إلى الحلف. راجع: السيدة الوزيرة مادلين أولبرايت سيرة ذاتية، مصدر سبق ذكره، ص ٣٦٦ –٣٦٨، ٣٧٢.

ورغم أن استطلاعًا شعبيًّا على عهد الرئيس كلينتون أفاد بأن ٧٥٪ من الرأي العام الأمريكي كانوا يعارضون إعطاء روسيا الاتحادية مبلغ ١.٦ مليار دولار معونة مباشرة لمساعدتها على تثبيت اقتصادها بما في ذلك أموال مخصصة لإسكان الضباط المسرحين الذين كان يعيدهم إلى روسيا الاتحادية من دول البلطيق، حيث إن معظمهم كان يعيش في خيام، وبرامج العمل الإيجابية لعلماء الذرة الذين هم خارج العمل ولا يتقاضون أجورهم في الغالب الآن، ومساعدات أخرى لتفكيك الأسلحة النووية وفق برنامج نف – لوغار الذي سن مؤخرًا، والأغذية والدواء لهؤلاء الذين يعانون من النقص، ومعونة لدعم الأعمال الصغيرة ومنافذ الإعلام المستقلة والمنظمات غير الحكومية والأحزاب السياسية واتحادات العمال وبرامج متبادلة لجلب عشرات الآلاف من الطلاب والحرفيين الشباب إلى الولايات المتحدة، وقد بلغت حزمة المعونات هذه أربعة أضعاف ما كان مقررًا في عهد الرئيس بوش الأب، وثلاثة أضعاف ما كان اقترحه كلينتون، وقد قام كلينتون بزيادة حزمة المساعدات ثانية إلى ٢.٥ مليار دولار لكل الولايات السوفيتية السابقة مع تخصيص ثلثي هذا المبلغ لروسيا الاتحادية[١].

مع انتشار ١٢٠.٠٠٠ جندي أمريكي في أوروبا، ٩٢.٠٠٠ في شرق آسيا والمحيط الهادي، ٣٠.٠٠٠ في نصف الكره الغربي خارج الولايات المتحدة، بهذا الرقم تكون حصة الولايات المتحدة من الإنفاق الدفاعي الإجمالي في العالم تصل إلى ٤٠٪ وهي نسبة متزايدة، أي أنها تنفق ما يوازي إنفاق البلدان التسعة التالية مجتمعة. ومن منطلق الهيمنة العسكرية وحدها لم يسبق للعالم أن كان شاهدًا على شيء يشبه هذا أبدًا[٢].

---

(١) كلينتون، مصدر سبق ذكره، ص ٥١٣-٥١٥.

(٢) برستوفتز كلايد، الدولة المارقة، الدفع الأحادي في السياسة الخارجية الأمريكية، ترجمة فاضل جتكر، الحوار الثقافي، بيروت، ٢٠٠٣، ص٣٧-٣٨.

في هذا المعنى يقول عضو مجلس الشيوخ الأمريكي آرثر فاندنبرغ: "لقد مزقنا مائة وخمسين سنة من السياسة الخارجية التقليدية، حيث وضعنا خطاب جورج واشنطن الوداعي في جانب الإهمال، مندمجين مع سياسة القوى العظمى، والحروب الأخيرة في أوروبا وآسيا وإفريقيا، وخطونا أول خطوة في طريق لا يمكن الحياد عنه"[١]. في هذا السياق كتب مارشال في المجلد الخامس من كتابه (حياة واشنطن) ما يلي: "في ظلل توليفة الحكم السائدة في بلد كالولايات المتحدة لا يستطيع رأس الدولة، مهما بلغ من التصميم والصلابة، أن يتصدى زمنًا طويلًا لما يطالب به الرأي العام[٢].

والحق، فإن قوى سياسة الانعزال في الولايات المتحدة في تزايد مستمر، وهؤلاء بدءوا يحتلون قاعات الكونغرس، وفي هذا المجال يقول Franklin Lavin: "إن الانعزاليين في الكونغرس يريدون أن يتركوا عالمنا عرضة للظالمين (للحكام المستبدين) غير مكبوحين في مطامعهم ويوقفون فقط حينما تثير أعمالهم بالنتيجة النقمة من واحد أو أكثر من الأمم"[٣].

---

(١) كارل ن. ديغلر، الانطلاق من الماضي القوى التي كونت أمريكا الحديثة، ترجمة صادق إبراهيم عودة، الأهلية للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ١٩٩٧، ٦٣٠.

(٢) ألكسي دو توكفيل، الجزء الثاني، مصدر سبق ذكره، ص ١١٢.

(3) Lavin, Franklin L., "U.S.A Foreign Policy ", World Affairs, Vol. 111. Issuel, Winter / Spring 1996, P.271.

ساد اعتقاد في الولايات المتحدة عند نشأتها باتباع سياسة العزلة؛ لأن الانهماك في حرب يمكن أن يدمر التنمية الداخلية لها، وبموجب ذلك تبنت الولايات المتحدة نهج خطبة الوداع التي ألقاها الرئيس جورج واشنطن (جورج واشنطن (١٧٣٢ – ١٧٧٩٩) رجل دولة وجنرال أمريكي، أول رؤساء الولايات المتحدة (١٧٨٩ – ١٧٩٧) كان قد عين قائدًا للقوات الأمريكية إبان الثورة الأمريكية والحرب ضد بريطانيا، ويعد مؤسسًا للأمة الأمريكية. راجع: نعوم =

كلينتون قد استحدث أيضًا مفهوم الانعزالية[1] بتقديم ما يسمى عاطفة

= تشومسكي، سنة ٥٠١ الغزو مستمر، مصدر سبق ذكره، ص ٤٠)، والهادفة إلى تجنب ويلات الحرب، وقد جاء مبدأ الرئيس جيمس مونرو (١٧٥٨ – ١٨٣١) الرئيس الخامس للولايات المتحدة (١٨١٧ – ١٨٢٥) في عام ١٨٢٣ تجسيدًا لذلك، أقر هذا المبدأ عام ١٨٢٣، يقوم على منع أوروبا من التدخل في شئون الولايات المتحدة مقابل امتناعها عن التدخل في الشئون الأوروبية. يعد هذا المبدأ من أفكار جون كوينسي آدامز (١٧٧٣ – ١٨٤٨) الرئيس السادس للولايات المتحدة (١٨٢٥ – ١٨٢٩) كان وزيرًا للخارجية (١٨١٧ – ١٨٢٥) وعرف بعدائه الشديد للعبودية ولا سيما بعد خروجه من الرئاسة. راجع: نعوم تشومسكي، سنة ٥٠١ الغزو مستمر، مصدر سبق ذكره، ص ٤١، ٤٤، ٤٦.)، ونتيجة لهذه السياسة - وعلى الرغم من اندلاع الحرب الإسبانية –الأمريكية في عام ١٨٩٨ والحرب العالمية الأولى- انهمكت الولايات المتحدة خلال حقبة العشرينيات والثلاثينيات في سياستها الداخلية. راجع: الوتيز، مصدر سبق ذكره، ص٢٨٨.

ناقش بعض كتاب السياسة الخارجية في الولايات المتحدة خطاب الوداع للرئيس جورج واشنطن مؤكدين أن تحذير الأخير بسياسة الأحلاف الخارجية لم يكن ليمنع مشاركة الولايات المتحدة من الانهماك في السياسة الخارجية، في حالة التوافق مع متطلبات المصلحة القومية الأمريكية، وفي حالة عدم تغير مثل هذه المصالح، وعليه فإن هؤلاء الكتاب لم يعدوا خطاب الوداع يمثل سياسة العزلة بقدر تعبيره عن الوضع الخاص التي تمتعت بها الولايات المتحدة وقتئذٍ، الذي جعل من غير الدهاء ومن غير الوجوب انخراطها في أي "مواقف صراعية عرضية أو هامشية". راجع: بروسترك. ديني، مصدر سبق ذكره، ص ٤٧.

(١) ولد بيل كلينتون في ١٩ آب ١٩٤٦ في بلدة يبلغ عدد سكانها ستة آلاف نسمة جنوب غرب أركنساس، وعلى مبعدة ٣٣ ميلًا شرقي حدود تكساس في تكساركانا، درس في البداية في جامعة جورج تاون، كما درس الحقوق في جامعة أوكسفورد وتخرج فيها، بدأت اهتماماته بالسياسة ابتداء من عام ١٩٧٤، وفي تموز ١٩٩٢ عقد الحزب الديمقراطي مؤتمره في مدينة نيويورك لترشيحه وزميله السناتور آل غور من تنيسي بصورة رسمية، وكان شعار حملة ١٩٩٢ "إنه الاقتصاد يا غبي"، فاز كلينتون في هذه الانتخابات، فضلًا عن ذلك، فاز كلينتون في الحقبة الرئاسية الثانية عام ١٩٩٦، وكان كلينتون من المعارضين لحرب فيتنام، طلب غاري هارت مدير حملة السناتور جورج ماكغفرن عند ترشيحه للرئاسة عندما أراد بيل كلينتون أن يهيئ الجنوب =

الحماية المواجهة لليابان والشركاء التجاريين الآخرين، ولأن كلينتون حدد البعد الأولي لعلاقات الولايات المتحدة مع اليابان كسياسة تجارية، ولأنه شخَّص بصورة متكررة تلك العلاقات على أنها لا شيء سوى مجموعة مشكلات، فإنه من الطبيعي أن الشعب الأمريكي قد بدأ يرى قيمة أقل في تلك العلاقة[١].

=

لمكغفرن ومعارضة سياسة نيكسون في فيتنام.

كان كلينتون لفرانك آلر الذي قاوم التجنيد العسكري في فيتنام وانتحر عام ١٩٧١ في هذا المجال يقول كلينتون: (لقد تأثرت برسالة مكنمارا، ورسائل مشابهة تلقيتها من محاربين قدامى في فيتنام، فقبل الانتخابات مباشرة أرسل لي بوب هيغنز -بحري سابق من هليسبورو في أوهايو- ميدالية خدمته في فيتنام بسبب موقف ضد الحرب "والطريق التي قدت بها نفسك في حملة مريرة". راجع بيل كلينتون، مصدر سبق ذكره، ص١٣، ١٣٠،٩٧٦. وبيل كلينتون، بالعطاء لكل منا أن يغير العالم شركة المطبوعات للتوزيع والنشر. بيروت، ٢٠٠٧، ص ١٢ – ١٣. وهيلاري ردهام كلينتون، تاريخ عشته، الحوار الثقافي، دار الوراق للنشر والتوزيع، لبنان – بيروت، ٢٠٠٤، ص٧٢-٧٣، ١٣٩، ١٤٤، ٤٥١، ٤٥٥، ٤٧٧.

(1) Ibid., P.274.

قدم كلينتون وعوده للرأي العام خلال حملته الانتخابية في عام ١٩٩٢، التي تركزت حول اهتمامه بقضايا تخص السياسة الداخلية، وقد جاءت هذه الوعود إزاء انتشار مبدأ اللامساواة وهبوط الأجور الحقيقية، وقد انقضت حقبة من الزمن على هذه الوعود إلا أن الاقتصاد الأمريكي بدأ يعاني من الموضوعين السالفي الذكر اللامساواة والانخفاض في الأجور الفعلية، في عام ١٩٩٤ وعدت بالمثل الأغلبية الجمهورية الجديدة في الكونغرس بالتخلي عن قيادة الولايات المتحدة للعالم، مع الاهتمام بقضايا السياسة الداخلية، في الوقت الذي نرى فيه أنها لم يكن في حوزتها ما تقدمه للطبقات العاملة إزاء انخفاض أجور عملهم. راجع: ثورو، لستر، مستقبل الرأسمالية كيف تصوغ القوى الاقتصادية الراهنة عالم الغد؟ مصدر سبق ذكره، ص ٢٨٥. وقد خرج كلينتون على هذا المبدأ عند تسلمه للسلطة، حيث سار على سياسة سلفه الرئيس بوش الأب عندما قام الأخير في عام ١٩٩٢ بإرسال قوات أمريكية إلى الصومال لمساعدة الأمم المتحدة بعد مقتل ٣٥٠،٠٠٠ صومالي في حرب أهلية دموية، وعند تسلم الرئيس كلينتون الإدارة الأمريكية

=

ولا سيما إذا عرفنا أن الولايات المتحدة قد أنفقت مبالغ طائلة على الدفاع بلغت ٢.٤ ترليون دولار خلال السنوات الثماني الماضية، بعيدة عن مشاكلها الداخلية(١).

=

أمر بإلقاء القبض على محمد عيديد بناء على توصية من كولن باول في هجوم ليلي، حيث تم إرسال قوة مؤلفة من٠٠٠ و٢٥ لخدمة ما سمي "مشروع إنساني" بعد أعوام من الإهمال، ثم ما لبثت وبالسرعة نفسها أن سحبتها حين واجهت صعوبات. وبناءً على مقترح جاء من الجنرال غاريسون، وأقدم الرئيس كلينتون على اتخاذ قرار للقبض على عيديد وبدون الرجوع إلى الموافقة المسبقة للبنتاغون والبيت الأبيض، وقد تحمل الجنرال غريسون المسئولية الكاملة عن قراره بالمضي قدمًا في الغارة، مشيرًا إلى استبعاد الرئيس كلينتون ووزير الدفاع أسبن من سلسلة تحمل المسئولية. يقول الرئيس كلينتون في هذا المجال: (لقد أوحى تحدي التعامل مع المشكلات المعقدة مثل الصومال وهايتي والبوسنة بواحدة من أفضل مقولات طوني ليك: في بعض الأحيان أشعر بالحنين إلى الحرب الباردة حقًّا). والحق، وصلت الأمور في الصومال إلى عبثية اضطرار المنظمات الإنسانية إلى معالجة الإصابات المتكبدة في حرب الولايات المتحدة "الإنسانية". لقد استخدمت إدارة كلينتون القوة في ثلاث حالات هامة: في البوسنة وهاييتي وكوسوفو. وبالرغم من أنها لم تأخذ تلك القضايا إلى مجلس الأمن فإنه لم يكن هناك أي تلميح إلى ضرورة فعل ذلك، بل إن الأمين العام كوفي عنان أصدر بيانات تبرر التصرف في كوسوفو بقوله: إن سيادة الدول يجب ألا تستخدم كغطاء لانتهاك حقوق الإنسان. وقد تمكنت إدارة كلينتون من الإفلات من هذا جزئيًّا بسبب وجود شعور أساسي بالثقة. فبالرغم من أن إدارة كلينتون –أو إدارة جورج بوش الأب– كانت حازمة في كثير من الحالات فإن بقية العالم لم تكن بحاجة إلى ضمانات بخصوص نواياها. راجع: كلينتون، مصدر سبق ذكره، ص٥٥٩، ٥٦٢ ي ٦٣، ٥٦٤. وكارن إي. سميث ومارغوت لايت، مصدر سبق ذكره، ص ٢٥٤ – ٢٥٥. وفريد زكريا، عالم ما بعد أمريكا، ترجمة بسام شيحا، الدار العربية للعلوم ناشرون ش. م.، بيروت ٢٠٠٩، ص ٢٢٨.

(١) في حقبة الثمان سنوات ١٩٨١–١٩٨٨ كان إجمالي النفقات الدفاعية في الولايات المتحدة تقريبًا ٢.٤ ترليون دولار، ولقد اتفق وزيران سابقان للدفاع على أنه كان من الممكن الحصول على إجراءات أمن مساوية بتكلفة تقل ما يقارب من ٢٠٠–٢٥٠ بليون دولار.

راجع: روبرت مكنمارا، ما بعد الحرب الباردة، ترجمة محمد حسين يونس، دار الشروق للنشر والتوزيع، عمان، ١٩٩١، ص٨٦.

وهنا لا بد من الإشارة إلى أن التخلي عن السيطرة والتفوق والانطواء على الذات لا بد أن يؤدي إلى تخفيض كبير في النفقات الدفاعية على المدى القريب، وإن لم تتم حتى الآن دراسة فعلية عن قيمة النفقات التي تستطيع الولايات المتحدة ادخارها –سواء على المدى القصير أو البعيد- إذا ما تبنت مثل هذه الإستراتيجية[١].

قد يسهم تخفيض الإنفاق الدفاعي في مواجهة عجز الميزانية من وجهات نظر الرأي العام الأمريكي، وتحسين القدرة التنافسية الاقتصادية للولايات المتحدة، لا سيما أن المنافسين الاقتصاديين للولايات المتحدة قد يزيدون في الوقت نفسه من نفقاتهم الدفاعية. ولا ريب في أن إهمال المعضلات الخارجية سوف يساعد الإدارة الأمريكية على التركيز بصورة أكثر جدية على مشكلات السياسة الداخلية، أما حلفاء الولايات المتحدة الذين تم التزامهم من قبلها فإنهم يضطرون إلى اعتمادهم على أنفسهم، ولا سيما بعد زوال دولة الاتحاد السوفيتي[٢].

والحق، إزاء مواجهة عجز الميزانية وازدياد المعضلة الداخلية بدأ الشعب الأمريكي من خلال استطلاعات الرأي العام التركيز على الأمور والهموم الداخلية، وإن كانت بعض الاستطلاعات تشير إلى تأييد كبير من الشعب الأمريكي انهماكه الفعال في الشئون الخارجية، بينما يرى ٨٤٪ أنه من الضروري تقليل الاهتمام بالمعضلات العالمية[٣]، والاهتمام بالمشكلات الداخلية،

---

(١) زلمي خليل زاد، التقييم الإستراتيجي، مركز الإمارات للدراسات والبحوث الإستراتيجية، أبو ظبي، ١٩٩٧، ص٢٧.

(٢) المصدر نفسه، ص ٢٨.

(٣) قام ودرو ولسن (١٨٥٦ – ١٩٢٤) –وهو الرئيس الثامن والعشرون للولايات المتحدة، وترأس =

=

جامعة برنستون عام ١٩٠٢، ثم غدا حاكمًا لنيوجرسي عن الحزب الديمقراطي عام ١٩١٠، وتم انتخابه رئيسًا للولايات المتحدة عام ١٩١٢، وأعيد انتخابه عام ١٩١٦- قام بإصدار إجراءات ضد التروستات وإصدار تشريعات اجتماعية، وتبنى في الحرب العالمية الأولى سياسة الحياد، إلا أنه اشترك مع الحلفاء بعد ذلك في عام ١٩١٧ معلقًا الحرب على دول المحور، وقام بإعلان مبادئه الأربعة عشر عام ١٩١٨ والخاصة بالتسوية السلمية، (دعت مبادئ الأربعة عشر إلى الاعتراف بالطموحات القومية والتجارة الحرة وإقامة عصبة الأمم). أدت هذه النقاط إلى عقد مؤتمر فرساي الذي أقر معاهدة فرساي. وأدخل إصلاحات تحت اسم "الحرية الجديدة" على علاقات بلاده بالمكسيك ودول أمريكا اللاتينية، وكان يرى في الحرب ضرورة ماسة لجعل العالم "مكانًا آمنًا للديمقراطية". راجع: نعوم تشومسكي، سنة ٥٠١ الغزو مستمر، مصدر سبق ذكره، ص٣٣٣. ونعوم تشومسكي، أمريكا.. ما نقوله نحن يمشي محاورات حول القوة الأميركية في عالم متغير، مصدر سبق ذكره، (ص ١ – ١٣) لم يستطع الحصول على موافقة مجلس الشيوخ (أكثرية الثلثين) فيما يخص معاهدة فرساي، توفي في عام ١٩٢٤. راجع: الدكتور عبد الوهاب الكيالي وكامل زهيري، مصدر سبق ذكره، ص٥٨٣ وجود، مصدر سبق ذكره، ص٧٠. في خطابه الذي ألقاه في مدينة سان لويس بالميسوري في ٥ أيلول ١٩١٩ أشار إلى عدم إقراره بالتمييز بين القومية والأممية، مؤكدًا أن أكثر الناس قومية هو الذي يتمنى أن تكون أمته أعظم الأمم، وأعظم أمة هي تلك التي تقوم بواجبها وتؤدي رسالتها بين سائر أمم العالم. ومن وجهة نظره أن الأمة التي تمتلك مثل هذه الرؤية ترتفع إلى مرتبة من التأثير والقوة لا يمكن أن تبلغها بقوة السلاح، أو عن طريق المنافسات التجارية أو بأية وسيلة أخرى، وإنما بالقيادة الروحية النابعة من تفهم عميق للمشكلات الإنسانية.

ولكن ولسن على الرغم من تأكيده على المثالية الأمريكية فإنه أرسى وقوى من الإستراتيجية الأمريكية في العالم، ولعل تدخله في منطقة البحر الكاريبي من خلال استخدامه لسياسة القوة واضح في هذا المجال، ومن ناحية أخرى اعتقد خلفاء ويلسون أنهم باتباعهم سياسة العزلة إنما يخدمون مصالح الولايات المتحدة في العالم الخارجي، ولكن هذه العزلة كانت مؤقتة ولم تستمر طويلًا؛ إذ حل محلها الأممية وأسلوب التدخل في العالم كمبدأ رئيس للسياسة القومية، وهذا ما أشار إليه ويلسون في خطابه المشار إليه آنفًا، وهكذا يصبح باستطاعة

=

وتأييد غالبية الرأي العام الأمريكي من تحقيق السلام بوساطة سياسة القوة[1].

=

الولايات المتحدة المثالية المقتنعة "بزعامتها الروحية" التي نادى بها ويلسون ثم روبرت كيندي قبل مصرعه ببضعة أشهر باسم الليبرالية- إيجاد نظام دولي جديد تتولى قيادته، وهكذا تتحول الأممية ذات الطابع الصوفي إلى حافز لسياسة قومية صرفة. وقد عبر عن هذه الحقيقة ويلسون نفسه؛ إذ رأى أن القيم القومية الأمريكية تتطابق مع القيم الشاملة للتقدم الليبرالي، وأنه ينبغي على الولايات المتحدة بحكم رسالتها الإنسانية قيادة الإنسانية نحو نظام الغد العالمي. راجع: كلود جوليان، الإمبراطورية الأمريكية، ترجمة ناجي أبو خليل والدكتور فؤاد شاهين، دار الحقيقة بيروت، ١٩٧٠، ص٦-٧. وللمزيد من التفاصيل راجع: بييررينوفان دجان باتيست دوروزيل، مصدر سبق ذكره، ص ٤٢١-٤٦٨. وهالبر، مصدر سبق ذكره، ص١٠٣. ومايكل إف. كايرو، السيطرة المدنية على الجهاز العسكري في الديمقراطية الأمريكية.. التاريخ والمرتكزات، مجموعة دراسات بعنوان "أوراق الديمقراطية"، نشرتها وزارة الخارجية الأمريكية، مصدر سبق ذكره، ص ٢٠٦.

(١) زلمي خليل زاد، مصدر سبق ذكره، ص ٤٧. وللمزيد من التفاصيل حول سياسة العزلة راجع: Havard, Op.Cit., PP.208-257.

أفاد استطلاع للرأي أن نحو سبعة أمريكيين من أصل عشرة (٦٩٪) يؤيدون الطريقة التي عالج بها الرئيس جورج بوش الأزمة الدبلوماسية التي نتجت عن حادث اصطدام طائرة التجسس الأمريكية التابعة للبحرية الأمريكية من طراز إي بي – ٣ بمقاتلة صينية في(١) نيسان ٢٠٠١ والذي أدى لسقوط الطائرة الصينية ومقتل طيارها، واضطرار طائرة التجسس الأمريكية للهبوط في مطار هينان الصيني، وجرى تكليف وزير الخارجية كولن باول بالتفاوض على تسوية مع الصينيين، واستعان باول بسفير المملكة العربية السعودية في واشنطن، الأمير بندر المتمتع بعلاقات خاصة مع الصينيين عبر صفقات شراء الأسلحة والصواريخ المختلفة، كذلك كانت الصين الشعبية بادئة في التعويل على النفط السعودي، وما لبث بندر أن أقنع الصينيين بإطلاق سراح الرهائن الـ٢٤، وبندر الذي لا يخفى على الإطلاق عد الأمر أشبه بخدمة شخصية له. راجع: بوب ودوارد، حالة إنكار حرب بوش، ترجمة فاضل جتكر، العبيكان، الرياض، ٢٠٠٨، ص ٤٧. ولكن الاستطلاع الذي أجرته نيوزويك أشار إلى أن ٤٤٪ من

=

=

الأشخاص الذين شملهم الاستطلاع قالوا: إنه كان بإمكان أفراد طاقم طائرة الاستطلاع الـ٢٤ الذين أفرج عنهم في ١١ نيسان أن يعودوا إلى ديارهم قبل هذا الوقت لو أعربت إدارة بوش عن أسفها لحادث الأول من نيسان بسرعة أكبر. (أرسلت الولايات المتحدة خطابًا للحكومة الصينية قالت فيه: إنها تأسف جدًّا لفقدان الطيار الصيني ولهبوط الطائرة الأمريكية في الصين من دون الحصول على إذن مسبق). و٤٥٪ لم يعتقد ذلك، وعدَّ ٦٩٪ من الأمريكيين أن على الولايات المتحدة مواصلة رحلاتها الاستطلاعية في المنطقة، ومن جهة أخرى عدَّ أكثر من شخص من أصل اثنين ٥٤٪ أنه يجب على واشنطن أن تدعم ترشيح الصين للانضمام إلى منطقة التجارة العالمية، وأعرب ٥٠٪ عن اقتناعهم بأن على الولايات المتحدة أن تدعم ترشيح بكين لتنظيم الألعاب الأولمبية للعام ٢٠٠٨، كما عدَّ ٥٠٪ أنه ينبغي على الولايات المتحدة أن تتوقف عن بيع تجهيزات عسكرية لتايوان. وفيما يخص ملف البيئة الساخن نرى أن ٤٥٪ من الذين شاركوا في الاستطلاع عدوا أن بوش الرافض لبروتوكول كمبوتو بشأن الانحباس الحراري لا يسعى للمحافظة على البيئة مقابل ٤١٪، ورأى ٤٨٪ أنه يجب عدم السماح بالتنقيب عن النفط في محمية طبيعية في آلاسكا، كما يرغب في ذلك الرئيس مقابل ٤٤٪ يؤيدون موقف الرئيس. راجع: العرب، العدد ٦١١٩، ٢٠٠١/٤/١٦.

وتجدر الإشارة في هذا المجال إلى أن طائرة التجسس الأمريكية حطت على الأراضي الصينية في هذه الحقبة التاريخية؛ إذ قامت الصين باحتجاز أفراد طاقمها لأحد عشر يومًا، وقد برهنت هذه الحادثة على مدى ارتباط السياسة الخارجية الصينية بالسياسة الداخلية، وقد عكست هذه الحادثة الأفكار القومية التي سادت في القرن التاسع عشر أكثر من الأفكار العقائدية الشيوعية؛ لأن التحدي بالولايات المتحدة في الصين الشعبية جاء من الطلاب والعسكريين، ولم يكن يأتي من العقائديين في داخل الرأي العام الصيني. راجع: هنري كيسنجر، هل تحتاج أمريكا إلى سياسة خارجية نحو دبلوماسية للقرن الحادي والعشرين؟ مصدر سبق ذكره، ص ١٣٣.

وقد حاول الرئيس جورج بوش الابن الاعتماد على خبرة والده في حل هذه الأزمة من خلال الرجوع إليه، حيث كان جورج بوش الأب على معرفة تامة بالصين الشعبية، وأشرف على توجيه معظم جوانب السياسة الأمريكية تجاهها، مما حدا ببعض كبار الخبراء في الولايات المتحدة في الشئون الصينية أن يبعثوا إليه بمسئول الحكومة بشأن الصين الشعبية، علمًا بأن الرئيس

=

وقد دلت أخطاء الرئيس جورج دبليو بوش العديدة كلما تناول موضوعات السياسة الخارجية على خلاف مستحكم في نفسه مع الجغرافيا وتاريخ العالم، فالرئيس المذكور قلما سافر خارج الولايات المتحدة قبل الوصول إلى الإدارة. والحق، كانت الإدارة الأمريكية قد أنجزت خيارها المتمثل في إعادة التركيز على رهانات السياسة الداخلية، حتى جعلت الصحافة الأمريكية تعلق بعناوينها

=

جورج بوش الأب كان مديرًا لمكاتب سي آي إيه في المدة الواقعة بين ١٩٧٦ و١٩٧٧ قبل أن يصبح نائبًا للرئيس رونالد ريغان ثم رئيسًا للولايات المتحدة في المدة الواقعة بين ١٩٨٩ و١٩٩٣، وقد أمضى عامين رئيسًا لمكتب الاتصال الأمريكي في بكين في منتصف السبعينيات، وأقام علاقات متينة مع المسئولين في القيادة الصينية كافة، وعند توليه الإدارة الأمريكية أبدى اهتمامًا غير مسبوق نحو تطور العلاقات مع الصين الشعبية، ولعل اختياره لجيمس ليلي ليصبح سفيرًا للولايات المتحدة في بكين خير شاهد على ذلك. كان ليلي يتحدث اللغة الصينية بطلاقة، عمل مديرًا لمحطة المخابرات المركزية الأمريكية في بكين مدة عمل بوش الأب بمنصب سفير الولايات المتحدة في بكين، وكان على علم بأدق تفاصيل السياسة والثقافة الصينية. راجع: جيمس بيكر، مصدر سبق ذكره، ص١٤٨-١٤٩. والحق، أن بوش خلافًا للرئيسين الجمهوريين نيكسون وريغان لم يدخل البيت الأبيض ومعه سياسة دولية واضحة المعالم، ولا سيما إذا عرفنا أن بوش لم يعلن عن سياسته الخارجية خلال الانتخابات، وكانت خبرته الدولية في هذا المجال محدودة، ولم يظهر اهتمامًا بالقضايا الدولية باستثناء عدد من الرحلات الخارجية القصيرة وبعض الانغماس الأكثر أهمية في العلاقات مع المكسيك، وقد أتاحت الصعوبات التي واجهها في الاختبار الفجائي الشهير عن زعماء العالم في تشرين الثاني ١٩٩٩ الشعور بلحظة انتصار، وأثناء حملته الانتخابية شدد بوش على حاجة الولايات المتحدة إلى ممارسة سياسة خارجية متواضعة، ووفق كوندوليزا رايس كانت المسودة الأصلية لخطابه تحتوي على مقطع طويل عن الحاجة إلى إظهار التواضع مع القوة. راجع: ستيفان هالبر، جوناثان كلارك، مصدر سبق ذكره، ص١٧٣، ١٧٥. وجان. شارل بريزار، غليوم داسكييه، ابن لادن الحقيقة الممنوعة، ط٣، ترجمة علي عبود، دار علاء الدين للنشر والتوزيع والترجمة، دمشق، ٢٠٠٩، ص ١٤.

الكبيرة على ذلك الخيار بأنه (الانعزالية الجديدة) لشاغل البيت الأبيض. والواقع أن فريق مستشاريه للشئون الخارجية -الذي ترأسه كوندوليزا رايس التي كانت رئيسة لمجلس الأمن القومي الذي يعد هيئة تابعة للبيت الأبيض- كان منقسمًا إلى تيارين كبيرين يتنازعان الآراء في السبيل الذي ينبغي اتباعه، ولم يتسن للرئيس بوش أن يحكم أي التيارين أصلح للولايات المتحدة إلا غداة الحادي عشر من أيلول، وكان يمثل التيار الأول كولن باول بصورة رئيسة وإدارة الدولة بتقاليدها الدبلوماسية المؤسساتية إلى جانب جهاز المخابرات المركزية الأمريكية، الذي مضى يمتدح النزعة الواقعية الحذرة التي تعمل على تجنب؛ أي انقلاب في النظام العالمي على الرغم من انهيار دولة الاتحاد السوفيتي، وكان هذا الفريق يأمل في استخدام الأدوات التقليدية المتعددة مثل منظمة الأمم المتحدة، على أن تلقي الولايات المتحدة بثقلها الحاسم في ميزانها، لا سيما أنها باتت القوة العظمى بلا منازع. أما الفريق الآخر الذي يشمل في تشعباته الكبرى المسئولين المدنيين في البنتاغون، وفي مقدمة هؤلاء الأمين العام المساعد في شئون الدفاع بول ولفوفيتز فيمتدح تحويلًا جذريًّا في النظام الدولي ترجمة لأحادية الهيمنة الأمريكية في العالم، وتتويجًا (لنهاية التاريخ) التي يجدر بها وحدها التعبير عنها، وعلى هذا النحو رأى الفريق المذكور أن يحض على الترويج لأنموذج الولايات المتحدة الديمقراطي في العالم أجمع تستخدم الوسائل الملائمة لهذه الغاية من دون أن تخرج البلاد والمؤسسات الدولية عدت بالية، وقد أخذ جورج بوش الابن غداة حوادث الحادي عشر من أيلول ينحاز إلى رؤية هؤلاء إلى العالم[١].

---

(١) جيل كيبيل، الفتنة حروب في ديار المسلمين، ترجمة نزار أورفلي، دار الساقي، بيروت، ٢٠٠٤، ص٦٣-٦٤.

=

والحق، أن غالبية كبيرة من الرأي العام الأمريكي ترى أن الولايات المتحدة ملزمة بقبول السلطة القضائية للمحكمة الجنائية الدولية[١] والمحكمة الدولية، وعليها أن توقع اتفاقية كيوتو، وتسمح للأمم المتحدة بتصدر الصفوف في الأزمات =

أوضح تحليل المجيبين أن تكرر إساءة الفهم يتفاوت كثيرًا وفقًا لمصدر إخبار الأساسي للمجيب، وأن احتمال وجود هذه المعتقدات الخاطئة بين الذين يشاهدون فوكس نيوز أكبر بكثير من احتمال وجودها بين من لا يشاهدونها، وعند تدقيق وفحص تكرر ثلاثة معتقدات خاطئة محددة تتركز في: وجود أدلة على علاقات قائمة بين العراق وتنظيم القاعدة، والعثور على أسلحة دمار شامل في العراق، وأن الرأي العالمي موافق على ذهاب الولايات المتحدة إلى الحرب- كشفت النتائج عن احتمال كبير جدًّا لاعتقاد مشاهدي فوكس نيوز بهذه الآراء، وأن احتمال اعتقادهم بهذه الآراء الثلاثة معًا يزيد ثلاثة أضعاف عن احتمال اعتقاد المشاهدين الآخرين بها، غير أن مشاهدي (إن بي آر / بي بي إس) أظهروا بشكل متسق أنهم لا يعتقدون بأي من هذه الآراء الثلاثة، واتضح أن نحو ٨٠٪ من مشاهدي فوكس و٧١٪ من مشاهدي سي بي إس يعتقدون بواحد أو أكثر من هذه الآراء الثلاثة، في الوقت الذي بلغت النسبة المئوية المكافئة لمشاهدي أن بي سي وسي أن ٥٥٪ في الحالتين، ورغم أن النسبة المئوية للمشاهدين الذي يعتقدون بالآراء الثلاثة معًا في حالة إن بي سي وسي إن إن بلغت ١٣٪ على التوالي، فقد بلغت تلك النسبة ٤٥٪ لدى مشاهدي فوكس، وبلغت نسبة مشاهدي إن بي سي وسي إن الذين لا يؤمنون بأي من هذه المعتقدات الخاطئة الثلاثة ٤٥٪ في الحالتين، في حين بلغت ٢٠٪ بالنسبة لمشاهدي فوكس. إن هذه البيانات مهمة جدًّا في بحث كيفية قدرة المحافظين الجدد على التأثير في عملية صنع القرار لصالح الحرب مع العراق لسببين اثنين؛ أولًا: أسهموا كثيرًا في حشد الدعم الأمريكي لقرار الذهاب إلى الحرب، وثانيًا: إن فوكس في المراتب الأولى دائمًا من حيث نسبة المشاهدين في الولايات المتحدة. راجع: هالبر، مصدر سبق ذكره، ص ٢٥٠ – ٢٥١.

(١) ومثال على عزلة واشنطن العالمية هو رفضها لأوامر المحكمة الدولية؛ فقد وصلت معارضة واشنطن للمحكمة الجنائية الدولية إلى مستويات أثارت السخرية في الخارج، وخصوصًا بعد إقرار ما يدعوه الكثيرون بـ"قانون غزو هولندا" الذي يخول للرئيس حق استخدام القوة لإنقاذ الأمريكيين ممن يساقون إلى لاهاي. راجع: نعوم تشومسكي، الدول الفاشلة إساءة استعمال القوة والتصدي للديمقراطية، مصدر سبق ذكره، ص ٢٨٠ – ٢٨١.

الدولية، وأن تعول على التدابير الدبلوماسية والاقتصادية أكثر من تعويلها على الإجراءات العسكرية في "الحرب على الإرهاب". وبالمثل يعتقد غالبية المواطنين الأمريكيين بأن الولايات المتحدة يجب ألا تلجأ إلى استخدام القوة إلا إذا كانت هناك قرينة دامغة على أن البلاد في خطر وقوع هجوم وشيك عليها. وهكذا يرفض المواطنون بغالبيتهم إجماع الحزبين كليهما على الحرب الوقائية، ويتبنون بتعبير آخر التفسير التقليدي لميثاق الأمم المتحدة الذي عادت وكررته الهيئة العليا للأمم المتحدة في كانون الأول ٢٠٠٤ والقمة العالمية للأمم المتحدة في السنة التالية، لا بل إن غالبية صغيرة من المواطنين تحبذ حتى التخلي عن استخدام حق النقض (الفيتو) في مجلس الأمن، بحيث تترسم الولايات المتحدة خطا الأمم المتحدة حتى وإن لم يكن ما يحبذه المديرون في الخارجية الأمريكية[1].

من هذا المنطلق قال الرئيس السابق بوش الابن: "إن اتخاذ القرارات يجب ألا يعتمد على استطلاعات الرأي أو الجماعات التمثيلية"[2].

لكن في النظام الديمقراطي يجب عدم حجب المعلومات عن الرأي العام المحلي، أو تلفيق الحكايات لهم، فقد أقلق الإدارة كثيرًا افتضاح قصة الجدل والخلاف بين أعضائها في سنة الانتخابات الحساسة، ولم تعط اهتمامًا كافيًا بحرب الولايات المتحدة خارج تخومها الجغرافية، وقرار عدم كشف الحقيقة جعل الرئيس يتخلى عن أعظم مصادر قوته وهو تأييد عامة الأمريكيين.

---

(١) نعوم تشومسكي، الدول الفاشلة إساءة استعمال القوة والتصدي للديمقراطية، مصدر سبق ذكره، ص ٢٨١.

(٢) بوب ودوارد، الحرب الداخلية التاريخ السري للبيت الأبيض بين عامي ٢٠٠٦ – ٢٠٠٨، مصدر سبق ذكره، ص ٥٤٩.

بعد أن أمر الرئيس السابق بوش بغزو العراق أمضى ثلاث سنوات في حالة إنكار، ثم وكل إلى مستشار شئون الأمن القومي إجراء مراجعة للإستراتيجية، فلم يكن يتحمل المواجهات والمجادلات المتعمقة؛ إذ لم يتحدد موعد نهائي، فلا داعي للاستعجال. انخرط الرئيس بوش خطابيًّا وبلاغيًّا، لكنه حافظ على انفصال غريب عن إدارتها، لم يتعامل معها مباشرة بنحو كامل، وعلى مدى سنوات الحرب كثيرًا ما فشل في القيادة بعد أن أصبحت رئاسة بوش من الماضي، ستتحول الحربان اللتان شنهما إلى جزء من قصة رئيس آخر.

يقول أبرافانل وهيوز: "إن الارتباط ضعيف بين تغيير الرأي العام وتغير السياسة الخارجية، وفي الحالات التي تبين أن هناك ارتباطًا في المدى القصير كان الرأي العام هو الذي يتغير نتيجة تغير السلوك الحكومي، وليس العكس"[١].

ويضيف ليفي إلى ذلك أنه "من الخطأ أن نفترض كما يفعل البعض أن الدول تدخل في صراعات عنيفة؛ لأن مواطنيها عدوانيون، ذوو ميول عسكرية أو قوميون، بل إن العكس هو الوضع الأكثر حدوثًا، فالمواطنون يكتسبون هذه الصفات؛ لأن هناك صراعات حقيقية بين الدول يجب أن تُحل من خلال العنف"[٢].

ومن واقع تحليله لقرارات مختلف الدول بدخول الحرب العالمية الأولى في عام ١٩١٤ خلص رونوفان إلى أن "الحكومات هي التي كانت تخلق بدعاياتها تيارات الرأي العام التي كان في وسع سياستها بعد ذلك أن ترتكز إليها"[٣].

---

(١) الدكتور محمد السيد سليم، تحليل السياسة الخارجية، مصدر سبق ذكره، ص ٢٣٤.

(٢) المصدر نفسه، ص ٢٤٣.

(٣) المصدر نفسه، ص ٢٤٣-٢٤٤.

يضيف جنس: "إن صانع السياسة الخارجية في النظم الديمقراطية يستطيع أن يؤثر في الرأي العام بدرجة تفوق تأثير صانع السياسة الخارجية في النظم التسلطية، على أساس أن الرأي العام في النظم التسلطية يحصن ذاته ضد الدعاية التي يقوم بها صانع السياسة الخارجية، بينما يميل الرأي العام في النظم الديمقراطية إلى قبول الدعاية التي يقوم بها صانع السياسة الخارجية، وربما كانت وجهة النظر تلك محل شك إلى حد كبير"[١].

تتميز النظم الديمقراطية بوجود أجهزة للتعبير عن المصالح والاتصال السياسي، يمكن من خلالها أن يؤثر الرأي العام على السياسة الخارجية، ومن ذلك استطلاعات رأي عام دورية يمكن من خلالها التعرف على الرأي العام، بينما لا توجد مثل تلك الاستطلاعات في النظم التسلطية، ويختلف تأثير الرأي العام على السياسة الخارجية باختلاف أهمية القضايا المثارة، فتأثير الرأي العام على السياسة الخارجية يزداد إذا كانت القضية المثارة ذات أهمية مركزية بالنسبة له كقضية الحرب الدولية، أما القضايا الثانوية للسياسة الخارجية (كعقد اتفاقية أو تقديم معونة اقتصادية) فإنها قد لا تثير الرأي العام بدرجة تجعله يؤثر في السياسة الخارجية"[٢].

يحدد بعض الدارسين ثلاثة أشكال لتأثير الرأي العام على السياسة الخارجية[٣]:

---

(١) الدكتور محمد السيد سليم، تحليل السياسة الخارجية، مصدر سبق ذكره، ص ٢٤٤.

(٢) المصدر نفسه، ص ٢٤٥-٢٤٦.

(٣) المصدر نفسه، ص ٢٤٦-٢٤٨.

كان جونسون يميل إلى الاعتقاد بأنه ينبغي أمركة الحرب الفيتنامية، بمعنى خوضها بدعم ضخم من العسكرية الأمريكية، وأنه ينبغي مواجهة الشيوعية أينما تظهر. راجع: جود، مصدر سبق =

=

ذكره، ص١٣٤٠.
استمرت الحرب الفيتنامية عقدًا كاملًا (انتهت في عام ١٩٧٥)، ولولا أن راح ضحيتها مئات الألوف من الأمريكيين، وملايين الفيتناميين، ومئات المليارات من الدولارات ما اعترض عليها أحد، بل وما عرف حقيقتها أحد، فلو تم انتصار القوات الأمريكية فيها سريعًا لعدهم الرأي العام أبطالًا، ولانتخب جونسون ثانية.
أشار روبرت ماكنمارا وزير الدفاع على عهد جونسون في منتصف التسعينيات، الذي يعد أحد مخططي حرب فيتنام، ذكر في أن تلك الحرب كانت خاطئة.. قائلًا: قتلنا بطريق الخطأ ملايين قليلة من الفيتناميين، ومئات قليلة من آلاف الأمريكيين، وأصبنا بجراح أضعاف ذاك العدد، ودمرنا تمامًا آلاف القرى، وأنفقنا بضعة مليارات. راجع: نعوم تشومسكي، ماذا يريد العم سام؟ تعريب عادل المعلم، دار الشروق، القاهرة، ١٩٩٨، ص٥٦-٩١.
في كل هذه التطورات جرت انتخابات الرئاسة في الولايات المتحدة؛ إذ فاز نيكسون بـ٤٣.٤٪ من الأصوات مقابل ٤٢.٧٪ لهمفري، أما المستقل جورج والاس فإنه حصل على ١٣.٥٪.
وبهذا النصر الذي أحرزه نيكسون بصعوبة اكتسب الحق في تقرير السياسة الأمريكية في حرب فيتنام، وكانت أمامه خيارات عديدة، من المؤكد أنه استعاد في ذاكرته الطفرة التي أحرزها إيزنهاور في شعبيته عندما أنهى الحرب الكورية بعد ستة أشهر من تولية منصبه، كان بإمكانه أن يفعل الشيء نفسه في فيتنام ببساطة بإعادة الجنود الأمريكيين إلى الولايات المتحدة، أو بالاستمرار في سياسة جونسون في شن حرب شاملة في الجنوب مع عدم قصف الشمال أو تسليم الحرب إلى الفيتناميين ليتولوا القتال بأنفسهم باستخدام الأسلحة الأمريكية أو مد نطاق القصف إلى الشمال وتدمير هانوي وتلغيم ميناء هايفونج وشن غزو بقوات برية، وآخر خيار أمامه كان استخدام الأسلحة النووية. وفي ظل طبيعة الحملة الانتخابية كان يمكن أن يتبنى نيكسون أيًّا من الخيارات المذكورة أو تغيير أي منها. راجع: ستيفن أي. أمبروز، مصدر سبق ذكره، ص ٣٠١-٣٠٢.
تجدر الإشارة في هذا المجال إلى أن هناك علاقة بين حرية الصحافة والرأي العام في الولايات المتحدة بخصوص حرب فيتنام، والمثال الواضح على ذلك هو نشر وثائق الكونغرس حول ذلك، ولا سيما عندما كانت تسير الحرب في غير صالح الأمريكان وبالتحديد في أواسط عام ١٩٦٧،
=

=

حيث بدأ روبرت مكنمارا وزير الدفاع بدراسة تأثير الاعتبارات الداخلية على السياسة الخارجية الأمريكية. إذن عرفنا أنه في نهاية إدارة جونسون تم كتابة عملية صنع القرار المتعلقة بقضية فيتنام في سبعة وأربعين مجلدًا محتفظة بها بصورة من الكتمان والسر من قبلها؛ إلا أن Daniel Ellsberg أحد العلماء في السياسة الخارجية ودارسي وثائق الكونغرس في آذار ١٩٧١ استطاع استنساخ هذه الوثائق لمراسل صحيفة نيويورك تايمز، وفي ١٣ حزيران ١٩٧١ بدأت صحيفة Times في نشرها. ومن جانب آخر قامت إدارة نيكسون باتخاذ قرار فوري لمنع تداولها، مدعية أن هذا قد يلحق الضرر بالأمن القومي، وعدم مساندة الرأي العام للحرب. وفي ٣٠ حزيران من العام نفسه قدمت المحكمة العليا ٣-٦ أشخاص من إدارة نيكسون للمحاكمة بخصوص ذلك، ومع ذلك استمرت The Times في تزويد بقية الصحف بالمعلومات الواردة في وثائق الكونغرس. وإذا ما عدنا إلى خطط البنتاغون التي باتت معروفة اليوم بالتفصيل من خلال "أوراق البنتاغون" (هو المصطلح الشعبي لتقرير سري من سبعة آلاف صفحة وضعته الإدارة الأمريكية، يحكي تاريخ التخطيط الداخلي وعملية صنع القرار داخل الإدارة نفسها بصدد حرب فيتنام، وقد اكتسبت الوثيقة شهرة عندما سربت ونشرت في صحيفة نيويورك تايمز في مطلع عام ١٩٧١) والوثائق التي رفع عنها طابع السرية لاحقًا، نجد أن عمليات قصف الشمال قد خطط لها حتى أدق التفاصيل: أين يجب أن تقصف وألا تقصف، ومتى؟ بينما لا يوجد عمليًّا أي شيء بصدد قصف الجنوب، الذي بلغ ربما ثلاثة أضعاف نطاق قصف الشمال بحلول عام ١٩٦٥. هنا بالإمكان أن نلقي نظرة على مذكرات روبرت مكنمارا، إنه يناقش فيها على نحو مفصل الخطط الموضوعة لقصف الشمال، لكنه قلما يتطرق إلى بعض القرارات الرئيسة التي عرفتها حوليات الحرب، كالقرار الذي اتخذ في أواخر كانون الثاني من العام ١٩٦٥، باستخدام قاذفات القنابل العملاقة لتصعيد وتيرة قصف فيتنام الجنوبية، لماذا؟ لأن ما تقوله الولايات المتحدة في الجنوب ينبغي السير بموجبه، لم تكن هناك أية كلفة تتحملها ولا أية معارضة دولية، ولذا كان في مقدور الولايات المتحدة أن تفعل ما تريده. في الشمال على العكس، كان الأمر محفوفًا بالمخاطر، كانت هناك سفارات أجنبية في هانوي وسفن سوفيتية في ميناء هايفونغ، كانوا يقصفون السكة الحديدية الصينية التي صادف أنها تمر عبر فيتنام الشمالية، وقد كان ذلك مرئيًّا بوضوح على المسرح الدولي، زد على ذلك أن الشمال كانت لديه دفاعاته،

=

١- التأثير في أجندة السياسة الخارجية:-

إن التأثير في أجندة السياسة الخارجية -أي ترتيب أولويات القضايا لدى صانع السياسة الخارجية- مثال استشهد به ستيرز على أثر الرأي العام الكندي في الضغط على رئيس الوزراء ترودو ليهتم بقضية الحركة الانفصالية في مقاطعة بيافرا بنيجيريا عام ١٩٦٨، بعد أن كان قد أعلن أن التضحية ليست عامة بالنسبة له. وهناك مثال آخر يتركز في أثر الرأي العام الأمريكي في دفع الرئيس ريغان إلى الاهتمام بقضية إسقاط الاتحاد السوفيتي للطائرة الكورية عام ١٩٨٣، ففي البداية لم يهتم الرئيس الأمريكي بالقضية وواصل قضاء إجازته في مزرعته في كاليفورنيا، ولكن بعد أن اتضح اهتمام الرأي العام بالقضية، اتخذ الرئيس قرار العودة إلى واشنطن، وتبنى قرارات إزاء القضية المذكورة[١].

=

ومنها البطاريات المضادة للطائرات السوفيتية الصنع، التي قيل عنها: إنها تشكل "تدخلًا" في شئون فيتنام. إن حرية الصحافة وقضايا الأمن القومي تم إثارتها من جديد خلال المدة الواقعة بين ١٩٩٠–١٩٩١ خلال حرب الخليج الثانية. راجع:

Jentleson, Op.Cit., pp.56-57.

(١) المصدر نفسه، ص ٢٣٦-٢٤٧.

يشير هادلي كانتريل إلى دراستين لاستطلاع المعلومات قام بهما لويد فري في كوبا قبيل غزو خليج الخنازير، وفي سان دومنجو قبل التدخل الأمريكي، وقد كشفت كلتا الدراستين الأوضاع التي كان من المحتم أن تمثل عقبة أمام صناع القرار. على أن القضية هنا ليست رفض البيانات المفيدة للاستطلاع من جانب البيروقراطية، بل تتمثل في نشاط منفذي استطلاع الآراء في صالح مبادرات السياسة الخارجية للولايات المتحدة.

يدعي الرأي المتعارف عليه أن ذروة أزمة الصواريخ الكوبية حولت جون كينيدي من قائد غر إلى قائد لامع، وأخاه روبرت (بوبي الشاب) من صقر إلى حمامة، وغيرت البيت الأبيض من حلقة دراسية لهارفد إلى هيكل للحكمة. وهذا في جزء منه أسطورة مبنية على سجل تاريخي غير

=

=

دقيق ومحرف؛ فالرئيس كيندي زود صحافيين مقربين بقصص شاعرية، لكنها في واقع الأمر غير صحيحة، واحتوى كتاب روبرت كيندي عن الأزمة، الذي نشر بعد وفاته، اختراعات وحوارات ملفقة رددها لولا ذلك مؤرخون موثوقون والدائرة المخلصة عن مساعدي كيندي. نحن نعلم الآن أن الأخوين كيندي حرفا السجل التاريخي، وأخفيا كيفية حل الأزمة، ويمكننا الآن رؤية أنهما حيثما خططا لشن الطريق خروجًا من الأزمة، فإنهما كانا في أغلب الأحيان يتبعان طريقًا رسمه جون ماكون. راجع: تيم واينر، إرث من الرماد تاريخ "السي. آي. إيه"، شركة المطبوعات للتوزيع والنشر، بيروت، ٢٠١٠، ص ٧٦٥ – ٧٦٦.

ومن الأمثلة الأخرى في هذا الصدد شركة سيملماتكس المتحدة، وهي شركة للأبحاث مقرها نيويورك، فقد قامت بإجراء العديد من الأبحاث عن فيتنام لحساب وزارة الدفاع ووكالة التنمية الدولية. راجع: هربرت. أ. شيللر، المتلاعبون بالعقول، ترجمة عبد السلام رضوان، الكويت، ١٩٩٩، ص١٥٥.

كانت هناك محاولات من إدارة نيكسون (يعدُّ ريتشارد نيكسون الرئيس الـ٢٨ للولايات المتحدة، دخل مدرسة ديوك للقانون عام ١٩٣٦، وعمل في المحاماة في الأربعينيات من القرن العشرين، وخاض الانتخابات التشريعية عام ١٩٤٦ ضد النائب جيري فورهيس، وعين بعد انتخابه في الكونغرس في لجنة النشاط المعادي للولايات المتحدة التابعة لمجلس النواب، وحمل شعار معاداته للشيوعية، وتم اختياره نائبًا لرئيس الجمهورية، وهزمه جون كنيدي في عام ١٩٦٠ في أول محاولة له للرئاسة، فضلًا عن ذلك هزم نيكسون في انتخابات حاكم كاليفورنيا أمام إيد موندجي (بات) في عام ١٩٦٢ انضم إلى مؤسسة ميتشيل القانونية، وكان من بين زبائنه الجدد شركة بيبسي كولا التي كان رئيسها دونالد كيندول الذي كان صديقًا قديمًا له، وفي خلال ذلك قام بجولات متعددة في أنحاء العالم لحساب الشركة الأخيرة، وأقام مشروعًا لتعبئتها في فيتنام، وهو الذي أصبح الآن أكبر مصنع للهروويين في كل جنوب شرق آسيا. وعلى الرغم من تلقي هذا المشروع أموالًا من وكالة التنمية الدولية (الأمريكية) لم ينتج هذا المصنع زجاجة بيبسي كولا واحدة. إن حملة نيكسون الانتخابية عام ١٩٦٨ قد تعرضت لعملية تجسس غير مشروعة بوساطة التسجيلات الصوتية. راجع: مايكل ميرسون، ووترغيت أزمة الديمقراطية الأمريكية، ترجمة سمير كرم، بيروت، ١٩٧٤، ص١٥٢-١٥٥. لحل القضية الفيتنامية؛ لأنه في

=

=

حالة انقضاء خمسة وعشرين عامًا على هذه القضية سوف يكون لها تأثيرها على إجماع أمريكا القومي في فيتنام، وكان المجتمع الأمريكي تواقًا بعد احتفاله بمقدم رئيس شاب وهو تقدمي من وجهات نظره، ولا سيما إذا عرفنا انقطاع الرئيس جونسون عن الظهور إلى السواد الأعظم من الناس عندما قضى نحب رئاسته عام ١٩٦٨؛ إذ كانت هناك احتجاجات عنيفة لسياسته في فيتنام -إلى درجة أنه لم يألف حتى الظهور في اجتماع عام ١٩٦٨ الوطني- خاصة بسياسته في فيتنام. راجع: هنري كيسنجر، الدبلوماسية في الحرب الباردة حتى يومنا، ترجمة مالك فاضل البديري، الأهلية للنشر والتوزيع، عمان، ١٩٩٥، ص٣٢٧-٣٢٨ وسيمور هيرش، ثمن القوة سنوات كيسنجر في البيت الأبيض، ترجمة خالد إسماعيل الصفار، بيت الحكمة، بغداد، ٢٠٠٠، ص٢٠. استقال نيكسون في عام ١٩٧٣؛ إذ يعد أول رئيس في الولايات المتحدة يقوم بهذا العمل منذ نشأة الولايات المتحدة في عام ١٧٧٦. راجع: المصدر نفسه، ص ١٠.

والحق، أن معارضة الرأي العام الأمريكي للحرب الفيتنامية كانت السبب الرئيس في عدم تجديد ترشيح الرئيس جونسون في عام ١٩٦٨. راجع: جيمس، أندرسون، مصدر سبق ذكره، ص١٠٤.

في عام ١٩٧١، وعندما رفض الرئيس الأمريكي تحديد موعد معين للانسحاب من فيتنام أثار موظفو البيت الأبيض إلى استطلاع حديث للآراء أوضح أنه في حين رغب ٦٨٪ ممن سئلوا عن إتمام الانسحاب مع نهاية ١٩٧١، فإن ٧٥٪ عارضوا سحب القوات (يهدد أرواح أو سلامة أسرى الحرب الأمريكيين)، وهناك اعتقاد شبه مؤكد أن الاستطلاع تم بناء على تكليف من البيت الأبيض، راجع: شيللر، مصدر سبق ذكره، ص ١٦١.

وهنا لا بد أن نشير إلى أن قرار الرئيس جونسون حول تخفيف العمل من الانهماك الأمريكي في فيتنام، والقرار الخاص بالرئيس نيكسون بالانسحاب منها كان لهما علاقة بالسياسة الداخلية أكثر من تعلقهما بالسياسة الخارجية. راجع: بروسترك، ديني، مصدر سبق ذكره، ص٣٧. راجع: هنري كيسنجر، الدبلوماسية من الحرب الباردة إلى يومنا هذا، مصدر سبق ذكره، ص٣٢٧-٣٢٨.

تظهر دراسات "البرنامج حول المواقف من السياسة الدولية" (PIPA) أنه بحلول نيسان ٢٠٠٣؛ أي بعد بضعة أسابيع فقط غداة الغزو، كانت غالبية كبيرة من الرأي العام الأمريكي يشعرون =

٢- التأثير في الأطر العامة للسياسة الخارجية:-

هنا يكون للرأي العام دور في وضع حدود معينة لإمكانية صانع القرار حول اختيار بدائل معينة في السياسة الخارجية، وبتعبير آخر قدرته في وضع الإطار الأساس للخيارات الممكنة، وما يطلق عليه Parameter-Setting، وفي حالة تجاوز صانع القرار لهذه الأمور فإنه بالإمكان الانقضاض عليه من شرائح الرأي العام.

=

بأنه يتوجب على الأمم المتحدة بالذات أن تتولى زمام القيادة في استتباب الأمن وإعادة بناء الاقتصاد في العراق، وبحلول كانون الثاني ٢٠٠٣ كان ٧٠٪ من الأمريكيين يرون أن على الأمم المتحدة كذلك أن "تتصدر الصفوف في العمل مع العراقيين لوضع دستور وبناء حكم ديمقراطي جديد".

إن هذه الأرقام جديرة بالذكر خصوصًا في ضوء الحقيقة المعروفة، وهي أن رأي الجمهور في مثل هذه الأمور نادرًا ما يذاع، وأن وجهات النظر هذه لا تلقى إلا القليل من الدعم الصريح والواضح، وأن المسائل لا تظهر على الأجندة الانتخابية، وأخيرًا فإن الأمريكيين يملكون سوء إدراك غير عادي للحرب، ربما يكون فريدًا من نوعه في العالم.

في دراسة أعدها "البرنامج حول المواقف من السياسة الدولية" (PIPA) تبين أنه عشية انتخابات ٢٠٠٤، كان ٧٤٪ من شرائح الرأي العام الأمريكي يشعرون بأنه يجب على الولايات المتحدة ألا تذهب إلى الحرب إذا كان العراق لا يمتلك أسلحة دمار شامل أو لا يقدم الدعم لتنظيم القاعدة (٥٨٪ من أنصار بوش، و٩٢٪ من أنصار كيري، و٧٧٪ من غير الملتزمين بأي منهما)، وفي حال ما إذا كانت لدى العراق النية فقط لتطوير أسلحة دمار شامل أبدى ٦٠٪ معارضتهم لخيار الحرب، غير أن النصف تقريبًا كانوا يحبذون اللجوء إلى الحرب. راجع: نعوم تشومسكي، الدول الفاشلة إساءة استعمال القوة والتصدي للديمقراطية، مصدر سبق ذكره، ص ٢٨٥ – ٢٨٦.

٣- التأثير في الخيارات السياسية الخارجية:-

في هذا الشكل يُطرح تأثير الرأي العام على نوعية الخياراتSetting Policy التي يتم اختيارها من صانع القرار، إلا أن هذا الشكل في التأثير من النادر وقوعه في هذا المجال.

والحق، لم يكن هناك تأثير للرأي العام بصورة رئيسة على السياسة الخارجية حتى عام ١٩١٤، إن نهايات الحرب العالمية الأولى بدأت تطالب بالإشراف الشعبي على قرارات السياسة خدمة لأهداف السلام في هذه المدة، ونتيجة لذلك حاول كل من ودرو ولسن والقادة السوفيت استمالة ظاهرة الرأي العام بجانبهما[١].

---

(1) Frankel, Joseph, International Relations, Op.Cit., P.35.

إن الإشراف الجماهيري على السياسة الخارجية حتى عام ١٩١٤ لم يكن مناطا في الواقع بالنواب المنتخبين، وعلى سبيل المثال إن شروط التحالف الفرنسي الروسي لم تكن معروفة للرأي العام الفرنسي والروسي، وعلى الرغم من نتائجها دفعت هذه الشعوب إلى حرب أو نقض العهد، وهذه مسألة واضحة أيضًا عن التحالف الألماني النمساوي الإيطالي؛ لأنها أخفيت عن الرأي العام في هذه الدول الثلاث، علمًا بأن الشروط نفسها هي التي دفعت ألمانيا إلى الحرب. إن اللورد جراي أوف فولودن عبر عن هذا قائلًا: "لم ير خطأ في إعطائه وعودًا لم يكن لدى البلاد، أو مجلس البرلمان، وأغلبية مجلس البرلمان، وأغلبية مجلس الوزراء علم بها. راجع في هذا الصدد: هارولد نيكولسون، مصدر سبق ذكره، ص ٩٤.

يقول هارولد نيكولسون في هذا الصدد: "لم يعد شيء يحول بين السياسة الخارجية والاستطلاع الشعبي، بل أصبحت السياسة الخارجية تخضع لنقد الجماهير، شأنها في ذلك شأن السياسة الداخلية، وهذا الأمر يعد علة من العلل الأولى في تردد السياسة الخارجية، وعدم اتساقها وعدم حزمها، والأمر نفسه يميز السياسة الخارجية في الديمقراطيات عن السياسة الخارجية في ظل الحكم المطلق؛ إذ نرى السياسة الخارجية الأخيرة تتسم بوحدانية الهدف والغرض". راجع: =

إن تأثير الرأي العام على السياسة الخارجية بوصفه عنصرًا من عناصرها أدى إلى خلق مجموعة من المعضلات، ولا ننسى في هذا المجال موضوع انضمام بريطانيا إلى السوق الأوروبية المشتركة في آب ١٩٦١، ولم يكن من الممكن معرفة اتجاهات الرأي العام؛ إذ لم تكن هناك صورة واضحة لإعطاء موقف حاسم حول هذه المسألة، ناهيك عن جهل الرأي العام البريطاني بأبعاد هذا الموضوع[1].

وتصير هذه المسألة أكثر تعقيدًا في الأقطار الاشتراكية - أوروبا الشرقية والاتحاد السوفيتي سابقًا- إذ إن الرأي العام لا يعد منظمًا من القاعدة، بل من أعلى عن طريق تدرج هرمي في القيادة. وفي هذا الشأن نجد أن وسائل الإعلام لاكتشاف هذا الرأي والتأثير منه أوجدت نجاحًا جزئيًّا[2].

وعند تقويم أهمية الرأي العام وتأثيره على السياسة الخارجية يكون من الضروري التمييز بأنموذجين من عملية صنع القرار[3]:-

١- القرار اليومي بشأن سياسات محددة.

٢- القرارات المستمرة نسبيًّا محدودة الاتجاهات للسياسة العريضة.

فيما يخص الأنموذج الأول من عملية صنع القرار هناك دور للرأي العام غير المنظم، ولكن يتحدد هذا الدور بفعل مباشر صغير، فصانعو القرارات يمارسون ضغوطًا كبيرة من أجل قبول أو رفض بدائل سياسة معينة، إلا أن ممارسة هذه

=

المصدر نفسه، ص ٢٥٧.

(1) Frankel, Joseph, International Relations, Op.Cit., P.35.

(2) Ibid., P.36.

(٣) محمد سيف، مصطفى علوي، مصدر سبق ذكره، ص ٢٣.

الضغوط تأتي من شرائح معينة من الرأي العام، ولا سيما أنها تتحرك عن طريق منظمات، وليس من الهيئة الناخبة ككل، وفي هذا المجال يحاول صانعو القرارات توقع ردود فعل ممكنة من جانب الرأي العام لسياساتهم(١).

أما الأنموذج الثاني فإن له تأثيرًا أكبر على عملية صنع القرار في السياسة الخارجية؛ لأن الحدود العامة للسياسة العامة تتحدد بوساطة الاتجاهات العامة الخفية، زد على ذلك أن الرأي العام الجماهيري له دور كبير إيجابي من خلال النظام الانتخابي(٢).

ولابد من التأكد في هذا المجال أن الرأي العام الجماهيري ومساندته للسياسة الحكومية جعل من الصعب أن يكون لصانعي الرأي غير الرسميين دور فعال في عملية صنع القرار في السياسة الخارجية، ويأتي هذا لأن الرأي العام يفرض "سلبياته الجماهيرية الشاملة" على مناهج الحركة الجديدة المقترحة؛ لأنه مع "الرفض الجماهيري"، تكون الجهود التي يبذلها صانعو القرار في السياسة الخارجية جهودًا وتكلفة عالية(٣).

وفي هذا المجال نرى أن الدبلوماسيين في الخارج يهتمون كثيرًا بالرأي العام في دولهم، ليس بسبب أنهم يحاولون إرضاء زملائهم لأسباب سياسية أو ضرورية، وإنما يهدفون من وراء ذلك الحصول على تأييد الرأي العام المحلي كأداة لهم في مواجهة الدبلوماسيين الأجانب(٤).

---

(١) المصدر نفسه، ص ٢٣.

(٢) محمد سيف، مصطفى علوي، مصدر سبق ذكره، ص ٢٣.

(٣) المصدر نفسه، ص ٢٣.

(٤) الدكتورة شاهيناز طلعت، الرأي العام، القاهرة، ١٩٨٣، ص٣٠٨.

فضلًا عن ذلك فإن الحكومات في دول كثيرة تعبر عن سياستها الخارجية عن طريق بعثاتها الدبلوماسية في الخارج مثل مندوبيها في منظمة الأمم المتحدة، وفي هذا المجال فإن المندوبين في المنظمات الدولية يقومون باستخدام الحقوق التي خولتها لهم دولهم في التحدث في جلسات هذه المنظمات بغية الحصول على آراء دولهم التي تعبر بصورة رئيسة عن آراء الرأي العام لدولهم[١].

ولكن العلاقة بين الرأي العام وعملية صنع القرارات في السياسة الخارجية هي عملية معقدة، ويمكن تلخيص ذلك في العوامل الآتية[٢]:-

١- إن صانعي القرارات قد يضعون نصب أعينهم اتجاهات الرأي العام في بعض الأحيان ويستغنون عن تلك الاتجاهات في أحيان أخرى، إيمانًا بأن مثل هذا الاستغناء يحقق فائدة كبيرة في نطاق السياسة الخارجية.

٢- يتصف الرأي العام بعدم اهتمامه بأمور السياسة الخارجية، ولا ينطبق هذا الأمر على المجتمعات المتخلفة فقط، فالمواطن لا يهتم إلا بمشاكله، وهناك اتجاه عام في كثير من الدول المتقدمة بأن السياسة الخارجية لها نطاق مستقل لا يتناوله إلا صفوة قليلة من الناس هي المسئولة عن مناقشة وتحليل أبعاده.

ويقول جيمس برايس في هذا الصدد: إن جماهير الشعب قد لا تفقه الشيء الكثير، ولكنها تعرف جيدًا موضع الألم الذي تتوجع منه، ولذلك تظل أجدر وأفضل من غيرها بتقرير الإصلاحات التي تحتاج إليها، ولكن هذا لا ينطبق على السياسة الخارجية[٣].

---

(١) المصدر نفسه، ص ٣١٠.

(٢) أحمد نوري النعيمي "الأبعاد المؤثرة في السياسة الخارجية"، مصدر سبق ذكره، ص ٩٦.

(3) Bryce, James, Op.Cit., P.370 ; Dreyer Edward C., Rosenbaum Walter A., Political Opinion and Bahavior: Essays and Studies, Edition, U.S.A.1970.PP.3-7.

وفي هذا المعنى يقول ألكسي دو توكفيل: "أما الأمريكي فيشعر، على الضد من ذلك، بأن اقتصار همه على تدبير شئونه الخاصة أشبه بسلبه نصف عمره، ولا يجد ما يملأ به الفراغ الهائل في أيامه، ويستبد به القنوط والتعاسة"(١).

٣- افتقار المعلومات: إذ إن طبقات المجتمع الجماهيرية تعودت ألا تحصل على المعلومات اللازمة في مسائل السياسة الخارجية، وعليه يمكن القول بأن الرأي العام المحلي يتصف بالسلبية إزاء السياسة.

٤- حتى لو افترضنا أن المعلومات متوفرة لدى الرأي العام، إلا أن حكمه كثيرًا ما يكون خاضعًا لانسياقه وراء العاطفة.

وكثيرًا ما يتسم الرأي العام بعدم الاتزان والثبات في اتجاهاته، وكثيرًا ما يكون متعسفًا غير معقول، بل كثيرًا ما "ينزع إلى الخطأ" على حد تعبير "والتر ليبمان". فالرأي العام قلما يضع في اعتباره حاجات الأجيال التالية أو تاريخ الأجيال السابقة، وتفكير الرأي العام يتأثر بالأساطير البطولية، والنقد الساخر، والمعلومات المضللة، والكلمة المطبوعة في الصحافة، بغض النظر عن صدقها أو خطئها، فضلًا عما يتسم به الرأي العام دائمًا من مقاومة غريزية للتجديد.

ومن صفات الرأي العام أيضًا أنه يتشكل ببطء، فضلًا عما يحيط بانفعالاته من التشويش وسرعة انتشار التأثير العاطفي فيه، مع ما يترتب على كل ذلك من صعوبة دائمة في تمييز اتجاهاته، وذلك لأن الرأي العام نادرًا ما يعبر عن نفسه بصوت واحد واضح مدو(٢).

---

(١) ألكسي دو توكفيل، الجزء الثاني، مصدر سبق ذكره، ص ١٣٧.

(٢) تيودور سورنسن، مصدر سبق ذكره، ص ٧٨.

وهناك فارق مميز له أهميته في موقف الرأي العام؛ ففي السياسة الداخلية يكون قرار رئيس الجمهورية عادة بمثابة بداية الجدل في صفوف الرأي العام، أما في السياسة الخارجية فكثيرًا ما تكون المشاكل على درجة من التعقيد والغموض، فضلًا عن ضيق الوقت المتاح لحسمها، مما يجعل الرأي العام من البداية (وهو أمر تكرر كثيرًا خلال القرن العشرين) يفوض الرئيس سلطات أوسع في هذا المجال الحيوي، والرأي العام عادة على استعداد لتأييد أي قرار معقول يصدره الرئيس[1].

في هذا السياق يقول فرانكلين ديلانو روزفلت: "لا أستطيع أن أنطلق بأسرع مما يسمح لي به الشعب"[2].

وفي هذا المجال يقول والتر ليبمان: "يعد الرأي العام جاهلًا ومزاجيًّا"، وحذر من أن اتباع الرأي العام من شأنه أن يخلق "فوضى رهيبة في الوظائف الحقيقية للسلطة، وينتج سياسات مهلكة لبقاء الدولة بالذات كمجتمع حر". لطالما أظهرت استطلاعات الرأي العام لعشرات السنين -مع تسجيل زيادة حادة إبان سنوات ريغان- أن الشعب لا يشعر بأن الحكومة تستجيب لإرادة الجمهور. وفي أحدث دراسة سئل المستطلعون أن يحددوا ما لوجهات نظر غالبية الأمريكيين المنتخبين في واشنطن على مقياس من صفر إلى ١٠ (صفر يعني لا تأثير بالمرة، و١٠

---

(١) المصدر نفسه، ص ٨٢ – ٨٣.

(٢) المصدر نفسه، ص ٨٣.

بالغ "لنكولن" بعض الشيء في تقدير الحقيقة حين قال في حديثه عن الرأي العام: "إن أي شيء يؤيده الجمهور بعاطفته لا بد أن ينجح، أما ما يعارضه الرأي العام فإن فشله أمر محتوم". أما الرئيس كيندي فشديد التأثر بحكمة "جفرسون" التي تقول: إن التجديدات العظيمة لا يمكن أن تفرض بأغلبيات ضئيلة. راجع: المصدر نفسه، ص ٨٣.

تعني تأثيرًا نافذًا للغاية)، فكان متوسط الإجابة ٥ و٤؛ أي ما يقارب النصف تقريبًا، مما يعد مقبولًا[١].

٥- من الصعوبة بمكان تتبع مدى فاعلية الرأي العام على السياسة الخارجية[٢].

غير أن التطورات المعاصرة أدت إلى تقليل أهمية الملاحظات التي ذكرت، وذلك تحت تأثير العوامل الآتية:

١- إن التطورات التكنولوجية بعد الحرب العالمية الثانية قد ألغت الحواجز بين السياسة الداخلية والسياسة الخارجية. وفي هذا الصدد يقول روزيناو: "إن التطورات التكنولوجية لما بعد الحرب قد أنهت التمييزات الطويلة المدى بين الاهتمامات المحلية والخارجية؛ لذا فإن المناقشات المنبثقة حول ذلك ربما تمتد لتتضمن كل أنواع نماذج السياسات، إلا أنه لم تتم لحد الآن أية محاولة تذكر لمثل هذا التوسع؛ لأن ذلك سوف يثير العديد من التساؤلات والمشكلات التي ليس لها ضغط مباشر على السياسة الخارجية"[٣].

---

(١) نعوم تشومسكي، الدول الفاشلة إساءة استعمال القوة والتصدي للديمقراطية، مصدر سبق ذكره، ص ٢٨٩ – ٢٩٠.

يقتصر استطلاع الرأي العام إلى حد بعيد على الأسئلة السطحية، من قبيل: "هل تعتقدون أن الولايات المتحدة بوجه عام تفعل الشيء الصواب بالقدر الكافي الذي يحق لها أن تفتخر به؟ راجع: المصدر نفسه، ص ٣٥٥.

(2) Davison, Phillips W., Public Opinion. International Encyclopedia of Social Sience, Vol.X111, 1964,P.19.

(3) Rosenau, James N., Public Opinion and Foreign Policy, New York, 1969, P.3.

٢- إن ظاهرة الدبلوماسية المفتوحة[1] وما تفرضه من مناقشات مستمرة وإعلام منظم يؤدي إلى خلق الاهتمام بالسياسة الخارجية.

٣- الصراع الأيديولوجي -الذي غالبًا ما يتحول إلى حرب نفسية بقصد إغراء واستحواذ طبقات الرأي العام المحلي- لا بد أن يؤدي إلى مزج النواحي المتعـلقة بالسياسة الخارجية، أو على الأقل إعطاؤها طابع المشكلات اليومية.

وفي هذا المجال يخطر ببالنا هذا السؤال: ما التأثير المتبادل بين الرأي العام والسياسة الخارجية؟ الحق، لا نستطيع ملاحظة التأثير المتبادل بين الرأي العام

---

(١) نادى الرئيس ولسن بالدبلوماسية المفتوحة بعد الحرب العالمية الأولى، نتيجة للإخفاق الذي لحق بالسياسة الخارجية في هذه المدة، فقد أعلن ولسن في البند الأول من مبادئه الأربعة عشر في ١٢ آذار (أن المستقبل يجب ألا يشهد سوى تعهدات ومواثيق مفتوحة تم الاتفاق عليها في جو من الصراحة والعلانية).

وقد أعلن ولسن أهمية خاصة لدور الرأي العام في السياسة الخارجية، والرأي في نظره ما احترم الوقائع وتم اختياره بوساطتها. بمعنى آخر: يجب أن يكون هناك توافق بين الوقائع والرأي العام، وإذا ناقض الرأي الوقائع كان من الضروري التخلي عنه. راجع في هذا الصدد: هشام الشاوي، فن المفاوضة، مطبعة شفيق، بغداد، ١٩٦٩، ص ٨٢-٩٦. وراجع: محاضراتنا في الدبلوماسية الحديثة التي ألقيت على طلبة الصف الرابع/ قسم السياسة، كلية القانون والسياسة، السنة الدراسية ٧٧/٧٦، ص ٤-١٤ و:

K.M. Panikar, The Principles and Practice of Diplomacy, Asia Pubishing House, Bombay, 1957, P.18.

وفيما يخص التمييز بين الدبلوماسية الجديدة (العلنية) والقديمة راجع:

Lester B. Pearson, Diplomacy in the Nucler Age, Harvard University Press, 1959, PP.1-24

Stoessinger, John G., The Might of Nations World Politics in our Time Random House, New York, 1965, PP.217-227.

والسياسة الخارجية، ولكن باستطاعتنا ملاحظة السلوك والاستنتاجات من ذلك والتي يكون لها التأثير الفعال، فعلى سبيل المثال إذا أردنا أن نختبر تأثير الصفوة المختارة لممارسة الضغط على الرأي العام والسياسة الخارجية، في مثل هذه الحالة يكون من الضروري أن نقرر من هم هؤلاء الصفوة المختارة، ومن يشكل نشاطًا أكثر منهم في التأثير على الرأي العام أو صانعي القرارات، وبعد ذلك يتعين علينا تشخيص من السابق أكثر رأيًا من اللاحق أكثر استجابة من هذه المجموعات التي ترتبط معًا في سياق التأثير المتبادل الذي يشكل عملية التأثير[١].

في كثير من الأحيان ينتهج القادة الوطنيون سياسات خارجية تكون عرضة لمعارضة الرأي العام، وهناك أمثلة تعزز ذلك، منها تحرك الرئيس روزفلت قبل عام ١٩٤١ بحذر تجاه الحلفاء، ولكنه بعد ذلك وبسرعة اصطف إلى جانب القوى الأوروبية الغربية، على الرغم من أن الاستفتاء الذي تم إجراؤه من قبل الرأي العام بخصوص ذلك كان يشير إلى بقاء الولايات المتحدة خارج الحرب، ومعارضة الرئيس ديغول للاندماج مع العالم الغربي في وقت كان ثلاثة أرباع الفرنسيين يفضلون هذا الاندماج[٢]. وقرار رئيس الوزراء البريطاني هيث الانضمام إلى

---

(1) Rosenau, Op.Cit., P.11.

(٢) تجدر الإشارة في هذا المجال إلى أن فرنسا انضمت إلى السوق الأوروبية المشتركة في ٢٥ آذار ١٩٥٧ بموجب معاهدة روما، وفي هذا المجال اشتركت الأحزاب ومعظم الصحف في فرنسا في القلق الذي ساور الدول الأجنبية التي أبدت استياءها من موقف الجنرال ديغول المتشدد إزاء ذلك الذي قال: (إنه سيطر على الذين تولوا المفاوضة باسمنا عام ١٩٥٧، حلم إنشاء أوروبا ذات كيان يعلو على الدول الأعضاء). ومع ذلك فقد رأى ديغول أنه من المناسب إطلاع الرأي العام حول الموضوع عملًا بالخطة التي انتهجها؛ ففي ٥ أيلول ١٩٥٧ عقد مؤتمرًا صحفيًا أوضح فيه ما قام به بعد انضمام فرنسا إلى السوق الأوروبية المشتركة قائلًا: (إن تشييد أوروبا -أي العمل على =

السوق الأوروبية المشتركة بدون مساندة الرأي العام البريطاني، أمام اعتقاد القادة الثلاثة في بريطانيا بأن سياستهم الخارجية كانت بحاجة إلى تأييد الرأي العام لهم، فضلًا عن ذلك هناك تأثير للرأي العام على السياسة الخارجية، ولعل معارضة الرأي العام الأمريكي للحرب في كوريا وفيتنام واضحة في هذا المجال، ولمعرفة أهمية ذلك يمكننا أن نرجع إلى Bernard Cohen الذي أشار قائلًا: (إن نظام صنع السياسة بصورة أساسية يقترن بمعارضة الاتجاه المعتدل لجميع الآراء الواردة من الرأي العام الخارجي).

أشار جيمس بيست إلى عوامل مهمة يمكن الأخذ بها عند دراسة علاقة الرأي العام بعملية صنع القرار، يمكننا إيجازها في الآتي[1]:-

=

وحدتها- هو هدف رئيس بالنسبة لنا، يجب أن نسلك طريق الحقائق لا طريق الأوهام، فما حقائق أوروبا وما الدعائم التي يمكننا أن نشيدها فوقها؟ إنها في الحقيقة الدول التي يملك كل منها بلا ريب روحها وتاريخها ولغتها ومآسيها وأمجادها وطموحها). والحق، كان ديغول يتخذ قراراته من خلال رجوعه إلى التاريخ مع الأخذ بنظر الاعتبار الصدف في الحسبان، إلا أنه لم يعطها أكثر مما تستحق بتركيزه على المستقبل البعيد. راجع: الدكتور حسن العطار، المنظمات الدولية، مطبعة شفيق، بغداد، ١٩٧٠، ص٣٤٤. والجنرال ديغول، مذكرات الأمل التجديد ١٩٥٨-١٩٦٢، ترجمة الدكتور سموحي فوق العادة، ط٢، منشورات عويدات، بيروت – باريس، ١٩٨٦، ص٢٠٣، ٢٠٨، ٢١٦. ود.عبد المنعم سعيد، الجماعة الأوروبية تجربة التكامل والوحدة، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، لبنان، ١٩٨٦، ص٥٥. وجاك شيراك، فرنسا جديدة فرنسا للجميع، ترجمة أنطوان الهاشم وأحمد عويدات، منشورات عويدات، بيروت، لبنان، ١٩٩٥، ص٩٥-٩٦.

W. Phillips Davison, Mass Communication & Diplomacy, In World Politics An Introduction, Op.Cit.,P398.

(١) الدكتور علي محمد شمبش، مصدر سبق ذكره، ص ٧٧-٧٨.

١- نوعية سياسة اتخاذ القرارات؛ إذ إن للرأي العام دوره في تحديد البدائل وتوضيح المعايير للقرارات غير الروتينية.

٢- مرحلة عملية اتخاذ القرار، قد يكون الرأي الجماهيري أكثر أهمية في مرحلة التنفيذ.

٣- إن مقدار الموقف المستهلك لصنع القرار يؤثر على نوعِ الرأي المأخوذ في الاعتبار.

٤- إن القدرة على الوصول إلى صانع القرار تؤثر في أنواع الآراء التي يستعملها.

٥- تؤثر شخصية صانع القرار في أهمية الرأي العام.

٦- إن طريقة توصيل الرأي تؤثر في أي الآراء سيخضع له صانع القرار.

وللمقارنة بين الصعوبات اللازمة في مفهوم التأثير، فإن لدينا بدائل ثلاثة(١):-

١- محاولة التغلب على الصعوبات عن طريق البحث وقياس التأثير(٢).

٢- تجاهل هذه الصعوبات.

٣- تفادي هذه الصعوبات عن طريق استخدام مفاهيم أكثر دقة.

يعطي البديل الأول توقعات ضئيلة بنجاحه؛ لأن المعرفة للحوافز والمواقف التي تدور حول السلوك تكون قليلة، بحيث إن تطبيق التحليل التجريبي يكون ضعيفا جدًّا في هذه المرحلة. وبعبارة أخرى: إن هذا البديل يلقي ضوءًا على العلاقة بين الرأي العام والسياسة الخارجية.

---

(1) Rosenau, Op.Cit., PP.11-16.

(٢) لمزيد من المعلومات حول كيفية قياس الرأي العام، راجع: شمبش، مصدر سبق ذكره، ص٧٨-٨١.

أما بالنسبة للبديل الثاني الذي يدور أساسًا حول تجاهل الصعوبات فإنه ليس باستطاعته تشخيص السلوك الأساس من التأثير الذي يستنتج. وهذه الطريقة التي استخدمت من الغالبية العظمى للباحثين تعد مسئولة عن اضطراب كثير من المفاهيم والمصطلحات العلمية التي تشتمل على تحاليل غير دقيقة لعلاقة الرأي العام بالسياسة الخارجية، فضلًا عن ذلك فإن هذا البديل يقتصر على اختيار جزء من المجتمع؛ أي الجزء الواقع عليه التأثير، في الوقت الذي تؤكد فيه الدراسات العلمية اختيار المجتمع بأكمله.

أما البديل الثالث فإنه يبين لنا مدى التأثير على العلاقات السلوكية قبل الإشعار بوقوع الحادث، وبدلًا من التغلب على صعوبات قياس التأثير في العلاقات السلوكية، وبدلًا من التسليم للغموض الذي ينشأ حينما يكون التأثير تمامًا للتعويض عنه بآخر؛ ليجعل التحليل التجريبي واضح المدى لعلاقة الرأي العام بالسياسة الخارجية.

وعلى الرغم من وجود هذه الصعوبات أمام قياس التأثير المتبادل بين الرأي العام والسياسة الخارجية، ويقدم لنا روزيناو بعض الافتراضات حول أهمية الرأي العام في السياسة الخارجية وهذه الافتراضات هي:-

١- المسألة الاقتصادية تعزز كثيرًا فعالية صنع الرأي العام فيما يخص ما سيفعله الدبلوماسي المقابل.

٢- إن الغالبية التي يقوم بها صانع الرأي العام المحلي سوف تكون في الحد الأقصى فيما له علاقة بمسألة المساعدة الخارجية، وفي الحد الأدنى فيما يخص مسألة المعاهدة.

٣- إن مناقشة المعاهدة سوف تكون مختصة بصورة أساسية بوسائل النوعية، بينما كل من وسائل النوعية ووسائل الرأي الجماهيري ستعمم حول المساعدة الخارجية.

٤- سيجري بحث الجزء اليسير حول المعاهدة فقط بوساطة قنوات منظمة، بينما غزارة الأفكار حول المساعدة الخارجية سوف تقدم فيها.

٥- سوف تكون الجماعات الإعلامية المبدئية أكثر ألفة مع المساعدة الخارجية من مسألة المعاهدة.

٦- إن عملية تسليم الرأي العام في مسألة المساعدة الخارجية سوف تكون موجهة بشكل أكثر ناحية صانعي الرأي التشريعي من التنفيذي، بينما الأنموذج المقابل سوف يسود مع ما له من علاقة بمسألة المعاهدة.

٧- إن الأشكال المقترحة والمصادق عليها للمعاهدة سوف يتبع بعضه بعضًا بصورة أكثر وثاقة من معايير المساعدة الخارجية المقترحة والمتبناة.

يتضح من الملاحظات التي ذكرناها حول ظاهرة الرأي العام أن هناك علاقة بين الرأي العام وعملية صنع القرار في السياسة الخارجية، وتتضمن هذه العلاقة النقاط الآتية[١]:-

١- هناك بعض الحالات قد يصبح الرأي العام فيها مرجعًا أساسيًّا لعملية صنع القرار، وذلك في بعض الدول التي تأخذ بمبدأ المشاركة السياسية، إلا أن التقاليد السياسية ترفض هذه الحقيقة؛ لأن هذه النواحي لها علاقة بالوعي السياسي من ناحية، ومدى الاهتمام بالسياسات الخارجية من ناحية أخرى[٢].

---

(١) الدكتور حامد ربيع، نظرية السياسة الخارجية، مصدر سبق ذكره، ص ٨٥.

(٢) عُدَّ الشعب الروسي في ظل الحكم القيصري "رعايا" تابعين لشخص القيصر؛ إلا أنه تحول على أثر الثورة البلشفية إلى مواطنين، ولكنه من الناحية الفعلية ظل الرأي العام سواء أكانوا رعايا القيصر أو مواطنين سوفيت خاضعين لسلطة مركزية قوية، وقد عبر عن هذا يلتسين قائلًا: "إن =

٢- هناك تفاعل وتلاحم غير مباشر بين ظاهرة الرأي العام والسياسة الخارجية، ويتضمن هذا التفاعل:-

أ- **تصور العالم الخارجي.**

ب-**وظيفة الدبلوماسي** بوصفه مواطنًا يعكس آمال المجتمع السياسي، ويمثل الرجل العادي عندما يواجه حضارة أخرى؛ أي المعتمد لديها؛ إلا أنه مع ذلك فإن كلا التطبيقين ينقلان دائرة التحليل إلى نطاق آخر ليس هو النطاق الحقيقي لوظيفة المواطن في صنع القرار في السياسة الخارجية.

على الرغم من هذه الملاحظات فإن أهمية الرأي العام في الحياة السياسية تؤدي بصانعي القرار إلى محاولة السيطرة عليه، وتتوقف طبيعة هذه السيطرة على مدى توافر وسائل الإعلام المنظمة والكفء والمركزية في الرقابة، إلا أن هناك حقيقة أخرى يجب ألا تخفى عن الأذهان، وهي أن التأثير على الرأي العام من قبل صانعي القرار يتوقف بالدرجة الأولى على طبيعة وقوة واتجاهات الرأي العام.

=

أفراد الشعب الروسي حطموا أخيرًا قيود وانحلال ٧٠ سنة من العبودية".

وقد جاء دستور عام ١٩٩٣ في روسيا الاتحادية ليفسح المجال أمام الرأي العام كي يكون له دوره في عملية صنع القرار؛ إذ بدأ الاهتمام باستطلاعات الرأي العام، وظهر العديد من مؤسسات استطلاع الرأي العام التي عادة ما تنشر استطلاعاتها على نطاق واسع في الأزفستيا والبرافدا والأجوتيوك وغيرها من الصحف والدوريات الروسية. راجع: نورهان الشيخ، صناعة القرار في روسيا والعلاقات العربية – الروسية، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ١٩٩٨، ص٦٨-٦٩.

وفيما يخص إعلان حقوق الشعب الروسي التي دخلت إلى حيز الواقع في ١٥ تشرين الثاني ١٩١٧. راجع:

Ed., Ponomaryov. A, Gromyko, V. Khvostov, History of Soviet Foreign Policy 1917. 1945, ProgressPublishers, Moscow, 1969, PP.39-44.

من كل هذا يتضح أن الرأي العام الأمريكي لا يولي اهتمامًا بالسياسة الخارجية، بل إن هناك تدنيًا في هذا الموضوع، وعليه نرى أن القادة السياسيين يتجنبون الخوض في مناقشة موضوع السياسة الخارجية متأثرين بعواطف الرأي العام الداخلي لا بمثابة تحد له، وهذه مسألة واضحة في الانتخابات الرئاسية الأمريكية الأخيرة الثالثة على التوالي؛ إذ إن المرشحين لم يتناولوا موضوعات السياسة الخارجية بشكل جدي. يقول في هذا المجال هنري كيسنجر: "وفي التسعينيات كان تطور التفوق الأمريكي من التصميم الإستراتيجي أقل من تطوره في سلسلة من القرارات التي تهدف إلى إرضاء الناخبين المحليين، فيما دفع هذا التطور في الحقل الاقتصادي بوساطة التكنولوجيا والمكاسب الناتجة غير المسبوقة في الإنتاجية الأمريكية، وقد أدى كل ذلك إلى بروز إغراء بالعمل كما لو أن الولايات المتحدة لا تحتاج إلى سياسة خارجية طويلة الأمد ألبتة، وأن بوسعها الاقتصار على الاستجابة إلى التحديات حالة بحالة عندما تنشأ"[(١)].

ولو حاولنا أن ننتقل إلى أهمية الرأي العام في التقاليد البريطانية، حيث أصبح من الواضح جدًّا تأثير ذلك على السياسة الخارجية البريطانية، فقد أظهر استطلاع للرأي أن ثلاثة أرباع البريطانيين تقريبًا يؤيدون فتح تحقيق عام بشأن الغزو الذي قادته الولايات المتحدة ضد العراق في عام ٢٠٠٣، ووجد الاستطلاع الذي أجرته مؤسسة "كومريس لـ (بي بي سي)" أن ٧٢ في المائة من أصل ١٠١٣ مشاركًا بريطانيًّا يعتقدون بوجوب فتح تحقيق رسمي عن الدور الذي قامت به بلادهم في غزو العراق، وأن النسبة ارتفعت إلى ٨١ في المائة بين المشاركين من الفئة العمرية ١٨

---

(١) هنري كيسنجر، هل تحتاج أمريكا إلى سياسة خارجية نحو دبلوماسية القرن الحادي والعشرين؟ مصدر سبق ذكره، ص ٨-٩.

إلى ٢٤ عامًا، وبيّن الاستطلاع أن غالبية البريطانيين يرتابون في الدور الذي تلعبه القوات البريطانية في العراق وأفغانستان، وأكد ٦٠ في المائة من المشاركين أنهم غير مقتنعين بالحجج التي تسوقها حكومتهم لتبرير الوجود العسكري للقوات البريطانية في أفغانستان. وأشار الاستطلاع إلى أن النسبة ارتفعت إلى ٧٠ في المائة بين أوساط المشاركين من الفئة العمرية فوق ٦٥٪ عامًا، وانخفضت إلى ٤٩ في المائة بين المشاركين من الفئة العمرية ٢٥ إلى ٣٤ عامًا، ولاحظ أن هناك انقسامًا في الرأي بشأن قرار إبعاد الأمير ويليام -"٢٦ عامًا" المصنف ثانيًا على عرش بريطانيا بعد والده ولي العهد الأمير تشارلز- عن الخدمة على خطوط النار خلال خدمته في القوات المسلحة البريطانية، وعارض ٦٠ في المائة من المشاركين أبعاده عن خطوط النار.

وأضاف الاستطلاع أن نسبة المؤيدين لإبقاء الأمير وليام بعيدًا عن خطوط النار ارتفعت إلى ٦٣ في المائة بين أوساط المشاركين فوق عمر ٦٥ عامًا، غير أنها انخفضت إلى ٣٨ في المائة بين أوساط المشاركين من الفئة العمرية ٢٥ إلى ٣٤ عامًا[١].

من هذا المنطلق كلف رئيس وزراء بريطانيا كولدن براون قاضيًا بريطانيًّا مسلمًا للتحقيق حول مشاركة بريطانيا في حرب عام ٢٠٠٣ ضد العراق، ونتيجة لذلك وعد وزير خارجية بريطانيا بإجراء تحقيق في حرب العراق بعد سحب قواته.

---

(١) دار السلام، العدد ٦٠٨، بغداد، ١٩ آذار ٢٠٠٩.

ج) الأحزاب السياسية Political Parties [1]:

(١) يذهب بعض الكتاب إلى أن الاختلاف في مدى أهمية كل عنصر من العناصر التي يتكون منها الحزب قد أدى إلى تعذر تقديم تعريف واحد للحزب، وقد دفع هذا الاتجاه بعض الكتاب إلى التغاضي في تقديم تعريف له، والاكتفاء بتعداد العناصر التي يتألف منها الحزب، ولكن هذا التعداد نفسه قد يختلف من دارس إلى آخر، وبذلك لا يكون بديلًا عن التعريف. راجع: الدكتور صالح جواد الكاظم، الدكتور علي غالب العاني، الأنظمة السياسية، مطبعة جامعة بغداد، ص١١.

يعرف نيجامان كونستان الحزب عندما ينظر إليه كجماعة عقائدية: "هو اجتماع أشخاص يعتنقون العقيدة السياسية نفسها". راجع: موريس ديفرجيه، الأحزاب السياسية، ط٣، دار النهار للنشر، بيروت، ١٩٨٠، ص٢.

ويعرف إدمون بيرك الحزب: "اتحاد بين مجموعة من الأفراد بغرض العمل معًا لتحقيق الصالح القومي وفقًا لمبادئ خاصة يكونون متفقين عليها جميعًا"، أما هارولد لاسويل فيعرفه قائلًا: "المنظمة المختصة بتقديم المرشحين والقضايا السياسية تحت اسمها في الانتخابات". راجع: الدكتور علي محمد شمبش، مصدر سبق ذكره، ص ٨٦.

أما أوستن رني فيعرفه: "جماعة منظمة ذات استقلال ذاتي تقوم بتعيين مرشحيها، وتخوض المعارك الانتخابية أملًا في الحصول على المناصب الحكومية والهيمنة على خطط الحكومة". راجع: أوستن رني، سياسة الحكم، ج٢، ترجمة الدكتور علي حسن الذنون، المكتبة الأهلية، بغداد، ١٩٦٦، ص٣.

يعني الحزب لغة: قسم أو جزء، وهو يضم مجموعة من الناس، أما كلمة سياسي فإن هذه الكلمة تعني معاني كثيرة أقربها هو أنها تخص السلطة.

وهناك تعاريف كثيرة للحزب السياسي، منها أنه "جماعة منظمة ذات استغلال ذاتي، تقوم بتعيين مرشحيها، وتخوض المعارك الانتخابية على أمل الحصول على المناصب الحكومية والهيمنة على خطط الحكومة".

بينما يعرفه فريدريكز على أنه "تنظيم يعين مرشحين للانتخابات لدخول الهيئة التشريعية".

=

إن طبيعة النظام السياسي تؤثر بشكل أو بآخر على صنع القرار في السياسة الخارجية، وإذا كان النظام ديمقراطيًّا فإن هذا يعني المشاركة الواسعة في المداولات والمشاورات عند مناقشة وتقويم القرار السياسي، الأمر الذي يؤدي إلى تعدد مراكز اتخاذ القرار، أما إذا كان النظام السياسي يقوم على نظام الحزب الواحد؛ فإن ذلك يعني أن هذا الحزب يكون له اليد الطولَى في صنع القرارات.

ومن ناحية أخرى فإن الأحزاب تحاول من جانبها إنجاح انتخاب أعضائها من خلال تعظيم درجة التأييد والمساندة لدى جماهير الناخبين[١].

إن الأحزاب السياسية في الماضي لم تولِ الاهتمام الكاف بالشئون الخارجية[٢]،

=

أما جوزيف شليزنجر فيرى أن الحزب السياسي هو "تنظيم من الأفراد يسعى للحصول على تفويض مستمر انتخابي أو غير انتخابي من الشعب أو من قطاع منه، لممثلين محددين من ذلك التنظيم لممارسة القوة السياسية لمناصب حكومية معينة، مع إعلان أن تلك القوة سوف تمارس بالنيابة عن الشعب". راجع: الدكتور طارق الهاشمي، الأحزاب السياسية، شركة الطبع والنشر الأهلية، بغداد، ١٩٦٩، ص٧٧ وأوستن رني، مصدر سبق ذكره، ص ٣. و

Riggs Fred,Comparative Political An apolitical Parties, in: Cortty William J., Approaches to the study of Party Organization, Bosten, 1968. P.51 ; Sellesinger, Joseph, Party Units in International Encyclopedia of the Social Science, Macmillan, New York, 1968, P.246: Lawson, Key, The Comparative Study of Political, Morting Press, New York, 1978, PP. 3-4 ; Scott Andrew, Op.Cit., P.8.

(١) الوتيز، مصدر سبق ذكره، ص ٧٥.

(٢) لا تحتل السياسة الخارجية إلا حيزًا متواضعًا ١٠٪ في البيانات الانتخابية، وغالبًا ما تكون وراء بعض الاستثناءات في المكان الأخير، ووحدهم المرشحون الواقعون على طرفي الخيار السياسي الذين لا يمتلكون بصورة عامة أي خط لانتخابهم هم الذين يولون أهمية كبرى للسياسة الخارجية. راجع: مارسيل ميرل، السياسة الخارجية، مصدر سبق ذكره، ص ٧٨.

لأن جلّ اهتمامها قد انصب على السياسة الداخلية، أما في الوقت الحاضر فإن الأحزاب السياسية أخذت تتنافس فيما بينها في الموضوع المتعلق بعملية صنع القرار في السياسة الخارجية(١).

وهنا يجب التمييز بين الحالات التي يكون فيها الحزب السياسي قابضًا على السلطة وكون الحزب في المعارضة السياسية، بطبيعة الحال فإن الحزب القابض على السلطة لا بد أن يقوم بدور أكثر مما يقوم به الحزب الذي يكون معارضة برلمانية، ويعزى السبب في ذلك إلى وجود توافق وانسجام بين أعضائه فيما يخص شتى الأمور سواء في الشئون الداخلية أو الخارجية، وهنا نجد أن الحزب في هذه الحالة يختار بين السياسات الخارجية البديلة التي تتلاءم مع أفكاره ومبادئه، على العكس من ذلك في حالة وجود أحزاب متعددة والتي تُكَوِّن حكومة ائتلافية فإن سلطة صنع القرار تتعدد في مراكز كثيرة، فإن اتباع سياسة خارجية معينة غالبًا ما يكون وفقًا لاتفاق مسبق فيما بينها(٢).

أما فيما يخص الأحزاب المعارضة فإن دورها يتحدد أساسًا وفقًا لطبيعة النظام السياسي؛ إذ إننا نجد في الدول التي تأخذ بنظام الحزب الواحد أنه من المتعذر في هذه الحالة أن نتحدث عن وجود المعارضة السياسية.

أما الدول التي تأخذ بنظام الحزبين أو نظام تعدد الأحزاب فإن الأحزاب المعارضة تحاول استخدام المجالس التشريعية لأغراض دعائية فقط(٣).

---

(1) Frankel, Joseph, The Making of Foreign Policy, Op.Cit., P.81.

(٢) الدكتور مازن إسماعيل الرمضاني، السياسة الخارجية، محاضرات في الإطار النظري لدراسة السلوك السياسي الخارجي، كلية القانون والسياسة، ٧٧/٧٦، ص٢٤٧.

(٣) المصدر نفسه، ص ٢٤٧.

ويتبادر إلى الذهن هذا السؤال المنطقي وهو: ما مدى تأثير الأحزاب على عملية صنع القرار السياسي الخارجي؟

والحق، أن للأحزاب السياسية دورًا هامًّا في اختيار صانعي القرارات عن طريق الترشيح والانتخاب، وبطبيعة الحال فإن الحزب السياسي يتبنى هذا الموضوع قبل إجراء الانتخابات، وعليه نرى أن صانعي القرارات يتأثرون أساسًا ببرنامج الحزب السياسي الذي تم اختيارهم عن طريقه(١).

كما أن التأثير الرسمي للأحزاب المعارضة في النظم أحادية الأحزاب يكاد يكون ضئيلًا، كذلك هو الحال بالنسبة للنظم ثنائية الأحزاب، ففي المملكة المتحدة مثلًا يترتب على الترابط الوثيق بين الحكومة وأغلبيتها البرلمانية في مجلس العموم نتيجة هامة هي صعوبة سحب الثقة البرلمانية عنها، ومن ثم إسقاطها من حزب المعارضة، وهو الأمر الذي يجعل دوره مقتصرًا على استخدام مجلس العموم منبرًا دعائيًّا لأفكاره وبرامجه السياسية، ومن بينها تلك الخاصة بالسياسة الخارجية، فمن خلال نقد فحوى السياسة الخارجية لحزب الأغلبية البرلمانية وسبل تنفيذها يسعى حزب المعارضة إلى تعبئة الرأي العام لصالحه، وذلك من أجل تهيئة بعض تلك الظروف السياسية الداخلية المواتية للفوز في الانتخابات اللاحقة، وعلى سبيل المثال فإن مسائل السياسة الخارجية خصوصًا ذات المساس المباشر بالمصالح الذاتية صارت اليوم أكثر تأثيرًا من السابق في نتائج الانتخابات في النظم البرلمانية، ومع أن المعارضة في النظم الثنائية الأحزاب لا تستطيع كقاعدة التأثير في عملية صنع السياسة الخارجية، غير أن هناك

---

(1) Duverger, Maurice, Political, Parties, Metheren and Co., Ltd, London, 1964, PP.463-414.

استثناءات ترتبط بفكرة الإجماع القومي على ضرورة إنجاز المصالح والأهداف الثابتة للدولة، وتتضمن هذه الفكرة اتفاق الحزب الحاكم والمعارضة على كيفية صنع السياسة الخارجية وتنفيذها، ويتيح هذا الاتفاق للحزب المعارض أو الأحزاب المعارضة اتباع قدر من التأثير في السياسة الخارجية للحزب الحاكم، ومثالها العلاقة بين الحزب الجمهوري والحزب الديمقراطي في الولايات المتحدة الأمريكية عندما يتولى أحدهما عملية إدارة السلطة فيها، أو على العكس من نوعية دورها في السياسة الخارجية ولا سيما في النظم الأحادية والثنائية الأحزاب؛ إذ تتمتع المعارضة بتأثير أكبر لا سيما في ظل النظام المتعدد الأحزاب، ومرد ذلك يرجع إلى تفكك الطبيعة السياسية لهذه النظم ثم تحرك حكوماتها ذات الطابع الائتلافي المتعدد في ظل قيود دستورية وسياسية، وكقاعدة تحول هذه الخاصية دون أن تكون هناك سلطة تنفيذية قادرة على المبادأة في السياسة الخارجية، وتكفي الإشارة إلى حال حكومات الجمهورية الرابعة الفرنسية مع مثيلاتها في الجمهورية الخامسة[١].

وعلى الرغم من أن دور المعارضة الحزبية في صنع السياسة الخارجية يختلف باختلاف النظم الحزبية السائدة في الدول المعاصرة؛ يبقى هذا الدور كقاعدة ضئيلًا وغير فاعل بالمقارنة مع دور الحزب الذي يتولى إدارة السلطة.

ومن هنا فإن الأحزاب السياسية سواء تحملت مسئولية صنع السياسة الخارجية أم أسهمت في إعدادها أم ذهبت للمعارضة؛ فإنها ترتبط في أغلب

---

(1) Frankel, Josph, The Making of Foreign Policy, Op.Cit., P.85.

قارن مع: موريس ديفرجيه، مصدر سبق ذكره، ص ٢١٧-٢٥٢. وإميل هوبنر، مصدر سبق ذكره، ص ٧٧ – ٨٣.

الأحوال بقضايا السياسة الخارجية، وذلك لأهميتها وموقعها في سلم أولويات هذه الأحزاب، ويتضح ذلك من خلال تقابل الأحزاب الداخلي والخارجي المستند على السياسة الخارجية كركيزة أساسية في هذا التعامل، فضلًا عن كون السياسة الخارجية هي أحد الأسباب الدافعة إلى التكاتف والتنافر الداخلي للحزب حسب اتفاق الآراء أو اختلافها، وأخيرًا فإن السياسة الخارجية هي إحدى الأدوات المهمة المستخدمة من قبل الحزب في الدول البرلمانية لكسب التأييد السياسي أثناء الانتخابات العامة؛ إذ المؤتمرات والدعايات تكون للحزب[١].

وفيما يخص فاعلية النظام الحزبي في الشئون الخارجية للدول، والمقصود بالفاعلية هو تأثير النظم الحزبية في السياسة الخارجية من ناحية، ومدى تأثير السياسة الخارجية في الاتجاهات الحزبية من ناحية أخرى، ويبدو ذلك واضحًا في قيام سياسات خارجية معتمدة على وجود نظم حزبية مستقرة، إن الأحزاب السياسية في الماضي لم تول الاهتمام الكافي بالشئون الخارجية؛ لأن جل اهتمامها قد انصب على السياسة الداخلية، أما في الوقت الحاضر فإن الأحزاب السياسية أخذت تتنافس فيما بينها فيما يخص صنع القرار في السياسة الخارجية؛ إذ اهتم المختصون من الأساتذة والأكاديميين بطرح الأفكار حول تأثير النظم الحزبية في السياسة الخارجية، ومنهم روزنياو الذي يرى فيها "أنها متغيرات غير حكومية مؤثرة في السلوك السياسي الخارجي للمجتمع"[٢].

ويؤكد وزير الخارجية الأمريكي الأسبق هنري كيسنجر على "أن الأحزاب السياسية تسهم بصورة فعالة في رسم السياسة الخارجية للبلد، حيث لا يقتصر

---

(١) الدكتور مازن إسماعيل الرمضاني، مصدر سبق ذكره، ص ٢١٦.

(2) Rosenau, James, N., The Scientific Study of Forign Policy, Op.Cit., PP.42-43.

اتخاذ القرار السياسي الخارجي على الهياكل الحكومية فقط"[١].

إن تأثير النظم الحزبية في رسم السياسة الخارجية للدول كبير؛ ذلك لأنها تقوم بمجموعة وظائف لها علاقة بالسياسة الخارجية، وهي:-

١- وظيفة الإعلام: وهي وسيلة اتصال بين الحكام والمحكومين لوصول المطالب إليهم، وهي تهيئ المواطنين ضد كل قرار لا يتلاءم مع مصالحهم، وتنذر الحكام بضرورة تحقيق هذه المطالب.

٢- وظيفة التكوين: وهي وظيفة في التكوين السياسي للرؤساء والمواطنين كي يتأطر الناخبون بأيدلوجيا معينة؛ أي تقوم بدور صمام الأمان، ومهمتها القنواتية (Canalisalion)، وتوجيه الأزمات الطبقية بجعلها أقل حدة ومنعها من التفاقم، كما تقوم بمهمة تأطير النواب أيضًا، وهذا واضح في الانتخابات؛ إذ يختار كل حزب عن طريق الجمعيات الحزبية مرشحيه الخاصين.

٣- ممارسة الأحزاب السياسية لدور المعارضة السياسية بالنسبة لحزب الأقلية كما هو شائع كأسلوب رقابي على الحكومة وكشريك في الحكومة.

٤- تساعد على عملية التنسيق والربط ما بين السلطتين التنفيذية والتشريعية، وتقلل من آلية الفصل بين السلطات[٢].

إن السياسة الخارجية عندما تخطط من أجل إنجاز أهداف سياسة خارجية نابعة من المصالح الوطنية والقومية يجب ألا تتجاهل رغبات أغلب الجماهير

---

(1) Ibid., P.45.

(٢) وحيد عبد المجيد، "الانتخابات الأمريكية وأزمة الشرق الأوسط"، السياسة الدولية، العدد ٧٩، ١٩٨٥، ص٢٩.

وإبعادهم عن المساهمين في تحديد اختيار الأهداف السياسية الخارجية لدولهم، ولكي يتم هذا الإسهام بشكل فعال ينبغي تهيئة الظروف الموضوعية من قبل الأحزاب السياسية والهيئات الثقافية والمؤسسات الأخرى، ولا سيما في مجتمعات العالم الثالث؛ إذ تسود الأمية أغلب السكان؛ فالتوعية السياسية تصبح مطلوبة للجماهير وتتم التوعية بالمشكلات التي تكون آراء مختلف الطبقات أو المجموعات متجاوبة مع تغيرات المجتمع.

ولذلك يقسِّم المختصون الغربيون مواطني دولة ما إلى فئتين، فئة متنورة وهي الأقلية، والأغلبية هي باقي المجتمع غير المثقف.

١- **الفئة الأولى**: المتنورة وهي عادة ما تكون آراؤها انعكاسًا لآراء وسائل الاتصال كالأحزاب السياسية أو جماعات الضغط وغيرها، ويكون تأثيرها بطريقة مباشرة على مخططي وصانعي السياسة، كما تؤثر أيضًا على الأصدقاء والشركاء المقربين، والسبب في ذلك راجع لاطلاعها الواسع على مشكلات السياسة الخارجية ولإمكانيات حصولهم على المعلومات الكافية للعديد من دول العالم المختلفة، ولمعرفة أفضل الحلول للمشكلات المعاصرة.

٢- **الفئة الثانية**: وهي باقي أفراد المجتمع وهي الأغلبية ونسبتها ٩٠٪ من أفراد الدولة، وهي على العكس من ذلك تتميز بثقافتها المنخفضة وعدم اهتمامها بالشئون الخارجية والسياسة الدولية وأحداثها المتلاحقة، ولهذه الأسباب فإنها تبقى بعيدة عن التأثير في الأهداف السياسية الخارجية.

ومما هو جدير بالإشارة أن دعم السياسة العامة للحكومة يتوقف أساسًا على وجود كتلة برلمانية متماسكة، هذا من جانب، والتوافق والتأييد مع سياسة الحكومة من جانب آخر؛ لأن عدم وجود ذلك يؤدي إلى التضارب في الآراء فيما

بينهم، وفي هذه الحالة يكون نفوذ القيادات على الأعضاء ضعيفًا جدًّا. كل ذلك يؤدي في نهاية المطاف إلى ضعف دور المؤسسة التنفيذية على الأغلبية البرلمانية[١].

وعلى الرغم من اختلاف الأحزاب السياسية في وجهات النظر فيما يخص صنع القرارات في السياسة الخارجية، إلا أن هناك علاقات متبادلة بين الأحزاب السياسية القابضة على السلطة، والأحزاب المعارضة، وتتضمن هذه العلاقات الأمور الآتية[٢]:-

١- إن اهتمام الأحزاب السياسية بالسياسة الخارجية لا يعد نقطة أساسية في برنامجها السياسي فحسب، بل كوسيلة مهمة لكسب الأعضاء والمؤيدين لها.

٢- تعد موضوعات السياسة الخارجية من الأساليب المهمة المؤدية إلى التكاتف والتجانس الداخلي للأحزاب، ولا سيما في حالة الاتفاق عليها من ناحية، وإلى العكس أيضًا في حالة تضارب الآراء حولها.

٣- يميل رؤساء الأحزاب السياسية بصورة عامة إلى الاهتمام بموضوعات السياسة الخارجية، ويظهر ذلك بصورة واضحة عن طريق تصريحاتهم، والهدف من ذلك تحقيق غرضين أساسيين أولهما ناحية دعائية، وثانيهما تحديد مواقف معينة في السياسة الخارجية.

ومن هنا تأتي أهمية الأحزاب السياسية في صنع السياسة الخارجية للدولة بكونها إحدى قنوات الاتصال بين السلطة والجماهير، وذلك لنوعية الوظائف

(١) المصدر نفسه، ص ٨٣.

(٢) الدكتور مازن إسماعيل الرمضاني، السياسة الخارجية، محاضرات في الإطار النظري لدراسة السلوك السياسي الخارجي، مصدر سبق ذكره، ص ٢٤٨-٢٤٩.

التي تؤديها من تعبئة الجماهير وإيصال مطالبهم إلى من يصنع القرار، وكأداة للإشراف الشعبي، وبجانب الوظائف السياسية الداخلية فإن الأحزاب السياسية تنجز وظائف سياسية خارجية وهي صنع السياسة الخارجية أو الإسهام بشكل أو بآخر في صنعها أو التأثير فيها، ودور الأحزاب السياسية يختلف باختلاف النظم السياسية؛ إذ إن طبيعة النظام السياسي يؤثر بشكل أو بآخر على عملية صنع القرار في السياسة الخارجية، وإذا كان النظام ديمقراطيًّا فإن هذا يعني المشاركة الواسعة في المداولات والمشاورات عند مناقشة وتقويم القرار السياسي، والأمر الذي يؤدي إلى تعدد مراكز اتخاذ القرار. أما إذا كان النظام السياسي يقوم على نظام الحزب الواحد فإن ذلك يعني أن الحزب يكون له اليد الطولى في صنع القرارات(١).

د- جماعات الضغط Pressure Groups:

يشتمل كل مجتمع، ولا سيما في الدول الديمقراطية، على منظمة تتأثر بعلاقات الدولة الخارجية، ثم إنه من الطبيعي أن يكون لمثل هذه الجماعات التي تعرف بجماعات المصالح أو جماعات الضغط أهداف ذات صبغة دولية(٢).

---

(١) أحمد نوري النعيمي، "الأبعاد المؤثرة في السياسة الخارجية"، مصدر سبق ذكره، ص٨١. و:
Sabato, Op.Cit., P190.

(٢) لا بد من الإشارة إلى تحديد المفاهيم الآتية:-

I) تعرف جماعات الضغط بأنها: "أية منظمة تسعى إلى التأثير على سياسة الحكومة، بينما ترفض تحمل مسئولية الحكم".

ويعرف الدكتور محمد فتح الله الخطيب جماعات الضغط بأنها: "تجمع أفراد ذوي مصلحة خاصة أو اقتصادية أم غير اقتصادية نابعة عن اتفاق بسبب الدين أو الجنس أو غير ذلك من العوامل، يهدفون إلى التأثير في اتجاهات ونشاط السلطة الحاكمة". راجع: الدكتور محمد فتح الله الخطيب،
=

=

دراسات في الحكومات المقارنة، دار النهضة العربية، القاهرة، ١٩٦٦، ص١٦٣، وكذلك:

Frankel, Op.Cit., P.81 ; Ed., Luttbey, Norman R., Public Opinion and Foreign Policy Models of Political Linkage, U.S.A., 1972, PP.120-121.

وجماعة الضغط في مفهومها العام تعيد إلى الأذهان الصراعات الناشئة لجعل قرارات السلطات العامة مطابقة لمصالح أو لأفكار فئة اجتماعية معينة. راجع: مينو، جان، الجماعات الضاغطة، ترجمة بهيج شعبان، منشورات عويدات، بيروت /باريس ١٩٨٠، ص٥.

II) جماعات المصلحة: يعرف فاينر جماعات المصلحة قائلًا: "كل الجماعات أو الاتحادات التي تسعى إلى التأثير على السياسة العامة بطريقتها الخاصة في الوقت الذي تحجم فيه عن تحمل مسئولية مباشرة في حكم الدولة". راجع:

Norman, Op.Cit., PP.122-126., Sabato, Op. Cit., p 191, 364- 468.

إن دور وعدد ووضوح جماعات الضغط والمصالح في بريطانيا والولايات المتحدة واضح في هذا المجال، وذلك بالمقارنة بدولة الاتحاد السوفيتي وقتئذٍ. راجع: جيمس أندرسون، مصدر سبق ذكره، ص ٦٣.

III) اللوبي: يقول إدجار لافي: "إن اللوبي معناه أفراد يعملون في سبيل التأثير على قرارات الحكومة". أما جيمس برايس فيقول: "إن اللوبي هو إغراء البرلمان للتصويت مع أو ضد مشروع قانون ما". راجع: المنوفي، كمال (دكتور)، مصدر سبق ذكره، ص ١٦٨-١٦٩، ولمزيد من التفاصيل راجع: أنمار لطيف نصيف، جماعات الضغط اليهودية في أربع إدارات أمريكية.. تأثير اللوبي الصهيوني في السياسة الخارجية الأمريكية، شركة المنصور للطباعة المحدودة، بغداد، ١٩٨٩، ص١٦-٢٤.

ويعرف الوتيز اللوبي: "بأنه ممثل لإحدى جماعات المصالح، يتقاضى أجرًا". واصطلاح اللوبي جاء من الممارسة التاريخية للمواطنين الذين يتصلون بالممثلين التشريعيين وينتظرونهم في الردهات خارج قاعة التشريع، وكثير منهم كانوا هم أنفسهم أعضاء سابقين في المجالس التشريعية. أما جون جي. ميرشايمر فإنه يعرف اللوبي بأنه: "استخدم عبارة اللوبي اختزالًا مناسبًا للتحالف الفضفاض الذي يضم أفرادًا ومنظمات يعملون بفعالية ونشاط من أجل صياغة سياسة خارجية، إن استخدام عبارة اللوبي لا يشي بأن اللوبي حركة موحدة ذات قيادة مركزية، أو بأن

=

وتلجأ جماعات الضغط إلى وسائل عديدة بغية الوصول إلى أهدافها الحقيقية في نطاق السياسة الخارجية. وبإمكاننا إيجاز ذلك في النقاط الآتية[1]:-

=

الأفراد المنضوين تحت لوائها ليسوا مختلفين حول قضايا معينة". راجع: جون جي. ميرشايمر، ستفن إم. والت، أمريكا المختطفة اللوبي الإسرائيلي وسياسة الولايات المتحدة الخارجية، ترجمة فاضل جتكر، العبيكان، الرياض، ٢٠٠٦، ص ٥٦.

وتشير اللوبي في الولايات المتحدة إلى المنظمات الرسمية التي تحترف التأثير على أعضاء الكونغرس الأمريكي؛ إذ تضم في الغالب رجال كونغرس سابقين ونساء حاذقات في هذا الشأن. إنها لا تمثل جماعات قضايا تخص التشريع الذي يخصها. راجع: الدكتور محمد طه بدوي، النظرية السياسية: النظرية العامة للمعرفة السياسية، مصدر سبق ذكره، ص ٢٣٩-٢٤٠. وللمزيد من التفاصيل حول هذه المفاهيم راجع:

Dutsch, Op.Cit., PP.55-68.

والوتيز، مصدر سبق ذكره، ص ٩١-٩٢.

(١) الدكتور إسماعيل صبري مقلد، العلاقات السياسية الدولية – دراسة في الأصول والنظريات، مصدر سبق ذكره، ص ١٥٠ و:

Rosenau, James N., Domestic Sources of Foreign Policy, The Free Press New York. P.349.

Rosenau, James A., Public Opinion in Lasswells Future of Political Science, Public opinion Quarterly, Vol. XXV111, Fall, 1964, P.399.

غالي وعيسى، مصدر سبق ذكره، ص ٨٧.

وهنا لا بد من الإشارة إلى أن جونسون الذي كانت له علاقات وثيقة مع البيوتات اليهودية الراديكالية، ومن خلالها استطاع الوصول إلى زعامة الأغلبية في مجلس الشيوخ، واتخذ موقفًا مضادًّا ضد إيزنهاور في العدوان الثلاثي على مصر ١٩٥٦، وفي مدة حرجة لإيزنهاور خلال ترشيحه لمدة رئاسية ثانية، إلا أن إيزنهاور استطاع إيقاع الهزيمة بجونسون بسبب شعبيته داخل الولايات المتحدة؛ لكونه كان القائد العام لجيوش الدول الغربية، وانتصاره على ألمانيا

=

=

وإيطاليا وحلفائها في الحرب العالمية الثانية، وفي خضم هذه التطورات قام إيزنهاور بإجبار كل من الكيان الصهيوني وبريطانيا وفرنسا على الانسحاب من قناة السويس وسيناء في أزمة السويس عام ١٩٥٦، مقابل قيام مصر بفتح مضيق تيران أمام الملاحة الصهيونية.

والحق، وقف إيزنهاور في مناسبات ثلاث ضد الكيان الصهيوني، هذه المناسبات تتركز في الآتي:

١- قيام إيزنهاور في أيلول ١٩٥٣ بإلغاء جميع المساعدات التي بلغت ٢٦ مليون دولار بمناسبة قيام الكيان الصهيوني بتحويل مياه نهر الأردن.

٢- موقف إيزنهاور من الكيان الصهيوني في تشرين الأول ١٩٥٦ الذي اتخذ موقفًا مناهضًا له بمناسبة اعتدائه على مصر في العدوان الثلاثي.

٣- قيام إيزنهاور في ٢٩ تشرين الأول ١٩٥٦ بوقف جميع المساعدات للكيان الصهيوني باستثناء مساعدات الأغذية.

وعلى الرغم من ذلك فقد صوت يهود الولايات المتحدة إلى جانب إيزنهاور عام ١٩٥٦ بواقع ٤٠٪، وكانت هذه النسبة أكثر من الذين أيدوه عام ١٩٥٢ حين صوت اليهود بواقع ٣٦٪. راجع: بول فندلي، مصدر سبق ذكره، ص ١٨٢، ١٩٨ – ٢٠٠.

إن نجاح إيزنهاور على الكيان الصهيوني في المناسبات الثلاث بالإمكان تفسيره في الآتي:-

١- قدرته على إعادة المفهوم الأخلاقي للسياسة الخارجية الأمريكية.

٢- إمكانياته في إقناع الرأي العام الأمريكي بأن الانحياز القائم للسياسة الصهيونية في الشرق الأوسط من الممكن أن يضر بالمصالح الأمريكية في هذه المنطقة من العالم.

كان للوبي اليهودي دور كبير في المدة الواقعة بين ١٩٧٦-١٩٧٧ في اختيار كارتر لوزير خارجيته سايروس فانس، وكان من المقرر وقتئذٍ تعيين جورج و. بول، الذي تميز بمؤهلات كبيرة، فضلًا عن خبرته وقوته الشخصية وهيبته الدولية. راجع: المصدر نفسه، ص ٢٠٦.

ويمكن القول بأن هذا النفوذ الصهيوني في الولايات المتحدة بدأ في النمو السريع منذ عهد نيكسون قبل نشوب حرب تشرين ١٩٧٣، الذي قام بتعيين هنري كيسنجر اليهودي الألماني في منصب مستشار الرئيس للأمن القومي الأمريكي بالبيت الأبيض، "وقد حصل على الجنسية الأمريكية قبل عام أو يزيد قليلًا في منصب مستشار الرئيس للأمن القومي"، والذي كان له الدور البارز في إبعاد مصر وقتئذٍ عن السياسات العربية، ودوره جلي وواضح في نهاية حقبة

=

=

السبعينيات من القرن الماضي لإبرام السادات اتفاقية مع الكيان الصهيوني، ثم إبرام اتفاقية كامب ديفيد الأولى.

وهنا يمكن المقارنة بين كارتر وكلينتون في المفاوضات بين مصر والكيان الصهيوني؛ ففي عهد الرئيس كارتر لم يكن ضمن الوفد الأمريكي في المفاوضات أي يهودي سوى سفير الولايات المتحدة في الكيان الصهيوني صموئيل، وأما في مفاوضات كامب ديفيد الثانية برعاية الرئيس كلينتون كان الوفد الأمريكي كله من اليهود الصهاينة.

وجدير بالإشارة في هذا المجال أن إدارة الرئيس كلينتون في المدة الواقعة بين ١٩٩٢-٢٠٠٠ شهدت حضورًا كبيرًا لليهود في مرافق الدولة كافة، ومارتن أنديك سفير الولايات المتحدة في الكيان الصهيوني واضح في هذا المجال، وكان عضوًا في منظمة إيباك الصهيونية، ومنحه كلينتون الجنسية الأمريكية بعد انتخابه، ثم تم تعيينه مستشارًا في مجلس الأمن القومي.

يذهب حاييم بارام الكاتب الصهيوني إلى أنه بعد انتهاء دولة الاتحاد السوفيتي وسقوط الشيوعية لا بد من قيام الكيان الصهيوني بدفع الولايات المتحدة وأوروبا في المعركة القادمة ضد ما أسماه بالأصولية الإسلامية، التي عدت من وجهة نظره بأنها "عدو أكبر من الحياة". راجع: د. فواز جرجس، مصدر سبق ذكره، ص ١١٢.

كانت هناك علاقات وثيقة بين اللوبي اليهودي والرئيس الأمريكي السابق ترومان، وقد فسر هذه العلاقة كبير حاخامات اليهود عندما قام بزيارة البيت الأبيض عام ١٩٤٨، عندما قال لترومان: "إن الله وضعك في رحم أمك لتولد على يدك إسرائيل من جديد بعد ألفي عام".

وكان من نتيجة هذا الموقف من ترومان إزاء اليهود أن فاز في الانتخابات بـ٧٥٪ من أصوات اليهود، وكان من نتيجة ذلك فوزه بفارق بسيط جدًّا.

وهنا لا بد من الإشارة إلى "الإيباك" وهو لوبي في داخل الولايات المتحدة، يهتم فقط بموضوع الكيان الصهيوني، وهو أداة لحزب الليكود الصهيوني الذي يتميز موقفه بالتسوية بتصلب كبير، وعدم تقديمه أية تنازلات للفلسطينيين، وفي هذا المجال اشتكى حزب العمل ورابين وبيرس من أعضاء قيادته العليا قبل فوز نتنياهو في عام ١٩٩٦ من أن مبادرات التسوية يتم تخريبها من قبل إيباك، وعلى سبيل المثال فقد اتصل السفير الصهيوني في واشنطن بمدير الإيباك هوارد كرو دون أن يحتك مع أعضاء الكونغرس الأمريكي، لأجل تعبئة بعض أعضاء الكونغرس لمعارضة إدارة كلينتون في عملية التسوية.

=

=

تجدر الإشارة في هذا المجال إلى أن ميزانية إيباك السنوية تزيد على خمسة عشر مليون دولار، أما عدد أعضائه فيبلغ ٥٥ ألف عضو، وكان له الدور الكبير في الكونغرس لتشريع قانون ينص على نقل السفارة الأمريكية بالقدس.
وقد علق أحد موظفي البيت الأبيض على إيباك قائلًا: "يريدون تعاونًا بنسبة ١٠٠ بالمائة، وإلا فكما يدعون ستكون هناك مجزرة أخرى، ولكن لا يمكن أن يحصلوا على ١٠٠ بالمائة؛ فإن الإدارة سترفض حتمًا بعض الأشياء؛ فالنظام لا يعمل إذا أرادت مجموعة من المجموعات الحصول على ١٠٠ بالمائة، فلا يمكن لطرف أن يكون الفائز دائمًا.
ينتقد بعض الكتاب هذا الدور المبالغ لإيباك: "من الشائع الاعتقاد (خطأ) بأن اللوبي المؤيد لإسرائيل لديه قوة دفع هائلة، إن لم يكن تأثيرًا حاسمًا على السياسة الأمريكية في الشرق الأوسط". راجع: راجع: د. فواز جرجس، مصدر سبق ذكر، ص ١٠٩-١١١. والدكتور شادي فقيه، مصدر سبق ذكره، ص ٢٢ – ٢٣.
فضلًا عن ذلك نرى أن هناك في البيت الأبيض حضورًا لليهود، وفي مقدمتهم جون بوديستا كبير موظفي البيت الأبيض، ثم قيام كلينتون باختيار مستشاره اليهودي "ولاني برو" الذي بدأ مع "مارك بين" يعدان من مسئولي استطلاعات الرأي العام الأمريكي.
خصصت مجلة النيغمان دي جودي الفرنسية ملفًا خاصًا صدر في نهاية شباط ٢٠٠٠، ذكرت فيه أن عدد اليهود في فرنسا بعد تخلصها من الحكم النازي عام ١٩٤٤ كان ١٨٠ ألفًا، أما الآن فقد وصل هذا العدد إلى ٧٠٠ ألف يهودي، ليس بسبب زيادة المواليد، بل بسبب تدفق الهجرة اليهودية من الأقطار العربية ولا سيما من الجزائر وشمال إفريقيا ويهود شرق أوروبا إلى فرنسا، وقد كون هؤلاء كما أشارت إليه هذه المجلة دولة داخل دولة، لهم مدارسهم ومستشفياتهم ومعسكرات الكشافة وإذاعاتهم وصحفهم، وهي دولة لا يخترقها فقط أصحاب الديانات الأخرى، بل كل يهودي رافض لتطرفهم.
وعليه، بالإمكان أن نقول، كما أشار إلى ذلك هذا الملف: "إن نيويورك ولندن وباريس أصبحت تضم أحياء "جيتو" كاملة لليهود والمتطرفين منفصلين عن العصر والعالم". راجع: سيد عبد العاطي، "كيف سيطر اللوبي الصهيوني على أمريكا سياسيًّا واقتصاديًّا وإعلاميًّا؟"، العرب، ٢٠٠١/٦/٢٦.

=

=

يقول ألكسندر روستوف رئيس لجنة "السياسة الخارجية. في. آر" "جهاز الاستخبارات الخارجية الجديد أو المعروف بالأحرف الأولى من اسمه باللغة الإنجليزية "أف. آي. أس" الروسي، وهو يوجه كلامه إلى الرئيس الروسي فلاديمير ستيانوفتيش بوبوف: "هناك قوة ضخمة للوبي اليهودي في الولايات المتحدة، ويقدم هذا اللوبي نشاطًا غير عادي لدعم الأهداف الإسرائيلية فيها، حيث يقدم هذا اللوبي لإسرائيل معلومات استخبارية مهمة؛ إذ من شأنها تحديد القرارات والخطط الأمريكية على المستوى السياسي، فضلًا عن إعطائه لإسرائيل مستوى جيدًا من النفوذ والتأثير على مستوى عملية صنع القرار في الولايات المتحدة وفي إطار المؤسسة التنفيذية أو المؤسسة التشريعية".

وعليه نرى أن البعثة الدبلوماسية الروسية في واشنطن أكدت أنه بدلًا من عدّ الإسرائيليين بمثابة معضلة استخبارية لها، يجب النظر إليهم واستخدامهم للتسلل في الدوائر الإسرائيلية والصهيونية في الولايات المتحدة من أجل تقديم هؤلاء لقادة روسيا الاتحادية المعلومات الاستخبارية نفسها عن الولايات المتحدة لاختراق النظام السياسي الأمريكي. راجع: إريك جوردان، العملية هيبرون "آخر رواية تكشف سيطرة الموساد على البيت الأبيض"، ترجمة شاكر عبد الفتاح، مؤسسة دار الهلال، ٢٠٠١، ص٦٣.

وهنا لا بد أن نشير إلى حقيقتين: الأولى: على الرغم من الوجود اليهودي الكبير في الولايات المتحدة الذي يقدر عدده بما يقارب سبعة ملايين، وبموجب إحصاءات أواخر التسعينيات من القرن الماضي، مع فرضية أن التأثير الصهيوني على السياسة الخارجية والدفاعية الأمريكية يتلاءم مع التوزيع السكاني. الحقيقة الثانية تكمن في أنه ليس بإمكاننا أن نقر بمساندة اليهود الأمريكيين لليهود في الشرق الأوسط وبصورة تلقائية، علمًا بأن اليهود يشكلون ٢.٥٪ من إجمالي سكان الولايات المتحدة، وهنا تشير الإحصائيات إلى أنه في حقبة الانتخابات الأمريكية الثلاثة الأخيرة قام اليهود بالتصويت لصالح الحزب الديمقراطي، ومع ذلك فإن الأخير تلقى هزيمة كبرى في تاريخه السياسي، حيث فقد الأغلبية في المؤسسة التشريعية عام ١٩٩٤، وتعد هذه الخسارة الأولى من نوعها منذ أربعين عامًا. (في استطلاع أجرته صحيفة نيويورك تايمز في ربيع من العام ١٩٩٨ اتضح أن ٥٨٪ من الرأي العام الأمريكي يؤيدون الكيان الصهيوني، وأن نسبة كبيرة منهم تصف هذا الكيان بأنه "مكان وبلد خاص". ومن الممكن تفسير هذا الاتجاه

=

=

في الولايات المتحدة بأنه متأثر بعوامل الدين والتاريخ والسياسة، وأكثر من هذا فقد أظهر هذا الاستطلاع تأييد الرأي العام اليهودي في الولايات المتحدة إقامة دولة فلسطينية أكثر بكثير من تأييد الرأي العام الأمريكي من غير اليهود، ويمكن تفسير ذلك في سمو ثقافة الرأي العام اليهودي على الثقافة الأمريكية فيما يخص طبيعة الصراع العربي – الصهيوني. راجع: فواز جرجس، مصدر سبق ذكره، ص ١٠٢. (بعد إنشاء الكيان الصهيوني في أيار ١٩٤٨ بسنوات ثلاث هاجر ٣٥.٠٠٠ يهودي أمريكي إلى فلسطين، وقد بقي من هؤلاء فيها ٥.٤٠٠، واتضح فيما بعد أن غالبية اليهود في الولايات المتحدة فضلوا البقاء في الأخيرة. راجع: المصدر نفسه، ص ٩٦.

ولو حاولنا أن نرجع إلى دراسة جامعة برانديس في عام ١٩٨٤ والتي أكدت بأن أصوات الجماعات العرقية لا تشكل عاملًا في النتائج الإجمالية للانتخابات، وأشارت الدراسة المذكورة إلى عدم أهمية أصوات اليهود الأمريكيين والأفارقة، ربما أنها كانت مهمة بصورة قليلة في انتخابات الكونغرس عام ١٩٩٨، وقد حاول اليهود وأد نتائج هذه الدراسة، ولكن نتائج الانتخابات قضت على أسطورة الصوت اليهودي، وهو ما يفسر لماذا تجرأ الرئيس دوجلاس على رفض مطلب اليهود بالحصول على ضمانات قروض ومزيد من الأموال لتطوير التكنولوجيا. وهنا لا بد أن نشير إلى قانون الانتخابات الصادر في عام ١٩٧١ وتعديلاته الذي وقف حائلًا بين التأثير اليهودي على نتائج الانتخابات. راجع: المصدر نفسه، ص ١٢١-١٢٢.

ولكن من جانب آخر نرى أن اليهود في داخل الولايات المتحدة قاموا بجمع ١٢٠ مليون دولار كتبرعات لمساعدة قتلى التفجيرات في داخل الأرض المحتلة، وهناك أمل أن اليهود في الولايات المتحدة سوف يقومون بجمع ٣٠٠ مليون دولار لمساعدة الكيان الصهيوني. وفي هذا المجال يقول جيمس تيستش رئيس الجمعيات اليهودية المتحدة -وهي ائتلاف ينضوي تحت لوائه ١٨٩ جمعية يهودية في أنحاء متفرقة من أمريكا الشمالية-: "اليهود لا يتفقون دائمًا في كل شيء، لكن حينما يكون اليهود في خطر فإن الشعب اليهودي يتكاتف". راجع: العرب، العدد ٦٤٠، ٢٠٠٢/٥/٢٢. والدكتور مازن إسماعيل الرمضاني، مصدر سبق ذكره، ص ٢٤٠.

لجماعات الضغط الصهيونية في الولايات المتحدة دور مهم في الحياة السياسية؛ إذ إن أهمية هذه الجماعات لا ترجع أساسًا إلى وجود عدد كبير من اليهود فقط، وإنما ترجع إلى العلاقات العضوية لارتباط مصالح الولايات المتحدة بالصهيونية.

=

=

تمارس جماعات الضغط الصهيونية في الولايات المتحدة شتى الطرق والوسائل للتأثير على صانعي القرارات عن طريق سيطرتها على وسائل الإعلام والمؤسسات الاقتصادية الهامة، وعلى سبيل المثال نجد أن جماعات الضغط الصهيونية لها النفوذ القوي على صحيفة نيويورك تايمز، فعن طريقها استطاعت تعبئة الرأي العام، وبالتالي التأثير على صانعي القرارات لصالح هذه القوى، فضلًا عن ذلك فإنها بسيطرتها على المؤسسات الاقتصادية بإمكانها أن تتحكم في الحملات الانتخابية في الكونغرس والرئاسة، وفي الانتخابات على مستوى الولايات يلتزم المنتخبون بالخضوع لتأثير هذه القوى، أو يواجهون احتمال فقدان المناصب السياسية التي يتولونها في انتخابات لاحقة.

ولهذا السبب نرى أن تصريحات رؤساء الولايات المتحدة أكدت على حماية وجود الكيان الصهيوني، وتبعًا لذلك فإن السياسة الخارجية الأمريكية اتسمت بالثبات منذ عام ١٩٤٨، ولم تطرأ عليها تغييرات عن طريق جماعات الضغط الصهيوني.

ويكفي أن ندلل على رأينا هذا بأن نرجع إلى تصريحات رؤساء الجمهوريات في الولايات المتحدة؛ إذ أكد هؤلاء في حملاتهم الانتخابية أهمية الكيان الصهيوني في المنطقة العربية بغية الحصول على أصوات اليهود، وهنا يجب أن نؤكد أن نيكسون وكيندي في حملاتهما الانتخابية في الستينيات من القرن العشرين قد أكدا استمرار تأييد الكيان الصهيوني مع إظهار أن مثل هذا الارتباط لا يعبر عن سياسة حزبية فقط وإنما عن سياسة قومية، وقد صرح بهذا الشأن نيكسون قائلًا: "إن الولايات المتحدة تتعهد بالمحافظة على استقلال إسرائيل". وكذلك أكد كيندي أن الصداقة مع الكيان الصهيوني ليست مسألة حزبية، إنما هي التزام قومي. راجع في هذا الصدد: ودودة عبد الرحمن بدران، مصدر سبق ذكره، ص ٨٣-٨٤. وكذلك:

Halford L., Hokins, The United States Posture in the Middle East, Current History, Vol. 42, April, 1962, PP.196-197.

والوتيز، مصدر سبق ذكره، ص ٩٢-٩٣. تجدر الإشارة في هذا المجال إلى أن الإدارات الأمريكية المتعاقبة خضعت لضغوط اللوبي الصهيوني وجماعات ضغط القطن والنفط في إدارتها لسياستها الشرق أوسطية، وجماعات الضغط الثلاث هذه كان لها التأثير في قرار واشنطن بالامتناع عن تمويل مشروع عبد الناصر لبناء سد أسوان عام ١٩٥٦. راجع: جيفري ستيرن، مصدر سبق ذكره، ص ١٨٠.

١- تولي جماعات الضغط الاهتمام الكافي في البداية بقضايا السياسة الداخلية أكثر من السياسة الخارجية، وعليه تقوم بمكافأة ومعاقبة القطاعات المختلفة في المجتمع للوصول إلى المركز الحقيقي لصانع القرار في السياسة الخارجية.

٢- تلجأ جماعات الضغط إلى القرارات المصنوعة بوساطة العمليات الاجتماعية؛ لأنها أكثر مرونة في تقبل الجماعات من القرارات المصنوعة بوساطة العمليات العقلانية. إن قرارات العمليات الاجتماعية لها جوانب كثيرة، وهي أكثر عرضة للتأثيرات الشخصية.

٣- بافتراض أن محور القرار يمكن أن يدخل فيه تأثير جماعات الضغط؛ فإن تلك المسائل التي تجلب انتباه قطاعات خاصة من الشعب هي أكثر انفتاحًا لتأثير جماعات الضغط من المسائل التي تجلب تمحيصًا واسعًا أو عامًّا، إن قرار شحن المعونات الخارجية بشاحنات أمريكية هو مثال على الحالة الأولى، أما قرار إرسال قوات أمريكية إلى فيتنام مثال على الحالة الأخيرة.

٤- يقترح James A. Robinson علاقة منحنية بين انغمار جماعات الضغط في صنع القرار، وبين مستوى الأزمة في القرار فقط في مستوى أزمة منخفض جدًّا، فإن جماعات خاصة قليلة من المحتمل أن تكون مهتمة بالقرار.

وبتزايد أهمية أو مستوى القرار فإن مصالح جماعات أكبر من المحتمل أن تكون تحت الرهان، (فضلًا عن تحفز مصلحة أكثر عمقًا)، وهكذا فإن جماعات أكثر سوف تكون ميالة إلى أن تحاول أن تمارس تأثيرًا بتزايد مستوى الأزمة إلى درجة أبعد، ولا سيما حين يقصر زمن القرار سيكون هناك فرصة قليلة نسبيًّا لمصالح الجماعة تؤخذ بالحسبان، مثال: الأزمة الكوبية في تشرين أول ١٩٦٢[1]، في

(1) Rosenau, James W., Demestic Sources of Foreign Policy, Op.Cit., P.349.

المثال الأخير كان للرئيس قوة هائلة ليشكل الرأي العام ويواجه تحديًا أقل تأثيرًا من جماعات الضغط، إن هذا لا يعني أن جماعات الضغط لا شأن لها بقرارات الأزمة ما دام رد فعلها المتوقع ربما يؤدي بعض الدور، ومراكزها اللاحقة ربما تساعد في تهيئة المسرح لأجل القرارات القادمة، لكن ذلك لا يعني أن جماعات الضغط من غير المحتمل أن تستشار في الوقت القصير للقرار.

٥- تحاول جماعات الضغط تعزيز علاقتها مع أعضاء السلطة التنفيذية والتشريعية[١]؛ إذ يمكن التأثير على صانعي القرارات عن طريق السلطة التنفيذية بوساطة تأييدها لقانون معين أو معارضتها لذلك في المراحل كافة التي يمر بها القانون؛ إذ إن جماعات الضغط تحاول تغذية السلطة التشريعية بفيض من المعلومات، بحيث يمكن أن تؤثر على توجيه مثل هذا التشريع لمصلحتها. زد على ذلك أنه من الممكن للمؤسسة التشريعية أن تسمح لبعض جماعات الضغط بالتعبير عن آرائها أمام لجان البرلمان؛ مما يؤثر على صانعي القرار في هذا الصدد[٢].

---

(١) للمزيد من التفاصيل حول تأثير جماعات الضغط على السلطتين التشريعية والتنفيذية في الولايات المتحدة راجع: جون جي. ميرشايمر، ستفن إم. والت، مصدر سبق ذكره، ص ٦٣ -٧٢.

(2) Rosenau, James A., Public Opinion in lassweils Fature of Political Science Op. Cit., P.399.

وآسيا الميهي، "الرأي العام في السياسة الخارجية الأمريكية"، مصدر سبق ذكره، ص ٩٢، وأنمار لطيف نصيف، مصدر سبق ذكره، ص ٢٢٨، ولويد جنسن، مصدر سبق ذكره، ص ١٥٦، غالي وعيسى، مصدر سبق ذكره، ص ٨٧.

تحاول جماعات الضغط أن تمثل نفسها في لجان الكونغرس لتكون جزءًا منها، وهناك علاقة مباشرة وطردية بين جماعات الضغط وهذه اللجان، مع الأخذ بنظر الاعتبار مصادرها المالية، ومن الطبيعي أن هذا الدور يزداد ويتعاظم كلما ازدادت هذه المصادر، فضلًا عن دور وكفاءة =

٦- تحاول جماعات الضغط تعبئة الرأي العام بغية تحقيق أهدافها، ولا شك أن بإمكان هذه الجماعات الوصول إلى أهدافها، فلديها موارد كبيرة تمكنها من التوجيه ناحية تحقيق مصالحها، وحمل الحكومة والمجالس على تبني قضاياها، وتلجأ جماعات الضغط إلى استخدام مختلف الوسائل التي تؤثر في الرأي العام، مثل إصدار النشرات وتوزيعها، وعقد الندوات، وإلقاء المحاضرات، واستخدام الإذاعة والتلفزيون، إلى غير ذلك من وسائل الاتصال بالرأي العام[1].

= الإمكانات التنظيمية لديها في تعيين موظفين في لجان الكونغرس من أجل ضمان إصدار قرار لصالحها، كما أن هذه الجماعات تسعى لتعيين رجالاتها في مختلف وظائف الحكومة.

والحق أن عملية صنع القرار في البيت الأبيض تتركز في فئة من المسئولين من غير المنتخبين، إن قرار غزو كمبوديا في شهر نيسان ١٩٧٠ مثال على دور جماعات الضغط، وقد تم اتخاذ مثل هذا القرار من دون موافقة الكونغرس ووزيري الخارجية والبنتاغون ومن دون موافقة موظفي مجلس الأمن القومي الذين استقالوا احتجاجًا على هذا القرار وهم: وانس وليك وموريس ولين وهالبرين ودايفيدسون، وبناء على طلب البيت الأبيض وضعت هواتف هؤلاء تحت المراقبة من قبل مكتب التحقيقات الفيدرالي. راجع: عبد الحي يحيى زلوم، مصدر سبق ذكره، ص٣٢٧-٣٣١.

يقول كلينتون في كتابه "رؤية لتغيير أمريكا": "لم تكن السنوات الاثنتا عشرة الماضية سوى موسم صيد لجماعات الضغط ولتجار النفوذ الجائلين في واشنطن.. ينتقل تيار لا ينقطع عن النفوذ من يد إلى أخرى مقيدًا أيدي أولئك الذين انتخبوا لتولي القيادة.. أصبحت السياسات الأمريكية رهينة لدى المصالح المالية الكثيرة، يجمع أعضاء الكونغرس الآن أكثر من ٢.٥ مليون دولار كل أسبوع لتمويل الحملات الانتخابية، في حين أن لجان العمل السياسي وصناعة الاستمالة وزمرات الواهبين لمبلغ ١٠٠٠٠٠ دولار يشترون سبل الوصول إلى الكونغرس والبيت الأبيض.. إن شعبنا ينشد التغيير، إلا أن الحكومة حجر عثرة في الطريق.. لقد ارتهنها أصحاب الامتيازات والمصالح الخاصة، إنها تحصل على الكثير من أموالكم وتعطيكم في المقابل القليل". راجع: تشومسكي، ماذا يريد العم سام؟ مصدر سبق ذكره، ص ٧٠.

(١) غالي وعيسى، مصدر سبق ذكره، ص ٨٧.

والحق أن هذه العملية ليس من السهل تحقيقها ولا سيما في مواضيع السياسة الخارجية؛ لأن الرأي العام غير المنظم لا يولي اهتمامًا كافيًا بالشئون الخارجية من ناحية، ولعدم إمكانية إقناع القلة المهتمة بالسياسة الخارجية من ناحية ثانية، ولعدم مساس مصالح الأفراد الذاتية بصورة مباشرة بالسياسة الخارجية من ناحية ثالثة[١].

وفي هذا الشأن من الممكن أن نستشهد على مدى تأثير اللوبي اليهودي في الولايات المتحدة بعودة العلاقات الأمريكية الإيرانية.

اعتمدت الولايات المتحدة بضغط من الكونغرس إلى حد كبير، وبتحريض من اللوبي الصهيوني، سلسلة من القوانين التشريعية الموجهة إلى إيران والتي تمنع فعليًّا أي حوار أمريكي – إيراني جاد[٢]، فبينما كانت إدارة كلينتون تتسلم مقاليد السلطة شرع رئيس وزراء الكيان الصهيوني إسحاق رابين ووزير خارجيته شيمون بيريز في الادعاء بأن إيران تشكل تهديدًا متناميًا لكل من إسرائيل والولايات المتحدة، وصور القادة الصهاينة إيران بكونها خصمًا خطيرًا، وكان الدافع في جزء من ذلك أنهم وجدوا في الأمر وسيلة لتنمية علاقات أوثق بين تل أبيب وواشنطن الآن بعدما زال التهديد السوفيتي[٣].

---

(١) الدكتور مازن إسماعيل الرمضاني، السياسة الخارجية، محاضرات في الإطار النظري لدراسة السلوك السياسي الخارجي، مصدر سبق ذكره، ص ٢٤٠.

(٢) زبيغنيو بريجنسكي، الفرصة الثانية.. ثلاثة رؤساء وأزمة القوة العظمى الأمريكية، ترجمة عمر الأيوبي، دار الكتاب العربي، بيروت، ٢٠٠٧، ص ١١٠.

(٣) ستيفن والت، جون مير شايمر، مصدر سبق ذكره، ص ٤١٥ – ٤١٦.

أفادت "الواشنطن بوست" في أواسط آذار ١٩٩٣ أنه يوجد اقتناع عبر الطيف السياسي الصهيوني بوجود حاجة إلى المزيد من إقناع الرأي العام والزعماء السياسيين في الولايات المتحدة بالحاجة الطارئة إلى لجم إيران، وبأن الولايات المتحدة هي القوة العالمية الوحيدة القادرة على القيام بذلك[١].

ردت إدارة كلينتون على التماسات الكيان الصهيوني بتبني سياسة الاحتواء المزدوِج، ولم يعلن مارتن إنديك أولًا عن هذه السياسة من معهد واشنطن لسياسة الشرق الأدنى فحسب، بل إن روبرت بيلليترو مساعد وزير الخارجية لشئون الشرق الأدنى في ذلك الوقت أبلغ أيضًا تريتا بارسي بأن السياسة هي في الأساس نسخة من اقتراح إسرائيلي. ويلاحظ أيضًا كينيث بولاك، من مركز سابان في بروكينغز، أن "تل أبيب هي واحدة من الأماكن القليلة على الأرض التي لم يتم فيها بانتظام إساءة فهم الاحتواء المزدوِج"[٢].

يفيد تريتا بارسي بأنه في أواسط ١٩٩٤ "وضعت الإيباك ووزعت في واشنطن بتكليف من الحكومة الإسرائيلية دراسة من ٧٤ صفحة تحاجج بأن إيران لا تشكل خطرًا على إسرائيل فحسب، بل أيضًا على الولايات المتحدة والغرب"[٣]. وبحسب بولاك فإن "اليمين، والإيباك، والإسرائيليين، صرخوا كلهم مطالبين بعقوبات جديدة على إيران"[٤].

(١) المصدر نفسه، ص٤١٦.

(٢) ستيفن والت، جون ميرشايمر، ص ٤١٦.

(٣) المصدر نفسه، ص ٤١٦.

(٤) المصدر نفسه، ص ٤١٧.

وكانت إدارة كلينتون مستعدة لماشاتهم؛ لأنها تركز بشكل كبير على عملية سلام أوسلو، وأرادت أن تشعر إسرائيل بالأمان، وبأن إيران المعترضة والمعكرة المحتملة لأي سلام مع الكيان الصهيوني لن تخرج العملية عن سكتها[١].

وضعت الإيباك خطة تحركها الأساسية في نيسان ١٩٩٥ عندما أصدرت تقريرًا بعنوان "العقوبات الأمريكية الشاملة على إيران: خطة العمل"، وطرح السيناتور ألفونس داماتو (الجمهوري عن نيويورك) بحسب بولاك مع بعض المساعدة من الإسرائيليين تشريعًا في كانون الثاني ١٩٩٥ لإنهاء كل الروابط الاقتصادية بين الولايات المتحدة وإيران، وقد عارضت إدارة كلينتون التشريع في البداية، وسقط في الكونغرس[٢].

إلا أنه بعد ذلك بشهرين حققت مجموعات في اللوبي اليهودي نجاحها الأول بعدما اختارت إيران شركة النفط الأمريكية "كونوكو" لتطوير حقول نفط ساري. وتعمدت إيران اختيار "كونوكو" من بين غيرها من الشركات النفطية الأجنبية المستثمرة من أجل الإشارة إلى اهتمامها بتحسين العلاقات مع الولايات المتحدة؛ إلا أن هذا الانفتاح الودي لم يؤد إلى شيء؛ لأن كلينتون وأد الصفقة في ١٤ آذار، وقال كلينتون لاحقًا: "أحد الكثر المناوئين بشدة لصفقة "كونوكو" كان إدغار برونفمان الأب، الرئيس القوي السابق للمؤتمر اليهودي العالمي". كما كان للإيباك دور كبير في ضرب الصفقة[٣].

---

(١) المصدر نفسه، ص ٤١٧.

(٢) المصدر نفسه، ص ٤١٨.

(٣) ستيفن والت، جون مير شايمر، مصدر سبق ذكره، ص ٤١٨.

وفوق ذلك كان لسنيه في خلال أوائل التسعينيات دور رئيس في الدفاع عن فكرة أن إيران تشكل تهديدًا قاتلًا لإسرائيل، في الوقت الذي وضح شارون أن تل أبيب "تضاعف جهودها لتحذير إدارة بوش من أن إيران تشكل تهديدًا أكبر من التهديد الذي يشكله نظام صدام حسين العراقي"(١). فضلًا عن ذلك طرح الباحث الصهيوني بني موريس رؤية نهاية العالم لما سيحل بإسرائيل لو أن إيران حصلت على السلاح النووي(٢).

والحق أن ديك تشيني -وهو أبرز الصقور في الإدارة الداعين إلى فتح مواجهة مع إيران اليوم- عارض علنًا برنامج العقوبات الأمريكية عليها عندما كان في التسعينيات رئيسًا لشركة الخدمات النفطية (هاليبرتون)، إلا أن الإيباك سحقت المصالح النفطية في كل قرار. وتوفر هذه النتائج المزيد من الدلائل على مدى النفوذ الصغير لشركات النفط في السياسة الأمريكية في الشرق الأوسط، عندما تتم مقارنته مع نفوذ كل من الكيان الصهيوني واللوبي اليهودي(٣).

وفي خضم هذه التطورات قدم عضو مجلس الشيوخ الأمريكي دوماتو من الحزب الجمهوري مشروع قانون في بداية عام ١٩٩٥ والذي نص على فرض حظر تجاري على نطاق واسع من قبل الولايات المتحدة على إيران، والذي يتضمن

---

(١) المصدر نفسه، ص ٦٦٣.

(٢) المصدر نفسه، ص ٦٦٧.

أجرت الاستطلاع جامعة بار إيلان والرابطة المناهضة للتشهير، ووجدتا أن "٧١٪ تمامًا من الإسرائيليين يعتقدون بأنه على الولايات المتحدة شن هجوم عسكري على إيران إذا فشلت الجهود الدبلوماسية في وقف البرنامج النووي الإيراني". ومن المفيد أيضًا ملاحظة أن الدعم بين الأمريكيين اليهود للهجوم على إيران قد تراجع بشكل حاد؛ ففي خريف ٢٠٠٥ أيد ٤٩٪ العمل العسكري، ولم يسانده إلا ٣٨٪ فقط في خريف ٢٠٠٦. راجع: المصدر نفسه، ص ٦٦٩ – ٦٧٠.

(٣) المصدر نفسه، ص ٤٢٠.

الأعمال التجارية كافة ما عدا المنتجات الإنسانية؛ وذلك للحد من السلوك الإيراني تجاه الولايات المتحدة[١].

أصدر الرئيس كلينتون في ٦ أيار أمرًا تنفيذيًّا يحظر كل تجارة واستثمار مالي مع إيران التي وسمها بأنها "تشكل تهديدًا غير عادي وفوق العادة لأمن الولايات المتحدة القومي وسياستها الخارجية واقتصادها". وكان كلينتون أعلن أنه نوى اتخاذ هذه الخطوة قبل ذلك بأسبوع في خطاب ألقاه في المؤتمر اليهودي العالمي. ويلاحظ بولاك أن قراره برفض صفقة "كونوكو" وإصدار هذين القرارين التنفيذيين "يشكل برهانًا كبيرًا على دعمنا لإسرائيل"[٢].

ومن دواعي السخرية أن إسرائيل، بالرغم من وقوفها وراء القرار الأمريكي بقطع العلاقات الاقتصادية مع إيران، لم تمرر أي قوانين يحظر التجارة الصهيونية – الإيرانية، واستمر الإسرائيليون في شراء البضائع الإيرانية عبر أطراف ثالثة[٣].

إلا أن اللوبي اليهودي لم يكتف بهذين القرارين؛ لأنه يمكن بسهولة قلب القرارات التنفيذية في حال ما إذا قرر كلينتون تغيير رأيه. وعرض أ. م. روزنتال -وهو مدافع قوي عن الكيان الصهيوني- هذا الموضوع في مقالة في "النيويورك تايمز" ينتقد فيها صفقة "كونوكو": "المشكلة الوحيدة مع القرارين التنفيذيين هي أنهما يمكنان الرئيس من أن يأخذ ما يعطيه"[٤].

---

(١) مثنى حمدي توفيق الثويني، مصدر سبق ذكره، ص١٦٩.

(٢) ستيفن والت، جون مير شايمر، مصدر سبق ذكره، ٤١٨.

(٣) المصدر نفسه، ص ٤١٨.

(٤) ستيفن والت، جون ميرشايمر، ص ٤١٨ – ٤١٩.

يفيد تريتا بارسي أنه ردًّا على هذه المشكلة الممكنة قامت الإيباك بمبادرة خاصة منها بمراجعة مشروع القانون الذي قدمه السناتور داماتو في كانون الثاني ١٩٩٥، وأقنعت السناتور النيويوركي بإعادة تقديمه في ١٩٩٦، مع التعديلات التي اقترحها الإيباك عليه[١].

قرر كلينتون إجراءات إضافية بقانون رقم ١٢٩٥٩ ضد إيران، ومن ناحية أخرى أقر الرئيس كلينتون مشروع قانون دوماتو في ٥ آب ١٩٩٦ الذي سمي فيما بعد بقانون دوماتو[٢].

وبالرغم من أن التشريع المقترح أحنق حليفات الولايات المتحدة الأوروبيات فقد مرره مجلس النواب في ١٩ حزيران بـ٤١٥ صوتًا مقابل لا شيء، وصوت عليه مجلس الشيوخ بالإجماع بعد شهر من ذلك، ووقع كلينتون على القانون في الخامس من آب بالرغم من وجود معارضة ذات شأن داخل الإدارة للتشريع الجديد. وبالفعل يكتب كينيث بولاك: "كره معظم الجهاز التنفيذي مشروع قانون داماتو، لكن لفظة "كره" هي في الواقع بالنسبة للكثيرين كلمة لطيفة جدًّا". وبرغم ذلك اعتقد الكثيرون من مستشاري الرئيس كلينتون

---

(١) المصدر نفسه، ٤١٩.

(٢) مثنى حمدي توفيق، مصدر سبق ذكره، ص١٧١-١٧٣. والدكتور رياض الراوي، البرنامج النووي الإيراني وأثره على منطقة الشرق الأوسط، الأوائل للنشر والتوزيع، دمشق – سوريا، ٢٠٠٦، ص٢١٩. وكينيث آر. تيمرمان، مصدر سبق ذكره، ص ١٩٣، ٢٠٧.
اعتمدت الولايات المتحدة بضغط من الكونغرس إلى حد كبير، وتحريض من اللوبي الصهيوني، سلسلة من القوانين التشريعية الموجهة إلى إيران، والتي تمنع فعليًّا أي حوار أمريكي – إيراني جاد. راجع: زبيغنيو بريجنسكي، الفرصة الثانية ثلاثة رؤساء وأزمة القوة العظمى الأمريكية، ترجمة عمر الأيوبي، دار الكتاب العربي، بيروت، ٢٠٠٧، ص ١١٠.

للشئون المحلية أن عدم تصديق البيت الأبيض على القانون سيكون حماقة كبيرة[١].

ولكن ما العلاقة بين جماعات الضغط وصانعي القرار؟ وهنا نجد مالبرث يحدد لنا مراحل متعددة عن طريقها تستطيع جماعات الضغط التأثير على صانعي القرارات، وهذه المراحل هي[٢]:-

١- محاولة معرفة واضعي القرار ومساعديهم، والخطوات المرحلية لاتخاذ القرار، والوقت والمكان الملائمين لممارسة عملية التأثير.

٢- خلق علاقات تكنوقراطية (شخصية) مع صانعي القرار؛ لأنها خير وسيلة لدفع القرار إلى الاتجاه الذي يرتئيه هؤلاء.

٣- محاولة إقناع صانع القرار بأهمية المشكلة وأحقيتها عن طريق دعمها بأسانيد منطقية[٣].

---

(١) ستيفن والت، جون مير شامر، مصدر سبق ذكره، ص ٤١٩.

(٢) الدكتور مازن إسماعيل الرمضاني، السياسة الخارجية، محاضرات في الإطار النظري لدراسة السلوك السياسي الخارجي، مصدر سبق ذكره، ص ٣٥٥.

(٣) يبلغ عدد اليهود في الولايات المتحدة ٦ ملايين، وفي هذا المجال فإن الصوت الانتخابي اليهودي يمكن أن يكون حاسمًا؛ لأن غالبية المنتخبين (بسبب الرقم المرتفع للممتنعين عن التصويت وانعدام المشروعات الشاملة المتباينة بين الحزبين) يتوقفون على أقل القليل من الأصوات، ويمكن تحقيق الفوز بفارق بسيط. راجع: روجيه جارودي، الأساطير المؤسسة للسياسة الإسرائيلية، ترجمة قسم الترجمة بدار الغد العربي، دار الغد العربي، القاهرة، ١٩٩٦، ص١٧١.

إن أهمية هذه الجماعات لا ترجع أساسًا إلى وجود هذا العدد الكبير من اليهود فقط، وإنما ترجع إلى العلاقة العضوية لارتباط مصالح الولايات المتحدة بالصهيونية.

ومن جماعات الضغط القوية في الولايات المتحدة اللوبي الصهيوني المعروف باسم "إيباك" لجنة

=

=

الشئون العامة الأمريكية - الإسرائيلية"، وهي المؤسسة الممثلة لقيادة الحركة الصهيونية واليهودية بصفة عامة في الولايات المتحدة. راجع: روجيه جارودي، مصدر سبق ذكره، ص ١٧١، ومحمد حسنين هيكل، عواصف الحرب وعواصف السلام، المفاوضات السرية بين العرب وإسرائيل، ط ٦، دار الشروق القاهرة، ١٩٩٦، ص٤١٢.

قَوَّم ترومان قوة اللوبي الصهيوني أمام عدد من الدبلوماسيين عام ١٩٤٦ قائلًا: "آسف أيها السادة، ولكن عليَّ أن أستجيب لمئات الآلاف من الناس الذين ينتظرون فوز الصهيونية، وليس لدي آلاف العرب من بين ناخبي".

وفي هذا المعنى يقول كلمنت إتلي - رئيس الوزراء السابق: "إن سياسة الولايات المتحدة تجاه فلسطين يشكلها الصوت الانتخابي اليهودي، والإعانات المقدمة من العديد من الشركات اليهودية الكبرى".

والحق، قد حصل كيندي على ٥٠٠٠٠ دولار لحملته الانتخابية من اليهود، وعلى ٨٠٪ من أصوات الناخبين اليهود، الأمر الذي دفعه إلى أن يعين كلوتزينيك رئيس مؤتمر الرابطات اليهودية في الولايات المتحدة مستشارًا له.

وعندما التقى كيندي لأول مرة مع بن غوريون في ربيع ١٩٦١، قال كيندي له: "أعرف تمامًا أنني انتخبت بفضل أصوات اليهود الأمريكيين، وأنا أدين لهم بانتخابي، وقل لي: ماذا عليَّ أن أفعله من أجل الشعب اليهودي؟".

وقد كتب أحد الدبلوماسيين اليهود قائلًا: "لقد فقدنا صديقًا كبيرًا -يقصد كنيدي- ولكننا وجدنا أفضل منه، إن جونسون هو أفضل صديق عرفته الدولة اليهودية في البيت الأبيض".

وتجدر الإشارة في هذا المجال إلى أن جونسون قد ساند الكيان الصهيوني بقوة في حرب حزيران، الأمر الذي أدى إلى أن يقوم ٩٩٪ من اليهود الأمريكان بالدفاع عن الكيان الصهيوني.

وعند صدور قرار ٢٤٥ في تشرين الثاني ١٩٦٧ قام ديجول بفرض حظر التسلح على الكيان الصهيوني، واتخذ الكونغرس الأمريكي الموقف نفسه، إلا أن جونسون رفعه في كانون الثاني تحت تأثير ضغط الإيباك، وسلم الكيان الصهيوني طائرات الفانتوم التي طلبها، ونتيجة لذلك لم ينتقد الكيان الصهيوني السياسة الخارجية الأمريكية في فيتنام.

وكان كارتر في عام ١٩٨٠ حصل على ٦٨٪ من أصوات اليهود، إلا أن هذه النسبة قد انخفضت في =

=

عام ١٩٨٦ إلى ٤٥٪ فقط بسبب قيامه ببيع طائرات أف ١٥ لمصر، وطائرات أواكس للسعودية، الأمر الذي أدى إلى هزيمته أمام ريجان عام ١٩٨٠ الذي خصص ٦٠٠ مليون دولار من الائتمانات العسكرية للكيان الصهيوني.

لتأكيد أهمية اللوبي الصهيوني في الحياة السياسية الأمريكية، فإن السناتور فولبرايت قرر مثول القادة الصهاينة الرئيسين أمام لجنة للكشف عن أنشطتهم السرية، الذي أكد في لقاء أجراه مع تلفزيون c.b.s في تشرين الأول ١٩٧٣ قائلًا: "إن الإسرائيليين يتحكمون في سياسة ضغط اللوبي، وليس برؤيتهم الخاصة القائمة على مبادئ الحرية والقانون". وكان هذا الموقف من فولبرايت سببًا في أن يفقد مقعده في مجلس الشيوخ في الانتخابات التالية. راجع: روجيه جارودي، مصدر سبق ذكره، ص ١٧١-١٨٤، و

Halford L. Hoking The United States Posture in the Middle East, Op.Cit., PP. 196-197.

يعد إدجار برونغمان من أكبر أصحاب البلايين من اليهود المتحمسين للصهيونية في الولايات المتحدة، وهو يملك وأسرته شركة "سيجرام" التي تتكون من مجموعة شركات تتعدد مجالات عملها بين المشروبات الكحولية إلى شبكات التلفزيون. والغريب أن العميل الرئيس لشركة برونغمان كان عصابة آل كابوني أشهر قادة عصابات الإجرام في الولايات المتحدة. راجع: محمد حسنين هيكل، مصدر سبق ذكره، ص ٣٩٨.

يُقَوِّم فندلي اللوبي اليهودي في الولايات المتحدة قائلًا: "إن أي إنسان ينتقد سياسة إسرائيل عليه أن يتوقع عمليات انتقام موجعة لا تنتهي وحتى فقدان سبل معيشته بوساطة ضغوط اللوبي الإسرائيلي، والرئيس نفسه يخاف منه، والكونغرس يخضع لكل مطالبه، وتحرص أعرق الجامعات على إبعاد كل ما يتعارض معه في برامجها، وتستسلم وسائل الإعلام كما يخضع القادة العسكريون لضغوطه".

أما فيما يخص اللوبي اليهودي في فرنسا فإن أي مرشح لرئاسة الجمهورية الفرنسية مهما كان انتماؤه الحزبي من ميشيل روكار إلى جاك شيراك مرورًا بميتران لم يتخلف عن الذهاب إلى إسرائيل، ويعزى السبب في ذلك إلى قوة تأثيرهم في عملية صنع القرار. راجع: روجيه جارودي، مصدر سبق ذكره، ص ١٨٦-١٨٧.

=

=

ويكون هذا الاهتمام أكثر عندما يصبح هذا المنصب شاغرًا، ففي كانون الثاني ١٩٧٧ كان هناك قلق من اللوبي الصهيوني في وصول كليمنت. ح. زبلوكي من وسكنسون كديمقراطي في لجنة الشئون الخارجية وذلك في عام ١٩٧٧، وقام اللوبي في تحدي زبلوتي من خلال اتهامات بأن زبلوكي صوت ضد بادرات ديمقراطية عديدة تمس السياسة الخارجية، وبأن له اتصالات كورية مشبوهة. على الرغم من معارضة اللوبي انتخب زبلوكي رئيسًا للجنة بـ١٨٣ صوتًا مقابل ٧٢. راجع: فندلي، بول، من يجرؤ على الكلام على اللوبي الصهيوني وسياسات أمريكا الداخلية والخارجية؟ ط٢، شركة المطبوعات للتوزيع والنشر، بيروت، ١٩٨٥، ص١٧٧-١٨٨. وقارن مع أنمار لطيف نصيف، مصدر سبق ذكره، ص ٧.

وأكثر من هذا، فإن اللوبي الصهيوني له وجود في وزارتي الخارجية والبنتاغون الأمريكي إلى درجة وصف هذه الحالة أحد الدبلوماسيين الأمريكان قائلًا: "إن التسويات إلى الدعاة الموالين لإسرائيل ليست متفشية في هاتين الوزارتين فحسب، بل إنها مخيفة وضارة جدًّا بمصالحنا القومية". ويردف الدبلوماسي الأمريكي قائلًا: "وبسبب وجود آلة زيروكس بصورة دائمة فإن الدبلوماسيين يفترضون دائمًا أن الرسائل حتى الآن التي يرسلونها بأضمن الوسائل تستنسخ وتسلم إلى المتلهفين عليها، لذلك فإننا لا نجرؤ على وضع الأشياء الحساسة كتابة". راجع: فندلي، مصدر سبق ذكره، ص ٢٣٢.

يقول بول فندلي: "يحصل الإسرائيليون على كل ما يريدون في سرية سواء أكان سياسية أم تقنية من مصادره في الحال ومن غير ثمن، أما إذا حدث واكتشف الموظفون المكلفون بالسهر على مصالحنا القومية تسربات ووجهوا التهمة إلى المذنبين فسوف يصيبهم ما يحطم روحهم المعنوية". راجع: المصدر نفسه، ص ٢٢٣.

وللوبي الصهيوني في الولايات المتحدة شبكة استخبارات تضم عدة متطوعين "وديين" يزودونها بالمعلومات، وتستطيع هذه الشبكة الوصول إلى كل أقسام السلطة التنفيذية التي تتعامل بالأمور المتعلقة بالكيان الصهيوني، وبسبب معرفة الرسميين مهما كانت درجتهم بهذا التسرب فإنهم يحجمون عن وضع أو اقتراح سياسات تكون في مصلحة الولايات المتحدة. راجع: المصدر نفسه، ص ٢٣٣.

تنعكس فعالية مثل مجموعات الضغط هذه في تنامي انتشار تشريعات الكونغرس التي تحد عمدًا

=

حددت رايس إطارًا نظريًا لتحليل دور جماعات الضغط الذي يدور حول ستة أبعاد تحدد طبيعة هذا الدور(١):-

=

من خيارات السلطة التنفيذية في السياسة الخارجية، ومن الأمثلة المبكرة على ذلك حظر بيع الأسلحة لتركيا في سنة ١٩٧٥ بتأييد من اللوبي اليوناني، وقانون جاكسون فانيك الذي يفرض قيودًا على الاتحاد السوفيتي ما لم تطلق الهجرة اليهودية. وأصبحت مثل هذه التشريعات أكثر تكررًا مؤخرًا. وتضم الأمثلة من العقد ونصف العقد السابق إقرار قانون الديمقراطية الكوبي في العام ١٩٩٢ بترويج من لوبيات السياسة الخارجية الكوبي والصهيوني والتايواني والأرمني، وقانون عدم انتشار الأسلحة لإيران والعراق في العام ١٩٩٢، والقسم ٩٠٧ من قانون دعم الحرية في العالم في العام ١٩٩٢، الموجه إلى أذربيجان إلى حد كبير، وقانون هلمز بورتون في العام ١٩٩٦، وقانون العقوبات الإيرانية الليبية في العام ١٩٩٦، وكان اللوبي المسيحي فاعلًا في الترويج لقانون الحرية الدينية الدولية في العام ١٩٩٨، وقانون مناهضة ما يسمى الإرهاب الفلسطيني في العام ٢٠٠٢، وقانون محاسبة سوريا في العام ٢٠٠٣. راجع: زبيغنيو بريجنسكي، الفرصة الثانية ثلاثة رؤساء وأزمة القوة العظمى الأميركية، مصدر سبق ذكره، ص ٢٠٤.

يرى مستشار الأمن القومي الأمريكي السابق للرئيس كارتر، زبغنيو بريجنسكي أن تجزئة السياسة الخارجية لا تخدم المصلحة القومية الأمريكية، وكما لاحظ هنري كيسنجر في كتابه الحديث: هل تحتاج أمريكا إلى سياسة خارجية؟ فإنه بسبب مجموعات الضغط الداخلية لا يقوم الكونغرس بالتشريع لتكتيكات السياسة الخارجية فحسب، وإنما يسعى أيضًا إلى فرض قانون سلوك على البلدان الأخرى بفرض العديد من العقوبات. وتجد أعداد كبيرة من البلدان نفسها اليوم خاضعة لمثل هذه العقوبات. فضلًا عن عملية التخطيط والتشاور الأكثر منهجية بين السلطتين التنفيذية والتشريعية يجب اعتماد قوانين أشد لممارسة الضغوط تفرض قيودًا على قدرة المصالح الخارجية على رعاية مجموعات لوبي السياسة الخارجية المقيمة في الداخل وتمويلها، كما يجب إخضاع مجموعات اللوبي نفسها لفحص دقيق ونفوذها المالي لمزيد من المساءلة المفصلة. راجع: المصدر نفسه، ص ٢٠٤ – ٢٠٥.

(١) الدكتور محمد السيد سليم، تحليل السياسة الخارجية، مصدر سبق ذكر، ص ٢٠٧-٢٠٩.

١- **الخصائص السلوكية لجماعات المصالح**، وتشمل تلك الخصائص:

أ) حجم أنشطتها السياسية لإقناع صانعي القرارات في السياسة الخارجية بتبني وجهات نظرها.

ب) طبيعة الأهداف السياسية لجماعات المصالح.

ج) توقيت النشاط السياسي لجماعات المصالح.

٢- الخصائص التنظيمية لجماعات المصالح.

٣- هيكل صنع القرار.

٤- علاقة جماعات المصالح بالجماعات الداخلية الأخرى.

٥- علاقة جماعات المصالح بالجماعات الخارجية الأخرى.

٦- القضية التي تهم جماعة المصلحة.

ويمكن القول بأن جماعات الضغط تؤثر في السياسة الخارجية من خلال قنوات ثلاث:-

١- المشاركة في عملية صنع السياسة الخارجية، كتمثيل العسكريين في المؤتمر السياسي للحزب الشيوعي السوفيتي وقتئذٍ.

٢- توجه مصادر القوة للتأثير غير المباشر في السياسة الخارجية، تمتلك بعض جماعات المصالح جزءًا من مصادر القوة الاقتصادية والعسكرية والسياسية في المجتمع، وتسعى تلك الجماعات عن طريق استعمال هذا الجزء من القوة إلى أن تؤثر في مسار السياسة.

٣- جماعات المصالح كجماعات وسيطة: تقوم هذه الجماعات بدور الوساطة بين السلطة السياسية والرأي العام، ويتحقق ذلك بتعبير جماعات المصالح عن مصالح محددة لمجموعات أو شرائح من الرأي العام، من خلال الاتصال مع صناع السياسة الخارجية، من ذلك اتصالات منتجي القمح في ولايات الغرب الأوسط لرفع الحظر عن تصدير القمح إلى الاتحاد السوفيتي لأن ذلك يضر بمصالحهم[١].

---

(١) المصدر نفسه، ص ٢١٣، و:

Havard, William V., Op.Cit., PP.159-163.

تنقسم طرق تأثير جماعات الضغط على السياسة الخارجية الأمريكية إلى قسمين رئيسين: أحدهما مباشر، والآخر غير مباشر، فيما يخص القسم الأول فإن عمله يتم من خلال إقامة لقاءات خاصة مع المسئولين بالحكومة مع إعطائهم فيضًا من المعلومات حول القضايا التي تتبناها جماعات الضغط والإدلاء بشهاداتهم سواء بالموافقة أو بالرفض أمام لجان الكونغرس أو الوكالات التنفيذية مثل لجنة المستهلكين لصلاحية الإنتاج.

أما الأسلوب غير المباشر فإنه يتمثل في إثارة الرأي العام في أوقات الحملات الإعلامية والمظاهرات، وتقوم تلك الجماعات أيضًا باستطلاعات الرأي لإقناع متخذي القرار بأن الرأي العام يساند مواقفهم، وتقوم أيضًا الجماعات بتعبئة عدد كبير من المنتسبين أو الأعضاء البارزين بالجماعة بغرض التأثير على النواب، ولا سيما أن محترفي الضغط عادة ما يفقدون بمرور الوقت قدرتهم على الـتأثير على السياسة الخارجية الأمريكية، ولا سيما إذا عرفنا أن هذا النوع من التحالف يعطي إيحاء بتمثيل مصالح الشعب الأمريكي ككل. راجع: آسيا الميهي، "الرأي العام في السياسة الخارجية الأمريكية"، مصدر سبق ذكره، ص ٩٢-٩٣، قارن مع: ودودة عبد الرحمن بدران، مصدر سبق ذكره، ص ٨٣-٨٤.

ومن المفيد هنا أن نشير إلى أن جماعات الضغط تلجأ إلى الوسائل المشروعة أو قنوات الدخول السياسي Channels of Political access مثل وسائل الإعلام، والأحزاب والهيئات =

ثانيًا: الأبعاد الخارجية لعملية صنع القرار في السياسة الخارجية:

إن نجاح أو إخفاق السياسة الخارجية لدولة ما لا يتوقف أساسًا على قوة سياساتها الداخلية؛ لأن هناك مجموعة من الأطر الاقتصادية والاجتماعية والعسكرية والسياسية التي تكتنفها. بعبارة أخرى: إن هناك مجموعة من الظروف والأطر الخارجية تدخل في عملية صنع القرار السياسي، وهذا يعني أن تلك الظروف والعوامل التي تقع خارج الحدود الإقليمية للدولة (كرد فعل الدول الأخرى الصديقة المحايدة والعدوة والمنظمات الدولية) لها تأثير فعال في صنع القرارات في السياسة الخارجية[1].

وفي هذا الصدد نجد أن هارولد وسبراوت قد ميزا بين نوعين من المصادر الخارجية هما:-

١- **البيئة السيكولوجية (النفسية)**: وتشير هذه البيئة إلى كيفية تعريف الفرد

=

التشريعية، والوسائل غير المشروعة قنوات الدخول القسرية Corecive access Channels، التي تكمن في الحرمان النسبي، والشغب والاضطرابات والاعتصام والإرهاب، في ظل نظام الحزب الواحد هناك مدخل سياسي واحد يتركز في قنوات الوسائل المشروعة، وهناك صعوبة للمجموعات كافة، فالمطالب التي تقدم عن طريق هذه القنوات قد تحرف في أثناء حملها إلى صانعي القرار الحقيقيين، الأمر الذي يؤدي إلى عدم حصول القادة على معلومات كافية عن حاجات ومطالب مجموعات هامة، وعلى المدى البعيد من الممكن أن يؤدي هذا إلى إعطاء معلومات خاطئة لهؤلاء، مما قد يؤدي إلى حسابات خاطئة من لدن صانعي القرار في هذه الدول. راجع:

Almond and Powell, Op.Cit., PP.71-76.

(١) قارن مع الدكتور مازن إسماعيل الرمضاني، "بحث في مناهج اتخاذ القرار السياسي الخارجي"، مصدر سبق ذكره، ص ١٤٩.

لاختياراته واتخاذه للقرارات[١]. وبعبارة أخرى: إنها تعني تحليل الاتجاه الأيديولوجي للنظام ولتصورات صناع القرار لبيئتهم الواقعية المحيطة بهم[٢].

٢- **البيئة الفعالة**: وهي البيئة التي تشير إلى الحدود التي يتم تنفيذ القرار داخل إطارها.

والبيئة الفعالة من الممكن أن نطلق عليها البيئة الواقعية، التي تشمل البيئة الخارجية ومستوياتها المختلفة (عالمي وإقليمي)، وتشمل أيضًا البيئة الداخلية، وتتضمن القدرة العسكرية والقدرة الاقتصادية والبناء السياسي ومجموعات المصالح والنخب المتنافسة[٣].

إن البيئة الواقعية (خارجية وداخلية) تحدد الوضع الذي تتخذ فيه قرارات السياسة الخارجية، بينما تحليل البيئة النفسية -يعني التعرف إلى تصورات أو مدركات صناع القرار تجاه بيئتهم الواقعية- يستهدف كيفية ارتباط البيئة النفسية بالواقع العملي من عدمه، بما لهذا من علاقة بالتأثير على نجاح القرارات السياسة الخارجية أو فشلها[٤].

ومن الممكن أن يكون هناك اتفاق بين البيئتين، أو قد ينتفي الاتفاق بينهما، إلا أن ذلك يتوقف بالدرجة الأولى على مدى دقة التصورات ومدى اتصالها بالواقع[٥].

---

(1) Harold and Margaret Sprout. Invironment factors in the Study of International Politics, Op.Cit., P.109.

(٢) جمال علي زهران، مصدر سبق ذكره، ص ٣٥.

(٣) المصدر نفسه، ص ٣٥.

(٤) المصدر نفسه، ص ٣٦.

(٥) الدكتور إسماعيل صبري مقلد، العلاقات السياسية الدولية – دراسة في الأصول والنظريات، مصدر سبق ذكره، ص ٣٧٥.

وعليه سوف نعالج في هذا الفصل الرأي العام الدولي، والتكتلات الدولية، والمنظمات الدولية، والشركات متعددة الجنسيات التي من خلالها يستطيع صانع القرار أن يتخذ موقفًا من قضية معينة.

أ- الرأي العام الدولي International Public Opinion:

من الممكن تعريف الرأي العام الدولي بأنه "الاتفاق الذي يتعدى الحدود القومية للدول ويوحد بينها تجاه بعض المسائل الأساسية في السياسة الدولية، وهذا الاتفاق الدولي في الرأي يظهر نفسه على شكل رد فعل تلقائي عالمي إزاء أي تصرف دولي يكون فيه خروج على هذا الاتفاق، وقد يمتد رد الفعل هذا ليقترن بتوقيع جزاءات على الدول المخالفة"[١].

وهناك من يعرف الرأي العام الدولي بأنه "الرأي العام الذي يتعدى الحواجز الدولية، ويتكون من مجموعات تنتمي إلى وحدات سياسية مختلفة"[٢].

والرأي العام الدولي قد يكون رأيًا عامًّا رسميًّا، والمثال على ذلك المواقف الرسمية لمجموعة من الدول تجاه قضية معينة، فالمواقف الرسمية للدول التي أدانت العدوان الثلاثي على مصر تشكل رأيًا عامًّا رسميًّا، إلى جانب ذلك هناك الرأي العام الدولي غير الرسمي، والمثال على ذلك الرأي العام الدولي للاتحادات النقابية الدولية أو اتحاد البرلمانيين الدولي أو الاتحادات الدولية المختلفة للصحفيين أو المحامين، ويعد هذا الرأي العام الدولي متجاوزًا للحدود السياسية[٣].

---

(١) المصدر نفسه، ص ٢٠٨، والدكتور إسماعيل صبري مقلد، الإستراتيجية والسياسة الدولية.. المفاهيم والحقائق الأساسية، مصدر سبق ذكره، ص ٩٩.

(٢) الدكتور محمد علي العويني، العلاقات الدولية في النظرية والتطبيق، مصدر سبق ذكر، ص ٥٢.

(٣) المصدر نفسه، ص ٥٢.

يقول وزير خارجية الولايات المتحدة جون فوستر دالاس: (ينبغي أن يوضع في الحسبان، كوزير للخارجية، ما يفكر ويعتقد ويشعر به الآخرون). وعلى الرغم من هذا الاعتقاد من قبل دالاس بأهمية الرأي العام الدولي، إلا أنه أعطى صفعة للرأي العام الفرنسي عند إشارته إليه بمفهوم ajonizing reappraisal[١].

وهناك اعتقاد عند أساتذة السياسة الخارجية بتأثير عاملين في توحيد اتجاهات الرأي العام الدولي، هذان العاملان هما[٢]:-

١- العامل السيكولوجي[٣].

٢- العامل التكنولوجي.

فيما يخص أهمية العامل الأول نرى أن الطبيعة الإنسانية ذاتها تولد الاعتقاد العام والمشترك في عدد من القيم والمبادئ الأخلاقية والأدبية، من حيث عدم تأثرها بالاختلافات القومية أو العنصرية. إن مارجريت وهارولد قد أدخلا هذه المفاهيم في التحليل السياسي بصورة عامة، وتحليل السياسة الخارجية بصورة

---

(1) W. Phillips Davison، Mass Counication & Diplomacy، In World Politics An Introduction، Op.Cit.،p402.

(٢) الدكتور إسماعيل صبري مقلد، العلاقات السياسية الدولية – دراسة في الأصول والنظريات، مصدر سبق ذكره، ص ٢٠٩.

(٣) هناك من يعتقد بعدم سلامة العامل السيكولوجي، ويعزون هذا الرأي إلى التباين التام بين الدول، بحيث لا يفسح المجال أمام بروز هذا العامل؛ لأن الاختلاف في المحيط السياسي الداخلي له ردود فعل في اتجاهات الرأي العام فيها، وإن كان هناك تجانس في الرأي العام لدولة معينة، في حين أن الوحدة النفسية التي تربط بين اتجاهات الرأي العام في دول العالم المختلفة لم يكن هناك اتفاق إزاءها. راجع في هذا الصدد: المصدر نفسه، ص ٢٠٩-٢١٠.

خاصة؛ ففي دراسة لهما في منتصف عام ١٩٥٠ بينا أن الفرد يدرك الواقع من خلال مجموعة العقائد والقيم والصور التي كونها عبر مدة من الزمن، والإدراك الناشئ عن هذه العملية –وهو ما أطلقا عليه "البيئة النفسية"- قد يتباين عن البيئة الواقعية، بيد أن "ما يهم في عملية اتخاذ القرار هو كيف يتصور صانع القرار البيئة كما هي قائمة؟" فالقرار دائمًا يتأسس على تصور صانع القرار للموقف، إلا أن نجاح وإخفاق قرار ما لا يعتمد على التصورات السالفة الذكر، بل ينصب أساسًا على دراسة البيئة الواقعية؛ لأن الأخيرة تعد بمثابة مختبر لصلاحية هذا القرار من عدم صلاحيته[١].

إن مصطلح الرأي العام الدولي هو مصطلح مبهم وغامض على الرغم من أن الدلائل تشير من الناحية التاريخية إلى تطبيقات متعددة لرد فعل عام لم يقتصر على وحدة سياسية معينة؛ أي أن ظاهرة الرأي العام تخطت الحدود الإقليمية للدولة لتعبر عن نوع معين من التطابق من بعض المجموعات التي تنتمي إلى مجتمعات متعددة، سواء كانت تلك المجتمعات منظمات دولية أو إقليمية[٢].

إن العالم لم يألف هذا المصطلح إلا من خلال الحرب العالمية الثانية، والحق أن هناك عوامل معينة أدت إلى ظهوره في هذه المدة، وهذه العوامل هي[٣]:-

١- التطور التكنولوجي الذي أسهم إلى حد بعيد في تقارب الطبقات بقدر ما حطم التكامل القومي والعقيدي، كما عرفه العالم خلال القرن التاسع عشر.

(١) الدكتور محمد السيد سليم، التحليل السياسي الناصري دراسة في العقائد والسياسة الخارجية، مصدر سبق ذكره، بيروت ١٩٨٣، ص٢٣-٢٤.

(2) Dexter, White, People, Society and Mass Communication, 1964.

(٣) الدكتور حامد ربيع، نظرية الدعاية الخارجية، مصدر سبق ذكره، ص ٧٧.

٢- إن بروز ظاهرة التضامن الجماعي بين الدول الأوروبية وشمال إفريقيا خلال الحرب العالمية الثانية لمقاومة النظم الفاشستية وفي مواجهة الاحتلال الألماني قد أسهم في بلورة ظاهرة الرأي العام الدولي.

٣- إن التطور التكنولوجي الذي شهده العالم بعد الحرب العالمية الثانية، وما أعقب ذلك من تطورات في وسائل الإعلام، قد مهد لانبثاق ظاهرة الرأي العام الدولي.

إن التطورات السياسية التي أعقبت الحرب العالمية الثانية قد أكدت لنا حقيقة ثنائية:-

١- إن الرأي العام الدولي لم يستطع بعدُ أن يرقى إلى درجة الظاهرة المتكاملة.

٢- إنه على الرغم من الملاحظات التي ذكرت حول ذلك فإن الرأي العام الدولي قد مهد لإيجاد بعض النماذج التي تسمح بدرجة معينة من درجات الفعالية ولو في نطاق محدد، وهو أمر يلزم الباحث أن يربط الظاهرة السياسية القومية بالتطورات السياسية الدولية.

ونتيجة لهذه الآراء المتضاربة حول ظاهرة الرأي العام الدولي فقد نشأت اتجاهات مختلفة حول قيمة الرأي العام الدولي، ومن الممكن تقسيم هذه الاتجاهات إلى قسمين:-

١- يرى فريق من خبراء الرأي العام أن للرأي العام الدولي تأثيرًا أدبيًا في السياسة الدولية؛ إذ يؤكد هذا الفريق أن ضغط الرأي العام الدولي قد مهد لإيجاد مشروعات هامة في السياسة الدولية، ومنها على سبيل المثال عصبة الأمم في أعقاب الحرب العالمية الأولى، وميثاق بريان كيلوج عام ١٩٢٨، ومنظمة الأمم المتحدة[1].

---

(1) Morgenthau, J., Hans. Politics Among Nation, the Struggle for Power and Peace, New York, 1961, P.260.

وهنا يثار سؤال حول دور وتوقعات الرأي العام الدولي كأبعاد خارجية على سلوك الدولة في السياسة الخارجية، والحق، هناك أمثلة كثيرة تشير إلى تأثير وأهمية الرأي العام الدولي على سلوك الدول، إلا أنه من الصعب جدًّا تعميم ذلك على سلوك مختلف الدول، ومع ذلك بالإمكان أن نقدم بعض الافتراضات حول هذه الظاهرة، وتكمن هذه الافتراضات في نقطتين رئيستين هما[1]:-

أ) إن أغلب الحكومات تكون حساسة إزاء الآراء التي تظهر في الخارج حول سياستها وكيفية تنفيذها، وإلا فإنها سوف لا تبذل جهدًا كبيرًا عن طريق الأداة الدبلوماسية أو قنوات الدعاية في محاولة خلق انطباعات حسنة عنها في الخارج، لكن هذه الحكومات ليست حساسة بدرجة متساوية إزاء كل مصادر الرأي العام. وهنا يمكن القول بأن ملاحظة الحقيقة تتغير بصورة كبيرة، فإن الحكومات التي تدان ربما –بصورة محتملة– لا تحتسب الآراء المعادلة آراء مهمة، وعلى سبيل المثال: إذا وصف الاتحاد السوفيتي التدخل الأمريكي في فيتنام الجنوبية كإمبريالية وعدوان، فإن هذا مختلف جدًّا عن فهم الحكومة الأمريكية للحالة، بحيث إن العداوة السوفيتية –بصورة احتمالية– سوف لا يحسب لها حساب.

زد على ذلك أن الحكومات هي، دونما شك، أكثر حساسية إزاء الآراء المعبر عنها من قبل أصدقائها وحلفائها الحميميين من تلك الآراء الصادرة من الأقطار غير المتورطة في النزاع، الشيء نفسه فإن الحكومات تكون أكثر اهتمامًا

(1) Holesti, K.J.International Politics ; A Framework for Analysis, Englewood Cliffs 1967,PP.418-419.

بمطابقة أعمالها مع توقعات حلفائها أكثر من تلك التي تعود إلى الأقطار غير المتورطة معها بصورة مباشرة.

ب) إن الغالبية العظمى من الحكومات مهتمة بسمعتها في الخارج كمظهر مهم رغم أنه غير ملموس لفعاليتها الدبلوماسية. والحق أنه ليس بإمكان أية حكومة أن تتلقى بترحاب قرارًا من الجمعية العامة يستنكر أعمالها في الخارج، ولكن في بعض الأزمات يضع صانعو القرار السياسي مثل هذه القيمة للدفاع عن الأهداف التي يبتغون عدم الوفاء بالالتزامات نحوها، وخرق القواعد التي يلتزمون بها عادة. وباختصار فإنهم يتبعون بالتحديد -بصورة ضيقة- مصالحهم الوطنية، وفي أمثلة كثيرة يتوقع صانعو القرار السياسي ردود فعل الحكومات الأخرى ويختارون بدائل للسياسة التي من المحتمل قليلًا أن تجابه ردود فعل معادية.

ويمكننا بهذا الخصوص أن نقتبس حالات فشلت فيها ونجحت قرارات في المنظمات الدولية في إقناع بعض الحكومات بملاحظة الالتزامات القانونية والأخلاقية، إنه من الصعب جدًّا معرفة كل تلك الحالات التي لم تختر بها الحكومة مجرى خصوصيًّا لسلوك سياسي معين بسبب أن صانعي القرار السياسي توقعوا استجابات غير محبذة من الخارج.

إذا أدركنا الرأي العام الدولي كتعبيرات تلقائية لشعوب يقظة حول حالات معينة غالبًا ما توصل بوساطة قنوات الدعاية؛ فإنه -أي الرأي العام الدولي- يكون تقييدًا فعالًا للسياسة إذا ما كان هناك بعض الاتفاق بين الشعوب، أما المواقف فإنها هي الأخرى معبر عنها من قبل الحكومات الصديقة، وهي ليست مجرد العداوة المتوقعة لدول غير صديقة، والاستخفاف بتلك سيقلل من سمعة الدولة وتأثيرها الدبلوماسي.

٢- أما الفريق الآخر فإنه يؤكد انتفاء أهمية دور الرأي العام الدولي في السياسة الخارجية، وحجته في ذلك بعض الشواهد التاريخية، فيذكر في هذا الصدد إخفاق الرأي العام الدولي في الوقوف ضد الاعتداءات الموجهة ضد الصين في الثلاثينيات من القرن العشرين، أو الحد من مطامع السياسة الخارجية الألمانية منذ عام ١٩٣٥، أو كبح الهجوم الإيطالي على الحبشة عام ١٩٣٦، إلى غير ذلك من المعضلات الدولية[1].

يمكن أن نقول: إن الرأي العام الدولي لا يمكن أن ينبثق إلا من خلال تقارب أو تلاقي عدد من الآراء العامة المحلية المختلفة.

ويمكن لمثل هذه الظاهرة أن تحدث من خلال ثلاث طرق مختلفة[2]:-

١- يمكن أن يتشكل الرأي العام العالمي خلال اتفاق وجهات النظر التي يعبر عنها ممثلو الجماعات القومية المختلفة، أو بمعنى آخر الحكومات.

٢- ويمكن أن نضع على قائمة محاسن الرأي العام العالمي مجموعة من الظواهر التي تؤدي إلى التوافق التلقائي بين مختلف الآراء الوطنية تجاه هذه المشكلة أو تلك. والتوافق لا يعني التطابق أو التشابه؛ إذ إن الأمر يخص عملية الكشف عن الميول وعمليات التقارب والاختلاف والتطورات التي تعبر عن نفسها من بلد لآخر تجاه مشكلة بعينها أو تجاه هيئة ما أو حدث بذاته.

٣- ويتعين أن نميز بين ظواهر التلاقي العفوي أو التلقائي هذا، وهي ظواهر لها في النهاية سمة عرضية وطاقة محددة، وبين تيارات الرأي التي تغذيها النضالية السياسية أو الأيديولوجية.

---

(1) Morgenthau, Op.Cit., P.261.

(٢) مارسيل ميرل، سوسيولوجيا العلاقات الدولية، مصدر سبق ذكره، ص ٤٣٤-٤٣٩.

ونتساءل هنا: هل للرأي العام الدولي قوة سياسية أم قوة معنوية؟ وما الوسائل التي يملكها الرأي العام الدولي لفرض مشيئته؟

يرى الدكتور إسماعيل صبري مقلد أنه "لا يمكن الادعاء بأن الرأي العام فاقد لكل تأثير تمامًا؛ إلا أن فاعلية هذا التأثير ومداه يختلفان بحسب الظروف والوقائع الدولية، فبينما يظهر في بعضها بصورة إيجابية حاسمة فإنه يظهر في بعضها الآخر بشكل أقل إيجابية، وليس هناك من دولة في العالم تحاول دائمًا أن تقوم بتفسيرات وتبريرات لسياستها بغية إقناع الرأي العام بها، وتفاديًا لما قد يجلبه عليها عدم امتناعه من معارضة"(١).

وعليه، بالإمكان أن نذهب إلى القول بأن الرأي العام الدولي قوة معنوية لا يمكن تجاهلها، والرأي العام الوطني -وهو جزء من الرأي العام العالمي- يؤثر على إدراك صانع القرار السياسي؛ إذ يضغط على صانع القرار في حكومته لاتخاذ موقف أو قرار معين إزاء حالة أو دولة ما. وبتراكم وتلاقي هذه الآراء العامة والوطنية لعدد كبير من الدول يولد الرأي العام الدولي وقوته المعنوية.

إن احترام صناع القرار في مختلف الدول للرأي العام الدولي يمنح للدولة إمكانات واسعة في إقامة علاقات حسنة مع الدول الأخرى.

وعلى الرغم من الملاحظات التي ذكرناها حول ظاهرة الرأي العام الدولي، إلا أننا لا يمكن أن نقلل من شأنها، ذلك أن الدول تحاول استخدام الرأي العام الدولي لخلق السمعة الدولية لها في نطاق العلاقات الدولية، وبالتالي النظر إليها

---

(١) الدكتور إسماعيل صبري مقلد، العلاقات السياسية الدولية – دراسة في الأصول والنظريات، مصدر سبق ذكره، ص ٨١-٨٢.

كوحدة من الوحدات المهمة في السياسة الدولية"[١].

وإن أحد أهم العناصر الخطيرة والحاسمة لقرار أية حكومة هو ماذا عليهم أن يفعلوا ليعكس "عقائدهم أو أفكارهم حول اللياقة، والذوق، والعدل، والأخلاقية، والنظام، والقانون الدولي والتاريخ؟"[٢]. وذلك لإعطاء الانطباع الدولي بأن قراراتهم السياسية الخارجية هي قرارات شرعية.

ورغم واقع السياسة الدولية وتشابك العلاقات الدولية بفعل التطورات العلمية والتكنولوجية والاقتصادية والثقافية، وبفعل ثورة الاتصالات التي دفعت إلى ظهور التنافس الدولي في عدد من المجالات، إلا أنه لا يزال البعض ينظر إلى المجتمع الدولي على أنه يتضمن العديد من القيم الأخلاقية، ولا تزال بعض الدول تبني سياستها الخارجية على أسس أخلاقية نبيلة.

---

(١) أحمد نوري النعيمي، "الأبعاد المؤثرة في السياسة الخارجية"، مصدر سبق ذكره، ص٩١. وللمزيد من المعلومات راجع: الدكتور فاضل زكي محمد، السياسة الخارجية وأبعادها في السياسة الدولية، مصدر سبق ذكره، ص ٧١-٧٣.

اعترف أحد وزراء الخارجية الفرنسية أمام الجمعية الوطنية الفرنسية بأهمية الرأي العام الدولي عندما قال: (كل يوم يمر يأتي بحصاد مر جديد من الإهانات لكرامة البشر، ولكن الرأي العام الدولي أصبح أكثر حساسية ويقظة إلى الدرجة التي لا تستطيع معها أية دولة أن تنأى بنفسها تمامًا عن نطاق هذا الضغط الدولي، بل تضطر بشكل أو بآخر إلى أن تقدم كشف حساب إلى هذا الضمير العالمي الذي بدأ يطفو على السطح). راجع: مارسيل ميرل، سوسيولوجيا العلاقات الدولية، مصدر سبق ذكره، ص٤٣٣.

(2) Fisher, Roger, International Conflict, Harper and Row Publishers New York, P.128.

إن إحدى أهم المعضلات التي يواجهها صانع القرار "المعضلة الأخلاقية، معضلة الحق والباطل التي تثار في العلاقات الدولية مثلما تثار في العلاقات الاجتماعية والأمم كالأفراد تنشد السير في طريق الحق أو تدعي أنها تسير بالفعل في هذا الطريق"[١].

إحدى السمات لما يسمى بالنظام الدولي الجديد هو التناقض بين الأقوال والأفعال؛ ففي الوقت الذي يتم فيه المناداة بمبادئ كالديمقراطية وحقوق الإنسان وضرورة قيام نظام دولي أساسه المساواة والعدالة، نرى هناك تناقضًا على صعيد التطبيق من الدول الداعية إلى هذه المبادئ، فدول المركز ولا سيما الولايات المتحدة تعمل على إرساء مفاهيم في المجالات السياسية والاقتصادية والثقافية في معظم أنحاء العالم بأساليب مختلفة، فضلًا عن أنها تعمل على إجهاض أي توجه أو إجراءات من شأنها أن تتقاطع مع مصالح وإستراتيجية المركز.

من ناحية أخرى نجد أن الدعوة إلى السلام في العالم (سلام ينبع من المركز ويتواءم مع مصالحه) يقابلها عدد غير قليل من الصراعات الإقليمية بين الدول وصراعات داخلية في الدولة الواحدة؛ أي أن هنالك مناطق تتسم بعدم الاستقرار، وإن الكثير من هذه الصراعات يتم تغذيتها عن طريق دول المركز، أو تسهم في تسويتها وفق ترتيبات تتلاءم وتوجهاته العامة.

لقد ذهبت التحولات في النظام الدولي إلى إلغاء مفاهيم كانت تعد من ضمن المفاهيم الأخلاقية والدولية، وتتميز بقدسيتها وثباتها، "بل تحولت إلى قضية أخلاقية تخضع لوجهات النظر المختلفة، ولعل مجرد إلقاء نظرة على أحداث

---

(١) مكريدس، وتومبسون، نظريات السياسة الخارجية ومعضلاتها، مصدر سبق ذكره، ص ٧٠.

السياسة الدولية تكشف عن مظاهر تآكل مفاهيم السيادة، وأن عمليات التدخل والاختراق أصبحت أحد تقاليد النظام العالمي الجديد"[١].

كما تحولت المساعدات الاقتصادية من مساعدات على أسس الصداقة والتعاون إلى مساعدات مشروطة تستهدف الدولة المقدمة لها أن تحصل على تنازلات من الدولة المستفيدة منها، وقد تأخذ هذه المساعدات صفة عقابية عندما تقرنها باتخاذ قرار أو موقف محدد من قبل الدولة المستفيدة لصالح الدولة المانحة للمساعدات.

وقد تبدو هذه الأفعال بعيدة عن الأخلاقية الدولية، وهي مبنية على أسس قوة النفوذ والمال وليس على القانون والشرعية الدوليين.

إن اختراق السيادة الوطنية والاستقلالية والتدخل في الشئون الداخلية - ومنها الاقتصاد والتعليم مثلًا- انسحب على الدول الكبرى والمتقدمة "فالولايات المتحدة الأمريكية تطالب اليابان بأن تعيد بنية شبكتها ذات التوزيع الصغير، مهددة هكذا بإلغاء حلقة اجتماعية من أصحاب المتاجر الصغيرة، وكذلك الثقافة والبنى التي تمثلها، وفي المقابل تطلب اليابان من الولايات المتحدة أن تدخر أكثر وأن تفكر على المدى البعيد وأن تعيد تنظيم نظامها التربوي، وكانت هذه المطالب تعد في الماضي بمثابة تعديات غير مقبولة ضد السياسة القومية"[٢].

---

(١) الدكتور صلاح سالم زرنوقة، "أثر التحولات العالمية على مؤسسة الدولة في العالم الثالث"، مجلة السياسة الدولية، العدد ١٢٢، ص٧١.

(٢) ألفن وهايدي توفلر، الحرب والحرب المضادة.. الحفاظ على الحياة في القرن المقبل، مصدر سبق ذكره، ص ٤٠-٤١.

ويدور السؤال الآن حول العمل الذي بالإمكان أن يتطابق مع مبادئ الأخلاقية الدولية، هل هو الذي تنطبق عليه صفة الخير؟ وهذا العمل هو العمل الذي ينطبق مع ولائنا الوطني أو القومي أم المنسجم مع غاية أوسع وأكبر؟

لهذا السؤال جواب خاص: "فالأخلاق السياسية غير القانون المجرد أو العدالة، فهي تنشد نقطة توافق بين القيمة الخاصة والعامة بدلًا من أن تنشد تضحية الجزء من أجل الكل، وتقوم السياسات على رواسب أنانية ومصالح ذاتية تتمثل فيها إمكانات الأفراد والجماعات الخلاقة. وعلى المجتمع الدولي أن يحذر من الولاءات الخاصة المتطرفة التي ترى أن لها حق القضاء على الجار الأضعف، فإذا ما تخلص من هذه النزعات أصبح بوسعه أن يتعهد الغايات الوطنية وأن يتدبر أمرها"[١].

وقد تعاظم دور الرأي العام الدولي في السنوات الأخيرة بسبب التطور التقني في وسائل الإعلام كافة سواء على مستوى الإعلام المكتوب مع الصحافة والطباعة، أو الإعلام المرئي مع التطور الكبير للإذاعة، وهنا يذكر الإعلاميون دور إذاعة B.B.C التي احتلت مكانة بارزة وقتئذٍ باستخدامها أكثر من ثلاثين لغة، جاءت شبكة الـCNN لتأخذ هذا الدور في إعداد الرأي العام الدولي لصالح القوى الغربية في قضايا دولية معينة مثل الصومال ويوغسلافيا السابقة وأفغانستان، في حين لم تستطع دول العالم الثالث أن تصمد أمام خمس وكالات عالمية للأخبار احتكرت الإعلام الدولي، والتي تتكون من ثلاث وكالات أمريكية وواحدة فرنسية والأخرى روسية[٢].

---

(١) مكريدس وتومبسون، نظريات السياسة الخارجية ومعضلاتها، مصدر سبق ذكره، ص ٧٠.

(٢) وهذه الوكالات هي: United Press. Associated Press،Rwuter ، والـ A.F.P،Interfax

=

ب- **التكتلات الدولية:**

إن التغيرات التي طرأت على العالم بعد أن وضعت الحرب العالمية الثانية أوزارها، حدت ببعض الدول إلى تشجيع سياسة التحالف والتكتلات، فكان لا بد لهذه التغييرات أن تفرض نماذج سلوكية جديدة؛ إذ قامت بعض الدول بخلق أحلاف مع الأقطار المجاورة والصديقة لها بغية تحقيق أهدافها، الأمر الذي ارتبط في كثير من الأحيان بظهور التكتلات.

وكان لا بد لهذه التطورات في السياسة الدولية أن تترك تأثيرها الواضح على عملية صنع القرار في السياسة الخارجية، فعلى حين تضع الكتل معايير للسلوك تحكم علاقة أعضائها فإنها أيضًا تضع معايير للسلوك تجاه الدول المعادية والمحايدة[١].

ويتضح من ذلك أن المنازعات بين الدول الأعضاء في داخل هذه التكتلات تفرض اتجاهات سلوكية معينة لها أثرها على عملية صنع القرار في السياسة الخارجية، فهي مضطرة إلى أن تسلك نهجًا معينًا بفضل الضغوط السياسية والاقتصادية والعسكرية النابعة من عضويتها في مثل هذه التكتلات[٢].

=

وصفت مادلين أولبرايت وزيرة خارجية الولايات المتحدة السابقة هذه الوكالات بأنها العضو السادس في مجلس الأمن (ذات العضوية الدائمة + القدرات النووية). راجع: د. ريمون حداد، مصدر سبق ذكره، ص ٤٠٠.

(1) Frankel, Op.Cit., PP.64-69.

(٢) إن المنازعات بين الدول الأعضاء داخل حلف شمال الأطلسي قد أدت إلى تعدد مراكز القوى فيه، وكان لهذه الظاهرة أثرها الحاسم على اتخاذ القرار السياسي الخارجي من ناحية، واضمحلال النفوذ الأمريكي داخل الحلف من ناحية أخرى؛ لأن الولايات المتحدة كانت لها الأولوية في اتخاذ القرار السياسي والعسكري وتنفيذه.

=

ج- المنظمات الدولية:

إن ظهور المنظمات الدولية والإقليمية بعد الحرب العالمية الثانية أدى إلى نشاط دبلوماسي بين الدول، وإلى التنسيق في الآراء والمواقف تجاه المشكلات الدولية المختلفة، وأدى بالتالي إلى اتباع نماذج سلوكية واختيار بدائل معينة تتفق مع سياستها الخارجية؛ إلا أن الدول غالبًا ما تلتزم بمواثيق هذه المنظمات إذا ما وجدت أنها تخدم مصالحها، ولا سيما أن مثل هذه المنظمات تفتقد إلى عنصر قوة الإلزام.

= إن نشوء المنازعات بين الدول الأعضاء في الحلف يعزى أساسًا إلى نشوء أزمة ثقة بين الولايات المتحدة والدول الأعضاء نتيجة بروز نزعات استقلالية فيه من جهة، وتغيير إستراتيجية الحلف من ناحية أخرى، فيما يخص الأولى نرى أن فرنسا تزعمت هذه الحركات الاستقلالية داخل الحلف؛ لأنها منذ تولى الجنرال ديغول رئاسة الجمهورية فيها تحاول تعديل ميثاق حلف شمال الأطلسي وجهازه العسكري، لدرجة أن تكون القيادة فيه لمجلس ثلاثي يضم كلًّا من الولايات المتحدة وبريطانيا وفرنسا، كما أن فرنسا تقترح تبني نوع من اللامركزية السياسية في أوروبا، وبالتالي لا بد أن يؤدي هذا الدور على المدى البعيد إلى استبعاد النفوذ الأمريكي من أوروبا. وبعد أن فشلت فرنسا في إقناع حليفاتها داخل الحلف بالأخذ باقتراحها انسحبت بصورة رسمية من الجهاز العسكري للحلف عام ١٩٦٦.

أما بالنسبة للنقطة الثانية فإن الأزمة ارتبطت بتغير السياسة الخارجية للمنظومة الأوروبية من الخطر الشيوعي وقتئذٍ؛ لأن الغرض من خلق حلف شمال الأطلسي هو الوقوف ضد تسرب الشيوعية إلى أوروبا الغربية، أما فيما بعد فقد نشأت علاقات بين دول الحلف والمعسكر الاشتراكي. للمزيد من التفاصيل راجع:

Ole R. Holsti, Alliance&Coalition Diplomacy, In World Politics An Introduction, pp338- 340.

ومع ذلك فإن المنظمات الدولية من الممكن أن تمارس وسائل الضغط على صانعي القرار من ناحية، ومن ناحية أخرى تمهد لتعبئة الرأي العام الدولي. إن بإمكاننا أن نذهب إلى القول بأن خلق عصبة الأمم بعد الحرب العالمية الأولى وما أعقبها من تطورات معينة بعد إنشاء الأمم المتحدة والوكالات المتخصصة التابعة لها، وانبثاق منظمات إقليمية بعد الحرب العالمية الثانية، قد أسهم إلى حد بعيد في نقل قواعد السياسة الداخلية إلى المجال الدولي، وبصورة عامة فإن ديناميكية المنظمات الدولية في التأثير على عملية صنع القرار السياسي الخارجي تعتمد على مدى قوة هذه المنظمات، ومدى اهتمام صانعي القرار بالانضمام إليها ومراعاة وجهة نظرها.

لنستطيع أن نفهم هذه التطورات علينا أن نؤكد على الحقائق الآتية:-

١- إن العمل السياسي في نطاق المنظمات الدولية قد مهد السبيل لخلق الدبلوماسية البرلمانية مقارنة مع ما يجري في البرلمانات من مناقشات ومناظرات، وما يوضحها من قواعد وإجراءات تحكم نظام الاجتماعات والمؤتمرات الدولية على غرار الأنظمة المتبعة في الاجتماعات البرلمانية، وهذا يعد تطورًا جديدًا لقواعد فن المفاوضة، يختلف اختلافًا جذريًّا عن الدبلوماسية القديمة التي اتسمت بطابع من الكتمان والسرية في أعقاب الحرب العالمية الأولى[١].

وبإمكاننا أن نقول في هذا الصدد: إن مواهب جديدة تنبثق من نطاق العمل السياسي الخارجي لم تكن الدبلوماسية التقليدية على بينة منها لا من قريب ولا

---

(١) الدكتور عز الدين فودة، مصدر سبق ذكره، ص ١٧٩.

من بعيد. وبعبارة أخرى: إن الدبلوماسية في نطاق المنظمات الدولية إذا لم تساير القواعد الجديدة التي غزت عملية الاتصال الدولي نتيجة للتطور التكنولوجي بعد الحرب العالمية الثانية، لم يحكم عليها إلا بالإخفاق.

٢- إن نقل قواعد السلوك الداخلي في إطار المنظمات الدولية قد أدى إلى تفاعل وتلاحم بين صانع القرار ومساعديه عن طريق مؤتمرات القمة، وجدير بالإشارة أن مؤتمرات القمة لم تكن ظاهرة جديدة في السياسة الخارجية، ولكن الجديد فيها هو أسلوب العمل، وهذه النقطة بحاجة إلى توضيح؛ فلا بد أن نقول في البداية: إن مؤتمرات القمة تفترض لقاء مسبقًا بين فئتين من الخبراء، أو بمعنى آخر: إن هذه المؤتمرات تفترض تقابلًا بين خبيرين للسلطة وكل منهما مع مساعديه، بحيث يتم اللقاء النهائي إلى لقاء القمة، وقد تحددت مقدمًا أبعاد الاتفاق ونقطة التلاقي، وقد ساعدت المؤتمرات في ظهور نوع جديد من الدبلوماسية بالإمكان تسميتها بالدبلوماسية التكنوقراطية.

والحق أن هذا النوع من الدبلوماسية كثيرًا ما يستخدم كأداة للدعاية بغية الفوز في الانتخابات على مستوى السياسة الداخلية. وهنا يفسر لنا الأستاذ الدكتور حامد ربيع أن رحلة نيكسون إلى الصين الشعبية في بداية عام ١٩٧٢ إنما كانت إعدادًا لمعركته الانتخابية، نجد في هذا المثال التلاحم بين العمل السياسي الداخلي والعمل السياسي الخارجي على الرغم من هذا الفارق الوظيفي بينهما[(١)].

---

(١) الدكتور حامد ربيع، الحرب النفسية في المنطقة العربية، المؤسسة العامة للدراسات والنشر، بيروت، ص١٣٢-١٣٩.

إن اهتمام الولايات المتحدة بالصين يعود أساسًا إلى الرئيس الأمريكي ثيودور روزفلت، عندما تحدث إلى الممثل الصيني تونغ شاوبي في كانون الأول من العام ١٩٠٨ قائلًا: "إنه من المفيد، =

=

وليس من المضر للدول الأخرى أن تكون أية دولة مستقرة ومزدهرة وقادرة على الحفاظ على السلام ضمن حدودها، وقوية بما فيه الكفاية، بحيث لا تتعرض للعدوان من الخارج، ونحن نأمل بقوةٍ تقدمَ الصين، وسوف نبذل كل ما في وسعنا بالوسائل السلمية والقانونية الممكنة نحو مواصلة ذلك التقدم".

كان هناك اعتقاد من غالبية الرأي العام الأمريكي بأن الولايات المتحدة تبنت قضية الصين ضد اليابانيين والأوربيين، ابتداء بمذكرات الأبواب المفتوحة التي أرسلت من واشنطن إلى الدول الكبرى، حين كان بقاء الصين كدولة يتعرض للتهديد في سنوات ١٨٩٩ و١٩٠٠. ويكفي أن نذكر في هذا المجال وقوف الولايات المتحدة مع الصين ضد اليابان خلال الحرب العالمية الثانية.

والحق، عند نشوء الصين الشعبية في الأول من تشرين الأول من العام ١٩٤٩، دخلت العلاقات الأمريكية الصينية في حالة من التوتر.

وفي هذا السياق يقول ماو تسي تونغ: "إذا انسحبت القوات الأمريكية من فرموزا (تايوان) فقد يكون في الإمكان عودة العلاقات الصينية - الأمريكية إلى حالة طبيعية على أسس مبادئ التعايش السلمي". فضلًا عن طلب الصين الشعبية المحادثات الدورية بين سفراء البلدين في وارشو في ٢٠ شباط ١٩٦٩.

في حقبة زيارة نيكسون في شباط ١٩٧٢ كانت الولايات المتحدة ما تزال تعترف بتايوان على أنها الحكومة الشرعية الوحيدة للصين، وكانت الولايات المتحدة تبعث الوفود إلى الصين الشعبية وهي لم تعترف بها، وفي الوقت نفسه كانت في حالة حرب مع فيتنام الشمالية، التي كانت حليف الصين الموثوق به والمستفيد من مساعداتها الاقتصادية آنذاك، فضلًا عن بعض المساعدات العسكرية.

لم يُضِعْ ماو وقته في حل هذه التعقيدات، فتايوان لن يسمح لها بأن تكون عقبة في وجه التقارب الصيني الأمريكي، ولا الهند الصينية". مسألة تايوان ليست مسألة مهمة كما قال ماو بصراحة في الدقائق الأولى للقائه مع نيكسون كما لو أنه كان يجري حديثًا وديًّا بشيء من الثقة بالنفس. وتابع: "قضية الوضع الدولي هي القضية الهامة". وهكذا أراح ماو بسرعة الولايات المتحدة من كابوس الحرب الكورية المزعج، وهو الخوف من تدخل الصين الشعبية في فيتنام،

=

=

الذي كان يقلق كل إدارة أمريكية في مجرى الحرب في الهند الصينية. وقال بصراحة: إن الجيوش الصينية لن تغادر حدودها بغض النظر عما يجري في الهند الصينية (وهو ما لم يقله ماو من قبل). راجع: هنري كيسنجر، سنوات التجديد، المجلد المستخلص لمذكراته، ترجمة د. هشام الدجاني، مكتبة العبيكان، السعودية، ٢٠١٠، ص ١٢٤.

أما من جانب الولايات المتحدة فقد قام الرئيس نيكسون (كان ريتشارد نيكسون، نائب الرئيس إيزنهاور ومرشح انتخابات الرئاسة الخاسر في العام ١٩٦٠) في كانون الثاني ١٩٦٩ بإعادة النظر في السياسة الخارجية الأمريكية تجاه الصين الشعبية، ومن خلال وزير خارجيته وليم روجرز الذي سلم رسالة إلى الرئيس الباكستاني يحيى خان في ٢٤ مايس ١٩٦٩ أكدت رغبته في تحسين العلاقات مع الصين الشعبية.

ولا بد أن تكون هناك أسباب دفعت الولايات المتحدة إلى اتخاذ مثل هذا القرار، من بينها: إعداد المعركة الانتخابية القادمة لنيكسون، وممارسة الأوساط الأكاديمية والمؤسسات الرسمية ودور جماعات الضغط والمصالح في داخل الولايات المتحدة من أجل التعامل مع الأوراق الصينية، كما أن نيكسون اتفق مع توقعات كبار المسئولين في وزارة الخارجية الأمريكية على أن الصين الشعبية قد تساعد الولايات المتحدة على إنهاء الحرب في فيتنام، ومساندتها المساعي الأمريكية ضد الاتحاد السوفيتي. هنا لا بد من القول بأن اتصالات أعضاء السفارة الأمريكية في بكين في بداية الأمر مع المسئولين الصينيين ومع شرائح الرأي العام الصيني كانت ضئيلة جدًّا، إنهم لا يرغبون في مثل هذه الاتصالات، كل شي ء رمادي في الصين الشعبية، وكما يقول جورج بوش: إنها تشبه غرب تكساس من عدة وجوه، كثير من الغبار في الجو أحيانًا، وفريد أغبر أحيانًا. وعليه، نرى أن العاملين في وزارة الخارجية الأمريكية كانوا يخشون إلى حد الذعر السياسة الخارجية الأمريكية إزاء الصين الشعبية، فكيسنجر كان يحتفظ بالأوراق لنفسه، بحيث يجعل الموظفين في قسم آسيا الشرقية غير راغبين بالقيام بأية مبادرة. من ناحية أخرى، قضية تايوان كانت موضوعة على السياسة الداخلية وقتئذٍ نظرًا لارتباطها بالسياسة الداخلية. وفي هذا الشأن كتب جورج بوش الأب عندما كان في الصين الشعبية عن طريق الجنرال سكوكروفت -كان رجل كيسنجر الثاني في مجلس الأمن القومي، وكانت له علاقات صميمة مع بوش الأب، كما كان من أكثر الموثوقين بالنسبة للأخير بوصفه

=

=

مستشارًا للأمن القومي، عندما غدا الأب رئيسًا للجمهورية- رسالة إلى الرئيس الأسبق ريتشارد نيكسون، جاء فيها: "ينبغي التنبه إلى عدم تحول هذه المسألة إلى سلاح أساس في يد معارضيك سواء كانوا من الجمهوريين أو الديمقراطيين، فبعضهم قد يحاول أن يصور الزيارة إلى الصين -بدون حل نهائي لمشكلة تايوان- بمثابة إخفاق دبلوماسي، وعجز عن حل المشكلات العسيرة، فيما سيشرع آخرون على الفور وبخاصة من الجناح اليميني في انتقاد الزيارة في حد ذاتها، وسيحرصون على أن ينتقدوا على الفور أية تنازلات، معدين إياها تفريطًا في تايوان، وأرى أن يشجع أي صديق موثوق لا يرغب في الانغماس في هذا التخطيط على التفكير في زيارتك للصين بعيدًا عن المضامين السياسية الداخلية لهذه الزيارة، لقد تناقشت مع وزارة الخارجية من قبل حول اتخاذ ما يلزم بسرعة لتقليص التوقعات، فكثير من الصحفيين يقول: "لا يمكن للرئيس أن يذهب إلى الصين بدون أن يحل مشكلة تايوان". ومن مصلحتكم أن يستبعد مثل هذا الكلام، بحيث تكون التوقعات واقعية وليست حماسية، وألا تعد زيارة لا تحل مشكلة تايوان الكبيرة بعد هذا إخفاقًا دبلوماسيًّا". راجع:

Hinton Harold C., The peopl's Republic of China: Ahandbook, U.S.A and London, Westview and Dowson, 1979, P.393.

وجورج بوش، حياتي في رسائل وكتابات أخرى، ترجمة د. هشام الدجاني، مكتبة العبيكان، الرياض، ٢٠٠٢، ص ٢٨٨، ٢٩١، ٣٢٤ – ٣٢٦.

يقول الرئيس بوش الأب عند زيارة كيسنجر إلى بكين: "انقضت زيارة كيسنجر على ما يرام، كان ممتنًّا لي أكثر من أي وقت مضى، لقاء ماوتسي تونغ كان لحظة فريدة من لحظات الحياة، إنه عجوز ولديه مشكلة في الكلام، ولكنه ما يزال حاد الذهن". راجع: جورج بوش، حياتي في رسائل وكتابات أخرى، مصدر سبق ذكره، ص ٣٣٥.

كل هذه الأسباب دفعت الرئيس نيكسون إلى أن يعلن في ١٥ تموز ١٩٧١ رغبته في زيارة الصين الشعبية في بداية عام ١٩٧٢، وتحدث نيكسون في خطابه عن حالة الاتحاد إلى الكونغرس في شباط من العام ١٩٧١ عن الحاجة إلى إجراء حوار مع الصين الشعبية، ودعا إلى إيجاد مكان لحكومة بكين في الأمم المتحدة، دون أن يضحي بموقف جمهورية الصين الوطنية في تايوان. وفي هذا الشأن يقول نيكسون في مذكراته: "وقد مضى الآن أقل من عقد من الزمن على الانفتاح

=

=

على الصين الذي بدأ في عام ١٩٧٢، وقد تغيرت علاقاتنا، وكذلك تحول موقف الصين من العالم، لقد كان ماو يتمتع بالسلطة لإيجاد التحول والاتجاه نحو الولايات المتحدة، وكان لدى خلفائه الحكمة للاستفادة من ذلك التحول، ولتغيير سياسة ماو، بحيث يمكن تحقيق الاستفادة من الفرص التي خلقتها". راجع: مذكرات الرئيس نيكسون الحرب الحقيقية، ترجمة الدكتور سهيل زكار، دار حسان للطباعة والنشر، دمشق، ١٩٨٣، ص١٩١، ١٩٦. ووارين أي. كوهن، "نيكسون في الصين نقطة تحول في تاريخ العالم"، أجندة السياسة الخارجية، وزارة الخارجية الأمريكية، مكتب برامج الإعلام الخارجي، (بلا) نيسان - أبريل، ٢٠٠٦، ص ٢٨-٢٩.

وقد تحققت هذه الزيارة في المدة الواقعة بين ١٢-٢٧ شباط ١٩٧٢، وقد وصف نيكسون هذه الزيارة بأنها: "رحلة إلى السلام، ليس فقط لجيله بل لأجيال المستقبل". وقد تكللت زيارة نيكسون إلى الصين الشعبية في العام ١٩٧٢ بتوقيع بلاغ شنغهاي مع رئيس وزراء الصين الشعبية شو إن لاي يتعلق معظمه بقضية تايوان، وقد وافقت الولايات المتحدة بحذر على وجهة النظر الصينية القائلة بوجود "صين واحدة"، وأن المسالة ينبغي أن تسوى بين الصينيين أنفسهم. راجع: جورج بوش، حياتي في رسائل وكتابات أخرى، مصدر سبق ذكره، ص ٣٤٣. ونتيجة لذلك، أقامت الولايات المتحدة والصين الشعبية في العام ١٩٧٢ مكتبي اتصال، أي سفارتين دون تسميتهما بذلك في عاصمتي الدولتين. ليس كليًّا، فبعد عام على ذهاب نيكسون إلى الصين الشعبية اقترح جيم ليلي -المولود في الصين الشعبية والذي عمل على مدى عشرين عامًا جاسوسًا لأمريكا في آسيا- أن ينضم إلى مكتب الارتباط الأمريكي الذي سيفتح قريبًا في بكين، وستكون هذه أول بعثة دبلوماسية أمريكية منذ أن تولى ماو السلطة منذ ما يقارب الربع قرن مضى، وحصل ليلي على الإذن بذلك، وعمل على مدى عامين بوصفه أول رئيس محطة في بكين، وفي وقت لاحق تحت إمرة جورج هيربرت ووكر بوش، وكان ذلك قبل أن يصبح بوش مديرًا للاستخبارات المركزية في عام ١٩٧٦، وتم صراحة إبلاغ الحكومة الشيوعية الصينية بوضع ليلي كضابط في "السي آي. أيه"، وتم القبول به بشرط واحد: لا تجسس، ولا يمكن ليلي أن يجند عملاء للتجسس أو يقوم بعمليات خفية... وإلا. وضع ليلي لائحة مشفرة بالأهداف المستقبلية بالوقت المناسب لليوم الذي قد تفتح فيه "السي. آي. أيه" محطة حقيقية في بكين، إلا أنه تم اعتراض سبيله إلى أن جاء بوش وأخذ الدبلوماسي المبطن الودود ليلي تحت

=

=

جناحه، وجاء به إلى حفلات الاستقبال للقاء كبار المسئولين الصينيين، وعرفه إلى بقية أعضاء السلك الدبلوماسي، واستذكر ليللي قول بوش له: "أريدك أن تكون جزءًا من عملي، أريد العمل معك وجعلك عضوًا في الفريق". وتصادق ليللي بالتالي مع زعيمي الولايات المتحدة والصين الشعبية المقبلين، بوش ونائب الرئيس دنغ شياو بيتغ الذي تشبث به ليللي، والذي سيبرز كرئيس للنظام الذي تولى السلطة إثر وفاة ماو. (اعتاد دينغ القول بأنه من غير المهم للهر أن يكون أبيض أو أسود ما دام يلتقط الفئران. ولأمكن أن يكون رئيس محطة جيدًا). شرع دينغ وليللي وبوش في العمل معًا، واتفق الأصدقاء الجدد من حيث المبدأ على جميع الاستخبارات العسكرية والإستراتيجية والتكنولوجية ضد الاتحاد السوفيتي عندما يصبح الوقت مواتيًا، عاد بوش وليللي إلى الصين الشعبية بوصفهما مواطنين عاديين، وأقنعا دينغ بفتح الصين الشعبية أمام شركات النفط الأمريكية، وأنجزت صفقة الاستخبارات كليًّا في عام ١٩٨٩ بعدما عين الرئيس بوش جيم ليللي سفيرًا أمريكيًّا في الصين الشعبية.

تحمل الصينيون الكثير كي يبينوا أن الصداقة الصينية ليست ظاهرة عرضية، وذلك من خلال إبداء الاهتمام برجال الدولة المستقلين في العالم والذين كانت لهم علاقات طيبة مع الصين الشعبية عندما كانوا في السلطة (وخير مثال على ذلك عندما أرسل ماو طائرة إلى نيكسون لتأتي به إلى الصين عام ١٩٧٦، في الوقت الذي كان فيه بعض السياسيين في الولايات المتحدة يتجنبون الاتصال مع رئيس سابق).

يميل صانعو السياسة الأمريكيون إلى الجمع ما بين الجانب البراغماتي والتبشيري، بين العملي والمثالي؛ ففي الجانب الصيني كانت هذه الفجوة يتم تجاوزها بالتحليل الجيوسياسي الدقيق – نظرة إستراتيجية يرافقها إصرار كبير، بينما يميل المفاوضون الأمريكيون إلى استخدام المفاهيم القانونية، ويولون أهمية كبيرة للوثائق القانونية، ويؤمن رجال الدولة الصينيون بأن ما يُبقي على الاتفاقيات هو بناء إجماع حول المصالح المشتركة، ذلك أن الالتزامات القانونية في نظرهم لا يمكن أن تستمر طويلًا؛ لذا كثيرًا ما يطرحون قضاياهم في صورة اشتقاق أو استخلاص من تاريخهم الذي يعود إلى خمسة آلاف سنة.

راجع وارين أي. كوهن، "نيكسون في الصين نقطة تحول في تاريخ العالم" مصدر سبق ذكره، ص ٣٠. ووتيم واينر، مصدر سبق ذكره، ص ٧٩١ – ٧٩٢. وهنري كيسنجر، سنوات التجديد، مصدر =

تحاول الإدارات الأمريكية المتعاقبة من خلال التكنوقراط أن تحدد أهدافها بطريقة تتسم بالعلانية، فعلى سبيل المثال قام الرئيس الأمريكي الأسبق إيزنهاور بتشكيل لجنة في عام ١٩٦٠، تكونت من جنرال وقاض، واثنين من رجال الصناعة، وبعض من عُمداء الكليات في الجامعات الأمريكية، ورئيس للنقابات العمالية، لوضع "الخطوط العريضة لسياسات وبرامج قومية متناسقة"، ولتحديد مجموعة من الأهداف القومية في المجالات كافة، وقد أنجز هؤلاء تقريرهم الذي تم تسميته بـ"أهداف من أجل الأمريكيين"[١].

والحق، لم يكن لهذه اللجنة أي تأثير على شرائح الرأي العام ولا على السياسة العامة للدولة، وعند مجيء الرئيس جونسون إلى السلطة قام بتنسيق الأولويات الحكومية من أجل تطبيق "نظام التخطيط والبرمجة ووضع الميزانيات على مستوى المؤسسات الفدرالية كافة، وقد كان هذا النظام عبارة عن أسلوب لربط أوثق -بطريقة تتسم بالعقلانية- للبرامج بالأهداف التنظيمية[٢].

أما الرئيس نيكسون فقد تناول موضوع الأهداف بطريقة أخرى؛ إذ وجد داخل البيت الأبيض "هيئة بحث الأهداف القومية"، التي تكونت من هيئة

=

سبق ذكره، ص ١١٩. و:

Choudhury, Glam W. China in World Affairs: The Foreign Policy of PRC Since 1970, U.S.A., Westview Press, 1982, P.39.

وللمزيد من التفاصيل حول ذلك راجع:

Kusnitz, Leonard A. Public Opinion and Foreign Policy, U.S.A, 1984, PP.131-146.

(١) ألفن توفلر، صدمة المستقبل المتغيرات في عالم الغد، ترجمة محمد علي ناصف، نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ط٢، ١٩٩٠، ص٤٩٨-٤٩٩.

(٢) المصدر نفسه، ص ٤٩٩.

صغيرة وفنية وعلى مستويات كبيرة، كي تقوم بمعالجة تخطيط الاتجاهات الاجتماعية[١].

وهذه المحاولات كان لها علاقة وثيقة بالفرضية التكنوقراطية التي تناولت الأهداف القومية والمحلية في آن واحد، ومن خلالها يتم التأكيد على اتخاذ القرارات من القمة، وفصل ذلك من القاعدة[٢].

إن هذا التفكير الذي له علاقة بالجانب الهرمي في الدولة الذي يبدأ بالقمة وينتهي في الأسفل، له مآخذه التي تتركز في الآتي[٣]:

أ- إن التخطيط التكنوقراطي يرجع إلى عهد الثورة الصناعية؛ إذ يؤكد النظام على تحقيق الرخاء والرفاهية المادية، من دون الحديث لعائدية ذلك إلى الأفراد أو الصالح العام؛ لأن هذا التخطيط بطبيعته تخطيط "اقتصادي المركز".

ب- إن التخطيط التكنوقراطي يركز على التخطيط ذي المدى القصير، والابتعاد عن الإستراتيجيات بعيدة المدى.

ج- التخطيط التكنوقراطي يعكس عصر التصنيع الذي بدأ في الانهيار في عصر الثورة المعلوماتية.

٣- الأسلوب الثالث هو الذي يوصف بدبلوماسية الصوت العالي التي تكونت عن طريق المنظمات الدولية، ويعني هذا الأسلوب أن الدبلوماسي يستخدم عبارات العنف والشدة في المفاوضات ليختلق المواقف، بغية أن يُحدث تأثيرًا

---

(١) المصدر نفسه، ص ٤٩٩.

(٢) المصدر نفسه، ص ٥٠٠.

(٣) المصدر نفسه، ص ٤٧٣.

معينًا لا على من يواجهه على مائدة التفاوض، وإنما على خلفية جماهيرية معينة، أو بمعنى آخر: على رأي عام معين بعيد عن مكان اللقاء، فخرتشوف عندما خلع حذاءه ووضعه أمامه في الجمعية العامة للأمم المتحدة معلقًا بأنه لو تكلم مندوب الفلبين فلا بد أن يستخدم تلك الأداة لإسكاته، لم يكن يقصد في واقع الأمر مندوب الفلبين، وإنما كان يتجه بحديثه إلى تلك القوى السياسية التي كانت قد بدأت تتحرك ضد الاتحاد السوفيتي، وهي حركة عصبية كما يبدو، ولكنها في الواقع خطوة محسوبة ومدروسة[١].

استخدم خرتشوف النهج نفسه من خلال تهديده إياه في لقائه الشهير مع الرئيس كيندي في فينا عام ١٩٦١، وحذا يلتسن النهج نفسه عندما حاول ابتزاز بيل كلينتون من خلال دبلوماسية الصوت العالي، محاولًا أن يظهر نفسه جيدًا أمام خصومه السياسيين في الداخل، ففي الأسبوع الأول الذي سبق القمة حاولوا أن يحاكموه في مجلس الدوما، إلا أنهم أخفقوا في ذلك، لكن تحركهم حصد عددًا كبيرًا من الأصوات[٢].

---

(١) الدكتور حامد ربيع، الحرب النفسية في المنطقة العربية، مصدر سبق ذكره، ص ١٣٩، قارن مع:
Beloff, Dimensions in Foreign Policy, 1961, P.117.

كان خرتشوف معروفًا بمراوغاته الملونة، والأسلوب اللاذع في أقواله وكلماته، حيث كانت روح المرح لديه هجومية وعدائية، وكانت الغاية منها اتخاذ سياسة التخويف لدى خصمه، وبمعنى آخر كان يستخدم أسلوب التحدي غير المنطوق والتلويح بمنطق التهديد أكثر مما هو عليه من إثارة الضحك. وفي هذا المجال يقارن نيكسون بين ذكاء تشرشل الذي اتصف بالحدة، في حين وصف دهاء خرتشوف بالحد الذي لا يقطع ويتسم بالصلف. راجع: ريتشارد نيكسون، القادة، مصدر سبق ذكره، ص٢٥٨.

(٢) كلينتون، مصدر سبق ذكره، ص٥١٤.

٤- فرضت المنظمات الدولية صورة من صور الاتصال الدولي، فالدبلوماسي الذي ينتمي إلى دولة معينة -وهو ما اصطلح على تسميته بالدبلوماسي العادي- تتحدد حركته في نطاق الاتصال الرسمي أو شبه الرسمي مع ممثلي الدولة المعتمد لديها، على العكس من ذلك يكون الدبلوماسي في نطاق المنظمات الدولية في اتصال مستمر يومي ودائم مع ممثلي جميع أعضاء المنظمة الدولية، كل هذا يفرض اتباع نماذج معينة من بين بدائل متعددة من السياسات الخارجية[١].

وهنا لا بد أن نؤكد أنه في أغلب الحالات لا تستطيع المنظمات الدولية سوى إصدار قرارات ليست في الواقع إلا توصيات لا تتمتع بأي تأثير ملزم؛ أي ليست مصحوبة بأية عقوبة في حالات عدم التزام الدول الأعضاء بتنفيذها، وهذا ما يحدث عادة. وهكذا عندما تتخذ الجمعية العامة للأمم المتحدة قرارًا بدعوة الدول الأعضاء إلى قطع علاقاتها الدبلوماسية مع الكيان الصهيوني كنوع من الاحتجاج على قراره بضم الجولان السورية، فإننا نجد أن الدول التي لا تمتثل إلى هذه الدعوة لا تتعرض إلى أي نوع من الملاحقة القضائية أو العقوبات المادية[٢].

لقد تضمن الميثاق التأسيسي لمجلس حلف شمال الأطلسي أو مجلس الجماعة الأوروبية النص صراحة على أهلية هذه الأجهزة في اتخاذ قرارات ملزمة في مواجهة الدول الأعضاء، ولكن اشتراط الإجماع لإمكان اتخاذ مثل هذه القرارات يخول كل دولة عضو التمتع في الواقع بحق الفيتو الذي تتمكن من خلاله من أن تمنع هذه الأجهزة من إقرار أي نص تعتقد أنه يتعارض مع مصالحها[٣].

---

(١) الدكتور حامد ربيع، نظرية الدعاية الخارجية، مصدر سبق ذكره، ص ٢٧.

(٢) مارسيل ميرل، سوسيولوجيا العلاقات الدولية، مصدر سبق ذكره، ص ٣٦٤.

(٣) المصدر نفسه، ص ٣٦٤.

والحق أن الدول لا تزال شديدة الحرص على استمرار تمتعها بصلاحياتها ومزاياها كاملة داخل المنظمات الدولية بأجهزتها التداولية كافة.

رفض أعضاء الجماعة الاقتصادية الأوروبية تطبيق أحد النصوص الأساسية في معاهدة روما التي كانت تهدف إلى التخلي عن مبدأ الإجماع عند التصويت والانتقال إلى مبدأ أخذ الأصوات بالأغلبية(١).

يبين الاستثناء الوحيد في هذا الصدد وهو مجلس الأمن الذي يملك كما ينص عليه الميثاق في الفصل السابع، سلطة اتخاذ القرارات وفرض تنفيذها بالقوة الجبرية إذا لزم الأمر(٢).

ولا يعني عجز المنظمات الدولية الحكومية في مجال اتخاذ القرار أن هذه المنظمات لا تمارس قدرة حقيقية على التأثير(٣)؛ لأن هذا التأثير يأخذ قنوات متعددة يمكننا إيجازها في الآتي(٤):

أ) الوظيفة الرئيسة التي تضطلع بها المنظمات الدولية تتمثل في أنها تتيح للدول إطارًا قائمًا لإجراء الحوار.

ب) نظرًا لعجز المنظمات الدولية عن اتخاذ المبادرة وعدم قدرتها على فرض الالتزام الصارم بالقانون نجدها تتدخل طبقًا للظروف لكي تضفي نوعًا من الحجية على بعض الأوضاع القائمة بالفعل، وتدخلها في إطار من الشرعية يجعلها بمنأى عن أطماع أو هجمات اللاعبين الآخرين.

---

(١) المصدر نفسه، ص ٣٦٥.

(٢) المصدر نفسه، ص ٣٦٥.

(٣) المصدر نفسه، ص ٣٦٦-٣٦٩.

(٤) المصدر نفسه، ص٣٦٦ – ٣٦٩.

ج) وظيفة المنظمات تتمثل في القيام بعمليات ميدانية تملك حيالها هذه المرة سلطة فعلية في اتخاذ القرار، فعندما يخص الأمر التصويت على اعتمادات مخصصة لبرنامج للمعونة والتنمية أو لمحو الأمية فإن قرارات المنظمات الدولية في هذه الحالة هي قرارات قابلة فورًا للتنفيذ، ونقلها إلى حيز التنفيذ يعني وقوع الاختيار على دول أو مشروعات بعينها، بل قد يحدث أحيانًا أن تقترن المساعدة المقدمة بشروط محددة وقاطعة تشكل في جوهرها ضغطًا خطيرًا على التوجهات السياسية والاقتصادية والاجتماعية للدول المستفيدة.

د) أما الوظيفة الرابعة التي تقوم بها المنظمات الدولية الحكومية فتكمن في القدرة الإعلامية المتاحة لهذه المنظمات. إن حجم الوثائق الإحصائية التي تنشرها هذه المنظمات كل عام في مختلف الميادين (السكانية والاقتصادية والمالية والاجتماعية والثقافية) يفوق كل خيال.

هـ) للمنظمات الدولية دور أشبه ما يكون بدور المحول الكهربائي في تخفيض التوتر الدولي على مستوى العالم.

هناك زيادة كبيرة للتنظيمات الدولية، حيث ازداد عددها من ٣٨ تنظيمًا دوليًّا حكوميًّا عام ١٩٤٩ إلى ٢٦١ تنظيمًا دوليًّا عام ١٩٧٧، وقد بحثت مجموعة من الدراسات أثر عصبة الأمم والأمم المتحدة في السلوك الصراعي للدول. وفي هذا المجال وجد هولستي أنه من بين سبعة وسبعين صراعًا دوليًّا حدث في المدة من عام ١٩١٩ حتى عام ١٩٦٥ تم حل ٢٣٪ منها من خلال المساعدة الكلية والجزئية للتنظيمات الدولية، ومن بين الثمانية والأربعين صراعًا التي وضعت على جدول أعمال عصبة الأمم والأمم المتحدة تم تسوية ٣٧٪ منها[١]. وكذلك وجد رايت

(١) لويد جنسن، مصدر سبق ذكره، ٢٩٤ – ٢٩٥.

أنه من بين ستة وستين نزاعًا سياسيًّا تناولتها عصبة الأمم تم تسوية خمسة وثلاثين منها بنجاح، كما تم تحويل عشرين نزاعًا منها إلى وكالات أخرى للنظر فيها، وقد تبين أيضًا أن معظم الأحد عشر نزاعًا التي فشلت العصبة في حلها قد حدثت في عام ١٩٣٥، مما يبرهن على سجل العصبة الممتاز في التسوية السلمية في المنازعات الدولية بين عامي ١٩٢٠ و١٩٣٥ (١). وقد تبين من دراسة لاحقة قام بها رايت لخمسة وأربعين صراعًا دوليًّا عرضت أمام الأمم المتحدة خلال السنوات العشرين التالية لإنشائها، أن تسعة منها لم تتضمن استعمالًا للقوة العسكرية، وأنه من بين الستة والثلاثين صراعًا التي تضمنت استعمال القوة العسكرية تم إنهاء الأعمال الحربية في عشرين صراعًا عن طريق وقف رسمي أو ضمني لإطلاق النار خلال السنة الأولى لاندلاع تلك الأعمال، وتصاعد أربعة عشر صراعًا لمدة تزيد على العام، بينما تحول صراعان فقط إلى مرحلة الحرب الشاملة. وعلى الرغم من أن هذه الدراسة قد كشفت عن السجل الجيد للأمم المتحدة في ضبط تصعيد الصراعات الدولية، فإنه لا يمكن أن نستخلص من هذه الدراسة أن الأمم المتحدة قد نجحت في تسوية هذه الصراعات(٢).

وفي دراسة أخرى تبين أن أقل من ٢٠٪ لما يزيد على مائة نزاع دولي حدثت منذ نهاية الحرب العالمية الثانية، قد أدت إلى صدور قرار من الأمم المتحدة يطالب بالامتناع عن التهديد باستعمال القوة. ومن بين المنازعات التي صدرت بصددها تلك القرارات تبين أن الأطراف المتنازعة لم تستجب لتلك القرارات إلا فيما يقارب نصف المنازعات فقط، ومن الواضح أن فعالية الأمم المتحدة في الحد من استعمال الأدوات القتالية في المنازعات الدولية قد تضاءلت على مر

(١) المصدر نفسه، ص ٢٩٥.

(٢) المصدر نفسه، ص ٢٩٥ – ٢٩٦.

الزمن، شأنها في ذلك شأن عصبة الأمم[١].

من جانب آخر وجد أن ١٨٪ فقط من ١١٦ نزاعًا دوليًا حدثت في المدة من عام ١٩٤٩ حتى ١٩٧٧ بين الدول الأعضاء، هي التي نجحت الأمم المتحدة والتنظيمات الإقليمية في تسويتها، وقد نجحت الأمم المتحدة في تسوية ١٩٪ من ٩٣ نزاعًا عرضت أمامها، ونجحت جامعة الدول العربية في ١٢٪ من ١٧ نزاعًا عرضت أمامها، ونجحت منظمة الدول الأمريكية في ٣٧٪ من ١٩ نزاعًا عرضت أمامها. ويرجع ارتفاع معدل نجاح منظمة الدول الأمريكية إلى هيمنة الولايات المتحدة عليها وقدرتها على توفير القوة العسكرية التي تضمن تطبيق قرارات المنظمة التي توافق عليها. ومن أمثلة ذلك قرار الولايات المتحدة بفرض الحصار البحري على كوبا عام ١٩٦٢، وهو القرار الذي تبنته منظمة الدول الأمريكية بعد صدوره[٢].

د- **الشركات متعددة الجنسيات:**

إلى جانب دراسة المنظمات الدولية بنوعيها الإقليمي والعالمي، هناك اهتمام من أساتذة السياسة الخارجية بدراسة المنظمات العالمية غير الرسمية في النظام السياسي الدولي، ولعل من بينها الشركات متعددة الجنسيات[٣].

مفهوم الشركات متعددة الجنسيات هو من أكثر المفاهيم صعوبة في التحديد والتعريف بدقة، فالمصطلح نفسه مشكوك فيه؛ لأن صفة متعددة الجنسيات

---

(١) المصدر نفسه، ص ٢٩٦.

(٢) المصدر نفسه، ص ٢٩٧.

(٣) الدكتور مازن إسماعيل الرمضاني، مصدر سبق ذكره، ص٢٧٣.

المقترنة به تنطبق في معظم الأحوال على شركات هي في حقيقة الأمر شركات وطنية أولًا وقبل كل شيء[١].

ولا يمكن للقانون أن يساعد في هذا المجال على أية صورة من الصور؛ لأنه يتجاهل أصلًا وجود هذه الظاهرة تجاهلًا تامًّا؛ فمن الناحية القانونية يكون لكل شركة من الشركات جنسية معينة، وهي تخضع من ثم لقانون الدولة التي تتمتع بجنسيتها[٢].

إن مصطلح الشركات متعددة الجنسيات تم استخدامه من أساتذة القانون الدولي العام، وهناك اتفاق بين هؤلاء على هذه التسمية طالما أن قيام شركات معينة بإنشاء فروع لها أو شركات تابعة ومنتسبة لها في الخارج يأتي وفقًا للقانون المحلي للدول المضيفة، مما يضفي على الأمر إيجاد شركات تحمل معنى التعدد[٣].

وقد اعترض على هذا المصطلح أساتذة الاقتصاد السياسي منطلقين من موضوع الأمر الواقع الفعلي بعيدًا عن المعيار القانوني، مؤكدين أن الشركات العاملة في الخارج تظل أساسًا تابعة لجنسية الدولة الأم سواء من حيث الولاء أو الهيمنة التي يحتفظ بها المقر الرئيس للشركات، وتبعًا لذلك استخدام هؤلاء مصطلح الشركات عابرة القومية، وقد استخدم هذا المصطلح المجلس الاقتصادي والاجتماعي بالأمم المتحدة[٤].

---

(١) مارسيل ميرل، سوسيولوجيا العلاقات الدولية، مصدر سبق ذكره، ص٤١١.

(٢) المصدر نفسه، ص٤١١.

(٣) الدكتور عبد الله هدية وآخرون، حوار الشمال والجنوب وأزمة تقسيم العمل الدولي والشركات المتعددة الجنسية، دار الشباب للنشر، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، ١٩٨٦، ص١١٥.

(٤) المصدر نفسه، ص١١٦.

إلى جانب ذلك هناك مدرسة أخرى عارضت تسمية الشركات عابرة القومية، مشيرة إلى أن قيام الشركات الاحتكارية في الدول الرأسمالية المتقدمة بإدارة عمليات وتسهيلات إنتاجية في الخارج لا يمثل إطلاقًا عبورًا للقومية؛ إذ تصبح الشركة الأصل والناشئة عن العمليات الدولية لهذه الشركات امتدادًا لذلك، وتصبح بالتالي مجرد أدوات تأثير للقومية والدولة الأم أساسًا[١].

وفي هذا المجال ينبغي أن نؤكد على أن مفهوم الشركات المتعددة الجنسيات هو من وضع هذه الشركات، وأول من استخدم ذلك هو شركة: الـI.B.M الأمريكية International Business Machine التي احتكرت وقتئذٍ صناعة الإلكترونيات والكمبيوتر على المستوى العالمي، وكانت الغاية من استخدام هذا المفهوم هي تغطية الاستغلال الذي تمارسه من خلال فروعها في العالم[٢].

عَرَّفَ باي M. Bye هذه الشركات بأنها: "عبارة عن مجموعة منتظمة من الوسائل الخاضعة لمركز موحد لاتخاذ القرارات، وقادرة على تحقيق قدر من الاستقلال الذاتي في مواجهة السوق، وتنتشر مؤسساتها المنتجة في أكثر من بلد واحد[٣].

عَرَّفَ الرئيس الشيلي Salvador Allende الشركات متعددة الجنسيات أمام الدورة التاسعة والعشرين للجمعية العامة للأمم المتحدة يوم ٤ تشرين

---

(١) المصدر نفسه، ص١١٦.

(٢) الدكتور ريمون حداد، مصدر سبق ذكره، ص٣٤٨.

(٣) المصدر نفسه، ص٤٠٨، وخشيم، مصدر سبق ذكره، ص١١٧.

الأول ١٩٧٢؛ أي قبل سنة من اغتياله قائلًا: "إنها دولة داخل دولة"[١].

---

(١) تربو استثمارات شركة ITT شركة الهاتف والبرق العالمية المتعددة الجنسيات في تشيلي على مائة مليون دولار، وقد أشارت الشركة في تقرير لها إلى الرئيس نيكسون، مبدية الخوف من نتائج فوز الليندي على المصالح الأمريكية فيها، فضلًا عن ذلك اقترحت الشركة للإرادة الأمريكية تخصيص مليون دولار في الانتخابات التشيلية لصالح الحركة الشيوعية، إلا أن نيكسون رفض هذا الاقتراح بسبب قناعته عن فوز أليساندري، وتشير بعض المصادر إلى قيام شركة I T T بإنفاق (٧٠٠٠٠٠) دولار أثناء الحملة الانتخابية، وبعد ظهور نتائج الانتخابات كان هناك لقاء لوليام نائب رئيس الشركة مع كيسنجر أكثر من خمسة وعشرين لقاءً في المدة الواقعة بين ١٩٧٠ – ١٩٧٢، وعليه فقد قامت الشركة من جانب آخر مع عدد كبير من الشركات الأمريكية بتخريب الاقتصاد التشيلي. راجع: دنيزرا نكسورت، وكالة المخابرات المركزية الأمريكية C. I. A، (بلا)، ص١٠٧، وسيمور هيرش، مصدر سبق ذكره، ص٣٥٨. وللمزيد من التفاصيل حول ذلك راجع: هيرش، مصدر سبق ذكره، ص٣٧٨ – ٣٨١.

وقد قامت شركة I T T الأمريكية بالإطاحة بحكومة اللندي في تشيلي في عام ١٩٧٣ إثر قرارها الخاص بتأميم معادن النحاس في إطار تطبيق برنامج الوحدة الشعبية بالتعاون مع وكالة المخابرات المركزية الأمريكية (أنشأ الرئيس ترومان في عام ١٩٤٧ سلطة مخابرات وطنية بناء على المقترح الذي قدمه اللواء دوتوفان بعد موافقة مجلس النواب بالإجماع عليه، وفي نيسان ١٩٤٧ صدر قانون الأمن الوطني الذي تم بموجبه إنشاء C I A التي باشرت العمل في مهامها في ١٨ أيلول من السنة نفسها). راجع: دتيز رانكسورت، مصدر سبق ذكره، ص١٣ وألن دالس، حرفة الاستخبار، (بلا)، ص٥٨.

الأمر الذي دفع باربر ريتشارد إلى أن يقول: "إنها دولة سياسية قوية، إنها مستعمرة القرنX X، وعلى رأسها الشركات الأمريكية؛ لأنها الأغنى والأكثر تقدمًا من حيث التكنولوجيا، ويتكون جيشها من مهندسين ومسيرين مجهزين برءوس أموال وتقنيات تصرف سفارتها في معاملها ومناجمها، وخدمات بيعها فلا ينقصها إلا علم". راجع: العبدلي، مصدر سبق ذكره، ص٢١٧ – ٢٢١.

أما C. A. Michalet فيعرفها قائلًا: "إنها منشأة أو مجموعة غالبًا ما تكون ذات حجم كبير، انطلاقًا من قاعدة وطنية ركزت في الخارج عدة فروع بالعديد من البلدان، ولها إستراتيجية وتنظيم مبنيان على المستوى العالمي"[١].

يشير الصادق شعبان إلى أنها تقوم بين أفراد أو شركات يوزعون أنشطتهم الإنتاجية أو التسويقية على أكثر من دولة بحثًا عن ربح أوفر. والغرض من توزيع النشاطات على دول متعددة هو انتفاع الشركة بالامتيازات والإعفاءات والتسهيلات التي تخصصها تشريعات بعض الدول لها فيما يخص الأداءات الجمركية، والتسهيلات الإدارية، وكذلك قانون الشغل والضمان الاجتماعي وغيرها"[٢].

ومن هذه التعاريف يمكننا أن نتوصل إلى صفات تتميز بها هذه الشركات، والتي تكمن في[٣]:-

١- في المجال الاقتصادي، هناك مديات واسعة لهذه الشركات، فعلى سبيل المثال شركة (I.T.T (International Telephone and Telegraph الأمريكية، ومن وظائفها الرئيسة الاهتمام بالمواصلات اللاسلكية، إلا أنها بدأت منذ عام ١٩٦٠م تأخذ في الحسبان نشاطات وفعاليات في الصيدلة والتغذية والخدمات.

٢- في المجال الإنتاجي، قامت هذه الشركات بتوزيع ذلك على دول عدة، مع بقائها خاضعة لسلطة مركزية تقوم بإعداد إستراتيجيتها وإدارة تنظيمها.

---

(١) المصدر نفسه، ص٢١٧.

(٢) المصدر نفسه، ص٢١٨.

(٣) المصدر نفسه، ص٢١٨ – ٢١٩.

٣- في المجال القانوني، تحمل جنسية دولة واحدة وبموجب أسس ومعايير محددة، مع التمتع بالشخصية المعنوية والاستقلال المالي تبعًا لقوانين الدولة التي تحمل جنسيتها، وهي الدولة التي يوجد بها مقرها الرئيس، ويطلق عليها "الشركة الأم"، مع وجود فروع لها في دول أخرى.

إن الشركات متعددة الجنسيات ليست مفهومًا حديثًا، فقد ظهرت في أواخر القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين، وقد ساعدها في الظهور الثورة التكنولوجية التي تجسدت في اختراع جهاز البرق، وغياب الحروب فيما بين تحالفات من القوى العظمى؛ ففي عام ١٩٠٠ على سبيل المثال كان لدى "بيت روتشيلد" فروع في كل من فرانكفورت وفيما بينها، وقبيل عام ١٩١٤ كانت شركة "لويدز لندن" قد اعتُمدت لدى القطاع الأعظم من صناعة السفن الألمانية كشركة للتأمين على السفن الألمانية، وكانت تلك الشركة على استعداد لدفع تعويضات لألمانيا لأية خسائر تلحق بسفنها حتى ولو كان ذلك نتيجة حرب إنجليزية – ألمانية[١].

وهناك العديد من الأمثلة على وجود الشركات متعددة الجنسيات في مراحل سابقة، فقد كان لدى شركة ليفرس برذرز والتي كانت تعرق باسم "يونيليفر" قبل ذلك مصانع إنتاجية تمتد من غرب إفريقيا إلى الهند، كما كانت هناك شركات متعددة الجنسيات في قطاع النفط قطعت الأرض طولًا وعرضًا بحثًا عن مصادر جديدة للنفط، فيما كانت تنقل النفط المكرر من سوق إلى أخرى، كما سلكت

---

(١) بول كيندي، الاستعداد للقرن الحادي والعشرين، ترجمة محمد عبد القادر، غازي مسعود، دار الشروق للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ١٩٩٣، ص٧٢.

شركة فورد طريقًا "عالمية" حينما قررت أن تقوم بتصنيع السيارات والشاحنات على جانبي الأطلسي[١].

تعززت هذه الشركات في السبعينيات إثر قرار الولايات المتحدة بالتخلي عن قاعدة الذهب، ثم تلاه تحرير عام لمراقبة النقد في عدد قليل من الدول لتلحق بها دول أخرى عديدة، ولم تؤد هذه الإجراءات إلى توفير المزيد من السيولة النقدية للتجارة العالمية فحسب، بل إنها عززت من تدفق الاستثمارات الرأسمالية العابرة للقوميات؛ إذ غدا بإمكان الشركات أن تستثمر خارج حدود أقطارها دون قيود من البنوك المركزية[٢].

إن كبرى الشركات متعددة الجنسيات قد بلغت من الضخامة والقدرة المالية حدًّا يفوق ما يتمتع به في هذا الميدان عدد كبير من الدول ذاتها، وهذه هي الحقيقة؛ لأننا إذا ما قارنا الميزانية السنوية لكبريات هذه الشركات مع ميزانية الدول فسنجد أن هرم تسلسل القوة يفصح حينئذٍ عن ترتيب لا يمكن توقعه[٣].

إن مبيعات "جنرال موتورز" السنوية تتجاوز الناتج القومي الإجمالي لدول العالم باستثناء اثنتين وعشرين دولة على وجه التقريب، وذلك لكون مبيعاتها أكبر من قيمة السوق للناتج القومي الإجمالي لدول مثل سويسرا، والدنمارك، وتركيا[٤].

---

(١) المصدر نفسه، ص ٧٢.

(٢) المصدر نفسه، ص ٧٣.

(٣) مارسيل ميرل، سوسيولوجيا العلاقات الدولية، مصدر سبق ذكره، ص ١٩٤.

(٤) روبرت د. كانتور، مصدر سبق ذكره، ص ١٨٣.

لقد وصل الاستثمار الخاص لمصالح أمريكية في الخارج إلى ١٩٢ بليون دولار في عام ١٩٧٩ وهو في ارتفاع مستمر. إن قوة الشركات المتعددة الجنسيات السياسية والاقتصادية، نتيجة لحجمها الهائل، تدفعها في البيئة الداخلية لكل الدول التي لها فيها استثمارات كبيرة، فقد أصبحت في حقيقة الأمر تشكل مراكز قوى سياسية بسبب حقها الشخصي[١].

يقول الأستاذ فيرنون: "إن الشركات الكبيرة التي كان يمكن عدها شركات متعددة الجنسيات في الولايات المتحدة في عام ١٩٥٠ تبلغ ما يقارب ١٧٪ فقط من مجمل مبيعات الشركات الأمريكية، وبحلول عام ١٩٦٧ أصبحت هذه الشركات ما يقارب ٤٢٪ من المبيعات الأمريكية، ومنذ بداية عام ١٩٧٢ أصبحت ٦٢٪، وفي العالم غير الشيوعي أعلنت هذه الشركات عن مبيعات بلغت ما يقارب ٨٪ من الإنتاج الإجمالي، وفي عام ١٩٦٧ ارتفع هذا الرقم إلى ١٧٪، وفي عام ١٩٧٤ أصبح ٢٢٪[٢].

إن الشركات متعددة الجنسيات في طريقها للإحلال محل الدول، وكان البابا بولس السادس قد استنكر في خطابه الرسولي إلى الكاردينال روي ١٩٧١ الخطر الذي تمثله هذا الشركات، وقد عبر أحد أعضاء المجمع الكنسي الروماني الذي انعقد في تشرين الأول ١٩٧١ حين أعلن أن أعتى القوى في العالم (أي الشركات متعددة الجنسيات) ليست أعضاء في الأمم المتحدة[٣].

---

(١) المصدر نفسه، ص ١٨٣.

(2) Deuisch, Op. Cit., P. 103.

قارن مع العبدلي، مصدر سبق ذكره، ص ٢٢٠ – ٢٢١.

(٣) مارسيل ميرل، سوسيولوجيا العلاقات الدولية، مصدر سبق ذكره، ص٤١٣.

اعتقد البعض الآخر أن قدرة السلطة السياسية على التدخل لا تزال حاسمة في هذا المجال، وأن معظم الشركات متعددة الجنسيات ليست سوى أدوات في خدمة السياسات الحكومية، وتلك هي أطروحة فرانسوبيرو[١].

إن اتساع دور هذه الشركات قد يؤدي إلى خطورة أكبر على الدول النامية. إن الكثير من الكتابات التي تتناول بحماس شديد فوائد التدويل تركز أساسًا على ما يحدث في أوروبا وأمريكا الشمالية واليابان، فضلًا عن بعض الأقطار التي تشكل امتدادًا لذلك الثلث (كوريا الجنوبية والبرازيل وأستراليا)، أما أقطار العالم الأخرى فلا تحظى إلا باهتمام ضئيل، كما يصعب قبول منطق السوق العالمية وذلك بسبب العقبات الهيكلية التي تعترض طريق الكثير من الدول النامية المعاصرة[٢].

إن الاحتياجات التي تلح على دولة إفريقية ذات اقتصاد زراعي محاصرة بالأرض من كل الجهات ويتضاعف عدد سكانها كل خمسة وعشرين عامًا، تتمثل كما يبدو في التخطيط العائلي والحماية البيئية والرعاية الصحية والتعليم والبنية التحتية الأساسية، وهي احتياجات قد ترفض الشركات متعددة الجنسيات المستندة إلى السوق الحرة تمويلها[٣].

فضلًا عن ذلك، إذا تمكنت دولة نامية من إعادة بناء ذاتها على النمط الشرق آسيوي، وحققت ارتفاعًا في الاستثمارات الأجنبية والإنتاج والصادرات

---

(١) المصدر نفسه، ص ٤١٣.

(٢) بول كيندي، مصدر سبق ذكره، ص ٨٦، ولويد جنسن، مصدر سبق ذكره، ص ١٩٧- ٢٠٠.

(٣) بول كيندي، مصدر سبق ذكره، ص ٨٦.

ومستويات المعيشة؛ قد تصبح بدورها عرضة لنزوح تدريجي للمصانع الفردية فيها، وما يستتبع ذلك من ضياع أدنى تكلفة في التصنيع والتجميع[1].

وبالنظر لما تتمتع به الشركات متعددة الجنسيات من طاقة هائلة في توظيف القوة التأثيرية للدول الأم لمتابعة مصالحها الدولية بحكم القوة السياسية الفاعلة التي يتمتع بها أصحاب هذه الشركات من دولهم، فإن باستطاعتها استثمار هذه السلطة بالطريقة التي تستطيع بها هذه الشركات ممارسة أنواع الضغوط كافة، ولا سيما ضد دول العالم الثالث، كالتدخل السياسي والاقتصادي والعسكري بصورة متعددة[2].

---

(١) المصدر نفسه، ص٨٦.

عد بعض الكتاب الشركات متعددة الجنسيات مسئولة بالتواطؤ مع حكومات دولها عن كثير من المعضلات الاقتصادية والاجتماعية والسياسية. والحق أن أحد مصادر الاهتمام بالشركات متعددة الجنسيات هو حجمها الخيالي، فحجم مبيعات بعض الشركات الضخمة وأرصدتها يتعدى إلى حد كبير الناتج الوطني الإجمالي لكثير من الدول، ونتيجة لضخامة الموارد التي تسيطر عليها الشركات المتعددة الجنسيات فإنها أصبحت تؤدي دورًا مركزيًّا في النسق الدولي، ربما على حساب الدور الذي تلعبه حكومات دول تلك الشركات؛ ذلك أنه بحكم سيطرتها على موارد هائلة في العديد من الدول فإن القرارات التي تتخذها فيما يخص تخصيص المبيعات والمشتريات والاستثمارات تؤثر تأثيرًا ضخمًا على موازين المدفوعات وقيمة العملات. راجع: لويد جنسن، مصدر سبق ذكره، ص ١٩٤.

(2) Joan Edelmam Spero, The Politics of International Economic Reiations, London: Unwin, 1977, pp. 199-203.

طلب المجلس الاقتصادي والاجتماعي في ٢٨ آذار ١٩٧٢ في القرار ١٧٢١ (LIIT) من الأمين العام للأمم المتحدة تعيين مجموعة من الشخصيات البارزة لدراسة دور وآثار الشركات متعددة الجنسيات في عملية التنمية وتقديم توصيات من أجل عمل دولي مناسب.

=

والحق أن الشركات متعددة الجنسيات تلجأ إلى وسائل عديدة في علاقاتها مع الدول الأخرى، يمكننا إيجازها في الآتي:

١- تقوم الشركات متعددة الجنسيات بتشجيع بقاء الأنظمة السياسية التقليدية، ومن شأن هذه السياسات عرقلة الإصلاحات الديمقراطية التي تعد ضرورة لعملية التحديث السياسي.

٢- استغلال الموارد الطبيعية في دول العالم الثالث دون دفع هذه الدول إلى مجالات التنمية.

٣- تقوم الشركات متعددة الجنسيات بالتأثير على نمط أشكال الحكومات في بعض الـدول.

٤- تستخدم هذه الشركات الأداة الاقتصادية، بغية الهيمنة الاقتصادية على وحدة سياسية معينة.

هناك مؤيدون ومعارضون لدور ونشاطات الشركات متعددة الجنسيات في السياسة الدولية، وفيما يخص مؤيديها فإنهم يؤكدون أنها جهاز قوي يبغي تحقيق مبدأ العالمية للمجتمع الإنساني، بسبب التداخل والترابط إلى درجة لم يعهد لها

=

ومن جانب آخر تبنت الجمعية العامة للأمم المتحدة في دورتها الاستثنائية السادسة برنامج عمل حول النظام الاقتصادي العالمي الجديد في القرار رقم ٣٢٥٢ (٧١) تشير فقرته الخامسة إلى ما يلي: "تنظيمات ومراقبة نشاطات الشركات متعددة الجنسيات".

ومن ناحية أخرى كلفت لجنة الأمم المتحدة استنادًا للقرار ٨ / ١٩٨٢٦ الصادر في تشرين الأول ١٩٨٢ حول الشركات متعددة الجنسيات المجلس الاقتصادي والاجتماعي بمواصلة أعماله- بإعداد دليل تصرف الشركات المتعددة الجنسيات. وقد تم إعداد هذه الوثيقة عام ١٩٨٤، ومن أهم ما جاء فيها: عدم تدخل الشركات المتعددة الجنسيات في الشئون الداخلية للدول.

مثيل في الماضي، فالشركات متعددة الجنسيات من وجهات نظرهم أسهمت وتسهم في التقدم الاقتصادي والتكنولوجي في العالم، أما معارضوها فإنهم يطرحون الأمور السلبية المتمثلة في الاستغلال، وخلق ظاهرة عدم الاستقرار السياسي والاقتصادي والاجتماعي في الأقطار النامية(١).

(١) خشيم، مصدر سبق ذكره، ص ١١٨. لمزيد من التفاصيل حول الشركات متعددة الجنسيات راجع: مارسيل ميرل، سوسيولوجيا العلاقات الدولية، مصدر سبق ذكره، ص ٤٠١-٤٣٢.

الفصل السادس

وزارة الخارجية بين وظيفة التنفيذ وعملية صنع القرار

تعد الدبلوماسية إحدى أدوات السياسة الخارجية، التي تشير إلى كيفية نقل قواعد السلوك السياسي الداخلي على مستوى العلاقات الدولية. بهذا المعنى نكون أمام وظيفة التنفيذ، هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى فإن تحقيق مصالح الدولة يكون من خلال استخدام القنوات السلمية في العلاقات الدولية، التي تتركز حصرًا في وظيفة وزارة الخارجية. كل هذا يشير إلى أن الوظيفة الرئيسة لوزارة الخارجية هي وظيفة تنفيذ السياسة الخارجية، ولا تتجاوز وظيفة نظرية اتخاذ القرار في السياسة الخارجية.

إن المسئولية الرئيسة لتقديم المقترحات السياسية هي من واجبات وزارة الخارجية، حيث إن لديها خبراء في المناطق الجغرافية يقومون بتزويدها بمعلومات منها[١].

يميل الرؤساء الذين يتوجهون إلى السياسة الخارجية إلى الاعتماد بدرجة كبيرة على مستشاريهم للأمن القومي، وإعطائهم أهمية متميزة؛ لقربهم من الرئيس بسبب اللقاءات اليومية المتكررة، ومساعدتهم في تشكيل وجهات النظر الرئاسية. من هذا المنطلق، نرى أن لمجلس الأمن القومي في الولايات المتحدة مكانة خاصة عند الإدارة الأمريكية؛ لكونه الساعد التنفيذي للرئيس في كيفية الاتصال مع العالم الخارجي[٢].

---

(١) روبرت د. كانتور، مصدر سبق ذكره، ص ٤٢٤.

(٢) زبغنيو بريجنسكي، الفرصة الثانية: ثلاثة رؤساء وأزمة القوة العظمى الأمريكية، مصدر سبق ذكره، ص ١٤ – ١٥.

يميل الرؤساء في الولايات المتحدة الذين لهم تطلعات داخلية، إلى منح وزراء الخارجية صلاحية التفويض بالسياسة الخارجية، ويعهد إليهم بحرية كيفية التصرف في عملية إعداد السياسة الخارجية، ولهذا السبب يصبح مستشار الأمن القومي مديرًا للموظفين ومنسقًا للسياسات، وبالنتيجة يكون الرئيس أكثر ميلًا إلى الاستماع إلى نصائح وآراء وزير الخارجية وطاقم وزارته[١].

يقع الرئيس نيكسون ومستشار الأمن القومي هنري كيسنجر في الفئة الأولى، حيث برز مستشار الأمن القومي تحت القيادة الرئاسية المباشرة، لكن يقع الرئيس فورد ووزير الخارجية كيسنجر في الفئة الثانية، حيث كانت وزارة الخارجية في المقدمة، وكان الرئيس كارتر في الفئة الأولى (على الرغم من خبرته الأولية المحدودة في السياسة الخارجية)، وبالتالي رفع شأن مستشار الأمن القومي، في حين أن الرئيس ريغان أظهر ميلًا إلى تفويض القسم الكبير من صنع السياسة الخارجية إلى وزير الخارجية، بتعيين الجنرال ألكسندر هيغ ثم جورج شولتز في ذلك المنصب[٢].

ويتباين تأثير وزارة الخارجية وفقًا لعلاقة وزير الخارجية مع صاحب القرار السياسي، كالحالة مع وزير خارجية الولايات المتحدة الأسبق "ألكسندر هيغ" الذي كان أول من عينه الرئيس ريغان في الوظيفة المذكورة، ولكن محاولته للحصول على النفوذ قوبلت بالرفض من موظفي البيت الأبيض. والنزاع البيروقراطي الداخلي الذي اتسمت به علاقات "هيغ" مع مجلس الأمن القومي وموظفي البيت

(١) المصدر نفسه، ص ١٥.

(٢) زبغنيو بريجنسكي، الفرصة الثانية ثلاثة رؤساء وأزمة القوة العظمى الأمريكية، مصدر سبق ذكره، ص ١٥.

الأبيض كان في الغالب هو القاعدة وليس الاستثناء. وأعاد تعيين جورج شولتز في منصب وزارة الخارجية النفوذ إلى وزارته؛ لأن شولتز وريغان تشاركا الاحترام المتبادل، ووجهات نظر سياسية متقاربة[١].

من الواضح أن هاتين الفئتين ليستا دقيقتين، لكنهما تساعداننا بصورة عامة في التمييز بين أساليب عملية صنع القرار في السياسة الخارجية المختلفة، لقد جاء جورج إتش دبليو بوش إلى الإدارة الأمريكية وله خبرة كبيرة في العلاقات الدولية: رئيس البعثة الدبلوماسية الأمريكية غير الرسمية في الصين الشعبية، وسفير الولايات المتحدة في الأمم المتحدة، ومدير وكالة المخابرات المركزية الأمريكية، ولمعرفته ما يريد أن يفعله تجاه ذلك اختار في وظيفة الأمن القومي شخصًا يشاطره نظرته في الشئون الخارجية[٢].

فيما يخص الرئيس السابق بيل كلينتون لم تكن له خبرة في السياسة الخارجية، حيث لم تكن له رؤية واضحة المعالم عن دور الولايات المتحدة في العالم الخارجي، بسبب التأكيد على برنامجه الداخلي، وكانت السياسة الخارجية بالنسبة إليه تحتل أهمية ثانوية في البداية، وكانت النتيجة عدم إشغال مستشار الأمن القومي ووزير الخارجية أية مكانة في السياسة الخارجية[٣].

---

(١) روبرت د. كانتور، مصدر سبق ذكره، ص ٤٢٤.

(٢) زبيغنيو بريجنسكي، الفرصة الثانية: ثلاثة رؤساء وأزمة القوة العظمى الأمريكية، مصدر سبق ذكره، ص ١٥ – ١٦.

اختار الرئيس بوش الأب برنت سكوكروفت في إدارته للمدة الواقعة بين ١٩٨٩ – ١٩٩٣ كمستشار له للأمن القومي. راجع: المصدر نفسه، ص ٢١.

(٣) المصدر نفسه، ص ١٦.

كلينتون طبعته المقاومة الوطنية لفيتنام والتجنيد العسكري، وصقلته في السياسة الشئون الداخلية لولاية أركنساس، وانتخب على أساس وعد بإعادة إحياء الاقتصاد الأمريكي. لم يحتل أي شكل من أشكال السياسة الخارجية قائمة الأمور الرئيسة الخمسة على روزنامته، ولم يملك أفكارًا عميقة حول المصالح الإستراتيجية الأمريكية لما بعد الحرب الباردة، ورأى في عهده بالسلطة "لحظة فرصة ديمقراطية بكلمات مستشاره للأمن القومي توني ليك. مضى على الإدارة ثمانية أشهر في السلطة قبل أن يعلن ليك السياسة الخارجية الجديدة للولايات المتحدة: زيادة عدد الأسواق الحرة العالمية. وكانت تلك خطة أعمال أكثر منها سياسة؛ فقد ساوى كلينتون بين التجارة الحرة والحرية، كما لو أن بيع البضائع الأمريكية سيؤدي إلى نشر القيم الأمريكية في الخارج[١].

كان فريق كلينتون للأمن القومي من الدرجة الثانية؛ فقد اختار عضو الكونغرس المشتت الذهن لس أسبن وزيرًا للدفاع، واستمر أسبن لأقل من سنة. واختار المحامي وارن كريستوفر وزيرًا للخارجية. كان كريستوفر رسميًّا يتعامل مع المسائل الدولية الكبرى كما لو أنها قضايا قانونية، وفي اللحظة الأخيرة اختار كلينتون أحد المتوترين من قدامى فريق ريتشارد نيكسون للأمن القومي المحامي ر. جيمس وولسي جونيور مديرًا للاستخبارات المركزية[٢].

وبسبب تغير الظروف في ولاية كلينتون الثانية بدأ الأخير يولي اهتمامه بالسياسة الخارجية أكثر من ذي قبل، وبالتالي مُلِئ موقعا السياسة الخارجية

---

(١) تيم واينر، مصدر سبق ذكره، ص ٥٨٣.

(٢) المصدر نفسه، ص ٥٨٣ – ٥٨٤.

الرئيسان بشخصيتين أكثر فعالية ونشاطًا على المستوى السياسي، فضلًا عن انغماسه الكبير في المجال المذكور، ولم يسمح لأي منهما بالهيمنة[١].

شهدت الولاية الثانية لكلينتون بعض التعديل، ففي ذلك الوقت أصبح الرئيس أكثر انهماكًا في السياسة الخارجية، وأظهر فريقه للسياسة الخارجية مستوى أعلى من الفاعلية، فقد كان ساندي بيرغر، مستشارُ الأمن القومي في الولاية الثانية، سياسيًّا وصديقًا لكلينتون منذ أيام الجامعة، وبالتالي أكثر حزمًا، وكانت وزيرة الخارجية الجديدة مادلين أولبرايت أكثر التزامًا بتوسيع حلف شمال الأطلسي[٢]، وأدخلت أفكارًا جيوسياسية أكثر وضوحًا إلى مداولات مجلس الأمن القومي، مع التركيز على أوروبا[٣].

---

(١) زبيغنيو بريجنسكي، الفرصة الثانية: ثلاثة رؤساء وأزمة القوى العظمى الأمريكية، مصدر سبق ذكره، ص ١٦.

(٢) قادت وزيرة الخارجية الأمريكية، مادلين أولبرايت، حملة ضد صربيا في أواخر عام ١٩٩٥، حيث قامت القوات الصربية بسياسة التطهير العرقي الموجهة ضد الغالبية الألبانية في كوسوفو، واستغلت أولبرايت بفعالية الزخم السياسي الذي حققه توسيع حلف شمال الأطلسي لتشكيل ائتلاف سياسي لصالح مواجهة صربيا بخيار الانسحاب من كوسوفو أو الطرد بالقوة، ومن خلال التنسيق القوي بين الولايات المتحدة وأوروبا ألحقت حملة جوية متواصلة أضرارًا كبيرة بالبنية التحتية الصربية بما في ذلك العاصمة، فيما احتشدت قوات حلف شمال الأطلسي العسكرية في ألبانيا واليونان استعدادًا لحملة برية واسعة النطاق. راجع: المصدر نفسه، ص ١٢٥. ومادلين أولبرايت، مذكرة إلى الرئيس المنتخب: كيف يمكننا استعادة سمعة أمريكا ودورها القيادي؟ مصدر سبق ذكره، ص ٢٢.

(٣) زبيغنيو بريجنسكي، الفرصة الثانية: ثلاثة رؤساء وأزمة القوة العظمى الأمريكية، مصدر سبق ذكره، ص ٩٣.

كانت مداولات السياسة الخارجية في البيت الأبيض في عهد كلينتون أشبه "باجتماع لتناول =

كان كلينتون متمسكًا بمشروع اتساع حلف شمال الأطلسي لدول أوروبا الشرقية، وكان يزمع أن يتحكم بتوقيته وبمداه من أجل طمأنة موسكو، قبل الرئيس الأمريكي التوقيع، في ٢٧ أيار ١٩٩٧، مع ستة عشر رئيس دولة آخرين في باريس على اتفاقية تعاون بين حلف شمال الأطلسي وروسيا بوريس يلتسين، وعبر شيراك عن سروره وهو يفتتح حفل التوقيع على هذا العمل التأسيسي، الممهد الضروري لاتساع الحلف الأطلسي قائلًا: "نطوي صفحة نصف قرن من عدم التفهم والانقسام في قارتنا"[١].

وكان لكل بلد لائحة أفضليات بالنسبة للمستقبل: أيدت واشنطن دخول بولندا والمجر والجمهورية التشيكية فقط، فيما دعمت روما ترشيح سلوفانيا، وتمنت باريس أن تضاف إليها رومانيا. كتب شيراك لكلينتون رسالة مطولة في ١٩

=

القهوة وتبادل الحديث" من المفهوم المعتاد لعملية صنع القرار في السياسة الخارجية على مستوى عال، وكانت تنطوي على اجتماعات طويلة دون جدول أعمال محدد، ونادرًا ما كانت تبدأ أو تنتهي تبعًا للموعد، وتتسم بالمشاركة العفوية لمختلف المسئولين في البيت الأبيض. كان بعض المشاركين معنيين بالشئون الداخلية بالدرجة الأولى، ويحضرون مداولات مجلس الأمن القومي بناء على رغباتهم، ويتدخلون في مداولات السياسة الخارجية متى شاءوا، وقد صعب ذلك الأمور على مستشار الأمن القومي؛ إذ لم يكن واضحًا دائمًا ما الإجراءات التي تحتاج لاحقًا إلى تنفيذ وتنسيق بين الهيئات المختلفة؟ راجع: المصدر نفسه، ص ٩٥.

بالمقابل، عمل مجلس الاقتصاد القومي الذي أنشئ حديثًا بطريقة أكثر انضباطًا ومهنية، ربما لأن السياسة الخارجية ميدان يشعر أي كان تقريبًا بأنه مخول بالتعبير عن رأيه فيه، في حين أن الاقتصاد والمالية مختصان أكثر بالعلماء. وكان من الواضح وجود مسئول مسيطر برتبة وزير، وتجلت أهمية ذلك عندما واجهت إدارة كلينتون الأزمتين الماليتين في المكسيك وجنوب شرق آسيا. راجع: المصدر نفسه، ص ٩٤ – ٩٥.

(١) فنسان نوزيل، مصدر سبق ذكره، ص ٤٦٠.

حزيران ١٩٩٧ عدد فيها كل إنجازات هذا البلد المحب لفرنسا "اختيار واضح للديمقراطية، سير جيد للمؤسسات، النضوج السياسي لدى الشعب الروماني، انتقال اقتصادي مميز، تحديث لقواته الدفاعية، علاقات ممتازة مع جيرانه. يا لها من عروس جميلة! لم تندمج يومًا رومانيا بالفعل على الصعيد العسكري في معاهدة وارسو، وبالتالي سيسهل انسجامها، وقد بدأ، مع معايير الحلف الأطلسي.. إني مقتنع بأنه من الممكن التوصل مع الحلفاء إلى إجماع بهذا الشأن، يفي بمجمل اهتماماتنا"[١].

عندما تسلم بيل كلينتون مقاليد السلطة في العام ١٩٩٣ وعد بإيقاف القلق بشأن السياسة الخارجية والتركيز مثل شعاع ليزر على الاقتصاد، لكن جاذبية الأحادية كانت قوية، فبحلول مدة الرئاسة الثانية كان قد أصبح رئيسًا متخصصًا في السياسة الخارجية؛ إذ كان يكرس معظم وقته وطاقته للاهتمام بمسائل خارجية، مثل السلام في الشرق الأوسط وأزمة البلقان. وردًا على نموذج الانغماس المفرط في الشئون الدولية من التدخل من أجل إنقاذ الاقتصادات إلى بناء الأمم- وعد جورج بوش الابن في سياق حملته الانتخابية بتخفيض التزامات الولايات المتحدة، ثم جاءت رئاسته، والأهم من ذلك الحادي عشر من أيلول[٢].

وقد رأى رئيس لجنة الشئون الدولية في مجلس الفدرالية الروسي (المجلس الأعلى للبرلمان) أن توسيع حلف شمال الأطلسي يجري طبقًا لرؤية جيوسياسية قديمة تعود إلى فكرة تخوم القرنين التاسع عشر والعشرين، والتي نصت على إبعاد روسيا إلى أعماق أوروآسيا في شمال شرقي القارة وإضعاف ما يسمى بـ"أهمية

(١) فنسان نوزيل، مصدر سبق ذكره، ص ٤٦٠ – ٤٦١.

(٢) فريد زكريا، مصدر سبق ذكره، ص ٢٠٦ – ٢٠٧.

موقعها الوسطى" من خلال برنامج حلف شمال الأطلسي "الشراكة من أجل السلام" الذي يضم ٤٦ دولة، مع تحويل الشراكة إلى تعاون عسكري. أما قبول دول البلطيق في الحلف فلا يمثل زحفًا من جهة الشمال الغربي فحسب، بل دعمًا للتوجه المناوئ لروسيا في هذا الحلف بحكم ميول النخبة السياسية المعادية لروسيا في تلك الدول[١].

خلال سنوات كلينتون أصبحت القوة الأمريكية أشد وضوحًا، وأصبحت واشنطن أكثر إقدامًا، وأصبحت الحكومات الخارجية أكثر مقاومة. اتهم بعض مستشاري كلينتون الاقتصاديين مثل ميكي كانتور ولورينس سامرز بالعجرفة في طريقة تعاملهم مع الدول الأخرى. في حين انتُقد في أوروبا بعض الدبلوماسيين الأمريكيين مثل مادلين أولبرايت وريتشارد هولبرووك لتحدثهم عن الولايات المتحدة بوصفها -بحسب توصيف أولبرايت- "التي يمكن الاستغناء عنها".

من هنا ربما جاء مصطلح القوة المفرطة، الذي ابتكره وزير الخارجية الفرنسي إيبر فيديرين في التسعينيات، ولم يكن القصد من المصطلح المديح بالطبع[٢].

أما فيما يخص الرئيس السابق جورج دبليو بوش فقد كان هاري ترومان من الرؤساء المفضلين لديه. قال بوش أمام طلاب سنة إنهاء التخرج في كلية ويست بوينت: "أوضح الرئيس ترومان دون لبس أن الحرب الباردة كانت صراعًا أيديولوجيًّا بين الطغيان والحرية، وعبر الأعمال التي قام بها الرئيس ترومان،

---

(١) د. نورهان الشيخ، "العلاقات الروسية – الأوروأطلنطية بين المصالح الوطنية والشراكة الإستراتيجية"، مجلة السياسة الدولية، العدد ١٧٠، مؤسسة الأهرام، القاهرة، أكتوبر ٢٠٠٧، ص٥٠.

(٢) فريد زكريا، مصدر سبق ذكره، ص ٢٠٧.

والمؤسسات التي شيدها، والتحالفات التي شكلها، والمبادئ التي أرساها، وضع الركائز التأسيسية لانتصار الولايات المتحدة في الحرب الباردة. واليوم في بدايات قرن جديد نخوض مرة أخرى حربًا لا تشبه أي حرب خاضتها أمتنا من قبل، ومثل حال الأمريكيين في أيام ترومان نحن نضع الركائز المؤسسة للنصر، لقد أوضحنا دون لبس أن الحرب على الإرهاب صراع أيديولوجي بين الطغيان والحرية"[1].

لكن هذا التذمر كله كان ثرثرة مهذبة بالمقارنة مع العداوة التي أثارها جورج دبليو بوش؛ فقد استمرت إدارة بوش عدة سنوات في التفاخر بازدرائها بالمعاهدات والمنظمات متعددة الأطراف والرأي العام العالمي، وأي شيء يوحي بمقاربة للتسوية السياسية العالمية، إلى أن أصبح واضحًا فشل هذه المقاربة التصادمية مع مجيء المدة الرئاسية الثانية لبوش؛ إذ عندها بدأت الإدارة بتغيير المنهج على العديد من الجبهات، من العراق إلى عملية التسوية الصهيونية – الفلسطينية – إلى كوريا الشمالية، لكن تبني السياسات الجديدة جاء متأخرًا بتردد وامتعاض كبيرين، مع رفض من قبل عدد من أعضاء الإدارة للإستراتيجية الجديدة[2].

لم يكن بوش الابن قد تخطى حدود بلاده إلا ثلاث مرات، لقد اقتصرت معرفته بالسياسة الخارجية على تلك الرؤيا التي تنظر بها إلى العالم الشركات النفطية التكساسية الأكثر شهرة في العالم، وحتى على رؤية أولئك المولين

---

(١) بوب ودوارد، الحرب الداخلية: التاريخ السري للبيت الأبيض بين عامي ٢٠٠٦ – ٢٠٠٨، مصدر سبق ذكره، ص ٤٢٧ – ٤٢٨.

(٢) فريد زكريا، مصدر سبق ذكره، ص ٢٠٧.

البارزين في حملته الانتخابية، وأخيرًا استنكر بوش وجود ثغرات حقيقية في المناطق الأشد حساسية في العالم ومنها على الأخص ما يتصل بآسيا الوسطى؛ ففي حملته خلال أحد لقاءاته الخاطفة لعل بوش الابن قد أبدى عدم قدرته على ذكر اسم رئيس الدولة الباكستاني الجنرال برويز مشرف الذي على الرغم من كون إسلام أباد الحليف الحقيقي للبنتاغون، وجد نفسه مضطرًّا لأن يتآلف مع شعبه وإدارته وهو الأشد عداوة للولايات المتحدة، ولقد كان على بوش منذ فوزه أن يتعلم على الأقل كتابة اسمه السلفي جورج دبليو بوش[١].

وهنا لا بد من الإشارة إلى أن بوش الابن لا يقرأ أيًّا من التقارير التي يقدمها له أعضاء إدارته مما يجعلهم يقدمون له فقط ملخصات من صفحة أو أقل من التقارير المطولة، ولكنه حتى في كثير من الأحيان لا يقرأ تلك الملخصات. وفي كتابه عن وزير خزانة بوش السابق "بول أونيل" يقول الصحفي، "رون ساسكند": "كان أونيل قد أشاع وسط زملائه الوزراء في البيت الأبيض بألا يتوقعوا من الرئيس قراءة التقارير، فبناء على تجربته الشخصية فإن بوش يبدو أنه كان لا يقرأ حتى المذكرات القصيرة التي كان أونيل يرسلها إليه. وهذه الحقيقة تقابلها حقيقة أخرى أنه عندما يلتقي أونيل مع بوش فإن بوش لا يطرح أي سؤال"[٢].

إن بوش قليل الاهتمام إلى درجة أنه لا يقرأ حتى الصحف، وقد قال لوكالة "فوكس نيوز": "أنا فقط أصدق في العناوين الرئيسة لآخذ فكرة عما يجري". جيمس كامنسكي محرر مجلة "بلاي بوي" قال لصحيفة "يو أس آي تودي": "من المرعب التفكير بأن الرجل الذي يدير البلد يجد الوقت الكافي لممارسة الرياضة كل

(١) جان. شارل بريزار، غليوم داسكييه، مصدر سبق ذكره، ص ١٣ – ١٤.

(٢) فنسنت بوغليوسي، مصدر سبق ذكره، ص ٨٥ – ٨٦.

يوم، ولكنه لا يمتلك الفضول الفكري لتصفح جريدة". أما ديفيد كي أول مفتش من وكالة الاستخبارات المركزية الذي كان يعمل ضمن لجان التفتيش عن أسلحة العراق عقب انهيار النظام السياسي في بغداد، فقال عن بوش: "أنا لست متأكدًا من أنني سبق أن تحدثت مع شخص بهذا المستوى من ضحالة المعرفة"[١].

وكان معلومًا أن الصحفيين الرئيسين قد أظهروا هم أنفسهم في تعليقه الواضح عدم قدرتهم على إصلاح الموقف المعقد. والحق، لم يقم بوش مطلقًا بجولات عبر مناطق العالم، ولم يظهر أبدًا بين وجوه النخبة الدبلوماسية، ومع ذلك فإنه لم يجهل المشكلات الكبرى التي تتحكم بمصير العالم[٢].

وكذلك لم يكن بوش الابن يبتعد قيد أنملة عن أسرته حين كان جورج بوش الأب على رأس مهماته في إدارة مكاتب سي آي أيه. وفي وقت مبكر، كما هو الحال بالنسبة للشبان المنتمين إلى العائلات التكساسية الكبيرة، قام بوش الابن بتطوير بعض الشركات الصغيرة في القطاع الخدمي النفطي المتصل بالخارج، وكان أن قادته نشاطاته هذه بسرعة إلى العمل المشترك مع بعض رجال الأعمال الشرق أوسطيين ولا سيما السعوديين منهم كما فعل على سبيل المثال أثناء إدارته لشركة هاركن إنسر جي "للطاقة"، ومن ثم فإن مستشاريه المقربين قد اكتسبوا خبرة نافعة ملموسة في مجال إدارة الأعمال في العالم وهو ما أخذوه أيضًا بفضل علاقاتهم مع بوش الأب ومع النفطيين التكساسيين وفي مقدمتهم كوندوليزا رايس[٣].

---

(١) فنسنت بوغليوسي، مصدر سبق ذكره، ص ٨٦.

(٢) جان. شارل بريزار، غليوم داسكييه، مصدر سبق ذكره، ص ١٤.

(٣) جان. شارل بريزار، غليوم داسكييه، مصدر سبق ذكره، ص ١٤.

تمثلت المشكلة الكبرى برأي آرميتاج في أنه لم يكن متأكدًا من قدرة بوش على ملء كرسي الرئاسة، وكان الأخير شديد الافتقار إلى الخبرة، كان افتقار بوش إلى الخبرة مرعبًا بنظر آرميتاج، وقد قال آرميتاج لزوجه وباول: إنه لم يكن مطمئنًّا إلى أن حاكم الولاية بوش كان مدركًا لما ينطوي عليه كون الولايات المتحدة قوة عالمية من مضاعفات[١].

كي نفهم السياسة الخارجية لإدارة بوش لا يكفي التركيز على الدوافع الجاكسونية (نسبة إلى الرئيس جاكسون) لديك تشيني ودونالد رامسفيلد أو الخلفية التكساسية لبوش أو المؤامرة الشريرة للمحافظين الجدد. والحق أن العامل الحاسم في سياسات بوش هو الحادي عشر من أيلول[٢].

خلال العقد الذي سبق الهجوم كانت الولايات المتحدة تجول في الساحة الدولية بحرية، لكن بعض القيود المحلية -المال، الكونغرس، الرأي العام- جعلت من الصعوبة بمكان بالنسبة إلى واشنطن تبني سياسة خارجية أحادية أو تصادمية. لم تكن التدخلات العسكرية والمساعدات الخارجية تحظى بشعبية في المحيط الداخلي الأمريكي، بل إنهم كانوا يريدون من الولايات المتحدة أن تنسحب من العالم بعد المشقات التي عانوها خلال الحرب الباردة، ولهذا السبب

---

(١) بوب ودوارد، حالة إنكار حرب بوش، مصدر سبق ذكره، ص ٢٤.

(٢) أحدثت هجمات ١١ أيلول خسائر في الممتلكات تقدر بـ١٦ مليار دولار في منهاتن السفلى، لكن رد الفعل الأمريكي على هذا الهجوم كلف بحسب بعض التقديرات ما ناهز التريليون دولار، وحصد حياة أكثر من أربعة آلاف جندي أمريكي وعشرات الآلاف من العراقيين، فضلًا عن الضرر الذي أحدثه تآكل الحريات المدنية المحلية، والضرر الهائل الذي لحق بسمعة الولايات المتحدة في المجتمع الدولي. راجع: دايفيد ج. روثكوبف، مصدر سبق ذكره، ص ٣٠٢.

تطلب التدخل في البلقان، وتوسع حلف شمال الأطلسي وتقديم المساعدات لروسيا الاتحادية جهدًا كبيرًا من إدارة بوش، حيث واجهت مقاومة شديدة في أغلب الأحيان بالرغم من أنها كانت مغامرات صغيرة نسبيًّا كلفت القليل من الموارد، لكن أحداث الحادي عشر من أيلول غيرت كل شيء، حيث حطمت هذه الهجمات القيود المحلية على السياسة الخارجية الأمريكية، كما منحت بوش بلدًا موحدًا وعالمًا متعاطفًا إلى حد كبير، وأبرزت حرب أفغانستان القوة الهائلة للولايات المتحدة، وبثت روح الجرأة في الأعضاء الأكثر تشددًا في الإدارة الأمريكية، والذين استخدموا ذلك النجاح كحجة لشن الحرب على العراق، والقيام بذلك بشكل أحادي تحديدًا، ولم تكن الولايات المتحدة بحاجة إلى بقية العالم أو الآليات القديمة المتعلقة بالشرعية والتعاون، إنها الإمبراطورية العالمية الجديدة التي ستنتج واقعًا جديدًا، هذا ما تظهره الحجة.

والمعادلة التي تفسر سياسة بوش الخارجية بسيطة جدًّا: نظام أحادي القطب + أفغانستان + أحداث الحادي عشر من أيلول = أحادية في التصرف + العراق[١].

أما الرئيس جورج دبليو بوش فقد كان ميالًا في البداية إلى تفويض عملية صنع القرار إلى شخصية مرموقة كاختياره كولن باول، وكأنه يتلاءم مع النموذج الأول، لكن ذلك لم يدم طويلًا بسبب أحداث ١١ أيلول، في السنة الأولى من الولاية الأولى، حيث انتقلت السياسة الخارجية إلى البيت الأبيض، لا لتهيمن عليها مستشارة الأمن القومي[٢]، وإنما نائب الرئيس ومجموعة من المسئولين ذوي

---

(١) فريد زكريا، مصدر سبق ذكره، ص ٢٠٧ – ٢٠٨.

(٢) اختار الرئيس بوش الابن في إدارته الثانية ستيفن هادلي مستشارًا للأمن القومي، وذلك في عام ٢٠٠٥. راجع: زبيغنيو بريجنسكي، الفرصة الثانية، مصدر سبق ذكره، ص ٢١.

=

=

من ناحية أخرى، يعد كارل روف من أكثر الناس نفوذًا وتأثيرًا في الولايات المتحدة على عهد بوش الابن، وكان المخطط والمنفذ لانتصار بوش الابن سنة ٢٠٠٠. ورغم أنه كان يعرف بوش لمدة ٢٨ سنة، وكان مستشاره الإستراتيجي، فإنه أقصي عن وزارة الدفاع واجتماعات مجلس الأمن القومي، وكان بوش وتشيني قد عدا أنه من المستحيل إشراك رجل سياسي مثير للخلاف في المناقشات حول الحرب. إن هذا يرسل رسالة خاطئة. وقبيل ١١ أيلول، كانت مجلة الويكلي ستاندرد -وهي مجلة مطلعة محافظة- قد نشرت مقالة غلافية بعنوان "المنتج كارل روف منسق البيت الأبيض التابع لبوش"، وكان يحمل الغلاف صورة كبيرة مثيرة للاحترام لروف، يظهر فيها مفكرًا عالمًا يحمل ملفًّا رئاسيًّا، وكانت هناك صورة مصغرة لبوش يظهر فيها أخرق، موضوعة في الجيب الصدري لجاكيت بوش. كتب روف في كتاب الرايسنج فورم قائلًا: "إن تقديرات الاستحسان لعمل بوش هي أقوى من أي وقت، وكانت الأرقام تقع بين ٨٤، ٩٠ بالمائة، إن الزيادة في تقديرات الاستحسان الحديثة لعمل الرئيس لم يسبق إلى مثلها، حتى تلك المعمول بها في وقت الأزمات". وكان الاستحسان لعمل بوش يقارب ٥٥ بالمائة قبل ١١ أيلول، وكانت القفزة إلى ٩٠ بالمائة في الاستفتاء الذي أجرته أخبار الآي بي سي مع جريدة الواشنطن بوست "لا نظير له في استفتاءات العصر الحديث"، وكانت الأزمات المفاجئة في الماضي تحدث زيادة فورية في استحسان عمل الرئيس، "ولكن متانة مثل هذه الزيادات تستمر مدة سبعة إلى عشرة أشهر فقط عادة"، ويشير روف بذلك إلى أن الرؤساء يتراجعون إلى معدلات الاستحسان الطبيعية بسرعة نوعًا ما. كان روف يقول: "إن الحرب في نهاية المطاف ستقاس بالنتيجة.. فالمنتصر هو دائمًا على حق، والتاريخ ينسب إلى المنتصر ميزات سواء كانت بالفعل موجودة أم غير موجودة، ومثل ذلك ينسب إلى المنهزم". راجع: بوب ودوارد، بوش محاربًا، مصدر سبق ذكره، ص ٣٥، ٢٧٤ – ٢٧٥، ٤٤٢. كان يعمل في الظل، كان يخبر الرئيس بوش الابن ماذا عليه أن يفعل وماذا عليه ألا يفعل، وكانوا يسمونه في الدوائر الحكومية العليا بالمنظر الأيديولوجي. إن المستشار السياسي للرئيس كارل روف كان يركز في يده سلطة كبيرة تفوق كثيرًا مستوى منصبه الرسمي، حتى إن الأمور وصلت بوزير خارجية الولايات المتحدة كولن باول وهو الشخصية رقم ٣ في تسلسل الهرم القيادي بعد الرئيس ونائبه ديك تشيني؛ أن من واجبه إخبار البيت الأبيض محذرًا بأنه لا يمكنه القبول بأن يتلقى الأوامر من قبل روف. راجع: ف. ي. كرلوف، مصدر سبق ذكره، ص١٣٦.

=

الدوافع العالية في البيت الأبيض ووزارة الدفاع، وقد وجدوا آذانًا صاغية لدى الرئيس، وساعدوه في إعادة تعريفه بأنه القائد الأعلى "لأمة في حالة حرب"(١).

تواصل هذا النموذج في ولاية بوش الثانية، وعزز استبدال مستشارة الأمن القومي كوندوليزا رايس في الولاية الأولى بوزير الخارجية الدور التكتيكي لوزارة الخارجية في هيكلية عملية صنع القرار الذي لا تزال تهيمن عليه مجموعة المسئولين نفسها الذين استجابوا لأحداث ١١ أيلول ببث الشعور بالمهمة التاريخية (شبه الدينية) في دور الرئيس(٢).

وهذا يعني أن الرئيس بوش الابن اتبع أسلوبًا من أعلى إلى أسفل في إدارة السياسة الخارجية وحصرها في دائرة ضيقة من صناع القرار الكبار المعروفين

=

يصف ودوارد نفوذ رئيس موظفي نائب الرئيس تشيني، سكوتو ليبي بإيجاز بقوله: "لليبي ثلاثة ألقاب رسمية، كان رئيسًا لموظفي نائب الرئيس تشيني، وكان أيضًا مستشار الأمن القومي لدى نائب الرئيس، وكان أخيرًا مساعدًا للرئيس بوش. شكل ذلك ثلاثية من المواقع لم يسبق ربما لأي شخص واحد أن تولاها. فسكوتو شكل مركز قوة بنفسه.. وكان ليبي واحدًا من شخصين فقط من غير المديرين يحضران اجتماعات مجلس الأمن القومي مع الرئيس والاجتماعات المنفصلة للمديرين التي ترأسها رايس". راجع: ستيفن والت، جون مير شايمر، مصدر سبق ذكره، ص ٦٣٩.

(١) زبيغنيو بريجنسكي، الفرصة الثانية، مصدر سبق ذكره، ص ١٦ – ١٧.

يقول في هذا المجال، جون نيكولز في كتابه عن ديك تشيني رئيس أمريكا الفعلي: "جورج دبليو بوش لا يقرأ الصحف ولا يشاهد كثيرًا من الأخبار التلفزيونية". يقول: إنه يعتمد على مساعديه في تزويده بالمعلومات التي يحتاج إليها. راجع: جون نيكولز، مصدر سبق ذكره، ص١١١.

(٢) المصدر نفسه، ص ١٧.

شخصيًّا، حيث تولى بوش القيادة في اتخاذ القرارات، وشكل مستشار الأمن القومي الثانية الأنا الثانية[١].

من هنا يمكن القول بأن جورج بوش الأب كان الأكثر خبرة ومهارة في الدبلوماسية، لكن لم يكن يسترشد بأية رؤية واضحة في لحظة تاريخية غير تقليدية، وكان بيل كلينتون الأكثر براعة وتطلعًا إلى المستقبل، لكنه كان يفتقر إلى الاتساق التاريخي في استخدام القوة الأمريكية، أما بوش الابن فإنه يتميز بعدم معرفته بالتعقيدات العالمية، ومزاجيته إلى الصيغ العقدية[٢].

نستنتج من ذلك أن الرؤساء يضعون مبدئيًّا مسئولية السياسة الخارجية على عاتق وزير الخارجية، غير أنه في بعض الدول كالحالة مع الولايات المتحدة نرى أن مستشاري الأمن القومي الأقوياء مثل كيسنجر وبريجنسكي صادفا صعوبة ضئيلة في تحقيق الهيمنة من خلال كسب ثقة الرؤساء الذين كانوا في خدمتهم. ومن الأسباب الرئيسة للنزاع في أية إدارة أمريكية هو اهتمام موظفي البيت الأبيض

---

(١) جون نيكولز، مصدر سبق ذكره، ص 93.

(٢) زبيغنيو بريجنسكي، الفرصة الثانية، مصدر سبق ذكره، ص ١٧ – ١٨.

انعكس تراجع أهمية الشئون الدولية في أولويات كلينتون بشكل ظاهر بالفارق الكبير بين مذكرات بوش الأب، ومذكرات كلينتون، فقد كرس كتاب مذكرات بوش الأب الذي يبلغ عدد صفحاته ٥٦٦ صفحة (كتبه مع مستشاره للأمن القومي) للشئون الخارجية حصرًا، مع بعض التفاخر بمنجزات المؤلفين، بل إنه لم يأت على ذكر خدمة بوش في الحرب، واختار كلينتون بدلًا من ذلك كتابة رواية مطولة عن حياته أوجز فيها إدارته للشئون الخارجية طوال ثماني سنوات بشكل سطحي لم يتجاوز ١٥٪ من إجماليها، بل إن وزير خارجيته في ولايته الثانية، وكانت أكثر نشاطًا من سابقتها، خصصت قسمًا كبيرًا من مذكراتها لأحداث شخصية ليس لها صلة مباشرة بإستراتيجية السياسة الخارجية وتنفيذها. راجع: المصدر نفسه، ص ٩٢ – ٩٣.

بالإيحاءات السياسية للقرارات السياسية القصيرة المدى، بينما تركز وزارة الخارجية على محافظة العلاقات وتطويرها مع الدول الأخرى على أساس المدى البعيد[١].

وفي حقيقة الأمر، فإن السياسة الخارجية الأمريكية تظل معقدة، فعلى الرغم من أن الرئيس هو الذي يعين مستشار الأمن القومي ووزيري الدفاع والخارجية، فإن التواصل والتنسيق بين هذه الأجهزة لا يتم بشكل انسيابي أو تلقائي، فكل وزارة لديها اهتمامات وأولويات قد تكون مختلفة عن بقية الأجهزة، كما يكون لديها أسلوب عمل خاص بها، فيما قد يطلق عليه "ثقافة الوكالة"؛ أي الطريقة التي تفكر بها كل وزارة أو مؤسسة سيادية أمريكية، وما لم يقم الرئيس بعملية تقسيم واضحة وصارمة للاختصاصات والصلاحيات، فإن الصراع بين الوزارات والوكالات المختلفة سيكون هو السمة الرئيسة لصنع السياسة الخارجية الأمريكية[٢].

إلا أنه في بعض النماذج الدولية، كالحالة في أنموذج وزارة الخارجية الأمريكية، نرى تنامي دور هذه الوزارة على حساب الأجهزة الأخرى في عملية صنع القرار والتي تمثلت في إدارتي جون كيندي وريتشارد نيكسون. من هذا المنطلق، يوضح هذا الفصل مدى العلاقة الفاعلة بين وظيفة التنفيذ وعملية صنع القرار في أنموذج وزارة الخارجية الأمريكية.

في دوائر الحكومة الأخرى، يتلقى الموظفون المحترفون تدريبًا مختلفًا، لا تتطور لديهم عادة الخضوع للسلطة الرئاسية، بل يشجعون على التفاخر في

---

(١) روبرت د. كانتور، مصدر سبق ذكره، ص ٤٢٤.
(٢) كيندل سكوت، "ديناميات صنع السياسة الخارجية الأمريكية"، مصدر سبق ذكره، ص ١٤٢.

مقدرتهم أو نظرتهم الخاصة بالنسبة للمصلحة الوطنية، وذلك بجعل نظرتهم إلى الرئيس ليس كقائد لهم، بل كظاهرة عابرة وآراؤه من قبيل النصح بأحسن الأحوال. وقد لازمت هذه السمة وزارة الخارجية زمنًا طويلًا، وكان دين أتشيسون -حيث كان يعد أحسن أفضل المعينين في تاريخ الولايات المتحدة- قد أشار إلى هذه المشكلة في مذكراته مستذكرًا بتأسف الخلاف "بين البيروقراطية وبيني على صنع القرار ومركز القيادة". لاحظ أتشيسون أن "الموقف بأن الرؤساء والوزراء يأتون ويذهبون ولكن الوزارة باقية إلى الأبد، جعل العديد من الرؤساء يكرهون ولا يثقون بوزارة الخارجية". ورأى في ذلك "جرحًا ذاتيًّا يضعف مركز وزارة الخارجية داخل الحكومة"[١].

لدى وزارة الخارجية أجسام مضادة قوية ضد الإدارة السياسية من قبل البيت الأبيض، فصفوة المحترفين في السلك السياسي الخارجي هم من المثقفين المحترفين ذوي خبرة كوزموبوليتانية واسعة فخورين بطبيعة عملهم الثقافية، ويعدون أن من مهامهم تثقيف الرئيس بشأن مصالح الدولة في العالم، ونادرًا ما يتقبلون المناقضة حتى من الرئيس أو من مجلس الأمن القومي بدون مقاومة.

في مذكراته يطري هنري كيسنجر قدرات المحترفين في السلك الخارجي وعملهم الشاق، ولكنه لاحظ أن "الوجه الآخر من تفانيهم هو قناعتهم بأن حياة كاملة من الخدمة وفرت لهم فهما للأمور يتعدى آراء المعينين السياسيين السطحية وغير المدربة" وقال كيسنجر: "إنهم ينفذون التعليمات الواضحة بولاء عظيم، ولكن المسئول في السلك الدبلوماسي الخارجي يصعب إقناعه بأن

---

(١) دوغلاس ج. فايث، الحرب والقرار من داخل البنتاغون تحت عنوان الحرب ضد الإرهاب، تعريب سامي بعقليني، مؤسسة الانتشار العربي، بيروت، ٢٠١٠، ص ٥٠.

توجيهًا يختلف معه هو فعلًا واضح" وقد جعل ذلك المعينين السياسيين يحبذون مع بعض المزاج "ضبطًا مدنيًّا" للسلك الدبلوماسي الخارجي على غرار وزارة الدفاع[(١)].

هنا في هذا الشأن يقول دوغلاس ج. فايث: "غير أن أساس تذمري من وزارة الخارجية ظل النقطة التي شرحها دين أتشيسون باستهجان: رفض الموظفين هناك التطلع إلى الرئيس كمحك لهم، لقد تصرفوا كما لو كانت وزارة الخارجية الحكم الوحيد في مصالحنا القومية، دون توجب مراجعة القيادات العليا، وبالفعل عندما حان وقت صياغة السياسة عدوا أنفسهم حكومة الولايات المتحدة، وشعروا أن بإمكانهم كتابة البرقيات والمذكرات وإصدار البيانات دون الالتفات إلى قرارات ربما اتخذها الرئيس للتحديث أو للانحراف عن مفهوم الدولة الحالي في كيف يجب على الولايات المتحدة أن تتصرف في العالم؟ ولسنين عديدة كان من المضحك مراقبة الناطقين باسم وزارة الخارجية وهم يؤكدون أن سياسات الولايات المتحدة تظل مستقرة حتى في وجه تغيير العوامل الجغرافية تغييرًا استثنائيًّا[(٢)].

---

(١) المصدر نفسه، ص ٥٠ – ٥١.

سجل فرانكلين روزفلت خيبة من وزارة الخارجية: "وزارة الخزانة كبيرة ومنتشرة ومشبعة بممارسات أجد أنه من المستحيل معها إنجاز الأعمال والنتائج التي أبغي، ولكن يجب عدم مقارنة وزارة الخزانة بوزارة الخارجية، بل يجب أن تمر في اختبار محاولة إحداث أي تغيير في تفكير وسياسة وأعمال الدبلوماسيين المحترفين، وعندئذٍ تعرف كيف تكون المشكلة الحقيقية". راجع: المصدر نفسه، ص ٥٠.

(٢) دوغلاس ج. فايث، مصدر سبق ذكره، ص ٥٣.

وهنا لا بد من الإشارة إلى أن عملية صنع القرار في السياسة الخارجية الأمريكية تأثرت بالعنصر الشخصي، بمعنى أن صنع القرار عملية إنسانية، رغم أن هذا الأثر في النظم الديمقراطية يكون خافتًا. ومن أمثلة ذلك أن خوف جون كيندي من الفشل جعله يميل إلى الحلول التوفيقية، والإبقاء على الوضع الراهن، وأن الرئيس الأسبق إيزنهاور لم يكن على دراية كافية بالشئون الدولية؛ لذلك فوض سلطات واسعة لوزير خارجيته جون فوستر دالاس. والحق، تعد وزارة الخارجية بمثابة المستشار الأول لرئيس الدولة فيما يخص السياسة الخارجية، وعلى الرغم من أن الرئيس دستوريًا وسياسيًا المسئول بالدرجة الأولى عن السياسة الخارجية فإن تصوراته عن الوضع الدولي والمواقف الدولية تكون عادة متأثرة إلى درجة كبيرة بالصورة التي يقدمها له وزير خارجيته وبالتقارير والمعلومات التي ترد عليه من أعضاء السلك الدبلوماسي؛ لذلك لا يمكننا الانتقاص من أهمية الدور الذي يقوم به وزير الخارجية في عملية صنع القرار في السياسة الخارجية "دور دالاس في سياسة حافة الهاوية، دور هنري كيسنجر في سياسة الوفاق"[(١)].

أولاً: الدبلوماسية كأداة من أدوات السياسة الخارجية:

يقسم هيرمان أدوات السياسة الخارجية إلى ثمان، هي: الأدوات الدبلوماسية والأدوات الاقتصادية والأدوات العسكرية والأدوات السياسية الداخلية والأدوات الاستخباراتية والأدوات الرمزية والأدوات العلمية والتكنولوجية والموارد الطبيعية[(٢)].

---

(١) الدكتور هشام محمود الأقدحي، السياسة الخارجية والمؤتمرات الدولية مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، ٢٠١٢. ص ٧١، ٧٥.

(٢) نقلًا عن الدكتور محمد السيد سليم، تحليل السياسة الخارجية، مصدر سبق ذكره، ص ٩١ – ٩٤.

=

تندرج تحت الأدوات الرمزية مجموعة من أدوات السياسة الخارجية التي تتضمن محاولة التأثير في أفكار الآخرين، وتشمل تلك الأدوات مجموعة من الأدوات الدعائية والأيديولوجية والثقافية. وفيما يخص الأدوات الدعائية فإنها تكون موجهة في التأثير على مفاهيم الأفراد العاديين والنخب غير الرسمية في الوحدات الدولية الأخرى، وهي تهدف أساسًا إلى من توجه إليهم الدعاية على تأييد أو رفض اتجاه أو سلوك معين، كالحالة في كيفية إقناع الرأي العام الأمريكي بالتعاطف مع القضية الفلسطينية في الشرق الأوسط. أما الأدوات الأيديولوجية فإنها تنصرف إلى إشاعة رأي مثالي على نطاق واسع لما ينبغي أن يكون عليه في المستقبل، كمحاولة نشر المعتقدات الشيوعية، أو المفاهيم الرأسمالية، وغيرها من المفاهيم الأخرى. وهناك تباين بين الأدوات الثقافية والأدوات الدعائية والأيديولوجية، في كون الأولى تؤكد استغلال الموروث الثقافي في التأثير على الوحدات الدولية الأخرى، كإقامة العروض الثقافية في الخارج، وإشاعة المفاهيم القومية على مستوى العالم الخارجي، وغيرها من الأنشطة[1].

=

يقصد بالموارد الطبيعية جميع الموارد المتاحة للمجتمع التي تكون هبة خالصة من هبات الله وليس للإنسان دخل في وجودها، ومن أمثلة تلك موارد الأراضي الزراعية، والغابات، وما تحتويه الأرض في باطنها من معادن وما تظهره من أشجار. وقد تستعمل الموارد الطبيعية كأداة من أدوات السياسة الخارجية، والمثال على ذلك: حظر تصدير النفط العربي إلى بعض الأقطار الغربية في عام ١٩٧٣، وعرض الرئيس أنور السادات بتحويل بعض مياه النيل إلى الكيان الصهيوني في عام ١٩٨٠. راجع: نقلًا عن الدكتور محمد السيد سليم، تحليل السياسة الخارجية، مصدر سبق ذكره، ص ٩٤.

(١) نقلًا عن المصدر نفسه، ص ٩٣ – ٩٤. و: Henderson , p. 201

وجد هيرمان أن الدول النامية بصورة عامة هي أقل الدول توظيفًا للأدوات سالفة الذكر في حين أن الدول المتقدمة هي أكثر توظيفا لها. وجد هيرمان من دراسته لتكرار استعمال أدوات السياسة الخارجية أن الكيان الصهيوني والولايات المتحدة هما أكثر الوحدات الدولية توظيفًا للأدوات العسكرية، في حين وجد أن الصين الشعبية وكوبا أكثر الدول توظيفًا للأدوات الدعائية، وتبعًا لذلك فقد "قام هيرمان بتطوير مقياس التركز Concentration Index وهو مقياس يحدد درجة استغلال الوحدة الدولية لأداة واحدة أو لأدوات متعددة في سياستها الخارجية، والمقياس هو حاصل مربعات نسب توظيف كل من أدوات السياسة الخارجية الثمان، ويتراوح المقياس بين واحد صحيح مما يعني أن الدولة توظف أداة واحدة في سياستها الخارجية. مما يعني أن الدولة تستعمل كل الأدوات بالتساوي، فإذا كانت الدولة توظف الأدوات بالنسب التالية: الأدوات الدبلوماسية (٤٥٪)، والأدوات العسكرية (١٤٪)، والأدوات الاقتصادية (١١٪)، والأدوات السياسية الداخلية (٣٪)، والأدوات الرمزية (٩٪)، والأدوات الاستخبارية (٦٪)، والأدوات الطبيعية (٨٪)، فإن مقياس التركز بالنسبة لها هو (٤٥و.)٢ +١٤و.)٢ +(١١ و.) +(٣.و.)+(٢ +٩.و.) +(٦و.) ٢ +(٤.و.) ÷(٨.و.) = ٢٦و.[1].

إن طبيعة الأدوات المستخدمة تتفاوت طبقًا لمراحل عملية السياسة الخارجية؛ فمن المتصور أن تستعمل الدولة أدوات معينة في مرحلة جمع المعلومات (كالأدوات الاستخبارية)، ولكنها تلجأ إلى أدوات أخرى حين تطبق

---

(١) نقلًا عن الدكتور محمد السيد سليم، تحليل السياسة الخارجية، مصدر سبق ذكره، ص ٩٤ – ٩٥.

السياسة الناشئة عن جمع تلك المعلومات (كالمهارات الدبلوماسية والقدرات العسكرية)[١].

ينطوي تطبيق السياسة الخارجية عادة على توظيف مجموعات مختلفة من تلك الموارد والمهارات، كأن تلجأ الدولة إلى استعمال العمل الدبلوماسي، والقنوات العسكرية، والقنوات الاقتصادية في آن واحد لتحقيق هدف معين، كما حدث بالنسبة للأقطار العربية في حرب تشرين الأول من عام ١٩٧٣، ولكن القنوات الدبلوماسية هي بصورة عامة من أكثر أدوات السياسة الخارجية استعمالًا، ثم يأتي في الأهمية الأدوات الاقتصادية، وأخيرًا الأدوات العسكرية. كذلك فإن الدول قد تتجه إلى توظيف أداة معينة من أدوات السياسة الخارجية[٢].

إذا كانت السياسة الخارجية هي فن قيادة علاقات دولية ما بغيرها من الدول، فإن الدبلوماسية هي القيام بالتنفيذ والتطبيق للبرنامج المحدد من خلال عمل منهجي ويومي عن طريق المفاوضات أو على الأقل المحادثات التي تجري بين الدبلوماسيين بعضهم بعضًا، أو بين الدبلوماسيين ووزراء الخارجية[٣].

ثانيًا: أنموذج الولايات المتحدة الأمريكية:

إلا أن هذه الرؤية للدبلوماسية في أقل تقدير في الولايات المتحدة، تكون قد تأثرت بنظرة الرئيس للسياسة الخارجية، وعلى سبيل المثال فإن هذه السياسة على

---

(١) المصدر نفسه، ص ٩٥.

(٢) المصدر نفسه، ص ٩٤.

(٣) مارسيل ميرل، سوسيولوجيا العلاقات الدولية، ترجمة الدكتور حسن نافعة، دار المستقبل العربي، القاهرة، ١٩٨٦، ص٣٢٨.

عهد روزفلت اتسمت بعدم الوضوح، إلى درجة أدت إلى إرباك أقرب مستشاريه. فقط كانت هناك مسألة واحدة كانت واضحة هي رفض الرئيس اتخاذ موقف عدائي ضد السوفيت بصورة صارخة، مما أثار سخط بعض الدبلوماسيين في وزارة الخارجية، ولا سيما أفريل هاريمان السفير الأمريكي لدى الاتحاد السوفيتي؛ لأن كلًّا من هاريمان وتشرشل وترومان فيما بعد كان لهم اعتقاد بأن الاتحاد السوفيتي سوف يؤكد طموحاته ونفوذه في السياسة الدولية، الأمر الذي ولد قناعة عندهم استحالة التعاون معه، في الوقت الذي نرى أن الرئيس روزفلت كان ضد هذه الافتراضات، بل أكثر من ذلك فإنه رأى من المنطقي أن يشعر السوفيت بالقلق تجاه نوع الحكومات الموجودة على الحدود القريبة للاتحاد السوفيتي، مما حدا به مناقشة مطالب السوفيت في أوروبا الشرقية، فضلًا عن ذلك كان هناك افتراض آخر وافق عليه تشرشل نفسه، يخص مفهوم ستالين في بداية عام ١٩٤٥ والمتضمن: كل من يحتل منطقة يحق له أن يفرض عليها نظامه السياسي الخاص، إلا أن تشرشل الذي كان من منظري هذه السياسة ومن مؤيديها في إيطاليا واليونان، سرعان ما شجب مبدأ ستالين هذا في شرقي أوروبا(١).

استمر هذا الإحساس في عداء السوفيت ولا سيما في وزارة الخارجية، ولكن جورج كينان برغم أن وظيفته في وزارة الخارجية كانت على الهامش، وذلك في مطلع عام ١٩٤١، عبر عن رفضه للسياسة السائدة للرئيس، ومن المحتمل أن هذا الرأي الذي عبر عنه كينان كان هو السائد في أوساط الخارجية

---

(١) ستيفن آي. أمبروز، الارتقاء إلى العالمية السياسة الخارجية الأمريكية منذ عام ١٩٣٨، ترجمة نادية محمد الحسيني، المكتبة الأكاديمية، القاهرة، ١٩٩٤، ص٥٦.

الأمريكية، إلا أن الأخير لم يكن الموجه الرئيس للسياسة الخارجية الأمريكية، لذا استمر روزفلت في إمداد الروس على سبيل "الإقراض والإيجار" وتأييد ستالين معنويًّا، ولكن تحت إلحاح وزارة الخارجية رفض طلب ستالين في عام ١٩٤١ عقد اتفاقية تعترف بالأقاليم التي فاز بها الروس في ظل المعاهدة الدولية بين السوفيت وألمانيا النازية، بحجة أنه بالإمكان تسوية المشكلات الإقليمية بعد انتهاء الحرب، ولكن فيما عدا تلك المسألة عمل روزفلت على التعاون مع ستالين ضد عدوهما المشترك[١].

والحق، لم يتمتع مكتب الخدمات الإستراتيجية بالكثير من المكانة في الولايات المتحدة، وأقل منه داخل البنتاغون، وحجب عن المنظمة الاطلاع على أهم الاتصالات اليابانية والألمانية التي تم التنصت عليها[٢].

قبل "بيرل هاربور" كان بالإمكان العثور على المعلومات الاستخباراتية الأمريكية التي تغطي بقعًا كبيرة من العالم في مجموعة قليلة من خزائن الملفات الخشبية في وزارة الخارجية، ومصدرها الوحيد للمعلومات هو بضع دزينات من السفراء والملحقين العسكريين. وفي ربيع ١٩٤٥ كادت الولايات المتحدة لا تعرف شيئًا عن الاتحاد السوفيتي، والأقل منه عن بقية العالم[٣].

بدأ ستالين يثبت هيمنته على البلقان، ورجال العصابات اليساريون يحاربون النظام الملكي اليميني في جبال اليونان، ونشبت أعمال الشغب المتعلقة بالغذاء في إيطاليا وفرنسا، حيث دعا السياسيون الشيوعيون إلى إضراب عام، وأخذ

---

(١) استيفن آي. أمبروز، مصدر سبق ذكره، ص٥٧. ومارتن غريفيش، مصدر سبق ذكره، ص٦٧، ٦٩ – ٧٠.

(٢) تيم واينر، مصدر سبق ذكره، ص ٢٤.

(٣) المصدر نفسه، ص ٢٤ – ٢٥.

الجنود البريطانيون والجواسيس ينسحبون من مراكزهم في جميع أنحاء العالم، تاركين مساحات واسعة من خريطة نفوذهم مشرعة أمام الشيوعيين، وأخذت الشمس تغيب عن الإمبراطورية البريطانية، ولم يعد في مقدور وزارة المال تحمل نفقاتها، وسيصبح على الولايات المتحدة أن تقوم وحدها بقيادة العالم الحر[١].

وفي خضم هذه التطورات حدد وزير الخارجية الجديد، وقائد الجيش الأمريكي في الحرب العالمية الثانية، جورج س. مارشال، أن البلاد تحتاج إلى إعادة صياغة سياستها الخارجية، وأوكل في الربيع إلى كينان مسئولية فريق التخطيط للسياسة الجديدة في وزارة الخارجية[٢].

جورج كينان وعملية صنع القرار:

أخذ كينان[٣] يضع خطة المعركة لما أطلق عليه حديثًا اسم الحرب الباردة،

---

(١) المصدر نفسه، ص ٢٤.

(٢) المصدر نفسه، ص ٤٤.

(٣) ولد جورج كينان في عام ١٩٠٤، والتحق بجامعة برنستون عام ١٩٢١، وتخرج فيها في عام ١٩٢٥، والتحق بالسلك الدبلوماسي الأمريكي عام ١٩٢٦، واختير أن يتدرب ويتخصص في اللغة والشئون الروسية، وهو الشخص الذي كان بعد مدة ستين عامًا واحدًا من أبرز المحللين للشئون الروسية.
وكانت الشخصيات التي تولت السفارة الأمريكية في موسكو منذ تأسيس العلاقات حتى أوائل الخمسينيات هي: أفريل هاريمان، وجارلس بوهلين، ولويلين تومبسون، ثم جورج كينان، الذي تميز عنهم بعمله في موسكو في مدد سابقة، فقد عمل كمترجم لأول سفير للولايات المتحدة في موسكو، ثم عمل مستشارًا وقائمًا بالأعمال عام ١٩٤٤، ثم سفيرًا في عام ١٩٥٢.
وعلى الرغم من تميز الشخصيات الثلاث الأولى وبروز دورها في إدارة وتوجيه العلاقات الأمريكية السوفيتية في أدق مراحلها، فإن إسهامات كينان على المستوى الفكري كانت أكثر تميزًا بحكم القاعدة العلمية والأكاديمية العريضة التي بناها لنفسه منذ تخرجه في جامع
=

=

برنستون.

ولعل من المفارقات المرتبطة بشخصية كينان كذلك أن صورته لدى قطاعات من المتعلمين بل والمثقفين بأنه منظر "سياسة الحرب الباردة"، وأنه من خلال مقالته الشهيرة عن "مصادر السلوك السوفيتي"، التي نشرها عام ١٩٤٧، قد صاغ مفهوم سياسة الاحتواء.

وكان كينان مع نهاية عام ١٩٤٩ قد عبر للمسئولين في الخارجية عن رغبته في الحصول على إجازة دراسية ابتداء من حزيران ١٩٥٠ تسمح له بالعودة إلى نشاطاته الأكاديمية، وتتيح له الوقت والحرية لتناول المشكلات.

بعد انتهاء عمل كينان كسفير في موسكو كان ثمة حادثان بارزان في حياته العملية والأكاديمية، وهما: دعوة جامعة أكسفورد له لقضاء عام دراسي فيها كأستاذ في عام ١٩٥٧ – ١٩٥٨، ثم دعوة الإذاعة البريطانية له في الوقت نفسه، كي يلقي مجموعة محاضرات سنوية تنظمها وتعرف باسم محاضرات ريث Reith lectures.

بعد انتهاء عمله كسفير في يوغسلافيا عام ١٩٦٣ واعتزاله العمل الحكومي والدبلوماسي نهائيًّا واصل كينان عمله ونشاطه الفكري والأكاديمي.

أصدر كينان كتابه Democracy and the Student left في عام ١٦٦٨، ثم أصدر كينان في عام ١٩٧٧ كتابه الهام "سحب الخطر" لمناقشة وتحليل عدد من الافتراضات السائدة حول طبيعة النظام السوفيتي ونوايا قياداته آنذاك والتي كانت تتمثل في قيادة بريجنيف، كوسيجين، وبودجورني، وقد حدد كينان هذه الافتراضات في الآتي: -

١ – إن طبيعة القيادة السوفيتية لم تتغير بشكل عام منذ بدايات الحرب الباردة، وما زالت تلهمها الرغبة والعزم على تحقيق السيطرة العالمية.

٢ – إن هذه القيادة السوفيتية تنظر إلى المواجهة العسكرية مع الولايات المتحدة كشيء حتمي.

٣ – وإنه لهذه الأسباب فإن القوة المسلحة السوفيتية هي قوة هجومية وليست دفاعية.

ثم أصدر كينان في عام ١٩٨٢ كتابه تحت عنوان The Nuclear Delluions في عام ١٩٨٩، وبعد قرابة عشرين عامًا من نشره مذكراته السياسية أصدر كينان يومياته تحت عنوان "صور من حياة" Sketches from life. وفي عام ١٩٩٣ وقد بلغ الثامنة والثمانين من عمره أصدر كينان كتابًا ضمنه خلاصة خبراته الدبلوماسية والتاريخية والفلسفية وجاء تحت عنوان Around the Crayed Hill ; A personal and political Philosofy

=

وقد أدت أفكار كينان في خلال ستة أشهر فقط إلى نشوء ثلاث قوى صاغت العالم: مبدأ ترومان، وهو تحذير سياسي للاتحاد السوفيتي لإيقاف تدخله في شئون الدول الخارجية، مشروع مارشال، وهو ركن عالمي متقدم للنفوذ الأمريكي في مواجهة الشيوعية، والجهاز الخفي لوكالة الاستخبارات الأمريكية[(١)].

وهذا بحسب الصيغة التي وضعها جورج كينان "التزام بالرد على الاتحاد السوفيتي إذا ما تطاول على مصالح عالم مسالم ومستقر"[(٢)].

أرسل كينان في ٢٧ أيلول إلى فوريستال ورقة تدعو إلى إنشاء "فيلق حرب العصابات". أعتقد أنه برغم أن الشعب الأمريكي قد لا يوافق أبدًا على مثل هذه الوسائل "فسيكون من الضروري لأمتنا محاربة النار بالنار". وقد وافق فوريستال بحماسة، وقاما معًا بإطلاق الجهاز الأمريكي السري[(٣)].

= ففي الوقت الذي عده اليسار خاصة خلال الخمسينيات "مهندس الحرب الباردة والخادم الأمين للإمبريالية الأمريكية" انتقده اليمين الأمريكي من أمثال جون فوستر دالس، ووليم باكلي، معدًّا إياه "مهندس الوهم" كما ازداد هذا النقد حين حاول أن يبث الاستقرار في العلاقات الأمريكية السوفيتية، وينتقد سياسات التسلح الأمريكية، حيث عدوا هذا مهادنة منه للشيوعية والنظام السوفيتي. راجع: الدكتور السيد أمين شلبي، جورج كينان الدبلوماسي المؤرخ، مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٩٧، ص ٧ – ٨، ٢٨، ٧١، ٨٤، ٩٩، ١٠٦، ١٢٧، ١٣٠، ١٣٣، ١٤٣.

(١) المصدر نفسه، ص ٤٤ – ٤٥.

(٢) ريتشارد. هاس، الفرصة لحظة أمريكا لتغيير مجرى التاريخ، ترجمة أسعد كامل إلياس، العبيكان للنشر، الرياض، ٢٠٠٧، ص ٤٤.

(٣) تيم واينر، مصدر سبق ذكره، ص ٥٠.

تكشفت ورقة سرية للغاية أرسلت في ٤ آيار ١٩٤٨ ربما إلى دزينتين من الناس في وزارة الخارجية، والبيت الأبيض، والبنتاغون، أن كينان أعلن عن "تدشين الحرب السرية المنظمة"، ودعا إلى إنشاء جهاز سري جديد لشن العمليات السرية على مستوى العالم، وأعلن بوضوح أن مشروع مارشال، ومبدأ ترومان، وعمليات "السي. آي. أيه" الخفية، هي الأجزاء المتداخلة للإستراتيجية الكبرى ضد ستالين(١).

لقيت أفكار كينان رواجًا سريعًا، تمت الموافقة على خططه في أمر سري صدر عن مجلس الأمن القومي في ١٨ حزيران ١٩٤٨، ودعا التوجيه الرقم ١٠ / ٢ للمجلس إلى عمليات خفية لمواجهة السوفيت في جميع أنحاء العالم(٢).

حصلت القوة الضاربة التي ابتكرها كينان للقيام بالحرب السرية على ألطف اسم يمكن تخيله: "مكتب التنسيق السياسي"، وشكل ذلك تغطية للتستر على عمل المجموعة، وقد ضم إلى "السي. آي. أيه"، ولكن رئيسه سيرفع تقاريره إلى وزيري الدفاع والخارجية؛ لأن مدير الوكالة المركزية كان على درجة كبيرة من الضعف، وأرادت وزارة الخارجية منه القيام "بنشر الشائعات، والرشوة، وتنظيم الجبهات المناوئة للشيوعية"، وذلك بحسب تقرير لمجلس الأمن القومي رفعت عنه السرية في ٢٠٠٣، وأراد فورستال والبنتاغون "حركات حرب عصابات.. وجيوشًا سرية.. وتخريبًا واغتيالات"(٣).

---

(١) تيم واينر، مصدر سبق ذكره، ص ٥٤.

(٢) المصدر نفسه، ص ٥٥.

(٣) المصدر نفسه، ص ٥٥.

سبق لكينان أن أصر على أن العمليات الخفية لا يمكن أن تدار بوساطة لجنة، فهي تحتاج إلى قائد أعلى يتمتع بدعم كامل من البنتاغون ووزارة الخارجية. وكتب: "على رجل واحد أن يكون الرئيس". ووافق فورستال ومارشال وكينان جميعهم على أن ويسنر هو هذا الرجل. امتلك ويسنر خبرة تقل عن ثلاثة أعوام بوصفه جاسوسًا في زمن الحرب، ومكتسبًا خبرة دبلوماسية مبطنة. وعليه الآن أن ينشئ من العدم. لاحظ ريتشارد هيلمس أن ويسنر يشتعل حمية وحدة، مما فرض عليه بلا شك إجهادًا غير طبيعي، وستؤدي حماسته للعمل الخفي إلى تغيير دائم لمكانة الولايات المتحدة في العالم[1].

كان جيمس فوريستال وجورج كينان مبتكري عمليات "السي. آي. أيه" الخفية، والقائدين لها، لكن ثبت أنهما لم يتمكنا من السيطرة على الآلة التي قاما بتحريكها، وأخذ كينان يصبح ورقة محروقة، ساعيًا إلى الانعزال في مخبئه في مكتبة الكونغرس، واجتاز فورستال الحد كثيرًا؛ فقد استقال في ٢٨ آذار ١٩٤٩ من منصبه كوزير للدفاع، وانهار في يومه الأخير في منصبه نائحًا بأنه لم يعرف النوم لمدة شهر. وجد الدكتور وليام س. مينينغر، وهو أبرز طبيب نفسي في الولايات المتحدة، فورستال في خضم حالة ذهنية، فأرسله إلى جناح الأمراض النفسية في مستشفى بتيسدا البحري[2].

في نهاية الأمر نرى أن سياسة الضغوط الاقتصادية التي مارستها الولايات المتحدة ضد ستالين قد أخفقت، ففي كانون الثاني ١٩٤٥ طلب ستالين قرضًا قيمته ٦ بلايين دولار، ولكن وزارة الخارجية رفضت مناقشة الطلب إلا إذا

---

(١) تيم واينر، مصدر سبق ذكره، ص ٥٧.

(٢) المصدر نفسه، ص ٦٦ – ٦٧.

أصبح ستالين أكثر تفهمًا إزاء مطالب الولايات المتحدة في أوروبا، وعلى حد تعبير هاريمان الذي قال: "يجب مساعدة السوفيت فقط إذا وافقوا على التعاون معنا في حل المشاكل الدولية طبقًا لمعاييرنا". وفي نهاية عام ١٩٤٥ طلب السوفيت قرضًا قيمته بليون دولار، ولكن الإدارة الأمريكية فقدت طلب القرض، وعندما تم العثور عليه بعد عدة أشهر عرضت وزارة الخارجية مناقشة القرض إذا تعهد السوفيت بعدم التعصب أو التمييز في مجال التجارة الدولية، وذلك بالسماح للاستثمارات والسلع الأمريكية بدخول مناطق نفوذ الاتحاد السوفيتي، إلا أن ستالين رفض هذا العرض[١].

أخذ نجم كينان يتصاعد، ونفوذه يتزايد في وزارة الخارجية بعد انتهاء الحرب، كما أسند إليه مارشال منصب رئيس هيئة تخطيط السياسة، والحق أن هناك عوامل عديدة ساعدت على بروز أهمية كينان والخارجية الأمريكية، برقية من سبعة آلاف كلمة أرسلها من موسكو للتحذير من نيات الاتحاد السوفيتي بعد انتهاء الحرب، واستقبل تحذيره استقبالًا كبيرًا؛ إذ قرأه ترومان، كما أمر فورستال بإعادة طبعه لكونه إحدى القراءات الضرورية لآلاف الضباط المسئولين، ومن هنا تبنى ترومان سياسة الاحتواء[٢] التي تبناها كينان، الأمر الذي أدى إلى

---

(١) ستيفن آي. أنبروز، مصدر سبق ذكره، ص٩٥.

(٢) تبنت السياسة الخارجية الأمريكية سياسة الاحتواء Policy of Containment بعد الحرب العالمية الثانية، وكان رائدها جورج كينان الخبير الدبلوماسي في الشئون السوفيتية، وقد تبناها الرئيس ترومان مضيفًا إليها بعدًا أيديولوجيًّا يتصل بضرورة الدفاع عن العالم الحر.

وقد قامت سياسة الاحتواء على تحليل أهداف السياسة الخارجية السوفيتية، والتعرف على تصور السوفيت بأن الغرب الرأسمالي هو العقبة الرئيسة أمام انتشار الفكر الشيوعي، وتضمنت مفردات سياسة الاحتواء مبدأ ترومان ومشروع مارشال، وحلف شمال الأطلسي، وإعادة =

صعود أهمية وزارة الخارجية في السياسة الخارجية[١].

وبدا أن قراء كينان جميعهم -قلة في البداية، وملايين مع مرور الوقت- التقطوا سطرًا وحيدًا: "السوفيت لا يتقبلون منطق العقل، لكنهم يتأثرون كثيرًا بمنطق القوة". وسيكسب كينان خلال مدة قصيرة شهرته بأنه أعظم الخبراء في شئون الكرملين في الإدارة الأمريكية. "لقد عودنا أنفسنا، من خلال خبرتنا في زمن الحرب، على وجود عدو عظيم قبالتنا". قال كينان متذكرًا بعد سنين كثيرة لاحقة: "على العدو أن يكون دائمًا محوريًّا، ويجب أن يكون شرًّا مطلقًا"[٢].

والحق، أمضى كينان أعوامًا عدة في الاتحاد السوفيتي، وساعات ظلماء طويلة في محاولة لفك طلاسم جوزيف ستالين؛ فقد استولى الجيش الأحمر على نصف أوروبا تقريبًا إبان الحرب، وهي جائزة انتزعت بكلفة رهيبة تمثلت في مقتل مليون سوفيتي. حررت قواته أممًا من النازيين الألمان، لكن ظِل الكرملين أخذ يخيم على أكثر من مائة مليون شخص فيما هو أبعد من حدود الاتحاد السوفيتي، وقد أدرك كينان أن السوفيت سيمسكون بفتوحاتهم عن طريق القوة "الغاشمة".

= صياغة السياسة الخارجية الأمريكية ابتداءً من عام ١٩٥٠. راجع: د.حسين شريف، مصدر سبق ذكره، ص٥٢،٤٣.

(١) ستيفن آي. أمبروز، مصدر سبق ذكره، ص١١٦. ومارتن غريفيش، مصدر سبق ذكره، ص ٦٧.
عندما وصل نفوذ جورج كينان داخل الإدارة الأمريكية إلى القمة قام بنشر مقالة في مجلة "العلاقات الخارجية" بعنوان: "مصادر السلوك السوفيتي بتوقيع "مستر إكس" فقط، ولكن سرعان ما عرف اسم المؤلف، وسرعان ما أصبحت الوثيقة شبه الرسمية للسياسة الخارجية الأمريكية. راجع: المصدر نفسه، ص١٣١. و.Jentleson , p. 124

(٢) تيم واينر، مصدر سبق ذكره، ص ٣٧.

ونبه البيت الأبيض إلى ضرورة الإعداد لمواجهة مكشوفة[١].

وصف بيدل سميث كينان بأنه "أفضل مدرب يمكن رئيس بعثة واصلًا حديثًا الحصول عليه"[٢].

كان كينان بلا منازع كبير المؤلفين الفكريين لهذه التوجيهات، وندم بعد مرور جيل على ذلك كله، وذلك في شهادته أمام لجنة تشيرتش في ٢٨ تشرين الأول ١٩٧٥، قائلًا: "إن الدفع إلى الحرب السياسية كان خطأه الأكبر، والعمليات الخفية تصادمت مع التقاليد الأمريكية، وإن السرية المفرطة والخداع والاحتيال في الخفاء ليست ببساطة طبقنا المفضل". قال ذلك قلة ممن كانوا في السلطة في ذلك الوقت، فالحكمة السائدة بين الجهابذة كانت واضحة، إذا أرادت الولايات المتحدة وقف السوفيت فستحتاج إلى جيش من الجنود السريين. وتدبر كينان كتابة أكثر من ألف صفحة من المذكرات بدون أية إشارة إلى دوره في خلق العمل السري، وعمله المستحسن عن حق شكل بالتالي تحفة صغيرة من الخداع،

---

(١) المصدر نفسه، ص ٣٦ – ٣٧.

(٢) وصل بيدل سميث إلى موسكو في آذار ١٩٤٦ ليتدرب على يد القائم بالأعمال في السفارة الأمريكية جورج كينان، وطرح بيدل سميث سؤالًا مزدوج المغزى على ستالين: "ما الذي يريده الاتحاد السوفيتي؟ وما المدى الذي سيذهب إليه الاتحاد السوفيتي؟". نفى ستالين إضماره أية نيات ضد أية دولة أخرى، وندد بتحذير ونستون تشرتشل الذي أطلقه في خطاب قبل أسابيع قليلة في ميسوري حول الستار الحديدي الذي وضع عبر أوروبا. قال ستالين: "إن دولة الاتحاد السوفيتي تعرف أعداءها". سأل سميث قائلًا: أمن الممكن أنك تعتقد فعلًا أن الولايات المتحدة وبريطانيا العظمى متحدتان في تحالف لإفشال الاتحاد السوفيتي؟ أجاب ستالين قائلًا: "نعم". وكرر سميث سؤاله: "ما المدى الذي ستذهب إليه دولة الاتحاد السوفيتي؟" أجاب ستالين: "لن نذهب إلى ما هو أبعد كثيرًا". راجع: المصدر نفسه، ص ٣٦ – ٣٨.

فضلًا عن تاريخ رائع من الدبلوماسية[1].

وإزاء تعدد أبعاد السياسة الخارجية من دبلوماسية إلى عسكرية وثقافية وعلمية؛ فقد تم إدخال بعض التغيرات التنظيمية والوظيفية على وزارة الخارجية بجميع هذه الأبعاد، وأصبحت هذه الاتجاهات واضحة في تصريحات ماكجورج باندي مستشار الرئيس لشئون الأمن القومي الذي أكد: "أن أدواتها الأخرى تتركز في الجوانب الاقتصادية والثقافية والعسكرية.. وأن المسئول الأول في ذلك هو وزير الخارجية"[2].

وزير الخارجية هو عضو بارز في الحكومة يتولى مسئولية الإشراف على العلاقات مع الدول الأجنبية والهيئات الدولية، ويختص بالقيام على تنفيذ السياسة الخارجية للدولة بوصفه على قمة جهاز الدبلوماسية. ووزير الخارجية هو

---

(١) تيم واينر، مصدر سبق ذكره، ص ٧٠٨ – ٧٠٩.

(٢) ودودة عبد الرحمن بدران، مصدر سبق ذكره، ص٨٨-٨٩.

إن منصب وزير الخارجية لم ينشأ إلا في عام ١٦٢٦ في فرنسا وعلى عهد لويس الرابع عشر، سمح بتوزيع الصلاحيات بين الإدارات الوزارية بإعطاء أحد أمناء سر الدولة الأربعة مسئولية مجموعة العلاقات الخارجية، وكان شاغل هذا المنصب الأخير يحتفظ بصورة غريبة بيد عليا على إدارة بعض مقاطعات المملكة. راجع: مارسيل ميرل، السياسة الخارجية، مصدر سبق ذكره، ص١٥.

يقول ريتشارد نيكسون: (إن حقبة الحرب الباردة لم تشهد سوى ثلاثة وزراء خارجية عظام هم: أشيسون، وفوستر دالاس، وكيسنجر. وعانى ثلاثتهم من انعدام ثقة البيروقراطية). وفي حديث صحفي لوزير الخارجية السابق جيمس بيكر لمجلة تايم حول دور وزير الخارجية الذي أشار قائلًا: (إنني أهتم بأن أكون الرئيس في وزارة الخارجية ولست رجل الخارجية في البيت الأبيض). راجع: مذكرات جيمس بيكر، مصدر سبق ذكره، ص٤٧.

المعاون الأول لرئيس الدولة في النظم الرئاسية، ولرئيس الوزراء في النظم البرلمانية، وفي مجالات السياسة الخارجية، كما أنه حلقة الوصل بين الأجهزة القيادية في الدول وبين البعثات الدبلوماسية في الخارج. ومن هنا فإن وزارة الخارجية عادة ما تمثل أهم مصدر من مصادر المعلومات والحقائق التي تستخدم في رسم السياسة الخارجية، حيث تقوم وزارة الخارجية بتلقي تقارير البعثات الدبلوماسية الخارجية وتحليلها واستخلاص دلالاتها؛ لاستخدامها في تقويم المواقف الخارجية التي تواجهها الدولة، ثم تقوم باقتراح البدائل المتاحة أمام متخذ القرار، مع إبداء الرأي والمشورة بكونها تضم مجموعة من الخبراء الدبلوماسيين ذوي الخبرة والحنكة السياسية(١).

ويبرز دور وزير الخارجية في الحالات التي لا يكون فيها رئيس الدولة أو رئيس الوزراء على دراية كافية بموضوعات السياسة الخارجية، ومن هنا فقد يمارس وزراء الخارجية أدوارًا بارزة في توجيه دفة السياسة الخارجية لدولهم "جون فوستر دالاس وكيسنجر في الولايات المتحدة، وجروميكو في الاتحاد السوفيتي، ومحمود فوزي في مصر"(٢).

---

(١) هشام محمود الأقدحي، مصدر سبق ذكره، ص ٥٨.

(٢) المصدر نفسه، ص ٥٩.

ثالثًا: كينيدي ووزارة الخارجية[١]:

---

(١) جون كينيدي الرئيس الخامس والثلاثون للولايات المتحدة (١٩٦١ – ١٩٦٣)، وأصغر رؤساء الولايات المتحدة المنتخبين سنًّا، وأول رئيس أمريكي كاثوليكي، اغتيل قبل أن يكمل سنته الرئاسية الثالثة، كانت مدينة (ينوروس) هي المصدر الأول لآل كيندي التي تقع على بعد لا يقل بحال من الأحوال عن نحو خمسين ميلًا من الناحية الشرقية لمدينة ليسمور الأيرلندية، وكان آل كيندي الذين يقطنون بها يواجهون -شأنهم شأن جميع قاطنيها- شتى مظاهر البؤس والمعاناة والشقاء، لاسيما وأن (ينوروس) قد تعرضت عام ١٨٤٠ لموجة عاتية من الجفاف الذي أصاب مزارعها والكساد الذي ضرب متاجرها.

لقد كان عام ١٨٤٠ عامًا فاصلًا لدى آلاف الأسر التي لم تقو على مجابهة تلك الأزمة، فمنها من لاذ بالفرار باحثًا عن معيشة تعينه على البقاء حيًّا، ومنهم من استسلم للموت بعد تعرضه للجوع.

إن المساحة الشاسعة التي تتمتع بها الولايات المتحدة الأمريكية قد جعلتها بالفعل الملاذ الآمن لمئات الآلاف من الأيرلنديين الذين يلاحقهم شبح الموت، وهم يحاولون البحث عن مصدر آخر للرزق ومجابهة التحديات.

وهكذا كان عام ١٨٥٠ هو العام الذي شهد قدوم الأب الأول المؤسس لعائلة كيندي داخل الولايات المتحدة الأمريكية، وسرعان ما طابت الحياة للشاب (باتريك كيندي) داخل مدينة بوسطن، وقرر أن يبحث له عن مصادر للرزق والعيش الوفير حتى يتمكن من الانتصار على أحزان فراقه وابتعاده عن الأهل والأصدقاء والوطن البعيد.

وقد عمل (باتريك كيندي) بصناعة براميل الخمر التي كانت تدر عليه إيرادًا متوسطًا لكنه مرتفع نسبيًّا مقارنة بأقرانه الذين جاءوا معه إلى الولايات المتحدة، حيث إنهم عدوه الأوفر حظًّا بين المهاجرين الأيرلنديين.

إن باتريك قد أنجبت له زوجته أربعة أطفال، وكان آخرهم الطفل الذي أطلق عليه اسمه فصار باتريك أيضًا المولود عام ١٨٦٢، وهو الجد الأول للرئيس الأسبق جون كيندي.

ولد جون كيندي في ضاحية بروكلين بمدينة بوسطن في ٢٩ من شهر مايس عام ١٩١٧، وقد كان الابن الثاني بعد ميلاد شقيقه الأكبر جو المولود عام ١٩١٦.

=

كان ملف وزارة الخارجية الأمريكية شديد الأهمية من حيث الإرادة التي كان يتحلى بها كيندي من أجل إعادة بناء جهاز الدبلوماسية الأمريكية التي لم يكن راضيًا عن أدائها؛ لكونها تحمل في طياتها العديد من مظاهر البيروقراطية المعقدة والتي لم تعد تنسجم مع حقبة كيندي والتطور المعاصر، حيث النفقات الباهظة والآليات البطيئة والمراسلات التي تنطوي على عبارات خشنة وقاسية(١).

=

وما إن حصل جون كيندي على الشهادة الأولية وهو في عمر الثانية عشرة حتى ألحقه والده بمدرسة كانتربوري في كوينكتيكون، وهي إحدى المدارس الداخلية الكاثوليكية، وتتلمذ في البداية على يد أستاذ الاقتصاد المعروف والعالم الاشتراكي هارولد لاسكي في كلية الاقتصاد بجامعة لندن، واكتسب منه الكثير من النظريات والشروحات والمعاني والتفسيرات التي تتعلق بالاقتصاد عامة وبعض مذاهبه كالاشتراكية والرأسمالية، حتى إن جون كيندي قد استوعب منه ما تعذر عليه فهمه من قبل لروعة وعبقرية لاسكي في طرح ما لديه من أفكار يتعذر على تلاميذه قبولها وفهمها، لكن كيندي لم يبق طويلًا بجوار أستاذه؛ فقد تعرض كيندي لمرض صدري حال بينه وبين البقاء في لندن، حيث قرر العودة إلى الولايات المتحدة، وعلى ضوء ذلك التحق جون كيندي -وهو ابن الثامنة عشرة- بجامعة هارفارد، وقد استطاع أن يجتاز بكفاءة وجدارة امتحان السنة النهائية بتقدير عام امتياز.

خاض جون كيندي انتخابات الكونغرس الأمريكي في مطلع عام ١٩٥١، حيث فاز بها، وخلال ذلك تزوج من جاكلين لي بوافيير على يد كاهن الكنيسة الكاثوليكية، لا سيما وأنها كانت هي الأخرى تدين بالمذهب الكاثوليكي. اغتيل كيندي في تشرين الثاني من العام ١٩٦٣، كانت لحظة فارقة في تاريخ الأمريكيين بل في حياة جاكلين وآل كيندي الذين كانوا أشبه بالأسرة المالكة في بريطانيا. راجع: هشام خضر، جون كيندي الأسطورة واللغز، الدار العالمية للكتب والنشر، دار طيبة للطباعة والنشر، القاهرة، ٢٠١١، ص ٧- ١١، ٢١، ٢٩، ٣٥ – ٣٦، ٤٥، ١١١، ١١٣، ٢٠٦ – ٢٠٧. ود. هوستن سميث، مصدر سبق ذكره، ص ٢١٨.

(١) هشام خضر، مصدر سبق ذكره، ص ١٨٨.

وبعد صراع طويل وعنيف استطاع كيندي أن يعمل على تحديث وتطوير الخارجية الأمريكية عبر توفير مبنى ضخم تاريخي لها بجوار البيت الأبيض، فضلًا عن تحريرها من القيود الروتينية، وفك الاشتباك الحاصل بين إداراتها المتنوعة وتواصلها البطيء مع مكاتبها وسفاراتها في الخارج، ولقد نجح كيندي في تطويرها وتحديثها على النحو المطلوب، وإن ظلت هناك بعض العقبات والعراقيل التي كانت تستدعي تدخلًا مباشرًا وفوريًّا[١].

وقد طرأ تغيير على هذا الاتجاه على عهد الرئيس كيندي[٢] الذي أولى عناية كبيرة بالسياسة الخارجية، فضلًا عن اعتماده على وزراء الخارجية في إدارة العلاقات الخارجية[٣]ولا سيما إذا عرفنا أن الخارجية الأمريكية تأثرت في الخمسينيات من القرن الماضي بمفهوم "من ليس معنا فهو ضدنا"، ومن هنا جاء

---

(١) هشام خضر، مصدر سبق ذكره، ص ١٨٨.

(٢) تأثر مفهوم كيندي للسلك الدبلوماسي ودور الدبلوماسية في إعداد السياسة الخارجية وصنع قراراتها بخبرة والده جوزيف كيندي حين كان سفيرًا للولايات المتحدة في بريطانيا؛ إذ كان يؤكد دائمًا عدم علم وزارة الخارجية بما يجري في سفارتها، فضلًا عن أن جولة كيندي في جنوب شرقي آسيا عندما كان عضوًا في الكونغرس الأمريكي عام ١٩٥١ تركت لديه اعتقادًا بأن المسئولين في السلك الدبلوماسي يفتقدون إلى معلومات قليلة في الدول المعتمد لديها هؤلاء، مع هيمنة الاتجاه البيروقراطي والتقليدي على تفكير هؤلاء الدبلوماسيين. راجع: ودودة عبد الرحمن بدران، مصدر سبق ذكره، ص١٠٤-١٠٥.

(٣) المصدر نفسه، ص٨٩.

تجدر الإشارة في هذا المجال إلى أن ماكجورج بوندي الذي عمل لدى الرئيس جون كيندي يعد أول شخص يتولى منصب مستشار الأمن القومي، ومنذ ذلك التاريخ حدثت تبدلات كثيرة حول طريقة الاضطلاع بهذا الدور. راجع: كوندوليزا رايس، مصدر سبق ذكره، ص ٣٥.

دور وزراء الخارجية في سياسة احتواء الاتحاد السوفيتي، وقد جاء في إثر المنطلقات الجديدة للسياسة الخارجية الأمريكية في آسيا وإفريقيا، وظاهرة الانقلابات العسكرية في أمريكا اللاتينية[١].

وعلى هذا الأساس فقد أكد كيندي في علاقته مع دول العالم الثالث على الأدوات الاقتصادية والفنية، واتضح هذا فعلًا من خلال الرسالة التي وجهها كيندي إلى الكونغرس الأمريكي ٢٢ آذار ١٩٦١ التي جاء فيها: "إن أمتنا يجب أن تبدأ في مناقشة المساعدات الخارجية".

وقد أشار كيندي في رسالته هذه إلى مدى التمييز بين المساعدات الاقتصادية والاجتماعية وبين المساعدات العسكرية[٢].

---

(١) ودودة عبد الرحمن بدران، مصدر سبق ذكره، ص١١١.

(٢) ودودة عبد الرحمن، مصدر سبق ذكره، ص١١٢.

يعد وزير الخارجية حلقة الوصل بين دولته والدول الأخرى، فمن خلاله يتباحث مبعوثو الدول الأجنبية في كل ما يهم دولهم، ومبعوثو دولته يتولون شئونها في الخارج ورعاية مصالحها قبل الدول الأخرى، ولوزير الخارجية صفة تمثيلية رسمية في المحيط الدولي تسمح له بالتفاوض عن دولته في كل ما يتصل بها وبتوقيع المعاهدات والاتفاقيات الدولية باسم رئيس الدولة. راجع: الدكتور علي صادق أبو هيف، القانون الدولي العام، ط٧، نشأة المعارف بالإسكندرية ١٩٦٤، ص٥٣٤، والوتيز، مصدر سبق ذكره، ص٢٩٢، ود. حسين شريف، مصدر سبق ذكره، ص٢٠.

وفي هذا المجال يقول جوزيف بارتلي: "إن وزير الشئون الخارجية الوحيد الذي يقوم بعمل شخصي من بين أعضاء الحكومة، حتى وإن كان يتقاسم اليوم جزءًا من صلاحياته مع وزراء "تقنيين" آخرين، فإنه مع ذلك الوحيد الذي لا يمارس سوى الدبلوماسية التي يجد نفسه فيها متورطًا شخصيًّا في كل لحظة في العلاقات مع الخارج. راجع: مارسيل ميرل، السياسة الخارجية، مصدر سبق ذكره، ص١٣٢.

عن دور وزير الخارجية في السياسة الخارجية راجع: الدكتور فاضل زكي محمد، الدبلوماسية في
=

=

عالم متغير، بغداد، ١٩٩٢، ص١٩٧-١٩٨.

فضلًا عن ذلك فإن لمساعدي وزير الخارجية في الولايات المتحدة تأثيرًا كبيرًا في السياسة الخارجية، يكفي هنا أن نستشهد بجورج بول مساعد وزراء الخارجية الأمريكية على عهد كيندي وجونسون؛ إذ كان له تأثير فيها في أزمات عديدة منها أزمة كوبا وفيتنام وقبرص، (إن جورج بول George Ball هو أحد أعضاء النخبة المتمرسين منذ عام ١٩٦٧، وخدم مساعدًا لوزير الخارجية الأمريكية في إدارة الرئيس الأمريكي الأسبق كيندي، ثم أصبح مصرفيًّا متخصصًا في مجالات الاستثمار، حيث عمل رئيسًا لشركة ليمان بروذرز كون لويب Lehman Brothers Kuhn Loeb. راجع: عبد الحي يحيي زلوم، مصدر سبق ذكره، ص ٣٤٨، وهذا يعني أن السياسة الخارجية الأمريكية في هذه الحقبة هي خليط من الاعتبارات الموضوعية والشخصية.

يميز هذا العمل التركيز على الخط الثاني في وزارة الخارجية الأمريكية بعيدًا عن إلقاء الضوء على وزراء الخارجية، ومع ذلك فهو قريب جدًّا من عملية صنع القرار في السياسة الخارجية، وكان لهذا الشخص -جورج بول- أثره بعد خروجه من الوزارة لمدة خمسة وعشرين عامًا على كثيرٍ من رؤساء الجمهورية ووزراء الخارجية الأمريكيين، وقرر الرئيس كارتر الاستعانة بخبرة جورج بول وتعيينه بصفة مستشار في الشئون الإيرانية بوزارة الخارجية، وكان بول يتمتع فعلًا بخبرة طويلة وجيدة بشئون إيران كموظف حكومي ومن ثم كمحام أيضًا، وكان قبل مدة قصيرة في زيارة لطهران بصفته عضوًا في مؤسسة "إخوان ليمان" للاستثمارات، وكان بول يشعر بنوع من العطف على شاه إيران محمد رضا إلا أنه كان واقعيًّا بما فيه الكفاية؛ ليدرك أن انهيار النظام بات وشيكًا، وأن المصلحة تقتضي السعي من أجل قيام حكومة انتقالية في إيران تسمح للعناصر والفئات السياسة المعتدلة بالاستيلاء على السلطة قبل أن ينجح الثوار في الوصول إلى هدفهم. في هذا الشأن يقول السفير الأمريكي الأسبق في طهران وليم ساليفان: "في النهاية لم تؤد تلك المساعي والمحاولات إلى نتيجة مجدية بسبب رفض البيت الأبيض للتوصيات والاقتراحات التي قدمها جورج بول في تقرير مفصل لم تزودني واشنطن بنسخة منه، وإنما اطلعت على محتوياته من جورج بول مباشرة أثناء حديث شخصي معه بعد إحالتي على التقاعد". راجع: عبد الحي يحيي زلوم، نذر العولمة، مطبعة الجامعة الأردنية، عمان، ١٩٩٩، ص ٣٤٨. ووليم ساليفان، مصدر

=

كان هناك اتجاه في الولايات المتحدة حتى نهاية الحرب العالمية الثانية بأن وزراء الخارجية الأمريكية يقومون بواجبات التفاوض(١) وليس كمخطط

=

سبق ذكره، ص ٢١٠ – ٢١١.

Bill, James, George: Behind the Scenes in U.S. Foreign Policy, New Havan,Ct. Yale University Press, 1997.

(١) التفاوض الدبلوماسي هو وسيلة من وسائل تسوية النزاعات الدولية. إنه يهدف إلى صياغة اتفاق مشترك بين أطراف النزاع في إطار رعاية مصالحهم المتبادلة.

ينطوي التفاوض على عملية مساومة بين أطرافه الذي يختلفون في أهدافهم وقدراتهم ومصالحهم. وبقدر ما تنجح المساومة في إرضاء حاجات وأهداف المتنازعين، بقدر ما تنجح في إنجاز التسوية المنشودة.

تميز النظرية التفاوضية في السياسة الخارجية بين الحوار (Dialogue) والمفاوضة (Negotiation)، فالحوار يسبق التفاوض ويمهد له، هكذا مهد الحوار المصري الصهيوني -الذي بدأ مع زيارة الرئيس المصري الأسبق أنور السادات للقدس في تشرين الثاني ١٩٧٧- لمفاوضات "كامب ديفيد" في العام ١٩٧٨، التي مهدت بدورها لإبرام "معاهدة السلام المصرية – الصهيونية" في آذار ١٩٧٩. وقد يخفق الحوار في التمهيد لمفاوضات ناجحة، كما أخفق حوار الشمال والجنوب في إنجاز مفاوضات هادفة إلى عقد اتفاقات دولية.

تستند النظرية التفاوضية إلى عنصر الاتصال (Communication) الذي يوفر معلومات ضرورية للأطراف المفاوضين، ففي سياق الاتصال يجري تبادل المعلومات أو تجميعها، وهي تساعد لاحقًا على إنجاح العملية التفاوضية من خلال الإقناع والتأثير في اتخاذ الموقف، ويمكن أن تتعدد قنوات الاتصال بين الأطراف أثناء المفاوضات أو بعدها، وتختلف طبيعتها فتكون سرية أو علنية.

وتميز النظرية التفاوضية بين نوعين من المساومات: المساومات التصالحية التي تركز على إبراز المصالح المشتركة، والمساومات القسرية التي تُجْرَى تحت ضغط التهديد واستعراض القوة، وإذا لم تنجح المساومات القسرية في دفع أطراف التفاوض نحو المساومات التصالحية فإن العملية

=

للسياسة الخارجية، وأكثر من هذا نظر إليها على كونها تقوم بحل القضايا المحدودة عندما تظهر أكثر منه كحامل لإستراتيجية معينة تصوغ شكل الأهداف.

وقد أكد كيندي أن التهديد الشيوعي في معظم أنحاء العالم لا يأتي من الخارج، وإنما من القوى الداخلية، وعليه، فقد انتقل من مفهوم المساعدات العسكرية إلى مفهوم المساعدات الاقتصادية التي عدت من وجهة نظره الأداة الفاعلة في السياسة الخارجية، ولكن عندما عرض هذا الموضوع على مجلس الأمن القومي الأمريكي في مستهل عام ١٩٦٢ عارضه وزراء الخارجية والدفاع وهيئة أركان الحرب، وقد لاحظ كيندي أن المعضلات التي تواجهه لا تعطيه الرخصة في صراع جديد لغرض تعزيز هذا المبدأ، وهنا لا بد من الإشارة إلى حقيقة أن تركيز كيندي على أهمية المساعدات الخارجية جاء في ظل ضعف الأنموذج الأمريكي أمام تفوق الأنموذج السوفيتي في هذا المجال[١].

=

التفاوضية تصبح مهددة بالتوقف. ويمكن الدمج أحيانًا بين النوعين القسري والتصالحي بحيث يدعم أحدهما الآخر لإنجاح المفاوضات.

من أبرز عناصر النظرية التفاوضية: مصالح أطراف العملية التفاوضية، وإستراتيجيات المساومة، وقنوات الاتصال بين الأطراف، ودور الطرف الثالث بين الطرفين المتنازعين، والعوامل المؤثرة في تحديد نتيجة المساومة. راجع: الدكتور عدنان السيد حسين، مصدر سبق ذكره، ص ١٣٤ – ١٣٥.

(١) ودودة عبد الرحمن بدران، مصدر سبق ذكره، ص١١٤ – ١١٥.

في الأشهر التي تلت تنصيب جون كيندي، صقل صورة الولايات المتحدة بإنشاء تحالف التقدم، وفيالق السلام، والوكالة الدولية للتنمية، وأعلن عن تجميد التجارب النووية في الجو، ونقل رغبته في "السلام"، السلام الذي يجعل الحياة على الأرض تستحق الحياة، لا السلام للأمريكيين

=

١ – هيئة التنمية الدولية:

وتتمثل البرامج الاقتصادية ومفهوم المساعدات عند كيندي في هيئة التنمية الدولية وفرق السلام[(١)]؛ إذ إن الأخيرتين أصبحتا من الهيئات التابعة لوزراء الخارجية الأمريكية والمسئولة عنها[(٢)]، والحق أن هيئة التنمية الدولية قد أخفقت في السياسة الخارجية بسبب موقف الكونغرس من موضوع المساعدات الخارجية. إن صراع هاملتون مع الكونغرس في قضية المساعدات الخارجية الذي أدى إلى استقالته واضح في هذا المجال.

والحق، كان للخصائص التي تميزت بها وزارة الخارجية الأمريكية أثرها الكبير في أداء هذه الهيئة لوظائفها ومشاركتها في إعداد السياسة الخارجية وصنع قراراتها؛ فقد كان هناك تأثير للبيروقراطية والنمط التقليدي السائد على قبول أهداف هذه الهيئة، فضلًا عن خلافات نشأت بين العاملين في مجال المساعدات

= فقط، وإنما يجعل الحياة كما سماها كيندي، وإنما السلام لكل الرجال والنساء، لا السلام في زمننا، بل السلام في كل الأزمان.

أدرك جون كيندي أن على الأمريكيين ممارسة الدبلوماسية الفعالة في كل قارة، وكان من المؤيدين المبكرين لاستقلال المستعمرات في إفريقيا وآسيا، فعُدَّ بطلًا في أماكن مثل الجزائر وكينيا وإندونيسيا. راجع: مادلين أولبرايت، مذكرة إلى الرئيس المنتخب: كيف يمكننا استعادة سمعة أمريكا ودورها القيادي؟ مصدر سبق ذكره، ص ٢٠.

(١) مادلين أولبرايت بالاشتراك مع بيل ودوارد، الجبروت والجبار تأملات في السلطة والدين والشئون الدولية، مصدر سبق ذكره، ص ٩٢.

(٢) في خطاب التنصيب تعهد كيندي بالتزام الولايات المتحدة أمام الشعوب المقيمة في الأكواخ والقرى في كل أنحاء العالم وهي تكافح لكسر الفقر الجماعي، وبذل أفضل جهودنا لمساعدتها لكي تساعد أنفسها، أيًّا كانت المدة التي يتطلبها ذلك، لا لأن الشيوعيين ربما يفعلون ذلك، ولا لأننا نريد أصواتها، وإنما لأن ذلك صحيح. راجع: المصدر نفسه، ص ٩٢.

الاقتصادية والعاملين في المكاتب الجغرافية في وزارة الخارجية، وقد انصبت هذه الخلافات على الأهداف السياسية قصيرة المدى والأهداف الاقتصادية طويلة المدى، وعلى التنمية السياسية والأمن العسكري والنمو الاقتصادي الذي ظهر بصورة خاصة في أمريكا اللاتينية(١).

إن هيئة التنمية الدولية لم تحقق أهدافها في السياسة الخارجية، وذلك للأسباب التالية(٢).

١. ضعف العلاقة بين العاملين في هيئة التنمية الدولية في الخارج وأعضاء السلك الدبلوماسي.

٢. عدم التقويم السليم للظروف الدولية.

٣. التحالف من أجل التقدم، فقد اعتقد كينيدي أن برنامج التحالف من أجل التقدم يمثل إحدى المحاولات لجذب دول أمريكا اللاتينية بعيدًا عن مثل هذا التغلغل، مع الحصول على تأييد هذه الدول للولايات المتحدة.

٢ – فرق السلام:

ومن جانب آخر فقد أكد كينيدي إنشاء فرق السلام كهيئة تابعة لوزارة الخارجية، بمقتضى اللائحة التنفيذية التي أصدرها في عام ١٩٦١، وكان السبب في إنشائها تنمية السلام الدولي طبقًا للمفهوم الأمريكي والتعاون عن طريق فرق السلام مع الشعوب المتخلفة من خلال إرسال متطوعين من الرجال والنساء من الشعب الأمريكي من ذوي الخبرة الفنية في المجالات المختلفة التعليمية

---

(١) المصدر نفسه، ص١٢٣.

(٢) ودودة عبد الرحمن بدران، مصدر سبق ذكره، ص١٢٣.

والعلمية والزراعية، الذين يكونون على استعداد للعمل في الظروف الصعبة إذا اقتضى الأمر لمساعدة هذه الشعوب، وتحقيق مستوى أفضل من الفهم المتبادل بين الشعب الأمريكي وهذه الشعوب، لن يكون لها صفة سياسية في العالم أو اتجاه للتدخل في الشئون الداخلية للدول، وسيتم القضاء على أية محاولة لاستخدامها بوساطة وكالة المخابرات المركزية، وسرعان ما أصبح المتطوعون فيها يعملون في ٤٦ دولة نامية، وقد نجحت هذه الفرق في مهماتها، وذلك للعوامل الآتية[١]:

١. الابتعاد عن المشاركة في النواحي السياسية.
٢. استقلال هذه الفرق عن هيئة التنمية الدولية.
٣. طبيعة الأفراد العاملين فيها.

وفي هذا المجال صرح دين راسك في٢٠ شباط ١٩٦١ قائلًا: إن اللائحة التنفيذية التي ألغت هيئة تنسيق العمليات لَدليل على أنه يتوقع أن تقوم وزارة الخارجية بدور الزعامة في السياسة الخارجية[٢]، على هذا فإن هناك مسئولية

---

(١) ودودة عبد الرحمن بدران، مصدر سبق ذكره، ص١٢٧-١٢٩.

أعار سارجينت شرايفر، المدير الأول لفيالق السلام- أحد الأقلام التي استخدمها الرئيس كيندي قبل اثنين وثلاثين عامًا لتوقيع تشريع فيالق السلام، وقد استخدمه مرة ثانية الرئيس كلينتون لجعل الفيالق الأمريكية تبصر النور، وخلال الخمس سنوات التالية من وجهة نظر كلينتون سينضم قرابة ٢٠٠ ألف شاب أمريكي إلى صفوف الفيالق الأمريكية، وهو عدد أكبر من العدد الذي خدم طوال التاريخ فيالق السلام على مدى أربعين عامًا. راجع: كلينتون، مصدر سبق ذكره، ص٥٥٧.

(٢) المصدر نفسه، ص٨٩.

=

=

حين كان وزير الخارجية دين أتشيسون موضع انتقاد شديد بسبب سياسته الخارجية (تخرج أتشيسون من جروتون وبيل ومدرسة القانون في هارفارد، وعمل سكرتيرًا للقاضي لويس برانديس في المحكمة العليا، ثم أصبح شريكًا في شركة كوفنجتون وبيرلنج في واشنطن قبل أن يلتحق بوزارة الخارجية في ١٩٤١، وعمل مع مارشال، فعندما كان مارشال في الصين عمل أتشيسون كمساعد له، وأصبح الشخص الوحيد في المقر الرئيس الذي يعتمد عليه، وقد قال مارشال عند بداية علاقتهم الجديدة: "أتوقع منك الصراحة التامة، وبخاصة فيما يتعلق بي، إنني ليس لدي مشاعر إلا تلك التي أحتفظ بها للسيدة مارشال". وكان دين أتشيسون في رأي صديقه وزميله السير أوليفر فرانكس السفير البريطاني في واشنطن "نوعًا أمريكيًّا خالصًا من فصيلة نادرة، نصل من الصلب، وكباحث في الظروف البشرية كان الوجه المغاير المثالي لجورج مارشال. راجع: نيل بالدوين، مصدر سبق ذكره، ص ٢٠٨. قام دين أتشيسون بإبلاغ الشعب الأمريكي في العام ١٩٤٦، بعد أن كان النظام الولسني قد تعرض للانهيار، وكانت حرب أخرى قد اشتعلت لمعاقبة أولئك الذين حملوا مسئولية إخفاقه -النظام الولسني- بأن الحاجة إلى بذل الجهد ستبقى معنا على الدوام، بدا كما لو أن مشاغل الولايات المتحدة ومتاعبها كانت بلا نهاية، وبدا قدر الولايات المتحدة محصورًا في الكفاح المطرد. راجع: كارن إي. سميث وماغوت لايت، مصدر سبق ذكره، ص ٢٤٦). هاري ترومان (١٨٨٤ – ١٩٧٢) الرئيس الثالث والثلاثون للولايات المتحدة (١٩٤٥ – ١٩٥٣) كان نائبًا للرئيس روزفلت، وتولى الرئاسة عند موته، وفي عهده قُصفت اليابان بالقنابل الذرية، وأسس حلف شمال الأطلسي وأطلق مشروع مارشال. راجع: نعوم تشومسكي، سنة ٥٠١ الغزو مستمر، مصدر سبق ذكره، ص ٦١. (لم يكن أكثر من ٢٣٪ من الأمريكيين يعرفون اسم وزير الخارجية) كان دين أتشيسون رجلًا لامعًا لكنه غير عاطفي، كتب في عام ١٩٦٥ قائلًا: "إن الكثير من المشاكل يتأتى من الدافع التجسيمي إلى أن نعد الأمم أفرادًا ونطبق على سلوكنا الوطني القاعدة الذهبية مثلًا، مع أن الأفراد نادرًا ما يعتمدونها. والحق، أن الأمم ليست أفرادًا، فإن السبب والمسبب لأفعالها ونتائجها مختلفان تماما". راجع: مادلين أولبرايت بالاشتراك مع بيل ودوارد، الجبروت والجبار تأملات في السلطة والدين والشئون الدولية، مصدر سبق ذكره، ص ٥٤. وتومبسون، نظريات السياسة الخارجية ومعضلاتها في مكريدس، مصدر سبق ذكره، ص٥٦.

=

كبرى تقع على عاتقنا هنا، وهي لا تخص فقط تنمية سياسات جديدة، وإنما التأكد من أنه سيتم تنفيذها[١]. وعليه نرى قيام كيندي بتعيين عناصر مؤيدة له

=

ترأس أتشيسون وترومان حقبةً القيادةَ الأمريكية النشيطة في إدارة القضايا الدولية، حيث ظلت إنجازاتهما من وجهة نظر بعض الأمريكيين محل تقدير واحترام في الوقت الحاضر، ومع ذلك واجه أتشيسون جملة من الانتقادات من خصومه السياسين، وفي كثير من الأحيان دخل في خلافات مع الكونغرس، وكانت هناك دعوات من الأخير لاستقالته، وقد دخل في جدال مستمر مع وزيري الخزانة والدفاع، وكان ينعى على وزارة الخارجية فقدانها لتأثيرها باطراد، وكان موضع انتقاد لمبالغته في وصف التهديدات التي كانت تتعرض لها الولايات المتحدة من أجل تعبئة الرأي العام الداخلي لعمل دولي مؤثر ونشيط. ومع كل هذه الملاحظات لدبلوماسية أتشيسون، إلا أنه اعتمد على أدوات من القوة والدبلوماسية عزز بعضها بعضًا بشكل متبادل. راجع: السيدة الوزيرة مادلين أولبرايت سيرة ذاتية، مصدر سبق ذكره، ص٥٠٧.

تقول وزيرة خارجية الولايات المتحدة السابقة في مذكراتها: "فقد أصاب الرئيسَ بوش الابن غضبٌ من تلك التسريبات المعروفة عن وزير سابق اسمه دين أتشيسون كان دومًا يقول: "ما الذي يقصد الرئيس قوله هو..." فقد أفضى هكذا كلام إلى شيء من انعدام الثقة، وشعرت أن الكثيرين من العاملين في وزارة الخارجية لم يفهموا أو يقدروا نقاط القوة عند الرئيس. وانطلاقًا من علاقتي القوية معه شعرت بأنني أستطيع أن أكسر تلك المسافة بين فوغي بوتوم والبيت الأبيض".

وتردف رايس في مذكراتها قائلة: "قبيل صدور المصادقة على تعييني وزيرة للخارجية قدمت للرئيس نسخة لسيرة حياة دين أتشيسون، ومذكرات أتشيسون في كتابه Present at the Creation لقد نجح دومًا في مسعاه ليكون قريبًا من الرئيس ترومان، وبذلك حافظ على السلطة والمصداقية في كونه الصوت الناطق باسم السياسة الخارجية للولايات المتحدة، وكان من شأن التعاون الوثيق بينه وبين الرئيس أن تمكنا من قيادة الولايات المتحدة والعالم خلال الأوقات الصعبة المضطربة". راجع: كوندوليزا رايس، مصدر سبق ذكره، ص ٣٣٧، ٣٤٠.

(١) تعود فكرة إنشاء وزارة الخارجية إلى عام ١٧٨٩، وترجع حداثتها بعد التصديق على قانون روجرز لعام ١٩٢٤، ونتيجة لذلك فقد أصبح للولايات المتحدة الأمريكية للمرة الأولى سلك

=

=

دبلوماسي محترف، وقد صف أحد موظفي السلك الدبلوماسي الأمريكي الخارجية الأمريكية في نهاية الأربعينيات في الآتي: "إن جهاز الشيفرة كان يعود إلى عصر آخر، والمراسلات كانت تنتقل ببطء شديد، ولم يهتم أحد بحفظ الأوراق، حتى نقل الخزانة كان وقت الغذاء، والوعي الأمني كان منعدمًا". كانت استعدادات الوزارة إبان الحرب العالمية الأولى بمستوى الحرب الإسبانية الأمريكية، أما في الحرب العالمية الثانية فكانت بمستوى الحرب العالمية الأولى.

تبلغ ميزانية الوزارة ما يقارب ١.٨ مليار دولار سنويًّا، إن عدد موظفي وزارة الصحة والخدمات الإنسانية خمسة أضعاف عدد موظفي وزارة الخارجية، وميزانية وزارة الدفاع أكبر بسبعين ضعفًا. راجع: فواز جرجس، مصدر سبق ذكره، ص٥٧-٥٨. استخدمت وزارة الخارجية الأمريكية في بداية السبعينيات ما يقارب ٢٣.٠٠٠ شخص منهم ما يقارب ١٣.٠٠٠ من الأمريكيين الذين يخدم نصفهم تقريبًا في الخارج، كما كان ١٠.٠٠٠ من رعايا أجانب كانت تستخدمهم الوزارة، كان جوهر المجموعة الأمريكية يقارب ٣٦٠٠ من موظفي الوزارة المحترفين، يضاف إليهم ١٣٠٠ آخرون من الموظفين الاحتياطيين في الأعمال الخارجية، وكان ما يقارب نصف هؤلاء المحترفين يخدمون فيما وراء البحار، وفي مايس ١٩٧٥ كانت وزارة الخارجية تضم خمسة مكاتب جغرافية تقاسمت المسئولية في معظم مناطق العالم، وعددًا من المكاتب التي تضطلع بمهات عبر الأقاليم الجغرافية. للمزيد من التفاصيل راجع:

Deutssch, Op. Cit., PP.106-114.

وفي المقابل فإن ضباط الـ(كي جي بي) كانوا قد شغلوا ٨٠٪ من موظفي السفارات السوفيتية في الخارج، وعلى سبيل المثال فإن عدد هؤلاء في واشنطن وقتئذٍ بلغ ما يقارب ٥٠٪، وكان هذا ينافي القواعد الدبلوماسية العادية، في سنة ١٩٧١ كان هناك خمسة مكسيكيين في مدينة مكسيكو، وكان هناك ١٠٨ أمريكيين في موسكو مقابل ١٨٩ دبلوماسيًّا سوفيتيًّا في واشنطن، وعكست مقارنات شبيهة لسنة ١٩٧١ وجود اثنين من الألبانيين في موسكو و٣١ سوفيتيًّا في كوبنهاجن، وخمسة نرويجيين في موسكو مقابل ٢٥ في أوسلو، وعشرون ألمانيًّا غربيًّا في موسكو مقابل ٥٠ سوفيتيًّا في بون، أو في موسكو كان عدد الدبلوماسيين المعتمدين من ٨٧ دولة غير شرعية شيوعية ٨٠٩، بينما كان عدد الدبلوماسيين السوفيت المعتمدين للدول نفسها ١٧٦٩٠ دبلوماسيًّا.

=

سفراء للولايات المتحدة في الخارج، ولعل من بين هؤلاء اختيار البروفسور جون جلبرت أستاذ الاقتصاد في جامعة هارفارد سفيرًا للولايات المتحدة في الهند، والبروفسور ريزتهور مدير دراسات الشرق الأقصى في جامعة هارفارد سفيرًا في اليابان، وبصفة عامة فإنه من بين ٢٦ سفيرًا تم تعيينهم في المدة من كانون الثاني إلى نيسان ١٩٦١ كان هناك عشرة من خارج وزارة الخارجية والسلك الدبلوماسي، أما الستة عشر الباقون فقد راعى أن تكون اتجاهاتهم مؤيدة إلى أقصى حد بناءً على دراسة لاتجاهاتهم من خلال المناصب التي سبق أن تولوها في الوزارة ومدى ممارستهم دورهم في هذا المجال(١).

=

وقد وصل عدد الـ(كي جي بي) في سكرتارية الأمم المتحدة إلى ٢٠٧، وكان هذا يمثل مدى هيمنة هؤلاء على الوفد السوفيتي في الأمم المتحدة، وقد تم وقتئذٍ طرد أو اعتقال ١٨ دبلوماسيًّا سوفيتيًّا من الأمم المتحدة لقيامهم بأعمال التجسس. راجع: جون بارون، لجنة الأمن القومي السوفيتي K.G.B، (بلا) ص٣١-٣٢.

ومما هو جدير بالإشارة في هذا المجال أن ضابط المخابرات السوفيتي كان يتميز بالانضباط التام في عمله، وفي هذا المعنى يقول أحد ضباط المخابرات السوفيتية: "إنه خريج مدرسة حديد"، ينتمي إلى الصفوة المختارة في بلده؛ إذ يتمتع بامتيازات ونفوذ، وفي حالة إهماله لوظيفته يتعرض لأشد العقوبات، وقد وصلت هذه العقوبة على عهد ستالين إلى الإعدام رميًا بالرصاص، وهناك رواية في عهد ستالين بشأن اللواء أياكومون أحد رؤساء المخابرات؛ إذ تم إلقاء القبض على شقيقته بتهمة تعاملها في السوق السوداء، وبعثت الشرطة السوفيتية برسالة إليه لأخذ رأيه في معالجة هذا الموضوع، وأجاب أياكومون على المذكرة قائلًا: لماذا تسألون؟ ألا تعرفون واجبكم؟ إن المضاربة في أثناء الحرب تعني الخيانة، أعدموها رميًا بالرصاص". لقي أياكومون مصيره بعد وفاة ستالين وإزالة بيريا. راجع: ألن دالس، حرفة الاستخبار، (بلا) ص١٢٤-١٢٥.

(١) ودودة عبد الرحمن بدران، مصدر سبق ذكره، ص١٠٥-١٠٦.

يقول جيمس بيكر في هذا المجال: "تقتضي الضرورة الوظيفية أن يصبح موظف السلك

=

وكان الهدف من إجراء كيندي هو تدعيم مشاركة السلك الدبلوماسي في عملية صنع القرار في السياسة الخارجية، وقد اتضح هذا في الخطاب الذي وجهه كيندي في ٢٩ مايس ١٩٦١ إلى رؤساء البعثات الدبلوماسية الذي أكد فيه دور السلك الدبلوماسي في عملية صنع القرار من خلال الدعم والمساندة الكاملة في تنفيذ هذه المهمات[(١)].

والحق أن هذه الإجراءات لم تؤد إلى تزايد مشاركة وزارة الخارجية في عملية صنع القرار؛ إذ إن نسبة المؤيدين لاتجاهاته كانت قليلة العدد أمام عدد المعارضين لها في وزارة الخارجية، فضلًا عن ذلك فإن الدبلوماسي قد تتوافر لديه اتجاهات جديدة إلا أن أسلوب تفسير وتقبل المعلومات من جانب وزارة الخارجية هو العنصر المحدد لفعالية مشاركة هذا الدبلوماسي في صنع قرار =

الدبلوماسي والقنصلي سفيرًا، ويمثل هذا التعيين بلوغ القمة المهنية؛ لذا فإن الكثيرين منهم يرون أن أي تعيين من الخارج في مناصب السفراء ينازعهم حقهم الأصيل الثابت، فضلًا عن ذلك ومن منظور شخصي بحت؛ فإن السفير الأمريكي المعين من الخارج يمكن أن يكون شخصًا بالغ القوة". راجع: مذكرات جيمس بيكر، مصدر سبق ذكره، ص٤٦-٤٧.

(١) المصدر نفسه، ص١٠٦.

أثناء أزمة كوبا كان الهجوم على الصواريخ قبل توجيه الإنذار أمرًا غير مقبول؛ لأن الهجوم المفاجئ أو سياسة "اضرب أولًا" كانت غير مرغوبة ومقبولة في سياسة أمريكا الخارجية. راجع: جيمس أندرسون، مصدر سبق ذكره، ص١١٧.

والحق، عندما أخذ كيندي يحلل سبب الإخفاق في كوبا فيما بعد تذمر قائلًا: طول حياتي كنت أعرف أنه من الأفضل عدم الاعتماد على الخبراء، كيف كان من الممكن أن أكون من الغباء بحيث أسمح بالبدء في العملية؟! وقد تم اتهام وكالة المخابرات المركزية وهيئة الأركان -إذ اعتمد عليهما كيندي كخبراء- بالخطأ الذي حصل في غزو كوبا. راجع: ستيفن آي-أمبروز، مصدر سبق ذكره، ص٢٣٥.

السياسة الخارجية، وتجربة جلبرت واضحة في هذا المجال؛ إذ كان يواجه معارضة من جانب وزارة الخارجية التي يرأسها[١].

رابعًا: نيكسون ووزارة الخارجية:

قال ريتشارد نيكسون أثناء الحملة الرئاسية ١٩٦٨: "إنه ما من وزير للخارجية مهم حقًّا، فالرئيس هو الذي يصنع السياسة الخارجية"[٢]. وفي هذا الشأن تعلق وزيرة الخارجية الأمريكية السابقة مادلين أولبرايت على ذلك قائلة: "النصف الثاني من الجملة صحيح، أما الأول فهراء، فما من رئيس لديه الوقت ليفعل أكثر من رسم الخطوط العريضة للسياسة باستثناء بعض القضايا، فإذا كانت وزيرة الخارجية ضعيفة، أو غير ماهرة، أو مهملة، فستعاني السياسة، بل إن أكثر الرؤساء ثقة ونزوعًا إلى الدولية يريد شريكًا قادرًا في وزارة

(١) المصدر نفسه، ص١٠٨.

(٢) مادلين أولبرايت، مذكرة إلى الرئيس المنتخب: كيف يمكننا استعادة سمعة أمريكا ودورها القيادي؟ مصدر سبق ذكره، ص ٤٣.

نظرًا لرغبة نيكسون في سيطرة البيت الأبيض على كل نواحي السياسة الخارجية، فإن كيسنجر لم يكن ينسق بين هيئات الأمن القومي فحسب، بل كان يأمرها؛ فقد استعار من الوزارات واستخدم الباحثين الشباب البارزين ليوسع موظفي الأمن القومي بمقدار ٦٠٠٪، وهكذا فإن كيسنجر لا وزير الخارجية وليم روجرز هو الذي كان يتفاوض سرًّا مع الفيتناميين الشماليين، وتوصل إلى اتفاق تاريخي للحد من الأسلحة مع الاتحاد السوفيتي، ورتب زيارة نيكسون إلى الصين الشعبية، وعمل بمثابة الناطق الرئيس للسياسة الخارجية في الإدارة، وبلغ تهميش وزارة الخارجية ذروته في حقبة نيكسون الثانية المختصرة عندما شغل الدبلوماسي ذو الحضور القوي منصبي مستشار الأمن القومي ووزير الخارجية. راجع: مادلين أولبرايت، مذكرة إلى الرئيس المنتخب: كيف يمكننا استعادة سمعة أمريكا ودورها القيادي؟ مصدر سبق ذكره، ص٤٤– ٤٥.

الخارجية"[١].

خاضت وزارة الخارجية معركة قاسية قبل أن يؤدي نيكسون اليمين القانونية في ٢٠ كانون الثاني ١٩٦٩ من أجل الحفاظ على رئاساته للجان الفرعية المتعددة التي كان قد تم تأسيسها في عهد الرئيس جونسون، بغض النظر عما إذا كانت هذه اللجان شكلية، وأن القرارات الحقيقية كانت تتخذ فيما يطلق عليه مأدبة غداء الثلاثاء التي كان يقيمها الرئيس جونسون للدائرة الداخلية من أعضاء الحكومة[٢].

---

(١) المصدر نفسه، ص ٤٣.
تجدر الإشارة في هذا المجال إلى أن الرئيس جون كيندي اختار تيودور سورنسن مستشارًا خاصًّا له، وكان من بين مساعدي كيندي عندما كان عضوًا في مجلس الشيوخ الأمريكي. هذا وقد عمل سورنسن قبل ذلك مدعيًا بوكالة الأمن الاتحادي، وقد تلقى دراسته القانونية في جامعة نبراسكا. راجع: تيودور سورنسن، مصدر سبق ذكره، ص ١٥ – ١٦.

(٢) كيسنجر، سنوات العصف مذكرات هنري كيسنجر، ترجمة مركز البحوث والمعلومات، المجلد الثاني، بغداد، ١٩٨٤، ص٧٠٨.
أكد كل من الرئيسين كيندي وجونسون دور وزير الخارجية في السياسة الخارجية، ولم يعطيا هذا الدور إلى مستشار الرئيس للأمن القومي. راجع: بروسترك، ديني، مصدر سبق ذكره، ص٢٠٥.
لم تعترف الولايات المتحدة رسميًّا بالكيان الصهيوني، وذلك بسبب ضغوطات جاءت من وزارة الخارجية، كما أن الأخيرة اعترضت بشدة على جيمس مكدونالد المبعوث الأمريكي في تل أبيب، وهو صهيوني متحمس اختاره أصدقاء الكيان الصهيوني في البيت الأبيض بعناية، وكانت له جهود كبيرة في الضغط على الإدارة الأمريكية لصالح هذا الكيان. راجع: أندرو وليسلي كوكبيرن، علاقات خطرة.. القصة الخفية للعلاقات السرية الأمريكية الإسرائيلية، ترجمة محمود برهوم، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ١٩٩٢، ص٣١، ونتيجة لذلك فقد قامت جماعات الضغط الصهيونية بهجوم كبير على وزارة الخارجية، فضلًا عن قيام الفئات اليمينية في =

وعندما تسلم الرئيس نيكسون مسئولياته في البيت الأبيض حاول أن ينظم حكومته بشكل يكون هو المصدر في السياسة الخارجية، وعدم الثقة بوزارة الخارجية التي كان يعدها موزعة الفكر، ومصدرًا لبقايا الديمقراطيين[1].

= الكونغرس التي تتهم جهازها بالبيروقراطية والقصور الإداري بهذه الحملة. راجع: د. حسين شريف، مصدر سبق ذكره، ص٢١.

(١) كيسنجر، سنوات العصف، المجلد الثاني، مصدر سبق ذكره، ص٦٨٠.

لم يحصل أن تمتع أي رئيس أمريكي بمعرفة وافية للسياسة الخارجية باستثناء تيودور؛ إذ كان نيكسون كثير الجولات إلى خارج الولايات المتحدة رغبة في معرفة آراء القادة الآخرين. لم يكن نيكسون تلميذ تاريخ مثل تشرشل وديغول، فضلًا عن ذلك فقد كان له اطلاع جيد على الحقائق الجيوسياسية، وبرغم فشله بتصرفه في السياسة الداخلية بذل الجهد الكبير في السياسة الخارجية مكرسًا مهاراته التحليلية وحدسه الاستثنائي لخدمة مصالح الولايات المتحدة، واضطلع نيكسون بالرئاسة وهو يحمل تصورًا واضحًا عن النظام السياسي الدولي، حيث تطور ذلك إبان السنوات التي قضاها نائبًا للرئيس، وكان من شأن ذلك هيمنته على تكوين السياسة الخارجية والاستعانة بمستشار الأمن القومي هنري كيسنجر لوضع قراراته موضع التنفيذ. راجع، كيسنجر هنري، الدبلوماسية من الحرب الباردة حتى يومنا هذا، مصدر سبق ذكره، ص٣٦٩-٣٧٠. وروبرت د. كانتور، مصدر سبق ذكره، ص ٤١٧.

وعن تصور نيكسون للمنهج الجديد الذي يجب أن تسير عليه الولايات المتحدة في المستقبل وتحليلاته إزاء ذلك، راجع: ريتشارد نيكسون، الفرصة السانحة، ترجمة أحمد صدقي مراد، دار الهلال، ١٩٩٢، ص١٩٣-٢١٥. وبشأن إيجاد حكومة قوية يتركز في يدها عملية صنع القرار، راجع: ريتشارد نيكسون، ما وراء السلام، مصدر سبق ذكره، ص١٨٧-١٩٧.

إلى جانب هذا هناك رؤساء في الولايات المتحدة يتميزون بعدم معرفتهم بالشئون الخارجية، في هذا المجال نشرت صحيفة هندية في ٢٠٠١/١/٢٢ دليلًا للرئيس الأمريكي السابق جورج بوش الابن في محاولة للسخرية من قلة خبرته بالشئون الدولية وجهله باسم رئيس وزراء الهند، ونشرت صحيفة أشيات إيدج خارطة للهند كتبت تحتها هذه هي الهند، موقعها مريح للغاية، =

يعلق نيكسون على هذه الحالة قائلًا: إن سياستنا الخارجية تحتاج إلى قائد مركزي قوي ورئيس قادر على أن يستخلص من مستشاريه أفضل ما عندهم، ويستطيع أن يستقصي المعلومات الأساسية من الوزارات، ويستطيع أن يصل إلى حكم وتقدير الشئون الخارجية بنفسه، وربما كان من الجائز في القرن التاسع عشر أن يفوض الرئيس أمر السياسة الخارجية برمته إلى وزير خارجيته، ولكن في ذلك العهد كان مستوى الرسوم الكمركية وليس البقاء على قيد الحياة هو القضية الأساسية في السياسة الخارجية، أما وقد أصبح الأمر على ما هو عليه من مخاطر فقد أصبح من اللازم أن يكون الرئيس قائدًا متحكمًا في السياسة الخارجية بنفسه(١).

ويذهب نيكسون قائلًا: إنه يتعين على الرئيس أن يعين في مناصب وزير الخارجية ووزير الدفاع ومدير وكالة المخابرات المركزية أفرادًا قادرين على قيادة

=

باكستان إلى يسارها، والصين فوقها. كما نشرت الصحيفة صورة لرئيس وزراء الهند "تل بيهاري فاجبابي" الذي كان من بين ثلاثة زعماء لم يعرف الرئيس بوش اسمهم خلال أسئلة تلفازية. راجع العرب، العدد ٦١٢٣ في ٦ كانون الثاني ٢٠٠١.

تجدر الإشارة في هذا المجال إلى أنه عندما تولى الرئيس هاري ترومان منصبه في نيسان ١٩٤٥ بعد أن خدم بصفة سيناتور في ولاية ميسوري، وبصفة نائب للرئيس في وقت لاحق، كان عديم الخبرة تمامًا بالسياسة الخارجية. لم يكن ترومان على سبيل المثال ملمًّا بمشروع منهاتن المصمم لإنتاج قنبلة نووية وغير مستعد تمامًا للمنصب، حيث لم يجتمع كنائب للرئيس سوى نصف ساعة فقط على انفراد مع الرئيس فرانكلين روزفلت قبل وفاته. كان ترومان يُدعى (العقاد الصغير)، ويعتقد أنه إقليمي بشكل لا يمكن إصلاحه، واستبعد إلى حد كبير عن سير الحرب. راجع: هلبر، مصدر سبق ذكره، ص١٧٤. وإميل هوبنر، مصدر سبق ذكره، ص ١٦٨.

(١) ريتشارد نيكسون، نصر بلا حرب، ط٣، مؤسسة الأهرام، القاهرة، ١٩٩١، ص١٨٥.

إداراتهم لا السير وراءها، ولا مفر من أن يقع أي معين جديد الخبرة مهما كانت درجة كفاءته"[١].

ويضيف نيكسون قائلًا: والنقطة الرئيسة هي أنه يجب أن يقوم الرئيس باختيار شخص يعرف غورباتشوف أنه الممثل الشخصي للرئيس، وإذا وقع الاختيار على وزير الخارجية فيجب أن يكون من الواضح أنه يتفاوض لا بصفته عضوًا في الوزارة، بل بصفته مبعوثًا للرئيس، ويجب أن يفهم غورباتشوف أن كل من يحمل هذه الصفة يتحدث باسم الرئيس ولا يقدم تقاريره إلا إليه"[٢].

كانت خبرة نيكسون الواسعة تحمله على تجاهل الخطر الذي تقترب منه السياسة الخارجية الأمريكية، وكان يجهد نفسه في أن يحمي هنري كيسنجر من نتائج تجربته الخاصة، ومن خلال اتفاق ملزم أبعد خلاله كيسنجر عما يتخذ من قرارات في البيت الأبيض فيما يخص فضيحة واترغيت، وكان نيكسون وهيغ يعملان بنوع يستطيعان معه إبعاد السياسة الخارجية عن تلك القضية، وكان هيغ يُطلع كيسنجر أحيانًا على معلومات موجزة حول بعض التفجيرات التي ربما تؤثر على الدبلوماسية الأمريكية، ولكن على وجه العموم لم يشترك كيسنجر بتلك المحادثات التي دارت حول ما يجب اتخاذه من إجراءات إستراتيجية أو تعبوية، وكل مرة تهاجم فيها السياسة الخارجية الأمريكية بسبب تصريح يدلي به الرئيس حول فضيحة واترغيت كان كيسنجر يقوم بدفاع مستميت عنها[٣].

---

(١) المصدر نفسه، ص١٨٥.

(٢) المصدر نفسه، ص١٨٧.

(٣) هنري كيسنجر، مذكرات، ج ٢، ترجمة عاطف أحمد عمران، الأهلية للنشر والتوزيع، عمان، ٢٠٠٥، ص ٤٣٧ – ٤٣٨.

يبدو أنه كان هناك قلق من نيكسون حول تزايد نفوذ كيسنجر في البيت الأبيض بسبب مهارة الأخير واحترام الرأي العام المحلي له، لكن نيكسون بدأ يتقبل آراءه بطريقة سياسية، متخذًا منه دعمًا لبعض ما بقي في ذهنه من أهداف كبرى كادت فضيحة واترغيت تفقده إياه، لكن وضع نيكسون مال إلى الوهن، وكل ما يحيط به يسهم في إضعافه، فضلًا عن ذلك فإن ما كان يحرزه نيكسون من نجاحات بالكاد كان معارضوه ينسبونه إلى كيسنجر[١].

إن طرق إدارة نيكسون، فضلًا عن المستشارين المسخرين، أصبحت تلك الطرق متعذرة التنفيذ. إن نفوذ مستشار رئيس يستمد إذا اقتضى الأمر من سلطة رئيسه، وإذا أراد الرئيس وضع ثقته بمعاونيه يجب أن يظهر لهم كل عون، ويصارحهم بكل شيء دون غموض، وسبق للرئيس إيزنهاور أن كتب بهذا المعنى إلى مدير الموازنة جوزيف دودج عام ١٩٥٣ قائلًا: "إني أعتمدك وأفوضك، وانطلاقًا من هذه الصفة يجب أن تتصرف عند اصطدامك ببعض المشاكل، ولا شك في أن كل مسئول في إحدى الوزارات له خطوة مباشرة عندي، لكني أرى على جانب من الأهمية أن تكون حاضرًا ويقظًا عند مناقشة قراراتك، وعندما تدعو الحاجة أُفَضِّل دراستها من وجهة نظر واحدة، وتكون الحاجة إلى تدقيقها ومناقشتها قد تقلصت إلى أدنى حد"[٢].

إن هذا يعني في المرحلة الأخيرة عدم الأخذ بنفوذ المستشار، وكل ما يؤخذ عنه أنه يتكلم باسم الرئيس، وهذا يعني أن أي مستشار لدى الرئيس لديه بعض

---

(١) هنري كيسنجر، مذكرات، مصدر سبق ذكره، ص ٤٣٦ – ٤٣٧.

(٢) هنري كيسنجر، مذكرات، مصدر سبق ذكره، ص ٤٣٩ – ٤٤٠.

الفطنة أو المعرفة بما يدور بين جميع الأجهزة، ويجب عليه مبدئيًّا أن يناقش الرئيس بكل ما يمكن التنازع فيه[١].

كان نيكسون دائم التخوف من وزارة الخارجية، ويعدها ملجأ لأفكار ضبابية غامضة، ومخبأ يلجأ إليه ديمقراطيو اليسار؛ إلا أن هناك اعتقادًا بأن نيكسون كان يسعى لتخصيص نفسه بوضع متعال على صديقه القديم المخلص بيل روجرز، الذي كثيرًا ما كان نيكسون يلتجأ إليه في أوقات حرجة، ومنها الأزمة العنيفة التي سببها خطابه حول "الكلب شيكيرز الصغير" أو في أول أزمة قلبية ألمت بإيزنهاور[٢].

ورغبة نيكسون كبيرة في إظهار كفاءته في كثير من المجالات أكثر من روجرز، لا سيما وأنه قد قضى حياته في ممارسة شئون السياسة الخارجية، في حين أن روجرز كان مبتدئًا، لكنه أمضى مدة ليست باليسيرة في مجال القانون، وتبعًا لذلك كان كيسنجر أداة طيعة ونافعة لنيكسون لا غنى له عنها. وهذا كله لا يعني أن كيسنجر بعيد عن مرمى مناوراته المعقدة والخطرة أحيانا، إن نيكسون ليس بالرئيس الأول في البيت الأبيض الذي يثير التنافس بين مرءوسيه متجاهلًا هذه الأمور ولا يأبه بها ولا يتدخل فيما يحدث من اختلافات إلا عند الضرورة القصوى. وكان هالدمان وميشيل وأحيانًا أهرليخمان يحاصرون الحريق، لكنهم لا يهتمون بإطفائه، وإذا كان نيكسون رغب في الإبقاء على هذا الوضع أو أنه سمح بتطوره، فإن المطلوب مزج نظريتين، ويقصد بهما دومًا العلاقات بين كيسنجر وبين روجرز التي ضعفت ولا علاج يشفيها[٣].

---

(١) المصدر نفسه، ص ٤٤٠.

(٢) المصدر نفسه، ص ٤٤١.

(٣) هنري كيسنجر، مذكرات، مصدر سبق ذكره، ص ٤٤١.

ولم يذوب الجليد في بداية ولاية نيكسون الثانية، فقد قطع كل من كيسنجر وروجرز جميع العلاقات الخارجية ما عدا الوظيفية منها، وأصبحت السلوكيات الرسمية بينهما في تحسن دون البحث في أمور صداقات شخصية، وكان كيسنجر المستشار الرئيس لنيكسون، وكان روجرز يملك جميع الوسائل التي تستطيع بها الولايات المتحدة تسيير سياستها الخارجية. بقي المأزق، ومن جهة كيسنجر كان يرى أن الوضع غير مستقر، وفي شهر تشرين الثاني من عام ١٩٧٢ أعلم روجرز أنه سيبدل خلال صيف عام ١٩٧٣، لكنه كان يعتقد في نفسه أن رئيسه كما هي عادته سوف يتراجع في اللحظة الأخيرة، فضلًا عن ذلك فإن مغادرته المتوقعة أبعدت عنه كل ارتباك[١].

وفي واقع الحال فإن روجرز أخذ بمعارضة المبدأ الأساس لطلبات الاعتماد الخاضعة للبيت الأبيض، وبموجب هذا المبدأ يحق للبيت الأبيض السيطرة على الشئون كافة، ومثال على ذلك، ففي بداية شهر كانون الأول من عام ١٩٧٣ عزمت وزارة الخارجية على إجراء محادثات مع كوبا حول انحراف بعض الطائرات عن توجهها الحقيقي، إن كل مفاوضة مع كوبا في أي موضوع كانت من اختصاص وزارة الخارجية، لا سيما إبان استلام رئيس له حساسيته الخاصة في هذا المجال، وربما تؤدي به إلى عقاب نفسي، غير أن البيت الأبيض أبلغ أن وزير الخارجية فوض البدء بإجراء محادثات حول ذلك، ولم يبق هذا الموعد لمجلس الأمن القومي سوى ست وثلاثين ساعة لتدقيق هذه المبادرة ذات الأهمية السياسية الكبيرة، وهكذا فقد وضع روجرز من خلال إقدامه هذا المقترح مستشار

---

(١) المصدر نفسه، ص ٤٤٢.

الرئيس في موقف لا يستطيع فيه معارضة محادثات سجلت تواريخها والبدء بها في جدول الأعمال، وصدف أيضًا أن طلبت دراسة طلبات التمثيل الدبلوماسي خلال ست وثلاثين ساعة، على أن تكون الإجراءات المطلوبة قد جهزت ضمن هذا الوقت، وكذلك الأمر فإن في اللحظة التي أوعز بها البيت الأبيض بجعل بعض الفتور في علاقات الولايات المتحدة مع الهند؛ أقدمت وزارة الخارجية الأمريكية بدون موافقة مسبقة كما كان يقتضي الأمر على إرسال جواب مشجع حول إرسال قمر صناعي هندي تجريبي، مؤملة من وراء ذلك تحسين العلاقات بين البلدين. وفي هذا المجال لا بد من القول: كيف أن وزارة الخارجية الأمريكية قامت بمبادرة نحو مصر في نهاية شهر كانون الثاني من عام ١٩٧٣ دون علم للبيت الأبيض بشيء على الإطلاق؟[١].

في خضم هذه التطورات تم تعيين كيسنجر وزيرًا للخارجية في ٢٢ من شهر أيلول عام ١٩٧٣. من وجهة نظر نيكسون كان ذلك الأول من نوعه لأسباب ثلاثة: -

١ – كان كيسنجر أول مواطن أمريكي متجنس يصبح وزير خارجية.

٢ – وأول وزير خارجية يزور بكين وموسكو قبل تعيينه.

٣ – وأول وزير خارجية، منذ الحرب العالمية الثانية، ليس له مفرق في شعره.

تحدث نيكسون أثناء تعيينه لكيسنجر وزيرًا للخارجية عن السببين الأولين، مؤكدًا بقلق على الثالث، متسائلًا عن الصنف الذي ينتمي إليه دين راسك الأصلع! ثم أردف قائلًا: "لقد سألت حلاقي، الذي كان رجلًا عاقلًا،

(١) هنري كيسنجر، مذكرات، مصدر سبق ذكره، ص ٤٤٢ – ٤٤٣.

ويخدع نادرًا: في أي صنف تحلق رأسك؟ فأجابني الحلاق: يا سيدي الرئيس، ليس لرأسك شعر غزير، لكن مفرق شعره فيما كان يملك".

أجاب كيسنجر على ذلك قائلًا: "سيدي الرئيس، لقد لمحت في حديثك إلى من سبقني في هذا المنصب أنه والحق يقال، ليس هناك بلد آخر في العالم يقبل بوجود شخص مثلي إلى جانبك، ولا سيما أنه مر بظروف مشابهة لظروفي، وإذا كان لماضيَّ بعض التأثير على مسيرة سياستنا فإن السبب يعود إلى كوني منذ صغري قد أدركت ما سوف يحدث لمجتمع أسس على القوة وقلة الثقة والحقد، وفهمت في الوقت نفسه ما تعني أمريكا بالنسبة للشعوب الأخرى، من خلال تطلعاتها ومثاليتها، وفيما أنا أسعى لإعداد إطار سلام ضمن توجيهكم يا سيدي الرئيس، فإن هذا لا يعني فقط إيجاد حلول واقعية تدعونا صعوباتها إلى الاقتتال، لكن هذا يعني أن أمريكا لم تكن أمينة نحو ذاتها إلا عندما توجد هذه الثقة لدى التغيير"[1].

١ – مجلس الأمن القومي الأمريكي:

رأى نيكسون أن العالم مقسم إلى أصدقاء وأعداء، ومجموعات تتعاون وأخرى تتضارب فيها المصالح من ناحية التصور والتنفيذ، ولهذا السبب انصبت جهوده على أن يكون مصدرًا لعملية صنع القرار، وكان باستمرار يبعد وزارة الخارجية ووزير الخارجية وليم روجرز من هذه العملية، معطيًا المجال لمجلس الأمن القومي الأمريكي[2] أن يأخذ بعض الدور؛ إذ قام بتكليف كيسنجر بأن

---

(١) هنري كيسنجر، مذكرات، مصدر سبق ذكره، ص ٤٥٢ – ٤٥٣.

(٢) أنشئ مجلس الأمن القومي بموجب القانون العام المرقم ٨٠/٢٥٣ في عام ١٩٤٧ على عهد إدارة ترومان، لمساعدة البيروقراطية المهنية في كبح الرؤساء الأقوياء، ومن المفارقة أن الرؤساء =

=

الأقوياء وجدوا طرقًا منذ ذلك الوقت لاستخدام موظفي مجلس الأمن القومي لتجاوز البيروقراطية المهنية، وذلك عندما تحتم اتخاذ قرارات في السياسات التي ينبغي اتخاذها في الولايات المتحدة ما بعد الحرب، وهي المدة التي استدعت وجود اتصالات أفضل ما بين فريقي الرئيس العسكري والدبلوماسي. واجهت ترومان في بداية عهده مجموعة من القضايا السياسية الشائكة، عرف ترومان بأمر القنبلة النووية التي طورتها الولايات المتحدة حديثًا، وواجهته مسألة ما إذا كان يتعين عليه استخدامها ضد اليابانيين أم لا؟ وتمكن الاتحاد السوفيتي من تأسيس أنظمة عسكرية في العديد من دول أوروبا الشرقية، أما دول أوروبا الغربية فكانت تعاني من الانهيار المالي ومن المجاعة في الحقبة التي أعقبت الحرب مباشرة، وقد دفعت هذه الأوضاع ترومان إلى كتابة قانون مجلس الأمن القومي في العام ١٩٤٧، وقد تم تصديق هذا القانون في ٢٦ تموز ١٩٤٧ كجزء من إعادة التنظيم العام لجهاز الأمن القومي، وتكون من الرئيس ونائبه ومستشار الأمن القومي ووزيري الدفاع (المسئول الثالث في قمة هرم الأمن القومي هو وزير الدفاع، أحد أصعب المناصب في واشنطن، فعلى وزير الدفاع أن يجد الوقت لتقديم المشورة إلى الرئيس فيما يدير بيروقراطية البنتاغون، وهي هائلة الحجم، بحيث يمكن ابتلاع وزارة الخارجية دون عناء. إن كثيرًا من وزراء الدفاع لديهم خبرات في إدارة الشركات، والحق أن وزارة الخارجية كانت في الغالب أسرع من وزارة الدفاع في اقتراح استخدام القوة، وكانت الحال كذلك في سنوات ريغان، وفي عهد كلينتون أيضًا) والخارجية ومدير وكالة المخابرات المركزية (تم إنشاء وكالة المخابرات المركزية الأمريكية Central Intelligence Agency(CIA) بموجب قانون الأمن القومي لعام ١٩٤٧ الذي مكن مؤسسات أخرى من الإبقاء على دوائر الخدمات الاستخباراتية لديها، وكان من المقرر أن تعمل وكالة المخابرات المركزية الأمريكية تحت إشراف مجلس الأمن القومي، وكذلك تم إنشاء وزارة الدفاع تمشيًا مع هذا القانون) ورئيس هيئة الأركان المشتركة، ومستشارين وخمسة مراقبين، كما يضم مسئولين إداريين وسكرتيرًا أو سكرتيرين، فضلًا عن بعض المسئولين الذين يوجه إليهم الرئيس الدعوة للانضمام إلى هذا المجلس. تجدر الإشارة في هذا المجال إلى أن مستشار الأمن القومي ليس عضوًا بحكم القانون في مجلس الأمن القومي، ومع ذلك فان مستشار الأمن القومي يتولى إدارة موظفي مجلس الأمن القومي وهم فريق صغير من المحللين السياسيين، ولجعل

=

=

الأمور أكثر تعقيدًا غالبًا ما يشير الموظفون إلى موظفي مجلس الأمن القومي بمجلس الأمن القومي، عندما كان مجلس الأمن القومي يجتمع بدون الرئيس كان يسمى "لجنة الرئيسيين" وكانت تترأسه مستشارة الأمن القومي كوندوليزا رايس، وكانت القاعدة العامة أن كل وكالة يمكن أن تتمثل في اجتماعات الرئيسيين بوزيرها فقط أو بنائب الوزير أو نظيره، وكانت الاستثناءات نادرة، وتتركز وظيفة مجلس الأمن القومي في تقديم النصح للرئيس في السياسة الداخلية والخارجية والعسكرية الخاصة بالأمن القومي، ويصوغ البدائل والخيارات السياسية ويضعها أمامه بالنظر، ويرأس المجلس مستشار الأمن القومي الذي يتباين دوره في صنع القرار من مدة رئاسية إلى أخرى، وتمت إعادة تنظيم مجلس الأمن القومي في عام ١٩٤٩، وقد دفعت حرب كوريا إلى تغيير وظيفة مجلس الأمن القومي. أوضح ترومان دور المجلس بوصفه استشاريًّا فقط، وصرح بأنه يمتلك "كامل الحرية لقبول ورفض وتعديل النصائح التي يقدمها المجلس، فضلًا عن التشاور مع باقي عائلته الرسمية". وشدد الرئيس على احتفاظه بالكلمة الأخيرة، وكذلك بالسلطة التي تخوله "تقرير هذه السياسة وتطبيقها". تضمنت أولى وثائق السياسات التي قدمها المجلس إلى الرئيس وقائع وآراء جرى ترتيبها في وثيقة واحدة، وأدخلت في عملية صناعة السياسات عند ترومان، وقد ساعدت إحدى هذه الوثائق التي قدمها مجلس الأمن القومي على تحديد مضمون خطة مارشال، وهي الخطة التي تتضمن رزمة مساعدات مالية كبيرة قدمتها الولايات المتحدة إلى أوروبا الغربية، وأنيطت مهمات الإشراف على مهمات رسم السياسات والمهمات الأخرى للمجلس بالمدير الذي كان يطلق عليه في ذلك الوقت اسم السكرتير التنفيذي. يذكر أنه عندما أقدم سويرس على إبلاغ ترومان أنه عازم على ترك منصبه في البيت الأبيض ليعود إلى قطاع الأعمال، طلب منه ترومان أن يحدد السمات المتوفرة في خلفه، وقد ضمن براودس كتابه مقتطفات من المذكرة التي سلمها سويرس إلى ترومان جوابًا على طلبه، وهو يشرح أن هذه السمات تكمن في الآتي: ١ – يتعين على المرشح ألا يكون سياسيًّا، وأن يكون موثوقًا به من الرئيس. ٢ – يتعين على المرشح أن يكون موضوعيًّا ومستعدًّا لوضع آرائه السياسية الشخصية في مرتبة أدنى من ملاحظات غيره، وأن ينسق آراء كل المسئولين الرسميين. ٣ – يتعين على المرشح أن يكون على استعداد لتجاهل الشهرة ومظاهر التبجيل الشخصي. يقول براودس: إنه في العقود القليلة التي تلت تأسيس مجلس الأمن القومي تمكن أعضاؤه من

=

=

اكتساب سلطة تضاهي سلطة موظفي الحكومة والدبلوماسيين والجنرالات. تمكن مستشار الأمن القومي من أن يصبح شخصية محورية في البيت الأبيض، وذلك بفضل كونه مديرًا لموظفين نافذين، وأحد أقرب المستشارين إلى الرئيس. راجع: Wanamaker , Op.Cit. , pp. 25-26. والدكتور السيد هاشم مير لوحي، أمريكا بلا قناع، ترجمة علاء الرضائي، الغدير، بيروت – لبنان، ٢٠٠٣، ص ٨٣. وروبرت د. كانتور، مصدر سبق ذكره، ص ٤٢٢ – ٤٢٣. وأنطونيا فيليكس، مصدر سبق ذكره، ص ٢٠٢. وعبد الحي يحيى زلوم، مصدر سبق ذكره، ص ١٤١. ومادلين أولبرايت، مذكرة إلى الرئيس المنتخب: كيف يمكننا استعادة سمعة أمريكا ودورها القيادي؟ مصدر سبق ذكره، ص ٤٣، ٤٦ - ٤٧. وكيندل سكوت، ديناميات صنع السياسة الخارجية الأمريكية، مصدر سبق ذكره، ١٤٢. تيم واينر، مصدر سبق ذكره، ص ٤٧، ٤٨ – ٤٩. ودوغلاس ج. فايث، مصدر سبق ذكره، ص ٧٢ – ٧٣. وإميل هوبنر، مصدر سبق ذكره، ص ١٦٧. وكوندوليزا رايس، مصدر سبق ذكره، ص ٣٤.

عندما كان هاري ترومان رئيسًا كان وزير الخارجية أو نائب الرئيس يرأس معظم اجتماعات مجلس الأمن القومي. سعى إيزنهاور الذي وصل إلى البيت الأبيض في سنة ١٩٥٣ إلى محاكاة الجيش بإنشاء مكافئ لرئيس هيئة أركان دولية سمي مستشار الأمن القومي، وقد وقع اختيار إيزنهاور على روبرت كاتلر، وهو عميد متقاعد من ماساتشوستس، استخدمه إيزنهاور كما يفعل الجنرال لتحليل المشاكل وإعداد القرارات، وكان كيندي أقل رسمية ويفضل الاجتماعات الصغيرة، وكان يشرك الآخرين في العملية بانتظام، لا سيما إبان أزمة الصواريخ الكوبية عندما كان الحاضرون حول الطاولة يضمون شقيقه روبرت المدعي العام، ومسئولي الحكومة السابقين من كلا الحزبين، أما ليندون جونسون الذي كان أقل من كيندي ميلًا إلى الرسمية فقد دفن مجلس الأمن القومي في الجوهر. راجع: المصدر نفسه، ص ٤٣ – ٤٤.

وفي هذا المجال لا بد من الإشارة إلى سعي الرئيس نيكسون لبعث النشاط والفاعلية في مجلس الأمن القومي في محاولة منه لتوسيع قدراته، ولضمان هيمنة البيت الأبيض على السياسة الخارجية بصورة واضحة مما يمكن عليه الأمر في حالة قيام وزارة الخارجية بتوفير الدافع للسياسة، كما أراد نيكسون أن يضمن "تحديد الاختلافات في وجهات النظر والدفاع عنها بدلًا من إسكاتها أو دفنها، ويذهب نيكسون إلى القول بأنه يرفض أن يجابه بإجماع بيروقراطي يحرمه

=

من الخيارات فيما عدا الموافقة أو الرفض، مما يحول دون معرفة البدائل المتوفرة". وقد عهد نيكسون بالمسئولية إلى مجلس الأمن القومي نتيجة لهذه الاعتبارات. وفي هذا الصدد يقول نيكسون: "إنه يلجأ إلى طبع قراراته وتعميمها بعد التوصل إليها؛ لكي يتسنى لجميع الدوائر المعنية استيعاب سياسته، وبذلك يصبح التحكم في تنفيذها أمرًا ممكنًا". وقد بلغ مجلس الأمن القومي أعلى مستوى له من السلطة في عهد نيكسون، ويعزى السبب في ذلك إلى أسلوبه في القيادة لا إلى المجلس. راجع: روبرت د. كانتور، مصدر سبق ذكره، ص ٤٢٣ – ٤٢٤.

وقد يدخل مستشار الأمن القومي في صدام مع وزير الخارجية بشأن خيارات السياسة، وهو ما حدث بالفعل أثناء حكم الرئيس كارتر عندما اختلف بريجنسكي مستشار الرئيس للأمن القومي مع سيروس فانس وزير الخارجية بشأن أفضل السبل لإطلاق سراح الرهائن الأمريكيين المحتجزين في إيران.

اختار الرئيس إيزنهاور عام ١٩٥٣ (١٨٩٠ – ١٩٦٩) الرئيس الرابع والثلاثون للولايات المتحدة (١٩٥٣ – ١٩٦١). راجع: نعوم تشومسكي، سنة ٥٠١ الغزو مستمر، ترجمة مي النبهان، ط ٢، دار المدى للثقافة والنشر، بيروت، ١٩٩٩، ص ٦١ –٦٢؛ روبرت كوتلر مستشارة للأمن القومي، أما الرئيس كيندي فقد اختار لهذا المنصب Mc George Bundy الذي احتفظ به على عهد الرئيس جونسون (١٩٠٨ – ١٩٧٣) الرئيس السادس والثلاثين للولايات المتحدة (١٩٦٣ – ١٩٦٩) تولى الرئاسة بعد اغتيال الرئيس كيندي (كان نائبًا له) ثم أعيد انتخابه لدورة واحدة. راجع: المصدر نفسه، ص ٢١١) إلى تشرين الثاني ١٩٦٦، ثم خلفه Wall Rostow إلى نهاية عهد جونسون ١٩٦٩، أما نيكسون فقد اختار كيسنجر لهذه الوظيفة، فقد وضعه على عهد فورد ١٩٧٧، في حين عين كارتر (١٩٧٧–١٩٨١) بهذه الوظيفة بريجنسكي، أما ريغان فإنه اختار ألكسندر هيج مستشاره في الأمن القومي، أما فيما يخص الرئيس بوش (الأب) فقد اختار كلًّا من: روبرت كيتس وscowcroft، في حين اختار الرئيس كلينتون (١٩٩٣–١٩٩٧) أنتوني لاك منذ عام ١٩٩٣ ثم Samuel R.Sandy Berger في آذار ١٩٩٧. في هذا المجال لا بد من ذكر دور برنت سكوكروفت مستشار الرئيس بوش للأمن القومي الذي كان له الدور المؤثر في عملية صنع القرار. راجع: الوتيز، مصدر سبق ذكره، ص ٢٩٢، ود. حسين شريف، مصدر سبق ذكره، ص١٨–١٩.

يقوم بعدد من المفاوضات الحساسة[1]. وعليه نرى أن هنري كيسنجر في إدارة

=

يصف جيمس بيكر سكوكروفت بأنه النموذج المثالي لمستشار الأمن القومي، وسبق لسكوكروفت أن شغل هذا المنصب في عهد فورد، ولم يكن جورج بوش يثق فيه ثقة مطلقة فحسب، بل كان يكن له مشاعر خاصة. راجع: جيمس بيكر، مصدر سبق ذكره، ص٤١.

وفيما يخص الاتحاد السوفيتي، من الممكن الإشارة إلى العالم المشهور أيلشوف الذي تولى حتى عام ١٩٦٤ عملية التخطيط السياسي للدعاية الخارجية. وأكثر من هذا لدينا أسباب سقوط خروتشوف، وهي أنه في قراره المشهور بخصوص كوبا لم يأخذ بنظر الاعتبار إرشادات ونصائح خبراء السلطة. راجع: الدكتور حامد ربيع، نظرية السياسة الخارجية، مصدر سبق ذكره، ص ١٠٠.

(١) ينتمي كيسنجر لأسرة يهودية ألمانية من الطبقة المتوسطة، واسمه الحقيقي هو هانيز ألفرد كيسنجر، ولد في عام ١٩٢٣ في مدينة فورث الألمانية، وكان والده مدرسًا في المدارس الثانوية، وعندما جاء هتلر إلى الحكم في ألمانيا غادرت أسرته كلها إلى الولايات المتحدة في عام ١٩٣٨ بعد مقتل ثلاثة عشر شخصًا من عائلته، واستقرت العائلة في نيويورك. يقول سيمور هيرش: لا يوجد أي دليل يدل على أن كيسنجر كان يشعر بالخجل من يهوديته؛ إلا أن كونه يهوديًّا كان بمثابة الصدع في درعه؛ أي نقطة ضعف يمكن أن تهدد موقعه في البيت الأبيض، كما أن نيكسون نفسه كان ينظر إلى هذا الموضوع على كونه عائقًا ولا سيما خلال الأيام الأولى. في هذا المعنى يقول كيسنجر في مذكراته: "كان نيكسون يشك في أن أصول اليهودية قد تجعلني أميل أكثر من الماضي تجاه إسرائيل". راجع: سيمور هيرش، مصدر سبق ذكره، ص٩١ وهنري كيسنجر، مفهوم السياسة الخارجية الأمريكية، إعداد الدكتور حسين شريف، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٧٣، ص٥. والدكتور السيد هاشم مير لوحي، مصدر سبق ذكره، ص ١٣٦. عمل كيسنجر في معمل صناعة فرشاة الحلاقة، وكان كيسنجر قد أنهى المرحلة المتوسطة والتحق بمدرسة ثانوية، ودخل الجيش الأمريكي في عام ١٩٤٣، انقضت مدة التجنيد وعمل في تدريس التاريخ الألماني في إحدى مدارس المخابرات العسكرية الأمريكية في عام ١٩٤٦، وحول إلى موظف مدني، وحصل في عام ١٩٤٧ على منحة حكومية من هارفارد؛ إذ حصل على البكالوريوس في نظم الحكم ثم الدكتوراه في عام ١٩٥٤. راجع: كيسنجر، سنوات العصف، مصدر سبق ذكره، ص٦٨٨ –٧٠٢، وكيسنجر، مفهوم السياسة الخارجية، مصدر سبق ذكره، ص٥–٦. كان كيسنجر

=

=

في أوائل الستينيات من ملاكات الحزب الديمقراطي، وفي حينه كان أستاذًا للجامعة، إلا أنه سجل في الحزب الجمهوري قبل عام ١٩٦٤؛ إذ أصبح مستشارًا للسياسة الخارجية في لجنة اللوائح في الحزب المذكور. شغل كسينجر منصب وزير خارجية الولايات المتحدة الأمريكية بين عامي ١٩٧٣ و١٩٧٧، وفي مرحلة معينة احتل المنصبين في وقت واحد، وكان مرد ذلك إلى رغبته في السيطرة على السياسة الخارجية الأمريكية ومركز السلطة التنفيذية بقدر الإمكان، ومرده أيضًا إلى مقدرته على القيام بهاتين المهمتين. دخل كيسنجر إلى البيت الأبيض كمستشار للأمن القومي للرئيس نيكسون في ٢٠ كانون الثاني عام ١٩٦٩، وقد فضله نيكسون على مرشح الحزب الديمقراطي هيوبرت همفري، غادر البيت الأبيض عام ١٩٧٧، وهي مدة رئاسة الرئيس كارتر، ومنذ ترك منصبه عام ١٩٧٧ استمر في تأليف الكتب والمقالات، وبقي نشطًا كمعلق تلفزيوني ومحاضر ومستشار سياسي. راجع: هيرش سيمور، ثمن القوة.. سنوات كيسنجر في البيت الأبيض، ترجمة خالد إسماعيل الصفار، بيت الحكمة، المطبعة العربية، بغداد، ٢٠٠٠، ص٩-٢٥. ومارتن غريفيش، مصدر سبق ذكره، ص ٥٧ – ٥٨.

كانت هناك أحداث ثلاثة دفعت كيسنجر للبروز في السياسة الداخلية الأمريكية، يمكننا إيجازها في الآتي: الكشف عن سفره السري إلى الصين الشعبية في شهر تموز من عام ١٩٧١، ومفاوضاته السرية حول فيتنام في شهر كانون الثاني من عام ١٩٧٢، وهذه كانت تتجاوب مع أماني الأمريكان الخاصة، وربما بنيت عليها بعض آمال المستقبل، على الرغم من كل انقسامات الرأي العام الداخلية، وسارعت الواشنطن بوست إلى إظهاره بشكل شخصية مرموقة عند رفضه تطبيق لعبة تزمت كان يهدف إليها، وتخلى عنها على الأثر، وصمم على تسميته باسم الناطق الرسمي باسم الحكومة، حتى ولو كان يتكلم بصفة رسمية، غير أنه عندما ظهر لأول مرة بصورة مباشرة تحت أضواء شاشة التلفزيون في شهر تشرين الأول من عام ١٩٧٢ ليعلن عن تخلص الولايات المتحدة ونجاتها من المأساة الفيتنامية، فإن عددًا كبيرًا من شرائح الرأي العام الأمريكي من المشاهدين كانوا شهودًا على هذا الإعلان المذهل، الذي وضع حدًّا لسنوات عشر من الآلام، وهكذا ودون أي انتظار، ومضادة لرغبات نيكسون، فقد أصبح كيسنجر في بداية ولاية نيكسون الثانية رجلًا يتمتع بنوع من الشهرة، ولما كان نيكسون غير راغب في وجود وزير خارجية شديد المراس فلم يكن خاطرًا له ببال أن يكون لديه مستشار لشئون الأمن

=

نيكسون عندما كان مستشارًا للأمن القومي أقصى وزير الخارجية وليام روجرز عن عملية صنع القرار، لكن في حالة كيسنجر كان التماسك السياسي ينبع من التبادل الفكري الغني للآراء بينه وبين الرئيس، وكانت السياسة آنذاك تفرض على الوزارات والهيئات في الاجتماعات الأسبوعية بمجلس الأمن القومي، حيث كان مساعدو وزراء الخارجية والدفاع والخزانة ومسئولو وكالة الاستخبارات المركزية الكبار يبلغون بأولويات الرئيس، وتوجه إليهم التعليمات بشأن كيفية تنفيذها. والفارق أنه أثناء إدارة نيكسون كان مجلس الأمن القومي يضمن أن يستفيد الرئيس من اختلاف وجهات النظر بين الوزارات، فالاختلافات بين الوزارات لم تكن قائمة على الأيديولوجيا، وكانت تحل من مستشار الأمن القومي ونوابه. والأهم من ذلك أن الجدل والنقاش كان يتوقف هناك بدون التقدم إلى الأمام، كما هو الحال اليوم، من خلال مجموعة من الناشطين المدفوعين بأجندة محددة.

هناك من يرى، في مجلس الأمن القومي، أنه من أضعف المؤسسات في الولايات المتحدة من حيث الالتزام بالمهمات الملقاة على عاتقه، فإذا كان لمدير مجلس الأمن القومي ثلاث مهمات يقوم بها –الأولى: تمثيل آراء الرئيس في مداولات السياسات، ثانيًا: تنسيق اتجاه الإدارة ورسالتها في شئون الأمن القومي، ثالثًا: ضمان أن تعكس قرارات الرئيس التوصيات المتماسكة والمنسقة الواردة من الوزارات والهيئات المعنية كافة- فقد فشلت الرئيسة الحالية في المهمتين

=

يعضده جمهور كبير لما أثبت من جدارة. راجع: مذكرات كيسنجر في البيت الأبيض، ترجمة خليل فريجات، الجزء الرابع، ط ٥، دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر، دمشق، ١٩٩٩، ص٢١١- ٢١٢.

الأخيرتين على الأقل[١].

وفي هذا الشأن تقول كوندوليزا رايس: "كان كولن باول يعرف جيدا مدى صعوبة مستشار الأمن القومي، وحاول أن يدعمني، لكنه هو أيضًا، كما أعتقد، يظن أنني لست قوية بما يكفي لدعمه ودعم أجندة وزارة الخارجية، سألني مرات عدة: لماذا لم أذهب إلى الرئيس لـ"تأديب" وزارة الدفاع بصدد عدد من آثام الإهمال أو التفويض، بعضها متخيل، وبعضها الآخر غير متخيل؟ ولعله لم يدرك كم مرة أخذت قضية وزارة الخارجية إلى الرئيس متعاطفة معها"[٢].

وتذهب رايس قائلة: "في نهاية المطاف تابعنا العمل، دون يشكو لنائب الرئيس بأنني أجعل عملية صنع القرار تميل نحو وزارة الخارجية، وكولن يشكو لي بأن وزارة الدفاع تتحالف مع مكتب نائب الرئيس لتقويض مواقف وزارة الخارجية، وانعكاسًا لما يجري في القمة كانت العلاقة بين أولئك الذين في المستوى الأدنى تزداد تعقيدًا حتى باتت غير مقبولة، كانت المستويات الأدنى في فوغي بوتوم Foggy bottom "مقر وزارة الخارجية" في بعض الأحيان تسرب للصحافة بأن وزارة الدفاع أكثر في اصطناع المناورات من وزارة الخارجية، والتسريبات تسبب الوهن والضعف، وتبذر بذور عدم الثقة بين المسئولين الذين يتعين عليهم أن يتعاونوا، وتشوه خيارات الرئيس، والناس يفعلون ليثبتوا أنهم يعرفون أكثر من غيرهم أو لغرض تقديم موقف، ولكنني لا أستطيع أن أفهم لماذا ترى وزارة الخارجية أن ما يعزز عملها يكمن في أن تخبر الصحافة بأن كولن يخسر

---

(١) ستيفان هالبر، جوناثان كلارك، مصدر سبق ذكره، ص ٤٠٢.

(٢) كوندوليزا رايس، مصدر سبق ذكره، ص ٣٣.

كل معركة بيروقراطية؟! لكن واقع الأمر أن الخارجية كانت تربح نصيبها"[١].

والحق أن مستشار الأمن القومي في الولايات المتحدة ليس سوى صنيعة للرئيس، وعمله مقيد بالمحافظة على ولاية هذا الرئيس، وهو مسئول أن يطلع الرئيس عما إذا كانت الوزارات وبقية المنظمات المكلفة ببعض المسئوليات تنفذها وتطلعه على ما يطرأ عليها من خيارات. وبصورة عامة، فإن المستشار القابع في زاوية من زوايا البيت الأبيض القريبة من الرئيس يقتضي أن يكون مستعدًّا لحل القضايا المكلف بها من قبل الرئيس. وبعبارة أكثر دقة، فإن المستشار ليس سوى رجل يسعى لنيل التقدير، وتنحصر مهماته في تنفيذ ما يكلفه به الرئيس، وقد يسمح لنفسه أحيانًا بأن يرى الأمور من الأعلى[٢].

يتمكن مستشار الأمن القومي من ردم هوة محفورة في ثقة الرئيس نحوه، ولكن لوقت محدود، وربما هذا يؤدي إلى تغيير الحقائق وخداع الدول الأجنبية[٣].

من الصعوبة بمكان تجنب الاستنتاج بأن مجلس الأمن القومي توقف عن أداء دوره التقليدي في مرحلة معينة في العام ٢٠٠٢ بالتدقيق المتأني في المعلومات الاستخبارية المتدفقة على الرئيس وتقويمها، وكان يستخف بالتقويمات البديلة أو المشككة من مصادر استخبارية أخرى أو لا ينقلها، وأصبحت مستشارة الأمن القومي كوندوليزا رايس رئيسة لمشجعي مقولة امتلاك العراق أسلحة

---

(١) كوندوليزا رايس، مصدر سبق ذكره، ص ٤٤.

(٢) مذكرات كيسنجر في البيت الأبيض، الجزء الرابع، مصدر سبق ذكره، ص ٢٣٩ – ٢٤٠.

(٣) المصدر نفسه، ص ٢٤٠.

دمار شامل، وبالتالي أصبح مجلس الأمن القومي صدى للآراء التي يعرضها مدير المخابرات المركزية المكيف سياسيًّا على الرئيس، وضغط نائب الرئيس تشيني وكبير موظفيه أيضًا على محللي وكالة المخابرات المركزية بالتشكيك الموجه والتأكيد المسبق (وبخاصة في حالة تشيني) أمام الرأي العام الأمريكي بأن الاستنتاجات الافتراضية أو القائمة على استكمال المعلومات لا يمكن دحضها. وأخيرًا وليس آخرًا أنشأت وزارة الدفاع الأمريكية مكتبًا استخباريًّا خاصًّا بها في العراق، وقد عزز هذا المكتب الذي يديره واحد من أكثر المحافظين تشددًا الاستنتاجات التي تبناها الرئيس الأمريكي بوش ونائبه تشيني علنًا[١].

---

(١) أوضح نائب الرئيس الأمريكي تشيني (يمثل تشيني في اجتماعات مجلس الأمن القومي، ويحضر كل اجتماع لكل مجموعة مع الرئيس، ووفقًا للتقليد يمسك نائب الرئيس عن تقديم النصح إلى رئيسه أمام الآخرين، إلا عندما يدعوه الرئيس للإدلاء بدلوه، فذلك يحرره من الحاجة إلى تبرير آرائه أمام المجموعة. ومن مهام نائب الرئيس الأمريكي ترؤس جلسات مجلس الشيوخ والإدلاء بصوت يرجح كفة الميزان؛ أي في حالة تعادل أصوات الجمهوريين والديمقراطيين، أو لغرض تحقيق أغلبية. ولم يسبق من قبل أن مارس نائب للرئيس سلطة كبيرة كما فعل تشيني؛ فقد أنشأ فريقًا خاصًّا به من موظفي الأمن القومي يبلغ عددهم خمسة عشر محترفًا -وذلك أكبر من مجلس الأمن القومي للرئيس جون كينيدي- ثم سعى إلى عدم الكشف عن نشاطه أمام الكونغرس على أساس أن نائب الرئيس ليس جزءًا من السلطة التنفيذية) في حزيران من العام ٢٠٠٢ للشعب الأمريكي، في خطاب أمام المحاربين القدامى في الحروب الخارجية؛ مزايا إزاحة الرئيس العراقي السابق صدام حسين بالقوة: "سيتشجع المعتدلون في المنطقة بأكملها، وستعزز قدرتنا على الدفع قدمًا بعملية السلام الإسرائيلية الفلسطينية". بل إنه أثناء السعي للحصول على موافقة الكونغرس والأمم المتحدة على الحرب في أواخر سنة ٢٠٠٢ وأوائل سنة ٢٠٠٣، طرح الرئيس بوش في نقاش سري مع رئيس الوزراء البريطاني توني بلير -سجله مستشار بلير للسياسة الخارجية- فكرة تدبير استفزاز عسكري متعمد للتعجيل بإعلان حالة الحرب. راجع:
=

وهنا لا بد من القول بأن تشيني كان مقتنعًا بفكرة وجود علاقة ما بين الرئيس العراقي السابق صدام حسين وتنظيم القاعدة، غير أن وكالة المخابرات المركزية الأمريكية لم توافقه. كان تنيت وعناصره قد عاينوا المعلومات الاستخباراتية بأكبر قدر ممكن من الشمول، وأفاد تنيت بوضوح بعدم وجود أي برهان[(١)].

=

زبغنيو بريجنسكي، الفرصة الثانية: ثلاثة رؤساء وأزمة القوة العظمى الأمريكية، مصدر سبق ذكره، ص ١٤٩. ومادلين أولبرايت، مذكرة إلى الرئيس المنتخب: كيف يمكننا استعادة سمعة أمريكا ودورها القيادي؟ مصدر سبق ذكره، ص ٥١. ومجدي كامل، مصدر سبق ذكره، ص ١٦٤. وإميل هوبنر، مصدر سبق ذكره، ص ١٦٨.

ومع أن نواب الرئيس الأمريكيين المختلفين قد حظوا في الآونة الأخيرة فقط بحق الإسهام في صنع القرار، وبالحصول على المعلومات بشأن ما يحدث من تطورات، إلا أن هذا الحق ما يزال مرهونًا بقناعات هذا الرئيس أو ذاك، وبمدى الأهمية التي يعيرها الرئيس المعني لنائبه؛ فسابقًا كثيرًا ما كانت تتعالى الشكاوى المتذمرة من قصور فرص نواب الرئيس على إظهار طاقاتهم الخلاقة. وعمومًا يمكن أن نقول: إن الرؤساء الأمريكيين كانوا في حالات ليست نادرة يقصرون مهمات نوابهم فقط على الوظائف التي يحددها لهم الدستور: رئاسة مجلس الشيوخ وانتظار أن يكون خليفته في المنصب مستقبلًا. راجع: إميل هوبنر، مصدر سبق ذكره، ص١٦٨.

تجدر الإشارة في هذا المجال إلى أن هيئة موظفي نائب الرئيس، الذين يبدو أنهم من جماعة الصقور المغالين في مواقفهم، كانوا مصممين على العمل وكأنهم مركز قوة مستقل. عملت أشياء كثيرة "باسم نائب الرئيس" سواء كانت بتوجيه منه أم لا؟ لكن المؤكد أنه يشارك موظفيه بآرائهم، ولم تكن هذه الأفكار بعيدة عن جوهر تفكيره، وإنما بعض الألعاب البيروقراطية التي كان يقوم بها مكتب نائب الرئيس لم تكن تحمل سمتًا تعامليًا مع رئيسهم. راجع: كوندوليزا رايس، مصدر سبق ذكره، ص ٣٩.

(١) بوب ودوارد، حالة إنكار حرب بوش، مصدر سبق ذكره، ص ١٦١.

وبالرغم من أن مجلس الأمن القومي يظل هيئة استشارية فإن نفوذه قد زاد بشكل واضح خلال العقود الأخيرة، وتختلف أولويات وطريقة عمل المجلس حسب أولويات كل إدارة وحسب أجندة الرئيس الأمريكي[١]. قالت صحيفة واشنطن بوست في عددها الصادر في ١١ شباط ٢٠٠٩: إن الرئيس أوباما يعتزم إعادة تنظيم مجلس الأمن القومي الأمريكي مع توسيع اختصاصاته وصلاحياته لتشمل عددًا أكبر من القضايا. وقالت الصحيفة نقلًا عن مستشار الأمن القومي الجنرال جونز: إن المجلس الجديد سيكون مختلفًا إلى حد كبير عما كان عليه قبل وصول أوباما إلى السلطة، مضيفًا أن النقلة النوعية تأتي كرد على التغيرات التي حصلت في العقد الأخير وجعلت بعض المؤسسات عديمة النفع. وستتعدى اختصاصات المجلس مجال خبرته التقليدي، كما يمكن أن ينضم إليه أعضاء آخرون في الإدارة غير وزيري الدفاع والخارجية، تبعًا للمواضيع المطروحة للبحث. وفضلًا عن وزارتي الخارجية والدفاع سيكون للمجلس حسب الظروف رأي فيما يخص وزارات الطاقة والتجارة والخزانة، فضلًا عن وكالة مكافحة المخدرات ووكالات الاستخبارات، وفقًا لجونز.

٢- وزارتي الدفاع والخارجية وعملية صنع القرار:

فضلًا عن الرئيس ومجلس الأمن القومي فإن وزارتي الدفاع[٢] والخارجية

---

(١) كيندل سكوت، ديناميات صنع السياسة الخارجية الأمريكية، مصدر سبق ذكره، ١٤٢.

(٢) إن منصب رئيس هيئة الأركان المشتركة في المؤسسة العسكرية الأمريكية يعد منصبًا فريدًا، فهو ليس ضابطًا كبيرًا في زي عسكري وحسب، بل هو حلقة وصل رئيسة مع القيادة المدنية، دائبًا على توفير المشورة العسكرية لوزير الدفاع، ولمجلس الأمن القومي، ولرئيس الجمهورية.

خلال الجزء الأكبر من مرحلة ما بعد الحرب العالمية الثانية لم يكن رئيس الأركان يقدم سوى =

لهما دور مهم في صنع السياسة الخارجية الأمريكية، كما أن هناك عددًا كبيرًا جدًّا من الهيئات المحلية والمنظمات غير الحكومية، فضلًا عن الدبلوماسيين الذين لهم دور مساعد في صنع هذه السياسة. وبسبب موجات العولمة والتداخل الكبير بين القضايا والمشاكل العالمية فإن قدرًا من اللامركزية بات يسيطر على عملية صنع السياسة الخارجية الأمريكية، كما أن ثمة تنوعًا في الاهتمامات والقضايا التي تغطيها مظلة السياسة الخارجية، مثل قضايا البيئة والمخدرات[1].

=

المشورة العسكرية المتفق عليها من قبل جميع رؤساء الأركان، وكانت يدا رئيس الهيئة تبقيان مقيدتين ما لم يحصل إجماع بين رؤساء الأسلحة.

ذلك كله تغير مع إقرار قانون غولدووتر – نيكولز لعام ١٩٨٦، القانون الذي أكد أهمية "الترابط" (مقابل التأييد القائم على مركزية الأسلحة) بين الأسلحة، ونص على جعل رئيس الهيئة المشتركة المستشار العسكري الرئيس، محررًا إياه من قيد الاقتصار على تقديم وجهات النظر الحاصلة على إجماع الرؤساء، وقد شارك ديك تشيني في رعاية هذا التشريع في المجلس من منطلق الإيمان بأنه وفر إصلاحات مطلوبة بإلحاح.

كذلك نص قانون غولدووتر – نيكولز على إخراج الرؤساء من سلسلة القيادة، فلم يعد رئيسًا سلاح الجو والجيش جنبًا إلى جنب مع قائد المارين ورئيس العمليات البحرية مضطلعين بقيادة قوات حين تكون منشورة، مسئولون هم عن تجنيد القوة وتدريبها وتجهيزها، ولكن دون استخدامها في القتال، ويأتي الدور محصورًا في القيادات العليا؛ أي في القادة الميدانيين، يستطيع وزير الدفاع إذا شاء أن يرسل أوامر عسكرية إلى الميدان عبر رئيس الهيئة.

تجدر الإشارة في هذا المجال إلى أن ديك تشيني عندما كان وزيرًا للدفاع قام باختيار كولن باول لهذا المنصب في الأول من تشرين الأول ١٩٨٩ بعد مصادقة مجلس الشيوخ، على الرغم من تردد برنت سكوكروفت على ذلك، كون باول كان مستشارًا للأمن القومي للرئيس ريغان، ولم يكن سكوكروفت متحمسًا لوجود رئيس هيئة أركان على اطلاع يضاهي اطلاعه على صعيد إدارة مجلس الأمن القومي، وتقديم المشورة لرئيس الجمهورية. راجع: ديك تشيني مع ليز تشيني، مصدر سبق ذكره، ص ١٩٦-١٩٧.

(١) كيندل سكوت، ديناميات صنع السياسة الخارجية الأمريكية، مصدر سبق ذكره، ص١٤٢-١٤٣.

وحسب وزير الخارجية الأمريكي الأسبق كولن باول، فإن عملية صنع السياسة الخارجية الأمريكية تعد وظيفة عاكسة لطبيعة شخصية الرئيس الأمريكي، فعند تسلمه السلطة يقوم كل رئيس أمريكي بتعيين كبار موظفيه ومستشاريه، فضلًا عن تعيين وزيري الدفاع والخارجية، كما أنه يحدد الأدوات التي يتم اللجوء إليها لتنفيذ أجندته الخارجية(١).

وتعد وظيفة أساسية للرئيس أن يقوم بالتنسيق بين مختلف اللاعبين المؤثرين في صنع السياسة الخارجية، ومعرفة أي القرارات يمكن إنجازها، على عكس دوره على المستوى المحلي، فإن الرئيس الأمريكي له مطلق الصلاحيات ليس فقط في توجيه السياسة الخارجية الأمريكية، وإنما أيضًا في إدارة العملية ذاتها، والتدخل بشكل مؤثر إذا لزمت الحاجة لذلك، وهو أمر قد يكون له مردود سلبي وإيجابي في الوقت نفسه؛ فعلى سبيل المثال فإنه في خلال إدارة الرئيس السابق جورج دبليو بوش، فإن ثمة مؤشرات كثيرة على أن عملية صنع القرارات الخاصة بالسياسة الخارجية كانت غير فعالة(٢).

وبغض النظر عن الأجندة التي وضعها الرئيس بوش عند دخوله البيت الأبيض أوائل عام ٢٠٠١، إلا أنها سرعان ما تبدلت عندما وقعت هجمات الحادي عشر من أيلول ٢٠٠١، التي جاءت كي تحدد شكل السياسة الخارجية الأمريكية لثماني سنوات لاحقة، وخلال تلك المرحلة فإن السياسة الخارجية الأمريكية قد تحددت بالأساس انطلاقًا من كيفية حماية الأمن القومي الأمريكي؛ لذا فقد جاء القرار بضرورة غزو العراق عام ٢٠٠٣، والآن تبدو حرب العراق كما لو

(١) المصدر نفسه، ص ١٤٣.

(٢) المصدر نفسه، ص ١٤٣.

كانت خطأ كبيرًا لإدارة بوش التي أساءت تقدير الموقف استنادا إلى معلومات مغلوطة وغير صحيحة، وهو ما أدى إلى نتائج كثيرة سلبية بعد الغزو، ولا تزال آثارها ماثلة حتى الآن[١].

وقد استمر سوء التقدير الذي صاحب غزو العراق طيلة مدتي حكم الرئيس بوش؛ فقد كان فريق السياسة الخارجية للرئيس بوش خلال مدته الأولى يتكون من ديك تشيني نائب الرئيس، وكوندوليزا رايس مستشارة الأمن القومي، وكولن باول وزير الخارجية، ودونالد رمسفلد وزير الدفاع. وقد وقع الجميع في أخطاء كثيرة، وتاهت المسئولية وتعقدت العلاقة بين الأجهزة والمؤسسات الأمريكية كافة، وذلك بسبب الخلافات المستمرة والصراعات التي نشبت بين جميع هؤلاء، وقد وصلت العلاقة بين رامسفلد ورايس إلى درجة من الاحتقان والتوتر المكتوم بشكل لا مثيل له، إلى درجة أن رمسفلد أجبر على الرد على اتصالات رايس الهاتفية التي كان يتجاهلها[٢].

وكان يمكن للفوضى وعدم التنسيق التي حدثت إبان الغزو الأمريكي للعراق؛ أن يتم تجنبها لو تم اللجوء لهيراركية صنع القرار داخل مؤسسات السياسة الخارجية الأمريكية؛ فالرئيس بوش لم يكن الوحيد الذي يواجه صعوبات في التنسيق بين أجهزته ووزارته، بيد أن غزو العراق كان دليلًا ساطعًا على مخاطر عدم التنسيق والتشاور بين هذه المؤسسات قبل اتخاذ مثل هذه القرارات المصيرية[٣].

---

(١) كيندل سكوت، ديناميات صنع السياسة الخارجية الأمريكية، ص ١٤٣.

(٢) المصدر نفسه، ص ١٤٣.

(٣) كيندل سكوت، ديناميات صنع السياسة الخارجية الأمريكية، ص ١٤٣.

هناك نزعة لدى المسئولين في وزارة الخارجية الأمريكية لأن ينظروا إلى الرئيس ومستشاريه على أنهم ظاهرة مؤقتة سوف تزول، وليس لديهم تلك الخبرة العميقة التي يتمتعون بها هم ويجلبونها للدبلوماسية، فكانت هذه النزعة تقود الخارجية أحيانًا لأن تقول للعالم "ما الذي يقصد الرئيس قوله"، وعادة عبر تسريبات إلى "الواشنطن بوست"، أو "نيويورك تايمز". والجدير بالذكر أن ميل البعض في وزارة الخارجية لإظهار ما يعدونه خبرتهم المتفوقة كان قويًّا على وجه الخصوص في السنوات الأولى المضطربة من عهد إدارة الرئيس بوش، لكن وزير الخارجية الأسبق دين أتشيسون تحدث عن نشوء هذه الظاهرة قبل عقود من السنين، وقد وصف أتشيسون هذه الظاهرة في مذكراته بعنوان Present at the Creation، حيث قال: "إن هذا الموقف القائل بأن الرؤساء والوزراء يأتون ويذهبون لكن الوزارة باقية للأبد جعل الكثيرين من الرؤساء يفقدون الثقة بوزارة الخارجية ويكرهونها"[١].

فيما يخص وزارة الدفاع الأمريكية نرى أن ميزانيتها تبلغ ما يعادل أربعين ضعف ميزانية وزارة الخارجية تملك الطاقة اللوجستية الرهيبة، فتجد الخارجية نفسها في بعض الأحيان تعتمد عليها، ومستاءة من امتدادات العسكر، فلا يكون ثمة استجابة أمريكية لأية أزمة إنسانية، كما حصل عندما وقع زلزال في إندونيسيا عام ٢٠٠٤، بالرغم من تلك القدرات الاستثنائية للبنتاغون؛ فالعسكر يأخذون على عاتقهم الأعمال الإنسانية في العالم أجمع من خلال الباخرة المستشفى ميرسي (الرحمة) Mercy على سبيل المثال، وفي أفضل الظروف

(١) كوندوليزا رايس، مصدر سبق ذكره، ص ٣٨.

تندمج هذه القدرات مباشرة مع الخبرة الدبلوماسية عند السفير وطاقم السفارة فتعطي استجابة أمريكية موحدة للأزمة أو للفرصة[١].

وبالطبع يوجد أيضًا في مكتب وزير الدفاع مدنيون لديهم النزعة لتقديم آراء مختلفة عديدة حول كيفية القيام بالعمل الدبلوماسي. وهنا يتعين على المسئولين في وزارة الخارجية أن يعيدوا إلى أذهانهم أن مهمة جعل البلدان الأخرى تفعل ما يريدون لهم أن يفعلوه ليس بالمهمة السهلة، فوزارة الخارجية هي التي يتعين عليها القيام بهذا العمل، ولكن لكل واحد آراؤه حول طريقة فعل ذلك، وفي معظم الأحيان ينتقد هؤلاء الأفراد بصوت عال كيف تقوم الخارجية بواجبها، لذلك ليس من الغريب أن تكون العلاقة بين هاتين الوزارتين متوترة قليلًا[٢].

واللافت في هذا الصدد حالة الوزير كولن باول والوزير دون رمسفلد، فقد تخطت العلاقة بينهما مثل تلك التوترات التي لا مفر منها، لقد عرف الرجلان كل منهما الآخر لسنوات عدة، ويوجد بينهما احترام شخصي متبادل، ولكن يوجد أيضًا قدر متساو من انعدام الثقة، لكن الاثنين لم يجابه أحدهما الآخر مباشرة وجهًا لوجه، ولم يحدث ذلك حتمًا أمام الرئيس، عوضًا عن ذلك كان رمسفلد يرسل مذكرات قصيرة كانت تسمى snowflakes أي "كسفًا ثلجية" ينتقد فيها بصورة مبطنة وأحيانًا صريحة عمل الخارجية أو مجلس الأمن القومي، لكن هذه المذكرات كانت في معظم الأحيان تعكس مناقشات حدثت، ورغم ذلك تترك الانطباع بأن رمسفلد يبلغ الآخرين حكمة جديدة، أو يقدم توصية

(١) المصدر نفسه، ص ٣٧.

(٢) كوندوليزا رايس، مصدر سبق ذكره، ص ٣٧.

هامة. أما في الاجتماعات فكان يجب أن يطرح أسئلة فلسفية شبيهة بأسئلة سقراط بدلًا من أن يتخذ موقفًا، وكان ذلك يفضي إلى توترات وإحباط لدى كولن باول[١].

خامسًا: السياسة الخارجية لباراك أوباما:

بدأ الرئيس الأمريكي باراك أوباما، منذ بَدْء حملته الانتخابية وحتى وصوله إلى البيت الأبيض، بإعادة الانضباط للسياسة الخارجية الأمريكية، وكان واضحًا أنه سيسعى جاهدًا للاستفادة من أخطاء سلفه جورج بوش، وكان أول ما قام به أوباما هو إعادة النظام والهيراركية لمؤسسات صنع السياسة الخارجية الأمريكي، سواء تم ذلك من خلال إعادة هيكلة المناصب، أو إعادة ترتيب الأولويات بين الإدارات المختلفة[٢].

يرد أنصار الرئيس أوباما على منتقديه بالقول: إن سياسته الخارجية مبنية على نظرة واقعية للولايات المتحدة والعالم، وهي نظرة ذات تقاليد عريقة في الدبلوماسية، فليس لدى الولايات المتحدة إمكانية بناء عالم جديد وفقًا لتصوراتها، وإن الصورة المثلى للقيام بذلك هي إدخال تقاليدها الديمقراطية إلى حيز الواقع العملي بالطريق الصحيح، وذلك من خلال إغلاق معسكر غوانتانامو على سبيل المثال، وتعزيز علاقاتها مع العالم الخارجي، وتنامي التجارة الدولية، والمرونة في تبادل الأفكار مع الوحدات الدولية الأخرى، وفي هذا الشأن يقول أنصار أوباما: "إنه واقعي باعترافه بحدود إمكانية وقدرة القوة الأمريكية،

---

(١) المصدر نفسه، ص ٣٧ – ٣٨.

(٢) كيندل سكوت، ديناميات صنع السياسة الخارجية الأمريكية، مصدر سبق ذكره، ص ١٤٣.

ويتميز بالعملية من حيث تحقيق مصلحة الأمن القومي الأمريكي دون ارتباط بالأيديولوجية، وإيمانه بعملية التغيير التدريجي، والإدراك بأن الولايات المتحدة لا تستطيع إرضاخ العالم لهيمنتها وإرادتها". من هذا المنطلق شبه بعضهم في الولايات المتحدة أوباما بمخطط السياسة الخارجية النمساوية مترنيخ، حيث كان لسياسته الواقعية الأثر الكبير في الحفاظ على مفهوم توازن القوى الكبرى في أوروبا لمدة تربو على ثلث قرن إبان القرن التاسع عشر[١].

لكن كينيث والتز -وهو من منظري الواقعية الجديدة- ينتقد مثالية أوباما قائلًا: "إن أخطر تحد يواجهه أوباما، ويبدو أنه لا يستوعبه جيدًا، هو تضخم ميزانية الدفاع؛ فالولايات المتحدة في نظره تسيء استخدام قوتها على نحو ما فعلت قوى دولية كان لها وزنا دوليًّا وانهارت من قبلها، فضلًا عن انهماك أوباما بدول نائية في العلاقات الدولية، وعدم الاهتمام بجارتها الجنوبية المكسيك التي تعد قريبة من الدول الفاشلة"[٢].

حذر جون ميرشمير -وهو الآخر يعد من كبار منظري الواقعية- من النتائج الوخيمة على الولايات المتحدة في حالة انهيار الدولة هناك[٣].

وعلى الرغم من أن فريق أوباما للسياسة الخارجية لم يتم اختباره بعد فإن ثمة دلالات كثيرة حول التناغم والاتفاق بين الأجهزة المختلفة، وقد جاءت التعيينات الأولى في إدارة أوباما كي تعكس هذه الحقيقة؛ فقد تم تعيين هيلاري

---

(١) الدكتور أحمد علي سالم، السياسة الخارجية لأوباما بين المثالية والواقعية، السياسة الدولية، العدد ١٧٨، مؤسسة الأهرام، القاهرة، أكتوبر ٢٠٠٩، ص ١٣٩.

(٢) المصدر نفسه، ص ١٣٩.

(٣) المصدر نفسه، ص ١٣٩.

كلينتون وزيرة للخارجية، وعين الجنرال جيمس جونزا مستشارًا للأمن القومي، وروبرت جيتس وزيرًا للدفاع[١].

ويشير البعض إلى أن هذا الفريق يبدو أكثر تنظيمًا وتنسيقًا فيما بين أعضائه، ولا توجد فرصة لإحداث اضطراب في أولوياته وخياراته، ويبدو أن الجميع لديه إدراك واع بأجندة الرئيس أوباما وإصراره على إحداث تحول ملموس في السياسة الخارجية الأمريكية[٢].

ويبدو الرئيس أوباما مقتنعًا بضرورة العمل الجماعي وعدم الاستئثار بالرأي، فهو يعطي أهمية مطلقة للاستماع إلى جميع الآراء، ثم الاختيار من بين البدائل المتاحة أمامه، وهو ما يختلف جذريا عن مدتي إدارة الرئيس بوش، التي كان دور الرئيس فيها يبدو محدودًا بسبب مراكز القوى التي كانت تتنازع وتتصارع على اتخاذ القرارات، وكان لنائب الرئيس دور بارز في صنع السياسة الخارجية[٣].

وعلى الرغم من المرونة التي يبديها الرئيس أوباما في صنع السياسة الخارجية فإنه أيضًا يتسم بالحزم الشديد عندما يتم اتخاذ القرارات الإستراتيجية، فعلى سبيل المثال اتخذ عدة قرارات مهمة فور تسلمه الإدارة في كانون الثاني ٢٠٠٩، منها على سبيل المثال إرسال مزيد من القوات لأفغانستان، بوصفها الجبهة الأساسية في الحرب ضد حركة طالبان، كذلك لفتحه الحوار مع إيران، وتغيير لغة الخطاب معها من المواجهة إلى الاحتواء، أيضًا قام أوباما بعمل نقطة تحول

(١) كيندل سكوت، ديناميات صنع السياسة الخارجية الأمريكية، مصدر سبق ذكره، ص ١٤٣.

(٢) المصدر نفسه، ص ١٤٣.

(٣) المصدر نفسه، ص ١٤٣.

في العلاقة مع العالم الإسلامي، والدعوة إلى فتح صفحة جديدة تقوم على الاحترام المتبادل. وأخيرًا فقد بدأ الرئيس أوباما حملة للضغط على الكيان الصهيوني بشأن وقف المستوطنات في الضفة الغربية، وذلك كبداية لحل الصراع العربي الصهيوني، وهذا يعني أنه لا يوجد في الوقت الحاضر داخل إدارة أوباما محاولات للاستئثار بصنع السياسة الخارجية والدخول في نزاع حول الصلاحيات وعملية صنع القرار، ويبدو أن الجميع متفق مع الرئيس أوباما في طريقة إدارته للسياسة الخارجية[١].

أما مسئوليات وزير الخارجية فإنها تختلف تمامًا، فهو مطالب يوميًّا بدراسة جدول واسع من العلاقات الدولية التي لا تتطلب اهتمام الرئيس ولا مجلس الأمن القومي، وعليه أن ينتظر في كل ساعة من النهار أخبار مائة وخمسين بلدًا، وتسوية مجموعة من المعضلات الجماعية دون المجيء على ذكر علاقاته مع المنظمات الدولية، وعليه أن يهتم أيضًا بالقضايا الاقتصادية، ومراقبة التسلح، والمعونات الخارجية، والسياسة، وسمات السفر والهجرة[٢].

ويتحتم على وزير الخارجية أيضًا حل معضلات عديدة، العالمية منها والتقنية، وهو في خشية دائمة من إقلاق الرئيس وإتعابه بمعضلات رئيسة تتطلب حلًّا سريعًا من قبل رئيس الدولة، أو على الأقل ضرورة الاطلاع عليها، والرئيس الذي يمل هذه الحركة الدائمة الناشطة ينتهي بالإساءة إلى دولته[٣].

---

(١) كيندل سكوت، ديناميات صنع السياسة الخارجية الأمريكية، مصدر سبق ذكره، ص ١٤٣.

(٢) مذكرات كيسنجر في البيت الأبيض، الجزء الرابع، مصدر سبق ذكره، ص ٢٤٠.

(٣) المصدر نفسه، ص ٢٤٠.

للتمكن من إنجاح السياسة الخارجية نجاحًا حقيقيًّا يجب أن تكون موضع اهتمام جميع المكلفين بتسيير الدبلوماسية، وعلى الأصح يجب أن تكون مغروسة في قلوب وأذهان الأمة[١].

ليست السياسة الخارجية سوى اشتراك وثيق بين الرئيس ووزير خارجيته، كما كانت بين هاري ترومان ودين أشيسون، ودوايت إيزنهاور وجون فوستر دالس وريتشارد نيكسون وهنري كيسنجر[٢].

لقد قال وزير سابق في الإدارة الأمريكية، حيث كانت له خبرة واسعة في السياسة الخارجية: "تعاني العملية القائمة بين الهيئات من ضعف وظيفي كامل، ولم أر خلال تجربتي قط أنها تتم على هذا النحو"[٣].

ولم يسهل من ذلك تردد الرئيس في التدخل وفرض إجراءات على الشخصيات الفاعلة في المناصب العليا في وزارتي الخارجية والدفاع، ولم تكن العلاقات الشخصية القديمة بين دونالد رمسفلد وديك تشيني -كانا شريكين أثناء إدارات نيكسون وفورد- تحبذ التوصل إلى تسوية مع كولن باول، ولأن كلًّا منهما شخصية سياسية قوية قائمة بنفسها ومزية سياسية للإدارة، فقد قزما مدير مجلس الأمن القومي الذي تراجعت مكانته، ولم يستطع اقتراح المبادرات في سياق يعكس المخاوف العسكرية والدبلوماسية الدقيقة من أجل اتخاذ قرار رئاسي[٤].

---

(١) المصدر نفسه، ص ٢٤٠

(٢) المصدر نفسه، ص ٢٤٠.

(٣) ستيفن هالبر، جوناثان كلارك، مصدر سبق ذكره، ص ٤٠٣.

(٤) المصدر نفسه، ص ٤٠٣.

=

=

تكونت في عهد الرئيس كلينتون لجنة المديرين، وهم فريق الرئيس المكون من كبار خبراء السياسة الخارجية، وكانت لجنة المديرين تنظر في المسائل الكبرى للسياسة الخارجية، وتصوغ التوصيات التي تمرر بعد ذلك للرئيس، وكان يرأس اللجنة مستشار الرئيس للأمن القومي، وتضم في عضويتها وزيري الخارجية والدفاع، ومدير وكالة المخابرات المركزية، ورئيس هيئة الأركان المشتركة، ومستشار نائب الرئيس لشئون الأمن القومي.

تجدر الإشارة في هذا المجال إلى أن فريق الأمن القومي في عهد الرئيس كلينتون ضم في صفوفه المسئولين المستقلين وارن كريستوفر (الذي صار وزيرًا للخارجية)، وكليفتون وارتون (مساعد وزير الخارجية)، ولس آسبن (وزير الدفاع)، وطوني ليك (مستشار الأمن القومي)، وساندي بيركر (مساعد مستشار الأمن القومي)، وجيم ولسي (مدير المخابرات المركزية)، ومادلين أولبرايت مندوبة الولايات المتحدة في الأمم المتحدة.

وفي المدة الرئاسية الثانية للرئيس كلينتون تكون مجلس الأمن القومي من الرئيس نفسه ونائبه آل غور، ووزيرة الخارجية مادلين أولبرايت، ووزير الدفاع وليام كوهين، ومدير وكالة المخابرات المركزية جون دوتيش، وقد خلفه جورج تنيت، ومستشار الرئيس للأمن القومي ساندي بيرغر، ونائبه نانسي سادربرغ. راجع: الدكتور هاشم ميرلوحي، أمريكا بلا قناع، ترجمة علاء الرضائي، الغدير – بيروت، ٢٠٠٣، ص ٨٣ – ٨٤. وزبغنيو بريجنسكي، الفرصة الثانية: ثلاثة رؤساء وأزمة القوة العظمى الأمريكية، مصدر سبق ذكره، ص ٢١. وكوندوليزا رايس، مصدر سبق ذكره، ص٣٩.

تقول مادلين أولبرايت: "ولكي تكون السياسة الخارجية فعالة، فليس هناك شيء أكثر حيوية من رئيس قوي ومنشغل بتلك السياسة، ولكن مما يساعد أيضًا هو أن يشتغل وزير الخارجية ومستشار الأمن القومي على نحو فعال كفريق، ذلك أن هذه العلاقة كانت تاريخيًّا متوترة، ولم تكن علاقتي مع ساندي بيركر ونائبه جيمس شتاينبرك خالية من المتاعب، ولكن بالمقارنة مع الازدواجيات الأخرى للعمل بين الخارجية والأمن القومي، فإنا كنا نعمل معًا عملًا جيدًا". راجع: السيدة الوزيرة مادلين أولبرايت سيرة ذاتية، مصدر سبق ذكره، ص ١٩٤، ١٩٩، ٥٠٠.

وعليه، نرى أن الرئيس السابق كلينتون اتخذ أسلوبًا خاصًّا يتباين كثيرًا عن إدارة الرئيسين بوش الأب وبوش الابن، حيث كان في تفاعل مستمر مع أعضاء مجلس الأمن القومي، فضلًا عن استشارته بأساتذة الجامعات وغيرهم من مصادر المعلومات، على نقيض الرئيس بوش الابن الذي يستعين بمجموعة صغيرة جدًّا من المستشارين.

سادساً: صنع القرار خارج وحدة اتخاذ القرار:

١ – تقرير بيكر – هاملتون:

أنشأ الكونغرس الأمريكي المحبط بسبب عدم تحقيق تقدم مجموعةَ دراسةٍ للوضع في العراق مكونة من الحزبين الجمهوري والديمقراطي، وذلك لتقويمه بطريقة مستقلة وتقديم توصيات تتعلق بالسياسة إلى الرئيس، وقدم البيت الأبيض دعمًا متواضعًا ومترددًا[1]. تألفت اللجنة من أعضاء شيوخ شيبتهم السنون، وترأس عليها كل من الجمهوري جيمس بيكر (٧٧) سنة الذي شغل سابقًا بمنصب وزير الخارجية والمستشار السياسي للرئيس السابق جورج بوش، والديمقراطي لي هاملتون (٧٦) سنة الذي خدم في المجلس طوال ٣٤ سنة، ورأس لجنة الشئون الخارجية فيه، وكان عضوًا في كل لجنة رفيعة المستوى تألفت منذ حرب فيتنام. وضم الأعضاء الجمهوريون الآخرون المدعي العام السابق الجنرال إدوين ميز، كبير مستشاري البيت الأبيض في عهد الرئيس الأسبق رونالد ريغان، وقاضية المحكمة العليا المتقاعدة ساندرا داي أوكونور، أول امرأة تتسلم منصبًا في المحكمة العليا، وروبرت غيتس، مدير وكالة المخابرات المركزية السابق في عهد بوش الأب والسناتور السابق ألن سيمبسون (من ولاية وايومنغ). أما الديمقراطيون فهم لين بانيتا، عضو الكونغرس السابق عن ولاية كاليفورنيا، وكبير موظفي البيت البيض في عهد بيل كلينتون، وفيرنون جوردان، محامي الحقوق المدنية والمستشار الموثوق لكلينتون، ووليام بيري، خبير الشئون العسكرية، شغل منصب وزير الدفاع في عهد كلينتون، وحاكم ولاية فرجينيا

---

(١) بوب ودوارد، الحرب الداخلية التاريخ السري للبيت الأبيض بين عامي ٢٠٠٦ – ٢٠٠٨ مصدر سبق ذكره، ص ٦٥.

السابق السيناتور تشارلز روب، الذي خدم في مشاة البحرية أثناء حرب فيتنام وصهر الرئيس الأسبق ليندون جونسون[١].

التقت اللجنة بانتظام لمقابلة مسئولي الإدارة، والزعماء العراقيين، وأعضاء الكونغرس والعلماء والباحثين، وأفراد المؤسسة العسكرية، وخُصصت في الثامن عشر من أيار آخر مقابلة للجنرال ديفيد بترايوس رئيس مركز الأسلحة المشتركة للجيش الأمريكي في فورت ليفنوورث (بولاية تكساس) الذي كان يعمل على تأليف أول كتيب عسكري إرشادي ميداني عن مكافحة التمرد يصدر في عشرين سنة[٢].

كانت البداية غير عادية، فمن المفترض أن تركز اللجنة على الحلول المستقبلية لمعالجة المشكلة، لا على الصعوبات الماضية، لكن بدا أن السؤال المتعلق بأعداد الجنود يقع في صميم المشكلة، وقوة الغزو القليلة العدد نسبيًّا (١٥٠ ألف جندي) ناقضت فلسفة باول عن الحرب القائمة على إرسال قوة كبيرة حاسمة تضمن النجاح. فيما يخص حرب الخليج عام ١٩٩١ التي مثلت مهمة حكومة عسكرية أكثر سهولة إلى حد بعيد هدفها إخراج الجيش العراقي من الكويت، أصر باول الذي كان يشغل منصب رئيس هيئة الأركان المشتركة على قوة قوامها ٥٠٠ ألف جندي[٣].

---

(١) بوب ودوارد، الحرب الداخلية التاريخ السري للبيت الأبيض بين عامي ٢٠٠٦ – ٢٠٠٨، مصدر سبق ذكره، ص ٦٥.

(٢) المصدر نفسه، ص ٦٦.

(٣) بوب ودوارد، الحرب الداخلية التاريخ السري للبيت الأبيض بين عامي ٢٠٠٦ – ٢٠٠٨، مصدر سبق ذكره، ص ٧٠.

والحق أن تهميش مجلس الأمن القومي الأمريكي في عملية صنع القرار يكمن في تكليف الرئيس بوش الابن وزير الخارجية الأمريكي السابق جيمس بيكر، ورئيس لجنة الشئون الخارجية السابق هاملتون، بإعداد تقرير حول الوضع في العراق وذلك في ٦ كانون الأول من العام ٢٠٠٧[1]، وفي الوقت

(١) قبل أربعة أشهر من غزو العراق قام رئيس الوزراء البريطاني الأسبق توني بلير بمحاولة بسيطة للحصول على آراء خبراء من خارج دائرة مستشاريه الرسميين، حيث وجه في ١٩ تشرين الثاني ٢٠٠٢ دعوة لستة أكاديميين للقدوم إلى داونينغ ستريت، ثلاثة اختصاصين في شئون العراق، وثلاثة في قضايا الأمن الدولي، وتناوب جورج جوف، وهو خبير لامع في الشئون العربية من جامعة كامبريدج، وزميلاه المختصان في شئون العراق – تشارلزتريب وتوبي دودج، اللذان قاما بتأليف عدة كتب حول تاريخ العراق – على تقديم أفكار تمهيدية خلال خمس دقائق تقريبًا لكل واحد منهم، وكانوا قد قرروا قبل الاجتماع (لم يطلب منهم تقديم مذكرات مطلوبة) ألا يجازفوا بكسب عداء بلير من خلال القول بأن الغزو لم يكن حكيمًا، معتقدين أنهم سيحدثون أثرًا أكبر إذا ما ركزوا على عواقب الغزو.

يقول جوف متذكرًا ما حصل خلال ذلك الاجتماع: "جميعنا قلنا الشيء ذاته تقريبًا: العراق بلد بالغ التعقيد، وثمة ضغائن هائلة بين الطوائف والأعراق المحلية، ولا تتخيلوا بأنكم ستكونون موضع ترحيب". ولا يزال يتذكر رد بلير "نظر إلي وقال: لكن الرجل شرير على نحو استثنائي، أليس كذلك؟ ارتبكت قليلًا؛ لأن رده بدا لي بعيد الصلة تمامًا عما كنت أرمي إليه".

على كل حال تابع جوف بعد ذلك حديثه قائلًا: "إن صَدَّام كان مقيدًا بمؤثرات مختلفة، فرد عليه بلير مكررًا نقطته الأولى نفسها: "لكنه قادر على الاختيار، أليس كذلك؟ ويفسر جوف رد بلير الأخير بقوله: "إنه يقصد أن بإمكان صَدَّام الاختيار بين أن يكون طيبًا أو شريرًا، كما أظن".

غادر الرجال الستة داونينغ ستريت بعد ساعة ونصف، ولم يحدث في ذلك الاجتماع أي التقاء للأفكار، وخرج جوف بانطباع عن بلير مفاده أنه "شخص ذو تفكير ضحل من دون اهتمام بأي شيء عدا طبيعة شخصية كبار المسئولين، لم يكن مهتمًّا بالقوى الاجتماعية، والاتجاهات السياسية... إلخ". ويتذكر دودج أنه حاول وزميلاه الأكاديميان أن يقدموا لمحة من الصعوبات

=

نفسه قامت لجنتان أخريان، إحداهما في البيت الأبيض، والثانية من وزارة الدفاع بإعداد تقريرين آخرين عن الوضع في العراق، لإعطاء الرئيس بوش الابن مجالًا أكبر من الخيارات.

وقد جاء في التقرير: "الوضع في العراق خطير ومتدهور، وليس هناك من مسار يستطيع ضمان النجاح، لكن يمكن تحسين الاحتمالات"[١]. تضمن تقرير بيكر – هاملتون مجموعة من الملاحظات، يمكننا إيجازها في الآتي: -

١- اعتماد دبلوماسية جديدة تقوم على إجراء واشنطن حوارًا مع خصومها الرئيسين في الشرق الأوسط، ولا سيما سوريا وإيران، اللتين سبق للإدارة الأمريكية أن رفضت الحوار معهما.

٢- التوصية بوجوب تغيير تركيز القوات الأمريكية في العراق من دور قتالي إلى

= التي يمكن أن يواجهها الغزاة في العراق: جزء من خطاب واشنطن كان يصور نظام صدام على أنه شيء منفصل عن المجتمع العراقي، كل ما عليك فعله هو إزالته مع الأشخاص الفاسدين المحيطين به، وما كنا نريد أن نوضحه هو أن النظام العراقي على مدى ٣٥ عامًا، وطد نفسه داخل المجتمع العراقي وقوضه وحوَّله كليًّا، سندخل في فراغ، حيث لا يمكن إيجاد أي حلفاء باستثناء الأكراد ربما".

أما تريب فيتذكر أنه قال لبلير: "ثمة قوة في العراق تدعى الوطنية الإسلامية، عندما تنظر إلى تأثيرات العقوبات الغربية فلا بد من أن تعي أن شيئًا ما يجري الإعداد له هناك". راجع: جوناثان ستيل، مصدر سبق ذكره، ص ٣٠ – ٣١.

(١) سليمان الدباغ، الاتفاقية العراقية – الأمريكية وقائع وسيناريوهات مفترضة، في نخبة من الأساتذة والمفكرين، الإستراتيجية الأمريكية في العراق والمنطقة الاتفاقية العراقية الأمريكية (في بعدها الإستراتيجي، النفطي، القانوني) أعمال ونتائج ندوة بيروت ٢٠٠٨، مركز العراق للدراسات، مطبعة البينة، (بلا)، ٢٠٠٨، ص ٢١.

دور داعم ومساند للقوات العراقية، ويعني ذلك خفض القوات الأمريكية البالغ عددها ١٤٠ ألف جندي في العراق بنسبة النصف.

٣- ينبه التقرير إلى أنه لا يجب على الولايات المتحدة أن تقدم التزامًا مفتوحًا، ويوصي بسحب الوحدات القتالية الأمريكية في العراق تدريجيًّا بحلول عام ٢٠٠٨.

إن أبرز توصيات هذا التقرير قد جرى اعتمادها حتى دون الإعلان عنها، ولا سيما إذا عرفنا أن أحد أبرز المشاركين في صياغة التقرير تولى وزارة الدفاع خلفًا لرمسفلد الذي اضطر للاستقالة. وفي واقع الأمر فإن توصيات التقرير شكلت أساسًا إطار الاتفاق الأمني في العديد من جوانبه، والذي جرى التحضير لإنجازه خلال شهر آب من العام ٢٠٠٨م[(١)].

وصف الرئيس بوش الابن التقرير بأنه تقويم قاس، ووعد بدراسته بجدية، قائلًا: "إن التقرير يشكل فرصة لإيجاد أرضية مشتركة بين البيت الأبيض الجمهوري والكونغرس الديمقراطي".

وفي غضون ذلك ذكرت وثيقة علنية رفيعة المستوى التقرير الذي أصدرته مجموعة دراسة العراق، التي ترأسها وزير الخارجية الأسبق جيمس بيكر والنائب السابق لي هاملتون الحقيقة التي مفادها أن ٦١٪ من العراقيين كانوا يوافقون على الهجمات التي تستهدف القوات الأمريكية، ولم تكن القاعدة أو

---

(١) سليمان الدباغ، الاتفاقية العراقية – الأمريكية وقائع وسيناريوهات مفترضة، في نخبة من الأساتذة والمفكرين، الإستراتيجية الأمريكية في العراق والمنطقة الاتفاقية العراقية الأمريكية (في بعدها الإستراتيجي، النفطي، القانوني) مصدر سبق ذكره، ص ٢٢.

المحاربون الأجانب مسئولين عن كل الهجمات على قوات الاحتلال، بل المقاومة العراقية الغاضبة من الاحتلال وتصرفات المحتلين، لكن صناع القرار تجاهلوا المؤشرات على ضعف شعبية الاحتلال، على الرغم مما كانت المحطات الإخبارية التلفزيونية تبثه بين الحين والآخر من مشاهد تظهر حشودًا من العراقيين يهللون ويرقصون حول عربات هامفي محترقة إثر هجمات للمقاومة، في حين كان يجب أن تكون نقطة انطلاق بالنسبة لهم من أجل تحليل مكامن الخطأ وإيجاد الحلول المناسبة للمأزق الأمريكي(١).

استكمل تقرير لجنة بيكر – هاملتون بعد ثمانية أشهر من العمل، والتقى أعضاؤها على انفراد بالرئيس بوش في كانون الأول في غرفة العمليات (التي تصل إليها الأخبار والتطورات) في البيت الأبيض، وأوجز بيكر وهاملتون الذي وافق عليه الأعضاء بالإجماع، وحمل عنوانًا فرعيًّا: "السبيل إلى الأمام – مقاربة جديدة"، وحث التقرير على تخفيض عدد القوات بهدف سحب جميع الألوية القتالية غير الضرورية لحماية ما بقي من الجنود الأمريكيين من العراق بحلول الربع الأول من عام ٢٠٠٨، فضلًا عن أن اللجنة أوصت بالقيام بمبادرة دبلوماسية، تشمل إجراء حوار مع سوريا وإيران(٢).

يقول الرئيس السابق بوش: "تلقيت للتو تقرير مجموعة دراسة الوضع في العراق – بيكر وهاملتون الذي أعدته لجنة متميزة من إخواننا المواطنين، وسوف

---

(١) جوناثان ستيل، الهزيمة لماذا خسروا العراق؟ ترجمة بسام شيحة، الدار العربية للعلوم ناشرون ش. م. ل، بيروت، ٢٠٠٩، ص ١٤ – ١٥.

(٢) بوب ودوارد، الحرب الداخلية للبيت الأبيض بين عامي ٢٠٠٦ – ٢٠٠٨، مصدر سبق ذكره، ص٣٤٨-٣٤٩.

نتعامل مع كل اقتراح بجدية". ولاحظ أنه لن يوافق على الأرجح على التوصيات التسع والسبعين كلها، "لكنها فرصة للتجمع والعمل معًا على هذه القضية المهمة. وبرأيي، سئم البلد من المشاحنات السياسية التي تحدث في واشنطن، ويعرف الأمريكيون أنه من الأفضل العمل معًا على قضية الحرب والسلام المهمة هذه"[١].

وأضاف بوش قائلًا: "سوف يمنحنا هذا التقرير فرصة للعثور على أرضية مشتركة لمصلحة البلد، لا لمصلحة الحزب الجمهوري أو الحزب الديمقراطي". وتدفقت مشاعره الفياضة في مدح أعضاء اللجنة: "ربما كنتم تقومون بأعمال أخرى، وربما كانت حياتكم أيسر من الخدمة التي دعتكم حكومتكم إلى أدائها مجددًا، لكنكم سمحتم لنا بدعوتكم إلى الخدمة مرة أخرى، وأسهمتم إسهامًا مهمًّا وحيويًّا في العمل لمصلحة البلد، نحن نصفق لعملكم"[٢].

إن أول سطر في تقرير اللجنة الذي صدر في كانون الأول ٢٠٠٦ فذكر أن "الوضع في العراق خطر ومتدهور"[٣].

٢ – تقرير بترايوس – ريان كروكر:

فضلًا عن ذلك صدر تقرير آخر في أيلول ٢٠٠٧ أعده الجنرال ديفيد بترايوس قائد القوات الأمريكية في العراق، وريان كروكر السفير الأمريكي السابق في بغداد، وتضمن التقرير نقاطًا مثيرة للجدل بشأن سحب القوات الأمريكية، حيث أشار التقرير إلى أن الزيادة التي تمت في أعداد القوات الأمريكية خلال

(١) بوب ودوارد، الحرب الداخلية للبيت الأبيض بين عامي ٢٠٠٦ – ٢٠٠٨، مصدر سبق ذكره، ص ٣٤٩.

(٢) المصدر نفسه، ص ٣٤٩.

(٣) المصدر نفسه، ص ٢٣٠.

النصف الأول من عام ٢٠٠٧ قد حققت الغرض منها بنجاح، ورغم أن التقرير رفض تحديد جدول أو سقف زمني لسحب القوات الأمريكية، معدًّا أن ما وصفه بالانسحاب المبكر سيكون بمثابة كارثة، فإنه أوصى بسحب ٣٠ ألف جندي من الزيادات التي أرسلت إلى العراق(١).

وأدلى الجنرال بترايوس بإفادة حول التقرير أمام لجنة استماع بالكونغرس في ١٠ أيلول ٢٠٠٧، وأثارت النقاط التي طرحها بترايوس انتقادات حادة من جانب بعض أعضاء الكونغرس وفي أوساط الحزب الديمقراطي، خصوصًا ما يخص عدم تحديد جدول زمني للانسحاب، والموقف الأمريكي من أداء الحكومة العراقية برئاسة نوري المالكي(٢).

لكن تقرير بترايوس - كروكر تعرض للهجوم والنقد من خارج الولايات المتحدة أيضًا، خصوصًا من جانب إيران التي حذر التقرير بشدة من مدى تغلغلها ونفوذها داخل العراق، كما تلقته بعض القوى العراقية بتحفظ نتيجة تقويمه الإيجابي لأداء حكومة المالكي، خصوصًا مع إشارته إلى وجود خلافات بين القوى الشيعية العراقية، بينما رحبت الحكومة العراقية بما جاء في التقرير(٣).

والحق، لم يقم بوش أو بلير بأية محاولة واضحة لفهم تعقيد المجتمع العراقي أو حيوية أنشطته السياسية في الستينيات، مقارنة بالعقدين الأخيرين. وعليه، فمن السذاجة التفكير في أن الشعب العراقي سيرحب تلقائيًّا بالغزو ويتعامل مع

---

(١) سامح راشد، العراق.. جدل الانسحاب والاستقرار، السياسة الدولية، العدد ١٧٠، مؤسسة الأهرام، القاهرة، أكتوبر ٢٠٠٧، ص ١٤٥. وديك تشيني مع ليز تشيني، مصدر سبق ذكره، ص ٥٢٠.

(٢) سامح راشد، العراق.. جدل الانسحاب والاستقرار، مصدر سبق ذكره، ص ١٤٥.

(٣) المصدر نفسه، ص ١٤٥.

المحتلين على أنهم محررون، ويكون مسرورًا لأن الغربيين -بمشاريعهم الإستراتيجية وسجلهم الطويل الحافل بالتدخل في الشرق الأوسط- سيبقون من أجل تعليمه كيف يحكم نفسه بنفسه[١].

سابعًا: وزارة الخارجية الأمريكية وواجبات التفاوض:

كان هناك اتجاه في الولايات المتحدة حتى نهاية الحرب العالمية الثانية بأن وزارة الخارجية الأمريكية تقوم بواجبات التفاوض وليس كمخطط للسياسة الخارجية، وأكثر من هذا نظر إليها على كونها تقوم بحل القضايا المحدودة عندما تظهر أكثر منها كحامل لإستراتيجية معينة تصوغ شكل الأهداف.

وقد اقترن هذا الموضوع أساسًا بمفهوم ما يسمى بـ"ديكتاتورية الرئاسة" الذي دخل حيز الواقع العملي نهاية عام ١٩٣٤، بموجب ذلك تم تهميش دور وزير الخارجية الأمريكية وقتئذٍ؛ إذ أصبح الأخير بعيدًا عن السياسات الخارجية وعملية صنع القرار، بسبب اعتماد الرئيس روزفلت على نخبة سياسية صغيرة مسماة بـ"مجلس الحرب"، التي مثلت رئاسة أركان حرب للقوات الثلاث: البحرية، والطيران، والجيش، وكانت غايتها الرئيسة تحقيق النصر في جبهات القتال ضد دول المحور الذي عد بمثابة الهدف الرئيس للسياسة الأمريكية، وعليه يمكننا القول في هذا المجال بأن وزارة الخارجية الأمريكية كان دورها ضئيلًا إلى نهاية الحرب العالمية الثانية في وضع إستراتيجية عليا للسياسة الخارجية الأمريكية[٢].

---

(١) جوناثان ستيل، مصدر سبق ذكره، ص ١٢ – ١٣.

(٢) كان العسكريون في الولايات المتحدة في هذه الحقبة التاريخية قد امتنعوا من إقحام أنفسهم في قضايا الشئون الخارجية، وهذه النقطة كانت لها علاقة بالعقيدة العسكرية الأمريكية التي =

وفي هذا المجال صرح دين راسك في ٢٠ شباط ١٩٦١ قائلًا:"إن اللائحة التنفيذية التي ألغت هيئة تنسيق العمليات لدليل على أنه يتوقع أن تقوم وزارة الخارجية بدور الزعامة فيما كان كيسنجر من المتحمسين للاتصال عبر القنوات الخلفية، شغوفًا بإبعاد المعلومات عن النظام البيروقراطي الرسمي[١] وجعلها في يده، وقد عمد مرة زاعمًا بأنه يتصرف بموافقة الرئيس إلى دعوة وليام بورتر الذي كان يشغل منصب سفير الولايات المتحدة في كوريا الجنوبية للاتصال به مباشرة متخطيًا رئيس بورتر حينذاك وليام روجرز وزير الخارجية[٢].

سجل بورتر هذا الموضوع في مذكراته قائلًا: رحب كيسنجر كثيرًا ومدحني وأطرى الاحترام العالي الذي يحمله الرئيس تجاهي نظرًا للأداء العالي، وقد طلب

= كانت تؤكد على انفصال العوامل السياسية والعسكرية المنبثقة عن الدستور الأمريكي الذي ذهب إلى القول: "على الجيش حينما يطلب منه الإجابة أن يقدم المشورة عن طريق تحقيق الجيش الأهداف العسكرية، وليس من شأنه أن يؤثر في القرارات السياسية التي تحدد ما يمكن القيام به". راجع: صلاح نصر، حرب العقل والمعرفة، ط٢، الوطن العربي للنشر والتوزيع، بيروت،١٩٨٢، ص٤٣٢-٤٣٣. قارن مع: Henderson,pp. 209-210.

(١) يتحدث جراهام أليسون عن دور البيروقراطية في عملية صنع القرار، مؤكدًا أن الأخيرة لا تعتمد على حسابات منطقية فقط؛ إذ إن مركز اتخاذ القرار يتكون من مجموعة من الأجهزة، وإن لكل منها تقديرًا محددًا يتباين ويختلف عن الأخرى، فضلًا عن ذلك وجود مجموعة من الأشخاص في داخلها؛ إذ يكون للدوافع الشخصية تأثير واضح في هذه العملية، كما أن هذا المركز يضم نظامًا قيميًّا System of Belief ومجموعات مصالح. وعليه، نرى أن وحدة اتخاذ القرار تأخذ بالحسبان مفهوم المجتمع العالمي الذي يتحكم فيه معنى توازنات القوى المختلفة وأعرافه الاقتصادية والاجتماعية. راجع: د. عباس رشدي العمري، إدارة الأزمات في عالم متغير، مركز الأهرام للترجمة والنشر، القاهرة، ١٩٩٣، ص٢٢-٢٣.

(٢) ألفن توفلر، تحول السلطة بين العنف والثروة والمعرفة، مصدر سبق ذكره، ص٣٥٣.

الرئيس منه بحث مسألة مهمة معي قال: برغم أن الرئيس لا يحمل التقدير العالي لوزارة الخارجية؛ إذ إنه يعلم أن هناك العديد من الموظفين الجيدين (مثلك يا بيل)، لكن بصورة عامة فإن الوزارة قد أثبتت فشلها. ولغرض تجاوز عدم كفاءة الوزارة ولغرض استغلال خدمات الموظفين الجيدين الأكفاء، وقد خوله الرئيس مفاتحة وإقامة اتصالات خاصة مباشرة مع عدد محدود من السفراء الرئيسين حول العالم (مثلك يا بيل)، وقد رد بورتر قائلًا: "الرئيس هو الرئيس، وإذا أراد الأمر بهذه الطريقة فعلي أن أتعاون معه". وسأل كيسنجر: ماذا يحصل لو أن روجرز علم عن الترتيب؟ أجاب كيسنجر قائلًا: "هذه ستكون مشكلتنا"[١]. وعند عودة بورتر إلى سيئول قام باستخدام القناة الخلفية مرة واحدة فقط بإرسال خبر ذي شأن قليل عن الصين الشعبية قبل تركه كوريا الجنوبية عام ١٩٧١م[٢].

وقد سجل بورتر رد فعله في يومياته فكتب: "هذه هي دائرة نيكسون-كيسنجر الدبلوماسية السرية قد بدأت تكتشف الآن، لا ينقصها شيء مما يتطلبه أي عمل سري من تحت شفرات ورموز سرية وغيرها. إذا كان الرئيس قد وافق على خلق شبكة سرية من السفراء تحت إشراف مستشار الأمن القومي من دون علم وزير الخارجية، فذلك يدل على أن ثمة شيئًا جديدًا يحدث في تاريخ الولايات المتحدة، لقد انتهيت إلى أن ما يحدث ليس من شأني ومن ثم أحتفظ برأسي مطأطئًا"[٣].

---

(١) سيمور هيرش، مصدر سبق ذكره، ص٧٩-٨٠.

(٢) المصدر نفسه، ص ٨١-٨٢.

(٣) توفلر، تحول السلطة بين العنف والثروة والمعرفة، مصدر سبق ذكره، ص ٣٥٣.

عندما كانت اتفاقية سولت يجري التفاوض بشأنها مع السوفيت كان جيرالد سميث يرأس الوفد الأمريكي في جنيف، لكن كيسنجر وهيئة رؤساء الأركان المشتركة في البنتاغون أقاموا قناة خاصة كي يتمكن أفراد معينون في هيئة الوفد من الاتصال معهم مباشرة من دون علم سميث[١].

إن هالدمان ممثل نيكسون كان يشعر بالقلق إزاء تنامي دور كيسنجر، وفي هذا المعنى يقول فنش: "كان هالديمان يعتقد أن هنري يستهلك من وقت نيكسون أكثر بكثير مما يجب، وكان واضحًا أن اهتمام نيكسون بأمور السياسة الخارجية كان يحد من قدرة هالدمان في السيطرة على جدول أعمال نيكسون". ويردف فنش قائلًا: "إن حلم هالدمان هو أن يرفع دور جون إيرغمان الذي أنيطت به مسئولية الشئون الداخلية منذ شهر تشرين الثاني ١٩٦٩ إلى منزلة تعادل منزلة ومقام كيسنجر في الشئون الخارجية[٢].

في هذا المجال، وبصدد العلاقة بين الرئيس ووزير الخارجية في عملية صنع القرار من الممكن الرجوع إلى ملف الرهائن الأمريكان في ٤ تشرين الثاني ١٩٨٠، حيث انتقد وزير الخارجية سايروس فانس قرار الرئيس الأمريكي الأسبق جيمي كارتر حول استخدام القوة في موضوع الرهائن الأمريكان في طهران انتقادًا عنيفًا، معتبرًا ذلك يعرض الرهائن إلى خطر كبير، وأحب أن يعرض وجهة نظره للمجموعة التي صادقت على هذا القرار، ونتيجة لذلك عقد اجتماعًا لهذا الغرض في ١٥ نيسان، لكن حجج فانس لم تقنع أحدًا[٣].

---

(١) المصدر نفسه، ص ٣٥٣.

(٢) سيمور هيرش، مصدر سبق ذكره، ص٨٤.

(٣) مذكرات جيمي كارتر، كامب دافيد: حرب على الحرب رهائن طهران والحسابات الخاسرة، ترجمة شبيب بيضون، دار الفارابي، بيروت، ١٩٨٥، ص ١٥٨.

كان هناك اتفاق في داخل الإدارة الأمريكية بالمضي قدمًا، باستثناء فانس الذي ظل على اعتقاده بأنهم يعرضون بذلك حياة الرهائن لخطر كبير، وكان كارتر يفهم وجهة نظره، لكنه كان مقتنعًا بأن الخطر الأكبر الذي يمكن أن يتعرضوا له هو خطر بقائهم في أيدي الإيرانيين(١).

يعلق كارتر على ذلك قائلًا: "طلبت فانس لأعرض عليه أن نتناقش بجدية، وها هو يقول لي للمرة الثالثة أو الرابعة منذ أن شكلنا فريق العمل بأنه يفكر في الاستقالة، ثم انتهى بأن صرح لي بأنه باق وإنما مع احتفاظه بالإعلان فيما بعد على أنه لم يوافق على كل قراراتي المتعلقة بإيران"(٢).

في الثامن عشر من نيسان دب الخلاف في داخل الإدارة الأمريكية من جديد، وكان موضوع الخلاف في هذه المرة هو موضوع أعضاء الكونغرس الأمريكي المتوجب وضعهم في سياق خطة كارتر، لقد كان فريتز يعتقد بأن المعلومات يجب ألا تخرج من الفريق الصغير الذي يتكون من الإدارة الأمريكية، وكان فانس يعتبر أنه يتوجب على الإدارة الأمريكية إبلاغ المعلومات إلى الزعماء الديمقراطيين والجمهوريين في مجلس النواب والشيوخ، وكان الرئيس كارتر متفقًا في الرأي مع فريتز، وكان ينوي استشارة واحد أو اثنين من رؤساء اللجان لدى البدء في تنفيذ العملية، وبألا يخطر بها زعماء مجلسي النواب والشيوخ إلا عند وصولها إلى نقطة اللاعودة، وكان كارتر يرى أيضًا إبلاغ عمان ومصر والمملكة العربية السعودية، لكن ليس قبل انتهاء كل شيء، ومن وجهة نظر كارتر فإن أقل تسرب في المعلومات قد يؤدي إلى نتائج مأساوية.

(١) مذكرات جيمي كارتر، كامب دافيد: حرب على الحرب رهائن طهران والحسابات الخاسرة، مصدر سبق ذكره، ص ١٦٠.

(٢) المصدر نفسه، ص ١٦٠.

وفي يوم الاثنين، وقبل مباشرة مهمة إنقاذ الرهائن، التقى فانس مع كارتر، وكانت هناك خشية من كارتر بأن فانس قد يقدم له الاستقالة، وفي هذا المجال يقول كارتر في مذكراته: "كانت تلك أول مرة منذ وجودي في البيت الأبيض التي يرفض فيها شخص ما أن يطيع أمرًا من الرئيس، فقد عاد فانس بعد الظهر لرؤيتي وليسلمني رسالة استقالته فقلت له: إنني سوف أحتفظ بها، وتفاهمنا على إرجاء الحديث فيها إلى وقت آخر، لكنني أوضحت له أنني لا أحاول أن أغير رأيه؛ فلقد كنا نعلم كلانا بأن قراره لا يمكن العودة عنه، فلم يكن لديه في الواقع خيار آخر"(١).

وبعد انتهاء هذه العملية كان على كارتر أن يختار مجددًا وزير خارجية آخر ليخلف سايروس فانس على أثر استقالته، حيث تم اختيار إدموند موسكي(٢). في هذا الشأن يقول كارتر: "رأى هو أن إدموند سوف يكون رجل دولة جيدًا، وناطقًا ممتازًا باسم الولايات المتحدة في الخارج، وأنه سوف يقلص إلى أدنى حد دوره فيجعله داخل وزارة الخارجية في المفاوضات وفي القضايا البروتوكولية، وهي

---

(١) مذكرات جيمي كارتر، كامب دافيد: حرب على الحرب رهائن طهران والحسابات الخاسرة، مصدر سبق ذكره، ص ١٦٢.

(٢) كان لإدموند موسكي أفضل علاقات مع فانس وبريجنسكي والأعضاء الآخرين في هيئة قيادتي، وهو وإن كان أقل تألقًا مع ما هو دبلوماسي من سلفه؛ فقد كان أفضل فهمًا لمشكلات بلادنا التي أتيحت له فرصة دراستها بوصفه شيخًا وحاكمًا وزعيمًا للحزب الديمقراطي ومرشحًا للرئاسة، ولهذا فسوف يكون عليه أن يزيد من اعتماده بأوسع مما كان يفعل فانس عن السكرتير المساعد وورن كريستوفر، لكن ثقتي كانت في كريستوفر الذي كنت أعده أنا شخصيًّا خادمًا للدولة من أكثر خدامها نموذجية ممن أتيحت لي فرصة الالتقاء بهم". راجع: المصدر نفسه، ص١٦٧.

مسئوليات ثلاث لم يستطع فانس أن يتخلص منها، مع نفوره فضلًا عن هذا، من فرض نفسه كناطق رسمي، وذلك دون شك بسبب التواضع الطبيعي في خلقه"[١].

ثامنًا: وزارة الخارجية الأمريكية والقنوات الخلفية:

١ - أزمة الصواريخ السوفيتية في كوبا:

أسهمت القنوات الخلفية في الولايات المتحدة لأشهر، وربما حسمت في عدم نشوب الحرب العالمية الثالثة، حيث نجد تطبيقات ذلك خلال أزمة الصواريخ السوفيتية في كوبا؛ إذ ظلت الرسائل تتردد بين الرئيس الأمريكي جون كيندي والزعيم السوفيتي خروتشوف، فيما كان العالم يكتم أنفاسه ترقبًا كانت الصواريخ السوفيتية على مقربة من الولايات المتحدة، حيث اتخذ كيندي قرارًا بفرض حصار بحري على كوبا[٢].

في ظل هذه الأجواء قام الزعيم السوفيتي خروتشوف بإرسال رئيس المخابرات السوفيتية (كي. جي. بي) إلى واشنطن، ألكسندر فومين، لزيارة صحفي أمريكي يدعى جون سكالي، كان فومين قد التقى به من قبل[٣].

بعد انقضاء أربعة أيام للأزمة، وفي غضون خطر يتصاعد من لحظة إلى أخرى، سأل فومين سكالي فيما إذا كان يعتقد بأن الولايات المتحدة ستوافق على

---

(١) مذكرات جيمي كارتر، كامب دافيد: حرب على الحرب رهائن طهران والحسابات الخاسرة، مصدر سبق ذكره، ص ١٦٧.

١) ألفن توفلر، تحول السلطة بين العنف والثروة والمعرفة، مصدر سبق ذكره، ص ٣٥٤. و:
Jentleson , p. 126.

(٣) المصدر نفسه، ص ٣٥٤.

عدم غزو كوبا إذا سحب السوفيت صواريخهم وطائراتهم القاذفة، وقد برهنت تلك الرسالة، التي نقلها الصحفي إلى البيت الأبيض، على أنها كانت نقطة تحول جوهرية في الأزمة[١].

لكن حتى هذه الاستخدامات لتكتيك القنوات الخلفية تعد بسيطة مقارنة مع أسلوب أكثر تطورًا يمكن تسميته بـ(تكتيك القنوات المزدوجة)، وهو توجيه رسائل بديلة أو متناقضة عبر قناتين مختلفتين لاختبار ردود الفعل أو لزرع الإرباك والخلاف بين المتلقين[٢].

خلال المفاوضات حول نظام الصواريخ المضادة للصواريخ البالستية لجأ كل من كيسنجر ووزير الخارجية السوفيتي أليكسي جروميكو مرتين إلى استخدام قناة خلفية لتخطي السلطة الهرمية لكل منهما، أثناء هذه المحادثات في مايس ١٩٧١ ونيسان ١٩٧٢ كان كيسنجر ما يدفعه إلى الشك في أن السوفيت كانوا يستخدمون تكتيك القنوات المزدوجة ضده[٣].

بعد ذلك بسنوات لجأ (أركادي شيفشينكو)، وهو مساعد سابق لجروميكو إلى الولايات المتحدة، وكتب في سيرته الذاتية بأن ارتياب كيسنجر لم يكن في محله؛ إذ لم يكن الأمر حيلة متعمدة بل خلطًا نشأ لأن أحد السوفيت كان "يعمل بناء على تعليمات غير حديثة من موسكو، ولم يكن على علم بغيرها". هذا الكلام سواء كان صحيحًا أم لا ليست له صلة بما نحن فيه هنا، والأمر

---

(١) ألفن توفلر، تحول السلطة بين العنف والثروة والمعرفة، مصدر سبق ذكره، ص ٣٥٤.

(٢) المصدر نفسه، ص ٣٥٤.

(٣) المصدر نفسه، ص ٣٥٤.

الواضح هو أن تكتيكي القناة الخلفية والقناة المزدوجة مستخدمان بكثرة في تحويل السلطة[١].

والحق، يؤكد نيكسون على القنوات الخلفية في السياسة الخارجية؛ إذ يقول في هذا المجال: "ولذا فمن النصيحة للرئيس أن يقيم قناة خلفية بعيدة عن الجهاز البيروقراطي للتفاوض مع السوفيت، فمن الضروري أن تكون وسيلة خاصة للاتصال بزعماء الكرملين خارج القنوات الرسمية وبعيدًا عن عدسات كاميرات التلفاز المنفتحة، وخلال مدة إدارتي شملت القناة الخلفية اجتماعات منتظمة غير معلنة بين هنري كيسنجر والسفير السوفيتي ذي الكفاءة والخبرة العاليتين أناتولي دوبرينين، وكانت تلك الاتصالات حاسمة في المراحل الأولى لمحادثاتنا عندما كان كل من الجانبين يستكشف مواقف الآخر، وقد حققنا في جلسات العمل تقدمًا أكبر مما حققناه في المفاوضات الرسمية التي كثرت الدعاية حولها"[٢].

ويردف نيكسون قائلًا: "في سنة ١٩٦٩ أتاحت لنا القناة الخلفية أن نتجنب أزمة كبرى بشأن محاولة السوفيت إقامة قاعدة للغواصات النووية في التصاعد والتحول إلى نزاع كبير بين الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتي، وينبغي للرئيس المقبل أن ينشئ قناة خلفية للاتصال بالسوفيت، ولما كانت هذه القناة تقلل إلى أدنى حد من احتمال تسرب الأنباء أو وضع قيود على التبادل الحر للآراء بين كبار القادة فإنها تزيد إلى أقصى حد من فرص الوصول إلى حل موفق للقضايا المتنازع عليها"[٣].

---

(١) ألفن توفلر، تحول السلطة بين العنف والثروة والمعرفة، مصدر سبق ذكره ص، ٣٥٥.

(٢) نيكسون، نصر بلا حرب، مصدر سبق ذكره، ص١٨٨-١٨٩.

(٣) نيكسون، نصر بلا حرب، مصدر سبق ذكره، ص ١٨٩.

=

تجدر الإشارة في هذا المجال إلى أن الرئيس نيكسون كان له الدور الكبير في سياسة الانفتاح مع الاتحاد السوفيتي[١].

وقد تخطى كيسنجر وزارة الخارجية مرة أخرى عندما احتفظ بقناة خلفية توصله بموسكو؛ فقد كان يبعث برسائل إلى اليوليت بيرو من خلال أناتولي دوبرينين بدلًا من إمرارها عبر مسئولي وزارة الخارجية المختصين في وزارة الخارجية السوفيتية، ولم يكن أحد يعلم في موسكو، عدا قلة من الأشخاص في اليوليت بيرو والسكرتارية والسلك الدبلوماسي السوفيتي، بأن الرسائل كانت تنقل جيئة وذهابًا على هذا النحو[٢].

=

أنشأ كيسنجر وهيئة الأركان العامة القناة الخلفية، وذلك لمساعدة نيتز للاتصال مع البيت الأبيض من دون علم نيتز وسميث، وفي هذا المجال أكد الرئيس لكيسنجر أنه في حالة حاجة نيتز (يعد من الشخصيات البارزة في الولايات المتحدة، شبهه بعض الكتاب بدين أجيسون وزير خارجية ترومان لكيسنجر، فبإمكانه الاتصال معه عن طريق هذه القناة) (القنوات الخلفية كانت تشمل جميع الطرق والتسهيلات المقدمة من وكالة المخابرات المركزية ووكالة الأمن القومي الواقعة تحت سطوة البنتاغون) الذي يقوم بدوره بإحالة طلبه إلى الرئيس مباشرة، علمًا بأن كيسنجر عندما كان مستشارًا للأمن القومي ووزيرًا للخارجية دفع موظفيه الكبار للاتصال معه بوساطة القنوات الخلفية. راجع: سيمور هيرش، مصدر سبق ذكره، ص٧٧-٧٩.

(١) جيمس أندروسون، مصدر سبق ذكره، ص٥٩.

يقول جيمس بيكر في مذكراته: "وخلال مراحل الأزمة -أزمة الكويت- كان أوزال متفانيًا في تأييده للولايات المتحدة، لقد كان أوزال زعيمًا ذا قلب كبير يتحلى بشجاعة فائقة، ومثل شفرنادزة مستعدًّا المرة تلو الأخرى لتجاوز وزارة خارجيته، وأن يفعل الصواب". راجع: مذكرات جيمس بيكر، مكتبة مدبولي، القاهرة، ١٩٩٩، ص٤١٦.

(٢) ألفن توفلر، تحول السلطة بين العنف والثروة والمعرفة، مصدر سبق ذكره، ص ٣٥٣-٣٥٤. وHenderson ,pp.224-225.

عندما كان جون كيلي سفيرًا للولايات المتحدة في لبنان كان يبعث برسائل مباشرة إلى مجلس الأمن القومي مستخدمًا تسهيلات CIA بدلًا من استخدام القنوات الرسمية المعتادة في وزارة الخارجية، وكان هذا يعني أنه يتخطى رئيسه وزير الخارجية جورج شولتز، كذلك كان كيلي قد أجرى في مرات عديدة عندما كان يأتي إلى واشنطن لقاءات مع أولفير نورث وغيره من مسئولي الأمن القومي بشأن خطتهم لمد إيران بالأسلحة مقابل الرهائن، وهي خطة شولتز قد عارضها[1].

٢ – قضية إيران – غيت:

دخل الرئيس الأمريكي الأسبق رونالد ريغان[2] في صراع كبير مع

---

(١) ألفن توفلر، تحول السلطة بين العنف والثروة والمعرفة، مصدر سبق ذكره، ص٣٥٢.
عقد كيسنجر العزم في حرب تشرين عام ١٩٧٣ على عدم السماح بالمرة بانتصار المدافع السوفيتية على المدافع الأمريكية، وفي ١٣ تشرين الأول من العام نفسه نجح نيكسون في إقناع كيسنجر بإصدار أوامره للطائرات الحربية الأمريكية بإقامة جسر جوي مباشر إلى الأرض المحتلة في فلسطين. راجع: ستيفن آي. أمبروز، مصدر سبق ذكره، ص٣٤٥.

(٢) ولد دونالد ويلسون ريغان في ٦ شباط ١٩١١ في مدينة (تامبيكو) التي تبعد ١٢٥ ميلًا غربي شيكاغو بولاية إلينوي، وهو الابن الثاني وشقيقه الأكبر هو (نيل)، والده جون إدوارد ريغان، كان بائعًا للأحذية، والدته نيلي ويلسون، أنهى دراسته الثانوية عام ١٩٢٨ وعمره ١٧ عامًا، واضطر إلى العمل لتوفير مصاريف الجامعة بسبب حالته الاجتماعية الضعيفة، والتحق بكلية (أيوركا) حيث درس الاقتصاد وتخرج عام ١٩٣٢ بعد حصوله على ليسانس العلوم الاجتماعية، عمل كمعلق رياضي بالإذاعة من عام ١٩٣٢ إلى ١٩٣٧، ثم عمل ممثلًا سينمائيًّا عام ١٩٣٧، وقام بدور البطولة في العديد من الأفلام، كما مثل في التلفزيون الأمريكي، وكان عام ١٩٤٠ قد تزوج من زميلته الممثلة سارة جين وايمان، التقى بزوجته الثانية الممثلة نانسي ريغان التي كان اسمها (أني فرانسيس)، ولما فشل ريغان في السينما قرر الاعتزال، وسبقته إلى هذا القرار زوجته نانسي، وعمل في الدعاية والإعلان بشركة (جنرال إلكتريك) حتى عام ١٩٦٢، بدأ ريغان حياته السياسية =

الكونغرس بخصوص تقديم المساعدات للكونترا، وكانت الولايات المتحدة تؤيد الثوار في نيكاراجوا، ولكن الكونغرس رفض طلب الرئيس ريغان[١].

والحق، أعطى الرئيس الأسبق ريغان الضوء الأخضر في ١٧ كانون الثاني ١٩٨٦ لإجراء عمليات سرية "أسلحة مقابل رهائن" بإدارة أوليفيه نورث، شريطة ألا يعلم الكونغرس ذلك، إنه بحسب مصدر رسمي فالولايات المتحدة قد فرضت حظرًا على بيع الأسلحة إلى إيران، وقد أعرب كل من سكرتير الدولة جورج شولتز، وسكرتير الدفاع كاسبر واينبرغ ترددهما عن ذلك[٢].

كان نورث عصبي المزاج وحاد الطبع، واثقًا من علو نجمه، وكان يحل أحيانًا على بيروت برفقة معاونيه ورسوله تيري وايت، فيتصرف على طريقة الكاوبوي، ظانًّا نفسه أنه قادر على قتل أحد المقربين من الخاطفين ممن يسكنون لندن إن لم يطلق سبيل الرهائن، وكان ينظر إلى الأشياء على أنها لعبة بسيطة هو بطلها الرئيس، في حين كان الوضع متفجرًا، وكان من الصعب الوثوق برجل مجنون مثله، هكذا وصفه القائم بالأعمال الأمريكي فرانسي ماك نامارا[٣].

= كديمقراطي ليبرالي بعد فضيحة ووترجيت، وفي عام ١٩٨٠ فاز ريغان بترشيح الحزب الجمهوري بعد أن هزم المرشح الديمقراطي جيمي كارتر بأغلبية ٤٨٩ صوتًا مقابل ٤٩ صوتًا فقط لكارتر. راجع: دونالد ريغان، مصدر سبق ذكره، ص ٢٦١ – ٢٦٥.

عرف الرئيس ريغان أن انتصاره على جيمي كارتر عائد إلى حد كبير إلى أن الإيرانيين كانوا يحتجزون ٤٤ رهينة أمريكية في السفارة الأمريكية في طهران أثناء حملة ١٩٨٠ الرئاسية، حين بدا كارتر ضعيفًا عاجزًا أمام هذا الإذلال. راجع: دونالد ريغان، مصدر سبق ذكره، ص ٤٣.

(١) كيستي كيسلي، نانسي ريغان، فضيحة في البيت الأبيض، مؤسسة دار الهلال، القاهرة، ١٩٩١، ص٤٦٣.

(٢) فنسان نوزيل، مصدر سبق ذكره، ص ١٧٣ – ١٧٤.

(٣) المصدر نفسه، ص ١٨٨ – ١٨٩.

هناك من يرى أن السبب الوحيد لفضيحة إيران – كونترا، والتي ضمت أرباحًا من مبيعات أسلحة سرية إلى إيران استعملت سرًّا لمساعدة كونترا نيكاراغوا، هو أن الرئيس قد غير مستشاري الأمن القومي أكثر من مرة، ووعد بتقديم الدعم الأقصى للصواريخ الدفاعية إن صار رئيسًا، وكان شخصيًّا معارضًا للإجهاض، ولكنه غير متأكد من رعايته لتعديل دستوري لمنعه[1].

حاول الكولونيل أوليفر نورث من مجلس الأمن القومي وضع خطة معقدة لتفادي هذه المشكلة، وتكمن الخطة في أن واشنطن تبيع السلاح لإيران شريطة أن تطلق إيران سراح الرهائن الأمريكيين في لبنان، أما عائد هذه الصفقة السرية فمن الممكن استثماره لصالح ثوار الكونترا في نيكاراجوا بعملية سرية أيضًا[2].

كان نورث يتفاوض لأيام متواصلة مع المبعوثين الإيرانيين بالقرب من فرانكفورت وفي ألمانيا، وخلال هذه اللقاءات طالب الإيرانيون بتزويدهم بصواريخ هوك برادارات وبقطع غيار إضافية لصالح الوسطاء، مبدين

---

(١) آندرو كوكبرن، مصدر سبق ذكره، ص ٩٩ – ١٠٠.

(٢) كيستي كيسلي، مصدر سبق ذكره، ص ٤٦٣.

شاعت أخبار في ٤ تشرين الثاني ١٩٨٦؛ أي في يوم انتخابات الكونغرس الأمريكي من أن "الشراع" المجلة العربية الصادرة في بيروت، ذكرت في عددها الصادر في ٣ تشرين الثاني من العام نفسه أن الولايات المتحدة كانت تزود إيران بقطع الغيار العسكرية، وأن ماكفرلن وأربعة أمريكيين آخرين زاروا طهران في حزيران ١٩٨٦ للتفاوض بشأن الإفراج عن الرهائن الذين يحتجزهم بعض الجماعات المسلحة في لبنان. وكان مصدر هذه المعلومات بعض أتباع آية الله حسين علي منتظري. راجع: دونالد ريغان، عرافة في البيت الأبيض، ترجمة الدكتور محمود بهنسي، الدار المصرية للنشر والتوزيع، نيقوسيا – قبرص، ١٩٨٨، ص ٤٦.

استعدادهم لشرائها بأي ثمن. هذه الصفقة قد تكون كفيلة بتحرير واحد أو اثنين من الرهائن[١].

تحمس نورث نحو تقارب إيراني – أمريكي مستقبلي، قد يكون له انعكاساته على الصعيد الاقتصادي والسياسي والعسكري، وذلك للوقوف في وجه العراق والاتحاد السوفيتي[٢].

تجدر الإشارة في هذا المجال إلى أن ماكفرلن طلب من مايكل ليدين (وهو أستاذ في الجامعة الأمريكية، وصفه نمرودي بأنه: "يشتهر بأنه صهيوني حقيقي ومخلص، غالبًا ما كان يحضر المناسبات العامة المناصرة لإسرائيل)، الذي كلفه ريغان بإجراء تحقيق سري في مسألة بيع معدات عسكرية لإيران وعدم إطلاع وزارة الخارجية ووكالة الاستخبارات الأمريكية على الأمر، فأجرى ليدين ترتيبات عقد لقاء مع شمعون بيريز بتل أبيب في ٦ أيار ١٩٨٥. كان ليدين، الذي يعرف اليوم بأنه أحد أشد المعارضين في واشنطن لأي شكل من أشكال الاتصال مع إيران. قال ليدين لرئيس الوزراء الصهيوني: "إن افتقار أمريكا إلى المعلومات الاستخبارية المتعلقة بإيران أمر يرثى له، وإنها بحاجة إلى المساعدة الإسرائيلية لبدء حوار مع طهران. قال نمرودي: "إن رئيس الوزراء وافق على الطلب عن طيب خاطر". وقال بيريز لمايكل ليدين: "هناك اتصالات يقوم بها أعضاء كبار في النظام الإيراني عبر وسطاء، للتباحث في مسألة بيع معدات عسكرية"[٣].

---

(١) فنسان نوزيل، مصدر سبق ذكره، ص ١٨٩.

(٢) المصدر نفسه، ص ١٨٩.

(٣) تريتا بارزي، حلف المصالح المشتركة.. التعاملات السرية بين إسرائيل وإيران والولايات المتحدة، ترجمة أمين الأيوبي، الدار العربية للعلوم ناشرون ش. م. ل، بيروت، ٢٠٠٨، ص ١٧١.

واصل كيمشي وماكفرلن التخطيط للعملية شخصيًّا، وبعد أن اطمأن ماكفرلن إلى أن رابين وشامير موافقان على العملية أيضًا مضى كيمشي إلى حد القول بأن الإيرانيين واثقون بأنه يمكنهم تأمين إطلاق سراح الرهائن الأمريكيين في لبنان[١].

والحق أن الإيرانيين كانوا بحاجة ماسة إلى المعدات العسكرية الأمريكية، وعرضوا بالمقابل إطلاق سراح جنود صهاينة أسرهم حزب الله بلبنان[٢].

في نهاية الأمر تم تحويل عائدات الأسلحة وقدرها ٣٠ مليون دولار إلى حساب سري خاص بثوار الكونترا[٣].

اكتشف أدوين ميز المدعي العام في ٢٤ تشرين الثاني ١٩٨٦ وجود مذكرة توضح خطة أوليفر نورث، وفي اليوم التالي قدم ميز استشارته للرئيس ريغان بأهمية الإعلان عن تلك الخطة فورًا حتى لا يتهم بالتستر على نورث، في الوقت الذي نصح أفير الرئيس بإقالة نورث من منصبه. وفي خضم هذه التطورات اتصل الرئيس بمستشار الأمن القومي وأبلغه بأن الخطة ستكون قصة لا فيلمًا ممتازًا في يوم من الأيام، وفي نهاية المكالمة أبلغه بقرار إقالته، ولكنه مع ذلك امتدح ريغان أوليفر نورث ووصفه بالبطل، في حين أن الأدميرال جون بويند مستشار الأمن القومي استقال بعد أن أحاطت به الفضيحة المدوية.

---

(١) للمزيد من التفاصيل راجع: المصدر نفسه، ص ١٧١ – ١٧٨.

(٢) المصدر نفسه، ص ١٨٤.

(٣) كيستي كيسلي، مصدر سبق ذكره، ص ٤٦٣.

كانت هناك دهشة من الرأي العام الأمريكي بعد كشف الفضيحة من الرئيس، الأمر الذي أدى إلى مهاجمته من الحزبين الديمقراطي والجمهوري[١].

علق الرئيس الأمريكي الأسبق جيمي كارتر على ذلك قائلًا: "لقد دفعنا فدية للرهائن، إن هذا خطأ فاضح". أما الرئيس الأمريكي الأسبق فورد فقد ذكر قائلًا: "أيًّا كان الذي وضع هذه الخطة السرية يجب أن يدينه الكونغرس والمواطنون"[٢].

وفي هذا الصدد كتب جورج ويل قائلًا: "إن المستشارين المقربين من ريغان يتميزون بقلة الكفاءة، وهم من أسوأ من أحاطوا برئيس أمريكي منذ الحرب العالمية الثانية"[٣].

وقد علق الرئيس ريغان على ذلك قائلًا: "لم أكن على علم بكل الحقيقة، ولكن لم يكن هناك من يصدق الرئيس بما في ذلك شقيقه.. بعضنا يكون مثل من يسيرون خلف طابور العرض في الشارع الرئيس ينظفون آثار سير الأفيال في المكان"[٤].

كان من نتائج كشف الفضيحة انخفاض شعبية ريغان، الأمر الذي أظهرته استطلاعات الرأي العام، ولأول مرة أصبح هناك شك وريبة في صدق الرئيس[٥].

---

(١) كيستي كيسلي، مصدر سبق ذكره، ص ٤٦٤.

(٢) المصدر نفسه، ص ٤٦٤.

(٣) المصدر نفسه، ص ٤٦٥.

(٤) كيستي كيسلي، مصدر سبق ذكره، ص ٤٦٤.

(٥) ألقت زوجة الرئيس ريغان، نانسي ريغان، اللوم على رئيس العاملين في البيت الأبيض، وعد =

وفي هذا المجال يقول دينيس توماس قائلًا: "لقد كان من المحزن أن نشاهد شعبية الرئيس تنخفض يومًا بعد يوم، وأن نعرف أن كل قراراته تتخذها نانسي ومنجمتها جوان كويجلي". ومنجمة أخرى لم تفصح نانسي أبدًا عن اسمها[١].

= المسئول عن أسوأ أزمة صادفت الرئيس، من وجهة نظرها كيف يكون ريغان هو المسئول عن قضية مثل إيران – غيت بعد أن كان يصف نفسه "ثاني أهم الرؤساء في تاريخ الولايات المتحدة"؟ ولكنها استدركت وقالت: "على كل حال لقد حدث كل شيء تحت عينيه". وأضافت نانسي قائلة: "إن ريغان قد خدع، وإن مساعديه لم يكونوا أوفياء له".

وحري بالذكر تجاهل رئيس العاملين في البيت الأبيض في شهر شباط من السنة نفسها أوامر نانسي ريغان، وأن يعقد مؤتمر صحفي للرئيس ريغان الذي لم يعقد سوى ٤٧ مؤتمرًا صحفيًّا فقط طوال ثماني سنوات قضاها في الرئاسة، أقل من أي رئيس في القرن العشرين.

ومن ناحية أخرى ذكرت نانسي ريغان قائلة: "هذان الشخصان (نورث وبويند كستر) يعرفان حقيقة ما حدث". وصرحت نانسي لوسائل الإعلام قائلة: "لا أحد غيرهما يعرف الحقيقة.. روني لا يعرف أي شيء، وكذلك نحن نسعى للحصول على شهادة نورث وبويند كستر".

تجدر الإشارة في هذا المجال إلى أن زوجة ريغان نانسي ريغان قد دفعت زوجها لأن يعرض منصب رئيس العاملين على "هوارد بيكر" السناتور الجمهوري السابق، ولذلك بعد الإعلان عن نتائج اللجنة سربت نانسي للصحافة خبر تعيين "هوارد بيكر" في المنصب، وعندما سألتها الصحافة عن ذلك قالت سكرتيرتها الصحافية: إن نانسي تتمنى حظًّا سعيدًا لريغان، وترحب بهوارد بيكر. وقد أدهش هذا الإعلان الرئيس ورئيس الأركان، ومنع ريغان من أن يحقق لنفسه خروجًا مشرفًا من البيت الأبيض. راجع: كيستي كيسلي، مصدر سبق ذكره، ص ٤٦٤، ٤٦٨، ٤٧١.

(١) والحق، بخلاف عدد قليل جدًّا من المساعدين الذين كانوا يثقون فيهم، لم يكن أحد يعلم حتى أبناؤها مدى اعتماد نانسي ريغان على المنجمين، ويقول ابنهما: (رون ريغان): "كنت أعتقد لمدة طويلة أن الصحافة تمزح عندما كانت تذكر هذا الموضوع.. ثم تذكرت أنني شاهدت (سام دونالدسون) يتناول هذا الموضوع في برنامجه بصورة جادة تمامًا، فسألتها في النهاية، وعرفت أن =

وبسبب الضجة التي أحدثتها الفضيحة بدا ريغان أكثر تشتيتًا، فهو لم يستطع أن يفهم لماذا فقد المواطنون الأمريكيون ثقتهم به[١] خاصة بعد أن أمر بتشكيل لجنة تاور للتحقق في القضية؟ كما أنه عين دافيد آبشاير، السفير السابق لدى حلف شمال الأطلسي مستشارًا خاصًا للجنة لتوفير المعلومات اللازمة للتحقيق، بحيث لا يستطيع أحد أن يتهم ريغان بالتستر على المتورطين في الفضيحة[٢].

= ذلك صحيح، وقد أدهشني ذلك مثلما أدهش الجميع". وتقول باتي ديفز: "أنا أعتقد أن هناك تشابهًا بين الشخصيات التي تولد في البرج نفسه، ولكنني لا يمكن أن أسمح لأحد أن يوجه حياتي، فإذا قال أحد: لا تخرجي من المنزل اليوم لأن النجوم في موقع سيئ فسأقرر على الفور مغادرة المنزل، وأستقل أول طائرة مسافرة إلى جنوب إفريقيا". راجع: المصدر نفسه، ص ٤٦٩ – ٤٧٠، ٤٧١، ٤٧٤.

(١) نشرت استفتاء نتيجته أن ١٤٪ فقط من الشعب الأمريكي صدق الرئيس حين قال: إنه لم يقايض الرهائن بالسلاح. كذلك أسفرت استفتاءات البيت الأبيض عن نتائج مماثلة، واهتز الرئيس ريغان أمام هذا التطور. راجع: دونالد ريغان، مصدر سبق ذكره، ص ٥٥.

(٢) كيستي كيسلي، مصدر سبق ذكره، ص ٤٦٨.

اجتمع عدد من معاوني الرئيس ريغان لمناقشة تركيب اللجنة، واقترحت إسناد رئاسة اللجنة إلى جون تاور من تكساس، وهو الرئيس السابق للجنة القوات المسلحة في مجلس الشيوخ، بعد أن أنجز جولة بوصفه رئيس المفاوضين من قبل الولايات المتحدة في محادثات جنيف لخفض الأسلحة، كما اقترحت إلى جانبه برنت سكوكروفت الجنرال المتقاعد في القوات الجوية، والذي خدم بصفة مستشار الأمن القومي في عهد الرئيس فورد، وكان خيارًا طبيعيًّا كعضو في اللجنة؛ لأن اللجنة ستكون مكلفة باقتراح الطرق لتحسين إجراءات مجلس الأمن القومي لمنع تكرار حدوث ما حدث. كلا الرجلين من الحزب الجمهوري، وقد أرادت إبقاء الهيئة مصغرة ليتسنى لها أن تعمل بسرعة، وأن تقدم تقريرًا حاسمًا، وكعضو ثالث في اللجنة، أوصيت بادموند =

ولكن ريغان رفض أن يقدم أي اعتذار في وسائل الإعلام عن بيع أسلحة لإيران، وإنما اكتفى بالاعتذار غير المباشر عندما قال: "لقد وقعت أخطاء"، ولم يحدد من الذي ارتكب هذه الأخطاء، ولكنه على أي حال وجه اللوم إلى نورث[١] وجون بويند كستر[٢] عندما انفرد بهما[٣].

=

موسكي، الديمقراطي في ماين وهو عضو في مجلس الشيوخ ووزير للخارجية سابقًا. والحق أن الثلاثة وافقوا على القيام بالعمل. راجع: دونالد ريغان، مصدر سبق ذكره، ص ٧٣ – ٧٤، ١٢٧. وكوندوليزا رايس، مصدر سبق ذكره، ص ٣٦.

(١) يقوم وزير الخزانة الأمريكية ورئيس موظفي البيت الأبيض وكاتم أسراره دونالد ريغان نورث قائلًا: "إن الكثير مما حدث أخفي عن الرئيس (وعني بالمناسبة) من قبل ماكفرلن وخلفه كمستشار للأمن القومي الأميرال بويند كستر، وذلك المارنيز الشاب البارز الذي كان غريبًا عنا نحن الاثنين المقدم ل. نورث، ووفقًا لسجلات الأبيض لم يقابل نورث الرئيس على انفراد أبدًا، فقد كان عند مقابلته مصحوبًا باستمرار بآخرين، وطوال خدمتي مدة سنتين بوصفي رئيسًا لموظفي البيت الأبيض تحدثت إلى نورث مرة واحدة على الهاتف". راجع: دونالد ريغان، مصدر سبق ذكره، ص ٤٥.

(٢) ولد جون بويند كستر في عام ١٩٣٦، وتخرج من الأكاديمية البحرية الأمريكية في العام ١٩٥٨، وحصل على درجة الماجستير في عام ١٩٦١، والدكتوراه من معهد كاليفورنيا للتكنولوجيا في الفيزياء النووية في العام ١٩٦٤، وقاد المجموعات القتالية في غرب المحيط الهندي، وأصبح مساعدًا إداريًّا لوزير البحرية، ثم مساعدًا إداريًّا في إدارة ريغان، ومسئولًا عن قيادة وإدارة الموظفين في مجلس الأمن القومي والتخطيط المسبق للأزمات في المدة الواقعة بين ١٩٨٣ – ١٩٨٥، كان ضابطًا متقاعدًا في البحرية الأمريكية، ومسئولًا في البنتاغون الأمريكي، وشغل مساعد مستشار الأمن القومي لماكفرلن، وبعد ذلك غدا مستشارًا للأمن القومي، وشغل منصبَ استشاريٍّ في تكنولوجيا الأقمار الصناعية، وقد أدين ماكفرلن في العام ١٩٩٠ بتهمة الحنث باليمين وتزوير الأموال وتغيير الأدلة.

(٣) كيستي كيسلي، مصدر سبق ذكره، ص ٤٦٨.

إن أحدًا لم يقل للرئيس ريغان الحقائق، وهي أن معاونيه يقايضون الأسلحة بالرهائن مع الإيرانيين عبر وسطاء مريبين، وأن الكيان الصهيوني متورط إلى حد بعيد في هذه الصفقات لغايات خاصة به، وأن ملايين الدولارات من هذه المكاسب حولت إلى ثوار "الكونترا" في نيكاراجوا[١].

وفي هذا الشأن قال ميز: "إن تحقيقاته كشفت أن الإيرانيين دفعوا على ما يبدو ٣٠ مليون دولار ثمن تجهيزات بعناها لهم، غير أن الإدارة الأمريكية لم تتسلم غير ١٢ مليونًا فقط، أين ذهبت الملايين الثمانية عشر الباقية؟ وماذا جرى لها؟ لا أحد يعلم كما يبدو، ولكن المقدم أوليفر نورث اعترف لميز في عطلة نهاية الأسبوع بأنه حول بعض هذه الأموال إلى ثوار "الكونترا" في نيكاراجوا"[٢].

ولكن الظاهر أن الإيرانيين تكلفوا أكثر مما يجب، وأن الوكلاء الصهاينة أودعوا بعض الأموال أو كلها في ثلاثة حسابات سويسرية مختلفة، ثم سحب أدولفو كاليرو إلى أصدقائه في الكونترا اعتمادات مالية من هذه الحسابات[٣].

وحين أدلى أوليفر نورث أخيرًا بإفادته أمام اللجان المختارة في تموز ١٩٨٧، ذكر أنه تلقى توجيهًا ودعمًا من كايسي في تحويل الأموال إلى الكونترا، في هذا الوقت كان كايسي قد توفي، ثم لم يكتشف ما يثبت هذا الزعم عن إسهامه في العملية، ولذلك بقيت هذه المسألة بلا جواب[٤].

---

(١) دونالد ريغان، مصدر سبق ذكره، ص ٥٥.

(٢) المصدر نفسه، ص ٦٣ – ٦٤.

(٣) المصدر نفسه، ص ٧٣.

(٤) دونالد ريغان، مصدر سبق ذكره، ص ١٠٥.

كان مستشاراه للأمن القومي ماكفرلن أولًا، ثم بويند كستر بعد ذلك يقدمان له تقارير عامة، قالا له: إنهما يتعاملان مع "الإسرائيليين" الذين وفروا لهما الاتصال بإيرانيين معينين[١].

يقول جورج شولتز في مذكراته عن ذلك: "لم أكن أعلم إلا بالنزر اليسير عن التفاوض مع إيران[٢] بشأن رهائن محتجزين في لبنان[٣]، بيد أنني كنت

---

(١) المصدر نفسه، ص ٥٥.

(٢) يقول وزير خارجية الولايات المتحدة الأمريكية الأسبق جورج شولتز: "يعود سبب نشوء فضيحة إيران غيت إلى استخدام هيئة المجلس نفوذ البيت الأبيض بصورة خاطئة، والتملص من محاسبة ومراقبة الفرع التنفيذي، ولهذا لم أقبل توصية لجنة تاور القاضية بترؤس هيئة مجلس الأمن القومي لمجموعات من ممثلي مختلف المؤسسات الحكومية، وأيضًا ترأس الاجتماعات على مستوى القيادة، وبذلك تتحكم الهيئة ببرنامج أعمالهم وخطوات سيرهم". راجع: مذكرات جورج شولتز، اضطراب ونصر، ج١، الخيوط الأولى، ترجمة محمد محمود دبور، محمود العابد، عمار جولاق، الأهلية للنشر والتوزيع، عمان، ١٩٩٤، ص ٣٨٠.

(٣) احتدم الصراع بين مجلس الأمن القومي ووزارة الخارجية على عهد الرئيس الأمريكي الأسبق رونالد ريغان في مسألة اختطاف طائرة TWA رحلة ٨٤٧، حيث تم خطفها في ١٤ حزيران من العام ١٩٨٥ وكان على متنها ١٥٣ مسافرًا وملاحًا، معظمهم من الأمريكيين، وطالب الخاطفون بإطلاق سراح ٧٦٦ سجينًا عربيًّا محتجزين لدى الكيان الصهيوني، فضلًا عن ١٧ سجينًا في الكويت. في هذا السياق يقول وزير الخارجية الأمريكي الأسبق جورج شولتز: "في ١٨ حزيران وصل رد الرئيس حافظ الأسد على رسالة الرئيس ريغان وكان في صيغة سؤال: هل نفهم من ذلك أن الولايات المتحدة ستبذل جهودها لإخراج السجناء اللبنانيين، خصوصًا وأن الولايات المتحدة قد شجبت من ذي قبل سجنهم ونقلهم إلى خارج لبنان وخرق إسرائيل بذلك لميثاق جنيف الرابع؟ وقبل أن أعمل على صياغة الإجابة كان لاري سبيكس الناطق الرسمي باسم البيت الأبيض، وفي موعد الإيجاز الذي يعطيه للصحفيين الساعة العاشرة صباحًا قد أعلن أن الولايات المتحدة "ترغب من إسرائيل إطلاق سراح السجناء" المعتقلين في إسرائيل. واستبد بي
=

جاهلًا الدافع وسبب إطلاق سراح جاكبسون[1]، وكنت مطلعًا على محاولات سابقة لإطلاق سراح الرهائن، وعارضت بشدة ما ارتأيت أنه مقايضة للسلاح بالرهائن، ففي عام ونصف عام تقريبًا من ذلك الوقت، وفي أواخر ربيع عام ١٩٨٥، شاءت الأقدار أن أوقع على أول إشارة بهذا الصدد، عندما علمت بأن مستشار الأمن القومي (NSC) بدماكفرلن[2] وعددًا من موظفي مجلس الأمن

=

الغضب، وذهبت للرئيس أخبره بمدى الضرر الذي تعرضت له سياستنا بسبب سبيكس ووافقني على ذلك، وصدر الأمر إلى جميع موظفي البيت الأبيض بأنه من ذلك الوقت فصاعدًا يجب أن تراجع وزارة الخارجية في أية مسألة، وقد حصل ذلك بالطبع بضغط من وزارتي التي طلبت عدم تدخل موظفي البيت الأبيض. وجاء في رد الرئيس ريغان على الرئيس الأسد: "لن تتم أية صفقات عن طريقنا، ولن نطلب من الآخرين أن يعقدوا صفقات مع الخاطفين كذلك، وأن العائق أمام إطلاق السجناء هو احتجاز الرهائن في مطار بيروت فقط". راجع: مذكرات جورج شولتز اضطراب ونصر، مصدر سبق ذكره، ص ٢٣٠، ٢٣٥.

(١) في الثاني من تشرين الثاني ١٩٨٦، أي اليوم السابق لنشر القصة في الشراع، أفرج عن إحدى الرهائن الأمريكية، دافيد جاكوبسون من قبل محتجزيه، وهم مجموعة معروفة باسم الجهاد الإسلامي، وأعلنوا أنهم فعلوا ذلك استجابة لعروض من الإدارة الأمريكية. راجع: دونالد ريغان، مصدر سبق ذكره، ص٤٧. في الثالث من تشرين الثاني من العام نفسه غداة تحرير الرهينة دافيد جاكوبسون المنتزع انتزاعًا، كتبت الصحيفة اللبنانية "الشراع" بأن شحنات الأسلحة إلى إيران قد تم تنظيمها بوساطة إسرائيل، منتهكة بذلك الحظر الأمريكي. راجع: فنسان نوزيل، مصدر سبق ذكره، ص ١٩٠.

(٢) ولد روبرت ماكفرلن في العام ١٩٣٧، وانضم إلى الأكاديمية البحرية في أنابوليس في العام ١٩٥٥، ثم عين ملازمًا ثانيًا في سلاح مشاة البحرية الأمريكية، حيث شغل منصب ضابط مدفعية، وأحيل على التقاعد في عام ١٩٧٩، وبعد ذلك قام بتدريس علم المدفعية، وشغل أيضًا منصب المساعد التنفيذي لفيلق مشاة البحرية الأمريكية في المدة الواقعة بين ١٩٦٨ – ١٩٧١، فضلًا عن مشاركته في حرب فيتنام في جولتين، وبعد ذلك حصل على درجة الماجستير في

=

القومي أرادوا إرسال أسلحة إلى إيران في محاولة لإطلاق سراح رهينة أمريكية محتجزة بتورط إسرائيلي، ودخلت في أربعة صراعات رئيسة ما بين أواسط عام ١٩٨٥ وخريف عام ١٩٨٦ من أجل وقف صفقة كهذه، وشعرت في كل مرة -أو تم التأكيد لي- بأن وجهة نظري هي المسيطرة والمنتصرة، غير أن الأمر لم يتوقف، ولم أستطع القضاء على خطره رغم جهودي"[١].

ويردف شولتز قائلًا: "وفي اجتماعين اثنين مع الرئيس ومستشارين رفيعي المستوى عارضت بيع كمية من السلاح إلى إيران، سواء أكان ذلك مرتبطًا

=

الدراسات الإستراتيجية من معهد الدراسات الدولية في جنيف، وفي الوقت نفسه شارك في حرب فيتنام أثناء هجوم تيت، ثم اختير زميلًا في البيت الأبيض، حيث عمل في مكتب الشئون التشريعية في البيت الأبيض، وأصبح بعد ذلك المساعد العسكري لكيسنجر في مجلس الأمن القومي، حيث قام بوظيفة مهمة تبادل المعلومات الاستخبارية في المجلس مع الصين الشعبية في المدة الواقعة بين ١٩٧٣ – ١٩٧٦، فضلًا عن مشاركته لكيسنجر في زياراته إلى الصين الشعبية، وعند تركه البيت الأبيض عمل في جامعة الدفاع الوطني، وفي هذا الشأن قام بتأليف كتاب عن إدارة الأزمات، وفي الوقت نفسه حصل على دبلوم من كلية الحرب الوطنية، وبعدها أصبح مستشارًا لوزير الخارجية ألكسندر هيغ في العام ١٩٨٢، ثم عين مساعدًا لمستشار الأمن القومي، وكلفه ريغان بوظيفة التفاوض على صفقة الأسلحة مع الوسطاء الإيرانيين، ثم غدا بعد ذلك مستشار الأمن القومي للرئيس رونالد ريغان، وقد حكم بالسجن لمدة سنتين بتهمة حجب المعلومات عن الكونغرس، لكن الرئيس جورج بوش الأب أطلق سراحه في العام ١٩٩٢. والحق، كان له دور رئيس في قضية إيران – كونترا. راجع:

Kornbluh Peter and Malcolm Byrn , Eds , The Iran –Contra Scandal: The Declassified History , New Press Disfributed by W. W. New York , 1993 , pp. 15 – 22. , The

(١) مذكرات جورج شولتز، مصدر سبق ذكره، ص٢٧٦.

بإطلاق سراح الرهائن أم لم يكن، وأيدني في ذلك واينبرغر كل التأييد، ودافعت عن وجهة نظري قائلًا: إن إخبار مسئولي الخارجية بشيء ما تم التصرف بخلافه سينتهك سياستنا الخاصة بنا، ويدمر كرامتنا، ويكسبنا احتقار الجميع بما فيهم الإيرانيون، وتورطت في القضية شخصيات مريبة حاولت خداعنا لتنفيذ مآربها الخاصة[١].

ويضيف شولتز قائلًا: "كان السفير جون كيلي السفير الوحيد (من بين ثلاثة) الذي اتصلت به هيئة مجلس الأمن القومي بشأن تلك العملية، ولم يبلغ وزارة الخارجية عنها، وكان سلوكه في الميدان العملي متباينًا بشدة مع سلوك سلفه السفير رينج بارثو لوميو"[٢].

في هذا الشأن نشرت "النيويورك تايمز" أن وزير الخارجية جورج م. شولتز معارض لشحن الأسلحة إلى إيران؛ لأن مثل هذا العمل مناقض لسياسة

---

(١) المصدر نفسه، ص٢٧٧.

نقل عن هاشمي رفسنجاني الناطق باسم مجلس الشورى الإسلامي وقتئذٍ "أن ماكفرلن قد زار طهران سرًّا في أيلول من العام ١٩٨٦ وبرفقته أربعة أمريكيين، وأنهم جاءوا على متن طائرة تحمل معدات عسكرية لإيران تم شراؤها من تجار أسلحة عالميين وأقاموا في غرفة في أحد الفنادق لمدة خمسة أيام ثم غادروا". وأضاف رفسنجاني: "حمل المبعوثون جوازات سفر أيرلندية، وجلبوا معهم (كعكة وإنجيلًا يحمل توقيع الرئيس ريغان)". يقول شولتز في هذا المجال: "وصنعت الكعكة على شكل مفتاح -يفترض أنه مفتاح للصداقة بين الولايات المتحدة وإيران- وأكلها الحرس الثوري الجائع لدى وصولها أرض المطار، وكانت الحادثة غريبة جدًّا بحيث يصعب تصديقها". راجع: المصدر نفسه، ص ٢٧٦. وفنسان نوزيل، مصدر سبق ذكره، ص ١٩١.

(٢) المصدر نفسه، ص٣٦٤. وجون كوولي، الحصاد، ط٢، ترجمة عاشور الشامس، بيروت، ١٩٩٢، ص٧٥-٧٦.

الولايات المتحدة القائمة على عدم مفاوضة الإرهابيين". وتابعت القول: إن هنالك عملية سرية لتزويد إيران بالسلاح تجري منذ سنة ونصف السنة(١).

أتى شولتز إلى الرئيس ريغان وسأله أن يعطيه تعهدًا قاطعًا بألا تزود الولايات المتحدة إيران بأية تجهيزات عسكرية بعد الآن، وأن جميع الاتصالات الدبلوماسية مع طهران يجب أن يجري تناولها عبر وزارة الخارجية. قال الرئيس ريغان بهدوء: إنه سينظر لذلك بروية. ثم عبر بعد ذلك عن مشاعر أقوى، لكنه كان واضحًا أنه لم يكن مستاء من شولتز كي يقيله من منصبه(٢).

والحق، وصفت قضية إيران – غيت بأنها يوم القيامة بالنسبة لمجلس الأمن القومي(٣).

وقد بلغ حنق شولتز عندما علم بواقعه بيروت حدًّا جعله يهاجم كيلي علنًا ويحظر على موظفي وزارة الخارجية الاتصال خارج القنوات الإدارية للوزارة بدون تعليمات صريحة منه أو من الرئيس(٤).

عند سماعه بهذه الواقعة لم يتمالك لي هاميلتون رئيس لجنة الاستخبارات بمجلس النواب نفسه عن الأوضاع بما اعتمل في نفسه قائلًا: "إنني لا أعتقد أنني سمعت أبدًا بحدوث شيء كهذا من قبل هذا التخطي الكامل لوزير خارجية أمريكي"(٥).

---

(١) دونالد ريغان، مصدر سبق ذكره، ص ٥٠.

(٢) المصدر نفسه، ص ٥٨.

(3) Cody M. Brown , Op. Cit. , p. 234.

(٤) توفلر، مصدر سبق ذكره، ص٣٥٢.

(٥) المصدر نفسه، ص٣٥٢-٣٥٣.

يمكن أن يتخيلوا أن مثل هذه الصفقات تظل سرًّا لمدة طويلة في الشرق الأوسط، فالإمداد بالسلاح يجب فقط أن يتبع الانفتاح السياسي لا أن يسبقه (لقد مر ما يقارب عشر سنوات بعد التقارب مع الصين قبل أن تبيع الولايات المتحدة أسلحة إلى بكين).

يضيف جورج شولتز على ذلك قائلًا: "لطالما ترك بادلي الانطباع بأنه يريد كمستشار للأمن القومي أن يكون مثل هنري كيسنجر، وأن يقوم بأعمال كبيرة ومثيرة سرًّا، وكما حقق هنري الانفتاح على الصين كذلك كان لدى باد فكرة الانفتاح على إيران"[1].

تفيد دراسات الولايات المتحدة الاستخبارية التي أجريت فيما بعد بأن الكيان الصهيوني كان في ذلك الوقت يقوم بشحن الأسلحة (غير الصهيونية) لإيران، وأن شخصيات من أمثال يعقوب نمرودي (الذي وقَّع والعقيد دينغان بعد أقل من أسبوع من موعد تلك الحادثة اتفاقيتهما البالغ قيمتها ٨ ، ١٣٥ مليون دولار) والوسيط منوشهر غربانيفار كانوا يعدون لصفقات خاصة تتعلق بأسلحة أمريكية. وفي شهادة لروبرت ماكفرلن قال: إن وكالة الاستخبارات المركزية لم تخبره عن تلك الصفقات "الإسرائيلية"، كما أخبر وزير الخارجية جورج شولتز في برقية أرسلها إليه بعد الإدلاء بتلك الشهادة أنه من الواضح أن القنوات الإسرائيلية كانت موجودة منذ مدة طويلة. وذكر أحد موظفي مجلس الأمن القومي أن ماكفرلن كان يتجاهل تلك التقارير لعدم وجود أدلة قاطعة

(١) مادلين أولبرايت، مذكرة إلى الرئيس المنتخب: كيف يمكننا استعادة سمعة أمريكا ودورها القيادي؟ مصدر سبق ذكره، ص ٤٥.

عليها، وأن رئيس وزراء الوزراء الإسرائيلي شيمون بيريز قد أكد للولايات المتحدة عدم وجود تجارة من ذلك النوع(١).

لقد شهد ماكفرلن أنه ذكر للرئيس ريغان احتمال إقامة حوار سياسي مع الإيرانيين عبر الاتصالات الصهيونية(٢).

يقول في هذا السياق جون كوولي: "بعد وقت طويل من ذلك التاريخ كان لي حديث مع الجنرال أهارون ياريف، الذي كان في عام ١٩٨٩ يدير هيئة للتخطيط -مسالمة إلى حد ما- تعرف باسم مؤسسة الدراسات الإستراتيجية بجامعة تل أبيب، فسألته عن الحكمة في تزويد إيران بالأسلحة الإسرائيلية سرًّا في الوقت الذي كان زعيمها يفصح عن نواياه لتحطيم إسرائيل علنًا، كما ذكرته بأن حزب الله ينظم الهجمات الانتحارية ضد القوات الإسرائيلية في جنوب لبنان، فهز ياريف كتفيه، ثم قال: "أنت بالطبع على صواب فيما تقول على الأقل في الوقت الحاضر، ولكنك تعلم وأنا أعلم أن مصلحة إسرائيل الإستراتيجية تكمن في المحافظة على صداقة إيران ومساعدتها لمقاومة عدوان العدو المشترك وهو اليوم عرب العراق، وقبل ثلاثة آلاف سنة كان نبوخذ نصر والبابليين. فضلًا عن ذلك فإن الكثيرين بما فيهم إسرائيليون قد أثروا من جراء صفقات السلاح مع إيران"(٣).

---

(١) جون كوولي، مصدر سبق ذكره، ص ٨٥.

(٢) دونالد ريغان، مصدر سبق ذكره، ص ٣٧.

(٣) دونالد ريغان، مصدر سبق ذكره، ص ٨٦.

مع دخول القوات الإيرانية لبنان لمواجهة قوات المشاة البحرية الأمريكية والجنود الفرنسيين التابعين لقوة السلام المتعددة الجنسيات وطردهم، كان خط محور طهران – تل أبيب يعمل في غاية الفاعلية[١].

وفي واقع الأمر أراد ماكفرلن بوصفه مستشارًا للأمن القومي أن يصبح مثل وزير الخارجية الأسبق هنري كيسنجر، فيحقق أشياء عظيمة واستثنائية، ولكن بصورة غير معلنة، وكما حقق كيسنجر "الانفتاح على الصين الشعبية"[٢] كان لماكفرلن فكرة تحقيق "انفتاح على إيران". وأراد ماكفرلن تحقيق هذا الانقلاب بطريقة سرية بعيدًا عن تدخل مجلس الأمن القومي، ومن ثم يقدم للرئيس النجاح في إعادة إيران إلى صف الدول الغربية"[٣].

لكن كيسنجر تعامل مع مسئولين في الحكومة الصينية، ولم ينتهك قوانين الولايات المتحدة في تحقيق هدفه، بينما حصل العكس فيما يخص تلك الأسلحة مع إيران، حيث نفذت بالتعاون مع تجار سلاح دوليين سيئي السمعة وغير محترمين، وبالتعاون مع وكلاء سريين، فضلًا عن ذلك تورط في بعض المراحل

---

(١) المصدر نفسه، ص ٨٦.

(٢) أدرك ريتشارد نيكسون وهنري كيسنجر أن الانفتاح على الصين الشعبية يمكن أن يفيد إستراتيجيًّا فيخلق قوة في مواجهة الاتحاد السوفيتي، ويعطي الصين الشعبية موطئ قدم في التعاون الاقتصادي والاستقرار على الصعيدين الإقليمي والدولي. وعلى نحو مماثل يبدو أن إدارة بوش، وخصوصًا في حقبة الرئاسة الثانية، تلمس أهمية الهند الإستراتيجية المتنامية وإمكانية قيام مثلث معها ومع الصين الشعبية؛ لأن وزن الأخيرة آخذ بالبروز في السياسة الدولية. راجع: دنيس روس، فن الحكم: كيف تستعيد أمريكا مكانتها في العالم. مصدر سبق ذكره، ص ٣٧.

(٣) مذكرات جورج شولتز، مصدر سبق ذكره، ص ٣١٨.

أوليفر نورث وبل كيسي، وهيمنت مسألة الرهائن على مجمل الخطة، ولا بد أن الإيرانيين أدركوا بمساعدة فورة وإثارة وسائل الإعلام من دون أدنى شك، أن الرئيس الأمريكي رونالد ريغان[١] سيفعل أي شيء[٢] في سبيل استعادة الرهائن[٣].

---

(١) كتب هنري كيسنجر عن ريغان قائلًا: "لم يكن ريغان يعرف التاريخ كثيرًا، واستخدم القليل الذي يعرفه لدعم آرائه المسبقة، وقد تعامل مع الإشارات التوراتية إلى المعركة الفاصلة كأنها توقعات عملانية، ولم يكن لكثير من الطرف التاريخية التي كان مولعًا بها أساس من الحقيقة.. كانت تفاصيل السياسة الخارجية تضجر ريغان، لقد استوعب قليلًا من الأفكار الأساسية عن مخاطر الاسترضاء وشرور الشيوعية، وعظمة بلاده، لكن تحليل القضايا الموضوعية لم يكن من نقاط قوته".

كان نهج ريغان المبسط وافتقاره إلى المعرفة يقودان إلى الالتباس بوصفه مديرًا للسياسة الخارجية، وفي ثماني سنوات شهد ستة مستشارين للأمن القومي، ووفقًا لوزير خارجيته "كانت وكالة المخابرات المركزية ومديرها بيل كايسي مستقلين مثل خنزير على الثلج، ويمكن أن يكونوا واثقين بقدر ما كانا مخطئين". وقاد ريغان أيضًا تدخلًّا عسكريًّا كارثيًّا في لبنان، وفضيحة إيران الكونترا.

ومع ذلك كله أفيد بأن جورج دبليو بوش أبلغ جون ماكين: "لا أريد أن أكون مثل والدي، أريد أن أكون مثل رونالد ريغان". وقد اختار مسحٌ أجرته قناة ديسكوفري ريغان كأعظم شخصية في التاريخ الأمريكي، متقدمًا على لنكولن وواشنطن ومارتن لوثر كنغ جونيور. راجع: مادلين أولبرايت، مذكرة إلى الرئيس المنتخب: كيف يمكننا استعادة سمعة أمريكا ودورها القيادي؟ مصدر سبق ذكره، ص ٣١.

(٢) لقد كان علي أكبر رفسنجاني ذا دور كبير في إقناع الخاطفين الذين خطفوا طائرة تي. دبليو. أيه، رحلة رقم ٨٤٧، بالإفراج عن الرهائن وفيهم ١٣٤ أمريكيًّا. وفي رسالة سرية شكر الرئيس ريغان رفسنجاني على ما قام به، وأعرب عن الأمل بتحسين العلاقات بين الولايات المتحدة وإيران. راجع: دونالد ريغان، مصدر سبق ذكره،، ص ٣٢.

(٣) مذكرات جورج شولتز، مصدر سبق ذكره، ص ٣١٨.

=

وقد تضاعف هذا الخطأ عندما سمحت الحكومة الأمريكية للهاجس المتسلط بشأن مصير الرهائن في لبنان بأن تؤدي إلى مقايضة الأرواح الأمريكية بالأسلحة الأمريكية، وقد تحول الأمر إلى محادثة عندما قرر أعضاء هيئة مجلس الأمن القومي تحويل أرباح صفقات السلاح الإيرانية إلى الكونترا في نيكاراغوا[١].

كشف آية الله منتظري في مذكراته بعد ثلاثة عشر عامًا من إعدام مهدي هاشمي في عام ١٩٨٧، أن الأخير لم يكن وراء تهريب المتفجرات، بل جهات بعينها في وزارة الاستخبارات الإيرانية، وقدر أن هاشمي أعدم لأنه كشف عن زيارة ماكفرلن مستشار الرئيس الأمريكي الأسبق رونالد ريجان لطهران في عام ١٩٨٦ والتي أسفرت عن صفقة "إيران غيت "، والتي حصلت إيران بموجبها على أسلحة أمريكية أثناء الحرب مع العراق[٢].

=

عندما كان نائب الرئيس الأمريكي ديك تشيني يخدم في الكونغرس كان داعية للفرع التنفيذي على حساب الفرع التشريعي، ولم يعمل أحد بجدية أكثر منه لإضعاف سلطة الكونغرس على مراقبة البيت الأبيض، وكعضو جمهوري رفيع المستوى في لجنة الاستخبارات التابعة لمجلس الشيوخ في عام ١٩٨٧ كان تشيني يسعى إلى الدفاع عن تعاملات إدارة ريغان في فضيحة إيران – الكونترا، وبرر تشيني أعمال الكولونيل أوليفر نورث واللواء البحري جون بويند كستر ومساعدين آخرين لإدارة ريغان، وفي هذا السياق قال مستشار البيت الأبيض جون دين: "إنه يتوجب أن نتذكر أنه خلال الفضيحة أصبح تشيني المدافع الرئيس عن الرئيس ريغان في الكونغرس". راجع: جون نيكولز، مصدر سبق ذكره، ص ٨٩.

(١) ريتشارد نيكسون، نصر بلا حرب، مصدر سبق ذكره، ص ١٢٣ – ١٢٤.

(٢) مصطفى اللباد، حدائق الأحزان إيران و"ولاية الفقيه"، ط ٢، دار الشروق، القاهرة، ٢٠٠٧، ص ١٩١. وأسد الله بادامجيان، خاطرات منتظري ونقد آن، أنديشه ناب، تهران، ١٣٨٢، ص ٧١ ع – ٧ ٧ ع، ٧٠٩ – ٧١٠، ٧١٥ – ٧١٧.

اعترف رفسنجاني المدير الرئيس للصفقة بحدوث قضية "إيران غيت" عندما صرح قائلًا: "إنها كانت ضرورية لنا بسبب سياق الحرب وضروراتها، إلا أنها أيضًا كانت خيارًا واعيًا من جانبنا، ومبادرة أطلقناها نحن، وظلت تحت سيطرتنا في تفاصيلها كافة، وعندما أقيمها الآن أصنفها كجزء من مفاخر العمل الدبلوماسي، لكن الوضع السياسي الملوث هو الذي يسمح أحيانًا للبعض بأن يقول ما يشاء دون حساب. في تلك المبادرة استطعنا إيجاد انشقاق حقيقي في الإدارة الأمريكية، وأزمة ظلت تلاحقهم لسنوات، واقتربت من أن تتحول إلى فضيحة تشبه فضيحة ووترغيت مع نيكسون، وبالمقابل فقد استطعنا أن نحصل على امتيازات عديدة، كما أنها أفادتنا سياسيًّا بشكل جيد، ولم ندفع ثمنًا سوى مساع حثيثة لإطلاق سراح رهائن غربيين كانوا محتجزين في لبنان؛ إذ كنا نعتقد بأن البعد الإنساني للقضية كان يتطلب تدخلنا لأننا لم نكن مرتاحين لوجود رهائن. استطعنا الحصول على احتياجاتنا من صواريخ تاو وهوغ والتجهيزات الضوئية لراداراتنا دون أن ندخل في ضرورات وتبعات المفاوضات المعروفة"[(١)].

ويقول نيكسون في هذا المجال: "إن مجلس الأمن القومي يجب ألا يتورط تنفيذيًّا في العمليات السرية، فلضمان النجاح يجب أن تكون هذه الأنشطة قابلة للتنصل منها، ويجب أن تنفذ بطريقة يمكن الولايات المتحدة معها إنكار تورطها بطريقة يمكن تصديقها، لكن ذلك يصبح مستحيلًا إذا أديرت العمليات السرية من مبنى المكتب التنفيذي الضيق؛ إلا أننا ينبغي لنا

---

(١) محمد صادق الحسيني، الشيخ الرئيس من قرية الياقوت الأحمر إلى عرش الزعامة الذهبي، رياض الريس للكتب والنشر بيروت، ٢٠٠٤، ص ٩٨ – ٩٩.

على أية حال أن نميز بين العمليات السرية والمفاوضات السرية، وينبغي للرئيس أن يكون قادرًا على أن يستخدم مستشاره لشئون الأمن القومي مفاوضًا عنه إذا أراد، وفي أغلب الأحيان ولا سيما أثناء المباحثات الحساسة مع زعماء الحكم الشمولي يكون رئيس مجلس الأمن القومي أفضل من وزير الخارجية(١).

والحق، يقصد نيكسون أن صلاحيات مجلس الأمن القومي الأمريكي قد تجاوزت صلاحيات وزارة الخارجية، وفي هذا يقترح نيكسون عودة وزارة الخارجية إلى ممارسة المسئولية الكاملة عن السياسة الخارجية(٢).

---

(١) ريتشارد نيكسون، نصر بلا حرب، مصدر سبق ذكره، ص١٢٦.

(٢) المصدر نفسه، ص ١٨٥، ولويس فيشر، مصدر سبق ذكره، ص٢١٥-٢١٧.

يتحدث الكاتب الأمريكي بروسترك ديني عن وجود منصب مؤقت باسم منصب "وزير خارجية فوق العادة"، تم إيجاد مثل هذه الوظيفة ثلاث مرات منذ نشوء مجلس الأمن القومي، وأعطيت هذه الوظيفة لكل من دين أتشيسون وجون فوستر دالس.

جون فوستر دالاس كان جده مبشرًا مسيحيًّا، وقام بسفرة في مركب شراعي من بوسطن إلى مدارس في الهند، وكان جده جون دبليو فوستر تقلد منصب وزير الخارجية سنة ١٨٩٢ أيام الرئيس هاريسون، ودرس القانون في جامعة السوربون في سنوات ١٩٠٨-١٩٠٩، واشترك في مؤتمر السلم في باريس عام ١٩١٩، وأصبح وزيرًا للخارجية في إدارة إيزنهاور عام ١٩٥٧، وهو شقيق دلاس الذي أصبح مديرًا لـ .C.I.A على عهد الرئيس ترومان، وتأثر بآراء الرئيس ودرو ولسن.

راجع: ألن دالاس، مصدر سبق ذكره، ص٦٠٩، وهنري كيسنجر، وفي هذه التجارب الثلاث أكد الرئيس نظريًّا وواقعيًّا للمسئولين في الدولة أن وزير الخارجية يعد هو الوزير الأول في الموضوعات الخاصة بالسياسة الخارجية والدفاعية، وأنه ينبغي النظر إلى قيادته بكل تقدير واحترام، وقد أصبح هناك نوع من التكامل خلال هذه الحقبة بين الأمور الخارجية والعسكرية، فضلًا عن وحدة الكلمة التي تميزت بها الحكومة. راجع: ديني بورسترك، مصدر سبق ذكره، ص٢٠٧.

أدين في قضية إيران-كونترا عضو مجلس الأمن القومي السابق الكولونيل أولفير نورث وجون م.يونيدكستر[١] مستشار آخر لريغان في مجلس الأمن القومي[٢].

ونتيجة لذلك دعا الرئيس ريغان[٣] الكونغرس إلى التحقيق في قضية إيران-كونترا، ووضع توصيات تقليص إمكانية حدوث فضائح مماثلة في المستقبل[٤].

أصدر ريغان أيضًا نتائج شفهية بشأن قضية إيران-كونترا، وأصدر نتائج تحقيق سعى من خلالها على نحو ارتجاعي إلى إجازة ما كانت الـCIA قد فعلته، وبعد تلقيه تقرير مجلس تاور أصدر ريغان قرارًا توجيهيًّا لمجلس الأمن القومي تحت اسم NSDD 266 في ٣١ آذار ١٩٨٧، ومنع ذلك الأمر موظفي مجلس الأمن

---

(١) أعطى ريغان حصانة محدودة لكل من أوليفر نورث وبويند كستر للإدلاء بشهادتهما أمام لجنة المخابرات في الكونغرس. راجع: كيسني كيلي، مصدر سبق ذكره، ص ٤٦٨.

(٢) كان في قائمة من اتصلوا بالإيرانيين في فضيحة إيران – غيت، مايكل ليدين، وهو ناشط أمريكي محافظ، وهو الذي عرف منوشهر غوربانيفار الوسيط الإيراني المحافظ على أوليفر نورث. راجع: جورج تينت بالاشتراك مع بيل هارلو، في قلب العاصفة.. السنوات التي قضيتها في السي آي أيه، ترجمة عمر الأيوبي، دار الكتاب العربي، بيروت، ٢٠٠٧، ص ٣٢٢.

(٣) رونالد ريغان من مواليد عام ١٩١١، الرئيس الأربعون للولايات المتحدة (١٩٨١ – ١٩٨٩) من الحزب الجمهوري، صاحب "مبادرة الدفاع الإستراتيجي" المعروفة بحرب النجوم. راجع: نعوم تشومسكي، سنة ٥٠١ الغزو مستمر، مصدر سبق ذكره، ص ٥٢.

(٤) ديني بورسترك، مصدر سبق ذكره، ص١٨. وللمزيد من المعلومات راجع: دونالد لودارد، ليفرنوكي كولمان، في قضية الأخطبوط من بيروت إلى لوكربي خفايا المخابرات العسكرية الأمريكية، طرابلس، ١٩٩٧، ص١٣٨-١٣٩. ومادلين أولبرايت، مذكرة إلى الرئيس المنتخب: كيف يمكننا استعادة سمعة أمريكا ودورها القيادي؟ مصدر سبق ذكره، ص ٤٥. وكوندوليزا رايس، مصدر سبق ذكره، ص ٣٦.

القومي من القيام بعمليات سرية، وفي وقت لاحق أصدر ريغان القرار NSDD286 الذي يشترط الحصول على نتائج تحقيق مكتوبة (مع أنه يسمح بالنتائج الشفهية في الحالات الطارئة ذات المدى القصير)، ويمنع في الوقت ذاته إصدار نتائج تحقيق بمفعول ارتجاعي[١].

وأيد تقرير الكونغرس بشأن إيران-كونترا النتائج المكتوبة مع إصدار نتائج ارتجاعية، كما اعترض على وجود عبارات مهمة مثل "الإشعار في الوقت المناسب" التي تضمنها قانون الرقابة على المخابرات لعام ١٩٨٠ وأوصى بوجوب إشعار الكونغرس قبل المباشرة بأية عملية سرية (باستثناء حالات نادرة)، ومرر مجلس الشيوخ ١٩٨٨ تشريعًا يشترط على الرئيس إشعار الكونغرس بأية عملية سرية خلال ٤٨ ساعة، ولكن مجلس النواب فشل في اتخاذ إجراء بشأن مشروع القانون، وقال مسئولون في الإدارة في شهاداتهم: إن هذا القيد ينتهك سلطات الرئيس الدستورية[٢].

أثارت قضية إيران غيت عاصفة في واشنطن، غير أن فرنسا لم تكن راغبة بدور الواعظ، بل على العكس كل بلد عانى في مشكلته مع رهائنه. الرئيس

---

(١) لويس فيشر، سياسات تقاسم القوى: الكونغرس والسلطة التنفيذية، ط٣، ترجمة مازن حماد، الأهلية للنشر والتوزيع، ١٩٩٤، ص٢١٨-٢١٩.

(٢) لويس فيشر، مصدر سبق ذكره، ص٢١٩.

صادق الكونغرس على مجموعة من القوانين التي تقيد من صلاحيات المؤسسة التنفيذية، وتعديلات جاكسون فانيك وستينيسون في عام ١٩٧٣ و١٩٧٤ واضحة في هذا المجال، والتقييدات على استخدام وكالة المخابرات المركزية في خريف ١٩٧٤، وقانون الرقابة على تصدير الأسلحة لعام ١٩٧٥. راجع: فواز جرجس، السياسة الأمريكية تجاه العرب ومن يصنعها، ط، ٢ مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ٢٠٠٢، ص٨٢.

الفرنسي الذي عجز في مطلع العام ١٩٨٦ عن الوصول إلى تحرير رهائنه بدا متعاطفًا مع ريغان[١].

انكب ميتران مع سكرتير الدولة الأمريكي كاسبر واينبرغر على دراسة موضوع إيران غيت عند زيارة الأخير، إلا أنه شكر ميتران لعدم استغلاله الفرصة، قائلًا له: "يرغب الرئيس ريغان في تبليغي إياكم بضع كلمات بخصوص إيران غيت؛ فهو يخاطب أدبكم الجم الذي يعرف عنكم، طالبًا إليكم عدم سؤالي عن الموضوع". سرعان ما أجاب ميتران: "لم أحدثكم بالموضوع، إنها مسألة ضمير وأنا أفهم ذلك، فنحن أنفسنا لدينا مشكلة رهائن، إيران هي المسئولة الأساسية فيها"[٢].

ثم أضاف واينبرغر أن ريغان قد عين مستشارًا جديدًا للأمن القومي، فرانك كارلوتشي، ليخلف جون نواندكستر الذي أجبر على الاستقالة "إنه رجل كفء، محترم جدًّا، وهو مساعدي السابق". قال واينبرغر مهنئًا نفسه وسعيدًا بوجود حليف له في قلب البيت الأبيض. كما حدد السكرتير أيضًا بأن ريغان قد أمر بإجراء ثلاثة تحقيقات حول إيران غيت[٣].

علق ميتران متعاطفًا: "إنها الديمقراطية، نحن نفهم أنها قوانين السياسة الداخلية.. يجب أن تعلموا بأن لديكم أصدقاء في الخارج، وأن لا مصلحة لهم في رؤية سلطة ريغان تضعف، ريغان باق في الحكم لعامين، ومن المناسب أن

(١) فنسان نوزيل، مصدر سبق ذكره، ص ١٩١.

(٢) المصدر نفسه، ص ١٩٢.

(٣) فنسان نوزيل، مصدر سبق ذكره، ص ١٩٤.

يتمكن من متابعة تمتعه بالسلطة التي اكتسبها وهي كبيرة، ولا ينبغي إعاقة مسيرة الحلف العامة فهي تتوقف عليه، وأحب أن تنقل للرئيس ريغان هذه الرسالة وذكرياتي الشخصية معه"[١].

تاسعًا: وكالة المخابرات المركزية الأمريكية وعملية صنع القرار:

صدر قانون عام ١٩٩٠ وحدد إجازة الأعمال الاستخباراتية إجراءات قانونية جديدة لتنفيذ العمليات السرية، وقد أدخل قانون إجازة العمليات الاستخباراتية لعام ١٩٩١ تعديلات على قانون مراقبة الاستخبارات لعام ١٩٨٠ باشتراطه عددًا من الإصلاحات يتم إدخالها على نتائج التحقيقات الرئاسية بشأن العمليات السرية؛ إذ طلب أن تتم كتابةً وألا تكون لها تأثيرات ارتجاعية، وأنها لن تخول أحدًا بأي إجراء سينتهك القانون الفدرالي أو الدستور، وأنها يجب أن تحدد أي طرف ثالث (دولة أجنبية) لها علاقة بالعملية السرية، وقدمت تلك النتائج لِلَجْنَتَي الاستخبارات في المجلسين[٢].

لا بد من التأكيد على أن وكالة المخابرات المركزية الأمريكية كان لها الدور البارز في السياسة الخارجية الأمريكية، ويكفي أن نذكر بعض الشواهد على ذلك منها ما جاء في مذكرات إيدغار هوفر المدير السابق لـ(CIA) والذي أكد كيفية اختراق الأخيرة التخوم الكوبية، وقيامها بتنفيذ فعاليات عسكرية ضد النظام السياسي في كوبا، وكيفية انتهاء غزو الجزيرة بالفشل، إلا أن الوكالة لها الدور الحاسم في كشف منصات صواريخ نووية سوفيتية في كوبا، وهذا يعني أن

---

(١) المصدر نفسه، ص ١٩٤.

(٢) فيشر، مصدر سبق ذكره، ص٢١٩-٢٢٠.

الوكالة في مستهل الستينيات من القرن العشرين كانت أداة رئيسة في تنفيذ سياسة "الدومينو" القائمة على مساندة الأنظمة المناهضة للشيوعية[١].

وهنا لا بد من الإشارة إلى جون أونيل، المنسق السابق لمكافحة الإرهاب في الولايات المتحدة الذي أصبح المسئول الثاني لمكاتب إف بي آي في نيويورك والمكلف بالأمن القومي[٢]، الذي كان دائمًا ذلك المتمرد في عالم تتقدم فيه الإدارة على الفعل. ولكونه مكلفًا بمجمل التحقيقات مع منظمة القاعدة فقد سبق له أن دخل إلى اليمن بعد عملية المدمرة يو إس كول في ميناء عدن التي نجم عنها مقتل ١٧ شخصًا من بين أفراد الطاقم بتاريخ ١٢ تشرين الأول من العام ٢٠٠٠، وذلك ضمن خطة ضرب الإعاقة التي يبديها موقف الدبلوماسيين الأمريكان[٣].

وقد أدى هذا الأمر إلى تباين وجهات النظر بين وزارة الخارجية الأمريكية ومحققي هيئة مكاتب إف بي آي، حيث تمنت وزارة الخارجية مراعاة حساسية النظام السياسي في اليمن بهدف الحصول على مرونة الموقف السياسي، في حين أن الفريق الثاني وقع تحت تأثير الرغبة في تسريع استيائه مسئوليات حدوث الاعتداء، فنشأ عن ذلك رؤيتان تتمثلان في ثقافتين لا يمكنهما التعايش فيما بينهما، وعقب الخلافات الأولية حول موضوع حمل الأسلحة في صفوف رجال

---

(١) منصف السليمي، مصدر سبق ذكره، ص٢٠٤.

(٢) يبلغ جون أونيل من العمر الخمسين عامًا، وبعد أن كرس نصف حياته في خدمة مكاتب إف بي آي هذه التحق بالمكتب النيويوركي "فلا جشيب أوفيس" التابع ل إف بي آي في منصب طالما سعى للحصول عليه رجال المخابرات كلهم. راجع جان. شارل بريزار، غليوم داسكييه، مصدر سبق ذكره، ص ٩.

(٣) المصدر نفسه، ص ٩ -١٠.

إف بي آي وتسليم المشتبه بهم ومن يسمون "السكاكين الثانية" إلى السلطات الأمريكية، بدأت المواجهة في شباط لتصل مرحلة في تموز ٢٠٠١ عندما تدخل السفير الأمريكي في اليمن بربارا بودين لإغلاق منافذ اليمن أمام جون أونيل وفريقه "الرامبوس" كما تسميه السلطات اليمنية، ومع ذلك ومن وجهة نظر جون أونيل هذا فقد كان في جعبة رجال مكاتب إف بي آي مجمل المعلومات التي تسمح باتهام شبكات تنظيم القاعدة بالاعتداء المذكور[١].

وكان هذا الحادث في حينه يذكر بالمواجهة التي أعلنها الواحد على الآخر مستشار الأمن القومي هنري كيسنجر وزير الخارجية الأمريكي آنذاك، وذلك من أجل مراقبة السياسة الأمنية في السبعينيات أمام الوصاية على المنظمات العملياتية التي يعلنها الدبلوماسيون سعيًا إلى تصليب جهاز الدولة، وفي المحيط المنزوي حيث يقبع تشاينا كلوب في أعلى العمارة المشرفة على منطقة مانهاتن بأسرها، شرع جون أونيل يحكي قصته حول تمرير الأسلحة مع السفير الأمريكي وحالات إخفاقه إزاء الضعف المفتعل أو الصريح من جانب الخارجية الأمريكية، ولا سيما المجازفات الرهانية المتعلقة بتنظيم القاعدة. فبالنسبة إليه كان كل شيء يصدر عن المملكة العربية السعودية، وكان يمكن شرح كل شيء وتوضيحه عبر هذا المنظور: "إن مجمل الأجوبة والمفاتيح المؤدية إلى تفكيك تنظيم ابن لادن في المملكة العربية السعودية". وهذا يعني عدم قدرة الدبلوماسية الأمريكية على أخذ أي شيء مهما يكن من الملك فهد فيما يخص شبكات تنظيم القاعدة، وكان السبب في ذلك معلنًا في الجواب الوحيد: ألا وهو المصالح النفطية، فهل كان يمكن لهذا الجواب التفسيري الوحيد أن يمنع

---

(١) جان. شارل بريزار، غليوم داسكييه، مصدر سبق ذكره، ص ١٠.

الولايات المتحدة من البحث التحقيقي عن شبكات تنظيم القاعدة الرئيسة في العالم؟ الجواب هو: نعم. وذلك لسبب واضح وبسيط واحد لا ثاني له، ألا وهو أن الإدارة الأمريكية تراجعت ذاتيًّا بشكل أو بآخر عن فكرة استخدام البحث التحقيقي كوسيلة ضغط على السعوديين(١).

وخلال التحقيقات حول الاعتداء على القواعد العسكرية في الظهران الذي وقع في ٢٥ حزيران ١٩٩٦ وتسبب في سقوط ١٩ قتيلًا في صفوف الجنود الأمريكان، ذهب جون أونيل شخصيًّا إلى السعودية كي يحصل من الملك فهد على إقامة تعاون بين السلطات، ولكن مسعاه أخفق في وقت كانت المكاتب الاستخبارية السعودية تجري وحدها استجواب أعضاء شبكات القاعدة الرئيسين، بينما كان يتم إبعاد هيئة إف بي آي عن مهمة تقصي الدلائل المادية الكفيلة بإنجاح التحقيق. ولما كان المقصود من الأمر وجود علاقات بين تنظيم القاعدة والمملكة العربية السعودية، فإن نتائج التقرير حول "البيئة الاقتصادية الخاصة بأسامة بن لادن" لم تدهشه إلا قليلًا؛ إذ إن جون أونيل أكد أن مثل هذه العلاقات الوطيدة مع السعودية ظلت حتى شهر تموز ٢٠٠١ على خلاف ما تؤكده إشاعات ظاهرية تنطلق من بعضهم هنا وهناك. وعن هذا الموضوع فإن أونيل مع ذلك بدا متشائمًا جدًّا حيال ما رأى من تطور موضوعي للأمور، متهمًا القيادة "السياسية البحتة" لمكاتب إف بي آي سواء لدورها في هذا المجال أو على الصعيد الداخلي(٢).

---

(١) جان. شارل بريزار، غليوم داسكييه، مصدر سبق ذكره، ص ١٠ – ١١.

(٢) جان. شارل بريزار، غليوم داسكييه، مصدر سبق ذكره، ص ١١.

ومن المؤكد أن كيسنجر من خلال مراقبته للسلوك السياسي الخارجي للوكالة كان قد أدرك دورها في حرب فيتنام ومدى تورطها فيها بسبب معلومات خاطئة من قبلها، وهذا ما أشار إليه ماكس سكايدمور، وقد تكرر هذا الإخفاق من قبل الوكالة عندما واجه كارتر أزمة الرهائن الأمريكان في إيران بناء على معلومات خاطئة من الوكالة في المجال الاقتصادي والسياسي في إيران وعلى عهد الشاه، واعتمدت عليها لتنفيذ عملية إنزال جوي لإنقاذ الرهائن وإخفاق المحاولة على الرغم من تعاون سبعين شخصًا محترفًا معها في هذا المجال(١).

وتجدر الإشارة في هذا المجال إلى أن كيسنجر عندما كان مستشارًا في مجلس الأمن القومي وضع أجهزة تنصت على هواتف معاونيه من أجل ضبطهم والتأكد من عدم قيامهم بتسريب معلومات مهمة للصحف والكونغرس(٢).

أما مسئولية وزير الخارجية فإنها تختلف عن ذلك اختلافًا كبيرًا؛ فهو يجلس يوميًّا على رأس تشكيلة واسعة من العلاقات التي لا تنعكس دائمًا على جدول أعمال الرئيس أو على أعمال مجلس الأمن القومي(٣).

وحينما تسلم كيسنجر وظيفة وزير الخارجية في خريف ١٩٧٣ حاول تغيير هذه الخطة، وحاول أن يجعل من الخارجية أداة رئيسة في عملية صنع القرار، وقد ساعده في ذلك وظيفته كمستشار للأمن القومي، ذلك لأن الإفصاح عن السياسة الخارجية وإدارتها من وجهة نظر كيسنجر يجب أن تترك بشكل رئيس

---

(١) منصف السليمي، مصدر سبق ذكره، ص٢٠٤-٢٠٥.

(٢) توفلر، تحول السلطة بين العنف والثروة والمعرفة، مصدر سبق ذكره، ص٣٤٩.

(٣) كيسنجر، سنوات العصف، مصدر سبق ذكره، ص٧٠٦.

إلى مجلس الأمن القومي ووزير الخارجية، وأن إعداد الخيارات التي هي ما تقوم به الآلية عبر الوزارية بشكل رئيس تكون من صلاحية المستشار الأمني، لكنه لم يحقق نجاحًا في هذا المجال(١).

أدلى كيسنجر في شهادة له أمام لجنة العلاقات الخارجية التابعة لمجلس الشيوخ في أيلول ١٩٧٣ قائلًا: "يمكنني القول بأن الفكرة القائلة بأن هذا العمل هو غير اعتيادي، أما فيما إذا كان يعد غير قانوني، بكل سهولة لم تخطر ببالي أبدًا، كما أنني حسب معرفتي لا أعلم فيما إذا كان هذا العمل قد قامت به الإدارات السابقة أم لا(٢).

يقول كيسنجر في مذكراته: "إن ما جعلني أوافق على التنصت على الهواتف هو منع تعريض حياة المواطنين الأمريكيين والفيتناميين للخطر من قبل أشخاص يكشفون عن معلومات عسكرية، أو تنمو عليها لغرض إضعاف سياسات تم التوصل إليها بعد جهود مضنية"(٣).

---

(١) كان تأثير لجنة العلاقات الخارجية يوازي أهمية وزير الخارجية في الولايات المتحدة، فهو قناعتها في المؤسسة التنفيذية، وهو الشخص الذي يمكن تحميله المسئولية، وهو الشخص الذي تستطيع اللجنة أن تنقل إليه آراءها السياسية بانتظام، وعندما يكون ذا تأثير نافذ تؤدي اللجنة دورًا رئيسًا، وعندما يتضاءل دور وزير الخارجية كذلك يتضاءل دور اللجنة، ومع ذلك فإن الوزير واللجنة دائمًا في حالة تنافس بينهما. والحق، يتوجب على وزير الخارجية أن يحافظ على هامش من حرية التصرف للمؤسسة التنفيذية، وأما اللجنة فإنها تسعى حتى إلى فرض تصورات بعضهما، فعند ذلك يكون بوسعهما تعزيز بعضهما بشكل متبادل، ولكن إذا دفع وزير الخارجية أو اللجنة بمطالبها إلى حدها الأقصى فإن النتيجة تكون إنزال الشلل بالسياسة الخارجية. راجع: كيسنجر، سنوات العصف، مصدر سبق ذكره، ص٦٩٢.

(٢) سيمور هيرش، مصدر سبق ذكره، ٩٨-٩٩.

(٣) المصدر نفسه، ص٩٩.

والحق، قام كيسنجر بتكليف الجنرال هيغ بمتابعة هذا الموضوع، وعليه فقد قام الأخير بتحديد أسماء الأشخاص لمراقبة هواتفهم، وكان يراجع مكتب سوليفان[١] بصورة منظمة من أجل الاطلاع على هذه المحادثات، وهو الوحيد الذي كان بإمكانه إيقاف أعمال التنصت[٢] لإثبات ولائه لنيكسون، بل كوسيلة لمعرفة ولاء هؤلاء الموظفين له[٣].

بين ١٦ شباط ١٩٧١ و١٢ تموز ١٩٧٣ سجل الرئيس الأمريكي الأسبق نيكسون سرًّا أكثر من ٧٠٣ ساعات من لقاءاته ومحادثاته في البيت الأبيض وكامب ديفيد بوساطة ميكروفونات خفية تعمل بالصوت، واتخذ هذا القرار جزئيًّا للاحتفاظ بسجل يحميه من المذكرات التي سينشرها كيسنجر حتمًا[٤].

ألقى نيكسون باللوم على كيسنجر في التنصت على مساعدي البيت الأبيض لوقف التسريبات الصحافية "أمر هنري بالأمر اللعين كله"، قال الرئيس لسكرتيره الصحافي رونالد ل. زيغلر، في ١٤ أيار ١٩٧٣: "لقد أمر بالأمر كله، إذا كنت تصدقني فهو الذي كان يأتي إلى مكتبي متراقصًا في شأن أن هذا وذاك قد تم تسريبهما، وقلت: حسنًا، قد تم بالتحقيق بأولاد الزنا هؤلاء". قال الرئيس

---

(١) قتل وليان سوليفان في حادث إطلاق النار بالخطأ أثناء رحلة صيد قرب بيته في ولاية نيوها ميشاير في تشرين الأول ١٩٧٧؛ أي بعد أربع سنوات من تقاعده. راجع: المصدر نفسه، ص١٢٥.

(٢) قال سوليفان: إن مراقبة الهواتف لم تكشف عن أي دليل يدين أي موظف بارتكاب مخالفات أمنية، وقد تبين عدم وجود أي موظف يمكن اتهامه بعدم الولاء، أو عدم الإخلاص للوطن، بل كانوا غير موالين لكيسنجر، وكانوا يثيرون له المشاكل، وبدأ بعضهم في الاختلاف معه وعدم مسايرته". راجع: المصدر نفسه، ص١٢٥.

(٣) المصدر نفسه، ص١٠٦.

(٤) تيم واينر، مصدر سبق ذكره، ص ٧٩٧.

رافعًا صوته إلى درجة الصياح: وقد قرأ كل واحدة من هذه العبارات المتصنت عليها، وها قد استمتع بها وتمرغ بها"[١].

عاشرًا: كلينتون ووزارة الخارجية:

وعند فوز الرئيس كلينتون في انتخابات الرئاسة قام كلينتون بإدخال إصلاحات جديدة في داخل وزارة الخارجية؛ إذ عين فيها أشخاصًا لأسباب داخلية، وقيامه بتقليص ميزانية الخارجية إلى درجة أدت إلى عدم قيامها بالمهمات الملقاة على عاتقها[٢].

١ – أنموذج أفغانستان:

مرة أخرى جاء دور وزارة الخارجية الأمريكية في موضوع أفغانستان، في البداية لم يحرز المحافظون الجدد سوى تقدم متواضع في هذا الشأن، لكن مع بدء الولايات المتحدة عملياتها العسكرية بأفغانستان بدأت وزارة الخارجية ومجلس الأمن القومي الاجتماع سرًّا بدبلوماسيين إيرانيين بباريس وجنيف في تشرين الأول ٢٠٠١ برعاية الأخضر الإبراهيمي رئيس لجنة مساعدات الأمم المتحدة بأفغانستان، وبدأ الاتصالات السفير جايمس دوبنز مبعوث إدارة بوش

(١) المصدر نفسه، ص ٧٩٧.

(٢) فواز جرجس، مصدر سبق ذكره، ص٦٢.

يعتمد الرئيس الأمريكي السابق بيل كلينتون على المستشارين في مجلس الأمن القومي أكثر من اعتماده على وزارة الخارجية في الموضوع الخاص بالسياسة الخارجية، ولا ننسى في هذا المجال ما قام به مارتن أنديك مستشار الأمن القومي في تبني سياسة (الاحتواء المزدوج) الخاصة بالعراق وإيران، على الرغم من أن المسئولين في وزارة الخارجية أبدوا عدم ارتياحهم بهذه السياسة، إلا أنهم كانوا غير قادرين على عمل أي شي إزاءها. راجع: المصدر نفسه، ص٦٥.

الخاص بأفغانستان، وبدعم كامل من باول، قال دوبنز للإبراهيمي: إنه يرغب في الاجتماع بالإيرانيين. في غضون أيام قلائل اتصل مسئولون من وزارة الخارجية الإيرانية بدوبنز وعرضوا عليه مساعدتهم، كما حضر الاجتماعات التمهيدية وفود ألمانية وإيطالية لتوفير الغطاء السياسي لإيران والولايات المتحدة، حيث أعطى حضورهم المحادثات التي سرعان ما أطلق عليها اسم "قناة جنيف" مظهرًا متعدد الأطراف، لكن في الحقيقة كانت المناقشات ثنائية والاتصالات على أعلى مستوى بين مسئولي البلدين منذ فضيحة إيران – كونترا[١].

سارت المحادثات على نحو أفضل مما كان متوقعًا، وركزت المناقشات على كيفية إزاحة طالبان بفعالية، وكيفية تشكيل حكومة أفغانية بعد رحيل طالبان. لقد قدم الإيرانيون مساعدة كبيرة للولايات المتحدة في الحرب من غير أن يعرفوا شيئًا عما سيتكشف بعد النجاح بأفغانستان، لقد أدهش الدبلوماسيون الإيرانيون نظراءهم الأمريكيين والأوربيين بما لديهم من معارف وخبرات بشئون أفغانستان وطالبان، لم تكن المساعدة التي قدمتها إيران شكلية، فعرض الإيرانيون السماح للولايات المتحدة باستخدام قواعدهم الجوية، وعرضوا توفير قاعدة لتنفيذ مهام البحث والإنقاذ للطيارين الذين يتم إسقاط طائراتهم، وخدموا كجسر بين التحالف الشمالي والولايات المتحدة في قتال الطالبان، حتى إنهم استخدموا في قليل من المناسبات معلومات أمريكية للعثور على زعماء تنظيم القاعدة وقتلهم[٢].

---

(١) تريتا بارزي، مصدر سبق ذكره، ص ٣١٧.

(٢) تريتا بارزي، مصدر سبق ذكره، ص ٣١٧.

بالرغم من تكليف دوبنز بإجراء محادثات حول أفغانستان، أعدت مجموعة مغلقة من المسئولين المحيطين بباول رزمة سرية كاملة من الجزرات وعصا واحدة لعرضها على الإيرانيين؛ فعلى النقيض من البنتاغون آثرت وزارة الخارجية فتح قناة اتصال إستراتيجية مع إيران، وليس مجرد محادثات تكتيكية، وأدرك الدبلوماسيون الأمريكيون أن التعاون بشأن أفغانستان يمكن أن يتوسع ليشمل تنظيم القاعدة والمنظمات المسلحة الأخرى، وبناء على ذلك يمكن للولايات المتحدة وإيران توسيع تعاونهما على صعيد تقاسم المعلومات الاستخبارية، وتنسيق دوريات حدودية مكثفة لاعتقال مقاتلي تنظيم القاعدة الذين يريدون الوصول إلى باكستان وإيران، وعرف ريان كروكر، وكان عضوًا في طريق التفاوض الأمريكي ومكلفًا بمناقشة القضايا الهامة بأمر الرزمة، وكان كروكر -إلى جانب زملائه الذين يتفقون معه في الرأي بوزارة الخارجية- على استعداد لتنفيذ اقتراح باول على الفور في حال ما إذا وافق الرئيس عليه، لكن المتشددين في البيت الأبيض عملوا بجد لمنع الرئيس بوش الابن من المضي فيه. يقول ويلكرسون: "كان نائب الرئيس تشيني ووزير الدفاع دونالد رمسفلد هناك دائمًا لتخريب تعاوننا في أفغانستان إذا قطع شوطًا كبيرًا"[١].

٢ – أنموذج ليبيا:

من ناحية أخرى كان القليل من المسئولين الحكوميين الأمريكيين يعرفون عن القناة الخلفية للمفاوضات مع ليبيا، وكان بعض الأشخاص البارزين الذين لا يعرفون بأمر المحادثات السرية يريدون إذاعة خبر ضبط القطع[٢].

---

(١) تريتا بارزي، مصدر سبق ذكره، ص ٣١٨.

(٢) جورج تنيت بالاشتراك مع بيل هارلو، مصدر سبق ذكره، ص ٣٠٧.

يعود موضوع ضبط القطع إلى خريف العام ٢٠٠٣، حيث إن سفينة مسجلة في ألمانيا تدعى بي بي سي تشاينا، تحمل قطع أجهزة طرد مركزي متوجهة إلى ليبيا، وبعد أن عبرت قناة السويس عملت المخابرات المركزية الأمريكية على تحويل وجهة السفينة إلى ميناء تارانتو الإيطالي، حيث وصلت إلى هناك في ٤ تشرين الأول، وعثر المفتشون على قطع أجهزة طرد مركزي في حاوية طولها أربعون قدمًا مدرجة في بيان شحن السفينة بأنها "قطع آلات مستعملة"[(١)].

أوفد البريطانيون ضابطًا كبيرًا إلى ليبيا لإبلاغ العقيد معمر القذافي قبل أن يصل نبأ ضبط الشحنة إلى الصحف، وقد أكد الليبيون أن الشحنة كانت مرتبة قبل أن تبدأ المفاوضات السرية الحالية، وأن الأشخاص المسئولين عن مراقبتها لم يعملوا بأمر القرار الوشيك للتخلي عن أسلحة الدمار الشامل[(٢)].

ونتيجة لذلك بدأت كل من الولايات المتحدة وبريطانيا تجمع فرقًا من خبراء أسلحة الدمار الشامل الذين قد يتوجهون إلى ليبيا للتفتيش عن برامجها[(٣)].

وفي هذا الوقت بالذات كان وكيل وزارة الخارجية الأمريكية للحد من الأسلحة جون بولتون يعتزم عقد مؤتمر صحفي لذكر الحادثة كنجاح كبير "لمبادرة أمن الانتشار"، وهو برنامج أعلن عنه الرئيس بوش الابن قبل سنتين لتعزيز التعاون الدولي في الحد من شحنات الأسلحة غير القانونية[(٤)].

---

(١) المصدر نفسه، ص ٣٠٧.

(٢) المصدر نفسه، ص ٣٠٧.

(٣) المصدر نفسه، ص ٣٠٤.

(٤) جورج تنيت بالاشتراك مع بيل هارلو، مصدر سبق ذكره، ص ٣٠٧.

الأمر الذي دفع بمدير المخابرات المركزية الأمريكية جورج تنيت إلى الاتصال بريتشارد آرميتاج، وهو من القلائل في وزارة الخارجية المطلعين على نشاطات المخابرات المركزية الأمريكية، وطلب منه الإيعاز إلى بولتون بالتنحي جانبًا، وقد جاء الإيعاز غامضًا بالنسبة إلى بولتون، وأدى إلى اتصاله بكابس وتوبيخه على عدم التوجه إليه مباشرة[١].

تم تحديد موعد إعلان الاتفاق بين الأطراف المعنية في ١٩ كانون الأول وفق تنسيق مدروس، حيث يقوم العقيد القذافي بالإعلان أنه قرر التخلي عن برامج أسلحة الدمار الشامل، وبعد ذلك يدلي رئيس الوزراء البريطاني بتعليقات علنية يرحب بها بتلك الأخبار، تليها ملاحظات من الرئيس بوش الابن[٢].

بهذا الخصوص يقول جورج تنيت: "كنا نخشى من احتمال أن يلغي القذافي الاتفاق بأكمله بسبب الإحراج إذا أطلق المسئولون الأمريكيون لغة الهجوم المعهودة والمستحقة على ليبيا"[٣].

من ناحية أخرى أراد رمسفلد[٤] وولفويتز أن يثيرا مسألة القيام بأعمال

---

(١) المصدر نفسه، ص ٣٠٧ – ٣٠٨.

(٢) المصدر نفسه، ص ٣١٠.

(٣) المصدر نفسه، ص ٣٠٧.

(٤) لشخصية وزير الدفاع ومساعديه في الولايات المتحدة أدوار حاسمة في عملية صنع القرار كما هو الحال مع رمسفلد وبول وولفيتز. راجع: Time , 12-2-2004. تجدر الإشارة في هذا المجال إلى أن دوغلاس فيث وكيل وزارة الدفاع لشئون السياسات في البنتاغون وموظفيه تجاهلوا خطة عمل وزارة الخارجية في العراق ما بعد الحرب التي استغرق إعدادها عامًا كاملًا، وحالوا دون السماح لكبير المخططين في وزارة الخارجية توماس واريك بالتوجه إلى العراق، وكان =

سريعة بشكل أو بآخر ضد العراق، وكان باول وآرميتاج يعتقدان أن الرد الأمريكي على أحداث ١١ أيلول يجب أن يتركز بالتحديد على أفغانستان والقاعدة. وقد قوم موظفو وزارة الخارجية الأمريكية أن حلفاء وأصدقاء الولايات المتحدة في الخارج سيرتاحون أكثر إذا قامت الولايات المتحدة بتوجيه ضربات عقابية ضد مرتكبي أحداث ١١ أيلول بدل حرب شاملة ضد عناصر القاعدة والدول الداعمة لهم. إن حملة من العقوبات ذات النطاق الضيق ستكون أكثر تجانسًا مع سياسة الولايات المتحدة التقليدية في مقاومة الإرهاب بتطبيق القانون فقط[1].

يتضح مما تقدم أن هناك هبوطًا ملحوظًا بدور وزارة الخارجية الأمريكية في عملية صنع القرار أمام تنامي قوة الأخيرة الاستخباراتية في حقبة الحرب الباردة،

= واريك قد جند نحو ٢٤٠ منفيًّا عراقيًّا في أوروبا والولايات المتحدة ممن لديهم خبرات في مجالات القانون الجنائي والاقتصاد والنفط. والحق، لم يكن فيث وغيره من الصقور في البنتاغون يريدون تدخل وزارة الخارجية. راجع: هالبر، مصدر سبق ذكره، ص٢٩١.وف. ي. كرلوف، مصدر سبق ذكره، ص ٩٧.

(١) دوغلاس ج. فايث، مصدر سبق ذكره، ص ٦٩ – ٧٠.

يقول وزير الدفاع روبرت غايتس: "كانت خبرتي دائمًا، بعكس الحكمة السائدة، أن وزارة الخارجية هي التي كانت في معظم الأحيان تسعى إلى استعمال القوة، ووزارة الدفاع هي التي كانت في أكثر الأحيان تسعى إلى استعمال الدبلوماسية الـ" سي. آي. أيه" لم ترد قط استخدام التحرك السري، كل منهم كان يريد من الآخرين أن يقوموا بالعمليات. وفي هذا المعنى قال غايتس في جلسة التثبيت أمام لجنة القوات المسلحة في مجلس الشيوخ في ٥ كانون الأول ٢٠٠٦: "يتعلم الضباط العسكريون الكبار في الكليات الحربية أن حل المشاكل الإستراتيجية يتطلب كل أجهزة السلطة الوطنية، وكلهم يعرفون ألا يعتقدوا أو ما هو أبشع أن يصرحوا علنًا بأن مشكلة هامة يمكن أن تحل بالقوة فقط". راجع: المصدر نفسه، ص ٥٣١.

بدليل أن البنتاغون والمخابرات ومجلس الأمن القومي قد همشوا وزارة الخارجية في عدد من المسائل ومنها عدد المستخدمين وموارد الميزانية. إن هذا يمكن تفسيره في الآتي[1]:

١. بدأت الإدارة الأمريكية تتصرف وكأنها وزارة خارجية أيضًا، وفي هذا المجال يقول روجرز[2]: لقد أدركت أن نيكسون أراد أن يكون قائدًا لسياسته الخارجية ولم يرغب في أن يشاركه أحد في ذلك الدور".

٢. أصبحت الخارجية الأمريكية تماثل معنى (الخمول البيروقراطي)؛ لعدم مواكبتها الابتكار بصورة جيدة، دين راسك عندما كان وزيرًا للخارجية وهو يصف سنوات وزارة الخارجية على عهد كيندي وجونسون.

٣. انتقدت الخارجية الأمريكية بسب ارتباطها بمكافأة الالتزام وتقبل النظام وعدم وجود التخطيط فيها.

٤. عدم مواكبة موظفي الخارجية مع التقنيات الحديثة الملحة كالتدريب الاقتصادي، وعدم تعاملهم مع المتغيرات الدولية.

وقد عبر عن هذه الحقائق جميعًا الدبلوماسي الأمريكي السابق جورج بول قائلًا: "إن السمعة السيئة التي لحقت بوزارة الخارجية في عدة جهات ناتجة جزئيًّا

---

(١) فواز جرجس، مصدر سبق ذكره، ص٦٢-٦٣.

(٢) أعطى نيكسون صلاحيات لروجرز وزير الخارجية بمعالجة القضايا الخاصة بالشرق الأوسط، وهي المنطقة الوحيدة التي عهد إليه بمسئولية القيام بها، ولكن في الوقت نفسه كان نيكسون وكيسنجر ينويان وضع هذه المنطقة تحت سيطرتهما. والحق، كان روجرز يتمتع بالسلطة من الناحية الشكلية فقط. راجع: سيمور هيرش، مصدر سبق ذكره، ص٩١.

من حقيقة أنها كانت لمدة طويلة كبش الفداء لكل فشل في المجال السياسي، بينما ادعى الرؤساء النجاح لأنفسهم دائمًا، فإنه من الأمور التقليدية أن يعلن البيت الأبيض كل الأحداث السياسية الخارجية السعيدة، بينما يترك الأخبار السيئة لكي تنقلها وزارة الخارجية"(١).

الحادي عشر: الصراع بين وزارة الخارجية والدفاع في قرار غزو العراق:

أكد بوش على الدوام أن عليه ترك إدارة الحرب إلى الجنرالات، وكما قال عام ٢٠٠٢، فإن المشكلة في أثناء حرب فيتنام(٢) تمثلت في "إدارة الحكومة للحرب بكل تفاصيلها الدقيقة" – البيت الأبيض ووزير الدفاع روبرت مكنمارا كليهما(٣).

---

(١) د. فواز جرجس، مصدر سبق ذكره، ص٦٣-٦٤.

(٢) في أثناء حرب فيتنام كان بوش الابن طيارًا (على طراز إف ١٠٢) في الحرس الوطني في تكساس، مع أنه لم يشارك قط في أية عملية قتالية، قال: "أتذكر أصدقائي الطيارين الذين قالوا: إنهم لا يستطيعون عبور ثود ريدج (ممر جوي سلكته المقاتلات الأمريكية للوصول إلى هانوي) إلا في أوقات معينة، وكان الفيتناميون يعرفون موعد قدومهم. راجع: بوب ودوارد، الحرب الداخلية التاريخ السري للبيت الأبيض بين عامي ٢٠٠٦ – ٢٠٠٨، مصدر سبق ذكره، ص ١٢٩.

(٣) المصدر نفسه، ص ١٢٩.

أقر وزير الدفاع الأسبق روبرت مكنمارا أحد مهندسي حرب فيتنام في كتابه "بالنظر إلى أحداث الماضي" بأخطاء الماضي، واستنتج أن الولايات المتحدة كان بإمكانها الانسحاب من فيتنام في وقت أبكر دون أن تسبب هذه الواقعة لأمنها القومي، فلم توضع الاختلافات الكبرى على حرب فيتنام على الطاولة أمام الرئيس جونسون، خصوصًا في حضور كبار مستشاريه كلهم، ولم يعبر سوى قلة قليلة منهم عن تحفظاتهم، ولم يسع الرئيس إليها أصلًا. يقول مكنمارا في =

عد بوش الابن إدارة الحرب بتفاصيلها الدقيقة كلها من البيت الأبيض خطًّا أحمر لا يتجاوزه، وكانت كلمات الجنرالات وآراؤهم مقدسة تقريبًا ولا يمكن تحديها، ولم يكن يرغب في انتقادها، بل اعتاد أن يسألهم بانتظام: هل يملكون كل ما يحتاجون إليه؟[1].

في هذا المجال أدرك باول[2] وآرميتاج[3] أن البيت الأبيض كان يرى وزارة

=

هذا المعنى: "أنا متيقن تمامًا من أن معظم الزعماء يرغبون في تجنب المواجهة بين كبار مساعديهم خصوصًا أمامهم، وهذه نقطة ضعف خطرة، وأعتقد أن على كل زعيم إجبار كبار معاونيه على مواجهة القضايا الكبرى أمامه. الرؤساء يريدون الانسجام ويبتعدون عن النزاع والمواجهة، وأعتقد أن ذلك يسبب ضررًا وأذى".

قال مكنمارا: إنه كان مواليًا لليندون جونسون ومخلصًا له آنذاك عبر اتباع سياسة الرئيس المتعلقة بالحرب. "حين أنظر إلى الماضي أتمنى لو كنت أكثر إلحاحًا وعزمًا على إجبار جونسون على التصدي لهذه القضايا". وحين أعلن استقالته عام ١٩٦٧ قال: "أحجمت في النهاية عن فضح الاختلافات القائمة؛ فقد أقلقني خروجها عن السيطرة، وأقلقني أنها ستجعل وظيفة الرئيس أكثر صعوبة؛ لأن المذكرات السرية الداخلية تشير أساسًا إلى أننا نخسر الحرب". راجع: بوب ودوارد، الحرب الداخلية التاريخ السري للبيت الأبيض بين عامي ٢٠٠٦ – ٢٠٠٨، مصدر سبق ذكره، ص ٥٤٨.

(١) بوب ودوارد، الحرب الداخلية التاريخ السري للبيت الأبيض بين عامي ٢٠٠٦ – ٢٠٠٨، مصدر سبق ذكره، ص ١٢٩

(٢) في عمر الـ٦٤ كان باول قد جلس على ثلاثة مقاعد في غرفة العمليات في البيت الأبيض: مستشار الأمن القومي للرئيس ريغان لمدة سنة، ثم رئيس الأركان المشتركة للرئيس بوش الأب خلال حرب الخليج الثانية، ووزير خارجية بوش الابن في الأشهر التسعة الأخيرة. راجع: بوب ودوارد، بوش محاربًا، مصدر سبق ذكره، ص ٣٣.

(٣) ريتشارد آرميتاج، خريج الأكاديمية البحرية سنة ١٩٦٧، رجل رياضي قوي البنية، خدم أربع دورات في فيتنام، وتخصص بالشئون الآسيوية، ثم عمل مساعدًا لوزير الدفاع في إدارة ريغان.

=

الخارجية ودبلوماسييها عوامل تهدئة، ولم يكن تشيني رمسفلد ورايس إلى حد ما مستعدين لتمكين الخارجية من الانخراط في العمل الدبلوماسي؛ لأن مثل

=

يستهجن الكلام الدبلوماسي الذي يتفوه به أصحاب السراويل الفاخرة والبدلات المقلمة، وكان صديقًا حميمًا لكولن باول، وكان باول يقول عنه: "إنني آمنه على حياتي وأولادي وسمعتي وكل ما أملك". ويعتقد الكثيرون أن شخصية رامبو المعروفة كان أساسها آرميتاج هذا. وكان خصمًا بالسر لخطة أحمد جلبي المعادة، وفي هذا الشأن يقول سيمور هيرش: "في ذلك الوقت قال لي صديق مشترك لهؤلاء الثلاثة: "أعتقد أن وولفوتيز وفيث غاضبان من آرميتاج، هما يشعران بأنه خان قناعة أساسية تشاركوها". واحد من مؤيدي آرميتاج في المنظرة الداخلية، وهو موظف مخابرات سابق رفيع المستوى تساءل مستهزئًا عما إذا كانت حماسة حلقة بيرل لخطة جلبي نشأت من قلقهم لقرار إدارة بوش الأب في أوائل عام ١٩٩١ بعدم السعي نحو إزالة الرئيس العراقي السابق صدام حسين عند نهاية حرب الخليج الثانية. قال في مقابلة في أواخر عام ٢٠٠١: "إنه انتقام المغفلين.. لقد فازوا في أفغانستان عندما قال الجميع بأن ذلك لن يجدي نفعًا، وهذا ما قد وضعهم في مزاج مغرور مفعم بالنشاط، لقد وقفوا ضد الخبراء الرسميين لأوضاع الشرق الوسط الذين قالوا بأن ذلك سيؤدي إلى عصيان كبير في المملكة العربية السعودية ومناطق أخرى، وكل من يعظ الآن بأسلوب حل المشكلات بالدبلوماسية يكون موضع استهزاء، هم كلهم يحالفهم الحظ فقط فيقومون بشيء جيد". لم يأخذ آرميتاج بعين الاعتبار لهفة المجلس التشريعي الوطني العراقي لمواجهة الرئيس العراقي السابق صدام حسين. وفي هذا الشأن يقول سيمور هيرش: "لقد قال لي الموظف السابق: ليس لدينا أدنى فكرة عما قد يحدث إذا استولى المتحمسون على البلاد، فالشيطان الذي نعرفه هو أفضل من ذلك الذي نجهله". ووصف آرميتاج بأنه كان واثقًا في تلك المرحلة من أنه يستطيع الوقوف في وجه الخطة محبطًا بسبب المدة الطويلة التي اضطر أن يقضيها في هذه القضية، وأضاف: "ديك يقول: لا مجال لذلك، فسوف يربح المعركة، وإلا فإنه يعرف أنها ستكون كارثة سياسية". راجع: المصدر نفسه، ص ٣٣. وكوندوليزا رايس، مصدر سبق ذكره، ص ٢٢. وسيمور هيرش، القيادة الأمريكية العمياء الطريق من ١١ أيلول إلى سجن أبو غريب، مصدر سبق ذكره، ص ١٦٣ – ١٦٤.

هذا العمل كان يعد ضعفًا. قال آرميتاج مرة لباول: ليست فكرتهم عن الدبلوماسية سوى أن يقال: "اسمع يا داعر، افعل ما نريده"(١).

ومع ذلك لم يكن أمام الولايات المتحدة خيار آخر سوى الانخراط في العمل الدبلوماسي؛ لأن العراق قد استهلك قدرًا مفرطًا من الاهتمام، المال والقوة العسكرية والجهد السياسي، كما كان باول قد حذر الرئيس بوش الابن قبل الحرب بستة أشهر. كادت الدبلوماسية أن تكون الأداة الوحيدة الباقية للتعامل مثلًا مع كوريا الشمالية وإيران(٢).

إن التدخل الأمريكي في العراق أمر مأساوي شاذ في هذا السياق، ولكن من الجدير بالذكر أن لدى التسويق للاجتياح -أي قبل حدوث الحرب- عمدت جميع الأفكار الأساسية من فكرة الهجوم المباغت إلى فكرة تشكيل قوة الاجتياح نفسها إلى بعث رسالة مفادها أن دخول البلاد قادرة على تجنب أنواع التكاليف المذكورة أعلاه، وكما تبين بالطبع ظهرت مجموعة مختلفة من الدروس أثبتت صحة النقطة السابقة، حيث اكتشفت الولايات المتحدة أن الحرب المنخفضة التكاليف نادرة الوجود، وأن الخصوم الذين يشعرون أن ليس لديهم الكثير ليخسروه، وفي الوقت نفسه لديهم الاستعداد لخسارة كل شيء، يمكن لهم أن يكونوا فتاكين ويصعب التغلب عليهم. وعلى نحو متناقض في ظل معظم الظروف في عالمنا اليوم تعد القوة سلطة الأضعف(٣).

---

(١) بوب ودوارد، حالة إنكار حرب بوش، مصدر سبق ذكره، ص ٤١٢.

(٢) المصدر نفسه، ص ٤١٢.

(٣) دافيد ج. روثكوبف، مصدر سبق ذكره، ص ١٤٤.

في اجتماع لمجلس الأمن القومي عقد قبل نحو ثلاثة أشهر من الحرب على العراق سأل الرئيس بوش الابن، الجنرال طومي فرانكس: ما الذي سيفعله بشأن الأمن والقانون والنظام في المناطق الخلفية؟ قال فرانكس للرئيس بوش: "جرى الاهتمام بالأمر يا سيدي، سأعين ضابطًا أمريكيًّا يتولى شئون كل مدينة وبلدة وقرية"[١].

قبل نشوب الحرب في العراق أعد موظف في مجلس الأمن القومي تقديرًا لعدد القوات المطلوبة لإقرار الوضع في العراق بعد الحرب[٢]، وكان الجواب:

---

(١) جورج تنيت بالاشتراك مع بيل هارلو، مصدر سبق ذكره، ص ٤٢٨.
يقول المراسل الاستخباري لصحيفة نيويورك تايمز العتيق: "إن رمسفلد كان يطرد أي شخص من مكتبه يدعي أنه يعرف قبل الحرب ما ستكون عليه أحوال العراق بعد الحرب. إن موظفي الإدارة فشلوا في صنع خطط بعد الحرب، وإننا أقنعنا أنفسنا أن لا خطط كانت مطلوبة لتلك المدة". راجع: دوغلاس ج. فايث، مصدر سبق ذكره، ص ١٣٦.

(٢) يقول ديك تشيني في مذكراته: "رد فعلنا على انتفاضة الشيعة في عام ١٩٩١ كان نابعًا في جزء منه من تصور خاطئ لشيعة العراق، تصور كان سيستمر بعناد حتى دخولنا ثانية في مجابهة مع صدام عام ٢٠٠٣، كثيرون في الإدارة الأمريكية ولا سيما في وزارة الخارجية يرون شيعة العراق حلفاء طبيعيين لإيران، الذي هو الآخر بلد شيعي بأكثريته الساحقة، فالإيرانيون فرس والعراقيون عرب، ولكن وزارة الخارجية ترى الروابط الطائفية بين المسلمين الشيعة أقوى من الروابط الثقافية بين العرب. قامت هذه النظرة على إغفال حقيقة أن آلافًا من شيعة العراق كانوا قد قاتلوا إيران طوال ثماني سنوات في الحرب الإيرانية – العراقية، كذلك يقوم التقسيم بين الفرس والعرب على أساس غير صحيح بنظري، غير أن مسارعة إيران إلى التعبير عن تأييد مكشوف للانتفاضات في ١٩٩١ بدت مؤكدة صحة وجهة نظر وزارة الخارجية حول الوضع، وسلطت الضوء على مدى تعقيد الخيارات التي كنا نواجهها". راجع: ديك تشيني مع ليز تشيني، مصدر سبق ذكره، ص ٢٥٦.

١٣٩,٠٠٠ إذا كان النموذج أفغانستان، وأكثر من ٣٦٠ ألف إذا كان النموذج البوسنة، و٥٠٠,٠٠٠ على الأقل إذا كان النموذج كوسوفو[١].

لم ينكر نائب وزير الخارجية ريتشارد آرميتاج[٢] تهديدات النظام السياسي العراقي السابق بشأن سلامة مناطق حظر الطيران، وقدرة مجلس الأمن على تنفيذ إجراءاته الاحتوائية وذلك القلق، ولكنه حاول التقليل من شأنهما، وكان نائب مدير الـ"سي. آي. أيه" جون ماكلوين غالبًا ما يرمي بثقله لجهة آرميتاج من المناقشات، وولفويتز وسكوت ليبي شددا على أن النظام العراقي مشكلة لن تضمحل وربما أصبح من الأصعب التعامل معها، فالعراق يملك كميات هائلة من الأموال السائلة وسيكون لديه أكثر بكثير في غياب القيود متى رفعت العقوبات، ومن وجهة نظرتهما فإن الرئيس العراقي السابق صدام حسين يعد نفسه مظلومًا، خاصة من قبل الولايات المتحدة، ويبقى عنيفًا وطالبًا للثأر، وقد شكل تهديدًا للكويت والمملكة العربية السعودية والأردن وإسرائيل وغيرها من الدول في المنطقة[٣].

لقد أثبت بوش مدى السلطة القائمة التي يتمتع بها منصبه من خلال قراره بشن حرب شاملة على ما يسمى بالإرهاب واجتياح دولتين دون الحصول مطلقًا

---

(١) جورج تينيت بالاشتراك مع بيل هارلو، مصدر سبق ذكره، ص ٤٢٨.

(٢) إن آرميتاج الذي افتخر بنفسه لمساعدته في وضع سياسة الدفاع للإدارة الجديدة، عليه أن ينظر من الخارج كيف تبنى رمسفلد برنامج السيداتل (القلعة) كبرنامجه الشخصي. أمضى آرميتاج سنوات وهو يحضر نفسه ليكون نائبًا لوزير الدفاع، فكان إخفاقه في ذلك صدمة قاسية له، وأخذ مهمة نائب وزير الخارجية كولن باول كنوع من المواساة. راجع: آندرو كوكبرن، مصدر سبق ذكره، ص ١٢٢.

(٣) دوغلاس ج. فايث، مصدر سبق ذكره، ص ٢٤٣.

على إعلان حرب من الكونغرس. حينما ينضم إلى رئيس أمريكي في الحكم كونغرس يسيطر عليه حزبه، كحال بوش خلال السنوات الأولى من حكمه، تصبح السلطة الاستثنائية أكثر قوة، وفي بعض الأحيان تمسي غير قابلة للتحدي، ولا يمكن للاعتراض الدولي على تصرفاته أو اعتراض أغلبية الأمريكيين على سياساته أن يردع شاغل هذا المنصب في ظل هذه الظروف، ليس ثمة مقياس للسلطة الحقيقية أصدق من القدرة على فرض إرادة المرء على أفراد معارضين، أو كما فعل بوش، على عالم معارض. قال مراقب جمهوري بارز في واشنطن: "هذه هي إدارة بوش الابن، بالتأكيد كان الدور الذي لعبه نائب الرئيس تشيني ودونالد رمسفلد كبيرًا، ولكن كل ما فعلاه، والدور الذي لعبه كل منهما، والمدى الذي سمح لهما بالوصول إليه، كله كان بقرار من الرئيس في نهاية المطاف، وحتمًا هو يتحمل مسئولية النتائج"[(١)].

إن سلطة الرئيس المعاصر، وبخاصة حينما يتعلق الأمر بالشئون الخارجية، هي بكل وضوح ليست ما خطر على بال المؤسسين الأمريكيين، حينما قال جون آدامز: "الخطر قد يتأتى من جميع البشر، يجب أن يكون المبدأ الوحيد للحكومة الحرة عدم الثقة برجل يمتلك سلطة تعريض الحرية العامة للخطر"[(٢)].

على مر الزمن أبرز الرؤساء الأمريكان تفوقهم السلطوي بطرق شتى، من التوسيع التدريجي للفرع التنفيذي والموازنة، وبالتالي النفوذ المرتبط بهما، إلى تعديل المفاهيم مثل "الامتياز التنفيذي". إن هذه التحركات لتدعيم السلطة فيما

---

(١) دافيد ج. روثكوبف، مصدر سبق ذكره، ص ٢٣٣.

(٢) المصدر نفسه، ص ٢٣٣.

تُؤْثِر إدارة بوش تسميته "السلطة التنفيذية الوحدوية" تقوم بكل فعالية بما كان يعد محرمًا من قبل المؤسسين الأمريكيين: ضعوا الرئيس وأعضاء مكتبه فوق القانون من خلال منع سلطة الكونغرس من التحقيق معهم. وبالتأكيد أثبت دوريًّا قادة الكونغرس الأمريكيون من جهتهم أنهم شديدو التقلب ومحدودو الاطلاع ومؤثرون لمصالحهم ومتحيزون، وفي أغلب الأحيان أسوأ بكثير من ناحية احترام القانون، لدرجة أن الرؤساء استفادوا من دعم شعبي هائل لأجل توسيع دور المسئول التنفيذي البارز وامتيازاته. ليس ثمة شيء يعزز سلطة الرئيس بقدر الهيئات التشريعية الضعيفة[١].

والحق، تزايدت أهمية البنتاغون الأمريكي على عهد وزير الدفاع رمسفلد، حيث أبلغ الأخير -وهو نفسه من قدامى مقاتلي الحرب الباردة- فريقه الجديد "ربما بدا هذا الخصم الجديد أشبه بالاتحاد السوفيتي، لكن هذا الخصم قد سقط: فأعداؤنا اليوم أكثر غموضًا وألد عداوة، ربما تفكرون في أنني أصف واحدًا من آخر الديكتاتوريين الجلاوزة في العالم، لكن أيامهم أيضًا تكاد تنتهي ولا يمكنهم موازاة هذا الخصم قوة وحجمًا، هذا الخصم أكثر قربًا من الديار، إنه بيروقراطية البنتاغون". ودعا رمسفلد إلى تحول على نطاق واسع في إدارة البنتاغون، وإلى إحلال أنموذج جديد مكان البيروقراطية القديمة لوزارة الدفاع، يرتكز على القطاع الخاص. المشكلة، قال رمسفلد هي أنه على عكس الأعمال "لا يمكن للحكومات أن تموت، ولهذا علينا أن نجد حوافز أخرى للبيروقراطية للتكيف والتحسن". وأعلن أن المخاطر فظيعة: "مسألة حياة كل أمريكي أم موته في النهاية".

---

(١) دافيد ج. روثكوبف، مصدر سبق ذكره، ص ٢٣٣ – ٢٣٤.

وفي ذلك اليوم أعلن رمسفلد عن مبادرة رئيسة لتمهيد الطريق أمام استخدام القطاع الخاص في شن حروب الولايات المتحدة، وتوقع أن تواجه مبادرته بمقاومة عنيفة "وربما يسأل البعض: كيف يمكن وزير الدفاع أن يهاجم البنتاغون أمام أناسه؟" قال رمسفلد لمستمعيه: "وأجيبهم بأنه لا رغبة لي في مهاجمة البنتاغون، أريد تحريره، نريد إنقاذه من نفسه"[١].

تقول كوندوليزا رايس في مذكراتها: "رمسفلد معروف عنه شدته كمقاتل بيروقراطي، وأنه يعرف أين تمطر الأشياء داخل البنتاغون، وهو قادر على تنفيذ تحويل قواتنا العسكرية لما بعد الحرب الباردة التي كنا بحاجة ماسة لها"[٢].

في كانون الأول عام ٢٠٠٢، أرسل رمسفلد مذكرة "كسفة ثلج" يقول فيها: "إنني لست جزءًا من التسلسل القيادي"، وهي حقيقة كنت أعرفها جيدًا، وإنني إن لم أكف أنا أو من يعمل في مكتبي عن "الإرشاد والتكليف بالمهام" إلى القادة العسكريين وهيئة الأركان المشتركة فسوف يرفع احتجاجاته للرئيس"[٣].

ولكن مع كل هذه القوة لرمسفلد يتعرض البنتاغون لهجوم فعلي عندما صدمت طائرة البوينغ ٧٥٧ الرحلة ٧٧، التابعة للخطوط الجوية الأمريكية، جداره الغربي. واشتهر رمسفلد بأنه ساعد عمال الإنقاذ على سحب الجثث من الركام، ولم يستغرق رمسفلد زمنًا طويلًا لاستغلال الفرصة التي قد لا تخطر

---

(١) جيريمي سكاهيل، بلاكووتر أخطر منظمة سرية في العالم.. مرتزقة يقررون مصائر دول وشعوب.. أياد نافذة في غرف الحكم بواشنطن، ط٣، شركة المطبوعات للتوزيع والنشر، بيروت، ٢٠١٠، ص١٣ – ١٤.

(٢) كوندوليزا رايس، مصدر سبق ذكره، ص ٤٠.

(٣) المصدر نفسه، ص ٤٠.

بالبال، والتي وفرها الحادي عشر من أيلول، لوضع حربه الشخصية -التي عرضها قبل يوم واحد بالضبط- على خطة التنفيذ السريع. تغير العالم بطريقة لا يمكن عكسها، وتحول في لحظة مستقبل القوة العسكرية الأعظم في العالم إلى حصيرة قماش بيضاء، وصار في بإمكان رمسفلد وحلفائه أن يرسما عليها "تحفتهم". وستعتمد سياسة البنتاغون الجديدة بشدة على القطاع الخاص، وتشدد على الأعمال السرية، وأنظمة الأسلحة المتطورة، واستخدام أكبر للقوات الخاصة والمقاولين. صار الأمر يعرف بـ"عقيدة رمسفلد"، وفي هذا المجال كتب رمسفلد مقالة في صيف من العام ٢٠٠٢ في "فورين أفيرز" بعنوان "تحويل الجيش" جاء فيها: "علينا تسويق مقاربة أكثر مقاولة: مقاربة تشجع الناس على أن يكونوا فاعلين لا منفعلين، والتصرف بدرجة أقل كبيروقراطيين، وأكثر كرأسماليين "غامسين"، وفتحت مقاربة "آثار الأقدام الصغيرة" لرمسفلد الباب لواحد من أكثر التطورات مغزى في العمليات الحربية الحديثة: الاستخدام الواسع للمقاولين الخاصين في كل مظهر من مظاهر الحرب، بما في ذلك القتال[(١)].

من بين أولئك الذين تلقوا دعوات مبكرة من الإدارة للانضمام إلى "الحرب الشاملة على الإرهاب" التي ستدار وفقًا لعقيدة رمسفلد، شركة صغيرة غير معروفة كثيرًا تعمل في مخيم تدريب عسكري خاص على مقربة من غريت ديسمال سوامب في كارولينا الشمالية، اسمها "بلاكووتر يو. أس. أيه"، وبين ليلة وضحاها تقريبًا غداة حادثة ١١ أيلول ستصبح شركة بالكاد كانت موجودة منذ أعوام قليلة سابقة لاعبًا مركزيًّا في الحرب الشاملة التي تشنها أقوى قوة في العالم". مضى علي حتى الآن أربعة أعوام وأنا أعمل في مجال التدريب، وبدأت

---

(١) جيرمي سكاهيل، مصدر سبق ذكره، ص ١٤ – ١٥.

أصبح متهكمًا بعض الشيء بالجدية التي يأخذ بها الناس الأمن". قال مالك شركة بلاكووتر أريك برانس لمضيف محطة "فوكس نيوز" بيل أوريللي بعد وقت قصير من الحادي عشر من أيلول: "وها إن الهاتف يرن من دون توقف الآن"[١].

لكن قصة بلاكووتر لا تبدأ في ١١ أيلول، أو حتى مع مديريها ومؤسيسها، فهي بطرائق عدة توجز تاريخ العمليات الحربية الحديثة، والأكثر من ذلك أنها تمثل تحقيق عمل حياة المسئولين الذين شكلوا لب فرق حرب إدارة بوش[٢].

إبان حرب الخليج الثانية في العام ١٩٩١ تولى ديك تشيني حليف رمسفلد الوثيق منصب وزير الدفاع، وكان واحدًا من عشرة من الذين نشروا في منطقة الحرب من المقاولين الخاصين، وهي نسبة قرر تشيني بإصرار تمريرها، وعهد تشيني قبل رحيله بدراسة إلى قسم من الشركة التي سيترأسها في النتيجة، وهي هاليبرتون، حول كيفية خصخصة سريعة للبيروقراطية العسكرية، وبين ما يقرب ليلة وضحاها ستنشئ هاليبرتون لنفسها صناعة تلبي حاجات العمليات العسكرية الأمريكية مع إمكانيات كسب غير محدود على ما يظهر[٣].

في أيلول ٢٠٠٠، وقبل شهر على تشكيل أعضائه لب البيت الأبيض لبوش، نشر مشروع القرن الأمريكي الجديد تقريرًا سمي "إعادة بناء دفاعات أمريكا: القوى والموارد لقرن جديد"، واعترف التقرير في وضعه رؤية مشروع القرن الأمريكي الجديد لإصلاح آلة الحرب الأمريكية إصلاحًا شاملًا بأنه: "من

(١) المصدر نفسه، ص ١٥.

(٢) جيرمي سكاهيل، مصدر سبق ذكره، ص ١٥.

(٣) المصدر نفسه، ص ١٥ – ١٦.

المتوقع أن تكون عملية التحول، حتى ولو أحدثت تغييرًا ثوريًا، عملية طويلة، في غياب حدث كارثي أو محفز، مثل "بيرل هاربر" جديدة". بعد سنة، وفي الشهر نفسه، ستوفر هجمات الحادي عشر من أيلول هذا المحفز، وهو تبرير لا سابق له للمضي قدمًا في الروزنامة الراديكالية التي قولبها مالك صغير من العملاء السريين المحافظين الجدد تولوا للتو سلطة رسمية[١].

وعندما اندفعت الدبابات الأمريكية إلى بغداد في آذار ٢٠٠٣ جاءت معها بأكبر جيش من المقاولين الخاصين لم يجر نشره من قبل في حرب، وبانتهاء مدة إشغال رمسفلد لوظيفته قدر وجود مائة ألف مقاول خاص على الأرض في العراق -ما يقارب نسبة واحد إلى واحد مع الجنود الأمريكيين في الخدمة الفعلية- مما شكل اغتباطًا كبيرًا للصناعة الحربية وقبل تنحي رمسفلد اتخذ خطوة استثنائية بتصنيف المقاولين الخاصين جزءًا رسميًا من آلة الحرب الأمريكية. وفي مراجعة الأعوام الأربعة للبنتاغون في ٢٠٠٦ أوجز رمسفلد ما أسماه "خارطة طريق التغيير" في وزارة الدفاع، التي قال: إنها بدأت في ٢٠٠١. وقد حددت "القوة الشاملة للوزارة" بـ"مكوناتها العسكرية في الخدمة الفعلية وفي الاحتياط، وموظفيها المدنيين، ومقاوليها الذين يشكلون قدراتها وإمكانياتها في خوض الحرب. ويخدم أعضاء القوة الشاملة في آلاف المواقع حول العالم، مؤيدين مروحة واسعة من الواجبات لتنفيذ مهمات حرجة"[٢].

بينما ولدت الحرب على ما يسمى بالإرهاب واحتلال العراق عددًا كبيرًا من الشركات، فإن عددًا قليلًا منها إذا وجد اختبر مثل هذا الصعود السريع كالبرق

(١) جيريمي سكاهيل، مصدر سبق ذكره، ص ١٦ – ١٧.

(٢) المصدر نفسه، ص ١٨.

والاستفادة والمركز المرموق الذي اختبرته بلاكووتر[١].

إن بلاكووتر قامت على أكتاف شخصيات أمريكية تمثل الثلاثية القديمة: التاجر، والمبشر، والعسكري، مع تغيير قليل، وهو أن التاجر هنا هو أيضًا مبشر من اليمين المسيحي المتطرف، والعسكري هنا هو أيضًا مبشر من اليمين المسيحي المتطرف، حتى السياسيون الذين يوفرون لها الغطاء والدعم -وفي مقدمتهم الرئيس السابق بوش الابن- مبشرون من اليمين المسيحي المتطرف، والجميع في النهاية دعاة حرب، يريدون إعادة رسم خريطة العالم بالقوة[٢].

إن فكرة إقامة شركة أمنية خاصة قتالية "بلاكووتر للاستشارات الأمنية" هي من أفكار رجل المخابرات الأمريكية جامي سميث أثناء حرب الخليج الأولى، حيث يعد سميث من أشد أقطاب اليمين المسيحي المتطرف، وأحد أهم وأخطر أعضاء مجلس إدارة مؤسسة "الحرية العالمية للمسيحيين"، وهي مؤسسة غير ربحية لها أنشطة حول العالم، وهي تسعى حسب رأيها إلى "تقديم المساعدة للمسيحيين المضطهدين في العالم"، ولكنها في واقع الأمر تقود أكبر عمليات تنصير في العالم، ولا سيما في الأقطار الإفريقية المسلمة[٣].

في بداية الأمر لم يملك سميث المال اللازم؛ إلا أن إريك برنس رئيس شركة "بلاكووتر" سانده في هذا الشأن، داعيًا إياه للالتحاق بشركته. إن برنس لم يقتنع

---

(١) المصدر نفسه، ص ١٩.

(٢) مجدي كامل، بلاكووتر جيوش الظلام المرتزقة الجدد وفن خصخصة الحرب.. بزنس الموت على الطريقة الأمريكية، مصدر سبق ذكره، ص ٦٦.

(٣) مجدي كامل، بلاكووتر جيوش الظلام المرتزقة الجدد وفن خصخصة الحرب.. بزنس الموت على الطريقة الأمريكية، مصدر سبق ذكره، ص ٦٧.

في بداية الأمر بأن تكون للشركة فكرة قتالية، لكن سميث أقنعه بذلك في كانون الثاني من العام ٢٠٠١، الأمر الذي أدى إلى إدخال هذه الفكرة موضع التنفيذ[١].

بلاكووتر جيش خاص يسيطر عليه شخص واحد هو إريك برنس، وهو مسيحي يميني راديكالي ذو ثراء كبير في ولاية مشيغان الأمريكية، لأب يدعى إيدجار برنس، بنى مؤسسة كبرى تحمل اسم العائلة هي "برنس مانيوفاكتشرنج كورب" لصناعة مكونات السيارات[٢]، ومليونير كبير، عمل مموِّلًا رئيسًا، ليس لحملات الرئيس بوش الانتخابية فحسب، بل لاستراتجية مسيحية يمينية أكثر اتساعًا[٣].

نشأ برنس منذ صغره وهو يراقب والده يستخدم الشركة لتكوين المال اللازم لتمويل ونشوء وصعود ما يعرف اليوم باليمين المسيحي في الولايات المتحدة وتبرعه بأموال كثيرة إلى جاري بويير لتأسيس ما يسمى بـ"مجلس البحث العائلي" وهو تنظيم إنجيلي، وكان برنس ضمن المجموعة الأولى من المقيمين للخدمة في هذا التنظيم[٤].

إن والدي برنس عضوان في "مجلس من أجل سياسة قومية"، وهو منظمة مسيحية متشددة للغاية وشبه سرية، أعضاؤها رموز المحافظين الجدد في إدارة

---

(١) المصدر نفسه، ص ٦٧.

(٢) المصدر نفسه، ص ٧٠.

(٣) جيريمي سكاهيل، مصدر سبق ذكره، ص ١٩.

(٤) مجدي كامل، بلاكووتر جيوش الظلام المرتزقة الجدد وفن خصخصة الحرب.. بزنس الموت على الطريقة الأمريكية، مصدر سبق ذكره، ص ٧٠.

بوش، مثل تشيني ورمسفلد وبريمر، ويؤمن أعضاء هذا المجلس بـ"التدخل البشري في الخطة الإلهية لتعجيل مجيء المسيح الثاني، عبر مساعدة دولة إسرائيل وشن الحروب ضد أعداء الله"[١].

هنا لا بد من الإشارة إلى العلاقة بين برنس ووكالة المخابرات المركزية الأمريكية التي بدأت أساسًا في أفغانستان[٢].

إن برنس كان قد عمل كمتدرب في البيت الأبيض في عهد الرئيس الأسبق بوش الأب، لكنه اشتكى بأن الأخير لم يكن يمينيًّا محافظًا بما فيه الكفاية، كما عمل كمتدرب لعضو الكونغرس اليميني المحافظ لولاية كاليفورنيا دان روراباخر[٣].

ذهب برنس أيضًا إلى أفغانستان قبل التحاقه بالقوات البحرية الخاصة "المارينز"، وكان يتفاخر بأنه وقف بجانب المجاهدين الأفغان الذين يحاربهم الآن من خلال مرتزقة شركته بلاكووتر[٤].

ومن خلال المهمات التي أنجزتها بلاكووتر لـ"سي. آي. أيه"، ومن خلال العلاقات السياسية والعسكرية لرئيسها برنس، استطاعت الشركة أن تحصل على أهم زبائنها على الإطلاق، وهي وزارة الخارجية الأمريكية. في هذا المجال

---

(١) المصدر نفسه، ص ٧١.

(٢) المصدر نفسه، ص ٦٨.

(٣) مجدي كامل، بلاكووتر جيوش الظلام المرتزقة الجدد وفن خصخصة الحرب.. بزنس الموت على الطريقة الأمريكية، مصدر سبق ذكره، ص ٧١.

(٤) مجدي كامل، بلاكووتر جيوش الظلام المرتزقة الجدد وفن خصخصة الحرب.. بزنس الموت على الطريقة الأمريكية، مصدر سبق ذكره، ص ٧١.

يقول سميث: "ما إن جاءت وزارة الخارجية وأبرمت عقدًا معنا حتى انفتحت أمامنا أبواب مختلفة، فها أنت تضع رجلك عند الباب من خلال دائرة حكومية لها فروع في كل دول العالم، إنه يشبه الانتشار السرطاني، فما إن تصل إلى الدم حتى تضمن وصولك إلى كل الأطراف في غضون يومين"[١].

كانت دعوة رمسفلد منسجمة مع خطة برنس حول ضرورة إسهام شركته في تحويل وزارة الدفاع إلى منظمة أكثر سرعة ورشاقة، من خلال الاستعانة بشركته التي طالما كان يردد أنها "امتداد للجيش الأمريكي"[٢].

فبلاكووتر كانت واحدة من أكثر كتائب حرب رمسفلد على البنتاغون فاعلية، ويتحدث برنس بجرأة عن الدور الذي تلعبه شركته في التحول الجذري للجيش الأمريكي: "هل تستخدم عندما تشحن ليلًا خدمة البريد العادي أو الفدكس؟ سأل برنس أخيرًا في خلال ندوة نقاشية مع مسئولين أمريكيين عسكريين. فـ"هدف مؤسستنا أن تفعل بجهاز الأمن الوطني ما فعلته فدكس بخدمة البريد"[٣].

ولعل الإشارة الأكثر تعبيرًا عن حصول مثل هذا التغيير جاءت عندما حول البيت الأبيض مهمة كبار المسئولين الأمريكيين في العراق إلى بلاكووتر مطلع ٢٠٠٣، وعندما تنطع ل. بول بريمر سفير بوش في السنة الأولى للاحتلال لتطبيق روزنامة بوش في العراق تلقى الحماية من بلاكووتر، شأنه شأن كل سفير

---

(١) المصدر نفسه، ص ٦٩.

(٢) مجدي كامل، بلاكووتر جيوش الظلام المرتزقة الجدد وفن خصخصة الحرب.. بزنس الموت على الطريقة الأمريكية، مصدر سبق ذكره، ص ٧٣.

(٣) جيريمي سكاهيل، مصدر سبق ذكره، ص ٢٠.

أمريكي جاء بالتوالي إلى العراق، وعلى عكس الجنود الذين في الخدمة الفعلية ويتلقون معاشات زهيدة أعطي حراس بلاكووتر معاشات بمئات الألوف من الدولارات، وذكرت مجلة "فورتشن" في ذلك الوقت أن "المعاش النموذجي لمجموعة الحراسة الشخصية من المحترفين في العراق كانت في السابق بحدود ٣٠٠ دولار" للرجل الواحد" في اليوم، وما إن أخذت بلاكووتر في التجنيد لمهمتها الرئيسة الأولى وهي حماية بول بريمر حتى قفزت التعريفة إلى ٦٠٠ دولار في اليوم"[١].

فشركة بلاكووتر تقاضت ٢١ مليون دولار من أجل تأمين الحماية لبول بريمر الحاكم المدني السابق في العراق، كما أنها تحصل في العام الواحد على ما يقرب من مليار دولار، في حين تحصل شركة إيجس البريطانية على ما يقارب ٣٠٠ مليون دولار سنويًّا[٢].

ويتقاضى المرتزق أجرًا كبيرًا للغاية تتراوح بين ٥٠٠ و١٥٠٠ دولار يوميًّا، في الوقت الذي يتقاضى الشرطي العراقي أقل من ٤٠٠ دولار شهريًّا، ويتقاضى الجندي الأمريكي النظامي من رتبة جندي عادي وحتى قائد فصيل مبلغًا يتراوح بين ١٥٠٠ إلى ٥٠٠٠ دولار شهريًّا[٣].

وبطبيعة الحال تتغير أجرة المرتزق تبعًا لطبيعة المهمة المكلف بها، والمنطقة التي يعمل فيها، حتى إن البعض قدر قيمة التعاقد السنوي مع المرتزق المحترف في العراق بما يقارب ١٩٠ ألف دولار، وقد يصل أجره اليومي في حال التعاقدات

---

(١) المصدر نفسه، ص ٢٠.

(٢) مجدي كامل، بلاكووتر جيوش الظلام المرتزقة الجدد وفن خصخصة الحرب.. بزنس الموت على الطريقة الأمريكية، مصدر سبق ذكره، ص ١١ – ١٢.

(٣) المصدر نفسه، ص ١٢.

القصيرة الأمد في المناطق الساخنة بالعراق كالفلوجة مثلًا إلى ٢٠٠٠ دولار يوميًّا[١].

أخذت هذه القوة الخاصة التي لا سابق لها تتوسع في العراق، بينما كان آخر عمل يقوم به بريمر قبل التسلل خارجًا من العراق في ٢٨ حزيران ٢٠٠٤، هو إصدار مرسوم يعرف بـ"الأمر ١٧"، وهو يعطي حصانة من الملاحقة القانونية للمقاولين في العراق".

وهذه خطوة ذات مغزى في غضون السياسات التي تتحكم في احتلال العراق، وهي خطوة شجعت القوى الخاصة في وقت تعرض فيه جنود أمريكيون للملاحقة القضائية بسبب عمليات قتل وتعذيب في العراق التي عقدت في حزيران ٢٠٠٦م[٢].

أعلنت بلاكووتر صراحة أن قواتها فوق القانون، وقاومت محاولات إخضاع جنودها الخاصين لقانون البنتاغون الموحد للعدالة العسكرية وأصرت على أنهم من المدنيين، وطالبت في الوقت نفسه بالحصانة من المقاضاة المدنية في الولايات المتحدة، وقالت: إن قوتها جزء من القوة الأمريكية الشاملة[٣].

وأصبح من الواضح أن القانون العراقي لا يطول جرائم بلاكووتر التي تقدم على أعمال القتل والتنكيل ضد العراقيين، ونجد أن القانون الصادر في ظل وجود الحاكم المدني السابق بريمر قد خدم هؤلاء بأن جعلهم بمنأى عن المحاكمة

(١) المصدر نفسه، ص ١٢.

(٢) جيريمي سكاهيل، مصدر سبق ذكره، ص ٢١.

(٣) المصدر نفسه، ص ٢٢.

العادلة ضد ما ارتكبوا من جرائم في حق الأبرياء المدنيين[١].

جاء إلى العراق ما يقارب اثنتي عشرة أو أكثر من الشركات الأمنية الخاصة، وأبرز هذه الشركات بلاكووتر، وتضم في صفوفها عشرات الآلاف من المرتزقة من جنسيات مختلفة، وهي تشكل ثاني قوة أجنبية بعد الجيش الأمريكي[٢].

سمع معظم العالم للمرة الأولى بـ"الشركات العسكرية الخاصة" إثر الكمين الشهير في ٣١ آذار ٢٠٠٤ لجنود بلاكووتر الأربعة في الفلوجة في العراق، وهي عملية عسكرية فاصلة، طبعت لحظة التحول في الحرب، وانفجار المقاومة العراقية، وترك جثث مرتزقتها معلقة من على أحد الجسور، وهي تتضمن قتالًا على السطوح في مدينة النجف العراقية، وحملة على بحر قزوين الغني بالنفط، وإلى حيث أرسلت الإدارة بلاكووتر لإقامة قاعدة عسكرية على بعد أميال فقط من الحدود الإيرانية، وغارة على شوارع نيو أورلينز التي عاث فيها الإعصار تخريبًا، وساعات طويلة في أروقة السلطة في واشنطن العاصمة، حيث يتم استقبال مديري بلاكووتر التنفيذيين بوصفهم "الأبطال الجدد" في الحرب على ما يسمى بالإرهاب؛ إلا أن نشوء أقوى جيش من المرتزقة في العالم بدأ بعيدًا جدًّا عن ساحات القتال الراهنة، في مدينة هولاندا الهادئة في ميشيغن، حيث ولد إريك برنس في سلالة يمينية مسيحية، فعائلة برنس هي التي وضعت الأساس، وأنفقت ملايين الدولارات على مدى عقود كثيرة، لتوصل إلى السلطة هذه القوى بالذات التي سمحت لبلاكووتر بهذا الصعود السريع كالشهب[٣].

---

(١) مجدي كامل، بلاكووتر جيوش الظلام المرتزقة الجدد وفن خصخصة الحرب.. بزنس الموت على الطريقة الأمريكية، مصدر سبق ذكره، ص ٢٠.

(٢) المصدر نفسه، ص ٢٠.

(٣) جيريمي سكاهيل، مصدر سبق ذكره، ص ٢٩ – ٣٠.

الثاني عشر: وزارة الخارجية الأمريكية وتشكيل حكومة انتقالية في العراق:

كانت وزارة الخارجية الأمريكية دائبة منذ سنة على دراسة ما عرف باسم مشروع "مستقبل العراق" آلاف الصفحات من التقارير والتوصيات حول الحكم، الإدارة، النفط، النفط والزراعة. ورغم هذه الجهود، وفي تناقض مع تأكيداته اللاحقة، وافق باول على منطقية ترك مسئولية ما بعد الحرب للدفاع، كان رمسفلد سيتوفر على عشرات الآلاف من الجنود على الأرض والأموال والموارد، والرجل العسكري باول بدا ميالًا غريزيًّا إلى خطة قائمة على احترام مبدأ وحدة القيادة، وكان لا بد من وجود شخص يكون مسئولًا آخر المطاف، وكان ينبغي للأمر أن يعود إلى الدفاع. وبالنسبة إلى باول فإن هذا لم يكن أمرًا غير عادي، لعله ما كان قد حصل بعد الحرب العالمية الثانية في كل من ألمانيا واليابان[1].

في ٢٠ كانون الثاني ٢٠٠٣ وقع الرئيس بوش الابن توجيهًا رئاسيًّا سريًّا خاصًّا بالأمن القومي هو توجيه الأمن القومي الرئاسي رقم ٢٤، استحداث "مكتب التخطيط لعراق ما بعد الحرب" في إطار وزارة الدفاع[2].

مع إقدام غارنر على تشكيل حكومة في نيسان من العام ٢٠٠٣ كان عليه أن يواجه تداعيات معارضة وزارة الخارجية لحكومة انتقالية، وكانت وزارة الخارجية ترغب في منح الدور الرئيس لقادة عراقيين من غير البعثيين ومن الداخل، غير أنها لم تتمكن من التعرف على الكثير من هؤلاء باستثناء المقيمين

---

(١) بوب ودوارد، حالة إنكار حرب بوش، مصدر سبق ذكره، ص ١٤٩ – ١٥٠.

(٢) المصدر نفسه، ص ١٥٠.

بكردستان. ويعزى السبب في ذلك إلى عدم تعامل هؤلاء مع سلطة الاحتلال؛ لذا كان تشكيل حكومة أكثر شمولًا سيعني وجود حكومة احتلال أكثر نشاطًا. في حقيقة الأمر، رغم موقف البنتاغون الواضح من حكومة انتقالية في عراق ما بعد الاحتلال، لم تكن الإدارة الأمريكية قد قررت بعد إن كانت تريد حكومة انتقالية أم لا، فكانت بعض الدوائر في الإدارة تفضل حكومة عراقية أكثر شمولًا، وكانت هناك رغبة بين صفوف محترفي السياسة الخارجية بتوسيع المشاركة الدولية في حكم العراق لحقبة ما بعد الحرب، وبإشراك الأمم المتحدة، غير أن فئة أخرى ضمن الإدارة لدوافع أيديولوجية كانت تبغي للولايات المتحدة أن تتزعم إعادة تكوين العراق بموجب النموذج التالي للحرب في كل من ألمانيا واليابان. أما رمسفلد والمحافظون الجدد إثر بهجتهم إزاء النصر العسكري السريع، ودون اعتبار للكارثة الجارية على الأرض، فكانوا يتحركون نحو تبني هذه الأجندة الطموحة. كانت وزارة الخارجية الأمريكية قد أمضت عامًا كاملًا قبل الحرب لإعداد خطة بخمسة عشر مجلدًا لكيفية حكم العراق بعد الحرب (كان بول ولفويتز ودوغلاس فيث وريتشارد بيرل من بين الثمانية عشرة شخصًا الذين وقعوا رسالة علنية من مجموعة تدعى "مشروع القرن الأمريكي الجديد" تدعو إلى الإطاحة بالرئيس صدام حسين، وغالبًا ما ينسى أن تغيير النظام في العراق كان أيضًا السياسة المعلنة لإدارة كلينتون، وهدف قانون تغيير النظام في العراق الذي أقره الكونغرس في سنة ١٩٩٨، وخصصت مائة مليون دولار لوزارة الخارجية لإنفاقها على السعي إلى إنهاء حكم الرئيس صدام حسين، وقد برزت هذه السياسة في أعقاب فشل برنامج العمل السري لعام ١٩٩٦ وأعلن عنها أمام العالم[1].

---

(١) جورج تنيت بالاشتراك مع بيل هارلو، مصدر سبق ذكره، ص ٣١٤ – ٣١٥.

وكانت الإدارة تفتقر إلى التنظيم لدرجة أن وزارة الدفاع (الذي كان بريمر سيعمل لحسابها كما كانت مسئولة عن إعداده) لم تخبره بوجود هذه الدراسة المعدة من وزارة الخارجية، بل كان سيسمع عنها عبر وسائل الإعلام بعد مدة من وصوله إلى بغداد. كانت وزارة الخارجية قد جمعت سابقًا فريقًا من الخبراء للتخطيط لعراق ما بعد الحرب، وكان لدى ريتشارد آرميتاج طائرة بوينغ ٧٣٧ جاهزة لنقلهم مع حواسيبهم ونحو ثمانين ممن يتكلمون العربية، ولديهم معرفة بالمنطقة إلى بغداد للبدء بإقامة سفارة في الظل. لقد كان للبنتاغون خطط أخرى، وهي بالتأكيد لا تشمل وزارة الخارجية، التي يعتقد كثير ممن كانوا يؤيدون رمسفلد أن أداءها كان ضعيفًا في أفغانستان، وقد أثار مارك غروسمان وكيل وزارة الخارجية للشئون السياسية المسألة مع دوغلاس فيث مرارًا، وكان فيث يقول: إنه سينظر في الأمر. وسرعان ما اتضح أنه من وجهة نظر البنتاغون يمكن أن يظل فريق خبراء وزارة الخارجية منتظرًا على المدرج في دالاس أو في قاعدة أندروز الجوية. كان الرئيس بوش قد اتخذ قرار الحرب على العراق بعد ١١ أيلول بمدة قصيرة، ولم يتناول على الإطلاق الأمور المتعلقة بكيفية حكم العراق بعد الاحتلال! هل كانت الولايات المتحدة ستدير احتلالًا مطولًا كما فعلت في ألمانيا؟ هل كانت ستعين حكومة مؤقتة؟ وكيف كان سيتم اختيار أعضائها؟ هل كانت ستجري انتخابات؟ كيف كان سيدون دستور العراق؟ وما الذي كان سيتضمنه؟ ما الإجراءات التي كانت ستتخذ بحق القوات المسلحة العراقية؟ وأمور أخرى. كانت هذه القضايا موضوع معارك داخلية شديدة داخل الإدارة، وكان يفترض برجل لم يمض على عمله في العراق غير أسبوعين حلها[1].

---

(١) بيتر و. غالبريث، مصدر سبق ذكره، ص ١٣٤ -١٣٥، ١٣٧ – ١٣٨. وجورج تنيت بالاشتراك مع بيل هارلو، مصدر سبق ذكره، ص ٤٣١.

وزع آرميتاج في ٢٥ تموز ورقتين قصيرتين عن حكم العراق بعد الاحتلال[١]. أظهرت الورقتان أن وزارة الخارجية تتأرجح بين هدفين متضادين: أن تترك العراقيين يحكمون أنفسهم، أو أن يقوم الأمريكيون بحكم العراق لمدة طويلة بما فيه الكفاية، حيث تضمن أن الخارجيين لن يصبحوا حكام العراق[٢].

الورقة الأولى تحت عنوان "خطة دبلوماسية لليوم التالي" حذرت من خطر أن تصبغ الولايات المتحدة بلون "القوة المحتملة"، وربما تصبح النتيجة "حكومة منزوعة الشرعية، فوضى.. وربما أعمال إرهابية ضد القوات الأمريكية"، ولهذا السبب طالبت الولايات المتحدة باستمرار ما يسمى بـ"التحرير" بدل الاحتلال كموضوع رئيس لإستراتيجية الإدارة بالنسبة إلى العراق[٣].

غير أن ورقة آرميتاج الثانية أخذت منحى آخر، قالت: "إنه يجب ألا يكون هناك شك فيمن يتمتع بالسلطة التنفيذية الدولية في العراق"؛ أي سلطة مدنية

(١) وجد دينيس ماكشين، الذي كان وزيرًا تابعًا لوزارة الخارجية البريطانية، تحولًا تاريخيًّا في دور الوزارة. كان المسئولون منشغلين بتفسير السياسة وبطريقة تقديمها بدلًا من الانشغال بتحليل الخيارات السياسية وتبعاتها المحتملة. قال ماكشين للجنة العراق: "لم يكن هناك تخطيط لما يمكن أن يحدث في العراق أو تفكير فيه بعد سقوط صدام.. كانت وزارة الخارجية منشغلة جدًّا بتفاصيل لغة الأمم المتحدة والتعامل مع الرأي الشعبي والبرلماني في بريطانيا، بحيث إنها لم تجد وقتًا لتخصيص مواردها من أجل عرض خطة بخصوص عراق ما بعد الحرب لواشنطن". راجع: جوناثان ستيل، مصدر سبق ذكره، ص ٢٤٦.

(٢) دوغلاس ج. فايث، مصدر سبق ذكره، ص ٣٢٨.

(٣) المصدر نفسه، ص ٣٢٨.

انتقالية بقيادة الولايات المتحدة، واقترحت الخارجية هذه السلطة كبديل لحكومة بقيادة العراقيين لعراق ما بعد الاحتلال(١).

في هذه الورقة الثانية ألمحت الخارجية الأمريكية إلى تاريخ أفغانستان الحديث. عندما سقط نظام الطالبان أدت الدبلوماسية المعروفة بعملية بون إلى حكم ذاتي أفغاني مباشر دون أية مدة احتلال؛ إلا أن آرميتاج قال: إن بون لا يجوز أن تكون نموذجًا للعراق؛ لأن الخارجيين كان لهم "وزن" أكبر في أفغانستان مما للخارجيين في العراق، وكانت هذه نتيجة هائلة توصل إليها على أساس مجاز غير واضح دون أدلة(٢).

إن مؤتمرًا على غرار مؤتمر بون لأخذ موافقة على قيادة داخلية لا يناسب العراق كما ناسب أفغانستان، حيث كان الوزن الحقيقي للقيادة في خارج البلاد، أما الوزن الحقيقي في العراق فهو أكثر في الداخل بكثير مما هو في الخارج(٣).

شددت الورقة على أنه "من الحيوي جدًّا ألا نظهر كأننا نحرم هذه الدوائر الانتخابية الداخلية من حق التصويت"، مما يعني أن على الولايات المتحدة أن يكون لها دور قيادي مفتوح و"تأخذ الوقت الكافي لتطوير قيادة عراقية ديمقراطية ذات مصداقية"؛ لذلك يجب على السلطة المدنية الانتقالية بقيادة الولايات المتحدة أن تنقل السلطة إلى العراقيين "تدريجيًّا"، ويجب أن تتوقع الولايات المتحدة "مدة انتقالية تمتد لعدة سنوات من أجل بناء المؤسسات الديمقراطية"(٤).

---

(١) دوغلاس ج. فايث، مصدر سبق ذكره، ص ٣٢٨.

(٢) المصدر نفسه، ص ٣٢٨.

(٣) المصدر نفسه، ص ٣٢٨.

(٤) المصدر نفسه، ص ٣٢٨.

أصر آرميتاج أيضًا على أن تبقى إيرادات النفط خارج الأيدي العراقية. أخيرًا، فيما يعد صفعة لخطة وزارة الدفاع المقترحة لتدريب عسكري للعراقيين الخارجيين أعلن أنه ضد خلق "جيش" للمعارضة السياسية العراقية(١).

باختصار، هذه الورقة الثانية لآرميتاج اقترحت إدارة عراقية لما بعد الحرب تقودها الولايات المتحدة ذات شبه كبير "بالقوى المحتلة" الأجنبية التي حذرت منها زميلتها الورقة الأولى لوزارة الخارجية من أنها تثير الفوضى وعدم الاستقرار وهجمات ضد الولايات المتحدة.

بإصراره على إبقاء الخارجيين العراقيين بعيدًا عن السلطة السياسية لم يظهر آرميتاج أي إدراك لهذا التضارب، ويظهر أن الغضب الشديد ضد الخارجيين عكر تفكير موظفي وزارة الخارجية والـ"سي. آي. أيه"(٢).

سوف يكتب موظفو الخارجية مع الوقت مذكرات كثيرة تعزز مفهوم السلطة المدنية الانتقالية، وقد نزعت المذكرات إلى أن تكون ضبابية بشأن المدة التي سيستغرقها الحكم الانتقالي غير العراقي، مع العلم "كما أقر آرميتاج" بأن هذه السلطة ستدوم لسنوات لتحقيق هدفها، حتى المؤيدون للسلطة أقروا بأن العراقيين سيستاءون من أن يحكموا من قبل الأجانب لوقت طويل، ولم يتمكن موظفو الخارجية قط من التوفيق بين إقرارهم بذلك الخطر ودعمهم لتأجيل الحكم الذاتي العراقي إلى "مدة انتقالية تستغرق سنوات"(٣).

---

(١) المصدر نفسه، ص ٣٢٩.

(٢) المصدر نفسه، ص ٣٢٩.

(٣) دوغلاس ج. فايث، مصدر سبق ذكره، ص ٣٢٩.

أشارت سلطات التحالف الأمريكي – البريطاني في العراق إلى أن مجلس الحكم الانتقالي الذي أعلن عن قيامه في ١٤ تموز ٢٠٠٣ سيكون له دور كبير في عملية صنع القرار القادمة. وهنا لا بد من الإشارة إلى أن بول بريمر كان له الحق في القبول أو الرفض لقرارات مجلس الحكم الانتقالي[١].

يمتلك رئيس الولايات المتحدة السيطرة والسلطة المطلقتين على الجيش الأمريكي، الذي يعد القوة الجبارة والأكثر تقدمًا تكنولوجيًّا في العالم. يمتلك جيش الولايات المتحدة أكثر من ١٠ آلاف رأس نووية، ويتألف من أكثر من ٥ و٢ مليون جندي في صفوف الخدمة والاحتياط، ولديه وجود فاعل في أكثر من ١٣٠ دولة حول العالم، أنفقت الولايات المتحدة ما يناهز ٦٣٠ مليار دولار على الدفاع في العام ٢٠٠٧، وهي قيمة تفوق جميع ميزانيات الدفاع في باقي دول العالم مجتمعة[٢].

تداولت وزارة الدفاع الأمريكية في مرحلة ما بعد احتلال العراق أسماء الأمريكيين الذين كانت ستبعثهم لإدارة الحكم في العراق، وكان هناك اثنان من الموظفين لدى ريتشارد هاس، كل منهما في عقده الثالث هناك أحدهما كانت "ميغان أوسوليفان" وهي اختصاصية تخرجت في جامعة أكسفورد، وقد عملت في معهد بروكنغر، وعملت مع هاس على مجموعة من الكتب التي تناولت العقوبات الاقتصادية والحوافز، وفي وزارة الخارجية أصبحت "ميغان" الساعد الأيمن لهاس في شئون أيرلندا الشمالية. وفي هذا المجال يقول هاس عنها: "كان

---

(١) الدكتور حامد محمود عيسى، القضية الكردية في العراق من الاحتلال البريطاني إلى الغزو الأمريكي ١٩١٤ – ٢٠٠٤، مكتبة مدبولي، القاهرة، ٢٠٠٥، ص ٥٥٩، ٥٦١.

(٢) دافيد ج. روثكوبف، مصدر سبق ذكره، ص ٧٨.

لديها قدرة بلا حدود للعمل بجد وكد، وكانت واحدة من عدد قليل جدًّا من الناس الذين صادفتهم يومًا ويمكن لهم أن يتقنوا التفاصيل الأكثر تعقيدًا من دون التغاضي عن الصورة الكبرى". أما الموظف الآخر فكان "درو إردمان"، وهو مؤرخ متخرج في جامعة هارفارد، وكان له دور كبير في صياغة الأمن القومي، وفي وقت لاحق من ذلك تولى الدراسة المعمقة للتجارب والعبر المستقاة من التجارب الأمريكية في بناء الأمة على مدى القرن الماضي، وكل منهما قد أشار إلى هاس "بأن هذه التجربة قد تكون حاسمة لجيلهما، وأرادا أن يكونا جزءًا منها"[١].

كان "جاي غارنر" على استعداد للموافقة على "درو"، ولكنه أشار إلى أنه لا يريد "ميغان" في العراق. وفي هذا المجال يقول هاس: "وعندما ضغطت عليه قال: إنه كان يتصرف بموجب تعليمات وزير الدفاع، الذي كان بدوره قد ألمح إلى أنه كان يتلقى أوامره من نائب الرئيس. لقد أخذت "ميغان" بجريرتي، فذنبها كان ارتباطها بي، وبصفة عامة بالعمل الذي أنجزناه والذي أشار إلى أن السياسة التي تقوم على العقوبات تجاه العراق قد تصب في مصلحة الولايات المتحدة على حد سواء، لقد تحدثت مع باول فهدد "رمسفلد" بحرمان "غارنر" من خدمات أي كان في وزارة الخارجية الأمريكية ما لم يقبل بـ"ميغان" في صفوف الفريق المتوجه إلى العراق، لكن رمسفلد بقي مصممًا.

ومن المفارقة أيضًا أن "ميغان" ستمسي على مدى السنوات الأربع المقبلة واحدة من مساعدي "بول بريمر" الرئيسين في بغداد، ولربما الأمريكية الأولى

(١) ريتشارد هاس، حرب الضرورة سيرة حربين على العراق حرب الاختيار، ترجمة نورما نابلسي، دار الكتاب العربي، بيروت، ٢٠١٠، ص ٢٨٩.

التي أولاها الزعماء السياسيون في العراق ثقتهم الأكثر، وفي نهاية المطاف غدت نائب مستشار الأمن القومي في الإشراف على السياسة تجاه العراق، وكانت هي من تبنت التغيير في السياسة العامة المعروفة بالطفرة من خلال الحكومة"(١).

مع ذلك فشل باول في إقناع "رمسفلد بأن "غارنر" يجب أن يعين "توم واريك" في أحد مناصب المكتب العسكري لإعادة البناء، وهو موظف في وزارة الخارجية غريب الأطوار بعض الشيء، وإنما واسع الإطلاع وله وجهة نظر معينة -وإن لم تكن محل ترحيب دائمًا- حول الطريقة التي ينبغي أن تعتمدها الولايات المتحدة لإعادة بناء العراق ومن هم العراقيون الذين ينبغي العمل معهم؟(٢).

عادت أهمية وزارة الخارجية الأمريكية من جديد من خلال تعيين بول بريمر(٣) عندما وافق الرئيس بوش على تعيينه في ٩ آذار ٢٠٠٣ كمبعوث رئاسي

---

(١) ريتشارد هاس، مصدر سبق ذكره، ص ٢٩٩.

(٢) المصدر نفسه، ص ٢٩٩.

(٣) تولى بريمر عددًا من المناصب المهمة في وزارة الخارجية الأمريكية، من بينها عمله كمساعد لستة من وزراء الخارجية قبل تقاعده عام ١٩٨٩، وشغل بريمر مناصب دبلوماسية في مالاوي والنرويج وهولندا وأفغانستان؛ إلا أنه لم يشغل أي منصب في منطقة الشرق الأوسط، وعمل في شركة استشارية يملكها هنري كيسنجر، وقد اشتهر بريمر بالصرامة والحدة واستعداده الدائم لاتخاذ موقف حاسم، وكان بريمر يشغل منصب مدير إدارة مكافحة الإرهاب في وزارة الخارجية، وعينه الرئيس الأسبق رونالد ريغان سفيرًا متجولًا لمكافحة الإرهاب عام ١٩٨٦، وقد تم تعينيه كرئيس مشارك للجنة الوطنية للإرهاب عام ١٩٩٩ وهي اللجنة التي أصدرت تقريرًا في عام ٢٠٠٠ لمراجعة سياسات الولايات المتحدة في مكافحة الإرهاب. وبخصوص هذه النقطة حث بريمر الرئيس كلينتون على مواجهة الإرهاب والدول التي أطلق عليها "مارقة" مثل سورية وإيران =

=

والسودان بشكل أكثر عدوانية، ولبريمر مواقف متشددة للغاية ضد الحركات الإسلامية في العالم الإسلامي. راجع في هذا الصدد: السبيل، العدد٤٩٠، ٢٠٠٣، عمان، الأردن، ١٣-١٩ أيار ٢٠٠٣. وف. ي. كرلوف، مصدر سبق ذكره، ص ١٠ – ١١. وكوندوليزا رايس، مصدر سبق ذكره، ص ٢٥٠. كان يعمل في القطاع الخاص، حيث أدار قسم إدارة الأزمات في الشركة الأمريكية الكبيرة، مارش آند ماكلينان، ولم يسبق لبريمر أن زار العراق، ولم يتكلم العربية، ولم يعمل في مجتمع خارج لتوه من حرب، ولم تكن لديه أية خبرة في مجال بناء الدول، ولم يتح له غير أسبوعين ليتكيف مع تعيينه الجديد، وهي عملية تتطلب الاستماع والمطالعة لمدة تستمر بضعة أشهر في العادة، وذلك للتهيؤ لتعيين روتيني مثل التعيين كسفير في أية دولة، في الوقت الذي كان فيه بريمر يسعى إلى اكتساب المعلومات عن العراق باشر تعيين كبار معاونيه، وكان من بينهم عدد من السفراء المتقاعدين الذين كان قد عمل معهم بوزارة الخارجية قبل ١٥ عامًا باستثناء السفير المتقاعد هيوم هورن، جمهوري نشط من جماعات الضغط في واشنطن، ومحترف في مجال الخدمة الخارجية، فضلًا عن خبرته الإدارية، لم يكن أحد منهم يتمتع بالخبرة في المنطقة، ولا بمهارات اللغة (يقول مدير وكالة المخابرات المركزية الأمريكية السابق جورج تينت: "في أوائل أيار ٢٠٠٣ تلقيت مكالمة من كولن باول يسأل عما أعرفه عن جيري بريمر، فقلت: "إنني لا أعرفه حقًّا". ومما سمعت، كان بريمر سفيرًا سابقًا ترأس لمدة من الزمن مكتب مكافحة الإرهاب في وزارة الخارجية. "لم أسمع بالتأكيد أي شيء سيئ عنه". راجع: جورج تينت بالاشتراك مع بيل هارنو، مصدر سبق ذكره، ص ٤٣٠). لم يتعب المستشارون الأمريكيون وغيرهم من السياسيين أنفسهم كثيرًا في القراءة عن التاريخ العربي أو الثقافة العربية، وعلاوة على ذلك لم ترسل وزارة الخارجية أو الوكالات الأمريكية الأخرى إلا عددًا قليلًا من المتحدثين باللغة العربية إلى العراق، وسبب ذلك هو أن العدد المتاح لم يكن كبيرًا جدًّا قبل الغزو، وكذلك لأن الكثير من الخبراء الأمريكيين في الشئون العربية تجنبوا التقدم للحصول على مناصب في العراق، إما لأنهم كانوا يعرفون الكثير جيدًا عن الشرق الأوسط، بحيث أدركوا أن الغزو كان خطأ فادحًا، أو لأنهم كانوا يخشون أن يقضي تعيينهم في بغداد على مستقبلهم السياسي". كان عدد الأمريكيين الذين يتحدثون العربية في سلطة الاحتلال ضئيلًا على نحو مثير للصدمة والخجل". بحسب تعبير نواه فيلدمان كبير المستشارين الدستوريين في سلطة

=

=

الاحتلال المؤقتة التي كانت تدعى أيضًا الإدارة المدنية للاحتلال الأمريكي، ثم وصف كيف سرت قشعريرة جسده عندما استغرق النظر إلى ما كان يقرأه زملاؤه في طائرة النقل الأمريكية التي نقلته وبعض المسئولين الأمريكيين الآخرين إلى بغداد في أيار ٢٠٠٣: "لم يبد أن أحدًا منهم كان بحاجة إلى شيء ما ينعش ذاكرته حول العراق أو منطقة الخليج، كانوا جميعهم بلا استثناء يقرءون كتبًا جديدة حول الاحتلال الأمريكي لألمانيا وإعادة إعمارها"، كانوا ينظرون إلى العراق على أنه مجرد بلد انتقالي آخر بلا مجتمع مدني أو تاريخ في النضال الديمقراطي، وظل استخدام الإدارة الأمريكية للخبراء ضعيفًا حتى بعد مضي ثلاثة أعوام ونصف العام على الاحتلال، عندما كانت الولايات المتحدة تواجه كمًّا هائلًا من الصعوبات في العراق؛ فقد كشف تقرير بيكر – هاميلتون أن من بين طاقم مؤلف من ١٠٠٠ موظف في السفارة الأمريكية في بغداد كان هناك ستة أمريكيين فقط يتحدثون العربية بطلاقة، وكشف التقرير أيضًا أن وكالة الاستخبارات في وزارة الدفاع في واشنطن –التي كان يفترض أن تقدم النصائح حول أهداف ومواقف أعداء الولايات المتحدة- كانت تملك أقل من عشرة موظفين تزيد خبرتهم عن سنتين في دراسة وتحليل المقاومة العراقية، وذلك لأنهم كانوا يكلفون بشكل دوري بمهمات جديدة. الاستثناءان الوحيدان لهذه القاعدة في العصر الحديث هما احتلال ألمانيا واليابان بعد العام ١٩٥٤، في حالة ألمانيا لم يفرض المحتلون الغربيون تقاليد أجنبية غريبة، بل كانوا يحاولون استعادة نظام سياسي واقتصادي عطلته مرحلة شاذة من الحكم النازي الذي دام ١٣ عامًا، مدة قصيرة بالمقاييس التاريخية. ومما ساعد أيضًا على ذلك أن المحتلين كانوا يمتلكون خلفية وتنشئة وقيمًا مشابهة لتلك التي يمتلكها الشعب الذي قاموا باحتلاله؛ أي لم يكن هناك صدام ثقافي ذو شأن. في اليابان، على الرغم من أن الأمريكيين كانوا يتعاملون مع مجتمع وحضارة مختلفين تمامًا عن مجتمعهم وحضارتهم فإن اليابان في العام ١٩٤٥ كانت بلدًا عانى جيشه من حرب توسعية دامت أربع سنوات، وتحمل شعبه حرمانًا اقتصاديًّا قاسيًا وأشهرًا من القصف الشديد وقنبلتين ذريتين، ونتيجة لذلك تحولت المدن اليابانية إلى أنقاض، وقتل ملايين الناس، والناجون لم يكونوا في وضع يؤهلهم لمقاومة أي احتلال أجنبي، وخاصة إذا كان هذا الاحتلال قد أبقى على الرمز الأساسي لسيادة الدولة وكرامتها – الإمبراطور – في موقعه، ومع أنهم حَدُّوا قليلًا من سلطاته إلا أنه بقي ضمانة

=

=

للاستمرارية ومركز الكرامة والكبرياء الوطنيين؛ لهذا السبب دعا شعبه للخضوع لسلطات الاحتلال وتقبل الهزيمة رضخ الشعب بولاء. أما أنْ تُقْدِم قوى غربية على غزو دولة مسلمة في قلب الشرق الأوسط في القرن الحادي والعشرين فهذه حالة مختلفة تمام الاختلاف؛ فالمنطقة تملك ذاكرة جماعية قوية حافلة بالتدخل الإمبريالي، وشعورًا عميقًا بالوطنية المعادية للغرب، مرتكزة على امتعاض وطني من الغرباء الأقوياء الذين يتحكمون بالسكان المحليين، وفي سياق ذلك يهددون هويتهم الإسلامية. تاريخيًّا، ثمة مزيج من الغضب والشعور بالمهانة والعار يشكل جوهر أية مواجهة عربية مع القوى الغربية، هذا طبيعي؛ فقد تعرض الشرق الأوسط بشكل متكرر للغزو والاحتلال من قبل قوى أجنبية في خلال القرون الثمانية الماضية، وفي حقيقة الأمر نجح بريمر في القضاء على العراق كوطن موحد، وما من قوة كانت ستتمكن من إصلاح ما قد تم تخريبه. كان البريطانيون قد استعانوا بالمحترفين في العراق فأدركوا الكارثة المحدقة بالاحتلال قبل أن يتوقعها أصحاب الأيديولوجيات في البنتاغون والبيت الأبيض، أما رئيس الوزراء البريطاني السابق توني بلير فانفرد بكونه الأجنبي الوحيد الذي لم يكن بوسع إدارة بوش أن تتجاهله. والحق أن بوش وبلير لم يكونا على معرفة بتاريخ العراق، أو بالقومية العربية، أو بعمق الإحباط الذي يشعر به العرب والعراقيون جراء الدعم الغربي للسياسات الصهيونية، ومع أن بلير -إن لم نقل بوش- تحدث عن ضرورة التوصل لتسوية صهيونية فلسطينية، إلا أنه لم يستخدم أبدًا النفوذ الضئيل الذي يملكه على واشنطن من أجل تأكيد إجراء تغيير جذري في السياسة الأمريكية فيما يخص الكيان الصهيوني، والحال نفسه ينطبق بالطبع على الدعم البريطاني للغزو الأمريكي للعراق؛ ففي اجتماع لبعض الدبلوماسيين البريطانيين جرى استدعاؤهم إلى لندن في ٧ كانون الثاني ٢٠٠٣ قال بلير: "إن سبب وجود معارضة لموقفنا حول العراق لا علاقة له بمحبة صدام، بل بالشعور بوجود معايير مزدوجة. إن عملية السلام في الشرق الأوسط تبقى جوهرية بالنسبة إلى أي اهتمام مع العالمين الإسلامي والعربي".

لكن الخطأ الأمريكي والبريطاني الأكثر أهمية هو سوء التحليل والفشل في فهم القوى السياسية والثقافة العراقية التي ستحدد مستقبل البلد فيما بعد الاحتلال، وفي هذا المجال لا بد من العودة إلى خطة رمسفلد في عراق ما بعد الاحتلال، كي ندلل على مدى جهل صانع القرار

=

إلى العراق، ومنحه سلطة تامة على موظفي الحكومة الأمريكية وأنشطتها وأموالها هناك، وقد لاحظ المراقبون حقيقة مهمة، مفادها أن تعيين بريمر أتى بعد أن أتم بوش جلسة مشاورات أجراها مع رمسفلد(١)، وتبعه رمسفلد بتعيينه مدير سلطة الائتلاف المؤقتة، وتفويضه بكل الأعمال التنفيذية والتشريعية والقضائية في العراق(٢)، وذلك بعد انتهاء وقف العمليات الحربية في العراق

=

الأمريكي بالبيئة الداخلية العراقية. أبدت ردة فعل رمسفلد لانهيار القانون والنظام وكأن معرفته عن الناس الذين يتحكم بهم الآن سطحية في أحسن حالها، لكن هذه الدرجة من الجهل كانت منتشرة ضمن المحتلين. وفي هذا المجال يقول آندرو كوكبرن: "وكان لدي قليل من التبصر في هذا الظرف عندما علمت بأنني أمتلك النسخة الوحيدة الموجودة في واشنطن لـ"الثورة في بلاد ما بين النهرين، وهي رواية مشرقة للجنرال السير أيلمر هالدين، قائد القوات البريطانية في العراق سنة ١٩٢٠، عن الثورة الدموية المنتشرة بين العراقيين الذين تم احتلالهم، وطلب مني أن أعير الكتاب كي يتم تصوير نسخ منه، وتوزع على بعض الجنرالات الأمريكيين الذين يتبعون خطا هالدين، وأشارت أحداث لاحقة إلى أن قليلًا منهم قد قرأها". من ناحية أخرى، فإن صناع القرار تجاهلوا المؤشرات على ضعف شعبية الاحتلال، في حين كان يجب أن تكون نقطة انطلاق بالنسبة لهم من أجل تحليل مكامن الخطأ وإيجاد الحلول المناسبة للمأزق الأمريكي. راجع: السفير بول بريمر ومالكولم ماك - ونل، عام قضيته في العراق.. النضال لبناء غد مرجو، ترجمة عمر الأيوبي، دار الكتاب العربي، بيروت – لبنان، ٢٠٠٦، ص ١٠ وبيتر و. غالبري ث، نهاية العراق كيف تسبب القصور الأمريكي في إشعال حرب لا نهاية لها؟ ترجمة إياد أحمد، الدار العربية للعلوم – ناشرون ش. م. ل، بيروت، ٢٠٠٧، ص١٣٦ – ١٣٧، ١٣٩. وآندرو كوكبرن، مصدر سبق ذكره، ص ٢١٩ –٢٢١. وجوناثان ستيل، مصدر سبق ذكره، ص ٩، ١٣– ١٥، ٢٠ – ٢١.

(١) ف. ي. كرلوف، مصدر سبق ذكره، ص ١١. و: George Bush , op. cit. , p. 259.

(٢) يقول بريمر في مذكراته: "أشارت بعض القصص إلى أنني أعرف رمسفلد منذ أن عملنا معًا في إدارة فورد، ولاحظت أن رمسفلد اقترح اسمي لهذا المنصب على الرئيس، وشددت قصص أخرى

=

والتي خاضتها الولايات المتحدة في ٢٠ آذار ٢٠٠٣، وقد أصبح بريمر بموجب ذلك أكبر مسئول مدني في العراق مترئسًا الجنرال المتقاعد جي غارنر الذي عينته الولايات المتحدة الأمريكية كرئيس للإدارة المدنية في العراق، حيث وصل إلى بغداد في ١٢ مايس ٢٠٠٣. هنا لا بد من القول بأن رمسفلد اتصل بباول ليقترح عليه اسم بريمر، واستمهل باول للتفكير بالأمر، وعكف الأخير مع آرميتاج على استعراض سجل خدمة بريمر مدة ٢٣ سنة في وزارة الخارجية مع معاينة علاقته الوثيقة بكيسنجر ووزارة الخارجية. "وجدتها، هتف آرميتاج نعم، كان بريمر حليفًا محتملًا، غير أن الرجلين قررا ألا يبديا قدرًا مفرطًا من الحماسة، فمن شأن ذلك أن يؤدي بالتأكيد إلى قتل فرصة التعيين، وقد بدا رمسفلد دفاعيًّا بعض الشيء فيما يخص دوره في عملية انتقاء بريمر، قائلًا: "كان جري بريمر بالطبع مبعوثًا رئاسيًّا، مما جعله تابعًا للرئيس وكوندي وأركان مجلس الأمن القومي"[(١)].

بهذا المعنى أصبح بريمر المبعوث الشخصي للرئيس الأمريكي جورج دبليو بوش، وتمر سلسلة القيادة التي تعلو من خلال وزير الدفاع دونالد رمسفلد إلى الرئيس مباشرة[(٢)]، أمام هذه الصلاحيات الكبيرة التي منحت لبريمر وصفته =

على سنوات خدمتي الدبلوماسية، حيث تعرفت إلى باول وخمنت أنني مرشح الخارجية". راجع: بريمر، مصدر سبق ذكره، ص ١٩.

(١) بوب ودوارد، حالة إنكار حرب بوش، مصدر سبق ذكره، ص ٢٢٤.

(٢) ولد رمسفلد في ٩ تموز عام ١٩٣٢ في مدينة شيكاغو في ولاية إلينوي بعد إنهاء تعليمه في الجامعة البروتستانتية، حيث حصل على البكالوريوس في العلوم السياسية في عام ١٩٥٤، وفي الأعوام ١٩٥٤ – ١٩٥٧ خدم رمسفلد في طيران القوات البحرية الأمريكية، وغادر رمسفلد مبنى الكابيتول في عام ١٩٦٩ للعمل في إدارة الرئيس نيكسون بمنصب مدير مكتب القدرات الاقتصادية =

=

ومساعد الرئيس وعضو في المكتب الرئاسي (١٩٦٩ – ١٩٧٠)، ومستشار الرئيس ومدير برنامج الاستقرار الاقتصادي، وعضو في المكتب الرئاسي (١٩٧١ – ١٩٧٢). أعلنت شركة سيرل G. D. Searle رسميًّا في أيار سنة ١٩٧٧ تعيين رمسفلد رئيسًا ومديرًا تنفيذيًّا، وأخذ دان سيرل نفسه منصب رئيس مجلس الإدارة، وتم إبعاد أقرباء العائلة. راجع: ف. ي. كرلوف، مصدر سبق ذكره، ص ٩٧. وآندرو كوكبرن، مصدر سبق ذكره، ص ١، ٧١. تميز رمسفلد بملامحه القاسية، وبتأثيره على الرئيس الأمريكي جورج دبليو بوش بفرض آرائه وتنفيذها فيما يخص قضايا الدفاع الصاروخي المضاد، وفي بداية حياته السياسية شغل منصبين، الأول: مدير لمكتب (الانتهاز الاقتصادي الأمريكي) أيام الرئيس نيكسون عام ١٩٦٩، والثاني: أمين عام للبيت الأبيض أيام الرئيس جيرالد فورد. وخلال السنة التالية ١٩٧٦ برزت منافسة خفية بين وزير الدفاع رمسفلد ومدير وكالة المخابرات المركزية بوش الأب، وكان رمسفلد يعتقد أن بوش الأب مدير ضعيف لوكالة المخابرات المركزية، يبخس بشكل خطير تقدير التقدم العسكري السوفيتي، وأنه كان لعبة في يد وزير الخارجية هنري كيسنجر. استمر رمسفلد في الحصول على مراكز في الحكومة في إدارة ريغان كمبعوث إلى الشرق الأوسط، وفي إدارة كلينتون كرئيس لجنة لتقويم تهديد الصاروخ البالستي على الولايات المتحدة، ولكنه لم يحصل على أي منصب في إدارة بوش الأب. راجع: بوب ودوارد، بوش محاربًا، مصدر سبق ذكره، ص ٤٤ –٤٦. وعندما رقى لمنصب وزير الدفاع سلم منصبه الثاني لصديقه ديك تشيني الذي عرفه منذ عهد نيكسون. وبعد خمس وعشرين سنة –أي عام ٢٠٠٢– سلمه بوش حقيبة وزارة الدفاع التي شغلها سابقًا. إن رمسفلد في آن هو أصغر وزير دفاع وأكبر وزير للدفاع عمرًا في التاريخ الأمريكي، إنه مفتون حتى النخاع بهنري كيسنجر الذي قال عن رمسفلد الشاب: "إنه سياسي بيروقراطي قدير وحكيم، يتميز بصفات حميدة، فهو عزيز النفس، صلب الإرادة لا يستهان بقدراته". راجع: الدكتور شادي فقيه، مصدر سبق ذكره، ص ٧٨. وف. ي. كرلوف، مصدر سبق ذكره، ص ١٠٥.

كان رمسفلد عارفًا بالهجومين على مركز التجارة الدولي، ولكنه استمر في سلم تقريره اليومي من المخابرات في مكتبه عندما ضربت الطائرة المخطوفة الوجه الغربي للبنتاغون، وأحس بالمبنى يهتز وأسرع إلى الشباك، ولكن لم يكن واضحًا ما حدث من موقعه، فذهب إلى الخارج وتتبع غيمة الدخان الصاعدة إلى مكان الصدمة، وراح يساعد في مهمات الإنقاذ قبل أن يحثه عميل

=

=

أمن على ترك تلك المنطقة. راجع: بوب ودوارد، بوش محاربًا، مصدر سبق ذكره، ص ٤٩.

يصف هارتمان، رمسفلد "بالصراحة، وعندما يكون الوقت ملائمًا، كان يبتسم كثيرًا، كانت الابتسامات بلا شك عاملًا مساهمًا في شعبية رمسفلد ضمن دائرة واشنطن، ولكن العمل عنده كان سابقًا للصداقات". أما نيكسون فيقول عن رمسفلد في آذار سنة ١٩٧١: "يبدو أن رمسفلد كان ملائمًا، إنه على الأقل صارم بما يكفي، إنه كاذب صغير لا يرحم، يمكنك أن تكون واثقًا من ذلك". إن نيكسون قد أعجب برمسفلد، فهم دونالد أن نيكسون يحب المدعومين من خلفية جامعات عصبة اللبلاب Ivy League من مناطق الجوارب الحريرية، وعرف كيف يكسب الإعجاب بذلك، كان جورج بوش الأب مدعومًا آخر، فتمكن من أن يجعل نيكسون يعينه سفيرًا في الأمم المتحدة؛ لأنه وعد بمحاربة طبقته الشخصية بالنيابة عن نيكسون. من هنا ولدت فكرة أن رمسفلد كان في أيام شبابه حمامة حب على فيتنام، ولم يكن أحد في دائرة نيكسون الداخلية يعتقد حينها أن رمسفلد كان يتصرف حسب مبادئ. "إنه مستعد لأن يقفز على السفينة"، هكذا قال نيكسون لهالدمان وكيسنجر بعد السابع من نيسان سنة ١٩٧١، وكان هذا اجتماعًا أثبت فيه رمسفلد جموحه.

وإن من أشهر مقولات رمسفلد سخريته الدالة على "أوروبا القديمة" التي كانت إلهامًا من التردد الفرنسي والألماني في دعم غزو العراق، وتأتي منشورات كهذه صدمة لرجال دولة لديهم ذكريات طويلة. "يبدو لي شخصًا غامضًا"، هذا ما قاله مسئول كبير. "إني أعرف دونالد رمسفلد منذ خمس وثلاثين سنة وما زلت لا أعرف كيف يفكر، عرفته أول مرة عندما كان سفيرًا في حلف شمال الأطلسي، وهل تعرفون أنه كان في تلك الأيام متطرفًا في تأييده لأوروبا، وكان السفير الفرنسي صديقه الحميم؟".

وصف صديق قديم وزميل سابق لرمسفلد هذه المهمة الغريبة قائلًا: "إن دونالد ينظر إلى كل شيء من منظار وضعه؛ فلذلك لا توجد أية قضية مهمة لن يستطيع تجنبها إذا كان هناك جانب أدنى، لديه نظام رادار عالي المستوى يعطيه معنى حلول مميتة مقبلة لكي يستطيع البقاء بعيدًا، إنه ماهر في إبقاء علامات أصابعه بعيدة".

كان رمسفلد في بروكسل بعيدًا عن مساوئ واترغيت والجرائم المتعلقة بها التي بدأت تلتف حول نيكسون في البيت الأبيض، وبرغم انحرافات واضحة كهذه لم تتحرك عين رمسفلد بعيدًا

=

عن واشنطن والانحدار المستمر لناصحه، وبين بعد ذلك كيف علم أن ريتشارد نيكسون ترك الرئاسة من صحيفة هرالد تريبيون International Herald Tribune خلال عطلته على الريفيرا الفرنسية، فسافر بعد ذلك إلى واشنطن ليرى ما يستطيع عمله ليساعد جري فورد، ولما كان رمسفلد لم يلطخ بأي من الفضائح التي أطاحت بنيكسون والتي كانت تضعف فورد، فقد عاد رمسفلد إلى البلد كالمنقذ، ذاهبًا إلى البيت الأبيض كرئيس لموظفي البيت الأبيض. (كان لدى تشيني تحفظات على العودة إلى الخدمة، فاستشار رئيسه بروس برادلي مستوضحًا إن كان انتقاله إلى موقع نائب أول لرئيس الموظفين في البيت الأبيض يجدي سيرته نفعًا أم لا، فأكد له برادلي أنها جيدة غالبًا. أصبحت طبيعة العلاقة بين رمسفلد وتشيني مسألة سحر عالمي بوجود جورج دبليو بوش في البيت الأبيض، وكان ثمة قليل من الجدل بأن هذين الرجلين عملا بشراكة في جر البلاد إلى منطقة خطيرة وغير معروفة، وقليل هم الذين عرفوا أن هذه العلاقة المشئومة كانت أكثر عندًا مما فهمه العالم)، وصار لرمسفلد قوة حقيقية، غير أن طموحه لم يتحقق ولو بدرجة خفيفة. وكتب الصحفي جاك أندرسون "أن دونالد رمسفلد لن يبقى في البيت الأبيض أكثر من ستة أشهر" وذلك خلال أسابيع من انتقاله إلى الجناح الغربي لأن فورد أراد أن يرسل "رمسفلد القادر" لإدارة البنتاغون.

كان هناك خلاف بين البيت الأبيض ورمسفلد حول دعم المعارض العراقي أحمد الجلبي عندما دخل الجيش الأمريكي جنوب العراق عشية الاحتلال، فقد وضح رمسفلد مشاعره في موجز صحفي في السابع من نيسان ٢٠٠٣ في اليوم الذي تلا هبوط المنفي الجلبي في جنوب العراق، وعندما سئل إن كان يدعم الجلبي أو أنه يوافق على دوره في عراق ما بعد الحرب، أجاب رمسفلد: بالطبع لا، لقد قلت: إن الشعب العراقي هو وحده الذي سيتخذ هذه القرارات. على الرغم من أنه كان مفضلًا في البنتاغون ويتمتع بدعم صقوره، وقد جاء هذا الموقف من رمسفلد بناء على موقف جورج بوش الذي قال عنه: "إن الجلبي ليس الرجل الذي أريده".

هنا لا بد من الإشارة إلى أن رمسفلد كان منذ البداية يبغي تسليم المسئولية إلى العراقيين، وكان يقول مرارًا وتكرارًا: "يجب أن نبعد يدنا عن مقعد الدراجة العراقية". تعهد رمسفلد بالاستقالة إذا خسر الجمهوريون الأغلبية في مجلس النواب أو مجلس الشيوخ في انتخابات عام ٢٠٠٦، وفي اليوم اللاحق للانتخابات أعلن بوش الابن استقالة رمسفلد وتعيين روبرت غيتس مكانه.

بعض التقارير الصحفية بأنه "نائب الملك الأمريكي" في العراق المحتل[١].

ومع أن بريمر كان مبعوثًا رئاسيًّا فإن وزير الدفاع سيكون المسئول المباشر عنه، حيث وقع الرئيس بوش الابن أمر الأمن القومي الرئاسي رقم ٢٤ في أوائل كانون الثاني ٢٠٠٣ الذي يعطي بموجبه وزارة الدفاع المرجعية الكاملة والتامة عن العراق بعد الحرب[٢].

=

كان هناك رتل من المراقبات التلفزيونية في الطابق الثاني في مكتب الشئون العامة في وقت غزو العراق، موضوع على برامج الأخبار كلها، وفي وقت محدد من الأيام الأولى نظر أحد المسئولين عاليًا ورأى "أن كل شيء قد ظهر فيه ضابط متقاعد يتحدث عن الحملة، وكأن كل واحد منهم صديقنا". وكان بعضها قنوات يعتمد عليها في رسالة رمسفلد أكثر من غيرها.

قدم رمسفلد بشكل عام صورة رأس وزارة الدفاع الذي لم يكلف نفسه عناء قراءة نصف المذكرات التي أتت إلى مكتبه وسلم المسئولية إلى آخرين "اعتمد بين يوم وآخر على المسئولين الرفيعين في الوزارة لأداء مسئولياتهم القانونية". وأمضى معظم وقته "يعمل كرابط بين الرئيس القائد والقادة المحاربين الذين يشنون الحروب". أما متعهدو الدفاع فلم يجتمع معهم إلا إذا رآهم مصادفة في حفل في مكان ما". استقال رمسفلد بعد شهرين من رحلته الأخيرة إلى بغداد تاركًا الشرق الأوسط بعيدًا عن السلام، وفيما بعد صار رمسفلد أحد المؤسسين لما يعرف بتنظيم "القرن الأمريكي الجديد" الذي يهدف إلى "زعامة أمريكية للعالم" والذي دعا عام ٢٠٠٠ لغزو العراق. راجع: آندرو كوكبرن، مصدر سبق ذكره، ص ٢٦ – ٢٨، ٣١ – ٣٤، ٧١، ٩٥، ٩٧، ٢١٢ – ٢١٤، ٢٥٣. ومجدي كامل، بلاكووتر جيوش الظلام المرتزقة الجدد وفن خصخصة الحرب.. بزنس الموت على الطريقة الأمريكية، مصدر سبق ذكره، ص ٧٩ – ٨١. وبوب ودوارد، مصدر سبق ذكره، ص ٢٣٢.

(١) بريمر، مصدر سبق ذكره، ص ١٠.

(٢) جورج تنيت بالاشتراك مع بيل هارلو، مصدر سبق ذكره، ص ٤٢٧، ٤٣٠.

هناك انترنت سري إلى جانب الانترنت الذي نستعمله جميعنا، يعرف باسم سيبرنت Siprnet، متوفر فقط لأولئك الذين لديهم موافقة وأدوات خاصة، وهو اختصار لاسم Secret Internet

=

على الرغم من التقارير الصحفية العديدة التي ذهبت إلى أن البنتاغون استبعد وزارة الخارجية من المشاركة في إعادة إعمار العراق، فإن وجود كروكر وعشرات آخرين من الخارجية فضلًا عن كبار العاملين من الخارجية الذين عملوا مع بريمر يظهر أن المسئولين في الخارجية كانوا مشاركين مشاركة فعالة

= Protocol Router Network وهو الإنترنت الموجود في البنتاغون، ويبقى دائمًا منفصلًا بحذر عن مقابله المدني، وإن الدخول إليه مقتصر على تلك الأطراف المحروسة جيدًا، وإن مستعمليه لديهم كلمة سر، وجميع رسائله مشفرة، كما أن النظام مقسم إلى أجزاء مستقلة داخليًا، فالدخول إلى جزء منه لا يسمح تلقائيًا للمستخدم بأن يدخل إلى موقع على الإنترنت مدمج للموظفين على سبيل المثال، أو إلى مؤتمرات رمسفلد المسجلة على الفيديو مع قادته المحاربين، فقد كانت هذه المؤتمرات تنقل عبر السيبرنت، وكان مسموحًا للضباط من موظفي ميلر أن يدخلوا إلى السيبرنت، وكانت مهارتهم الخاصة في معرفة ما ينبغي أن يروه، ويتفحصوا أي موقع سري على الإنترنت تابع للبنتاغون، ويراقبوا بالتالي تحركات رمسفلد في وقتها، ولم تمكن عمليات ميلر من أخبار رايس عن آخر التطورات فحسب، وهي أرفع منه مباشرة، بل منافسي رمسفلد المكروهين، باول وآرميتاج في وزارة الخارجية. وكانت هذه الطريقة الوحيدة التي استطاع من خلالها الضباط والموظفون رفيعو المستوى من اكتشاف أية وحدات احتياطية قرر الوزير أن يحرك ومتى يحركها، على سبيل المثال. وإن الأمر الأكثر غرابة هو أن النظام العجيب قد استمر منذ أن بدأت الحرب مع طاقم الرئيس ودبلوماسييه الرفيعين الذين أجبروا على التجسس على زملائهم لمعرفة سريان القوات الأمريكية.

وبمجرد أن كافح رمسفلد من أجل ما سماه توري كلارك هيمنة المعلومات على بقية الحكومة، كان يبذل جهودًا للتحكم بالصورة التي سيتلقاها الشعب الأمريكي عن الحرب، وكان جزء من إسهامه قد جاء على شكل الظهور المتكرر أمام الجمهور، إما في المؤتمرات الصحفية في البنتاغون أو في استوديوهات التلفزيون، حيث أظهر الأسلوب المخادع والواثق الذي أتقنه منذ الحادي عشر من أيلول (كان وولتوفيز يظهر أمام الناس أيضًا بفضل الجهود المصرة لطاقم شئونه العامة؛ إذ أصر على أن يبقوا مستقلين عن كلارك).

بعد سقوط بغداد. وفي هذا المجال لا بد من الإشارة إلى أن الخارجية بمشاركة كروكر الفعال، بعد وصول بريمر إلى بغداد، قدمت خطة كاملة لأنشطة ما بعد النزاع في العراق[١].

وبهذا القرار تكون وزارة الخارجية الأمريكية تجاوزت البنتاغون الأمريكي؛ إذ كان في نية الأخير تعيين شخص يمثل التقاليد العسكرية الأمريكية، وبموجب هذا الاختيار يبعث الحاكم المدني الأمريكي بريمر بتقاريره مباشرة إلى وزير البنتاغون دونالد رمسفلد[٢] بالرغم من أن المعروف أن جي غارنر من الأصدقاء المقربين لرمسفلد الذي وصفه بأنه صديق وشخص موهوب للغاية[٣]. في نظر المراقبين فإن غارنر لم يظهر قوة كافية ولا مهنية في

---

(١) بريمر، مصدر سبق ذكره، ص٣٧ –٣٨.

(٢) إن التغيير من الهيمنة إلى الانفرادية كان قد تزامن مع السيطرة الكبيرة لوزارة الدفاع على وزارة الخارجية في المنافسة الإدارية والموارد؛ ففي منتصف الثمانينيات وخلال حقبة التسعينيات من القرن الماضي عانت كل من الميزانية العامة لوزارة الخارجية والوكالة الدولية للتنمية من تخفيضات حادة، وبلغ التناسب الإنفاقي العسكري الإجمالي على الشئون الدولية ما يعادل تقريبًا نصف ميزانية الدفاع في العام ١٩٤٨، في حين كان متوسط الإنفاق عليها في التسعينيات ٦٪ من إجمالي الإنفاق العسكري. راجع: Steven W.Hook ,"Domestic Obstacles to International Affairs: The State Department Under Fire at Home < ps: Political Science and Political , pp.23-29 إذا ما علمنا أن ميزانية الدفاع الأمريكي هي أكبر من ميزانية عشر قوى عسكرية في العالم؛ إذ بلغت في العام ١٩٩٧، ٦٧ بليون دولار. راجع: Martin Walker Whose Internationalism , Whose Isolationm , Anti – Internationalism Conference , Carnegie Councilon Ethic and International Affairs and World Policy Institute , New York , April 11,1996 , p. 56.

(٣) حظي جي غارنر بثقة وزير الدفاع الأمريكي دونالد رمسفلد، وتميز بمعرفته عن القضايا =

عراق ما بعد الحرب، لذلك كان عليه أن يخلي مكانه لشخص آخر تتوفر فيه صفات مناسبة لهذا الدور[1]، أما الرئيس بوش فإنه عبر عن رأيه عن بريمر قائلًا: (إنه صاحب خبرة كبيرة، وله تأييد كبير في الإدارة الأمريكية). وفي واقع

=

العراقية، لكونه قد اشترك في حرب الخليج الثانية عام ١٩٩١، ولعلاقته الجيدة مع بعض شرائح المجتمع العراقي، هو رئيس شركة سي. ي. كوليمان المساندة لأنظمة الصواريخ في حرب العراق، زار الأرض المحتلة عام ٢٠٠٠ بناءً على دعوة من المعهد اليهودي لشئون الأمن القومي.

أشاد جي غارنر بالجيش الصهيوني أثناء الانتفاضة الفلسطينية، وأعلن أنه سيدفع الحكومة العراقية الجديدة التي جاءت بعد الاحتلال الأمريكي للعراق عام ٢٠٠٣ عن الاعتراف بالكيان الصهيوني.

كان جي غارنر في مقدمة الداعين لتصفية معاهدة الحد من الأنظمة البالستية، وأشرف على مجموعة بطاريات صواريخ باتريوت، فضلًا عن إشرافه على إعادة توطين اللاجئين خلال حرب الخليج الثانية عام ١٩٩١ قبل توليه قيادة سلاح الفضاء والدفاع الإستراتيجي، وانتدب غارنر لمهمة الإشراف على العراق قبل أشهر من الاحتلال، ثم أرسل إلى الكويت لجمع فريقه وإعداده، وقد وصل غارنر وفريقه إلى العراق في ١٨ نيسان لتولي مسئولية "مكتب إعادة الإعمار والمساعدة الإنسانية". علق السفير البريطاني في مصر جون سوورز الذي كان في بغداد لتقصي الأوضاع نيابة عن رئيس الوزراء البريطاني توني بلير في برقية بعث بها إلى لندن عقب الاستغناء عن خدمات غارنر: "إدارة غارنر في حال يرثى لها، فهي بلا قيادة أو إستراتيجية أو تنسيق أو هيكلية، كما أنها منعزلة عن العراقيين العاديين.. غارنر وفريقه المكون من جنرالات متقاعدين في العقد السادس من أعمارهم يمتازون بالنوايا الحسنة، ولكنهم في حالة من التخبط". راجع: الدكتور حامد محمود عيسى، القضية الكردية في العراق من الاحتلال البريطاني إلى الغزو الأمريكي ١٩١٤ – ٢٠٠٤، مصدر سبق ذكره، ص ٥٥٥. وبيتر وغالبريث، مصدر سبق ذكره، ص ١٣٦. وجورج تنيت بالاشتراك مع بيل هارنو، مصدر سبق ذكره، ص ٤٢٨. وآندرو كوكبرن، مصدر سبق ذكره، ص ٢٢٠.

(١) ف. ي. كرلوف، مصدر سبق ذكره.

الأمر يعد تعيين بول بريمر الذي ينتمي إلى تقاليد وزارة الخارجية بمثابة نصر حقيقي للأخيرة، وتنامي دورها في عملية صنع القرار، مقابل تراجع أهمية بقية مؤسسات الدولة الرسمية في هذه العملية.

والحق، في الأشهر التي سبقت غزو العراق انهمكت وزارة الخارجية الأمريكية في جهود واسعة ومنظمة للتخطيط لإعادة إعمار ما بعد الحرب في العراق مما يأتي بنتائج أفضل، ولكن في النهاية تم تجاهل هذه الجهود ووضع التحكم في عملية إعادة البناء في أيدي وزارة الدفاع(١).

إن رمسفلد قد أخبر معاونيه في البنتاغون بأن في مقدورهم هم أيضًا تجاهل التعليمات الصادرة عن مجلس الأمن القومي، وفي نهاية الأمر بات أن كوندوليزا رايس لا تستطيع الإمساك بزمام البنتاغون كي تحمل قيادته على التقييد بالعمل الطبيعي فيما بين مختلف الوكالات الذي يضمن دون سواه بقاء واشنطن على السكة، كما بات جليًّا أيضًا أن رمسفلد وكبار مساعديه لا يدفعون ثمن هُزْئِهم بالبيت الأبيض حول مسائل سياسية رئيسة(٢).

إن علاقة القوى المهيمنة كانت بين رمسفلد ونائب الرئيس ديك تشيني الذي يعد في واقع الأمر مستشار الرئيس الحقيقي لشئون الأمن القومي؛ فقد كان رمسفلد معلم ديك تشيني ورئيسه قبل أن يصير الشاب نائبًا للرئيس بزمن طويل، وبالنسبة للآخرين في الإدارة، المربكين بفعل العملية أو لعدم وجود

(١) ليام أندرسن، غاريث ستانسفيلد، مصدر سبق ذكره، ص ٤٠٨.

(٢) جيمس ريزن، حالة حرب التاريخ السري للسي آي أيه وإدارة جورج بوش، ترجمة سامي الكعكي، دار الكتاب العربي، بيروت، ٢٠٠٦، ص ٧٧ – ٧٨.

عملية أصلًا، فقد اتضح لهم في آخر الأمر أن تشيني ورمسفلد يملكان قناة خلفية فيها تتم صناعة القرارات الحقيقية، وأن الاجتماعات الموسعة غالبًا ما تكون غير ذات صلة بالموضوع. وعلى الرغم من ذلك فإن إدارة بوش تكون الرئاسة الأولى في التاريخ الحديث التي يكون فيها البنتاغون دور مركز الجاذبية الساحقة للسياسة الخارجية الأمريكية(١).

لاحظ موظف سابق في مجلس الأمن القومي وأحد الذين عملوا مع كوندوليزا رايس عندما كانت مستشارة للأمن القومي أن رايس في غاية الضعف، فقد كانت تبدو قريبة من الرئيس، لكن ذلك لم يترجم في الحقيقة إلى إمساك بمفاصل العملية؛ فلقد تميزت عملية مجلس الأمن القومي في هذه الإدارة بخلل وظيفي(٢).

وثمة مسئول كبير في السي آي أيه يوافقه الرأي عندما يقول: "أظن أن رايس لم تنجح في تحقيق أي شيء، وهي ستذكر في التاريخ ربما على أنها أسوأ مستشار للأمن القومي على الإطلاق، أظن أن المستشار الحقيقي للأمن القومي هو تشيني، وبالتالي يستطيع تشيني ورمسفلد أن يصنعا ما يريدان"(٣).

والمشاكل البنيوية في إدارة بوش ما لبثت أن اتخذت أبعادًا أكثر حدة بعد ١١ سبتمبر، آيلة إلى إحداث تحولات جذرية وفجائية في السياسة الخارجية الأمريكية.

---

(١) المصدر نفسه، ص ٧٧ – ٧٨.

(٢) المصدر نفسه، ص ٧٨.

(٣) جيمس ريزن، مصدر سبق ذكره، ص ٧٨.

في الأحوال العادية يستلزم اتخاذ أية مبادرة سياسية جديدة شهورًا -إن لم نقل سنوات- من الدراسة والمداولة في جهاز الأمن القومي للحكومة؛ فيكون للوزارات والوكالات الحكومية التي تدفعها مصالح مؤسساتية شديدة التباين في أغلب الأحيان ما تقوله حول كيفية صياغة المقترحات الجديدة، وعند لقاءات بين الوكالات بهدف التوصل إلى تذليل تلك الخلافات، وغالبا ما يدلي زعماء الكونغرس بدلوهم في الأمر، وكذلك جماعات الضغط العاملة لمصلحة الصناعات الرئيسة، وفي بعض الأحيان حتى السفراء من بلدان أجنبية يحتمل أن تتأثر بالقرار. وفي هذا السياق تجرى مساومات ويتم تدوير الزوايا، وإذا ما جرت الأمور على ما يرام فيكون الاقتراح لدى وصوله إلى الرئيس وكبار مستشاريه يمثل شيئًا هو أقرب إلى الإجماع، وتكون السياسة أميل ما تكون إلى الوسطية[١].

إن الروتين في عمل الأمن القومي بطيء إلى درجة تبعث على الاستغراب، ويفتقر إلى الروح الخلاقة ويبغض المجازفة أشد البغض. هذه المؤثرات المهدئة للروتين البطيء اختفت تمامًا بعد ١١ أيلول، فكان بوش وكبار أركانه: رمسفلد وكولن باول وكوندوليزا رايس، وحفنة من المسئولين سواهم، يعقدون اجتماعات متواصلة تقريبًا يخيم عليها جو الأزمة، فيتخذون القرارات السريعة؛ فبدلًا من أن تصعد المقترحات بالتدريج عبر طبقات الحكومة الاعتيادية بدأت تطرح وتفرض فرضًا من فوق، فدائرة النقاش ضاقت كثيرًا، والمراجعة المتبادلة بين الوكالات للمبادرات الجديدة صارت تجرى على السريع؛ فتخلفت البيروقراطية كثيرًا عن القيادة السياسية حول مروحة واسعة من المبادرات السياسية، وخلال

---

(١) المصدر نفسه، ص ٧٨ – ٧٩.

السنة ونصف السنة ما بين ١١ أيلول وآذار ٢٠٠٣ تاريخ غزو العراق لم يتمكن البيروقراطيون قط من اللحاق بالسياسيين[١].

وسط هذا الجو المحموم سرعان ما تمكن القادة السياسيون داخل الإدارة بما لديهم من أجوبة قاطعة ويقين أكبر وإصرار أشد من فرض سيطرتهم على جدول الأعمال، وتلك كانت البيئة المثلى بالنسبة لتشيني وكذلك رمسفلد[٢].

أدت هيمنة رمسفلد إلى مشاكل ومناقلات لا تنتهي بين الموظفين وبالأخص في مجلس الأمن القومي، لقد خلص رمسفلد إلى أنه غير مضطر إلى إعارة منسق ما يسمى "مكافحة الإرهاب" في البيت الأبيض أي انتباه طالما أنه يؤمن بأن ما يسميه "محاربة الإرهاب" على نطاق العالم كله يقع على عاتقه هو، لا، بل إنه رفع مذكرة إلى الرئيس بوش يقول فيها: "إن وظيفة منسق مكافحة الإرهاب في البيت الأبيض ما كان ينبغي استحداثها في رأيه، وأنه يرى في الأمر مخالفة دستورية". ولعل الرئيس قد لا يكون موافقًا على تفسير رمسفلد للدستور، إلا أن وزير الدفاع نجح مع ذلك في الحد على نحو صارم من سلطة ونفوذ مجلس الأمن القومي على الشئون العسكرية، وشئون مكافحة ما يسمى بالإرهاب، وحتى الشئون الاستخباراتية نفسها فليس من باب المصادفة أبدًا أن يأتي منسقو مكافحة الإرهاب في البيت الأبيض ويذهبوا بسرعة مدوخة بعد ١١ أيلول، وكان أن انحدرت هذه الوظيفة في نهاية المطاف وأدمجت في وظيفة منسق البيت الأبيض لشئون الأمن الداخلي[٣].

---

(١) جيمس ريزن، مصدر سبق ذكره، ص ٧٩ – ٨٠.

(٢) المصدر نفسه، ص ٨٠.

(٣) جيمس ريزن، مصدر سبق ذكره، ص ٨٠.

يقول أحد المساعدين السابقين في البيت الأبيض: "كثيرة هي المرات التي صنع فيها البنتاغون ما يريد، أيًّا كانت توصيات مجلس الأمن القومي"(١). وإذا بشبكة فعالة من العاملين المرتبطين ارتباطًا راسخًا ومديدًا بتشيني، بعضهم من المحافظين الجدد، وآخرون مجرد محافظين عاديين، تنتشر في الإدارة وتتوزع على المناصب الرئيسة فيها، مقدمة الدعم الحاسم لرمسفلد. إن قوة شخصية رمسفلد واستعداده للعمل كممكن للمحافظين الجدد داخل وزارة الدفاع وفي أمكنة أخرى من الإدارة، فضلًا عن المساندة الحماسية التي تلقاها من تشيني، كانت المساهم الأكبر في تعطيل الضوابط والتوازنات النظامية في جهاز الأمن القومي(٢).

وإذا كان رمسفلد مستعدًّا لتجاهل مستشار الرئيس للأمن القومي، فلم لا يتجاهل والحال هذه مدير السي آي أيه نفسه؟ لذلك حين شرع رمسفلد بطرح سلسلة من المبادرات التي تنطوي على تحد مباشر لسلطة تنيت ونفوذه على الجسم الاستخباراتي، ولا سيما في أعقاب ١١ أيلول، لم يكن بالأمر المفاجئ جدًّا أن ينكمش تنيت على نفسه، أو أن يغيب البيت الأبيض عن ساحة المعركة البيروقراطية(٣).

كان معروفًا عن رمسفلد وفريقه أنهم يدخلون المفاهيم والقواعد إلى المباحثات السياسية، ويدرسون طرق التأثير في التفكير الجماعي بشأن المسائل الإستراتيجية، وكان معروفًا عن نظيره وزير الخارجية كولن باول أنه يصرف

---

(١) المصدر نفسه، ص ٨٠.

(٢) جيمس ريزن، مصدر سبق ذكره، ص ٨٠ – ٨١.

(٣) المصدر نفسه، ص ٨١.

النظر عن مثل هذه العموميات، ويعالج المسائل السياسية ضمن ما يعده الوضع الراهن.

كان الكلام الإستراتيجي المفاهيمي والعقلاني الذي يدخله رمسفلد إلى المناقشات السياسية يفقد باول صبره، وقد أوضح هذا الأخير أنه يعد مباحثات كهذه من النوع النظري والأيديولوجي، وكان باول يعرض نفسه كرجل الأعمال الواقعي الذي يتعامل مع العالم كما يجده مُرَكِّزًا على هنا والآن، وعازمًا على تنظيم الأمور لاجتماعات اليوم التالي ومجابهة ما يستجد من أزمات[١].

ولكل كان لدى باول ورمسفلد مزاجان نفسيان مختلفان، نقطة يظهرها بوضوح تعامل كل منهما مع دائرته بعد أحداث ١١ أيلول، وقد خلق رمسفلد العديد من المنظمات والمكاتب الجديدة في البنتاغون من بينها قيادة الشمال، ومكتب وكيل وزارة الدفاع للاستخبارات، ومكتب مساعد وزير الدفاع للدفاع الوطني، وخلق منتديات جديدة سمحت لأول مرة لكبار قادة البنتاغون العسكريين والمدنيين بالاجتماع كمجموعة واحدة مع القادة المقاتلين، وأعاد توزيع مسئوليات القادة المقاتلين، وتخطيط تموضع الدفاعات الأمريكية في أنحاء العالم بإنشاء وإغلاق قواعد وغيرها من المنشآت وتعديل الاتفاقات الدولية وخلق أعمال عسكرية دولية جديدة ومنتديات للدفاع، أما باول فقد ترك أجهزة وزارة الخارجية من مكاتب وبعثات أجنبية دون أي تغيير بالكامل مع المكاتب الرئيسة المخصصة لاتفاقيات ضبط الأسلحة من العهد السوفيتي، وعندما ترك باول الإدارة في مطلع سنة ٢٠٠٥ لم يكن ثمة شيء في تنظيم وزارة

(١) دوغلاس ج. فايث، مصدر سبق ذكره، ص ٧٩.

الخارجية يدل على أن أحداث ١١ أيلول قد وقعت في سنة ٢٠٠١ ولا حتى أن الحرب الباردة قد انتهت في سنة١٩٩١[١].

وربما برز الفارق الأكبر بين طريقة عمل فريقي رمسفلد وباول من شغف رمسفلد بالتوثيق والكلمة المكتوبة؛ ففي رأيه أن الطريقة الوحيدة لتأمين الوضوح في التفكير تكمن في تدوين الحجج على الورق[٢].

أظهر باول القليل من التقدير لهذه الجهود، كما أعطى ملاحظات قاسية بشأن سيل المذكرات من وزارة الدفاع، وأنتج محترفو وزارة الخارجية العديد من المذكرات الطويلة، ولكنها كانت عادة من نوع المحادثات العملانية الخاصة بالسياسة، ملأ بالتفاصيل وتقع مدى الإدراك المناسب للجنة الأساسيين، ناهيك عن الرئيس، لم يكن موظفو الخارجية بما فيهم باول نفسه يتحدون الآراء الإستراتيجية والمفاهيمية الواردة من وزارة الدفاع وبخاصة المكتوبة منها، ومع أن لدى باول ما يكفي من الذكاء وقوة الإقناع فقد فضل على ما يبدو أن يفوت الفرصة لتقديم آراء إستراتيجية مكتوبة لبوش (وللمؤرخين في المستقبل) ترمي بثقلها ضد تقارير السياسة الواردة من رمسفلد وموظفيه[٣].

---

(١) المصدر نفسه، ص ٨٠.

(٢) دوغلاس ج. فايث، مصدر سبق ذكره، ص ٨١.

(٣) رأى رمسفلد ذات صباح مقالة (معادة في منشورة "إيرلي برد" الخاصة بالبنتاغون) وقد أشارت إلى امتعاض بعض المصادر المغفلة في وزارة الخارجية من بعض المذكرات المحددة الصادرة عن رمسفلد؛ وإذ رأى رمسفلد في ذلك ثرثرة بذيئة امتنع عن إرسال المذكرات إلى باول عبر القنوات العادية، وصار يرسلها باليد إلى باول شخصيًّا ليصبح هو المسئول الوحيد عن الدمدمة الحاصلة في الصحافة، وتوقفت التعليقات البذيئة على مذكرات باول توًّا، وبعد أن نال ما أراد توقف باول عن هذا الإجراء بعد بضعة أسابيع. راجع: دوغلاس ج. فايث، مصدر سبق ذكره، ص ٨١.

=

عندما تولت كوندوليزا رايس[1] منصبها كوزيرة للخارجية الأمريكية في

=

أدرك بوش أن استبدال رمسفلد سيكون قضية حساسة تحتاج إلى معاملة متأنية، فعلى الرغم من كل شيء كانت الانتخابات تلوح مهددة على الأفق، ومن الضروري وجود وزير للدفاع للحفاظ على سلسلة القيادة أثناء الحرب.

في أوائل تشرين الثاني أبلغ بوش الابن كوندوليزا رايس بأنه قرر استبدال رمسفلد، واختيار بوب غيتس للقيام بمهمة وزير الدفاع، كان غيتس (٦٣) الحاصل على شهادة الدكتوراه في التاريخ الروسي والسوفيتي قد شغل منصب رئيس جامعة تكساس أيه أند أم، يمتلك خبرة ستة وعشرين عامًا في وكالة المخابرات المركزية، وعضوًا أساسيًّا في فريق الأمن القومي في عهد بوش الأب، وعمل مساعدًا لمستشار شئون الأمن القومي برينت سكوكروفت، ثم مديرًا لوكالة المخابرات المركزية، وعمل تحت إمرة خمسة رؤساء أمريكيين.

إن لدى غيتس عدة اهتمامات تتجاوز حدود العراق، تتركز في الآتي:-

١ – الجيش صغير ولا يكفي حجمه لأداء المهمات المطلوبة منه.

٢ – شعر بأنهم خدعوا الحرس الوطني، فكثير من أفراده انضموا إليه بوصفهم جزءًا من الاحتياط الإستراتيجي للحالات الطارئة الوطنية، لكنه تحول إلى قوة عملياتية تنشر بانتظام.

٣ – يشتري البنتاغون معدات تناسب الحرب الباردة، في حين تحتاج القوات الأمريكية إلى معدات تناسب صراعات مكافحة الإرهاب ومحاربة التمرد التي تواجهها الآن.

قوم بوش الابن رمسفلد قائلًا: "دونالد واحد من المهنيين المحترفين الحقيقيين الذين يفهمون ما يجري في واشنطن، فهو في خدمة الرئيس، ويعرف أن المسالة ليست شخصية". قال تشيني بحقه: "يعد رمسفلد أفضل وزير دفاع عرفته هذه الأمة في تاريخها كله". راجع: بوب ودوارد، الحرب الداخلية التاريخ السري للبيت الأبيض بين عامي ٢٠٠٦ – ٢٠٠٨، مصدر سبق ذكره، ص ٢٣٢، ٢٦٩ – ٢٧١، ٢٧٦ – ٢٧٨.

(١) يعرفها المقربون منها باسم كوندي، وهو اسم يسهل التلفظ به أكثر من اسمها الكامل المعروف، ابتكرت أمها –وهي عازفة بيانو وأرغن– اسم كوندوليزا من العبارة الإيطالية كون دولسيزا، =

=

وهي علامة موسيقية توحي إلى العازف كي يعزف بعذوبة. ولدت رايس في الرابع عشر من تشرين الثاني من العام ١٩٥٤، والتحقت بمعهد موسيقي محلي، ووصلت بمستوى عزفها إلى آفاق جديدة، والتحقت وهي في العاشرة من عمرها بمعهد بيرمنغهام الجنوبي للموسيقى، وكان المعهد قد فتح أبوابه حديثًا أمام الطلاب السود (حصل السود على حق التصويت عند إقرار التعديل الخامس عشر في العام ١٨٦٩) التحقت رايس بمدرسة سانت ماري في العام ١٩٦٩، حيث نالت الشهادة منها وهي في عمر السادسة عشرة، كما تفوقت بأدائها في العزف على البيانو في معهد لامونت للموسيقى التابع لجامعة دنفر. شجعها الدكتور كوربيل (ولد كوربيل في تشيكوسلوفاكيا في العام ١٩٠٩، وتلقى علومه في باريس، وذلك قبل أن ينال إجازته في القانون من جامعة تشارلز في براغ، وتسلم كوربيل منصبه الأول في الحكومة التشيكية بصفته وزيرًا للشئون الخارجية، وأصبح في العام ١٩٣٧ الملحق الصحفي في السفارة التشيكية في بلغراد عاصمة يوغسلافيا، وعمل كوربيل بصفته سكرتيرًا شخصيًّا لوزير الخارجية التشيكي جان ماساريك، وما لبث أن أصبح رئيس هيئة الإذاعة التشيكية. أدى الضغط الذي مارسه نظام الحكم الجديد في براغ إلى تركه لوظيفته في العام ١٩٤٩، ونتيجة لذلك هاجر كوربيل مع أسرته إلى الولايات المتحدة، حيث أصبح أستاذًا في جامعة دنفر وعميدًا للمعهد الجامعي للدراسات الدولية في العام ١٩٥٩، وتسلم كذلك منصب مدير مؤسسة العلوم الاجتماعية. تصف رايس، كوربيل على أنه "أبوها الروحي") على الانضمام إلى معهد العلاقات الدولية التابع للجامعة، وهو المعهد الذي قام بتأسيسه، وفي غضون ذلك تعلمت رايس اللغة الروسية، وتخرجت رايس بشهادة بكالوريوس في العلوم السياسية وذلك في العام ١٩٧٤ وهي لما تزل في التاسعة عشرة من عمرها، ثم نالت شهادة الماجستير في الإدارة الحكومية من جامعة نوتردام في الثامن من آب من العام ١٩٧٥، ثم التحقت ببرنامج الدكتوراه في جامعة دنفر، حيث حصلت على درجة الدكتوراه، وهي في السادسة والعشرين من عمرها، وتم تعيينها أستاذة جامعية مساعدة في مادة العلوم السياسية في جامعة ستانفورد المختصة المثبتة بالشئون السوفيتية وذلك في عام ١٩٨١، وفي أيلول من العام ١٩٩٣ تعينت مديرة لجامعة ستانفورد، وتسلمت في عام ١٩٩١ و٢٠٠٠ مهمات إدارة مجموعة شيفرون إحدى أوائل الشركات النفطية العالمية، حيث كانت تقوم فيها بشكل خاص بتسيير الأمور المتعلقة بالإنشاءات (النفطية) في كل من كازاخستان وباكستان، وفي كانون الأول من العام

=

بداية عام ٢٠٠٥ أعلنت أن "وقت الدبلوماسية حان" وبتوجيه منها أصبحت وزارة الخارجية واضحة أكثر في صياغة السياسة الخارجية مما كانت عليه أثناء إدارة بوش الأولى[1]، وبدا أن الإدارة الجديدة مهتمة جدًّا في العمل بالتعاون مع

=

٢٠٠١ تم تعيينها مستشارة لشئون الأمن القومي، وتعد رايس المرأة الأولى التي شغلت هذا المنصب، وهي المستشار العشرون الذي يتولاه. يذكر أيضًا أنها ثاني شخص أسود يعين في هذا المنصب بعد الجنرال كولين باول، الذي عين في هذا المنصب في عهد إدارة ريغان. عمدت رايس إلى تنشيط دور مجلس الأمن القومي في التنسيق مع الرئيس، وذلك في أعقاب حادث اعتراض المقاتلة النفاثة الصينية لطائرة التجسس الأمريكية، وهو الحادث الذي وقع في أوائل شهر نيسان من العام ٢٠٠١، وتولت وزارة الخارجية مسئولية التفاوض مع الصين الشعبية بهدف إعادة طاقم الطائرة إلى الولايات المتحدة، واستطاعت رايس إقامة توازن بين مهماتها في مجلس الأمن القومي، مكنها من أن تكون صانعة لسياسات الإدارة، ومديرة لهذا المجلس. يرجع ذلك إلى إسهاماتها في وضع برنامج الدفاع الصاروخي للرئيس بوش، فضلًا عن عملها في تنسيق المعلومات الهائلة المتدفقة على مجلس الأمن القومي والمتعلقة بالحرب المسماة على الإرهاب، وأخيرًا وليس آخرًا تم تعيينها وزيرة للخارجية في إدارة الرئيس بوش الابن في كانون الثاني من العام ٢٠٠٥، وقد وضعتها مجلة تايم ضمن أبرز خمسين من قيادات البلاد الشابة. راجع: أنطونيا فيليكس، مصدر سبق ذكره، ص١١، ٤١، ٤٧، ٦٢، ٦٩، ٧٣ – ٧٤، ٧٩، ٨١ – ٨٢، ٨٤، ٨٨، ١٠٢ – ١٠٣، ١ ١١٤، ١٨١، ١٨٣، ٢٠٢، ٢٠٥، ٢٠٨، ٢١٠، ٢١٢، ٢٢٠، ٢٤٥. والدكتور شادي فقيه، مصدر سبق ذكره، ص ٨٠ – ٨٧. وف. ي. كرلوف، مصدر سبق ذكره، ص ١١٣ – ١١٧، ١٢٣- ١٢٤. وجان. شارل بريزار، غليوم داسكييه، مصدر سبق ذكره، ص ١٤. وبوب ودوارد، بوش محاربًا، مصدر سبق ذكره، ص ٥٩ – ٦٠.

(١) كانت كوندوليزا رايس تمثل الجيل الجديد في البيت الأبيض، وهي موظفة سابقة في مجلس الأمن القومي لبوش الأب وأكاديمية معروفة في الوسط الجامعي، وقد علمت الرئيس بوش عن السياسة الخارجية في أثناء الحملة الانتخابية، فأنشأت رابطة شخصية قوية معه، عوضت عن مكانتها الدنيا في علاقاتها مع المسئولين الكبار الآخرين، وتوطدت علاقة رايس بالرئيس بوش

=

=

في السنوات التي أعقبت مدة خدمتها في مجلس الأمن القومي كخبيرة في الشئون السوفيتية، وعملت تحت قيادة برنت سكوكروفت. قال عنها بوش الابن: "إن الدكتورة كوندوليزا رايس ليست ذات شخصية فذة فحسب، بل إنها ذات خبرة وتجربة عظيمة، إنها قيادية رائعة، أنا أثق بخبرتها وعلمها، عندما يحين الوقت المناسب ستقتنع أمريكا بأنها إنسان حكيم، إنه لشرف كبير لي إذ أدخلها في عداد إدارتي في المستقبل". راجع: ف. ي. كرلوف، مصدر سبق ذكره، ص ١١٣. وكوندوليزا رايس، مصدر سبق ذكره، ص ١٩، ٣٥.

لم تكن رايس فعالة جدًّا كمستشارة للأمن القومي في تنسيق نظام اتخاذ القرارات؛ لأن وزيري الخارجية والدفاع أقدم منها وغير ميالين للانقياد لها، كما أن نائب الرئيس أنشأ مجلس أمن قومي مصغرًا خاصًّا به ما أتاح لليبي الاستفادة من الرابطة الوطيدة بين الرئيس ونائبه، لكسب نفوذ بيروقراطي قلل من سلطة رايس، لكن مع أن ذلك قلص فعالياتها البيروقراطية فإنه لم يقيد اعتماد الرئيس المتزايد عليها لتعزيز غرائز الثقة بالنفس المتنامية لديه.

لقي نفوذ رايس الأيديولوجي على بوش مساعدة من وولفويتز وكبير موظفي نائب الرئيس سكوتر ليبي، وكان الأخيران قد تعاونا معًا في وضع وثيقة إستراتيجية عام ١٩٩١، وقدما حجة التفوق العسكري الأمريكي العالمي الصرف، ولكل منها آراء متطرفة فيما يخص العراق والكيان الصهيوني على غرار بعض المسئولين الثانويين الذين اختاروهما للمناصب الرئيسة في البيت الأبيض ووزارة الدفاع، كانا في التسعينيات من بين الموقعين على الرسائل الموجهة إلى الرئيس كلينتون أو رئيس الوزراء الصهيوني بنيامين نتنياهو، التي تحث على مزيد من سياسة المواجهة القوية مع العراق، وقد قدم هذا الحشد من الأشخاص المدعومين بأشخاص من خارج الإدارة الزخم الإستراتيجي للمبادرة التي تكشفت في أعقاب ١١ أيلول، وبلغت ذروتها بعد سنة ونصف من الغزو العسكري للعراق، وانتهز مستشارو بوش السياسيون المحليون الرئيسون حدث ١١ أيلول كفرصة لادعاء الأفضلية السياسية، وبرفع الهجوم غير الشرعي إعلان حرب رمزي منحوا بوش مكانة القائد الأعلى في زمن الحرب التي تخوله سلطة تنفيذية معززة، وقد حسبوا أن التماس الغضب المحلي للرأي العام، ونشر الذعر والخوف والارتياب الذهني في أوساطه يمكن الحصول على فوائد سياسية، وقد حصدوها في انتخابات سنة ٢٠٠٤، وهكذا أصبحت الحرب الدائمة على ما يسمى بالإرهاب أداة سياسية داخلية بقدر ما هي أداة سياسة

=

الحلفاء والبلدان الأخرى، بل إن الرئيس الذي يريد على ما يبدو مداواة الجروح التي أحدثها من قبل، كلف كارن هيوز، وهي من أكثر المساعدين الذين يثق بهم، بمهمة تنسيق الخدمات المقدمة إلى العالم الإسلامي[١].

وفي مراسم أداء هيوز اليمين قال الرئيس بوش الابن: إنه يتوقع منها الحرص "على أن كل هيئة ووزارة تعطي الدبلوماسية العامة مستوى الأولوية نفسه الذي أعطيه لها"[٢].

والحق أن تقوية وزارة الخارجية في الولايات المتحدة على عهد كوندوليزا رايس إنما ترجع إلى جملة أمور، يمكننا تلخيصها في الآتي[٣]:

١ – تتمتع كوندوليزا رايس بصفات القيادة والإقناع[٤]، وفي هذا المجال يقول

=

خارجية. راجع: زبغنيو بريجنسكي، الفرصة الثانية: ثلاثة رؤساء وأزمة القوة العظمى الأمريكية، مصدر سبق ذكره، ص ١٤٥ -١٤٦.

(١) مادلين أولبرايت بالاشتراك مع بيل ودوارد، الجبروت والجبار تأملات في السلطة والدين والشئون الدولية، مصدر سبق ذكره، ص ٢٤٤.

(٢) في هذا الشأن حدد الرئيس بوش الابن إستراتيجية من ثلاث نقاط: طلب مساعدة القطاع الخاص، والرد بسرعة أكبر على ما يسمى بالدعاية الإرهابية، وحث الأمريكيين على دراسة التاريخ والتقاليد للشرق الأوسط. وأضاف أن كل مواطن "يرحب بطالب في بيته ضمن إطار برنامج تبادلي هو بمثابة سفير للولايات المتحدة". راجع: المصدر نفسه، ص ٢٤٤.

(٣) أنطونيا فيليكس، مصدر سبق ذكره، ص ٩، ١٨، ١٢٠ – ١٢١، ١٣٩، ١٦٤، ٢٢٥ -٢٢٦، ٢٣٣.

(٤) تقول كوندوليزا رايس في مذكراتها: "ليس صحيحًا ما صدر في الصحافة سابقًا من أن رمسفلد كان يرفض دومًا الإجابة على مكالماتي الهاتفية، لقد كنت وكولن ودون نتحدث كل صباح تقريبًا إذا سمحت لنا برامج أسفارنا بذلك، أما دون فقد كان فعلًا لا يحب اجتماعات المديرين في مجلس الآمن القومي قائلًا للجميع: إن هذه الاجتماعات تلهيه عن عمله في إدارة البنتاغون،

=

جون فيريجون الذي انضم إلى قسم العلوم السياسية في جامعة ستانفورد بصفة أستاذ في العام ١٩٨٣: "إنها قائدة شديدة الفعالية، وصاحبة قرار ورؤية واضحة للأمور، إذا ما اختلفت معها على أمر من الأمور فسوف تجد أنها تمتلك أسبابًا وجيهة تؤيد وجهة نظرها، وعادة ما تفوز وجهة نظرها عندما تعارضك بطريقة فعالة".

٢ – قربها وعلاقتها من أسرة آل بوش، حيث تعد واحدة من أقرب الأشخاص الذين يثق بهم الرئيس بوش الابن، فضلًا عن أنها صديقة قديمة لأسرة بوش، كما سبق لها أن عملت ضمن كبار مستشاري بوش الأب للشئون السوفيتية، وسبق لبوش الأب أن أعجب برايس أثناء حكمه عندما عملت تحت إدارة مستشاره لشئون الأمن القومي برنت سكوكروفت، ولاحظ بوش الأب ذكاءها وولاءها الهائلين، وسرعان ما أحضرها إلى الدائرة الداخلية لعائلته، وأصبحت صديقة جورج بوش الابن منذ الأسابيع الأولى لتسلمه

=

لكن خطوط اتصالاتنا لم تغلق ألبتة. لسخرية القول أود أن أشير إلى أنني تعاطفت مع وجهة نظره هذه بعد أن أصبحت وزيرة للخارجية، فعمل مستشار الأمن القومي يقتصر على التنسيق بين مختلف الوزارات وتأمين مرافقي ومساعدي الرئيس، علمًا بأن هيئة موظفي هذا المجلس تضم نحو مائة شخص، لكن العمل فيه كثير المطالب، وهو يختلف كثيرًا عن خط المسئوليات لدى الوزراء الذين يتعين عليهم تولي مسئولية إدارة مؤسسة ضخمة (الخارجية لديها سبعة وخمسون ألف موظف في العالم، والبنتاغون لديها سبعمائة ألف موظف مدني) هي دومًا بحاجة للإشراف والاهتمام وصنع القرار، ويوجد دومًا أشياء مفاجئة توضع على مكتب الوزير، وغالبًا ما يكون شيئًا معروفًا عند عامة الناس وصعب الحل، فالمؤسسات الضخمة إدارتها صعبة، وكما كنت ووزير الدفاع بوب غيتس نقول في أحاديثنا معًا مازحين: "أنت لا تعرف ما يجري في مبنى وزارتك إلا بعد فوات الأوان". راجع: كوندوليزا رايس، مصدر سبق ذكره، ص ٤١.

منصب حاكم تكساس، ثم أصبحت أيضًا أرفع مستشارة للسياسة الخارجية فور بدء جورج الابن حملته الرئاسية. اشتملت مسئوليات رايس في فريق فولكان على العمل مع بول وولفويتز لوضع برنامج دورات تدريبية نصف يومية مكثفة لجورج الابن، وقد غطت هذه الدورات مواضيع الدفاع، وانتشار الأسلحة، فضلًا عن مواضيع أخرى، وقد نفذ الرئيس بوش الابن ظهورًا آخر محضرًا بعناية، وذلك في العام ٢٠٠٣، تأكد فيه أن رايس هي أقرب مستشاري الرئيس الذين يثق بهم.

يذكر أن رايس كانت واحدة من عدد قليل من المسئولين الذين كانوا على علم بخطط الرئيس بوش الابن للقيام برحلة يوم عيد الشكر إلى بغداد في شهر تشرين الأول، وهي الرحلة التي أعدت بسرية تامة، وهدفت إلى رفع معنويات الجنود الأمريكان، وعلمت زوجة بوش الابن لورا بوش باحتمال قيام الرئيس بهذه الرحلة، لكنها لم تعلم بحدوثها فعلًا إلا قبل ساعات قليلة من إقلاع طائرة سلاح الجو رقم واحد (الطائرة الرئاسية)، وعلمت بنات الرئيس بأمر الرحلة في ذلك اليوم أيضًا، لكن لم يُبلَغ والدا بوش بأمر هذه الزيارة إلا بعد أن حطت طائرة الرئيس في بغداد، أما طاقم البيت الأبيض فكان على علم بأن الرئيس سيمضي عيد الشكر في مزرعته في كراوفورد، وأعرب الرئيس بوش عن ثقته في كفاءة مستشارته للأمن القومي، وذلك بعد أسبوعين على فوزه في الانتخابات التي جرت في شهر تشرين الثاني من العام ٢٠٠٤، وأعرب الرئيس كذلك عن إعجابه بمؤهلاتها مرة ثانية عندما قام بتعيينها كوزيرة للخارجية في إدارته المقبلة بعد تقاعد كولن باول من العمل الحكومي[١].

---

(١) يتميز كل من رايس وبوش الابن بسمات قوية تربطهما ببعضهما، وهي الإيمان الديني العميق، =

٣- تشعب علاقاتها في أوساط الحزب الجمهوري، ونتيجة لخدمتها في البيت الأبيض[(١)].

=

فضلًا عن القيم التي يعبر عنها الرئيس بوش في خطاباته التي ألقاها بمناسبة الذكرى الأولى لهجمات أيلول من العام ٢٠٠٢، وقد كشفت هذه القيم عن طابع ديني يكمن وراء سياسته الخارجية، وبدت البوصلة الأخلاقية التي تحدثت رايس عنها واضحة في تعليقات الرئيس بوش حول واجب الولايات المتحدة الذي يتمثل في نشر مبادئها في أنحاء العالم كافة، وعكست تصريحات رايس سياسة الصقور التي تتبناها الإدارة تجاه الحرب على العراق، واستعدادها للمضي فيها وحدها، وذلك على عكس آراء سكوكروفت، ونلاحظ أن رؤيتها للسياسة الخارجية بدأت تعكس نظرة الرئيس ومجموعة المحافظين الجدد في إدارته، وذلك بعد حدوث الهجمات. راجع: أنطونيا فيليكس، مصدر سبق ذكره، ص ٢٢٠ – ٢٢١.

(١) سجلت رايس اسمها بكونها تنتمي إلى الحزب الديمقراطي في العام ١٩٧٦، وهي السنة نفسها التي بدأت فيها ببرنامج دراستها لنيل درجة الدكتوراه، وصوتت رايس لصالح جيمي كارتر في الانتخابات الرئاسية، لكنها غيرت رأيها بكارتر وبالحزب الديمقراطي نتيجة معالجة كارتر لمسألة الغزو السوفيتي لأفغانستان في نهاية شهر كانون الأول من العام ١٩٧٩، حيث قال كارتر في هذا المجال: "إنه صدم وحزن نتيجة الهجوم، وإن رأيه بالسوفيت قد تغير بقوة خلال الأسبوع الماضي أكثر مما تغير خلال السنتين الماضيتين اللتين سبقتاه". اعتبرت رايس أن الصدمة والمفاجأة اللتين أظهرهما كارتر يدلان على السذاجة، وأن تصرفاته جاءت ضعيفة جدًّا، تقول رايس: "أتذكر أنني رحت أفكر: من تظن أنك تواجه؟ هذه حكومة فظيعة، بالطبع لقد قاموا بغزو بلد أجنبي، اعتقدت أن الوقت قد حان لاتباع سياسة أكثر صلابة تجاه هذا النظام القمعي". وهذا يعني أن كارتر من وجهة نظر رايس لم يفهم الطبيعة الحقيقية للاتحاد السوفيتي، وعليه نرى أن رايس بادرت إلى التسجيل، بكونها منتمية للحزب الجمهوري أثناء الحملة الرئاسية التي جرت في العام ١٩٨٠، وصوتت لصالح رونالد ريغان، وفي هذا المجال تقول رايس: "لطالما كنت معجبة بما فعله ليندون جونسون لحركة الحقوق المدنية في العام ١٩٦٤؛ إلا أنني فكرت في العام ١٩٨٠ أن الولايات المتحدة لا تتبع سياسة خارجية فعالة، كما أنني أعجبت بقوة

=

كانت رايس أمضت مدة تمرينها -إذا جاز التعبير- في مجلس الأمن القومي للرئيس بوش، ومن المعتقد أنها في هذا المركز طورت إيمانها بأن الخلافات بين الوكالات هي مظهر لعدم الفعالية وليست مظهرًا لمناقشة مفيدة، وبعدما أصبحت رايس مستشارة الأمن القومي لاحظت مرارًا أنه في حال عدم قدرة حل وجهات النظر المختلفة لأعضاء مجلس الأمن القومي بوساطة دمج مكونات من كل منها إذا كان مطلوبًا من الرئيس أن يفضل الخيار السياسي لعضو على خيار عضو آخر؛ فإن ذلك سيمثل إخفاقًا من قبلها[١].

وبالرغم من أن رايس عملت على تجنيب الرئيس مهمة التقرير بين خيارات واضحة لا تتفق فيما بينها، لم يقم أحد من مستشاريه الكبار بممارسة مثل القدر من الهيمنة التي مارسها جيمس بيكر عندما كان وزيرًا للخارجية، واتكلت رايس على عملية توصيل أو خلط المكونات الهامة من وجهات نظر اللاعبين في اجتماعات الوكالات وهم كثر، وهي طريقة تعمد إلى الترتيب على الورق بدل إيجاد حلول للآراء الهامة المختلفة، في بعض الأحيان كان سعيها وراء التناغم يأتي على حساب الترابط المنطقي[٢].

في الأيام المبكرة من الحرب على العراق عملت رايس ونائبها هادلي دون توقف على العراق، ومع ذلك لم يتمكنا من السيطرة على عملية رسم السياسة،

=

ريغان، وتطورت آرائي السياسية بعدها لصالح حكومة أصغر". راجع: أنطونيا فيليكس، مصدر سبق ذكره، ص ١٠٧ – ١٠٨.

(١) دوغلاس ج. فايث، مصدر سبق ذكره، ص ٢٩٦.

(٢) المصدر نفسه، ص ٢٩٦ – ٢٩٧.

ولم يكونا ندين لرمسفلد، وكان الرئيس قد وقَّع أمرًا رئاسيًّا قبل الغزو يمنح سلطة الاحتلال إلى وزارة الدفاع[١].

أضعف اختيار بوش ورمسفلد لبول بريمر الدبلوماسي المحترف حاكمًا على العراق دور رايس وهادلي -فضلًا عن باول- في وزارة الخارجية، وتجاهل بريمر كليًّا مجلس الأمن القومي، واشتكى هادلي إلى زميل له قائلًا: "أمرنا كلنا بعدم التدخل، فهذه المسألة من اختصاص رمسفلد"[٢].

إن بريمر، الذي كان بوصفه مبعوثًا رئاسيًّا يتصل مباشرة بالرئيس، تجاوز حتى رمسفلد، واتخذ حتى قرارات مهمة على نحو أحادي ومفاجئ، وثبت أن بعض هذه القرارات كارثي، مثل حل الجيش العراقي، وطرد الآلاف من أعضاء حزب البعث السابق من الوظائف الحكومية[٣].

وفي هذا الشأن يقول كولن باول حيث كان وزيرًا للخارجية وقت الغزو عام ٢٠٠٣: "إنه لم يبلغ بقرار حل الجيش العراقي برمته بجرة قلم قرارًا حاسمًا ومفصليًّا ومتعارضًا مع الإنجازات السابقة التي قدمت للرئيس ولباول، ولم يبلغ باول مقدمًا بخطة اجتثاث البعث الكاسحة التي تحظر على الأعضاء

---

(١) بوب ودوارد، الحرب الداخلية التاريخ السري للبيت الأبيض بين عامي ٢٠٠٦ – ٢٠٠٨، مصدر سبق ذكره، ص ٣٦.

(٢) بوب ودوارد، الحرب الداخلية التاريخ السري للبيت الأبيض بين عامي ٢٠٠٦ – ٢٠٠٨، مصدر سبق ذكره، ص ٣٦.

(٣) المصدر نفسه، ص ٣٦.

تم استبعاد نحو ٢٥,٠٠٠ بعثي من وظائفهم، وذلك من أصل مليوني بعثي، وكان ذلك برنامجًا أقل صرامة من برنامج القضاء على النازية على سبيل المثال في ألمانيا بعد الحرب العالمية الثانية. راجع: Tony Blair , p. 473.

السابقين في حزب البعث العمل في الوظائف الحكومية. لقد سحبت الخطة البساط من تحت أقدام البيروقراطية التي تدير البلد، ومن وجهة نظر باول فإن كثيرًا من العراقيين اضطروا إلى الانضمام للحزب للحصول على الوظائف في بلدهم[١].

تبين للرئيس السابق بوش الابن أن برنامج اجتثاث البعث، الذي أشرف على تنفيذه أحمد الجلبي، أوغل في العمق أكثر مما كان يريده بوش الابن، بحيث شمل المستوى الأوسط من أعضاء الحزب مثل طبقة المعلمين، ومن المحتمل أن الإدارة الأمريكية كانت تصدر الأمرين في جميع الأحوال؛ لأن الموقف بالنسبة لها كان دقيقًا، وإن أي بديل تختاره يمكن أن يرتد عليها بمجموعة مختلفة من المشاكل، من وجهة نظر بوش الابن، لو استنتج الشيعة مثلًا بعدم جدية الإدارة الأمريكية بشأن إنهاء عهد حزب البعث ربما كانوا سينقلبون عليها، ويرفضون جعل العراق هدفًا لها، ثم الميل إلى جانب إيران[٢].

عبر باول عن دهشته من إرسال المسئولين الذين يفتقدون المؤهلات المناسبة إلى العراق، وذكر على وجه الخصوص برنارد كيريك، مفوض شرطة نيويورك السابق المعروف بنزقه واضطرابه النفسي، الذي عينه بوش رئيسًا للشرطة العراقية، ووكالة الاستخبارات. سأل باول بأسلوب مزج فيه المفاجأة بالازدراء: "برنارد كيريك مسئول عن الشرطة، من أين أتى برنارد هذا؟[٣]".

---

(١) بوب ودوارد، الحرب الداخلية التاريخ السري للبيت الأبيض بين عامي ٢٠٠٦ – ٢٠٠٨، مصدر سبق ذكره، ص ٧٣.

(2) George Bush , op. , pp. 259 – 260.

(٣) بوب ودوارد، الحرب الداخلية التاريخ السري للبيت الأبيض بين عامي ٢٠٠٦ – ٢٠٠٨، مصدر سبق ذكره، ص ٧٣.

كان لرمسفلد رأي خاص به فيما يخص كيفية عمل الولايات المتحدة في العراق سوف يرسل واحدة من وثائقه الموجزة المعروفة باسم "رقاقات الثلج" لطرح الأسئلة، والبحث عن التفاصيل، والمطالبة بالإجابات، حين لا يتضح له ما يحدث، هذه الوثائق غير موقعة، لكن الجميع يعرفون أنها تمثل أوامره أو أسئلته، لكن إذا تسربت فإنها تنكر[١].

تتكون الوثيقة التي أرسلت في ٢٨ تشرين الأول ٢٠٠٣ من صفحتين طويلتين، وصنفت بوصفها سرية: "الموضوع: المخاطرة والتقدم في العراق. عند مناقشة مسار التقدم في العراق اتفق الجميع على ضرورة منح العراقيين مزيدًا من السلطة بنحو أسرع"[٢].

كان لباول رأي مختلف؛ فالسيطرة عملية تتعلق بالأمن، ففي السنة الأولى اللاحقة على الغزو عبر بوش الابن ورايس مرارًا عن القلق من أن مستوى إنتاج النفط في العراق وتوافر الطاقة الكهربائية يتراجع، وهما من العلامات الدالة على أن الأوضاع في العراق أكثر سوءًا بعد الغزو مقارنة بحالها قبله، وقال باول: "النفط مهم، الكهرباء مهمة، لكنهما ليسا بأهمية الأمن؛ فالأمن حاسم الأهمية الآن"[٣].

في هذا المجال يقول المرشح الجمهوري للرئاسة جون مكين الذي عذب مدة خمس سنين حين كان أسير حرب في فيتنام، وهو بصدد انتقاد دور وزارة

---

(١) المصدر نفسه، ص ٣٦.

(٢) المصدر نفسه، ص ٣٦.

(٣) بوب ودوارد، الحرب الداخلية التاريخ السري للبيت الأبيض بين عامي ٢٠٠٦ – ٢٠٠٨، مصدر سبق ذكره، ص ٣٧.

الخارجية الأمريكية في العراق: "ربما نكون على وشك خسارة الحرب الثانية في حياتي؛ إذ إن مسئوليها لا يشاركون بكامل قوتهم وقدرتهم واهتماماتهم، ولا يتصرفون وكأنهم في حالة حرب فعلية، فالقسم المدني لا يقوم بدوره"[١].

وأجابت رايس على انتقادات مكين قائلة: "هذا ليس صحيحًا يا جون". ثم أخبرته عن التغييرات المؤسسية التي حدثت، ومنها نظام محسن للشئون الذاتية (شئون الأفراد والعاملين) ضمن إرسال أفضل المؤهلين إلى بغداد، فضلًا عن تغيير فرق إعادة الإعمار المؤقتة، التي تقوم كما قالت بنصيبها العادل من العمل في العراق، وامتدحت السفير الجديد ريان كروكر؛ إذ يؤلف هو وأعضاء سفارته فريقًا كفءًا من الدرجة الأولى[٢].

وفيما يخص العراق جعلت عملية الوكالات من الأسهل على باول وآرميتاج أن يؤثرا في سياسة الإدارة عبر تكتيك السلبية والتأجيل، عندما يكون إجماع الإدارة مطلوبًا لتمرير توصية معينة إلى الرئيس (مثلًا التوصية للدعوة إلى مؤتمر سياسي للمعارضين العراقيين)، كان من السهل على مسئولي الخارجية إيقاف المبادرة لأسابيع أو شهور دون أن يترتب عليه شرح الأمر للرئيس، وقد قوَّت عملية الوكالات النزعة الملازمة للبيروقراطية نحو اللاعمل، وفي بعض الأحيان تعمل هذه النزعة دون إحداث أي ضرر، ولكن في مسألة العراق سببت مشاكل أضرت بالجهد الحربي[٣].

---

(١) المصدر نفسه، ص ٤٤٥ – ٤٤٦.

(٢) المصدر نفسه، ص ٤٤٦.

(٣) دوغلاس ج. فايث، مصدر سبق ذكره، ص ٢٩٧.

في الوقت الذي كان باول وتينيت ونائباهما يساعدون على تطوير سياسة الإدارة لتغيير نظام الحكم في العراق، كان بعض المسئولين من المستويات الدنيا في وزارة الخارجية والـ"سي. آي. أيه" يرفعون أصواتهم سرًّا وعلنًا في معارضة هذه السياسة، ولكنهم لم يقترحوا مقاربة بديلة أيضًا[١].

كانت فكرة رايس عن دورها مختلفة عن فكرة مستشاري الأمن القومي التي عهدتها في إدارة ريغان، وكان موظفو مجلس الأمن القومي في إدارة ريغان يصوغون له بوتيرة روتينية مسودات "أوراق خيار" تعرض آراء الوكالات المتناقضة مع وصفات لحلولها السياسية، وفي هذا الشأن يقول دوغلاس ج. فايث: "أخبرني رمسفلد مرارًا بأنه يعتقد أن بوش يجب أن يتلقى "أوراق خيار" كتلك التي كانت تكتب لريغان، ولكن كان لرايس طريقتها الخاصة في العمل"[٢].

ولكن من ناحية أخرى يقول فايث: "لا أعلم إذا كان بوش قد طلب من رايس أن تعمل بهذه الطريقة أم لا، ففي نصف السنة الأولى من الولاية الثانية لجورج دبليو بوش أصبح ستيف هادلي "نائب رايس" مستشار الأمن القومي عندما أصبحت رايس وزيرة للخارجية، وحافظ هادلي، بوجه عام، على عادة محاولة إنتاج اقتراحات تواصل للرئيس"[٣].

أسهم موظفو رايس بورقة تدعى "إستراتيجية لتحرير العراق" وزعت للمناقشة في اجتماع لجنة الأساسيين في ٦ آب، وقد عكست الورقة تأييد رايس

(١) المصدر نفسه، ص ٢٩٧.
(٢) المصدر نفسه، ص ١٧٧.
(٣) دوغلاس ج. فايث، مصدر سبق ذكره، ص ١٧٧.

القوي لتعزيز الديمقراطية في الشرق الأوسط ودعمها للعمل مع كل جماعات المعارضة العراقية الصديقة، وفي الوقت نفسه اتبعت الورقة طريقة رايس في خلط أو تجاوز أفكار متناقضة، مع أنها دعمت إستراتيجية ما يسمى "التحرير لا الاحتلال"، واشتملت أيضًا على مشروع وزارة الخارجية الـ"سي. آي. أيه" القاضي بإنشاء إدارة عراقية بقيادة الولايات المتحدة، مصممة على منع الخارجيين من إبعاد الداخليين، وهكذا اشتملت الورقة على المفارقة نفسها التي واجهت وزارة الدفاع الأمريكية في ورقتي آرميتاج المقدمتين في ٢٥ تموز[١].

وبعد أن مزجت خط آرميتاج في ورقتها خلصت رايس إلى تقديم نصائح مشوشة: يجب على الولايات المتحدة أن تتجنب الاحتلال، ولكن يجب عليها أن تخلق إدارة بقيادة الولايات المتحدة على كل حال، بالرغم من أن ذلك يمكن أن يجعل الناس "ترى في أعمال الولايات المتحدة احتلالًا استعماريًّا جديدًا". كل هذه المتناقضات الذاتية كان مصدرها الاعتقاد بأن الداخليين لن يكونوا مستعدين للتصويت للخارجيين، وهو افتراض أكدت خطأه الانتخابات العراقية[٢].

نوقشت ورقة رايس في لجنة الأساسيين في ٩ آب، ووصف رمسفلد الورقة بـ"غير الدقيقة" وقال: إنه يجب إعادة كتابتها. وفيما خص مسألة الحكومة الديمقراطية في العراق حذر رمسفلد قائلًا: "إننا يجب ألا ندعي أن بمقدورنا أن نخلقها". وفضلًا عن ذلك يجب على المسئولين الأمريكيين ألا يوحوا بأن لدينا "قالبًا سياسيًّا مضبوطًا نفرضه" على العراقيين، ولم يحاول تشيني أن يجادل في أن

---

(١) المصدر نفسه، ص ٣٣٥. وريتشارد هاس، مصدر سبق ذكره، ص ٣٠٤، ٣١٠.

(٢) دوغلاس ج. فايث، مصدر سبق ذكره، ص ٣٣٧.

على الولايات المتحدة أن تحدد بدقة ما هو نوع المؤسسات أو القوانين التي يجب أن تكون لدولة أخرى، ولكنه قال: "يجب أن نوضح أننا مصرون على تغيير ديمقراطي". أضافت رايس أنه لا يجب أن ننفر من استعمال كلمة "الديمقراطية" وأوعزت إلى هادلي بأن يجعل النواب يعيدون كتابة الوثيقة[١].

بعد اجتماع لجنة الأساسيين في ٩ آب قال فايث لرمسفلد: "إن ملاحظاته عن الديمقراطية بدت سلبية، وكان يمكن فهمها على أنها تنكر أو تقلل من مصلحة الولايات المتحدة في رؤية قيام حكومة ديمقراطية في العراق بعد خلع الرئيس العراقي صدام حسين"[٢]، وقال: "إنه يفهم جيدًا أن عراقًا ديمقراطيًّا سيكون شيئًا رائعًا ويخدم مصالحنا في الشرق الأوسط ويساعد على مجابهة جاذبية التطرف الذي يغذي الإرهاب"[٣].

---

(١) المصدر نفسه، ص ٣٣٧.

(٢) فضل ريتشارد هاس إسناد دور رئيس كبير للأمم المتحدة يكمل الدور الأمريكي في مجال الأمن، والمشكلة كانت أنه لم يكن هناك ببساطة أي ميل لإشراك الأمم المتحدة في ذلك، وكان الخوف من أن تمضي الأمم المتحدة بعملية سياسية لن تخدم أولئك المنفيين والأكراد الذين أراد الكثيرون في الإدارة رؤيتهم في مواقع السلطة. راجع: ريتشارد هاس، مصدر سبق ذكره، ص٣٠٦.

(٣) المصدر نفسه، ص ٣٣٨.

كان يدير مشروع مستقبل العراق موظف من الخارجية يدعى توماس وريك، جعل من نفسه متحيزًا في النزاعات الحزبية بين العراقيين والأمريكيين الذين يعملون على المشروع، وعاد وانتشر الحديث بأنه تكلم بشدة ضد تشيني وولفويتز، وغيرهما في الإدارة ممن يخالفهم الرأي. في وقت لاحق من شباط، عندما كان جاي غارنر يفتش عن موظفين، استطاع وريك أن يتوظف في أورها، ولكن رمسفلد حث غارنر على عدم توظيفه، وقد فعل غارنر ذلك. راجع: المصدر نفسه، ص ٤٣٨.

نستطيع هنا إيجاد تشابه يجمع بين رايس ومادلين أولبرايت[١]، وهو كونهما

---

(١) مادلين أولبرايت، مهاجرة، وابنة دبلوماسي تشيكوسلوفاكي سابق، تراثها يهودي، تقول أولبرايت في هذا المجال: "على الرغم من أن تراثي يهودي -كما علمت في مرحلة متأخرة من حياتي- فإنني تربيت كمسيحية كاثوليكية، وكنت أصلي إلى مريم العذراء بانتظام، وأحلم بأن أكون كاهنة (حتى الفتاة الكاثوليكية يمكنها أن تحلم)، وفيما كنت أنمو صيغت أخلاقياتي بما تعلمته في الكنيسة بالقدوة، وما تعلمته من والدي، وغرس في نفسي الجد في العمل، وبذل أفضل ما عندي طوال الوقت، واحترام حقوق الآخرين وعندما كنت طالبة في السنة الثانية بكلية ولزلي، وكان علي دراسة الكتاب المقدس كتاريخ، وتعلم قصة إسرائيل القديمة مثلما أتعلم تاريخ اليونان وروما". إن ثلاثة من أجدادها، وعددًا آخر من أفراد عائلتها توفوا في المحرقة المسماة بـ(المحرقة النازية)، وأثر ماساريك كثيرًا في تفكير والدها، فخلافًا لكثير من المتدينين الذين يجدون الإنسانية بديلًا للإيمان بالله، وجد ماساريك أن الاثنين مرتبطان؛ فالإيمان الديني بالنسبة إليه عنى إظهار الاحترام لكل شخص، والرغبة في مساعدة الآخرين، ولم يكن ماساريك يعتقد أنه من الضروري الإيمان بالله لكي يكون المرء أخلاقيًّا، لكنه رأى أن المعتقد الديني عند فهمه بشكل صحيح، يفعل الكثير للحض على السلوك الصحيح وتقويته، وفي هذا المعنى تقول أولبرايت: "ولدي آراء مماثلة، ومما يفسد الدين تحويله إلى مصدر للنزاع والكراهية، كما أن ذلك يحدث مشاكل حادة للولايات المتحدة والعالم". وفي هذا الشأن يقول جوزيف كربيل – أبو مادلين أولبرايت: "إن ابتسامة القدر لعبت الدور الحاسم في مصير كوندوليزا رايس السياسي، ومن المدهش أن تاريخ المهاجرين اليهود القادمين من تشيكوسلوفاكيا في سنوات الثلاثينيات من القرن الماضي الذين هربوا من الاضطهاد النازي، يتشابك مع تاريخ الزنوج من الناحية العقلية، الذين ولدوا في ولاية ألبانا ذات الصبغة العنصرية". راجع: ف. ي. كرلوف، مصدر سبق ذكره، ص ١٢١.

عملت مساعدة تشريعية للسناتور إدموند موسكاي في المدة الواقعة بين ١٩٧٦ – ١٩٧٨، وأصبحت عضوة في مجلس الأمن القومي في المدة الواقعة بين ١٩٧٨ – ١٩٨١، وحصلت على زمالة دراسية في المدة الواقعة بين ١٩٨١ – ١٩٨٢، خلالها قامت بتأليف كتاب: "دور الصحافة في =

غربيتين في بداية حياتهما، وقدمت مادلين إلى الولايات المتحدة عندما كانت في عمر الحادية عشرة، وهي تشيكية كانت تتكلم الإنجليزية بلكنة بريطانية، وهي تقول: "أمضيت الكثير من الوقت بالقلق؛ لأنني أردت التأكد من تلاؤمي مع مجتمعي الجديد"، وحمل وضع رايس إثارة أكبر بالطبع، فهي طفلة سوداء تعيش في أكثر مدن البلاد تميزًا بالفصل العنصري، لكنها تلقت توجيهًا شديدًا منذ نشأتها، وذلك للتأكد من أنها ستنجح بطريقة استثنائية، وليس فقط من أنها ستتلاءم مع ثقافة البلاد عمومًا[1].

لكن أولبرايت ورايس تشتركان بصفات تجمعهما، وأعجبت كل واحدة منهما بأبيها، وحاولت التفوق عليه، وأحرزت مادلين التقدم في حقل العلاقات الدولية على أمل العمل في مهنة والدها جوزيف كوربيل، وتقول مادلين: "حاولت أن أجد نمطًا لي يماثل نمط والدي، ويرجع الكثير مما فعلته إلى رغبتي في أن أكون مثل والدي". واتبعت رايس من جهتها خطوات والدها، وجمعت ما بين التعليم الجامعي والإدارة الجامعية، تمامًا مثلما فعل والدها، وكرست حياتها للشبان الفقراء، وهو الالتزام الذي ميز حياة والدها جون رايس، فشاركت في تأسيس مركز الجيل الجديد في كاليفورنيا. يذكر أن رايس تضع إيمانها في صلب

=
التغييرات السياسية في بولندا في بداية عام ١٩٨٠، وفي المدة الواقعة بين ١٩٨١ – ١٩٩٣ كانت أستاذة السياسة الخارجية في جامعة جورجتاون، وفي ٦ شباط ١٩٩٣ شغلت وظيفة المندوبة الدائمة للولايات المتحدة في الأمم المتحدة، وأخيرًا تم تعيينها من قبل إدارة كلينتون وزيرة للخارجية في ٥ كانون الأول ١٩٩٦، ولها العديد من المؤلفات، من أبرزها: "الخدمة الدبلوماسية السوفيتية"، وهي تتحدث بطلاقة الفرنسية والتشيكية والبولندية. راجع: مادلين أولبرايت بالاشتراك مع بيل ودوارد، مصدر سبق ذكره، ص ١٩ – ٢١، ٢٥، ٨١.

(١) مادلين أولبرايت بالاشتراك مع بيل ودوارد، مصدر سبق ذكره، ص ٢٠٥.

حياتها، كما كان الحال دائمًا مع والدها[١]. يلاحظ المرء تشابهات إضافية تجمع ما بين رايس ومادلين في حقبة الصبا، وتتمثل هذه التشابهات في الحماية والالتزام المتحمس لتعليمهما، وقد وصفت مادلين والديها بأنهما مفرطين في الحماية، وهي تقول: إن والدها قد ذهب بعيدًا في الحرص على تعليمها، وكتب دوبس قائلًا: "اعتاد على تصحيح مقالاتها، وقلق كثيرًا بشأن إلحاقها بأفضل المدارس، فخطط جيدًا لمستقبلها". وذهب والدا رايس بعيدًا جدًّا لحمايتها من رعب سياسة التمييز العنصري، وكرسا نفسيهما لتعليمها وتثقيفها، وأعطياها في البيت الانتباه نفسه الذي تلقاه في قاعة المحاضرة[٢].

ركزت رايس ومادلين، لكونهما باحثتين، على أوروبا الشرقية والاتحاد السوفيتي، لكننا نلاحظ أنهما لا تشبهان بعضهما في المعترك السياسي مع أنهما شخصيتان بارزتان في الشئون السياسية، وتعرفت مادلين على رايس بكونها الابنة التي يرعاها والدها في جامعة دنفر[٣].

لكن هذا التفسير لا يستقيم بالنظر إلى تراجع دور هيلاري كلينتون[٤] في

(١) مادلين أولبرايت بالاشتراك مع بيل ودوارد، مصدر سبق ذكره، ص ٢٠٤.

(٢) المصدر نفسه، ص ٢٠٤ – ٢٠٥.

(٣) المصدر نفسه، ص ٢٠٥.

(٤) ولدت هيلاري كلينتون في ٢٦ تشرين الأول ١٩٤٧ من الطبقة الوسطى من الغرب الأوسط، أمها دوروثي هويل ردهام سيدة بيت تمحورت حوله وحول شقيقيها الصغيرين، وأبوها هيو إي. ردهام، وكان يملك عملًا صغيرًا. تقول هيلاري، على أنها سميت على اسم السير إدموند هيلاري، وهو الرجل الأول الذي تسلق جبل إفريست، على أنه لم يحقق هذا الإنجاز قبل العام ١٩٥٣، وكان شبه مغمور حتى ذلك الحين خارج نيوزيلندا مسقط رأسه، حيث عاش غير معروف نسبيًّا يعمل نحالًا في أوكلاند، وحين دخلت كلية ييل للقانون سنة ١٩٦٩ كانت واحدة من سبع =

=

وعشرين فتاة من بين ٢٣٥، وتخرجت في كلية الحقوق في ربيع ١٩٧٣، وعند تخرجها قررت عدم انتهاز فرص العمل في شركات قانونية مرموقة تبغي الربح، وانصرفت إلى التعامل مع "صندوق الدفاع عن الطفولة" من أجل تقديم المساعدات إلى الأطفال الفقراء، وعندما انضمت إلى زوجها بيل كلينتون في آركنسا، حيث مارست التعليم في كلية القانون، تولت إدارة عيادة المساعدة القانونية ومشروع السجون، وكانت هيلاري قد تثبتت في الكنيسة الميثودية المتحدة الأولى في بارك ريدج وهي في الصف السادس (ادعى أهل هيغ رودهام أن جون ويزلي قد حول بنفسه أفرادًا من عائلة رودهام إلى الميثودية في مقاطعة مناجم الفحم قرب نيوكاسل في شمال إنجلترا، وفي إنجلترا كانت الحركة المنهجية (الميثودية Methodist التي قام بتنظيمها في آخر عقد الثلاثينيات من القرن الثامن عشر جون ويلزلي John Wesley (١٧٠٣ – ١٧٩١) وكان صديقًا حميمًا لواينفيلد في ذلك الحين- في البداية أحد الأطراف المشاركة في حركة التجديد التقوية داخل كنيسة إنجلترا، ولم يقر ويزلي أبدًا بأن جماعته كانت مذهبًا مستقلًا، لكنها كانت في الواقع مستقلة مع حلول الموعد الذي انتقل فيه إلى العالم الآخر، وحاول التقويون تجديد الكنائس عن طريق التوكيد على العلاقة الشخصية مع الله، والحياة التعبدية، واتباع نظام صارم في التدين الأخلاقي والنشاط التبشيري الشديد حول ضرورة التحول أو "الولادة من جديد" في المسيح، ووجدت هذه التوكيدات (التي عادة ما تعرف اليوم بـ"الناموس الإنجيلي" تربة خصبة في أمريكا القرن الثامن عشر. وساعدت البيوريتانية في تركيزها على عمليات التحويل أو الهداية الفردية في تمهيد الطريق، كما استبق معمدانيو القرن السابع عشر الأكثر نزوعًا للانفصال، والذين نشئوا من رحم البيوريتانية، بعض التوكيدات التقوية لكن عددهم كان ضئيلًا، فضلًا عن كونهم مبعثرين في المستعمرات، وجلبت اليقظة في ذيولها بعض الصيغ الأكثر اعتدالًا في هذه التوكيدات إلى المستعمرات على نطاق واسع، وكانت هذه الحركة الإحيائية "ذات النور الجديد" ثورية، من حيث إن غالبيتها تحدت السلطة القائمة عن طريق الاحتكام إلى الشعب مباشرة، وانحصر الوعظ في أكثر أنحاء أمريكا الشمالية البريطانية في نخبة رفيعة الثقافة متمرسة باللغات العبرية واليونانية واللاتينية، أما صلاحية الوعظ فحظيت بأهمية خاصة؛ لأن الوعظ كان من ناحية عملية الشكل الوحيد للاتصال الجماهيري، هذا إذا استثنينا عددًا من الصحف، وقد قلب الوعاظ المتنقلون أمثال وايتفيلد هذا النمط من السلطة والصلاحية

=

=

الاجتماعية رأسًا على عقب؛ إذ أصبح في مقدور الخطيب الجوال تحدي السلطة المحلية باسم الله ثم مواصلة تحركه، فضلًا عن ذلك فقد استخدم وايتفيلد أسلوبًا في الوعظ أكثر شعبية بتخليه عن الشروحات المنمقة والحجج التي كانت تطرحها النخبة من رجال الدين، وقد احتكم وايتفيلد ومن نسج على منواله إلى عواطف المستمعين إليهم بصورة صريحة وهي ممارسة تدعو إلى الشعور بالصدمة في عصر مستنير عندما كانت العقلانية تحظى بكثير من التقدير سواء داخل الكنائس أو خارجها. أما الأمر الذي كان أكثر مدعاة للفزع فهو أن وايتفيلد وخلفاءه ذكروا أن كثيرًا من رجال الكنيسة لم يكونوا قد اهتدوا رسميًّا؛ لأن رجال الدين أنفسهم كانوا يعانون من العلة ذاتها، فكان العمي يقودون العمي بذلك، وكثيرًا ما تسببت هذه التحديات لسلطة رجال الدين الرسميين في انقسامات داخل الكنائس الأمريكية بين "الأضواء الجديدة" و"الأضواء القديمة" المناوئة للإحيائيين. راجع: جورج مارسدن، الدين والثقافة الأمريكية، ترجمة صادق إبراهيم عودة، دار الفارس للنشر والتوزيع، عمان، ٢٠٠١، ص ٣٤ – ٣٥، وعلت دوروثي في مدرسة الأحد في الكنيسة المتحدة، وحضرت هيلاري صفوفًا في الكتاب المقدس وانتمت إلى نقابة المذبح، وقالت: "إن عائلتي تحدثت مع الله، وتمشت مع الله، وأكلت ودرست وتجادلت مع الله". وبقدر ما يتحدث هؤلاء الميثوديون عن محبة الخاطئ فإنهم يحتقرون في الواقع جزءًا منه، ويبغضون الضعف، ويبغضون في الإنسان الجزء الذي يعجز عن بلوغ مستوى الطهارة.

وفي هذا الشأن لا بد من المقارنة بين بيل كلينتون وهيلاري، إن الأول كان يفضل التكيف على النضال، وإن هيلاري هي التي دفعته دومًا إلى ساحة المعركة، وقد وصف ستان غرينبرغ، مستطلع الرأي العام السابق لدى آل كلينتون، هذه الميزة بأنها "ضراوة" و"صلابة ذهن" تستجمعهما هيلاري ملاحقة لأهدافهما المشتركة؛ لأن كلينتون، على عكس زوجته، كان ينفر من الخلافات نفورًا يفوق المعقول، ولا يرتاح بطبيعته إلى الاعتداء، فلا تدفعه غريزته إليه، بل كان يفضل إقناع الناس ويود أن يقنع كل الحاضرين".

أما ديك موريس، وهو أهم المرشدين والمستشارين السياسيين لديهما على مدى عقدين، فقد أشار -قبل أن يصبح عدوًّا لهما- إلى "أنها تتمتع بميزة التحجر، وميزة العدوانية والقوة، أما هو فلا، وهي لديها غريزة القاتل، والمدافعة التي تقوم بها هي من النوع المباشر دائمًا تكافح

=

صنع السياسة الخارجية، نعم، إنها فازت بمقعد وزارة الخارجية، وتم إطلاق يدها في اختيار فريقها الدبلوماسي؛ إلا أن مسئولية وزارة الخارجية بقيت في إطار تنفيذ السياسة الخارجية، أما عملية صنع القرار فقد عهد بها أوباما إلى فريق من مستشاري البيت الأبيض المقربين له، وفي مقدمتهم راحم إيمانويل، وديفيد أكسيلرود، وروبرت جيمس، ودينيس ماكدونيف، وعد هؤلاء من فريق أوباما الانتخابي الأقرب إلى الوسط؛ فالإدارة تبدو متماسكة، لكن التوتر يسود أحيانًا بين أصحاب المناصب الوزارية المرتبطة بالسياسة الخارجية السابق ذكرهم، وذلك الفريق الذي يحظى بثقة الرئيس ومساندته[1].

هنا لا بد من الإشارة إلى أن توجه هيلاري مثلما هو متوقع ضم وجوهًا عملت تقليديا في إدارة زوجها الرئيس السابق بيل كلينتون، وشكلت رموز سياسته الخارجية وهو ما يشمل على وجه الخصوص مادلين أولبرايت وصامويل بيرجر وريتشارد هولبروك، فضلًا عن وجوه سطع نجمها في السنوات الأخيرة رغم قدمها في الساحة السياسية، بوصفها محافظة على المدرسة "الواقعية التقليدية"[2].

= وتقاتل، وتأخذ المعركة إلى الجانب الآخر، فلا لطف، ولا أثر للمسة التي عنده". كانت سلطة هيلاري مختلفة عن سلطة إديث ويلسون زوجة وودرو ويلسون الثانية، التي عرفت بـ "الرئيس السري" نظرًا إلى الدور الذي لعبته عندما أصاب زوجها مرض أقعده لمدة طويلة. راجع: هيلاري ردهام كلينتون، مصدر سبق ذكره، ص ١٣، ٦١ وكارل برنستين، امرأة في السلطة، شركة المطبوعات للتوزيع والنشر، بيروت، ٢٠٠٨، ص ٢٢، ٤٢ – ٤٣، ٥٢ – ٥٣، ٣٦١. وبيل كلينتون، بالعطاء.. لكل منا أن يغير العالم، مصدر سبق ذكره، ص ١٣.

(١) الدكتور أحمد علي سالم، السياسة الخارجية لأوباما بين المثالية والواقعية، مصدر سبق ذكره، ص١٤٠.

(٢) باراك أوباما، مصدر سبق ذكره، ص ١٩٢.

مقابل ذلك، كانت اختيارات أوباما تشير إلى توجهات مختلفة، ورغم أن قائمة فريقه للسياسة الخارجية ضمت وجوهًا عملت سابقًا في إدارة الرئيس كلينتون؛ فإنها كانت من الوجوه التي عرفت بتصادمها مع سياسة الإدارة آنذاك[١].

وقد بدا أن أوباما وهيلاري يعملان وفقًا لنصائح فريق شاب وضعيف الخبرة في السياسة الخارجية يعمل تحت نصح وإشراف السفير ريتشارد هولبورك، الذي يجعل ميراث ما يمكن تسميته بـ"الواقعية التقليدية" في أوساط السياسة الخارجية للحزب الديمقراطي[٢]، إلا أنه لم يكن من الممكن أن نعرف منذ ذلك الوقت المبكر مآل أي منهما خاصة في ظل نمو تيار جديد داخل الحزب منذ سنة ٢٠٠٤ تبنى تسمية "الواقعيين الجدد"، كان يبدو رد فعل على تيار "المحافظين الجدد"[٣].

غير أن أكثر ما يلفت الانتباه في قائمة أوباما هو اختياره مستشاره الرئيس زبيغنيو بريجنسكي الذي برز في السنوات الأخيرة كصوت بالغ الحيوية، بالرغم من أنه وجه تقليدي في أوساط خبراء السياسة الخارجية في واشنطن منذ أن كان "مستشارًا للأمن القومي" للرئيس كارتر[٤].

ومعروف عن بريجنسكي توجهه مع الرئيس كارتر أكثر فأكثر نحو صف "الواقعيين الجدد" الذي ينادي بإعادة تقويم العلاقات الأمريكية الصهيونية والدفع في اتجاه حسم الملف الفلسطيني على قاعدة الضغط على الكيان الصهيوني

(١) المصدر نفسه، ص ١٩٢.

(٢) باراك أوباما، مصدر سبق ذكره، ص ١٩١.

(٣) المصدر نفسه، ص ١٩١.

(٤) المصدر نفسه، ص ١٩٢ – ١٩٣.

مقابل فتح قنوات الحوار المباشر مع الأطراف الفلسطينية التي تشغل صدارة قائمة وزارة الخارجية الأمريكية "السوداء" خاصة حركة حماس[١].

بريجنسكي برز أيضًا مدافعًا عن سياسة الحوار والتفاوض المباشر مع إيران وسوريا، وبقية حلفائها في المنطقة بما في ذلك حزب الله[٢].

ورغم تأخر علاقة أوباما المباشرة مع بريجنسكي حتى خريف ٢٠٠٧ فإنه لا يمكن وصف ذلك مفاجأة من حيث مضمون أفكار كليهما؛ إذ يبدو العنوان الرئيس الذي رافق حملة أوباما في ملف السياسة الخارجية أي "ضرورة التفاوض مع الأعداء لا الأصدقاء" صدى مباشرًا لمقولات بريجنسكي[٣].

ثمة قلق كبير في وزارة الخارجية الأمريكية في شأن انعكاسات حرب "السي. آي. أيه" النفسية ونشاطاتها شبه العسكرية على السياسة الخارجية الأمريكية، وتشعر جماعة وزارة الخارجية بأن الإسهام الأكبر الذي قد يمكن هذا المجلس أن يقدمه هو لفت انتباه الرئيس إلى التأثيرات الكبيرة، التي تكاد تكون من جانب واحد، لحرب "السي. آي. أيه" النفسية ونشاطاتها شبه العسكرية، في الصيغة الواقعية للسياسة الخارجية وفي علاقات الولايات المتحدة بأصدقائها[٤].

إن دعم "السي. آي. أيه" وتلاعبها في وسائل الأخبار المحلية والمجموعات العمالية والشخصيات السياسية والأحزاب وغير ذلك من النشاطات، يمكن

---

(١) باراك أوباما، مصدر سبق ذكره، ص ١٩٣.

(٢) باراك أوباما، مصدر سبق ذكره،، ص ١٩٣.

(٣) المصدر نفسه، ص ١٩٣.

(٤) تيم واينر، مصدر سبق ذكره، ص ١٩٠.

أن يكون لها في أي وقت انعكاساتها ذات المغزى الأكبر على مسئوليات السفير المحلي، وهو يجهلها كليًّا في بعض الأحيان، أو يوافق عليها بإبهام، وغالبًا ما يحصل اختلاف في الرأي فيما يخص موقف الولايات المتحدة من شخصيات محلية أو تنظيمات، وبخاصة ما بين "السي. آي. أيه" ووزارة الخارجية، وأحيانًا فإن رابط الأخوة بين وزير الخارجية ومدير المخابرات المركزية قد يحدد اعتباطيًّا موقف الولايات المتحدة(١).

الثالث عشر: تقاليد وزارة الخارجية الروسية:

فيما يخص وزارة الخارجية السوفيتية؛ فإنها كانت لا تختلف عن مثيلاتها في الدول الكبرى المتقدمة، وتعرضت الوزارة إلى تحولات كبيرة؛ إذ بدأت في عهد تروتسكي وزارة تعمل من أجل مفهوم الثورة العالمية؛ لأنه في حالة إخفاق الثورة يكون تطبيق مبادئ الدبلوماسية السوفيتية مستحيلًا، وفي حالة نجاحها تكون غير ضرورية، وقد أشار إلى هذه الحقيقة تروتسكي عندما قال: "سوف أوجه بعض نداءات ثورية لشعوب العالم ثم أغلق الدكان". وفي ظل هذه التطورات أصدر تروتسكي في ٢٦ تشرين الثاني ١٩١٧ مرسومًا قام بموجبه بتصفية أدوات الدبلوماسية القيصرية، وبموجب ذلك طلب من موظفي السلك الدبلوماسي في الخارج إعلان ولائهم للنظام الاشتراكي الجديد أو أن يعدوا أنفسهم مقالين(٢)، ونتيجة لذلك فقد قام النظام الجديد بتعيين المهاجرين

---

(١) تيم واينر، مصدر سبق ذكره، ص ١٩٠.

(٢) إسباتوريان، فرنون، "السياسة الخارجية السوفيتية" في روي مكريدس، مناهج السياسة الخارجية في دول العالم، ترجمة د.حسن صعب، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٩٦٦، ص٣١٦. أصدرت مفوضية الشعب للشئون الخارجية في ٩ كانون الأول ١٩١٧ مرسومًا تم بموجبه الاستغناء عن =

الشيوعيين كممثلين غير رسميين للحكومة الجديدة، وكان بينهم ليتفينوف الذي عين في لندن، وقد دفعت هذه التطورات قيام مجلس مفوضي الشعب إعادة إنشاء سلك دبلوماسي مؤقت، وإصدار مرسوم في ٤ حزيران ١٩١٨، الذي أعاد فيه النظر من جانب واحد بدرجات البعثة الدبلوماسية التي أقرها مؤتمر فينا عام ١٨١٥ حل محلها درجة "الممثل المفوض"، وعمد المرسوم إلى فرض مبادئ المساواة السوفيتية على ممثلي الدول الأجنبية، ففرض اعتبارهم جميعًا أيًّا كانت درجاتهم مفوضين ممثلين متساوين[1].

=

ثمانية وعشرين دبلوماسيًّا ومبعوثًا والقناصل والمستخدمين، والتوقف من الدفع من إيرادات الدولة، ولكن مع ذلك تم تجاهل هذا المرسوم من خلال الاستغناء عن الدبلوماسيين في الخارج وضغط القوى الكبرى وقتئذٍ على السوفيت. والحق، عمل الدبلوماسيون القدامى في الخارج ضد الاتحاد السوفيتي، بسبب أن الحكومات الأجنبية كانت منعزلة عن جميع القواعد الدولية وأعرافها، وعلى هذا الأساس فإنها تعاملت مع هؤلاء الدبلوماسيين القدامى بمثابة ممثلين رسميين لروسيا القيصرية، وعلى سبيل المثال عدت الولايات المتحدة Bakhmetyev كسفير روسي لديها حتى عام ١٩٢٢، على الرغم من تعيين الحكومة السوفيتية لـ L. K. Martensفي كانون الثاني ١٩١٩ محله، ومرد هذا إلى أن القوى الغربية لم تكن لتعترف بدولة الاتحاد السوفيتي، وبالتالي لم تكن لتعترف بممثليها في العالم الخارجي، كما تم اختيار M.. M. Litvinov كسفير للاتحاد السوفيتي في بريطانيا في كانون الثاني ١٩١٨، واختار السوفيت أيضًا V.V. Vorovsky كسفير في ستوكهولم في ٢ كانون الأول، وفي الوقت نفسه تم اختياره كسفير في السويد والدنمارك والنرويج. راجع:

B. Ponomaruov , A.Gromyko,V.Khvostov , History Of Soviet Foreign Policy 1917-1945 , Progress Publishers , Moscow , 1969 , PP. 47-48.

(١) مكريدس، مصدر سبق ذكره، ص٣١٧.

إن قيام الدبلوماسيين السوفيت بمهمة النشاط الثوري في العالم الخارجي كان من شأنه أن يعيق إقامة العلاقات السياسية والتجارية مع العالم الرأسمالي، وعليه نرى أنه عند مجيء جورجي شيشرين في نيسان ١٩١٨ بعد تروتسكي، قام بتحويل النشاط الثوري من وزارة الخارجية إلى الحزب، وتكوين سلك دبلوماسي من جديد، وعند إنشاء الاتحاد وتركيز الدبلوماسية في موسكو كان من مهمات مفوضية الشئون الخارجية إصدار قانون في ١٢ تشرين الثاني ١٩٢٣ الذي سار العمل به؛ إذ كان أساسًا قانونيًّا لتأليف وزارة الخارجية وتنظيمها إلى انهيار دولة الاتحاد السوفيتي[(١)].

وهنا ينبغي تأكيد حقيقة جوهرية مفادها، أنه عندما نشبت الثورة البلشفية في روسيا القيصرية نادى الثوار بمبدأ المسئولية الجماعية؛ إذ عهد بإدارة وزارة الخارجية في بداية الأمر إلى هيئة تكونت من الوزير وثلاثة أو أربعة من كبار معاونيه، وكان على الوزير أن يمارس سلطته ومسئوليته بالاشتراك معهم، وقد ظهر التحول نحو المسئولية الإدارية الفردية عند صدور الدستور الأول في آذار ١٩١٨، وكان من نتائج ذلك إعطاء المفوض سلطة التقرير في الشئون الواقعة في نطاق وزارته، وفي حالة تعارض قراره مع وجهة هيئة الوزارة كان للهيئة من دون أن توقف قرار الوزير أن تستأنف أمر الخلاف لمجلس الوزراء أو بريزيديوم الحزب، فأصبحت المسئولية الجماعية أشبه شيء بالتهرب من المسئولية الفعلية، وكان من نتائجها انفراد الهيئة بإصدار الأوامر من دون إعطاء أهمية لمكانة المفوض ومسئوليته الشخصية، الأمر الذي دفع استالين في عام ١٩٣٤ إلى إلغاء

(١) مكريدس، مصدر سبق ذكره، ص٣١٨.

الهيئة، وكان من نتائج ذلك أن اتخذ السوفيت قرارًا في ١٣ كانون الأول ١٩٣٦ واستنادًا للمادة ٧٧ من دستور الاتحاد السوفيتي الصادر في عام ١٩٣٦، تم بموجبه تحويل مفوضية الشعب للشئون الخارجية إلى مفوضية تضم دول الاتحاد السوفيتي جميعًا، وقد أدى ذلك إلى إطلاق يد المفوض في شئون مفوضيته إلا أن الهيئة تمت إعادتها من جديد في آذار ١٩٣٨، ولكن من دون إعطاء صلاحيات لها، فجعل منها اللجنة التنفيذية للمفوضية وجرد مجلسها من حق التقرير وحتى الاستشارة، وعليه بقيت العلاقة بين الوزير والهيئة إلى انهيار دولة الاتحاد السوفيتي كما وضعت في عام ١٩٣٨، وتغير عدد أعضائها على وفق إرادة الوزير إلا في الظروف الاستثنائية، على الرغم من أن تعيينهم كان من اختصاص مجلس الوزراء، وفي تطور لاحق تم إصدار قرار آخر في ١٥ آذار ١٩٤٦ من قبل مجلس السوفيت الأعلى تم بموجبه تحويل المفوضية إلى مجلس الوزراء، ثم بعد ذلك تحولت إلى وزارة الخارجية.

في تحديد العلاقة بين مجلس السوفيت الأعلى ووزارة الخارجية، ودور كل منهما في عملية صنع القرار، يمكننا أن نرجع إلى أحداث ٢ آب ١٩٩٠ والخاصة بأزمة الكويت، عندما قام غورباتشوف بتكليف يفجيني بريماكوف[١] كمبعوث

---

(١) ولد يفجيني مكسيموفيتش بريماكوف في عام ١٩٢٩ في كييف، ثم انتقل إلى تبليسي، وتخرج في معهد الاستشراق بموسكو، وأنهى الدراسات العليا في جامعة موسكو، حيث حصل على شهادة الدكتوراه في العلوم الاقتصادية، وأصبح عضوًا مراسلًا في أكاديمية العلوم السوفيتية، ثم عضوًا كاملًا فيها، كما تولى منصب مدير معهد الاستشراق ومدير معهد الاقتصاد العالمي والعلاقات الدولية، وفي عام ١٩٨٨ أصبح عضوًا في هيئة رئاسة أكاديمية العلوم السوفيتية، وفي نهاية الثمانينيات انخرط بريماكوف بنشاط في العمل السياسي، فتولى رئاسة مجلس الاتحاد في السوفيت الأعلى، ثم أصبح عضوًا في مجلس الرئاسة ومجلس الأمن القومي، وفي أعوام =

شخصي له[١] إلى الرئيس السابق صدام حسين حول تنفيذ قرار ٦٦٠ الخاص بانسحاب العراق من الكويت فورًا وبلا قيد أو شرط إلى المواقع التي كانت تشغلها في ١ آب عام ١٩٩٠، ونرى أن وزارة الخارجية السوفيتية عارضت في الجوهر إرسال المبعوث السوفيتي بريماكوف إلى بغداد، حيث إن وزير الخارجية شيفاردنادزة استقبل بعدم ارتياح فكرة القيام بهذه المهمة، حيث إن وزارة الخارجية السوفيتية طرحت مهمتين؛ الأولى: الاتفاق على مغادرة الخبراء السوفيت من العراق بدون عقبات. والثانية: أن يبين المبعوث السوفيتي للرئيس العراقي السابق صدام حسين أثناء اللقاء معه "العقم التام" لرفضه الانصياع لمطلب مجلس الأمن[٢].

التسعينيات تولى منصب مدير جهاز المخابرات الخارجية، ومن ثم منصب وزير الخارجية، وفي أيلول عام ١٩٩٨ تولى منصب رئيس حكومة روسيا الاتحادية، ويشغل الآن رئاسة غرفة التجارة والصناعة في روسيا الاتحادية. راجع: يفجيني بريماكوف، حقول ألغام السياسة، تعريب عبدالله حسن، دار الفكر، دمشق، ٢٠٠٨، ص ٩ -١٠.

(١) رافق المبعوث الشخصي لجورباتشوف بريماكوف إلى بغداد ي. س. بيلاوسوف نائب رئيس مجلس وزراء الاتحاد السوفيتي، وكان يعد من أحد أفضل الخبراء في شئون التسليح. راجع: المصدر نفسه، ص ١٠٠.

(٢) يفجيني بريماكوف، مصدر سبق ذكره، ص ١٠٠.

بصدد تقويم دور وزارة الخارجية العراقية في عملية صنع القرارات يقول بريماكوف: "إن وزير الخارجية العراقي طارق عزيز لم يكن قادرًا -شأنه شأن بقية أفراد حاشية صدام حسين- على اتخاذ القرارات وحده، ولم يكن سوى "مفسر" للموقف العراقي، وذلك ضمن أطر محدودة جدًّا"، وساعي البريد "لنقل الرسائل". راجع: المصدر نفسه، ص ٩٩.

والحق، ينطوي كلام بريماكوف على عدم معرفة وافية بالوظيفة الدبلوماسية التي تشير إلى أنها تقوم بوظيفة تنفيذية؛ أي كيفية نقل قواعد السلوك السياسي الداخلي على مستوى العلاقات الدولية، كما نسي بريماكوف أنه كان ساعيًا للبريد لنقل الرسائل من جورباشوف، ومنفذًا لتعليماته عند القيادة العراقية.

في هذا المجال يقول بريماكوف: "تلقيت في عمان برقية سرية من شيفردنادزة الموجود في نيويورك لحضور دورة الجمعية العامة لهيئة الأمم المتحدة، ووصف فيها الاتصالات مع الرئيس صدام حسين في الظروف الراهنة بأنها "لا أخلاقية"[١]، وأجبته ببرقية بالشيفرة ذكرت فيها أن عدم إجراء اتصالات مع الرئيس صدام حسين، ولو بهدف تأمين عودة المواطنين السوفيت وغيرهم من الأجانب إلى أوطانهم، هو شيء لا أخلاقي، وكان ذلك أول صدام مع شيفاردنادزة بصدد مهمتي"[٢].

---

(١) لم يبلغ العراق عندما دخل الكويت في ٢ آب ١٩٩٠ الاتحاد السوفيتي، وكان هذا مصدر عدم ارتياح من السوفيت بسبب وجود معاهدة بينهم وبين العراق (وقع رئيس الوزراء السوفيتي ألكسي كوسيجين مع رئيس الجمهورية العراقية أحمد حسن البكر معاهدة صداقة وتعاون بين البلدين في نيسان من العام ١٩٧٢، يسري مفعولها لمدة ١٥ سنة تجدد تلقائيًّا لكل خمس سنوات لاحقة ما لم يعلن أحد الطرفين إنهاء مفعولها. والمعاهدة تقوم على مبادئ الاحترام المتبادل للاستقلال والسيادة والسلامة الإقليمية لكلا الجانبين، وعدم التدخل في الشئون الداخلية لكل منهما. راجع:

Howard M. Hensel , Asian Collective Security and the Iran – Iraqi Border Dispute: The Soviet View Journal of South Asian and Middle Eastern Studies , Vol. 1 , No. 1 , Sept , 1977 , p. 45.)

تجدر الإشارة هذا المجال إلى أن وزير الخارجية العراقي السابق طارق عزيز لم يكن مرتاحًا من موقف الاتحاد السوفيتي الذي "وجب أن يسلك سلوكًا آخر يتفق مع أحكام المعاهدة الموقعة مع العراق"، ولكن عندما طرح علي عزيز السؤال حول عدم قيام الجانب الآخر بإبلاغ موسكو حين دبر ومن ثم نفذ خطة الدخول إلى الكويت، لم تكن هناك إجابة منه. راجع يفجيني بريماكوف، مصدر سبق ذكره، ص ١٠١.

(٢) المصدر نفسه، ص ١٠١.

لم تقدم وزارة الخارجية السوفيتية اقتراحات حول مهمة بريماكوف في العراق، وتبعًا لذلك اتصل بريماكوف بشيفاردنادزة، حيث وجه سؤالًا له كان مفاده: لماذا فسدت العلاقات بيننا هكذا، فقد كانت طيبة سابقًا، حتى إنني أصبحت بمبادرة منك "مواطن شرف لمدينة تبليسي؟ هل تعتقد حقًّا أنني أصبو إلى أن أحتل مكانك وزيرًا للخارجية؟". فأجاب شيفاردنادزة قائلًا: "نعم، يتحدث الجميع عن هذا في وزارة الخارجية"(١).

والحق، كشف بريماكوف سرًّا من خلال كتابي بيشلوس وتالبوت الموسوم بـ"القصة الداخلية لنهاية الحرب الباردة" " The Inside Story of the End of the cold War " سرًّا مفاده أن وزير الخارجية شيفردنادزدة أقدم على خطوة لا نظير لها؛ فقد قام بإبلاغ الرئيس بوش الأب قبيل اجتماع بريماكوف مع الرئيس الأمريكي بأنه يستطيع إهمال أفكار بريماكوف"(٢).

من خلال كتابي بيشلوس وتالبوت السالف الذكر يكون شيفردنادزة بهذا العمل قد ألغى في الواقع البعثة التي جرت بأمر غورباتشوف، وكان هذا يعني بدء مرحلة جديدة في العلاقات بين الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتي، حيث تحالف وزير الخارجية السوفيتي ووزارة الخارجية الأمريكية سرًّا ضد المبعوث الخاص للكرملين(٣).

---

(١) المصدر نفسه، ص ١٠٧ – ١٠٨.

(٢) يفجيني بريماكوف، مصدر سبق ذكره، ص ١٠٨.

(٣) المصدر نفسه، ص ١٠٨.

الرابع عشر: تقاليد وزارة الخارجية الإيرانية:

سعى الدكتور علي أكبر ولايتي، وزير الخارجية الإيراني السابق، ومستشار مرشد الثورة الإسلامي آية الله علي خامنئي- إلى خلق آليات جديدة لتطوير مبادئ السياسة الخارجية الإيرانية خلال السنوات العشر الأولى عندما كان وزيرًا للخارجية، حيث قام على تطوير نظرية الاستضعاف والاستكبار، التي تقوم أساسًا على مفهوم تفكيك موقع الدول والشعوب والمنظمات غير الثورية من الاستكبار، فوضع موقعًا ثالثًا لعدد منها بين الاستضعاف والاستكبار، فكانت هذه أول خطوة نحو تعميم المصطلح وتخصيص السياسة الخارجية لإيران، مما أسهم في الانسحاب المنظم للأنشطة الإيرانية المتشددة خارج إيران ومراكز التوتر في العالم الإسلامي، وكان من نتائج ذلك عملية الفصل بين وزارة الخارجية وجيش الحرس الثوري[١].

كان من أولويات ولايتي عندما استبقاه الرئيس الأسبق هاشمي رفسنجاني في حكومته هو تأمين أمن إيران في مواجهة التهديدات الخارجية، وكيفية السيطرة على أراضي إيران بوساطة تحسين العلاقات مع دول الجوار، وإعداد الظروف الملائمة لتحقيق الخطة الخمسية الثانية للتنمية للمجالات كافة، وقد اقتضى ذلك وضع برنامج كان من شأنه دعم العلاقات مع الدول المجاورة التي لا تبغي التدخل في السياسة الداخلية الإيرانية، والتعاون والتنسيق مع البلدان الإسلامية والدول غير المنحازة، من أجل خلق تكتل جديد في العلاقات

---

(١) الدكتور محمد السعيد عبد المؤمن، ولايتي: هل يعيد صناعة السياسة الخارجية الإيرانية؟، مختارات إيرانية، العدد ١٣٢، مركز الدراسات السياسية والإستراتيجية، مؤسسة الأهرام، القاهرة، يوليو ٢٠١١، ص ٥٢.

الدولية، والظهور الفعال في المنظمات الدولية والمتخصصة، والفروع التابعة لها في إيران، مع التأكيد على سياسة عدم التدخل في السياسات الخارجية للدول[١].

وبغرض تحقيق ذلك دعا ولايتي إلى دعم التدريب بهدف تأمين ملاك يسد احتياجات وزارة الخارجية، ودعم وحدة اتخاذ القرار في السياسة الخارجية الإيرانية بوساطة تعزيز دور مراكز الدراسات والبحوث في إطار وزارة الخارجية، وتنسيق الرقابة على السفراء في السلك الدبلوماسي الخارجي مع مسئولي الحكومة[٢].

فضلًا عن ذلك أوجد ولايتي أسلوب المبادأة في السياسة الخارجية كأصل إجرائي في شكل سلسلة متلاحقة من الآراء لاتخاذ الخطوة المناسبة بناء على رد الفعل، ومن ثم فقد استخدم ولايتي أسلوب المبادأة في سعيه للتقارب مع معطيات دول المنطقة وخاصة الدول المجاورة لإيران، وهو ما جعل العلاقات تتسع وتنكمش حسبما تحدده المصالح المشتركة للأطراف أصحاب المصلحة، حيث يدرك ولايتي أن نظام بلاده له طموحات تتجاوز حدوده، وعليه سعى جاهدًا للمحافظة على هذا الطموح من خلال الواقع، فكان ولايتي يعمل على ألا تندفع إيران وراء أهدافها الأيديولوجية بالقدر الذي يتسبب في انهيار النظام، وكان يتجنب الدخول إلى مناطق المستنقعات من خلال القوة الصلبة، ويقوم بتنسيق العمل مع الدول ذات المصالح فيها[٣].

---

(١) المصدر نفسه، ص ٥٢.

(٢) المصدر نفسه، ص ٥٢.

(٣) الدكتور محمد السعيد عبد المؤمن، ولايتي: هل يعيد صناعة السياسة الخارجية الإيرانية؟ مصدر سبق ذكره، ص ٥٢.

زد على ذلك، أدخل ولايتي تغييرات في السياسة الخارجية الإيرانية تجاه مصر، مشيرا إلى أن إيران لا يمكن أن تترك مصر بوزنها السياسي والحضاري، حيث قام على مراحل ببناء العلاقات الاقتصادية والثقافية والعلمية، وقد توج ذلك خلال حضوره مؤتمر وزراء خارجية دول عدم الانحياز في القاهرة، حيث دخل مع المصريين في حوار من أجل تعزيز العلاقات معهم[١].

كانت أولى خطوات ولايتي لإصلاح السياسة الخارجية الإيرانية في الوقت الحاضر هي تقديم مشورة لآية الله علي خامنئي بدعم وتأييد الثورات العربية، وتنشيط دور الحوزة العلمية في السياسة الخارجية[٢].

الخامس عشر: تقاليد وزارة الخارجية الصهيونية:

يعرف قانون الكيان الصهيوني دور وزارة الخارجية[٣] بأنه: "وضع وتطبيق سياسة إسرائيل الخارجية، وتعزيز علاقاتها الاقتصادية والثقافية والعلمية"[٤].

من الناحية التقليدية شكل موظفو وزارة الخارجية الصهيونية النخبويون جزءًا أساسيًّا من عملية صناعة القرار، ولحقبة من الزمن كانت وزارة الخارجية

---

(١) الدكتور محمد سعيد عبد المؤمن، ولايتي: هل يعيد صناعة السياسة الخارجية الإيرانية؟ ص ٥٢.

(٢) المصدر نفسه، ص ٥٢ – ٥٣.

(٣) تتألف وزارة الخارجية الصهيونية من عدة دوائر أو أقسام، هي: قسم الإعلام والمعلومات، وقسم التعاون الدولي، وقسم المجتمعات اليهودية، وقسم العلاقات الاقتصادية، فضلًا عن وجود مستشار قانوني. ويأتي على رأس هذه التقسيمات البيروقراطية، كما في كل الوزارات الأخرى، أمين سر يكون مسئولًا مباشرة أمام الوزير. راجع: المصدر نفسه، ص ٢٧.

(٤) كريم الجندي، صناعة القرار الإسرائيلي الآليات والعناصر المؤثرة، مركز الزيتونة للدراسات والاستشارات، بيروت، ٢٠١١، ص ٢٧.

هي المكان الذي تصاغ فيه السياسات عبر نظام الهرمية البيروقراطية، وعلى أقل تقدير ظلت النخبة المتخصصة في الدوائر الداخلية لوزارة الخارجية حتى منتصف السبعينيات، وتعد الدائرة الأساس في صناعة القرار[1].

في الستينيات من القرن الماضي كان وزير الخارجية في الكيان الصهيوني لا يمثل الشخصية الأولى في اتخاذ القرارات الهامة المتعلقة بالسياسة الخارجية، لقد كانت هذه المهمة من مسئوليات رئيس الوزراء نفسه ولا سيما في المدة الطويلة التي أمضاها بن جوريون في السلطة كرئيس للوزراء، كان بن جوريون هو وزير الخارجية وحين تولت جولدا مائير الوزارة من بعده، وقد دافع بن جوريون عن موقفه هذا قائلًا: "إنني أود أن أقول بصراحة: إن رئيس الوزراء الإسرائيلي يجب أن يكون هو نفسه وزير الخارجية، إن الشئون الخارجية -شأنها في ذلك شأن الدفاع- من المجالات الهامة والحساسة في الحكومة، وهي قد تتأثر بقرار سليم أو خاطئ يتخذ في أدنى المستويات، وهذا غير حاصل في الوزارات الأخرى"[2].

لقد بلغ من إصرار بن جوريون كرئيس للوزراء على موقفه هذا وعلى فهمه هذا للجهة التي يجب أن تتحمل المسئولية الأولى في التقرير بشأن السياسة الخارجية، إلى درجة أنه بعد استقالته من رئاسة الوزارة في العام ١٩٥٣، وبعد عودته عن الاستقالة بعد مدة وجيزة أعلن أنه لا يرى لنفسه مكانًا في رئاسة الوزارة إذا استمر شاريت في تصوره لمهمته كوزير للخارجية، ووضع القضية أمام

---

(١) كريم الجندي، مصدر سبق ذكره، ص ٢٧.

(٢) إبراهيم العابد، سياسة إسرائيل الخارجية أهدافها ووسائلها وأدواتها، منظمة التحرير الفلسطينية، مركز الأبحاث، بيروت،١٩٦٨، ص ٩٥ – ٩٦.

حزب الماباي، فوافق الأخير على رأي بن جوريون فاستقال شاريت وخلفته جولدا مائير وزيرة الخارجية بالدرجة الثانية، على أن تظل مقاليد الوزارة تقريرًا وتخطيطًا بيد رئيس الوزراء. لقد كانت جولدا مائير تفهم حين تولت وزارة الخارجية أنها ستكون الوزيرة، بينما سيكون بن جوريون واضع السياسة الخارجية، وكان هذا سببًا في قبول بن جوريون أن تكون جولدا مائير وزيرة للخارجية، وهذا يعني أن لرئيس الوزراء إلى يومنا هذا دورًا كبيرًا في عملية صنع القرار في السياسة الخارجية، إلا أن هذا الدور يقترن بالدرجة الأولى بشخصية كل من رئيس الوزراء ووزير الخارجية، ومن هنا يفترض علينا أن نقارن بين بن جوريون وليفي شكول، وبين موشيه شاريت وجولدا مائير وبين الأخيرة وأبا إيبان. والحق، لم يقم شكول عندما تولى رئاسة مجلس الوزراء بالدور الرئيس الذي كان يقوم به بن جوريون في مجال الشئون الخارجية، ويعزى السبب في ذلك إلى تكوينه الشخصي، وإلى قدرة جوالدا مائير على وزارة الخارجية عند تسلمه هو من رئاسة مجلس الوزراء، وتحويله إلى جهاز (نجحت بطبعه بطابعها الشخصي)، وعندما وصل أبا إيبان إلى وزارة الخارجية لم يستطع متابعة حياة جولدا مائير، بسبب انقطاع معلوماته عن طبيعة العمل السياسي الداخلي في الأرض المحتلة وعدم معرفته بمراكز عملية صنع القرار، كونه كان مندوبًا للكيان الصهيوني في مقر الأمم المتحدة في نيويورك، وكان هذا سببًا في نقل القرارات المهمة على مستوى السياسة الخارجية إلى مرافق أخرى من الدولة[١].

---

(١) إبراهيم العابد، مصدر سبق ذكره، ص٩٧-٩٨.

وهنا لا بد من الإشارة إلى ارتباط السياسة الخارجية برؤساء الوزارات، أو برؤساء الجمهوريات بالدرجة الأولى، وبوزراء الخارجية بالدرجة الثانية، ولا سيما إذا عرفنا أن الرؤساء يعملون عادة كمساعدين لرؤسائهم[١].

ومؤخرًا، بدا دور وزارة الخارجية الصهيونية يتراجع مع تنامي دور مجلس الوزراء، ورئيس الوزراء والقيادة العسكرية، كما قلصت مشاركتها في صنع القرار إلى حد كبير، وهذا ما أدى إلى تغيير دور وزير الخارجية وتحوله إلى دور الداعم أو المعزز لعملية صنع القرار الصهيوني. وفي محاولة منها لتغيير هذا الواقع وتعزيز نفوذها في عملية صناعة القرار قام قسم الاستخبارات في وزارة الخارجية الصهيونية بتأسيس دائرة أبحاث سياسية جديدة، لها أيضًا دور استشاري فيما يخص السياسات، والدائرة مسئولة أمام أمانة سر وزارة الخارجية والوزير نفسه، وهي بالتالي جزء من النسق البيروقراطي للوزارة؛ إلا أن قدرة هذه الدائرة على صناعة القرار محدودة مقارنة بغيرها من الدوائر البحثية[٢].

أما فيما يخص دائرة الأبحاث في وزارة الخارجية الصهيونية، فهي الدائرة الحكومية المؤثرة غير المرتبطة بالمؤسسة العسكرية، وعلى الرغم من أن هذه الدائرة أسست ليكون لها الدور الموازي للمؤسستين المذكورتين أعلاه فإن دورها ما زال محدودًا[٣].

وصفوة القول في الكلام أن إعطاء دور رئيس لوزير الخارجية في السياسة الخارجية يتوقف على توفر عناصر ثلاثة أساسية هي[٤]:

---

(١) المصدر نفسه، ص٩٧-٩٨.
(٢) كريم الجندي، مصدر سبق ذكره، ص ٢٧.
(٣) المصدر نفسه، ص ١١٨.
(٤) ريتشارد نيكسون، نصر بلا حرب، مصدر سبق ذكره، ص١٨٥.

١. إن السياسة الخارجية في هذه الحالة بحاجة إلى وجود زعيم مركزي يتمتع بالقوة قادر على اختيار مستشاريه، إن الرئيس في القرن التاسع عشر كان بإمكانه على مستوى الرسوم الكمركية أن يفوض وزير خارجيته بمهمات السياسة الخارجية، أما في الوقت الحاضر فقد تفاقم الأمر نتيجة تعقد العلاقات الدولية فإنه من الصعوبة بمكان تفويضه بهذه المهمات؛ لأن الأمر يتطلب هيمنة استخدام الرئيس على السياسة الخارجية.

٢. ينبغي للرئيس أن يختار في وظيفة وزير الخارجية ووزير البنتاغون ورئيس المخابرات أشخاصًا قادرين على قيادة وزارتهم لا السير وراءها.

٣. يتوجب على الرئيس إيجاد نظام يتميز بالقوة والمتانة لمجلس الأمن القومي، وهذا يعني أن الرئيس بحاجة إلى شخص قوي قادر على تنظيم عملية صنع القرار في السياسة الخارجية، وأن يوجه الأداة البيروقراطية بالشكل الذي يريده[١].

إن تنفيذ السياسة الخارجية عملية تتطلب أشخاصًا محترفين أكثر كفاءة وقدرة من السياسيين أو الهواة على التعامل مع الدول الأخرى، ويأتي وزير الخارجية في مقدمة هؤلاء الدبلوماسيين الذين تقول النصوص القديمة: إنهم وحدهم الذين يمكنهم القيام بدور الوسطاء في العلاقات مع العالم الخارجي[٢].

اختلفت الآراء بشأن أهمية وزير الخارجية في السياسة الخارجية، إذ إن هناك رأيًا يقول (بأنه المرغوب فيه أن يتولى الشئون الخارجية لدولة كبرى أشخاص

---

(١) منصف السليمي، مصدر سبق ذكره، ص١٨٥.

(٢) المصدر نفسه، ص٣٢٨.

متخصصون في الحقل الدبلوماسي). في هذا المجال أكد نيكسون عدم الخلط بين السياسة الداخلية والسياسة الخارجية[١]، في حين أن ليون أشار قائلًا: (على أنه ليس هناك مسوغ على الإطلاق لأن تخضع الدبلوماسية في أية مرحلة من مراحلها لنقد أو مراقبة القوى العاملة أو وزير الصحة أو وزير الأشغال أو المواصلات؛ لأن ذلك سوف يؤدي إلى الخلط بين الصلاحيات والمسئوليات، ومن شأنه أن يثير مناقشات سطحية، كما أنه سوف يؤدي إلى إلحاق الضرر بالسرية التي لا بد من توافرها لضمان نجاح العمل الدبلوماسي)[٢].

يمكننا أن نؤكد في هذا المجال أن دور وزير الخارجية في السياسة الخارجية قد تضاءل في الوقت الحاضر، وهناك أمثلة تعزز هذا الرأي، وعلى سبيل المثال فإن اشتراك الموظفين المدنيين كوزراء في حكومات الجمهورية الفرنسية الخامسة يعكس، في جانب منه، الدور الرئيس للجنرال ديغول كصانع للقرار، فالسياسة الخارجية والسياسة الدفاعية من المسائل التي يعطيها رئيس الجمهورية في فرنسا اهتمامًا رئيسًا ومستمرًّا، ومن ثم أصبح كل من وزارة الخارجية ووزارة الدفاع ليس مكانًا لعملية صنع القرار، وإنما هي جهاز لتنفيذ السياسات التي يضعها رئيس الجمهورية[٣].

وعلى الرغم من سيطرة رئيس الجمهورية في فرنسا على عملية صنع القرار في السياسة الخارجية، فإنه لم يكن هناك غياب تام لوزير الخارجية، وعلى أقل

(١) منصف السليمي، مصدر سبق ذكره، ص٣٢٨، وراجع بالتفصيل بشأن ذلك: هارولد نيكلسون، مصدر سبق ذكره، ص١٧٨-١٨٩.

(٢) مارسيل ميرل، سوسيولوجيا العلاقات الدولية، مصدر سبق ذكره، ص٣٢٨.

(٣) السياسة الدولية، العدد ٣٣، مؤسسة الأهرام، القاهرة، ١٩٧٣، ص ١٨٣.

تقدير في حالة وجود انسجام بين رئيس الدولة ووزير الخارجية، كالحالة في علاقة ديغول مع وزير خارجيته كوف دوميرفيل، وعلاقة فاليري جيسكار ديستان مع ميشيل جوبير، وعلاقة فرانسوا ميتران مع رولان دوما، وجاك شيراك مع أوبير فيدرين، لاشك فيه، أنه حينما ظهر نوع من التوتر بين الرئيس ميتران ووزير خارجيته كلود شيسون في المدة الواقعة بين ١٩٨١ – ١٩٨٤، حيث إن الثاني كان يرفض إشراف ميتران ومساعديه على بعض القضايا في السياسة الخارجية، ومحاولته أن يكون له دور في السياسة الخارجية من خلال وزارة الخارجية، في وقت وافق فيه وزراء خارجية آخرون على أن يقتصر دورهم على التنفيذ وعدم الخروج عن سياسات رئيس الجمهورية، كالحالة في علاقة رولان دوما (رجل ميتران الضارب في عالم الدبلوماسية السرية) مع الرئيس ميتران[١].

فإذا نظرنا إلى تشكيلة الحكومة الفرنسية برئاسة موروا في حزيران ١٩٨١ نرى أن اختصاصات عدد من الوزراء لها علاقة بالسياسة الخارجية، من هؤلاء وزير الدفاع ووزير التجارة الخارجية ووزير التعاون والتنمية ووزير الشئون الأوروبية، فضلًا عن ذلك فإن جل الوزراء الفنيين يمارسون عملًا دبلوماسيًّا كالحال وزراء المواصلات والاقتصاد والمالية والتعليم والزراعة والصناعة والصحة والبيئة والبحار والاتصالات السلكية واللاسلكية والبريد وفي إطار المنظمات الدولية[٢].

---

(1) Bertrand Gallet , Precis de la Politique Etrangere Francise , 1996 , p. 60.

(٢) المصدر نفسه، ص٣٢٩.

إن معظم الوزارات الفنية تشارك من الآن فصاعدًا بوظيفة تمثيل السلطة العامة لدى السلطات الأجنبية أو المنظمات الدولية، وهناك مثال جيد يقدمه لنا عمل مجلس وزراء الجماعة =

وإذا انتقلنا إلى تركيا، وعلى مستوى عملية صنع القرار في سياستها الخارجية، نرى أن المؤسسات الرسمية، وفي مقدمتها وزارة الخارجية، لم يتم تجهيزها ببنية تحتية مادية ومؤسسية كافية من أجل القيام بدراسات إستراتيجية. إن مركز الدراسات الإستراتيجية الموجود في بنية وزارة الخارجية، والذي يحاول تلبية هذه الاحتياجات بإمكانيات متواضعة يعد مركزًا محدود الإمكانيات ببنيته التحتية وملاكاته العاملة بالنسبة لدولة مثل تركيا تواجه مجموعة من التحديات الإقليمية المتسارعة، والشرط الذي لا بد من توفره لتجاوز قصور نظرية التحليل الإستراتيجي هو تجهيز المؤسسات الرسمية، وفي مقدمتها وزارة الخارجية التي تشعر بحاجتها لتحليلات إستراتيجية في مرحلة اتخاذ القرار، وبناء تنسيق وتعاون جيد بين هذه المؤسسات من أجل كسر حاجز الرتابة والبيروقراطية(١).

السادس عشر: تنفيذ عملية صنع القرار

إن تنفيذ عملية صنع القرار يفترض مشكلات ثلاثًا(٢):

١. اختيار الأداة، بمعنى اختيار أصلح أداة تعكس حقيقة الموقف من جانب بحيث تصرف طاقة قوية للوصول إلى تنفيذ القرار السياسي. إن إعلان حرب

= الاقتصادية الأوروبية؛ إذ إن ممثل كل بلد يشغل دوريًّا من قبل وزراء مختلفين (الشئون الخارجية، المالية، الزراعة، النقل... إلخ) بحسب طبيعة المسائل المدرجة على جدول الأعمال، ويقوم الوزراء التقنيون بصورة عامة بتأمين رئاسة الوفود الوطنية إلى المؤتمرات الكبرى التي تنظمها المؤسسات المتخصصة. راجع: المصدر نفسه، ص٦٣، والدكتور عبد المنعم سعيد، الجماعة الأوروبية تجربة التكامل والوحدة، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت ١٩٨٦، ص٦٢-٦٨.

(١) أحمد داود أوغلو، مصدر سبق ذكره، ص ٧٢.

(٢) الدكتور حامد ربيع، نظرية السياسة الخارجية، مصدر سبق ذكره، ص٤٣-٤٤.

والدخول في قرار يستخدم القوة لمجرد مواجهة إهانة السفراء لا تعني قوة للدولة صاحبة الشأن، وإنما هو اختلال في سياستها الخارجية.

٢. التنسيق بين الأدوات، إن مخطط السياسة الخارجية لا بد أن يقوم بمثل هذا الدور، وعلى النمط الخارجي فإن العمل الدبلوماسي والعمل العسكري والعمل الدعائي يجب أن يكمل كل منها الآخر، إلى درجة أن كلًّا منهما يكون الهجوم الأول وخط الدفاع الأخير.

٣. عملية التفاوض هي جوهر العلاقة بين القوى الدولية، والتفاوض بهذا المعنى أكثر اتساعًا من القانون الدبلوماسي، فبرغم أن الاتصال على مستوى رئيس الدولة الذي يوصف بدبلوماسية القمة فإنه في الواقع لا يعبر عن هذه الحقيقة؛ لأنه نوع من الاتصال بين القوى السياسية الحاكمة من خلال إلغاء عملية التمثيل الدبلوماسي، فضلًا عن ذلك ينبغي ملاحظة ذلك، إن غالبية الاتفاقيات الدولية المعاصرة لا يتم تنفيذها من خلال العمل الدبلوماسي، وإنما بوساطة خبراء السلطة أو من في حكمهم، ومن ثم فإن علاقة التفاوض يجب أن تفهم على أنها مرادف للعمل الدبلوماسي.

وفي هذا المجال لا بد من معرفة الوظيفة الدبلوماسية من حيث علاقتها بالنواحي العلمية للإعداد الدبلوماسي -بالنسبة للرجل الدبلوماسي- التي تكوِّن مجموعة من الصعوبات؛ إذ يمكننا إيجازها في الآتي[1]:

١. فأول هذه الصعوبات يرتبط بالتناقض الواضح بين طبيعة المنهاج العلمي والثقافي التي درج عليها الدبلوماسي، لقد درج الأخير على منطق العلوم الاجتماعية؛ إذ إن دراسته تقوم على ثقافة قانونية أو تاريخية في وقت أضحى

---

(١) المصدر نفسه، ص١٠.

فيه المنطق العلمي يسيطر عليه الأسلوب الرياضي والإحصائي، وهذا يفسر اتجاه تقاليد بعض الدول إلى الفصل الواضح بين واضع ومخطط السياسة الخارجية من جانب والقائم بالوظيفة الدبلوماسية من جانب آخر؛ فالأول ذو ثقافة علمية متخصصة يغلب عليها التحليل الرياضي؛ إذ تتقابل نظرية الاحتمالات بالنظرية الإستراتيجية، أما الثاني فهو ذو ثقافة عامة تكاد تكون سطحية يفترض فيها أن تؤدي وظيفة تنفيذية تجعل منه أقرب إلى رجل العلاقات العامة من أن يشارك ولو بطريقة غير مباشرة إعداد السياسة الخارجية. وينتقد أستاذنا الدكتور حامد ربيع هذا الاتجاه مؤكدًا هذا في النقاط الآتية[١]:

أ. تشمل الدبلوماسية صياغة السياسة الخارجية لدولة ما وتطبيقها أيضًا، وتشمل صياغة هذه السياسة بدورها جمع المعلومات وتقويمها من محيط البيئة الدولية ووضع الخطوط البديلة للسياسة في الميزان، ويشمل تطبيق تلك السياسة إعلام الحكومات والشعوب الأخرى بالخط الذي تقرر انتهاجه في مجال السياسة الخارجية، وبذل المساعي لشرح هذه السياسة وتبريرها لهم وضمان تعاونهم حيث يكون ذلك مناسبًا، أو تحييد معارضتهم عند تطبيقها بالمنطق والإقناع إذا أمكن، لكن قد يحتاج الأمر أحيانًا إلى التهديد باللجوء إلى القوة أو إلى أنواع أخرى من الإكراهات[٢]. وتبعًا لذلك نرى من وجهة النظر العملية أن كل دبلوماسي مدعو ولو في مرحلة معينة من مراحل حياته، إلى أن تكون له مشاركة بطريقة مباشرة أو غير مباشرة في إعداد السياسة الخارجية، والحالة

---

(١) المصدر نفسه، ص١٠-١٢.

(٢) هيدلي بول، مصدر سبق ذكره، ص ٢٤٤ – ٢٤٥.

الأخيرة تفترض التمييز بين الطوائف الثلاث؛ فهناك أولًا السياسي، أي الرجل الذي يصل إلى السلطة من خلال تفاعله بالقوى السياسية المحلية، سواء كان هذا التفاعل عن طريق الأساليب الديمقراطية؛ أي الانتخاب، أو تم عن طريق الأسلوب التكنوقراطي؛ أي العلاقات الشخصية، ووزير الخارجية في أغلب الأحيان وكذلك معاونوه المباشرون ينتمون إلى هذه الطائفة. ثم إن هناك خبراء السلطة؛ أي ذلك المتخصص الذي يدعى من جانب السلطة الحاكمة ليقدم له معونته وخبراته، مع افتراض أنه لا ينتمي إلى تلك السلطة لا حزبيًّا ولا عقيديًّا، بل ومن المصلحة عدم انتمائه، وإلا فقد القدرة على التجرد وعدم التمييز؛ فهل تفتح له جميع مصادر المعلومات؟ الإجابة بنعم تفرض نفسها نظريًّا؛ لأنه لا يمكن أن تطالب الطبيب بالعلاج والتشخيص دون أن تسمح له بأن يتفقد جميع أجزاء الجسد موضع العناية، ودون أن نثق في شخصه فنرفع الحجاب عن الماضي والحاضر، ولكن ليس من حق الطبيب أن ينشر ما حصل عليه من معلومات بأي شكل كان، وإلا خضع لطائفة العقاب، هكذا خبير السلطة يجب أن يخضع لقواعد صارمة مماثلة[1].

وخبراء السلطة أُعدوا إعدادًا منهجيًّا يسمح لهم بالتنبؤ بالأحداث وبقياس التصرفات ومن ثم بناء نماذج للسياسة الخارجية، أما الطائفة الثالثة فهي طائفة الدبلوماسيين الذين يقومون بعملية التمثيل على مستوى العلاقات الدولية؛ إذن يمكننا القول بأن خبير السلطة يعد نماذج القرارات السياسية، والسياسي يختار بين النماذج ويتخذ القرار النهائي، والدبلوماسي يقوم بعملية التنفيذ.

---

(١) الدكتور حامد ربيع، العلوم السلوكية، مصدر سبق ذكره، ٧.

والحق أننا لم نستطع حتى الآن أن نميز بين هذه الوظائف الثلاث وأن نجعل من كل منها وظيفة مستقلة تفترض إعدادًا مستقلًّا ومواصفات مختلفة إلا تلك الدول التي وصلت إلى درجة متقدمة من حيث التقاليد السياسية كفرنسا وبريطانيا العظمى وروسيا الاتحادية، وإلى حد ما الولايات المتحدة الأمريكية، أما في المجتمعات الأخرى بصفة عامة فإن أي دبلوماسي قد يرقى في السلم، فإذا هو فجأة بحكم درجته الإدارية أضحى مدعوًّا لأن يشارك بطريق مباشر في إعداد السياسة الخارجية[1].

على أن هذه المأساة تزداد خطورة في المجتمعات النامية، فليس فقط الدبلوماسي هو الذي لا يعرف حدود وظيفته إزاء من يتولى صياغة القرار السياسي، بل السياسي Politician إزاء كل منها، فكم من رجل ليس له من إعداد مهني في أي من معانيه كخبير للسلطة أو كدبلوماسي محترف وجد نفسه فجأة في منصب السفارة لم يتردد بهذه الصفة لا فقط في أن يقوم بوظيفة تنفيذية، بل وفي أن ينتزع حقه بالمشاركة في اتخاذ القرار السياسي، على أن هناك ناحية أخرى تجعل من هذا الخلط بين الوظائف أمرًا بالغ الخطورة، ذلك أنه في المجتمعات المتقدمة يوجد هناك العديد من الوسائل التي تسمح بضبط الإخفاق في السياسة الخارجية والرقابة لتحديد المسئولية، أما في المجتمعات النامية إذ الحياة السياسية بدائية وحيث الرقابة على عمل الإدارة لا وجود لها، وحيث الضبط الإداري الذاتي ضعيف وشكلي؛ فإن الإخفاق يصير لا مفر منه[2].

---

(١) المصدر نفسه، ص٣١.

(٢) المصدر نفسه، ص٣١.

ب. الصعوبة الثانية تتركز في موقف علماء العلاقات الدولية من النواحي المنهاجية، فالمسلَّم به أن نظرية العلاقات الدولية تعاني قصورًا واضحًا من هذه الناحية، حتى إن جميع المتخصصين يصفونها بأنها القسم المتخلف من العلوم السياسية، فإذا كانت دراسة العلاقات الدولية هي نوع من أنواع البحث العلمي وصورة من صور المعرفة المنظمة؛ فإن الوظيفة الدبلوماسية تجمع بين العلم والخبرة والفن(١).

يتضح مما تقدم أن هناك خصائص للدبلوماسية المعاصرة التي تتحدد في: متخصصة، حضارية، سياسية، علمية.

١. أول ما يميز الدبلوماسية المعاصرة هو **التخصص**، وكلمة التخصص هنا يجب أن تفهم بأوسع معانيها، والتخصص لا يقتصر فقط على الإعداد المهني ودرجاته، بل يتجاوز ذلك إلى طبيعة الاهتمامات، فضلًا عن أسلوب التعامل ذاته، ولفهم ذلك يتوجب علينا أن نؤكد النقاط الآتية(٢):

أ. يشير التخصص إلى ضرورة التمييز بين الوظيفة الدبلوماسية، بمعنى التمثيل والعمل الدبلوماسي، بمعنى إعداد القرار السياسي، لم يعد من المقبول في أي مجتمع سياسي يسعى إلى أن يحقق فاعلية معينة في سياسته

---

(١) المصدر نفسه، ص ١٨-٢٦. و:

Contemporary International Politics, P.186; Nicolosn, Harold, Diplomacy then and Now, pp.198-204

(٢) الدكتور حامد ربيع، نظرية الدعاية الخارجية، مصدر سبق ذ كره، ص١٨-٢٠.

الخارجية؛ إذ إنه يخلط بين الوظيفة التمثيلية وبين عملية إعداد القرار السياسي حتى أضحى المشتغل في كل من هاتين الناحيتين يعكس إعدادًا مختلفًا، بل وتطلق عليه تسمية مختلفة، الأول هو الدبلوماسي Diplomet أما الثاني فهو خبير السلطة Technician of Power.

ب. حتى في إطار عملية التمثيل الدبلوماسي هناك تخصص من نوع معين هو التمثيل العادي الذي يعد من وظائف الدبلوماسي العادي، إلى جانب ذلك هناك الدبلوماسي المتخصص في نوع معين من أنواع العلاقات الدولية: الثقافية أو التجارية أو العلمية أو الصحية أو الإعلامية أو العمالية، وإذا كان الأول يعبر عن تقاليد الدبلوماسية التقليدية، فإن الثاني يمثل صورة جديدة من صور الدبلوماسية تجمع بين الثقافة الدبلوماسية وثقافة نوعية أخرى مستقلة، بل قد تعارض الثقافة الدبلوماسية، والمثال على ذلك استخدام الذرة وما يرتبط بها من مشكلات دولية.

ج. في نطاق عملية التمثيل الدبلوماسي سواء بمعناه التقليدي أم بمعناه النوعي فإن التقاليد التي قد بدأت تتراكم في إلغاء الحرب العالمية الثانية والتي تتركز في ظاهرة التكتلات الإقليمية قد فرضت بدورها صورًا جديدة من صور التخصص تدور حول عنصر الإقليم Area diplomacy، والحق أنه لم يعد من الممكن تصور الدبلوماسي الذي يقضي حياته متنقلًا من أقصى أمريكا الجنوبية إلى أقصى شمالي القارة الآسيوية، ومن الطبيعي تمكين الدبلوماسي من التخصص في منطقة معينة أو في إقليم معين، ولعل هذا يعكس ما يقوله ديروزيل Duroselle من حيث الواقع، هناك اليوم نوعان من أنواع الدبلوماسية: دبلوماسية بين الأعضاء المنتمين إلى تكتل معين، ودبلوماسية في العلاقات بين الكتل

المختلفة، هذا التنوع في الدبلوماسية لا بد أن يفسر التخصص الإقليمي في الأقل في بعض نواحيه".

د. لم يقتصر التخصص على جميع هذه النواحي، بل غزا أيضًا أسلوب العمل الدبلوماسي ذاته، وكان من الطبيعي أن تفرض أساليب جديدة من العمل الدبلوماسي مطابقة للعمل الدبلوماسي نفسه، وقد يعتقد بعضهم أن الدبلوماسية السرية أو التقليدية قد انتهت، ولكن في الواقع فإن الذي وقع هو أنه عرفت أساليب جديدة للعمل الدبلوماسي.

وفي هذا المجال نستطيع أن نميز في أساليب العمل الدبلوماسي بين أنواع أربعة: العمل الدبلوماسي بالطريق التقليدي أو السري؛ أي بأسلوب المفاوضات، ثم العمل الدبلوماسي بالطريق الإعلامي أو الدعائي، ثم العمل الدبلوماسي بالطريق الخطابي، وأخيرًا طريق المهاجمة والاستفزاز. فالأول يقوم على السرية ويعرف المفاوضات كقاعدة أساسية لتنفيذ الغاية من العمل الدبلوماسي، ويخضع لما عرفناه من القواعد التقليدية، أما الأسلوب الثاني فقد فرضته الثورة الإعلامية التي لم يعرفها العالم من قبل، وقد أضحينا اليوم نسمع عن دبلوماسية الإذاعة أو بصفة خاصة عن دبلوماسية التلفاز، ولعل من يتتبع الصراع الفكري بين المستشار الإعلامي لدولة الكويت في الأمم المتحدة في السبعينيات من القرن الماضي وبين معلق التلفاز الأمريكي يستطيع أن يفهم بوضوح كيف أن هذا الأسلوب من أساليب الدبلوماسية يفترض إعدادًا وتخصصًا من نوع آخر.

فالدبلوماسية التقليدية التي كانت وظيفتها تبعًا لذلك فإنها من حيث العمل الدبلوماسي تقوم على أسس أربعة:

Courlens, Dignifiect, Continuous, and Gradual

أي الذوق والكرامة والاستمرار والتدرج لا يمكن أن تصلح لإعداد الدبلوماسي الإعلامي.

الأسلوب الثالث هو الذي يوصف في بعض الأحيان بدبلوماسية الطريق العام: La diplomalie sur la place publique الذي يصفه الكتاب الأنجلوساكسون بأنه دبلوماسية الصوت العالي-Diplomacy by loud-Speaker هو نتيجة طبيعية لتطبيق الأساليب التقليدية في الحياة السياسية الداخلية والمرتبطة بالمجتمع الجماهيري والصراع السياسي في النظم الليبرالية، وفي هذا الأسلوب تبرز الغوغائية وتسيطر على العمل الدبلوماسي قواعد أخرى لا يمكن إلا أن تناقض التقاليد الدبلوماسية التقليدية، لقد كان الدبلوماسي يوصف بأن واجبه هو أن يكون عينًا وأذنًا لدولته eye and ear ولكن هذه الدبلوماسية الجديدة تجعل منه فقط لسانًا.

الأسلوب الرابع والأخير هو الذي فرضه الصراع الأيديولوجي، وهو امتداد للأسلوب السابق، ولكنه لا يقتصر على مجرد الخطب الرنانة التي لا تقود إلى شي، وإنما يضيف إلى ذلك عنصر الهجوم والاستفزاز مع تضخيم لمظاهر النجاح المرتبطة بنظام سياسي معين وتقليل لظاهرة الإخفاق المرتبطة بنظام سياسي آخر، وهذا ما يطلق عليه خبراء الرأي العام Diplomacy by Insult والذي هو تطبيق للعمل الدعائي في أدق معانيه.

٢. من خصائص الدبلوماسية المعاصرة الطبيعة **الحضارية** لها أن الدبلوماسية التقليدية فيما يخص أسلوب العمل الدبلوماسي لم يختف اختفاءً كليًّا، وإنما جاءت أساليب أخرى جديدة لتكمل وتمكن الدبلوماسي من أداء وظيفته، ولكن هنا وبخصوص الطبيعة الحضارية نستطيع أن نلمس بوضوح

وصراحة مدى التطور الذي أصاب الوظيفة الدبلوماسية، فلم تعد هذه الوظيفة مجرد علاقة وتمثيل بين حكومات، وإنما أضحت علاقة وتمثيل بين شعوب وحضارات Citizen diplomacy Cilizento وقد نتج عن ذلك قضايا إيجابية وأخرى سلبية على مستوى السلوك السياسي الخارجي، وهنا لا بد أن نؤكد الحقائق الآتية[١]:

(١) لم يعد السفير إلا موظفًا عاديًا قد يختلف من حيث درجته الإدارية، ولكنه لا يختلف من حيث وظيفته ومن ثم فقد أضحت حريته في الحركة محدودة وضيقة.

(٢) إن وظيفة السفير لم تعد الدفاع عن وجهة نظر معينة أو مجرد تمثيل رمزي، وإنما أساسًا هي اكتساب أوضاع جديدة اقتصادية بل بصفة خاصة ثقافية قبل أن تكون سياسية.

(٣) بهذا المعنى أصبح الموظف الدبلوماسي يمثل حضارة معينة في تماسها بحضارة أخرى، وهكذا هو يمثل صورة الرجل العادي الذي ينتمي إليه مجتمع معين لآخر، ويسعى بكل طاقته لأن يجعله يبدو منسجمًا مع هذا المجتمع الآخر.

أضف إلى هذا طبيعة التطور الذي أصاب أسلوب التفاوض ذاته Process of Negotiation وما يفرضه هذا بدوره من استعداد معين وكفاءات معينة متعددة ومتنوعة: إتقان لغات، ثقافة متسعة، سرعة بديهة، دقة وحرص في التعبير، صلاحية للتلاعب بالألفاظ. لقد حل محل تفاوض الصالونات

---

(١) المصدر نفسه، ص٢١.

المناقشة التي كثيرًا ما تكون علانية في جلسات مفتوحة يحضرها الجمهور وتدعى إليها الصحف، وبرغم أن الأسلوب التقليدي لم يختف كله إلا أن هذا الأسلوب الجديد يفرض مواهب جديدة خافية على الدبلوماسية التقليدية، ويمكننا أن نذهب إلى القول بأن الدبلوماسية المعاصرة بهذا المعنى خط الهجوم الأول وخط الدفاع الأخير في الصراع الحضاري والأيديولوجي الذي يعد من تقاليد المجتمع الدولي منذ بداية الحرب العالمية الثانية، وقد انعكس هذا الوضع على تصورات سياسية متعددة، يمكننا إيجازها في[١]:

١. بدأت الدول في الوقت الحاضر تولي أهمية كبيرة لسياستها الثقافية، ليس على المستوى المحلي بل وعلى مستوى العلاقات الدولية، بالأمس كانت الأنظمة السياسية الداخلية تقف من موضوع العلاقات الثقافية الدولية موقف اللامبالاة، في حين بدأت تجعل منها اليوم أحد المقومات الرئيسة التي تغطي على أداتها الدبلوماسية، وهذا يفترض وجود أكثر من عامل واحد من عوامل التنظيم الدبلوماسي، فمن جانبٍ فكرة المستشار الثقافي ارتبطت بالهيئات الدبلوماسية كافة، ومن جانب آخر فإن جميع الدول ذات الأهمية في نطاق الغزو الدبلوماسي تضع في حسابها تنظيمًا داخليًّا يعكس إدارة العلاقات الثقافية، فبريطانيا تجعل هذه المهمة تدخل في صلاحيات المجلس البريطاني، أما الولايات المتحدة الأمريكية فإنها عهدت بذلك إلى الوكالة الأمريكية للإعلام (U.S.I.A).

والحق، فإن الدبلوماسية الثقافية Cultural Diplomacy تكون لها القوة الكبيرة في تشكيل النظام الدولي الجديد، والأنظمة الفرعية الإقليمية، والشواهد

(١) المصدر نفسه، ص٢١-٢٢.

التاريخية تشير إلى مثل هذه الحقيقة، ومنها أن السياسة الثقافية الفرنسية بدأت تنظر إلى العالم من خلال مفهومها Mission Civilian A trice (البعثة المدنية الفورية)، أما بريطانيا بوساطة تقدمها التعليمي فإنها سعت جاهدة لنشر مفهومها في التعليم في دول العالم الثالث[١].

أما فيما يخص الدبلوماسية الثقافية الأمريكية[٢] فإن السياسة الثقافية لها عدت مسألة جوهرية لدى قطاعات الشعب الأمريكي، وهذه الصورة واضحة عند الأخير ابتداءً من أواخر القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين، على الرغم من تبني الولايات المتحدة سياسة العزلة في العلاقات الدولية، وتبعًا لذلك فإنها قامت بإرسال بعثات دبلوماسية وتجارية إلى العالم الخارجي والتي لم تحدد سياستها القومية، لكون الأخيرة لها علاقة بالسياسة الثقافية.

من هذا المنطلق بقي موظفو الشئون الثقافية في أدنى مراتب السلم الدبلوماسي في بعثاتها الخارجية، ومن الممكن توضيح ذلك من خلال التمرير (القرار التعليمي الدولي) International Education Act في الكونغرس عام ١٩٦٦، والذي تم إخفاقه بحفنة من الدولارات البسيطة[٣].

أصبحت الدبلوماسية الثقافية أكثر تعقيدًا لأسباب تعود إلى متناقضات كبيرة، والتي جاءت بصورة أساسية من القوى الكبيرة، ومدى تأثيرها على الدول الضعيفة، ويمكننا أن نشير في هذا المجال إلى السياسة الثقافية البريطانية

(1) Soediatmoko & Enneth W. Thompson , In World Politics An Introduction , Op. Cit.,PP.406-408.

(٢) للمزيد من التفاصيل حول ذلك راجع: إميل هوبنر، مصدر سبق ذكره، ص ٢٠٣ – ٢١٠.

(3) Ibid. , P.409.

والفرنسية في القرن التاسع عشر، والسياسة الثقافية لكل من الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتي في حقبة الحرب الباردة، وقد أدى هذا في واقع الأمر إلى فكرة خاطئة عند الأحزاب الغربية؛ إذ إنها في علاقاتها الثقافية تحددت بمفهوم المانح والمتسلم، أو المنتج والمستهلك، وبعبارة أكثر دقة فإنها اقترنت بمفهوم اللعبة الصفرية من حيث الربح والخسارة[1].

وفيما يخص الاتفاقات الثنائية الثقافية الدولية حتى عام ١٩٣٩ لم يعرف سوى ما يقارب مئة اتفاقية من الصعوبة بمكان أن نعثر من بينها على اتفاقية واحدة ذات أهمية واضحة، أما في المدة ما بين سنة ١٩٤٥-١٩٦٠ أي فقط خلال خمسة عشر عامًا، فإلى جانب النصوص الثقافية المؤقتة أو المحدودة بأهداف فقط تعليمية فإن الاتفاقات الثقافية التي شهدها العالم خلال تلك المدة تزيد على الألف. والحق أننا لو حللنا هذه الاتفاقيات لوجدنا أنها تعكس الاهتمامات التالية: فالاتفاقيات الثقافية قد تكون أداة لتقوية مشاركة لغوية أو حضارية كالاتفاقيات بين إسبانيا وأمريكا اللاتينية، وقد تكون الغاية منها الاحتفاظ بنوع معين من التضامن بين قوى استعمارية قديمة ومستعمرات انفصلت عنها، وهذا هو حال أغلب الاتفاقيات بين إفريقيا السوداء من جانب، وفرنسا أو بريطانيا من جانب آخر، وقد تكون هذه الاتفاقيات مقدمة للتقارب السياسي، والمثال على ذلك الاتفاقيات الثقافية بين ألمانيا الغربية وفرنسا، وهي أخيرًا قد تكون أداة من أدوات الاندماج السياسي كمقدمة له أو كعلامة من علامات الإخفاق في سبيل الوصول إليه، وهذا هو حال الاتفاقيات الثقافية بين

---

(1) Ibid., P410.

بلدان الكتلة الاشتراكية سابقًا، أو بين دول أوروبا الغربية في نطاق السوق الأوروبية المشتركة.

وفي هذا المجال لا بد من أن نشير إلى النشاط الثقافي الأمريكي في النظام السياسي الدولي، فعلى سبيل المثال وزعت خلال عام ١٩٦٥ خمسة عشر مليونًا من الكتب في كثير من الدول، وأنها لم تتردد في أن تدفع ما يقارب عشرين ألف دولار لإحدى الصحف لتنشر كتابًا في سنة ١٩٦٣ يهاجم فيه بأسلوب علمي السياسة السوفيتية، والحق أن فقهاء السياسة الدولية الذين ينتمون إلى التقاليد الأمريكية يتساءلون عن الحد الذي تنتهي عنده العلاقة بين الدبلوماسية الأمريكية والجامعات الأمريكية، أجهزة المخابرات الأمريكية، السياسة الأمريكية.

٢. ولعل هذا يفسر كيف أن أحد أهداف الدبلوماسية الأمريكية في الوقت الحاضر هو استقطاب أعداد كبيرة من الخبراء والعلماء، ليس فقط من الدول النامية بل وأيضًا من الدول التي أحرزت تقدمًا حضاريًّا معينًا في نطاقها الجامعي وفي هيكل بنيتها الثقافية.

٣. هناك نوع من العلاقة بين الجانب الحضاري للدبلوماسية والسياسة الخارجية يقوم على فكرة ثنائية، فهي من جانب أداة اقتصادية ولكنها من جانب آخر أداة للإشعاع الحضاري، وقد نجحت فرنسا في هذا المجال في ربط سياستها السياحية بحقيقة سياستها الثقافية في دبلوماسية متناسقة تسمح بجعل السياسة أداة من أدوات الغزو الحضاري، ولو نظرنا إلى الكيان الصهيوني لوجدناه قد وصل إلى الذروة في هذا الخصوص ولا سيما في علاقاته مع دول إفريقيا السوداء.

٤. المعرفة الموضوعية بأحوال البلد الذي يرسل إليه الدبلوماسي هو الموضوع الرئيس الذي يبدأ منه ذلك الإعداد، ولعل إنشاء معهد في بيروت تابع للسلك الخارجي الأمريكي لإعداد رجال السلك الدبلوماسي الذي يتعين عليهم أن يعملوا في الأقطار العربية واضح في هذا المجال، فالدبلوماسي رسول حضارة، ولكي يستطيع أن يعكس تلك الحضارة يجب أيضًا أن يفهم الحضارة التي يريد أن يخاطبها، هذه الحقيقة -أي أهمية اللغة والثقافة والحضارة في عملية الاتصال الدبلوماسي- هي التي حدت بالدول الغربية كي تجعل من بعض مستشاريها سفراء لها في الأقطار العربية، وليس بعيدًا عنا جون بادر الذي كان يرأس معهد دراسات الشرق الأوسط في جامعة كولومبيا، والذي كان سفيرًا لكيندي في القاهرة بالذات بسبب هذا التخصص الذي توجه برئاسته للجامعة الأمريكية في القاهرة عدة سنوات.

إن أول من أشار إلى هذه الحقائق هو أبو علي الحسن بن محمد المعروف بـ(ابن الفراء) الذي دون كتابًا في القرن الحادي عشر الميلادي باسم (كتاب رسل الملوك ومن يصلح للرسالة والسفارة) جاء فيه: "إذا أرسلت رسولًا إلى الملك فليكن فصيحًا بلغتك ولغته". وهو يقصد بلغة الحضارة في أوسع معانيها.

هنا لا بد من الإشارة إلى السياسة غير العقلانية للإدارة الأمريكية على عهد الرئيس السابق جورج دبليو بوش، وذلك بعد انهيار نظام الحكم الأفغاني المناصر للسوفيت في كابل في نيسان عام ١٩٩٢ حول المعلومات التي تم جمعها عن تحالف الشمال بقيادة مسعود في أفغانستان، ومنذ البداية كان الحلف منظمة تسيطر عليها العناصر الطاجيكية إلى حد كبير، فضلًا عن أن أغلب قادته كانوا ينتمون إلى مجموعة صغيرة من الأقليات الطاجيكية الموجودة في البلاد أصلها

من وادي بانجشير، مما كان يعني أن حلفًا كهذا ولد يائسًا، ولم تكن لديه أية فرصة ليكون قاعدة لحكومة محلية. كان مسعود أهم طاجيكي بانجشاري سياسيًّا وعسكريًّا، ومركز الطاجيك كان أساسًا في شمال أفغانستان، وعندما قامت القاعدة باغتيال مسعود في التاسع من أيلول ٢٠٠١ مات هذا التحالف عسكريًّا؛ لأنه لم يكن هناك ببساطة أي أحد يمكنه تسلم قيادة الحلف من بعده، وتضامن الشعب الأفغاني بالكامل مع حكم طالبان، وانبثاق بصيص من الأمل لأول فرصة لسلام وأمن تحظى به أفغانستان منذ قرابة ربع قرن[١].

بالرغم من أن كرزاي وبعض المغتربين العائدين من المهجر هم من البشتون فإنهم لا يعدون ممثلين للبشتون بأي شكل من الأشكال، حيث كانوا يعيشون إما في الغرب أو في باكستان، ولم يشاركوا في الحرب ضد السوفيت، فضلًا عن أنهم مسلمون بشكل اسمي فقط، والأمر عينه ينطبق على الجنرالات في الحكومة المؤقتة، حيث إنهم لا يساوون شيئًا من الناحية العسكرية حال ما إذا انقطع عنهم دعم القوات العسكرية الأمريكية والبريطانية[٢].

إن صانعي القرار في الولايات المتحدة، ومسئولي التخطيط العسكري الأمريكيين للحرب في أفغانستان؛ قد أوكلوا عمدًا إلى مسئولين أمضوا حياتهم المهنية وهم يعملون في الشئون الإفريقية والروسية لا في قضايا الشرق الأوسط وجنوب آسيا والإسلام[٣].

---

(١) مايكل شوير، مصدر سبق ذكره، ص ٧٥ – ٧٧.

(٢) المصدر نفسه، ص ٨٢ – ٨٣.

(٣) المصدر نفسه، ص ٨٣.

إن عدم معرفة وضع أي بلد، ومعتقداته وقيمه، وعاداته وتقاليده، وعدم التقويم الصحيح للحركات الإسلامية في العالم، ثم وصف الإسلام بالإرهاب، ثم الغارة على العالم الإسلامي، يعد بحد ذاته ظلمًا بحق ذلك.

٣. الدبلوماسية المعاصرة من جانب آخر تتصف بالصفة **العلمية**، ومن هنا ينبغي أن نحدد ماهية هذه الصفة.

وصف العالِم الآسيوي بن ليمب Ben Limp الوظيفة الدبلوماسية بأنها وظيفة غير عادية، وهو يقصد بذلك أن هذه الوظيفة أضحت اليوم متعددة النواحي تفترض الإلمام بالكثير من أنواع الثقافة والقيام بأكثر من مهمة واحدة، كل منها يستلزم إعدادًا واستعدادًا معينًا، بحيث تفرض على الدبلوماسي الذي يريد أن يحقق وظيفته على أكمل وجه دراسة شاقة في نواح متعددة وبأكثر من أسلوب واحد من أساليب التحليل المنهاجي[(١)].

وزاد من تأكيد هذا الاستقبال للمنهاجية العلمية اتجاه العمل الدبلوماسي لتطبيق مفهوم التخطيط على نطاق واسع؛ فالدبلوماسية الحديثة أضحت تتقبل فكرة التخطيط الحركي بمعنى تجريد المفاهيم ووضع إطار مسبق للاحتمالات مع بناء واضح ومحدد لأبعاد الحركة كان لا بد وأن يؤدي إلى فرض الأسلوب العلمي لتحليل السياسة الخارجية، ورغم أن تخطيط العمل الدبلوماسي يفرض مشاكل متباينة عن تخطيط العمل السياسي فإنه من حيث حقيقته يفرض هذا الارتباط بالأساليب العلمية، بل ويزيد من تأكيد المنهج الإحصائي والرياضي في تحليل أبعاد الحركة في المجال السياسي الخارجي.

---

(١) الدكتور حامد ربيع، نظرية الدعاية الخارجية، مصدر سبق ذكره، ص٢٥.

هذه العملية البسيطة في الواقع تفترض أكثر من أسلوب واحد من أساليب التحليل العلمي التي تتضمن الآتي[1]:

١. **أسلوب تحليل المضمون** Content Analysis

تحليل المضمون هو محاولة لفهم مضمون رسالة معينة في شكل كلمات أو رموز انفصلت عن شخص صاحبها. بهذا المعنى تحليل المضمون ينطلق من مقومات ثلاثة:-

أ- إن أي تعبير لفضي أو رمزي بالكلمة أو بالإشارة ما هو إلا حقيقة سلوكية، أو بعبارة أخرى: هو رد فعل لمنبه ارتطم بجسد.

ب- ينطلق مفهوم تحليل المضمون من مفهوم آخر أساسه هو إمكانية تحويل أية رسالة مكتوبة أو مسموعة إلى لغة رقمية.

ج- إن الرسالة الاتصالية رغم إمكانية تحويلها إلى لغة رقمية فإنها لا تعد مجرد مصطلحات رمزية.

وهنا لا بد أن نؤكد على حقيقتين:-

أ- إن كيفية الوصول إلى الخصائص بوساطة تحديد العلاقات المميزة للرموز والعبارات هي ليست بعملية سهلة كما يتراءى للذهن في بداية الأمر بسبب أهمية الرموز بالنسبة للباحث، أكثر من كونها تعبر عن مفاهيم.

ب- إن فكرة تحليل المضمون التي تجسد مفهوم تحليل المضمون، التي لها علاقة بعملية الانتقال من الميكرو إلى الماكرو، والتي تعد من أكثر أنواع

---

(١) المصدر نفسه، ص٢٦-٢٧.

تحليل المضمون صعوبة، فضلًا عن وجود معوقات هي مثيرة للمناقشة[١].

٢. **أسلوب الاتصال** Communication Method

٣. **أسلوب المقارنة المنهاجية** Comparstine Methodlogy

٤. **أسلوب إعداد الرسالة الإعلامية** Techmigue of Mass Media

وهكذا تتحدد وظيفة البحث العلمي من حيث علاقاتها بالوظيفة الدبلوماسية في نواحٍ ثلاث:

١. أساليب تقصي الحقائق.

٢. طرائق تفريغ النتائج وترتيبها.

٣. وسائل التنبؤ بالأحداث.

كل من هذه النواحي يقود إلى فرع معين من فروع المنطق العلمي ذي الخصائص الذاتية؛ الأول: نظرية البحث الميداني، والثاني: نظرية البحث التجريدي، والثالث: نظرية التدبير السياسي.

رغم ذلك فالتحليل العلمي في العمل السياسي الخارجي من الممكن أن يواجه بعض الصعوبات، ويمكننا إيجازها في الآتي:

١- عدم الاقتناع من جانب الجيل القديم؛ ذلك أن السياسة الخارجية لا تزال تخضع للجيل الذي نشأ وتكون في ظل المناهج التقليدية التي تدور حول المعرفة التاريخية والتحليل القانوني.

---

(١) الدكتور حامد ربيع، نظرية السياسة الخارجية، مصدر سبق ذكره، ص١٠٩- ١١٢.

٢- يزيد من ذلك صعوبة تطبيق التحليل العلمي على مناهج إعداد السياسة الخارجية فيما يخص العمل الدبلوماسي، حيث نجد في نطاق ذلك الحقائق الثلاث الآتية[١]:

أ- عدم وجود خط واضح للفصل بين الخطة والتنفيذ.

ب- إن النشاط الدبلوماسي يكاد يستحيل تحويله تحويلًا كميًّا والتعبير عنه بلغة رقمية.

ج- هناك مجموعة من القرارات المتعلقة بالعمل الدبلوماسي والتي تسمى بالقرارات اليومية، وهي تقف من التحليل العلمي موقف الرفض بسبب ضيق الوقت وقيود إمكانيات استخدام المنطق العلمي بالنسبة لمثل تلك القرارات.

يقول العالم الأمريكي هاو: إن وظائف التخطيط السياسي في العالم الدبلوماسي يجب أن تتجه بصفة خاصة إلى اهتمامات ثلاثة: ما يسمى بالمشاكل المحدودة، ما يعرف باسم دراسة السياسات القومية، ما يعبر عنه باتخاذ موقف الخصم أو العدو[٢].

لتحقيق هذه الأهداف من الدبلوماسي ينبغي أن نأخذ بنظر الاعتبار الملاحظات الآتية:-

١- ارتباط المخطط بصورة مباشرة بالقرارات اليومية.

---

(١) المصدر نفسه، ص١٠٣-١٠٤.

(٢) المصدر نفسه، ص١٠٥.

٢- لا بد أن يأخذ الدبلوماسي بنظر الاعتبار مفهوم اللعبة الصفرية في العلاقات الدولية؛ أي بتعبير أدق: اقتران عمله الدبلوماسي بموضوع الربح والخسارة.

٣- إن موضوع الخصم بالنسبة للدبلوماسي المرتبط بتوصياته المتعلقة بالحركة، يجب أن يهيمن على طبيعة دراسته وأبحاثه ونتائجه.

٤- إن المنطق العلمي للدبلوماسية الحديثة لا يكون بمعزل عن أبعاد التخطيط الأخرى للوجود القومي. بمعنى آخر: ارتباط المخطط ارتباطًا مباشرًا بجميع أجهزة التخطيط الأخرى، من تخطيط دعائي إلى تخطيط اقتصادي، فضلًا عن التخطيط الاجتماعي.

٥-كل هذه الأمور جميعًا تفرض على العمل الدبلوماسي البحث عن أساليب جديدة، رغم التكاليف الباهظة لها والصعوبات المرتبطة بها[١].

والحق أن التفاصيل السابقة تعطي لنا الدليل لفهم معنى مدلول السياسي، فالمتخصص في تنظيم العلاقات الدولية يفرض التمييز بين السياسي والدبلوماسي وخبير السلطة، فخبير السلطة يعد القرار السياسي ويختار من بين أكثر من نموذج واحد، والدبلوماسي يتولى التنفيذ، فقط هذا الأخير هو الذي يعكس مهنة معينة أقرب إلى أن تكون إدارية تفرض استعدادًا وثقافة من نوع معين، هذه الثقافة قد تصطبغ بالصبغة السياسية من بعض نواحيها، بل قد تكون هذه الصفة السياسية للثقافة لازمة وضرورية بالنسبة لتلك الدول ذات النزعة الأيديولوجية، ولكن كل ذلك ليس إلا من قبيل الأداة التي تسمح للدبلوماسي بأن يؤدي وظيفته. أما الوظيفة الدبلوماسية ذاتها فإنها تفترض

---

(١) المصدر نفسه، ص١٠٦.

الفصل بين السياسي والدبلوماسي، بل وتفرض التمييز بين كل منهما من حيث أداء وظيفته، هذا التمييز لا بد أن يقود إلى عدم الخلط، ومن ثم يصير السياسي لا يصلح للعمل الدبلوماسي، وهو لا يصلح للعمل السياسي[١].

في هذا المجال يقول الأستاذ الدكتور حامد ربيع ما معناه: "على أننا لو افترضنا أن الدبلوماسي قد يصلح للعمل السياسي فإن العكس غير صحيح، بمعنى أن السياسي لا يصلح إطلاقًا للعمل الدبلوماسي".

لقد سبق أن رأينا كيف أن الوظيفة الدبلوماسية تفترض بذاتها تخصصات متنوعة، وكيف أن الوظيفة الدبلوماسية تفترض بسبب وظيفتها العملية الجمع بين أنواع معينة من الثقافة العملية لا موضع لها إزاء الوظيفة السياسية، والواقع أن هذا ليس إلا نتيجة للتطور المعاصر للمجتمع السياسي.

فقد أضحى الوصول إلى السلطة السياسية لا يرتبط بأي استعداد ثقافي ولا بأي تخصص علمي، بل ويمكن القول بأنه في المجتمعات المتخلفة يصير التخصص العلمي عقبة ضد الوصول إلى السلطة، فإن السلطة مرآة تعكس المجتمع والمجتمع المتخلف يجهل التخصص ويفترض بحكم تكوينه أن غالبية يسودها عدم التقدم التكنولوجي، ومن ثم فمن الطبيعي أن تكون الطبقة المسيطرة على الوظيفة السياسية وهي لا تعكس إلا تلك الصفات[٢].

---

(١) الدكتور حامد ربيع، نظرية الدعاية الخارجية، مصدر سبق ذكره، ص٢٨.

(٢) المصدر نفسه، ص٢٨.

صفحة بيضاء

الخاتمة

يتضح مما تقدم أن الأبعاد الداخلية والخارجية تصير جزءًا لا يتجزأ من عملية صنع القرار في السياسة الخارجية، إذا سلمنا بالحقيقة القائلة بأن هذه الأبعاد تصبح مادة رئيسة في عملية صنع القرار في السياسة الخارجية، وهنا يمكن القول بأن تنبؤ واعتقاد صانع القرار بسلوك معين يعد من العوامل المهمة، إلى جانب الخلفية الداخلية والخارجية كمنهج لتحليل صنع القرار في السياسة الخارجية، فإن هذا الفصل لا يمكن أن يكون تامًّا بينهما؛ إذ إن علاقات متبادلة بينهما تختلف باختلاف طبيعة الموقف والقرار.

وهنا يمكن القول بأن المختصين في السياسة الخارجية متفقون فيما بينهم على عدم إمكانية الفصل بين السياستين الداخلية والخارجية؛ لأن الأخيرة هي امتداد للأولى. وبعبارة أدق: إن السياسة الخارجية تستمد قوتها وأصولها من السياسة الداخلية؛ لأن طبيعة النظام السياسي هي التي تقرر وتحدد سياسة الدولة الخارجية.

وقد استنتجنا من هذه الدراسة أيضًا أن المناهج التقليدية في دراسة السياسة الخارجية بدأت في انتفاء أهميتها، وبالتالي أصبح التركيز على المناهج المعاصرة، والتي تتحدد في المنهج النظمي ومنهج اتخاذ القرار والمنهج المقارن والمنهج التحليلي. هذا يعني من جانب آخر أن أساتذة السياسة الخارجية يستخدمون جميع هذه المناهج من أجل الوصول إلى تأصيل نظري في عملية صنع القرار، والتي تتحدد في الموقف الذي يعني الرد على الهدف الإستراتيجي الذي يتجاوز مفهوم الوصف والتفسير ليصل إلى معنى التنبؤ في السياسة الخارجية.

أما فيما يخص دور وزارة الخارجية في عملية صنع القرار في السياسة الخارجية فقد ميزنا بين عملية إعداد القرار وعملية صنع القرار، وميزنا بين طوائف ثلاث: خبير السلطة، والدبلوماسي، والسياسي. الأمر الذي توصلنا من خلاله إلى نتيجة مع بعض الاستثناءات في بعض الدول، وهي أن وزارة الخارجية تقوم بدور تنفيذي في السياسة الخارجية، وقد تدخل في بعض الحالات وفي بعض التقاليد في عداد عملية إعداد القرار، ولا تتجاوز هذه الحالة أكثر من هذه التقاليد الدولية.

المصادر

أولاً: المصادر العربية:

- **الكتب:**

١. إسماعيل، محمد (دكتور)، علم الاجتماع السياسي وقضايا التخلف والتنمية والتحديث، منشأة المعارف بالإسكندرية، ١٩٨٠.

٢. الأقدحي، هشام محمود (دكتور)، السياسة الخارجية والمؤتمرات الدولية، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، ٢٠١٢.

٣. أبو خزام، إبراهيم (دكتور)، العرب وتوازن القوى في القرن الحادي والعشرين دراسة لواقع القوى العظمى وانعكاسات هذا الواقع على الوطن العربي والعالم، مكتبة طرابلس العلمية العالمية، طرابلس، ليبيا، ١٩٩٦م.

٤. أبو خزام، إبراهيم (دكتور)، الحروب وتوازن القوى دراسة شاملة لنظرية توازن القوى وعلاقتها الجدلية بالحرب والسلام، الأهلية للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ١٩٩٩م.

٥. أمين، جلال (دكتور)، العولمة، ط٢، دار المعارف، القاهرة، ١٩٩٨م.

٦. أبو عيانة، فتحي محمد (دكتور)، الجغرافيا السياسية، الإسكندرية، ١٩٨٥م.

٧. أبو هيف، صادق (دكتور)، القانون الدولي العام، ط٧، منشأة المعارف بالإسكندرية، ١٩٦٤م.

٨. بدوي، عبد الرحمن (دكتور)، مناهج البحث العلمي، ط٣، وكالة المطبوعات، الكويت، ١٩٧٧م.

٩. بدوي، محمد طه (دكتور)، مدخل إلى علم العلاقات الدولية، دار النهضة العربية، بيروت، ١٩٧٢م.

١٠. ــــــــ، النظرية السياسية النظرية العامة للمعرفة السياسية، الإسكندرية، ١٩٨٦م.

١١. بركات، نظام (دكتور) مراكز القوى ونموذج صنع القرار في إسرائيل، دار الجليل، عمان، ١٩٨٣.

١٢. التكريتي، بثينة عبد الرحمن (دكتورة)، جمال عبد الناصر نشأة وتطور الفكر الناصري، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ٢٠٠٠م.

١٣. تمام، تمام، عبد المنعم أبو الفتوح شاهد على تاريخ الحركة الإسلامية في مصر ١٩٧٠ – ١٩٨٤، ط ٢، دار الشروق، القاهرة، ٢٠١٢.

١٤. توفيق، سعد حقي (دكتور)، مبادئ العلاقات الدولية، دار وائل للطباعة والنشر، عمان، ٢٠٠٠.

١٥. الجابري، محمد عابد (دكتور)، قضايا في الفكر المعاصر، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ١٩٩٧م.

١٦. العابد، إبراهيم، سياسة إسرائيل الخارجية أهدافها ووسائلها وأدواتها، منظمة التحرير الفلسطينية، مركز الأبحاث، بيروت، ١٩٦٨.

١٧. الرب، حسام الدين جاد (دكتور)، الجغرافيا السياسية، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، ٢٠٠٩.

١٨. جرجس، فواز، السياسة الأمريكية تجاه العرب ومن يصنعها؟ ط٢، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت،٢٠٠٠م.

١٩. حتى، ناصيف (دكتور)، النظرية في العلاقات الدولية، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٩٨٥م.

٢٠. حداد، ريمون (دكتور)، العلاقات الدولية، بيروت، ٢٠٠٠م.

٢١. حسانين، سيد أبو بكر (د)، طريق الخدمة الاجتماعية في تنظيم المجتمع، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، (بلا).

٢٢. حسين، عبد الرزاق عباس (دكتور)، الجغرافيا السياسية مع التركيز على المفاهيم الجيوبوليتكية، مطبعة سعد، بغداد، ١٩٧٦م.

٢٣. حسين، عدنان السيد (دكتور)، الجغرافيا السياسية والاقتصادية والسكانية للعالم المعاصر، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، ١٩٩٤.

٢٤. حسين، عدنان السيد (دكتور)، نظرية العلاقات الدولية، ط ٣، بيروت، ٢٠١٠.

٢٥. الحسيني، السيد (د)، النظرية الاجتماعية ودراسة التنظيم، ط٢، دار المعارف، القاهرة، ١٩٧٧م.

٢٦. الحسيني، محمد صادق، الشيخ الرئيس من قرية الياقوت الأحمر إلى عرش الزعامة الذهبي، رياض الريس للكتب والنشر، بيروت، ٢٠٠٤.

٢٧. الحكيم، توفيق، عودة الوعي النص الأصلي والكامل، ط ٢، دار الشروق، بيروت، ١٩٧٤.

٢٨. الحكيم، توفيق، عودة الروح، ط ٢، دار الشروق، ٢٠٠٧.

٢٩. بهاء الدين الخاقاني، الفوضى الخلاقة إستراتيجية السياسة الخارجية الأمريكية لمائة سنة قادمة، دار المحجة البيضاء، بيروت، ٢٠١٢، ص٢٤٢-٢٤٣.

٣٠. خضر، هشام، جون كيندي الأسطورة واللغز، الدار العالمية للكتب والنشر، دار طيبة للطباعة والنشر، القاهرة، ٢٠١١.

٣١. الخاقاني، بهاء الدين، الفوضى الخلاقة إستراتيجية السياسة الخارجية الأمريكية لمائة سنة قادمة، دار المحجة البيضاء، بيروت، ٢٠١٢.

٣٢. اللباد، مصطفى، حدائق الأحزان إيران و"ولاية الفقيه"، ط ٢، دار الشروق، القاهرة، ٢٠٠٧.

٣٣. حمادة، بسيوني، إبراهيم، دور وسائل الاتصال في صنع القرارات في الوطن العربي، مركز دراسات الوطن العربي، بيروت، ١٩٩٣م.

٣٤. خشيم، مصطفى عبد الله (دكتور)، موسوعة علم العلاقات الدولية مفاهيم مختارة، الدار الجماهيرية للنشر والتوزيع والإعلان، بنغازي، ليبيا، ١٤٢٥.

٣٥. خطاب، محمود شيت، الرسول القائد، ط ٢، منشورات دار مكتبة الحياة ومكتبة النهضة، بغداد، ١٩٦٠.

٣٦. الخطيب، محمد فتح الله (دكتور)، دراسات في الحكومات المقارنة، دار النهضة العربية، القاهرة، ١٩٦٦م.

٣٧. الديري، أكرم، آراء في الحرب (الإستراتيجية وطريقة القيادة)، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت – لبنان، ١٩٨٣.

٣٨. خليل، خليل أحمد (دكتور)، العرب والقيادة، دار الحداثة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ١٩٨١م.

٣٩. ربيع، حامد (دكتور)، نظرية التحليل السياسي، مكتبة القاهرة الحديثة، ١٩٦٧.

٤٠. ربيع، حامد (دكتور)، نظرية الدعاية الخارجية، مكتبة القاهرة الحديثة، ١٩٦٩م.

٤١. ربيع حامد، العلوم السلوكية، الجزء الثاني، مكتبة القاهرة الحديثة، القاهرة، ١٩٧٢.

٤٢.ـــــــ، نظرية السياسة الخارجية، مكتبة القاهرة الحديثة، القاهرة، ١٩٧٣م.

٤٣.ـــــــ، الحرب النفسية في المنطقة العربية، المؤسسة العامة للدراسات والنشر، بيروت.

٤٤.ـــــــ، من يحكم في تل أبيب؟ حول تحليل علاقة التماسك في النظام الإسرائيلي ومتغيرات الحركة السياسية في الشرق الأوسط، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ١٩٧٥م.

٤٥. ٢٨ – ربيع، حامد (دكتور)، النموذج الإسرائيلي للممارسة السياسية، معهد البحوث والدراسات العربية، القاهرة، ١٩٧٥.

٤٦.ربيع، محمد محمود (دكتور)، مناهج البحث في السياسة، مطبعة جامعة بغداد، بغداد، ١٩٧٨م.

٤٧.رشاد عبد الغفار (دكتور)، الرأي العام دراسة في النتائج السياسية، مكتبة نهضة الشرق، جامعة القاهرة، ١٩٨٤م.

٤٨.الرشيدي وآخرون، الأمم المتحدة ضروريات الإصلاح بعد نصف قرن وجهة نظر عربية، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ١٩٩٦م.

٤٩. الرمضاني، مازن إسماعيل (دكتور)، السياسة الخارجية دراسة نظرية، بغداد، ١٩٩١م.

٥٠. زلوم، عبد الحي يحي، نذر العولمة، مطبعة الجامعة الأردنية، عمان، ١٩٩٩.
زلوم، عبد الحي يحي، حروب البترول الصليبية والقرن الأمريكي الجديد، دار الفارس للنشر والتوزيع، عمان، ٢٠٠٥.

٥١. زهران، جمال علي، السياسة الخارجية لمصر، مكتبة مدبولي، القاهرة، ١٩٨٧م.

٥٢. زهران، حامد عبد السلام (دكتور)، علم النفس الاجتماعي، ط٤، عالم الكتب، القاهرة، ١٩٧٧م.

٥٣. السادات، أنور، البحث عن الذات قصة حياتي، ط٢، المكتب المصري الحديث للطباعة والنشر، ١٩٧٨م.

٥٤. سلامة، غسان (دكتور)، السياسة الخارجية السعودية منذ عام ١٩٤٥ دراسة في العلاقات الدولية، مؤسسة دار الريحاني للطباعة والنشر، ١٩٨٠م.

٥٥. سعيد، عبد المنعم، الجماعة الأوروبية تجربة التكامل والوحدة، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ١٩٨٦م.

٥٦. سليم، محمد السيد (دكتور)، التحليل السياسي الناصري دراسة في العقائد والسياسة الخارجية، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ١٩٨٣م.

٥٧. ـــــــــ، تحليل السياسة الخارجية، ط٢، مكتبة النهضة العربية، القاهرة، ١٩٩٨م.

٥٨. السليمي، منصف، القرار السياسي الأمريكي، مركز الدراسات العربي ـ الأوروبي، ١٩٩٧.

٥٩. السمالوطي، نبيل (دكتور)، بناء القوة والتنمية السياسية دراسة في علم الاجتماع السياسي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، الإسكندرية، ١٩٧٨.

٦٠. الأسود، صادق (د)، علم الاجتماع السياسي، دار الحكمة للطباعة والنشر، بغداد، ١٩٩١م.

٦١. الشاوي، هشام (دكتور)، الوجيز في فن المفاوضة، مطبعة شفيق، بغداد، ١٩٦٩م.

٦٢. شريف، حسين (دكتور)، السياسة الخارجية الأمريكية وتحدياتها من الحرب العالمية الثانية إلى النظام الدولي الجديد ١٩٤٥-١٩٩٤، مطبعة الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٩٤م.

٦٣. شلبي، السيد أمين (دكتور)، جورج كينان الدبلوماسي المؤرخ، مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٩٧.

٦٤. شمبش، علي محمد (دكتور)، العلوم السياسية، ط٢، منشورات المنشأة العامة للنشر والتوزيع والإعلان، طرابلس، ليبيا، ١٩٨٢م.

٦٥. شوقي، عبد المنعم (دكتور)، مبادئ تنمية وتنظيم المجتمع، مطابع دار الكتاب العربي، القاهرة، (بلا).

٦٦. شهاب، ناجي صادق، السياسة دراسة سوسيولوجية، مكتبة الإمارات، العين، القاهرة، (بلا).

٦٧. صادق، دولت أحمد (دكتورة)، وغلاب، محمد السيد (دكتور)، والدناصوري، جمال الدين (دكتور)، الجغرافيا السياسية، ط٢، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ١٩٦١م.

٦٨.صالح، محمد محمد (دكتور)، تاريخ أوروبا من عصر النهضة وحتى الثورة الفرنسية ١٥٠٠-١٧٨٩، مطبعة دار الحافظ للطباعة والنشر، بغداد، ١٩٨٢م.

٦٩.الصمد، رياض (دكتور)، العلاقات الدولية في القرن العشرين، الجزء الأول، بيروت، (بلا).

٧٠. طلعت، شاهيناز (دكتورة)، الرأي العام، القاهرة، ١٩٨٣م.

٧١. العبدلي، عبد المجيد (دكتور)، قانون العلاقات الدولية، دار أقواس للنشر، مطبعة فن وألوان، تونس، ١٩٩٤م.

٧٢.عامر، محمد عبد المجيد (دكتور)، دراسات في الجغرافيا السياسية، الإسكندرية، (بلا).

٧٣.العطار، حسن (دكتور) المنظمات الدولية، مطبعة شفيق، بغداد، ١٩٧٠م.

٧٤.علي، نبيل، ثورة المعلومات: الجوانب الثقافية (التكنولوجية) في العرب والعولمة، مركز دراسات الوحدة، بيروت، ١٩٩٨م.

٧٥.عبد الله، أمين محمد (دكتور)، في أصول الجغرافيا السياسية، ط٢، القاهرة، ١٩٨٤م.

٧٦.العمري، عباس رشدي، إدارة الأزمات في عالم متغير، مركز الأهرام للترجمة والنشر، القاهرة، ١٩٩٣م.

٧٧.العويني، محمد علي (دكتور)، العلاقات الدولية بين النظرية والتطبيق، القاهرة، ١٩٨٠م.

٧٨.ـــــــ، الإعلام الدولي بين النظرية والتطبيق، ط٢، مكتبة الأنجلو المصرية، ١٩٨٢م.

٧٩.عيسى، حامد مصطفى (دكتور)، القضية الكردية في العراق من الاحتلال البريطاني إلى الغزو الأمريكي ١٩١٤ – ٢٠٠٤، مكتبة مدبولي، القاهرة، ٢٠٠٥.

٨٠. غضبان، عيد محمد، مقدمة في علم السياسة، ط٢، دار مجدلاي للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ١٩٨٧م.

٨١. غالي، بطرس بطرس (دكتور)، وعيسى، محمود خيري (دكتور)، المدخل في علم السياسة، ط٣، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ١٩٦٦م.

٨٢.فقيه، شادي (دكتور)، من يحكم أمريكا اللوبيات الحاكمة وآليات صنع القرار، دار القلم للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، (بلا).

٨٣.فيصل، غازي (دكتور)، منهجيات وطرق البحث في علم السياسة، مطابع دار الحكمة، بغداد، ١٩٩٠م.

٨٤.فودة، عز الدين (دكتور)، النظم الدبلوماسية، الكتاب الأول في تطور الدبلوماسية وتقنين قواعدها، دار الفكر العربي، القاهرة، ١٩٦١م.

٨٥.القباع، عبد الله سعود (دكتور)، السياسة الخارجية السعودية، الرياض، ١٩٨٦م.

٨٦.قبيسي، هادي، السياسة الخارجية الأمريكية بين مدرستين: المحافظية الجديدة والواقعية، الدار العربية للعلوم – ناشرون ش. م. ل، بيروت، ٢٠٠٨.

٨٧.الكاظم، صالح جواد (دكتور)، والعاني، علي غالب (دكتور)، الأنظمة السياسية، مطبعة جامعة بغداد.

٨٨. كامل، مجدي، ثورة أوباما الأمريكية.. ذهبت السكرة وجاءت الفكرة.. هل يصدق أم يصبح رئيسًا أبيض في جلد أسود؟ دار الكتاب العربي، دمشق – القاهرة، ٢٠٠٧.

٨٩. كامل، مجدي، بلاك ووتر، جيوش الظلام المرتزقة الجدد وفن خصخصة الحرب بزنس الموت على الطريقة الأمريكية، دار الكتاب العربي، دمشق – القاهرة، ٢٠٠٨.

٩٠. الكيالي، عبد الوهاب (دكتور)، كامل زهيري، الموسوعة السياسية، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ١٩٧٤.

٩١. متولي، محمد (دكتور)، وأبو العلا، محمود (دكتور)، الجغرافيا السياسية، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ١٩٧٧م.

٩٢. محبوبة، قصي، القائد بين السياسة والسلطة والنفوذ صراع المفاهيم والشخصيات في الأمم والدول والمؤسسات، الأهلية للنشر والتوزيع، عمان، ٢٠١٠.

٩٣. مصباح، زايد عبد الله، السياسة الخارجية، منشورات Elga، مالطا، ١٩٩٤م.

٩٤. محمد، فاضل زكي (دكتور)، السياسة الخارجية وأبعادها في السياسة الدولية، بغداد.

٩٥. محمد، فاضل زكي (دكتور)، الدبلوماسية في عالم متغير، بغداد، ١٩٩٢م.

٩٦. معوض، جلال عبد الله (دكتور)، صناعة القرار في تركيا والعلاقات العربية التركية، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ١٩٩٨م.

٩٧. مقلد، إسماعيل صبري (دكتور)، العلاقات السياسية الدولية دراسة في الأصول والنظريات، الكويت، ١٩٨٤م.

٩٨. ـــــــ، الإستراتيجية والسياسة الدولية: المفاهيم والحقائق، ط٢، مؤسسة الأبحاث العربية، بيروت، ١٩٨٥م.

٩٩. ـــــــ، نظريات السياسة الدولية دراسة تحليلية مقارنة، منشورات ذات السلاسل، الكويت، ١٩٨٧م.

١٠٠. المنوفي، كمال (دكتور)، الأنظمة السياسية المقارنة، الكويت، ١٩٨٧م.

١٠١. نصر، صلاح، حرب العقل والمعرفة، ط٢، الوطن العربي للنشر والتوزيع، بيروت، ١٩٨٢م.

١٠٢. نصيف، أنمار لطيف، جماعات الضغط اليهودية في أربع إدارات أمريكية تأثير اللوبي الصهيوني في السياسة الخارجية الأمريكية، شركة المنصور للطباعة المحدودة، بغداد، ١٩٨٩م.

١٠٣. نعمة، كاظم هاشم (دكتور)، العلاقات الدولية، الجزء الأول، ١٩٧٩م.

١٠٤. ـــــــ، الوجيز في الإستراتيجية، شركة إياد للطباعة الفنية، بغداد، ١٩٨٨م.

١٠٥. ـــــــ، نظرية العلاقات الدولية، طرابلس، ١٩٩٩م.

١٠٦. نعمة، كاظم هاشم، (دكتور)، في السياسة المقارنة المداخل النظرية، تالة للطباعة والنشر، طرابلس، ١٩٩٨م.

١٠٧. هدية، عبد الله (دكتور) وآخرون، حوار الشمال والجنوب وأزمة تقسيم العمل الدولي والشركات المتعددة الجنسية، دار الشباب للنشر، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، ١٩٨٦.

١٠٨. هيكل، محمد حسنين، الانفجار حرب الثلاثين سنة، مركز الأهرام للترجمة والنشر، القاهرة، ١٩٩٠م.

١٠٩. هيكل، محمد حسنين، المفاوضات السرية بين العرب وإسرائيل عواصف الحرب وعواصف السلام، ط٥، دار الشروق، القاهرة، ١٩٩٦.

١١٠.هيكل، محمد حسنين، الزمن الأمريكي من نيويورك إلى كابول، ط٣، الشركة المصرية للنشر العربي والدولي، القاهرة، ٢٠٠٢.

- **الكتب المترجمة:**

- أتالي، جاك، آفاق المستقبل، دار القلم للملايين، بيروت، ١٩٩٢م.
- أندرسون، جيمس، صنع السياسات العامة، ترجمة الدكتور عامر الكبيسي، دار المسيرة للنشر والتوزيع، عمان، ١٩٩٩م.
- أندرسن، ليام، ستانسفيلد، غاريث، عراق المستقبل ديكتاتورية ديمقراطية أم تقسيم؟ مراجعة وتقديم وتعليق ماجد شبر، دار الوراق للنشر، لندن، ٢٠٠٥.
- أنكسورت، دينز، وكالة المخابرات المركزية الأمريكية C.I.A، (بلا).
- أمبروز، ستيفن إي، الارتقاء إلى العالمية السياسة الخارجية الأمريكية منذ عام ١٩٣٨، ترجمة نادية محمد الحسيني، المكتبة الأكاديمية، القاهرة، ١٩٩٤م.
- اللاريجاني، محمد جواد (دكتور) الإستراتيجية القومية دراسات في معالمها وأهدافها، ترجمة علاء الرضائي، دار التعارف للمطبوعات، (بلا)، ١٩٩٥.
- الوتيز، لاري، نظام الحكم في الولايات المتحدة الأمريكية، القاهرة، ١٩٩٦م.

- أولبرايت، مادلين مع بيل ودوارد، الجبروت والجبار تأملات في السلطة والدين والشئون الدولية، ترجمة عمر الأيوبي، مطابع الدار العربية للعلوم، بيروت، ٢٠٠٧.
- أوباما، باراك، جرأة الأمل أفكار لاستعادة الحلم الأمريكي عرض وتحليل حسين عبد الواحد، مدبولي الصغير، القاهرة، ٢٠٠٩.
- أوباما، باراك، جرأة الأمل أفكار عن استعادة الحلم الأمريكي، ط ٢، ترجمة معين الإمام، مكتبة العبيكان، الرياض، ٢٠٠٩.
- أوباما، باراك، أحلام من أبي قصة عرق وإرث، ترجمة هبة نجيب مغربي وإيمان عبد الغني نجم، ط ٤، كلمات عربية للترجمة والنشر، القاهرة، ٢٠١٠.
- أوغلو، أحمد داود، العمق الإستراتيجي موقع تركيا ودورها في الساحة الدولية، ترجمة جابر ثلجي وطارق عبد الجليل، الدار العربية للعلوم ناشرون ش. م. ل، بيروت، ٢٠١٠.
- أولبرايت، مادلين، مذكرة إلى الرئيس المنتخب: كيف يمكن استعادة سمعة أمريكا ودورها القيادي؟ ترجمة عمر الأيوبي، الدار العربية للعلوم ناشرون ش. م. ل، بيروت، ٢٠٠٨.
- بارزي، تريتا، حلف المصالح المشتركة التعاملات السرية بين إسرائيل وإيران والولايات المتحدة، ترجمة أمين الأيوبي، الدار العربية للعلوم ناشرون ش. م. ل، بيروت، ٢٠٠٨.
- بالدوين، نيل، القيم الأمريكية المثل العليا التي شكلت أمريكا من عصر البيوريتان حتى الحرب الباردة، ترجمة الدكتور أحمد أمين الجمل، الجمعية المصرية لنشر المعرفة والثقافة العالمية، القاهرة، ٢٠٠٨.

- برايار، فيليب، ومحمد رضا جليلي، العلاقات الدولية، ترجمة حنان فوزي حمدان، دار ومكتبة الهلال، بيروت، ٢٠٠٩.
- براون، كريس، فهم العلاقات الدولية ترجمة مركز الخليج للأبحاث، دبي، الإمارات العربية المتحدة، ٢٠٠٤.
- بركنس، دكستر، فلسفة السياسة الخارجية الأمريكية دراسة وتحليل، تعريب الدكتور حسين عمر، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ١٩٥٢.
- برنستين، كارل، امرأة في السلطة، شركة المطبوعات للتوزيع والنشر، بيروت، ٢٠٠٨.
- بروسترك، ديني، نظرة شاملة على السياسة الخارجية الأمريكية، ترجمة الدكتورة ودودة عبد الرحمن بدران، الدار القومية للنشر والتوزيع، القاهرة، ١٩٩١.
- بريجنسكي، زبغنيو، الفوضى والاضطراب العالمي عند مشارف القرن الحادي والعشرين، ترجمة مالك فاضل، الأهلية للنشر والتوزيع، عمان ١٩٩٨م.
- بريزار، جان. شارل، غليوم داسكييه، ابن لادن الحقيقة الممنوعة، ط ٣، ترجمة علي عبود، دار علاء الدين للنشر والتوزيع والترجمة، دمشق، ٢٠٠٩.
- بريجنسكي، زبغنيو، الاختيار السيطرة على العالم أم قيادة العالم؟ ترجمة عمر الأيوبي، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، ٢٠٠٤.
- بريجنسكي، زبغنيو، الفرصة الثانية ثلاثة رؤساء وأزمة القوة العظمى الأمريكية، ترجمة عمر الأيوبي، دار الكتاب العربي، بيروت، ٢٠٠٧.

- بريسكو، جوزيف، يوميات كولين باول، الأهلية للنشر والتوزيع، عمان، (بلا).
- بريماكوف، يفجيني، حقول ألغام السياسة، تعريب عبد الله حسن، دار الفكر، دمشق، ٢٠٠٨.
- بريمر، بول، كونل – مالكولم ماك، عام قضيته في العراق.. النضال لبناء غد مرجو، ترجمة عمر الأيوبي، دار الكتاب العربي، بيروت – لبنان، ٢٠٠٦.
- بنيويك، روبرت، فيليب جرين، موسوعة المفكرين السياسيين في القرن العشرين، ترجمة مصطفى محمود، القاهرة، ٢٠١٠.
- بيرل، ريتشارد، فروم، نهاية الشر كيفية الانتصار على الإرهاب، ترجمة فؤاد السروجي، الأهلية للنشر والتوزيع، عمان – الأردن، ٢٠٠٤
- بيكر، جيمس، سياسة الدبلوماسية، مكتبة مدبولي، القاهرة، ١٩٩٩.
- بوش، جورج، التطلع إلى الأمام سيرة ذاتية، مركز الكتاب الأردني، (بلا).
- بوش، جورج، حياتي في رسائل وكتابات أخرى، ترجمة د. هشام الدجاني، مكتبة العبيكان، الرياض، ٢٠٠٢.
- بيوس، ريتشارد إم، سلطات الرئاسة في الديمقراطية الأمريكية التاريخ والمرتكزات، مجموعة دراسات بعنوان "أوراق الديمقراطية" نشرتها وزارة الخارجية الأمريكية، ترجمة حسن عبد ربه المصري، ط٢، المركز القومي للترجمة، القاهرة، ٢٠٠٩.
- فنسنت، بوغليوسي، مقاضاة جورج دبليو بوش بجريمة القتل، ترجمة محمد حديد الشجيري، مركز العراق للدراسات، مطبعة البينة (بلا)، ٢٠١٠.

- بوفر، أندريه، بناء المستقبل، تعريب أكرم ديري وبسام العسلي، بيروت، ١٩٧٦م.

- بول، هيدلي، المجتمع الفوضوي دراسة النظام في السياسة العالمية، ط٣، مركز الخليج للأبحاث، دبي، الإمارات العربية المتحدة، ٢٠٠٦.

- بوند، إليزابيث، الجولة الأخيرة في البلقان تغيير أنظمة الحكم على الطريقة الأوروبية، ترجمة ميشيل دانو، الدار العربية للعلوم ناشرون ش. م. ل، بيروت، ٢٠٠٨.

- تاير، برادلي أ. السلام الأمريكي والشرق الأوسط: المصالح الإستراتيجية لأمريكا في المنطقة بعد ١١ أيلول، ترجمة الدكتور عماد فوزي شعيبي، الدار العربية للعلوم، بيروت، ٢٠٠٤.

- تشرشل، ونستون، مذكرات تشرشل، الجزء الأول، منشورات مكتبة المنار، بغداد، (بلا).

- تشومسكي، نعوم، ماذا يريد العم سام؟ ترجمة عادل المعلم، دار الشروق، ١٩٩٨م.

- تشومسكي، نعوم، سنة ٥٠١ الغزو مستمر، ترجمة مي النبهان، ط٢، دار المدى للثقافة والنشر، بيروت، ١٩٩٩.

- تشومسكي، نعوم، النظام الدولي الجديد، ترجمة صفوان عكاشة، فصلت للدراسات والترجمة والنشر، حلب، ٢٠٠٠.

- تشومسكي، نعوم، الهيمنة أم البقاء؟ السعي الأمريكي إلى السيطرة على العالم، ترجمة سامي الكعكي، ٢٠٠٤.

- تشومسكي، نعوم، الدول الفاشلة إساءة استعمال القوة والتصدي للديمقراطية، دار الكتاب العربي، بيروت – لندن، ٢٠٠٧.
- تشومسكي، نعوم، أمريكا.. ما نقوله نحن يمشي.. محاورات حول القوة الأمريكية في عالم متغير، ترجمة سامي الكعكي، دار الكتاب العربي، بيروت، ٢٠٠٨.
- تشيني، ديك، مع ليز تشيني، في زماني مذكرات شخصية وسياسية، ترجمة فاضل جتكر، دار الكتاب العربي، بيروت، ٢٠١٢.
- تنيت، جورج، بالاشتراك مع بيل هارلو، في قلب العاصفة.. السنوات التي قضيتها في السي آي إيه، ترجمة عمر الأيوبي، دار الكتاب العربي، ٢٠٠٧.
- توفلر، ألفن، خرائط المستقبل، ترجمة أسعد صقر، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، ١٩٨٧م.
- ــــــــ توفلر، ألفن، حضارة الموجة الثالثة، ترجمة عصام الشيخ قاسم، بنغازي، ليبيا، ١٩٩٠م.
- ــــــــ، صدمة المستقبل: المتغيرات في عالم الغد، ط٢، ترجمة محمد علي ناصف، نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ١٩٩٠م.
- ــــــــ، الحرب والحرب المضادة: الحفاظ على الحياة في القرن المقبل، ترجمة د. صلاح عبد الله، بنغازي، ليبيا، ١٩٩٥م.
- ــــــــ، تحول السلطة بين العنف والثروة والمعرفة، ط٢، تعريب د. فتحي حمد بن شتوان، نبيل عثمان، طرابلس، ليبيا، ١٩٩٦م.

- توكفيل، ألكسي دو، عن الديمقراطية في أمريكا، الجزآن الأول والثاني، ترجمة بسام حجار، معهد الدراسات الإستراتيجية، بغداد – بيروت، ٢٠٠٧.
- تونكين، ج. أ، القانون الدولي العام، ترجمة أحمد رضا، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٧٢.
- ثرو، لستر، مستقبل الرأسمالية كيف تصوغ القوى الاقتصادية الراهنة عالم الغد؟ ترجمة عزيز سباهي، دار الثقافة والنشر، دمشق، ١٩٩٨م.
- ثرو، لستر، المتناطحون، ط٢، مركز الإمارات للدراسات والبحوث الإستراتيجية، أبو ظبي، ١٩٩٦م.
- جابرييل، ألموند، والابن جي بتجهام باديل، السياسات المقارنة في الوقت الحاضر، ترجمة هشام عبد الله، الدار الأهلية للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ١٩٩٨م.
- ج. ر، جوزيف س. ناي، حتمية القيادة الطبيعة المتغيرة للقوة الأمريكية، ترجمة عبد القادر عثمان، مركز الكتاب الأردني، عمان، ١٩٩١.
- جارودي، روجيه، الأساطير المؤسسة للسياسة الإسرائيلية، ترجمة قسم الترجمة، دار الغد العربي، القاهرة، ١٩٩٦م.
- جنسن، لويد (دكتور)، تفسير السياسة الخارجية، ترجمة الدكتور محمد بن أحمد مفتي، والدكتور محمد السيد سليم، الرياض، ١٩٨٩م.
- جود، ستيفن، الكونغرس الأمريكي الجديد، ترجمة عزة قنادي، مكتبة غريب، القاهرة، (بلا).

- جوليان، كلود، الإمبراطورية الأمريكية، ترجمة ناجي أبو خليل والدكتور فؤاد شاهين، دار الحقيقة، بيروت، ١٩٧٠م.

- راي، ميلان، خطة غزو العراق، ترجمة حسن الحسن، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، ٢٠٠٣.

- رايس، كوندوليزا، أسمى مراتب الشرف ذكريات من سني حياتي في واشنطن، ترجمة وليد شحادة، دار الكتاب العربي، بيروت، ٢٠١٢.

- رستون، ولترب، أفول السيادة، ترجمة سمير عزت نصار وجورج خوري، دار النسر للنشر والتوزيع، عمان، ١٩٩٤.

- رمضاني، روح الله، سياسة إيران الخارجية، ١٩٤١-١٩٧٣، ترجمة علي حسين فياض، عبد المجيد حميد جودي، مطبعة جامعة البصرة، ١٩٨٤م.

- دونالد ريغان، عرافة البيت الأبيض، ترجمة الدكتور محمود بهنسي، الدار المصرية للنشر والتوزيع، نيقوسيا – قبرص، ١٩٨٨، ص ٤٦.

- رني، أوستن، سياسة الحكم، ترجمة الدكتور حسن علي الذنون، المكتبة الأهلية، بغداد، ١٩٦٦م

- ريغان، دونالد، عرافة في البيت الأبيض، ترجمة الدكتور محمود بهنسي، الدار المصرية للنشر والتوزيع، نيقوسيا – قبرص، ١٩٨٨.

- رينوفان، بيير ودوروزيل، جان باتيست، مدخل إلى تاريخ العلاقات الدولية، ط٢ ترجمة فايزكم نقشق، منشورات بحر المتوسط، بيروت – باريس، ومنشورات عويدات، بيروت ـ باريس، ١٩٨٢م.

- روثكوبف، دايفيد ج.، الطبقة الخارقة نخبة التسلط العالمي وأي عالم تبني، شركة المطبوعات للتوزيع والنشر، بيروت، ٢٠١١.
- روس، دنيس، السلام المفقود: خفايا الصراع حول سلام الشرق الأوسط، ترجمة عمر الأيوبي وسامي كعكي، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، ٢٠٠٥.
- ريزن، جيمس، حالة حرب التاريخ السري للسي آي إيه وإدارة جورج بوش، ترجمة سامي الكعكي، دار الكتاب العربي، بيروت، ٢٠٠٦.
- زايتس، كونراد، الصين عودة قوة عالمية، ترجمة سامي شمعون، مركز الإمارات للدراسات والبحوث الإستراتيجية، دولة الإمارات العربية المتحدة، أبو ظبي، ٢٠٠٣.
- زكريا، فريد، من الثروة إلى القوة: الجذور الفريدة لدور أمريكا العالمي، ترجمة رضا خليفة، مركز الأهرام للترجمة والنشر، القاهرة، ١٩٩٩.
- دال، روبرت، التحليل السياسي الحديث، ط٥، ترجمة د. علا أبو زيد، مركز الأهرام للترجمة والنشر، القاهرة، ١٩٩٣م.
- دالس، ألن، حرفة الاستخبار (بلا).
- ديغلر، كارل ن، الانطلاق من الماضي: القوى التي كونت أمريكا الحديثة، ترجمة صادق إبراهيم عودة، الأهلية للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ١٩٩٧.
- ديغول، الجنرال، مذكرات الأمل التجديد ١٩٥٨-١٩٦٢، ترجمة الدكتور سموحي فوق العادة، ط٢، منشورات عويدات، بيروت، باريس، ١٩٨٦.
- ديفرجيه، موريس، الأحزاب السياسية، ط٣، دار النهار للنشر، بيروت، ١٩٨٠م.

- دوتيش، كارل، تحليل العلاقات الدولية، ترجمة محمود نافع، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ١٩٨٢م.

- دورتي، جيمس وبالتسغراف، روبرت، النظريات المتضاربة في العلاقات الدولية، ترجمة الدكتور وليد عبد الحي، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، ١٩٨٥م.

- زاد، زلمي خليل، التقييم الإستراتيجي، مركز الإمارات للدراسات والبحوث الإستراتيجية، أبو ظبي، ١٩٩٧.

- زكريا، فريد، عالم ما بعد أمريكا، ترجمة بسام شيحة، الدار العربية للعلوم ناشرون ش. م. ل.، بيروت، ٢٠٠٩.

- ساليفان، وليم، أمريكا وإيران، ترجمة نجدة الشواف، دار الملتقى للنشر، ليماسول – قبرص، ١٩٩١.

- ستيرن، جيفري، تركيبة المجتمع الدولي مقدمة لدراسة العلاقات الدولية، ترجمة ونشر مركز الخليج للأبحاث، ٢٠٠٤.

- ستيل، جوناثان، الهزيمة لماذا خسروا العراق؟ الدار العربية للعلوم ناشرون ش. م. ل، بيروت، ٢٠٠٩.

- سكاهيل، جيريمي، بلاكووتر أخطر منظمة سرية في العالم مرتزقة يقررون مصائر دول وشعوب.. أياد نافذة في غرف الحكم بواشنطن، ط٣، شركة المطبوعات للتوزيع والنشر، بيروت، ٢٠١٠.

- سميث، روبرت، جدوى القوة فن الحرب في العالم المعاصر، ترجمة مازن جندلي، الدار العربية للعلوم ناشرون ش. م. ل، بيروت، ٢٠٠٨.

- سميث، كارن إي، ومارغوت لايت، الأخلاق والسياسة الخارجية، تعريب فاضل جتكر، مكتبة العبيكان، الرياض، ٢٠٠٥.
- سميث، هوستن (دكتور)، لماذا الدين ضرورة حتمية؟ مصير الروح الإنسانية في عصر الإلحاد، ترجمة سعد رستم، دار الجسور الثقافية، حلب، سوريا، ٢٠٠٥.
- سيمونز، جيف، التنكيل بالعراق. سميث، روبرت، جدوى القوة فن الحرب في العالم المعاصر، ترجمة مازن جندلي، الدار العربية، العقوبات والقانون والعدالة، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، لبنان ١٩٩٨.
- سورسن، تيودور، اتخاذ القرارات في البيت الأبيض، ترجمة محمد سعيد، مطبعة المعرفة، القاهرة، ١٩٦٣.
- شارل، الدبلوماسي، ترجمة خيري حماد، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت. ١٩٦٠.
- شيراك، جاك، فرنسا جديدة فرنسا للجميع، ترجمة أنطوان الهاشم وأحمد عويدات، منشورات عويدات، بيروت، لبنان، ١٩٩٥.
- شولتز، جورج (مذكرات)، اضطراب ونصر، ج١، الخيوط الأولى، ترجمة محمد محمود دبور، محمود العابد، عمار جولاق، الأهلية للنشر والتوزيع، عمان، ١٩٩٤.
- شوير، مايكل، الفوقية الإمبريالية الأمريكية، لماذا يخسر الغرب الحرب على الإرهاب؟ ترجمة سمية محمد عبد ربه، الدار العربية للعلوم، بيروت، ٢٠٠٥.

- غالبريث، بيتر و، نهاية العراق كيف تسبب القصور الأمريكي في إشعال حرب لا نهاية لها؟ ترجمة إياد أحمد، الدار العربية للعلوم – ناشرون ش. م. ل، بيروت، ٢٠٠٧.

- غريفيش، مارتن، خمسون مفكرًا في العلاقات الدولية، ترجمة مركز الخليج للأبحاث، دبي، الإمارات العربية المتحدة، ٢٠٠٨.

- غيبسون، كينيون أوكار الشر دراسة حول آل بوش ووكالة المخابرات المركزية والشكوك حول هجمات ١١ /٩، الدار العربية للعلوم، مطبعة المتوسط، بيروت، ٢٠٠٤. غيلبن، روبرت، الحرب والتغيير في السياسة العالمية، ترجمة سعيد الأيوبي، دار الكتاب العربي، بيروت ٢٠٠٩.

- فايث، دوغلاس ج.، الحرب والقرار من داخل البنتاغون تحت عنوان الحرب ضد الإرهاب، تعريب سامي بعقليني، بيروت، ٢٠١٠.

- فالنستين، بيتر، مدخل إلى فهم تسوية الصراعات: الحرب والسلام والنظام العالمي، ترجمة سعد فيصل السعد ومحمد محمود دبور، المركز العلمي للدراسات السياسية، عمان، ٢٠٠٦.

- فرانك، جوستن أ. بوش تحت المجهر: الرئيس على أريكة التحليل النفسي، ترجمة سعيد الحسنية، الدار العربية للعلوم، بيروت، ٢٠٠٥.

- فريدمان، توماس ل، السيارة ليكسس شجرة الزيتون محاولة لفهم العولمة، ترجمة ليلى زيدان، الدار الدولية للنشر والتوزيع، القاهرة، ٢٠٠٠.

- فريدمان، توماس، العالم مسطح تاريخ موجز للقرن الواحد والعشرين، ترجمة عمر الأيوبي، دار الكتاب العربي، بيروت، ٢٠٠٦.

- فرانكل، جوزيف، العلاقات الدولية، ط٢، ترجمة غازي عبد الرحمن القصيبي، جدة، المملكة العربية السعودية، ١٩٨٤م.

- فندلي، بول، من يجرؤ على الكلام عن اللوبي الصهيوني وسياسات أمريكا الداخلية والخارجية، ط٢، شركة المطبوعات للتوزيع والنشر، بيروت، ١٩٨٥م.

- فوكوياما، فرنسيس، نهاية التاريخ، ترجمة الدكتور حسين الشيخ، دار العلوم العربية، بيروت، ١٩٩٣م.

- فوكوياما، فرنسيس، الثقة الفضائل الاجتماعية ودورها في خلق الرخاء الاقتصادي، ترجمة معين الإمام ومجاب الإمام، ١٩٩٨م.

- فوكوياما، فرنسيس، بناء الدولة النظام العالمي ومشكلة الحكم والإدارة في القرن الحادي والعشرين، ترجمة مجاب الإمام، العبيكان للنشر، الرياض، ٢٠٠٧.

- فيليكس، أنطونيا، كوندي قصة نجاح كوندوليزا رايس، ترجمة سعيد الحسنية، الدار العربية للعلوم، بيروت – لبنان، ٢٠٠٧.

- فيشر، لويس، سياسات تقاسم القوى الكونغرس والسلطة التنفيذية، ط٣، ترجمة مازن حماد، الأهلية للنشر والتوزيع، عمان، ١٩٩٤م.

- كارتر، جيمي (مذكرات) كامب دافيد: حرب على الحرب رهائن طهران والحسابات الخاسرة، ترجمة شبيب بيضون، دار الفارابي، بيروت، ١٩٨٥.

- كارتر، جيمي، قيمنا المهددة: أزمة أمريكا الأخلاقية، ترجمة حسام الدين خضور، (بلا).

- كرلوف، ف. ي، إمبراطور كل الأرض أو قضايا النظام العالمي الجديد، ترجمة م. منتجب يونس، دار علاء الدين للنشر والتوزيع والترجمة، دمشق، ٢٠٠٧.
كاليكي – جان هـ. ديفيد ل. غولدون، الأمن والطاقة نحو إستراتيجية سياسية خارجية جديدة، ترجمة حسام الدين خضور، منشورات الهيئة العامة السورية للكتاب، وزارة الثقافة، دمشق، ٢٠١١.

- كامبل، ألستير، وريتشارد سكوت، سنوات بلير، شركة المطبوعات للتوزيع والنشر، بيروت، ٢٠٠٨.

- كايرو، مايكل إف، السيطرة المدنية على الجهاز العسكري في الديمقراطية الأمريكية التاريخ والمرتكزات، مجموعة دراسات بعنوان "أوراق الديمقراطية" نشرتها وزارة الخارجية الأمريكية، ترجمة وتعليق حسن عبد ربه المصري، ط ٢، المركز القومي للترجمة، القاهرة، ٢٠٠٩.

- كانتور، روبرت د، السياسة الدولية المعاصرة، ترجمة د. أحمد ظاهر، مركز الكتب الأردني، عمان، الأردن، (بلا).

- كلينتون، بيل، حياتي، ترجمة حسام الدين خضور، دار الرأي للنشر، دمشق، سوريا، ٢٠٠٤.

- كلينتون، بيل، بالعطاء.. لكل منا أن يغير العالم، شركة المطبوعات للتوزيع والنشر، بيروت ن ٢٠٠٧.

- كلينتون، هيلاري ردهام، تاريخ عشته، الحوار الثقافي، دار الوراق للنشر والتوزيع، لبنان – بيروت، ٢٠٠٤.

- كلير، مايكل، الحروب على الموارد الجغرافية الجديدة للنزاعات العالمية، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، ٢٠٠٢.

- كلير، كلير، دم ونفط أمريكا وإستراتيجيات الطاقة: إلى أين؟ دار الساقي، بيروت، ٢٠١١.

- كيبل، جيل ويان ريشار، المثقف والمناضل في الإسلام المعاصر، ترجمة بسام حجار، دار الساقي، بيروت لبنان، ١٩٩٤.

- كيبل، جيل، الفتنة حروب في ديار المسلمين، ترجمة نزار أورفلي، دار الساقي، بيروت، ٢٠٠٤.

- كيتيل، رايموند كارفيلد، العلوم السياسية، الجزء الأول، ترجمة الدكتور فاضل زكي محمد، ط٢، دار التضامن، بغداد، ١٩٦٣.

- كيسلي، كيستي، نانسي ريجان فضيحة في البيت الأبيض، مؤسسة دار الهلال، القاهرة، ١٩٩١.

- كودارد: دونالد، كولمان، ليفرنوكي، في قضية الأخطبوط من بيروت إلى لوكيربي خفايا المخابرات العسكرية الأمريكية، طرابلس، ١٩٩٧م.

- كوكبرن، آندرو، رمسفلد بزوغه وسقوطه وتركته المفجعة، دار السيد للنشر والتوزيع، الرياض، ٢٠٠٩.

- [كلاوزفيتز، الوجيز في الحرب، ترجمة أكرم ديري، الهيثم الأيوبي، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ١٩٧٤م.

- كيسنجر، هنري، مفهوم السياسة الخارجية الأمريكية، إعداد الدكتور حسين شريف، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٧٣م.

- كيسنجر، هنري، سنوات البيت الأبيض، ترجمة مركز البحوث والمعلومات، مجلس قيادة الثورة، بغداد.

- كيسنجر، هنري، الدبلوماسية من الحرب الباردة إلى يومنا هذا، ترجمة مالك فاضل البديري، الأهلية للنشر والتوزيع، عمان، ١٩٩٥م.

- مذكرات كيسنجر في البيت الأبيض، ترجمة خليل فريجات، الجزء الرابع، ط ٥، دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر، دمشق، ١٩٩٩

- كيسنجر، هنري، هل تحتاج أمريكا إلى سياسة خارجية؟ نحو دبلوماسية للقرن الحادي والعشرين، ترجمة عمر الأيوبي، دار الكتاب العربي، بيروت، ٢٠٠٢ م.

- كيسنجر، هنري، مذكرات، ج ٢، ترجمة عاطف أحمد عمران، الأهلية للنشر والتوزيع، عمان، ٢٠٠٥.

- كيسنجر، هنري، سنوات التجديد، ط ٢، المجلد المستخلص لمذكراته، ترجمة د. هشام الدجاني، العبيكان، السعودية، ٢٠١٠.

- كيندي، بول، الاستعداد للقرن الحادي والعشرين، ترجمة محمد عبد القادر، غازي مسعود، دار الشروق للنشر والتوزيع، بيروت، ١٩٩٣م.

- ليتواك، إدوارد، انهيار الحلم الأمريكي: الأزمة الاقتصادية في مجتمع متدهور، ترجمة ليلى غانم، طرابلس، ١٤٢٥هـ.

- لووي، ثيودور، وبنيامين جينسبرج، الحكومة الأمريكية الحرية والسلطة، الكتاب الأول، ترجمة عبد السميع عمر زين العابدين ورباب عبد السميع زين العابدين، مكتبة الشروق الدولية، القاهرة، ٢٠٠٦.

- مادلين أولبرايت، سيرة ذاتية، ترجمة محمد توفيق البجيرمي، الحوار الثقافي، لبنان، بيروت ٢٠٠٤.

- مارسدن، جورج، الدين والثقافة الأمريكية، ترجمة صادق إبراهيم عودة، دار الفارس للنشر والتوزيع، عمان، ٢٠٠١.

- مكليلان، سكوت، ماذا حدث داخل أروقة البيت الأبيض في عهد بوش؟ وثقافة الخداع في واشنطن، ترجمة الدكتور منذر محمود صالح محمد، العبيكان، الرياض، ٢٠٠٩.

- ميرشايمر، جون جي، ستفن إم. والت، أمريكا المختطفة: اللوبي الإسرائيلي وسياسة الولايات المتحدة الخارجية، ترجمة فاضل جتكر، العبيكان، الرياض، ٢٠٠٦.

- ميرل، مارسيل، السياسة الخارجية، ترجمة خضر خضر، جزوس برس، ١٩٨٩.

- ميرل، مارسيل، سوسيولوجيا العلاقات الدولية، ترجمة الدكتور حسن نافعة، دار المستقبل العربي، القاهرة، ١٩٨٦.

- ميرلوحي، السيد هاشم (دكتور)، أمريكا بلا قناع، ترجمة علاء رضائي، الغدير – بيروت، ٢٠٠٣.

- مكريدس، روي، مناهج السياسة الخارجية في دول العالم، ترجمة الدكتور حسن صعب، بيروت، ١٩٦٦م.

- مكنمارا، روبرت، ما بعد الحرب الباردة، ترجمة محمد حسين يونس، دار الشروق للنشر والتوزيع، ١٩٩١م.

- مورجانثو، هانز. جي، السياسة بين.. الأمم الصراع من أجل السلطان والسلام، ج١، ترجمة خيري حماد، الدار القومية للطباعة والنشر، القاهرة، ١٩٦٤م.

- ميرلوحي، السيد هاشم (الدكتور)، أمريكا بلا قناع، ترجمة علاء الرضائي، الغدير، بيروت – لبنان، ٢٠٠٣.
- ليتل، ريتشارد، توازن القوى في العلاقات الدولية الاستعارات والأساطير والنماذج، ترجمة هاني تابري، دار الكتاب العربي، بيروت، ٢٠٠٩.
- ناي (الابن)، جوزيف، المنازعات الدولية مقدمة للنظرية والتاريخ، ترجمة الدكتور أحمد أمين الجمل ومجدي كامل، الجمعية المصرية لنشر المعرفة والثقافة العالمية، القاهرة، ٢٠٠٠م.
- نيكلسون، هارولد، الدبلوماسية، ترجمة محمد مختار الزقزوقي، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ١٩٥٧م.
- نيكسون، ريتشارد، القادة، ترجمة خضر إبراهيم.
- نيكسون، ريتشارد، نصر بلا حرب، ط٣، مركز الأهرام للترجمة والنشر، القاهرة، ١٩٩١م.
- نيكسون، ريتشارد، ما وراء السلام، ترجمة مالك عباس، الأهلية للنشر والتوزيع، عمان، ١٩٩٥م.
- نيكولز، جون، ديك تشيني رئيس أمريكا الفعلي، ترجمة محمود برهوم، ورغدة محمد حسن عزيزية، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ٢٠٠٦.
- نوزيل، فنسان، أسرار رؤساء وكالة المخابرات المركزية. البيت الأبيض. الإليزيه: الملفات السرية ١٩٨١ – ٢٠١٠، تعريب فاطمة علي خوجة، سناء خوري، هناء خوري، موريس شربل، جروس برس ناشرون، طرابلس، لبنان، ٢٠١١.

- هتشنز، كرستفز، محاكمة هنري كيسنجر، ط ٢ ترجمة فريد ألغزي، الأهلية للنشر والتوزيع، عمان ٢٠٠٣.

- هارت، ليدل ج.ل، الإستراتيجية وتاريخها في العالم، ترجمة الهيثم الأيوبي، دار الطليعة، بيروت، ١٩٦٧م.

- هاس، ريتشارد ن، الفرصة لحظة أمريكا لتغيير مجرى التاريخ، ترجمة أسعد كامل إلياس، العبيكان للنشر، الرياض، ٢٠٠٧.

- هاس، ريتشارد حرب الضرورة سيرة حربين على العراق حرب الاختيار، ترجمة نورما نابلسي، دار الكتاب العربي، بيروت، ٢٠١٠.

- – هالبر، ستيفان، كلارك، جوناثان، التفرد الأمريكي المحافظون الجدد والنظام العالمي، ترجمة عمر الأيوبي، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، ٢٠٠٥

- هانس، بيتر مارتين، هارالد شومان، فخ العولمة الاعتداء على الديمقراطية والرفاهية، ترجمة الدكتور عدنان عباس علي، الكويت، ١٩٩٨م.

- هنتنغتون، صموئيل ب، من نحن؟ التحديات التي تواجه الهوية الأمريكية، ترجمة حسام الدين خضور، دار الحصاد، دمشق، ٢٠٠٥.

- هيرش، سيمور، ثمن القوة سنوات كيسنجر في البيت الأبيض، ترجمة خالد إسماعيل الصفار، بيت الحكمة، بغداد، ٢٠٠٠ م.

- هيرش، سيمور، القيادة الأمريكية العمياء الطريق من ١١ أيلول إلى سجن أبو غريب، ترجمة مركز التعريب والبرمجة، الدار العربية للعلوم، بيروت، ٢٠٠٥.

- هوبنر، إميل، النظام السياسي في الولايات المتحدة الأمريكية، ترجمة عدنان عباس علي، مركز الإمارات للدراسات والبحوث الإستراتيجية، أبو ظبي، ٢٠٠٩.

- والت ستيفن، ميرشايمر، جون، اللوبي الإسرائيلي والسياسة الخارجية الأمريكية، شركة المطبوعات للتوزيع والنشر، بيروت، ٢٠٠٧.

- واينر، تيم، إرث من الرماد تاريخ "السي. آي. أيه"، شركة المطبوعات للتوزيع والنشر، بيروت، ٢٠١٠.

- ودوارد، بوب، القادة، ترجمة محمد مستجير، مكتبة مدبولي، القاهرة، ١٩٩٢.

- ودوارد، بوب، بوش محاربًا، تعريب د. سمر القاضي، مكتبة العبيكان، الرياض، ٢٠٠٣.

- ودوارد، بوب، خطة الهجوم، ترجمة فاضل جتكر، مكتبة العبيكان، الرياض، ٢٠٠٤. ودوارد، بوب، الحرب الداخلية التاريخ السري للبيت الأبيض بين عامي ٢٠٠٦ – ٢٠٠٨، ترجمة معين الإمام، العبيكان، الرياض، ٢٠١١.

- **كتب باللغة الفارسية:**

- بادامجيان، أسد الله (دكتور)، خاطرات منتظري ونقد آن، انديشه ناب، تهران، ١٣٨٢.

- **الرسائل الجامعية:**

- بدران، ودودة عبد الرحمن، السياسة الخارجية في عهد كيندي - رسالة ماجستير غير منشورة - جامعة القاهرة، كلية الاقتصاد والعلوم السياسية، ١٩٧٣م.

- البياتي، عارف محمد خلف، السياسة الخارجية السورية حيال الوطن العربي للفترة من عام ١٩٧٠-١٩٨٨م.
- ـــــــــ، أثر المتغيرات الدولية الجديدة على السياسة الخارجية السورية (١٩٨٥-١٩٩٥)، رسالة دكتوراه غير منشورة، جامعة بغداد، كلية العلوم السياسية، ١٩٩٦م.
- الجادر، أحمد زكي، النظام السياسي الدولي والصراع العربي-الإسرائيلي، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية العلوم السياسية /جامعة بغداد، ١٩٩٣.
- السامرائي، سندس إسماعيل، السياسة الخارجية الفرنسية تجاه العراق للفترة ١٩٦٣-١٩٨٨، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة بغداد، كلية القانون والسياسة، ١٩٨٨م.
- فقيرة، جلال إبراهيم عبد الله، صنع القرار في السياسة الخارجية اليمنية حول الجوار العربي، رسالة دكتوراه غير منشورة، جامعة بغداد، كلية العلوم السياسية، ١٩٩٩.
- النعيمي، أحمد نوري، السياسة الخارجية التركية بعد الحرب العالمية الثانية، دار الحرية، بغداد، ١٩٧٥م.

- **الدوريات:**

- أبو زيد، أحمد محمد، "كينيث والتز: خمسون عامًا من العلاقات الدولية (١٩٥٩ – ٢٠٠٩) دراسة استكشافية"، المجلة العربية للعلوم السياسية، العدد ٢٧، بيروت، صيف ٢٠١٠.
- بدران، ودودة عبد الرحمن (دكتور)، "تخطيط السياسة الخارجية نظرية وتحليلية"، السياسة الدولية، العدد ٦٩، ١٩٨٢م.

- البرصان، أحمد سليم (دكتور)، "مبادرة الشرق الأوسط الكبير: الأبعاد السياسية والإستراتيجية"، السياسة الدولية، العدد ١٥٨، مؤسسة الأهرام، القاهرة، أكتوبر ٢٠٠٤.
- بكر، حسن، "مطارحة نقدية لنظرية فوكوياما"، المستقبل العربي، العدد ٩، شتاء ١٩٩٣م.
- بوحليفة، حسان علي، "التماسيح تستحوذ على أسماك البحيرة"، ٤٦، محرم، ١٤٢٠هـ، أبريل - مايو، وزارة المعارف -السعودية، ١٩٩٩م.
- ثابت، أحمد، "العولمة والخيارات المستقلة"، المستقبل العربي، العدد ٢٤٠، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ١٩٩٩م.
- خضور، رسلان (دكتور)، حسن، سمير إبراهيم (دكتور)، "مستقبل العولمة: قضايا راهنة"، العدد ٧ تموز/يوليو، المركز العربي للدراسات الإستراتيجية، دمشق، ١٩٩٨م.
- سالم، أحمد علي، "القوة والثقافة وعالم ما بعد الحرب الباردة: هل باتت المدرسة الواقعية في العلاقات الدولية شيئًا من الماضي؟"، المجلة العربية للعلوم السياسية، العدد ٢٠، بيروت، خريف ٢٠٠٨.
- سالم، أحمد علي (دكتور)، "السياسة الخارجية لأوباما بين المثالية والواقعية"، السياسة الدولية، العدد ١٧٨، مؤسسة الأهرام، القاهرة، أكتوبر ٢٠٠٩.
- راشد، سامح، "العراق.. جدل الانسحاب والاستقرار"، السياسة الدولية، العدد ١٧٠، مؤسسة الأهرام، القاهرة، أكتوبر ٢٠٠٧.
- سكوت، كيندل، ديناميات صنع السياسة الخارجية الأمريكية، السياسة الدولية، العدد، ١٧٨، مؤسسة الأهرام، القاهرة، أكتوبر ٢٠٠٩.

- الشيخ، نورهان (دكتورة)، "العلاقات الروسية – الأوروأطلنطية بين المصالح الوطنية والشراكة الإستراتيجية"، مجلة السياسة الدولية، العدد ١٧٠، مؤسسة الأهرام، القاهرة، أكتوبر ٢٠٠٧.
- عبد الفضيل، محمود، حول أزمة الفكر الإستراتيجي – نظرة مستقبلية – المستقبل العربي، العدد ١٩٢، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت – لبنان، شباط ١٩٩٥.
- عبد المؤمن، محمد السعيد (دكتور) "ولايتي: هل يعيد صناعة السياسة الخارجية الإيرانية؟"، مختارات إيرانية، العدد ١٣٢، مركز الدراسات السياسية والإستراتيجية، مؤسسة الأهرام، القاهرة، يوليو ٢٠١١.
- عماد، عبد العظيم، "الاتجاهات المضادة للعولمة"، المعرفة، العدد ٤٦، محرم ١٤٢٠هـ، أبريل –مايو، ١٩٩٩م.
- عبد المجيد، وحيد، الانتخابات الأمريكية وأزمة الشرق الأوسط، السياسة الدولية، العدد ٧٩، ١٩٨٥م.
- الرمضاني، مازن (د)، في التخطيط السياسي الخارجي: دراسة نظرية، الحقوق، العددان ١-٢، بغداد، ١٩٧٨م.
- الرمضاني، مازن (د)، السياسة الدولية: بحث في منهاج اتخاذ القرار السياسي، مجلة العلوم السياسية والقانونية، العدد الأول، دار الحرية للطباعة، بغداد، حزيران، ١٩٧٦م.
- كوهن، وارين آي، "نيكسون في الصين نقطة تحول في تاريخ العالم"، أجندة السياسة الخارجية، وزارة الخارجية الأمريكية، مكتب برامج الإعلام الخارجي، (بلا)، نيسان – أبريل، ٢٠٠٦.

- الميهي، آسيا، "الرأي العام في السياسة الخارجية الأمريكية"، السياسة الدولية، العدد ١٢٧، يناير، ١٩٩٧م.
- مصطفى، نيفين عبد الخالق، "قيادة الرسول وخلافته والأنماط المثالية للسلطة لماكس فيبر، دراسة مقارنة "، **مجلة العلوم الاجتماعية**، العدد ٤، المجلد ١٤، شتاء، ١٩٨٦م.
- مقلد، إسماعيل صبري (دكتور)، "اتخاذ القرارات في السياسة الخارجية"، السياسة الدولية، عدد ١٤، أكتوبر، ١٩٦٨م.
- النعيمي، أحمد نوري، الأبعاد المؤثرة في السياسة الخارجية، الحقوقي، العددان الأول والثاني، بغداد، ١٩٧٧م.

ثانياً: المصادر الأجنبية:

Books

- Almond Gabriel A., and G.Bingham Powell, J.r, Comparative Politics Today A World View , Fourth Edition , Printed in the U.S.A., 1988.
- Arvid , Brodersen , National Character and Old problem Reexamined , New York , 1961.
- Beloff , Dimensions in Foreign Policy , 1961.
- Bryee , Jmaces , Modern Democraties , 11 , New York: The Mamillan , 1921.
- Brzezinski , Zbigniew , The Grand Chessboard American Primacy its Geostrategic Imperatives , New York ,1977.

- Bush , George ,Decision Points , printed and bound in great Britain by Clays Ltd ,St Ives PIC , 2o10.
- Carleton , William , G., Realism and World Politics.
- Connor , Karen O' , Sabato , Larry J., The Essentials Of American Government Contimuity and Change , New York 2002.
- Davidson Roger H. , Oleszek , Congress and Its Members , Eighth Edition, Washington , D. C. , 2002.
- Davison , phillips , Puplic Opinion , International Encyelopedia of Social Science , vol. XIII, 1964.
- Dutsch , Karl , The Analysis of International Relations , Englewood Prentice-Hall , 1968.
- Dexter , White , People , Society and Mass Communication , 1964.
- Duverger , Mourice , Political Parties , London , Metheren and Co., Itd , 1964.
- Frankel , Joseph , The Making of Foreign Policy , Oxford University Press , 1963.
- Goldbery , J.J., Jewish Powerinside the American Establishmet , U.S.A., 1988.

- --------, National Interest , Printed in Great Britian , 1970.
- Haas , Ernest , The Balance of Power as Analytic Concept.
- Harold and Margart Sprout , Inviromental Factors in the Study of International politics , ed., by Rosenau , the Free Press , New York,1969.
- Harvard , William C., The Government and Politics of the United States , London , 1965.
- Henderson , Conway W.,International Relations Conflict and Cooperation at the Turn of the 21 st Century , New York , 1998.
- Hill , Norman , International Politics , New York , Happer and Row , 1963.
- Holesti , K.J., The Concept of Power in the Study of International Relations.
- -----------, International Politics Aframework for Analysis , Englewood Cliffs, 1967.
- Peter Hough , Understanding Global Security , Routledge Taylor & Francis Group , London & New York , 2005.
- Hubertus , C.J.Duiiker , National Chavacter and Stereoypes , Amesterdam North – Holl and pub., Co. 1964.

- Jentleson , Bruce W. ,American Foreign Policy The Dynamics of Coice in the 21 St Century , Printed in the United States of America , 2000.
- Peter Hough , Understanding Global Security , Routledge Taylor & Francis Group , London & New ,York , 2005 ,
- Kegley Charles W,.Jr. Eugene R. Wittkopf , World Politice Trend & Ttranseormation. Fifth Edition , St. Martins Press , New York , 1995.
- K.m.Pahikkar , The Principles and Practice of Diplomacy , Asia Publishing House , Bomboy , 1957.
- Kurt , J., How Foreign Policy is Made , New York , 1949.
- Jones , Roy E., Principles of Foreign Policy The Civil State in its world setting , Printed and Bound by Richard Clay lid , Bungay , Suffolk , 1979.
- Mcgrew , Anthohy G., and Lewis , paul G., Global , Politics: Globalization and the Nation State , Cambridge. 1992.
- Miltan L. Rakove , Arms and Foreign Policy in the Nuclear Age , Oxford University Press.
- Morgenthau , J., Hans , Politics Among Nation , The Struggler for power and Peace , New York 1961.

- Nicolson , Harold , Diplomacy , then and Now.
- Oleszek , Walter J. , Congressional Procedures and the Policy Process , Fifth Edition , Washington , D. C., 2001.
- Padeiford , Norman J., and Lincoin , George K., The Dynamics of International Politics , New York , The Macmillan Company , 1967.
- Pearson , Lester B., Diplomacy in the Nucler Age , Harvard University Press , 1959.
- Perkins , palmer , International Relations: The World Community in Transition , Second Edition , U.S.A., 1952.
- Rosenau , James W., Domestic Sources of Foregin Policy , The Free Press , New York.
- ---------, The Scientific Study of Foreign Policy , the Free Press , New York , 1971.
- ----------, Study of International Politics , The Free Press , New York , 1964.
- ----------, Public opinion and Foreign Policy , New York , 1969.
- ---------- , Kenneth W.Thompson Gavin Boyd , World Politics An Intnoduction ,The Free Press, A Division Of Macmillan Publishing Co., Inc. New York, 1976.

- Smith Jean Edward, George Bush s War, Henry Holt And Company, New York, 1992,
- Snyder , Richard , and Furuis , Edger , American Foreign Policy , New York: Reinhand an Company , Inc , 1959.
- Snyder , Richard., H.W Bruck and Spain , Burton , Foreign Policy Decision Making , New York, 1962.
- Tunkin Grigory , Contemporary International Law , Progres Publishers , Moscow ,1969.
- Waltz , Keneeth N. ,Mar , The State & War , Athearetical Analysis N. Y: Colombia Unversity Press , 1959.
- Waltz, Kenneth , Theory Of International Politcs Addison-Wesley Puplishing Compiay , Inc. Philippines copyright , 1979.
- Weltz , Kenneth N , “Structural Realism After The Cold War , In Understanding International Relations The Value Of Alternative Lenses , By Daniel J.Kaufman. Jay M.Parker. Kimberly C.Field , Fourh Edition, The McGraw-Hill Companies , Inc , New York, 1999.
- Wanamaker , Temple , American Foreigan Policy Today , Printed In The U.S.A., 1965.

- Weiman , Unv. Of Southern Califoring , 1973.
- Wright , Qunicy , The Study of International Relation , New York: Appleton- Century Crofis , Inc.

Periodicals and Articles:

- Gupta , Rakesh , " Intrdependence and Security Among States in the 1990s " , Strategic Analysis , April 1995.
- Hass , Richard and Robert , " Globalization Its Discontent Navigating the Dangers of atangled World ", Foreign Affairs , May-June , 1998.
- Hokins , Halford C., " The United States Posture in the Middle East ", Current History , Vol. 42, April , 1962.
- Huntington , Samual P. , " The Clash of Civilization ", Foreign Affairs , Summer , 1993.
- -------, " The Erosion of American National Interests " , Foreign Affairs , Vol. 76 , No. 5 , 1997.
- -------, " The Lonely Superpower " , Foreign Affairs ", Vol. 78 , No.2 , 1999.
- Kratchwi , Frederick , " The Challenge of Security in achanging World ", Journal of International Affairs , vol.13 , No.1 Summer / Fall 1989.

- Rosenau , James , “ Public Opinion in Lasswcils Future of Political Science “ , Public Opinion Quarterly , Vol. XXVIII , Fall , 1969.
- Talbatt , Strobe , “ Globalization and Diplomacy “ , Foreign Policy , No.108, Fall. 1997.

فهرس الموضوعات